بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد:

فإن من سنن الله في خلقه أن الحق والباطل في صراع دائم وحرب مستمرة، وكانت الأمم السابقة إذا استشرى الضلال بينها واستحكم طوقه، آذن الله له بالزوال، ببعثة رسول من الرسل يجدد للناس ما اندرس من الدين، ويعيد للحق دولته وكيانه.

وإن من رحمة الله بهذه الأمة، أن هيأ لها على مر العصور والدهور، واختلاف الأحوال والأمور، طائفة على الحق منصورة، متمسكة بدين ربها، ومنهج أسلافها، لايضرها من خالفها أو تخلف عنها، قادتها أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، ممن حملوا على عواتقهم دعوة من ضل إلى الهدى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بهدي المصطفى أهل الضلالة والعمى، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، بنور علمهم تحيا الأمة ويندحر ظلام البدعة، بهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وبهم قام الكتاب وبه قاموا.

ويعد القرن الثامن — وهو القرن الذي عاش فيه الإمام يوسف السرمري — أحد القرون العصيبة، والفترات التي استوى فيها سوق البدعة، وحلت الفرقة بين هذه الأمة، وتحقق في أهل

السنة وصف الغربة.

وفي هذا الجو المشحون بالبدع ، كان للإمام جمال الدين أبي مظفر يوسف السرمري – رحمه الله – جملة من المؤلفات في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة والدفاع عنها حتى تململ من منهجه فيها المتهالكون من أهل الأهواء والبدع، فقال عنه القِذِّيف الشَّغَّاب زاهد الكوثري[1]: "وكان صاحب الترجمة –يعني الإمام السرمري– بعيداً عن علم الكلام وأصول الدين منصرفاً إلى مجالس الرواة يسير وراء ابن تيمية في شواذه حذو النعل بالنعل كغالب مقلدة الرواة من أهل زمنه ..."[2].

ومن تلك المؤلفات منظومة [الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية] رد فيها على تقي الدين السبكي في أبياته التي لمز فيها شيخ الإسلام ابن تيمية ، وقد ذكرها الحافظ ابن ناصر الدين في [الرد الوافر] وقال: "ولقد أحسن في هذا الرد المقبول وهدم تلك الأبيات بنظام المنقول وجلال المعقول"[3].

ومن مؤلفاته [نهج الرشاد في نظم الاعتقاد] وهي منظومة في عقيدة أهل السنة والجماعة، قد حوت درراً ثمينة وجواهر نفيسة، مع عذوبة في النظم وجزالة في المعاني، أورد فيها عقيدة أهل السنة في (أسماء الله وصفاته، وكتاب الله، والقضاء والقدر، و المحرمات، والتعامل مع ولاة الأمر، واليوم الآخر، والإيمان بالنبي محمد ﷺ، والصحابة الكرام﵃).

ومن مؤلفاته كتاب [إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة] وهو كتاب في أدلة الأحكام من القرآن والسنة معاً، لكن قد بدأه المؤلف بكتاب الإيمان والسنة فقال: (وافتتحته بكتاب الإيمان والسنة اتباعاً لطريقة السلف، وترغيباً لمن بعدهم من الخلف)[4].

---

(١) سيأتي الحديث عنه –إن شاء الله– .

(٢) انظر: هامش (لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ لابن فهد) ص١٦١، للكوثري، دار إحياء التراث العربي.

(٣) الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر ص٢٣٢، لابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق: زهير الشاويش، الطبعة الرابعة ١٤٢٦، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عَمان.

(٤) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة ص ٧٢ ، لجمال الدين السرمري، تحقيق: أبي عبدالله حسين بن عكاشة رمضان، الطبعة الأولى ١٤٢٧، دار الكيان، الرياض.

ومن مؤلفاته كتاب [نشر القلب الميت بفضل أهل البيت] ، وكتاب [غيث السحابة في فضائل الصحابة]، وغيرها ؛ إضافة إلى بعض المسائل العقدية التي أشار لها في كتبه المؤلفه في النحو والحديث والطب وغير ذلك، والإمام جمال الدين السرمري من المكثرين في التأليف، فمؤلفاته تزيد على المائة مصنف، قال ابن حجي (رأيت بخطه ماصورته: مؤلفاتي تنيف على مائة مصنف كبار وصغار، في بضعة وعشرين علماً، ذكرتها على حروف المعجم في "الروضة المورقة في الترجمة المونقة")[1].

وكان من جملة هذا المصنفات في باب الاعتقاد كتاب [خصائص سيد العالمين وماله من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام] الذي جمع فيه المؤلف ما من به الله تبارك وتعالى على رسولنا الكريم ﷺ من معجزات عظيمة لم يسبق لها مثيل، وآيات باهرات توضح وتبين لنا مقامه وفضيلته وعلو قدره، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين وأنه سيد الأولين والآخرين.

وإن القارئ للمخطوطة ليشعر من صفحاتها الأولى بعظيم قدرها، فقد جمع فيها بين الرواية والدراية ، كيف لا يكون وهو من أهل الحديث، كما أن موضوعها مهم في زمن كثر المخالفون فيه من أهل الديانات الباطلة والمنسوخة الطاعنون في الرسالة وفي القرآن بل وفي كل الشريعة والدين، وإن معرفة فضائله ﷺ وما أيده الله من الآيات وخوارق العادات من الأمور العظيمة التي تطمئن بها النفوس وتركن بها القلوب إلى تقبل ما جاء به وتطبيقه والسير على منهجه ﷺ.

فلذلك – وبعد الاستخارة والاستشارة – اخترت أن يكون موضوع بحثي لمرحلة "الماجستير": [**منهج الإمام جمال الدين السُّرَّمَرِّي في تقرير العقيدة، مع تحقيق ودراسة كتابه "خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام"**].

---

(١) شذرات الذهب (٥/٢٤٩) ، والمنهج الأحمد للعليمي (٥/١٤٤) .

• أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- مكانة الإمام جمال الدين السرمري رحمه الله، والجهد العلمي الذي قدمه للأمة، ففي دراسة منهجه إبراز لهذا الجهد وإظهار له، ومحاولة جمع ماتفرق من هذه المادة العلمية ليسهل الرجوع إليها والاستفادة منها.

٢- أن الحافظ جمال الدين السرمري رحمه الله من الأعلام في مدرسة شيخ الاسلام ابن تيمية كما كانت له جهود في الدفاع عن منهجه رحمه الله، ومن ذلك [الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية]، وهي منظومة يرد بها على أبيات السبكي، قال ابن ناصر الدين في [الرد الوافر]: "ولقد أحسن في هذا الرد المقبول وهدم تلك الآبيات بنظام المنقول وجلال المعقول"(١).

٣- أن دراسة منهج مثل هؤلاء الأئمة تبرز عقيدة السلف غضة طرية، بعيدة عن التعقيدات الكلامية والمقدمات المنطقية، وبهذا يرتبط المسلم بسلفه الصالح.

٤- هناك تشابه كبير بين الفترة التي عاشها هذا الإمام وبين عصرنا الحاضر، من حيث انتشار البدع، وغلبة الأهواء، فدراسة منهجه في تقرير العقيدة، قد تعين على تصحيح الواقع العقدي للأمة.

٥- كون الموضوع شاملاً لجل أبواب العقيدة، ممايستلزم من الباحث أن يمر أثناء بحثه على كثير من المسائل العقدية، فيعود ذلك عليه بالنفع الكبير.

٦- أن هذا الكتاب – حسب علمي – لم يسبق أن طبع أو حقق، فقد بحثت عنه في الجامعات والمكتبات العامة داخل السعودية وخارجها ولم أجد له تحقيقاً أو طباعة.

٧- حسن التقسيم ودقيق الاستنباط من المؤلف _ رحمه الله _، فقد جعل لكل نبي فصلاً يذكر فيه ما أوتي من المعجزات ثم يورد نظائر هذه المعجزات التي وقعت لنبينا صلى الله عليه وسلم أو الكرامات لصالحين من أمته ثم يوازن بينها ويستنبط فضله صلى الله عليه وسلم،

---

(١) الرد الوافر ص٢٣٢.

ثم ذكر بعد ذلك فصلاً أورد فيه ما اختص به نبينا صلى الله عليه وسلم من المعجزات والمزايا الكريمة مما فاق به عليهم.

٨- إيراد المؤلف لجملة من المسائل المشكلة والجواب عنها، مثال ذلك قال رحمه الله: "فإن قيل: في قوله تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: من الآية ٢٦] وأن الله سبحانه استجاب له فأغرق الأرض ومَن عليها دليل على أن نوحاً عليه الصلاة و السلام كان مُرسلاً إلى جميع أهل الأرض فكيف يقال: بأن محمداً ﷺ وحده أُرسِل إلى الناس كافةً، فالجواب. . . "[1]، والكتاب مملوء بـ (فإن قيل / فالجواب).

٩- أن النسخة الأصل نفيسة جداً وعليها قيد سماع المؤلف وإجازته، ونسخت في سنة (٧٧٠) أي قبل وفاة المؤلف بست سنوات.

١٠- لم يقتصر المؤلف – رحمه الله – في كتابه على سرد الأحاديث والآثار وإنما كان له شرح وبيان في كثير من المواضع، والكتاب فيه تحقيق كبير فالمؤلف يمايز بين معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وبين معجزات كل نبي ثم يبين الأمور التي تميزت بها معجزاته صلى الله عليه وسلم، ويورد المسائل المشكلة ويجيب عنها، إضافة إلى مايذكره من الفوائد والاستنباطات.

• الهدف من الدراسة:

١- التعريف بالإمام جمال الدين أبي المظفر يوسف السرمري – رحمه الله – ومكانته وآثاره العلمية، وإبراز منهجه في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة، والدفاع عنها.

٢- إخراج هذا المخطوط الجليل ليكون في متناول أيدي الدارسين والباحثين للوقوف عليه، والاستفادة مما جاء فيه.

---

(١) [ق٧/ظ].

- **خطة البحث:** تشمل على مقدمة، وقسمين، وخاتمة.

المقدمة: وتشمل أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه.

القسم الأول: منهج الإمام جمال الدين السرمري في تقرير العقيدة، وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: عصر جمال الدين السرمري وحياته، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عصر جمال الدين السرمري.

المبحث الثاني: حياته الشخصية.

المبحث الثالث: حياته العلمية.

الفصل الثاني: منهج جمال الدين السرمري في التلقي والاستدلال، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مصادر جمال الدين السرمري في التلقي.

المبحث الثاني: منهجه في الاستدلال.

الفصل الثالث: منهج جمال الدين السرمري في تقرير التوحيد، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: توحيد الألوهية.

المبحث الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

الفصل الرابع: منهج جمال الدين السرمري في سائر أصول الإيمان، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان بالملائكة والإيمان بالرسل.

المبحث الثاني: الإيمان باليوم الآخر.

المبحث الثالث: الإيمان بالقضاء والقدر.

الفصل الخامس: منهج جمال الدين السرمري في مسائل الإيمان، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مسمى الإيمان.

المبحث الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الثالث: الاستثناء في الإيمان.

المبحث الرابع: الكبيرة وحكم مرتكبها.

الفصل السادس: منهج جمال الدين السرمري في الصحابة والإمامة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الصحابة.

المبحث الثاني: الإمامة.

الفصل السابع: موقف جمال الدين السرمري من أهل الأهواء والبدع، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: لزوم الجماعة وذم الفرقة.

المبحث الثاني: موقفه من أهل البدع.

القسم الثاني: تحقيق كتاب "خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام"

مقدمة التحقيق: وفيها ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالكتاب، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: اسم الكتاب.

المطلب الثاني: توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف.

المطلب الثالث: موضوع الكتاب، ومجمل مباحثه.

المطلب الرابع: أهمية الكتاب، وقيمته العلمية.

المطلب الخامس: منهج المؤلف فيه.

المطلب السادس: مصادره في كتابه.

المطلب السابع: تقويم الكتاب.

المبحث الثاني: التعريف بالخصائص والمناقب والمعجزات.

المبحث الثالث: وصف النسخ الخطية.

الخاتمة: وفيها النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

- **منهجي في البحث:**

ويكون على المنهج الوصفي التحليلي، ويتلخص في النقاط التالية:

١- استقراء المسائل العقدية التي نص جمال الدين السرمري - رحمه الله - على رأيه فيها، في كتبه، أو الكتب الناقلة عنه، وترتيب هذه المسائل حسب خطة البحث.

٢- دراسة هذه المسائل ونقدها وفق مايلي:

أ- عرض قول جمال الدين السرمري - رحمه الله - في كل مسألة.

ب- الاستدلال على المسائل بنصوص الكتاب والسنة وكلام أهل العلم.

ج- بيان مدى موافقة جمال الدين السرمري - رحمه الله - في المسألة لمذهب السلف.

٣- تحقيق المخطوط وفق مايلي:

أ- مقابلة النسخ؛ وقد اتبعت فيها ما يلي:

- اعتمدت نسخة "أ" أصلاً، بحيث أشير إلى كل ما زاد عليها؛ إلا إذا كان ما في "ب" صواباً أو الأولى ففي هذه الحالة أثبته في المتن، وما رأيته خطأ أو خلاف الأولى في "أ" أثبته في الحاشية.

- كل زيادة عن نسخة "أ" سواء من نسخة "ب" أو من أحد الكتب التي نقل عنها المؤلف أو من عندي، أضعها بين معقوفتين هكذا: [ ] وأشير في الحاشية إلى أنه زيادة من "ب" أو أحد الكتب أو من عندي.

وإذا كانت الزيادة من عندي أقول: ولعل الصواب ما أثبتُّ أو ما أثبتُّه.

- إذا كانت الكلمة في إحدى النسختين خطأ أو خلاف الأولى وفي الأخرى صواباً أو الأولى إثباته، فإني أثبت الصواب أو الأولى في الأصل وأشير إلى الأخرى في الحاشية، دون أن أنص على النسخة التي أثبته منها اختصاراً.

فإذا أشرت في الحاشية إلى ب فما أثبته في الأصل من أ

وإذا أشرت في الحاشية إلى أ فما أثبته في الأصل من ب

- كل نص وجد في النسخة الأصل "أ" ولم يوجد في النسخة الأخرى "ب" أضعه بين قوسين هكذا ( ) وأشير في الحاشية إلى أنه ليس في ب.

- لم أذكر ضمن الفروق بين النسخ الاختلافات اليسيرة كالاختلاف في وضع النقط مثل "يدركها، تدركها، يحيط، تحيط"، والاختلاف في حرف العطف مثل: "فكل، وكل، فكانتا، وكانتا" ما لم يترتب على ذلك اختلاف في المعنى.

وأثبت ما كان فيه تغيير لمبنى الكلمة كزيادة حرف ونحوه.

- لم أتقيد بالرواية على كِتْبَةِ الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ عند ذكره، ولا الترضي على الصحابة ﷺ عند ذكرهم، وهكذا الأمر في الثناء على الله سبحانه عند ذكر اسمه نحو "عز وجل" و "سبحانه وتعالى"؛ لأن ذلك دعاء وثناء أثبته لا كلام أرويه(١).

ب- كتابة النص وضبطه وفق الرسم الإملائي.

ج- وضع عناوين جانبية للفقرات.

د- التعليق على مايحتاج إلى تعليق.

٤- عزو الآيات، بذكر اسم السورة ورقم الآية، وجعلت ذلك في الأصل بين معقوفتين هكذا [ ] حتى لا أثقل الحواشي.

٥- تخريج الأحاديث، فما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليه، وإلا خرجته من المصادر الأخرى، مع نقل حكم الأئمة عليه.

٦- تخريج الآثار ونقل الحكم عليها إن وجد، وعزو النقول والأمثال.

٧- يستثنى مما سبق في التخريج ما ذكر في قسم المنهج من الأحاديث والآثار ضمن نص منقول عن كتاب فإني أكتفي فيها بالإحالة إلى الكتاب المنقول عنه، وذلك لأنها إما منقولة عن كتب قد خرجت تلك الأحاديث تخريجاً مستوفياً ككتاب "الأربعون الصحيحة فيما دون

---

(١) هذه النقطة في المنهج استفدتها من العلامة عمدة المحققين الشيخ أحمد شاكر في مقدمة تحقيقه لسنن الترمذي ص٢٦-٢٧.

أجر المنيحة" وكتاب "إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة" و"كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون"، وإما منقولة عن كتاب "خصائص سيد العالمين" وسيأتي تخريجها في قسم التحقيق.

٨- الترجمة لغير المشهورين من الأعلام، وممن تستدعي الحاجة التعريف بهم.

٩- اعتمدت التأريخ الهجري في التراجم وغيرها دون أن أرمز له بحرف (هـ) لأن التأريخ الهجري هو الأصل وهو تأريخ المسلمين، فإن ذكرت تأريخاً سواه أشرت إلى ذلك.

١٠- التعريف بالفرق والطوائف والأماكن والقبائل.

١١- التعريف بالمصطلحات والألفاظ الغريبة مع ضبطها.

١٢- أشرت إلى صفحات نسخة الأصل "أ" في داخل النص، فأضع معقوفين وبداخلهما رقم الورقة ورمز الصفحة، وقد استخدمت فيها الرموز التالية:

ق الورقة

و الوجه

ظ الظهر

وقد قمت بترقيم جميع الأوراق ما عدا الورقة (٢٩) ففي أسفلها خرم.

١٢- وضع الفهارس المساعدة على الإفادة من البحث، وهي:

أ. فهرس الآيات الكريمة .
ب. فهرس الأحاديث الشريفة .
ج. فهرس الآثار .
د. فهرس الأعلام .
هـ . فهرس الفرق والطوائف .
و.فهرس الأماكن والبقاع .
ز . فهرس المصطلحات والغريب .
ح. فهرس الأشعار والأمثال .
ط. فهرس المصادر والمراجع .
ي . فهرس المحتوى .

لقد كانت أولى الخطوات التي بدأها الباحث بعد تسجيل هذا الموضوع هي البحث عن كتب السرمري المطبوعة والمخطوطة، فبحث لدى المكتبات العامة المحلية والعالمية وفي دور النشر ولدى المهتمين بجمع الطبعات والمخطوطات، فوجد الباحث في مكتبة الأمير سلمان المركزية بجامعة الملك سعود مخطوطة للسرمري بعنوان (المولد الكبير للبشير النذير ﷺ) وهي نسخة مصورة عن المكتبة الأحمدية بحلب، ثم سافر الباحث إلى المدينة فوجد في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة مخطوطة للسرمري بعنوان (فوائد مخرجه عن شيوخ العدل الأمين الثقة بقية السلف جمال الخلف شمس الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالعزيز بن علي ابن المؤذن الوراق البغدادي)، كما وجد في مكتبة المسجد النبوي كتاباً للسرمري بعنوان (الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة) وهو مطبوع لكنه قد نفد من المكتبات، ثم قام الباحث بالسفر إلى الكويت فوجد في مكتبة جامعة الكويت مخطوطة للسرمري بعنوان (شفاء الآلام في طب أهل الإسلام)، ووجد في مركز المخطوطات للتراث والوثائق بالكويت مخطوطة بعنوان (منامات رؤيت لشيخ الإسلام ابن تيمية)، بعد ذلك وجد الباحث في فهرس مكتبة الاسكندرية بالاسكندرية مخطوطاً للسرمري بعنوان (عجائب الاتفاق وغرائب ماوقع في الآفاق) فراسل المكتبة طالباً منهم الحصول على المخطوط، ثم وجد الباحث رسالة علمية في الأردن قُدمت لنيل درجة الماجستير في الجامعة الأردنية سنة ١٩٩٥م، وكان موضوعها دراسة وتحقيق (شرح اللؤلؤ في النحو للسرمري) لإبراهيم بن حمد الدليمي، وكان كتاب (شرح اللؤلؤ في النحو) موجود عند الباحث بتحقيق أمين عبدالله سالم قبل تسجيل الموضوع، لكنه حرص على تحقيق الدليمي لأنه رسالة علمية من عراقي، وقد يكون وقف على بعض مخطوطات السرمري في العراق فيذكرها في ترجمته، فاستعان الباحث بالشيخ شوكت بن رفقي شوكت من الأردن وهو محقق (كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون للسرمري) للحصول على الرسالة، وقد قام الشيخ شوكت مشكوراً بتصويرها من الجامعة الأردنية وإرسالها إلى الرياض فجزاه الله خير الجزاء.

ثم شرع الباحث بالعمل بما لديه مستعيناً بالله طالباً منه التيسير والإعانة والتوفيق، فاستقرأ جميع كتب السرمري المطبوعة والمخطوطة التي وجدها قبل تسجيل الموضوع وبعده، وحاول أن يستخرج

منها ما يتعلق بمنهجه في تقرير العقيدة، كما عانى في بداية بحثه من جمع المتناثر في بطون الكتب عن ترجمة السرمري، وخاصة أن جمال الدين السرمري ممن خمل ذكرهم في العصور المتأخرة عند كثير من الباحثين، فالمادة العلمية في ترجمته تحتاج إلى بحث كثير، ووفِّق بحمد الله وهدايته إلى إثبات مادة وافية في ثبت شيوخه وتلاميذه ومصنفاته وحياته الشخصية، وهو جهد غير منظور لا يدركه إلا من عاناه أو من له باع طويل في هذا المجال.

أما ما يتعلق بالتحقيق فقد كان الباحث حين تسجيل الموضوع لم يجد إلا نسخة فريدة لمخطوط (خصائص سيد العالمين) ثم هُدي بتوفيق الله بعد تسجيل الموضوع إلى نسخة أخرى لكتاب (خصائص سيد العالمين) موجودة في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ومصورة عن مكتبة آستان قدس رضوي المركزية بمشهد الإيرانية باسم (الخصائص والمفاخر)، ولم يكن مركز جمعة الماجد قد أتم فهرسة المخطوطة، فالمخطوطة مسجلة عندهم بعنوانها فقط ولم يذكر اسم مصنفها، ولعلها من المخطوطات الحديثة في المركز، وقام الأخ عادل العوضي مشكوراً بإرسالها إلى الباحث فجزاه الله عنه خير الجزاء، وهذا قاد الباحث للبحث عن نسخ أخرى باسم (الخصائص والمفاخر) في المكتبات المحلية والعالمية فلم يجد إلا ما ذكره بروكّلمان في تاريخه عن نسخة موجودة في مكتبة برلين، فقام بمراسلة مكتبة برلين عن طريق مركز الملك فيصل فاعتذروا عن التصوير.

ثم شرع الباحث العمل في التحقيق بمقابلة النسختين لكتاب (خصائص سيد العالمين)، وقد بذل جهداً في سبيل إبراز النص كما كتبه المؤلف أو في سبيل الترجمة لعلم التبس عليه أو أثر لم يقف على من خرجه، ودرس الباحث في دورة علمية تأهيلية بعنوان "تحقيق المخطوط" يحاضر فيها أ.د بشار عواد معروف و أ.د حاتم صالح الضامن ، كما كان الباحث يستشير في كثير من موضوعات علم التحقيق: الشيخ عمار بن سعيد تمالت –الباحث في قسم المخطوطات بمركز الملك فيصل–، والشيخ صالح بن محمد عبدالفتاح –الباحث في علم المخطوط العربي بدار الكتب المصرية–، فجزاهما الله عنه خير الجزاء.

ثم قام في نهاية بحثه برحلة إلى مكتبة برلين علّه أن يطلع على النسخة الموجودة فيها ولكنه لم

يُمكن لأسباب سيأتي ذكرها -إن شاء الله- في وصف النسخ الخطية.

وأخيراً فأشكر الله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، فله الحمد والمنة من قبل ومن بعد على ما يسر لي ووفقني إليه من إتمام هذا البحث.

ثم أشكر بعد شكر الله لمن قرن الله حقهما بحقه، وهما والديَّ الكريمين على ما قاما وقدَّما وبذلا كل ما فيه نفع وخير وصلاح وإعانة، فاسأل الله أن يبارك فيهما، ويمتِّع بهما، ويطيل في أعمارهما على طاعته ومرضاته، ويُحسن لهما الختام.

كما أتقدم بالشكر والعرفان لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على إتاحة الفرصة لي لمواصلة تعليمي العالي، وأخص بالشكر مجلس عمادة الدراسات العليا ومجلس كلية أصول الدين ومجلس قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة على ما بذلوه من جهد في رعاية البحث.

ثم إن أقل ما يمكن أن أسديه لمن أعانني وغمرني بكريم معاملته وحسن معروفه أن أقدم له وافر الشكر وجزيل الامتنان، وعلى رأسهم فضيلة الأستاذ الدكتور علي بن محمد الدخيل الله السويلم، الذي تفضل بالإشراف على الرسالة، ولم يبخل عليّ بوقته، ولم يأل جهداً في إسداء النصح والإرشاد وإبداء الملحوظات، ولقد استفدت كثيراً من ثاقب رأيه وسديد توجيهاته وحسن درايته بالتحقيق، وهو الذي أخرج كتاب (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة)، كل هذا وسط دماثة خلق عالية، وليس هذا غريباً على مثله، فكل من عاشره وجالسه لمس منه هذا الشيء، أسأل الله بمنه وكرمه أن يجزيه عني خير ما جزى أستاذاً عن تلميذه.

ولا أستجيز إغفال شكري لأهل بيتي الأوفياء على ما لقيته منهم من مؤازرة ودعم وتشجيع فبارك الله لي فيهم، ولكل مشايخي وإخواني الذين استفدت مما عندهم ولم يبخلوا عليّ بنصح أو رأي أو توجيه أو إعانة.

وفي الختام هذا هو جهد المقل، فإن أصبت فمن الله وحده لا شريك له، وإن اخطأت فمن نفسي والشيطان، واستغفر الله وأتوب إليه.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول
عصر جمال الدين السرمري وحياته

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عصر جمال الدين السرمري.

المبحث الثاني: حياته الشخصية.

المبحث الثالث: حياته العلمية.

المبحث الأول

عصر جمال الدين السرمري

قبل الحديث عن ترجمة الإمام جمال الدين السرمري، لابد من نبذة مختصرة عن عصره، فإن الظروف التي تحيط بالشخص، والبيئة التي يعيش فيها، لهما أثر كبير في تكوين حياته، وطبعها بطابع خاص، وذلك لأن الإنسان كما يقال: ابن بيئته، فيتأثر - غالباً - بما يدور حوله من أحداث سياسية وحروب ونزاعات، كما يتأثر بالوضع الإجتماعي والعلمي.

ولما لهذه الجوانب من أثر في حياة العالم أو إنتاجه العلمي، فإني سألقي الضوء باختصار على أهم هذه الجوانب.

المطلب الأول: الحالة السياسية:

لقد ولد وعاش جمال الدين السرمري في أوضاع سياسية قلقة وغير مستقرة، فقد مُني العالم الإسلامي في هذه الفترة بأحداث جسام، كان من أبرزها:

١-سقوط مدينة بغداد عاصمة الخلافة العباسيّة:

كانت الخلافة الإسلامية في بغداد قبل وصول التتار[١] قد تداعت أركانها، ولم يكن زمام الأمور في بغداد في يد واحدة، فكان الوزراء كل منهم ينقم على الآخر.

وكان سكان بغداد من أهل السنة والشيعة والنصارى واليهود، وبينهم من الخلاف الشيء الكثير.

(١) التتار: شعب بدوي يعيش بأطراف بلاد الصين، وهم سكان البراري، ومشهورون بالشر والغدر، يعبدون الكواكب، ويسجدون للشمس أثناء شروقها، وتنتشر عندهم الإباحية، وتعرف ديانتهم القديمة بالشامانية، يقدمون الأضاحي لبعض الحيوانات الشريرة، ويقدسون أرواح الأجداد، والتتار هم أصل القبائل المتفرعة عنهم جميعاً من مغول وترك وسلاجقة وغيرهم، ولما سيطر المغول أيام جنكيز خان على قبائل التتار شمل الجميع اسم المغول، ولما سيطر التتار أيام تيمور لنك شمل الجميع اسم التتار. انظر: التاريخ الإسلامي (٣٢٩/٦)، محمود شاكر، الطبعة السادسة ١٤٢١، المكتب الإسلامي.

في هذه الظروف كان الوزير الشيعي ابن العلقمي[1] يدير مؤامرة كبرى للقضاء على دولة الخلافة، وإبادة أهل السنة، وإقامة دولة على مذهب الشيعة الرافضة، فاستغل منصبه، وحظوظه عند الخليفة، وبدأ ينفث سمومه رويداً رويداً في قلب الخلافة العباسية ليضعفها، وقد حاك خيوط المؤامرة بوسائل متعددة، ومن أهمها[2]:

١- تقليل قوام الجيش:

قال ابن كثير – رحمه الله –: "وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الديوان، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر –والد المستعصم– قريباً من مائة ألف مقاتل ... فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف"[3].

٢- معاداة أهل السنة:

فقد زادت تحركات العناصر الشريرة في الدولة تحت وصاية الوزير ابن العلقمي ضد علماء السنة وأكابر البلد[4].

٣- اتصالات سرية مع العدو:

قال ابن كثير عنه: "كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال، وذلك كله مطمعاً منه أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر بدعة الرافضة، وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبيد العلماء والمفتين ..."[5].

وكان يناصره في هذه الخيانة نصير الشرك الطوسي[6].

---

(١) محمد بن أحمد (أو محمد بن محمد بن أحمد) بن علي، مؤيد الدين المعروف بابن العلقمي البغدادي الرافضي، كان غالياً في التشيع إلى غاية ما يكون، وكان وزيراً للمستعصم بالله، توفي سنة ٦٥٦. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/٣٦١-٣٦٢)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة التاسعة ١٤١٣، مؤسسة الرسالة، بيروت؛ الأعلام (٥/٣٢١)، الطبعة الخامسة عشر، عام ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين، بيروت، وقد وصفه مؤلف الأعلام بقوله: "صاحب الجريمة النكراء".

(٢) انظر: أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ (٢/١٠٠٣-١٠٠٤)، لعلي الصلابي، مكتبة الصحابة، الإمارات، ١٤٢٥.

(٣) البداية والنهاية (١٣/٢٣٥)، تحقيق: علي شيري، الطبعة الأولى ١٤٠٨، دار إحياء التراث العربي.

(٤) انظر: مقدمة تحقيق (الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية) ص١١، لصلاح الدين مقبول أحمد، الطبعة الأولى ١٤١٢، مجمع البحوث الإسلامية، الهند.

(٥) البداية والنهاية (١٣/٢٣٥).

(٦) هو محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر، وكان يقال له: نصير الدين، فيلسوف، توفي سنة ٦٧٢. انظر: الأعلام

وفي تلك الظروف، أرسل هلاكو إلى الخليفة رسالة، يهدده فيها، ويأمره بتسليم بغداد. فلم يكترث الخليفة للأمر.

فقرر الزحف إلى بغداد مع مائتي ألف مقاتل إلى بغداد، وأول من برز إليه مهنئاً له ومرحباً به هو ابن العلقمي ثم رجع وأشار على الخليفة بالمثول بين يديه لتقع المصالحة، فخرج الخليفة مع سبعمائة راكب من أعيان الدولة وأكابر البلد فسلم نفسه وعاصمته بلا قيد أو شرط بعد أن وعده هولاكو بالأمان — وأنَّى لكافر أمان — فغدر بهم.

وأشار ابن العلقمي والنصير الطوسي وغيرهم من المنافقين على هولاكو بقتل الخليفة: "فقتلوه رفساً ... وقيل: بل خنق، ويقال بل أغرق"(١).

ثم مالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار، إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة، ولم ينج منهم سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار جاسوسهم ابن العلقمي الرافضي(٢).

كما خربوا المساجد، وأتلفوا المكتبات، بإحراق الكتب، أو بإلقائها في نهر دجلة، ودخل كثير من الناس الآبار، وأماكن الحشوش، وقنى الوسخ، وكمنوا كذلك أياماً لايظهرون، وما زال السيف يقتل أهل بغداد أربعين يوماً، حتى قد قدر المؤرخون القتلى بمليون، وثمانمائة ألف! (٣)، وكان قصدهم إفناء النوع وإبادة العالم لا قصد الملك والمال(٤).

(٣٠/٧)، قال عنه ابن القيم في إغاثة اللهفان (٢٦٧/٢)، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية ١٣٩٥، دار المعرفة، بيروت: "نصير الشرك والكفر وزير الملاحدة وزير هلاكو ... قتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين والسحرة ...".

(١) البداية والنهاية (١٣/٢٣٤-٢٣٥).

(٢) البداية والنهاية (١٣/٢٣٥).

(٣) انظر: البداية والنهاية (١٣/٢٣٥)، العبر في خبر من غبر (٣/٢٧٨)، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد، الطبعة الأولى ١٤٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت؛ حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة (١/٥٧)، د. جميل عبد الله المصري، الطبعة الأولى، ١٤٠٧، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة.

(٤) انظر: تاريخ الخلفاء ص٤٠٣، للسيوطي، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، الطبعة الأولى ١٣٧١، مطبعة السعادة، مصر.

ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقنى والمقابر كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم، وقد أنكر بعضهم بعضاً، فلا يعرف الوالد ولده، ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى(١) فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وبعد الاستيلاء سنة ٦٥٦ صارت العراق تابعة إلى حكم المغول، ودام حكمهم إلى عام ٧٣٨(٢).

تلك هي حالة بغداد والعراق، وقد نتج من جراء ذلك السقوط، تعرض الوحدة السياسية للمسلمين لضربة قاسية.

٢- حملة التتار على الشام ومصر:

لم تسلم الشام ومصر من حملات التتار، فبعد أن سقطت بغداد نزل هولاكو على مدينة حلب وراسل متوليها على أن يسلمه البلد ويؤمنه ورعيته، فلم يجبه إلى طلبه وأبى إلا محاربته، فحاصرها التتار سبعة أيام وأخذوها بالسيف، وقتلوا خلقاً كثيراً وأسروا النساء والذرية ونهبوا الأموال مدة خمسة أيام، وامتنعت قلعة حلب، فنازلها هولاكو حتى أخذها في عاشر صفر سنة ٦٥٨(٣)، ثم توجهوا إلى دمشق ووجدوا المدافعين قد هجروها فأخذوا المدينة دون قتال، ثم استمر الجيش المغولي في زحفه نحو مصر ومعه بعض الصليبين، وكانت مصر تحت قيادة السلطان المظفر سيف الدين قطز(٤)، فخرج للقاء التتار بعدما سمع بمسيرهم إلى مصر، ووصولهم إلى غزة فالتقى معهم وهزمهم هزيمة منكرة في معركة عين جالوت، في رمضان، سنة ٦٥٨(٥).

---

(١) البداية والنهاية (١٣/٢٣٦).

(٢) انظر: تاريخ العراق بين احتلالين (١/٥٤٦)، لعباس العزاوي، مطبعة بغداد، ١٣٥٣.

(٣) السلوك لمعرفة دول الملوك (١/٥١١)، للمقريزي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) المظفر سيف الدين قطز، من مماليك الأتراك، القائد الشجاع، أعز الله به الإسلام في كسر التتار، قتله الظاهر بيبرس! سنة ٦٥٨. انظر: الأعلام (٥/٢٠١-٢٠٢)، سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٠٠- ٢٠١)، شذرات الذهب (٧/٥٠٧-٥٠٨)، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط و محمود الأرناؤوط، الطبعة الأولى ١٤١٢، دار ابن كثير، دمشق — بيروت.

(٥) انظر: البداية والنهاية (١٣/٢٥٥-٢٥٦)، شذرات الذهب (٥/٢٩١).

وفي ذلك الوقت أضحت القاهرة أهم المدن الإسلامية؛ باعتبارها عاصمة أقوى دولة في ذلك العصر؛ فوجد الهاربون إليها من أهل العراق والشام ملاذاً آمناً من خطر المغول.

واستمرت الحروب بين المسلمين والتتار طيلة تلك الفترة، ومنها معركة شقحب سنة ٧٠٢[١] التي شارك فيها شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمة الله عليه، ومجموعة من العلماء.

٣- الحروب الصليبية:

شهد العالم الإسلامي، قبل هذه المدة حروباً عظيمة، ومحاولات لإزالة الدين الإسلامي، وعلى رأس ذلك ماعرف بالحملات الصليبية، التي استمرت من سنة (٤٩٠) إلى سنة (٦٩٠)[٢]، وهي وإن كانت قد انقضت قبل ولادة السرمري رحمه الله إلا أنها تركت أثراً في نفوس المسلمين في عصر السرمري رحمه الله.

آثار هذه الحملات على العالم الإسلامي:

هذه الحروب والحملات على العالم الإسلامي والتي راح ضحيتها الكثير والكثير من الأرواح والأموال، والتي دمرت فيها المدارس والمعاهد ودور العلم، وأحرقت فيها المكتبات، كان لها أثر إيجابي، رغم ذلك كله، فقد كان من آثارها، أن وجدت في المسلمين روح التحدي، والحماس لدينهم، ومقدساتهم، فأيقظت فيهم الإيمان، والجهاد والتضحية مما جعلهم يردون هذه الحملات على أعقابها، بعد سنوات قليلة، كما علمتهم الكثير من فنون الحرب والقتال[٣].

٤- النزاعات الداخلية:

يدلنا على هذا كثرة السلاطين الذين تولوا زمام الأمور، والمدة الوجيزة التي يقضيها الواحد منهم حاكماً.

---

(١) البداية والنهاية (١٤/٢٩-٣٠).

(٢) البداية والنهاية (١٣/٣٧٦).

(٣) مقدمة تحقيق "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" (١/٣٥)، د. علي الدخيل الله، الطبعة الثالثة ١٤١٨، دار العاصمة، الرياض.

ففي سنة ٦٩٣ تولى السلطان الناصر محمد بن قلاوون[١].

وفي سنة ٦٩٤ اغتصب السلطان العادل كتبغا المنصوري السلطنة[٢].

وفي سنة ٦٩٦ تولى السلطنة حسام الدين لاجين بعد أن عزل السلطان "كتبغا"[٣].

وفي سنة ٦٩٨ عاد السلطان الناصر محمد إلى السلطة، وحكم إلى سنة ٧٠٨، حتى فسد مابينه وبين "بيبرس"، فرحل الناصر من القاهرة معلناً بأنه يرحل للحج، ولكنه عندما وصل إلى الكرك، خلع نفسه[٤].

وفي سنة ٧٠٨ اختار الأمراء بيبرس الجاشنكير سلطاناً[٥]، بعد تنازل السلطان الناصر محمد.

وبعد أقل من عام، عاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى سلطنته العودة الثانية، ولما دخل القاهرة وصعد إلى القلعة، بايعه الخليفة المستكفي بالله، والقضاة الأربعة، وسائر الأمراء، ثم قبض على الملك السابق وأعدمه، وقد امتاز عهده بطول المدة الزمنية، إذ تولى من سنة ٧٠٩ حتى سنة ٧٤١[٦].

وبعد وفاة الناصر سنة ٧٤١ بويع بالسلطنة المنصور سيف الدين أبو بكر وهو ابن الناصر محمد بن قلاوون[٧].

وفي سنة ٧٤٢ تولى السلطنة الأشرف علاء الدين كجك بعد خلع أخيه[٨].

---

(١) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (١/القسم الأول/٣١)، محمد رزق سليم، الطبعة الثانية ١٣٨١، مكتبة الآداب.

(٢) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (١/القسم الأول/٣١).

(٣) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (١/القسم الأول/٣٢).

(٤) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (١/القسم الأول/٣٢-٣٣).

(٥) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (١/القسم الأول/٣٣).

(٦) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (١/القسم الأول/٣٤).

(٧) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (١/القسم الأول/٣٥).

(٨) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (١/القسم الأول/٣٥).

وفي سنة ٧٤٢ تولى السلطنة شهاب الدين أحمد وهو أكبر أبناء الناصر بن قلاوون بعد خلع أخيه [١].

وفي سنة ٧٤٣ تولى السلطنة الصالح علاء الدين إسماعيل بعد عزل أخيه [٢].

وفي سنة ٧٤٦ تولى السلطنة الكامل شعبان بن الناصر محمد بعد موت شقيقه بعهد منه[٣].

وفي سنة ٧٤٧ جلس على سرير الملك المظفر حاجي بن الناصر محمد بعد خلع أخيه، وكانت سنه دون العشرين [٤].

وفي سنة ٤٨٤ تولى السلطنة الناصر أبو المحاسن حسن بن الناصر محمد، بعد أن مات أخوه في السجن مخنوقاً، وكان عمره حينئذ ثلاث عشرة سنة، فعاونه بعض الأمراء في تدبير ملكه[٥].

وفي سنة ٧٥٢ بويع بالسلطنة الصالح صلاح الدين بن الناصر محمد بعد خلع أخيه حسن[٦].

وفي عام ٧٥٥ عاد الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون بعد خلع أخيه الصالح [٧].

وفي سنة ٧٦٢ بويع بالسلطنة المنصور محمد بن المظفر حاجي وهو حفيد الناصر بن قلاوون، بعد مقتل عمه الناصر حسن[٨].

---

(١) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (١/القسم الأول/٣٥).

(٢) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (١/القسم الأول/٣٦).

(٣) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (١/القسم الأول/٣٦).

(٤) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (١/القسم الأول/٣٦).

(٥) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (١/القسم الأول/ ٣٦-٣٧).

(٦) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (١/القسم الأول/٣٧).

(٧) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (١/القسم الأول/٣٨).

(٨) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (١/القسم الأول/٣٨).

وفي سنة ٧٦٤ ولي الملك الأشرف شعبان بن حسين، وكانت سنه العاشرة، وقد حكم نحو أربع عشرة سنة، حتى خنق سنة ٧٧٨[١].

علاقة هذه الأحداث في حياة السرمري:

لقد عاش السرمري رحمه الله بدمشق في فترة تولي أولاد وأحفاد الناصر محمد، وهي الفترة التي كان الصراع على السلطة فيها على أشده، وعاش قبل ذلك في العراق مايقارب الاثنين والأربعين سنة تحت حكم التتر، وقد لخص ما تقدم من الحالة السياسية في عصره فقال: "وقد جاء الحديث عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «لم تظهر الفاحشة في قوم إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولانقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم فأخذ بعض ما في أيديهم، وإذا لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتفكروا فيما أنزل الله إلا جعل الله عز وجل بأسهم بينهم» رواه ابن ماجه في سننه[٢] -ثم علق على الحديث بقوله: - وهذه الأمور قد ظهرت عقوباتها -كما ترى- قد وقعت، وإنا لله وإنا إليه راجعون"[٣] وفي هذا إشارة لما كان في عصره من جور السلطان وتسلط العدو والنزاعات الداخلية؛ ويُعدُّ نبوغه وسط هذه الظروف السيئة دليلاً قوياً على عبقرية هذا العالم الذي كان نجماً يتلألأ في سماء ذلك الظلام الحالك في ذلك الزمان، الذي هو من أشد القرون فتنة واضطراباً، فلا يمر عامٌ إلاَّ وقد تكرر فيه وقوع أحداثٌ مؤلمةٌ.

---

(١) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (١/القسم الأول/٣٩-٤٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣/٤٢٥-٤٢٦) بنحوه في كتاب الفتن، باب العقوبات، ح ٤٠١٩؛ قال الألباني: "حسن". انظر : صحيح سنن ابن ماجه (٣/٣١٦) ح٤٠٩١، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤١٧، مكتبة المعارف، الرياض .

(٣) كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون ص٣٧، ليوسف السرمري، تحقيق: شوكت بن رفقي شوكت، الطبعة الأولى ١٤٢٤، دار الأثرية بعَمان، دار المحبة بدمشق.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية:

من بداهة الأمور أن تتأثر الحياة الاجتماعية بالحياة السياسية التي تحيط بها؛ فاستقرار الأحوال الاجتماعية مرهون باستقرار الأحوال السياسية، ويكون هناك مد وجزر، كما يكون في الأخرى.

وقد تمثلت أهم ملامح الحالة الاجتماعية فيما يلي:

١- أدت الفتن والمنازعات الداخلية بين طوائف المماليك، إلى خلق فوضى اجتماعية، إذ كان مجرد إشاعة موت أحد السلاطين، يسبب فزعاً شديداً للناس فتغلق الأسواق والحوانيت، وتبدو المدينة وكأن سكانها من الموتى[١].

٢- كثر الغش واحتكار الأقوات، والتطفيف في الكيل والميزان، فاشتد الغلاء، وانتشرت الفاقة وعم البؤس، فألف العلماء بسبب ذلك المؤلفات ليشاركوا في حل هذه المشكلة حلاً إسلامياً، ودعوا إلى النظر في مصالح العامة وفرض التسعيرات الجبرية عند اشتداد الغلاء، والضرب على أيدي المطففين والمحتكرين[٢].

٣- حدثت في هذا العصر عدة مجاعات وأوبئة كان سببها في غالب الأحوال راجعاً إلى قصور فيضان نهر النيل[٣]، وكان أشدها ماحدث بين سنتي ٦٩٤-٦٩٥ فقد وصل الأمر بالناس إلى أكل الحمر والخيل والبغال والكلاب، ولم يبق شئ من هذه الحيوانات يلوح إلا أكلوه[٤]، وماحدث سنة ٧٤٩ من ذلك الوباء المروع الذي اجتاح الأرض من أقصاها إلى أقصاها، وقد تراوحت أعداد ضحاياه ما بين عشرة آلاف وعشرين ألف نسمة يومياً[٥].

---

(١) انظر: عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي ص٣٤٥، د. قاسم عبده قاسم، الطبعة الأولى ١٩٨٨، الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

(٢) انظر: مقدمة تحقيق "الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية" (١/٢٩)، لسالم محمد القرني، الطبعة الأولى ١٤١٩، مكتبة العبيكان، الرياض.

(٣) انظر: عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي ص٣٤٧-٣٤٨.

(٤) انظر: البداية والنهاية (١٣/٤٠٥).

(٥) انظر: عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي ص٣٤٩.

٤- شهدت هذه المدة نزاعاً مذهبياً عقدياً حاداً، حيث كان في بعض ملوك التتار ميل إلى عقيدة الرافضة، ففي سنة ٧٠٧ أظهر خدابنده[١] شعار الشيعة، وحذف ذكر الشيخين من الخطبة ونقش أسماء الأئمة الاثني عشر[٢].

وفي المقابل كان سلاطين دولة المماليك وأمرائهم يشجعون المذهب السني قولاً وعملاً ويحاربون المذهب الشيعي الباطني والعقائد الإسماعيلية التي خلفتها الدولة الفاطمية.

كما انتشر أصحاب وحدة الوجود، يدل على ذلك ما كتبه أئمة ذلك العصر، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيهم: "ولولا أن أصحاب هذا القول كثروا وظهروا وانتشروا ... لم يكن بنا حاجة إلى بيان فساد هذه الأقوال وإيضاح هذا الضلال"[٣].

٥- تفشت كثير من المنكرات والمعاصي بشكلٍ علني، كانتشار البغاء، والرشوة، والمخدرات وعرف الحشيش، كما انتشرت الأغاني، وآلات اللهو والطرب، وانتشرت الحيل في الأعمال، فظهر المحلل والمحلل له بشكل معلن، وقد أشار السرمري إلى ذلك بقوله: "وقد جاء الحديث عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «لم تظهر الفاحشة في قوم إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولانقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم فأخذ بعض ما في أيديهم، وإذا لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتفكروا فيما أنزل الله إلا جعل الله عز وجل بأسهم بينهم» رواه ابن ماجه في سننه[٤] -ثم علق على الحديث بقوله:- وهذه الأمور قد

---

(١) هو محمد بن أرغون بن أبغا بن هولاكو، خدابندا معناه بالعربي: عبدالله، وإنما الناس غيروه فقالوا: خربندا، ملك العراق وأذربيجان وخراسان بعد أخيه غازان، أظهر الرفض في بلاده سنة ٧٠٩ بعد أن كان على السنة، توفي سنة ٧١٦. انظر: الوافي بالوفيات (٢/١٢٩-١٣٠)، لصلاح الدين الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ١٤٢٠، دار إحياء التراث، بيروت؛ العبر في خبر من غبر (٤/٤٤)؛ البداية والنهاية (١٤/٦٣).

(٢) انظر: تاريخ العراق بين احتلالين (١/٤٠٧)، عباس العزاوي.

(٣) مجموع الفتاوى ٢/٣٥٧، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، ١٤١٦، مجمع الملك فهد، المدينة.

(٤) تقدم تخريجه، انظر: ص٢٢.

ظهرت عقوباتها -كما ترى- قد وقعت، وإنا لله وإنا إليه راجعون"[١] وفي هذا إشارة لما كان في عصره من الفواحش ونقص المكيال والميزان ومنع الزكاة ونقض العهود وغير ذلك؛ ولكن ذلك لم يدم طويلاً بسبب جهود العلماء والدعاة والمصلحين[٢].

٦- لقد مكن التتار – إبّان غزوهم البلاد الإسلامية –كثيراً من اليهود والنصارى، حتى تسلطوا على رقاب المسلمين، ولاسيما في الشام، فسارت مواكبهم تحمل الصلبان، وأُلزم المسلمون بالقيام لها واحترامها، ومن امتنع تعرض للسب والإهانة [٣]؛ وقد تمتع اليهود والنصارى في بداية عهد المماليك ببسطة العيش، فقد تولى كثير منهم مناصب الوزارة والمناصب الديوانية، وكان منهم كبار التجار والصيارفة والأطباء والصيادلة، وكانوا يلبسون أفخر الثياب.

ولم يدم ذلك، فقد مُنعوا من الركوب على الخيول والبغال ونحوها، تمييزاً لهم عن المسلمين: "ونودي بدمشق في يوم عرفة أن لا يركب أحدٌ من أهل الذمّة خيلاً ولا بغالاً، ومن رأى من المسلمين أحداً من أهل الذمّة قد خالف ذلك فله سلبُه! "[٤]، وفي جمادى الأولى عام ٧٠٠هـ "... في يوم الإثنين قُرئت شروط الذمّة على أهل الذمّة وألزم بها، واتفقت الكلمة على عزلهم عن الجهات، وأخذوا بالصغار، ونودي بذلك في البلد وأُلزم النصارى بالعمائم الزرق، واليهود بالصفر، والسامرة بالحمر، فحصل بذلك خيرٌ كثير، وتميزوا عن المسلمين" [٥].

---

(١) كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون ص٣٧.

(٢) مقدمة تحقيق "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" (١/٤٠-٤١)، د. علي الدخيل الله.

(٣) انظر: حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة (١/٥٨).

(٤) انظر: البداية والنهاية (١٣/٤٠١).

(٥) انظر: البداية والنهاية (١٤/١٩).

المطلب الثالث: الحالة الثقافية والعلمية:

مما سبق في عرض الحالة السياسية، تبين مدى الاضطراب والتزعزع في كيان الأمة، وهذا العصر رغم مافيه من زوابع وغوائل إلا أن الحالة الثقافية والعلمية في القطر العراقي لم تتأثر كبيراً، أما في مصر والشام فقد وجدت نهضة علمية مباركة متميزة.

فالعراق – وهو الذي ولد وعاش فيه السرمري حياته الأولى – بعد أن فقد استقلاله، وزال عنه الطابع الإسلامي ولو صورة، وبعد أن صار نهباً بيد الغزاة، لم يبق ما يعول عليه، أو يركن إلى قوته سوى الأوقاف الإسلامية؛ وهذه كانت في عهدها العباسي مكينة، وتسابق الخلفاء ورجال الدولة إلى أعمال البر لتقوية الثقافة وتنميتها.

ولما لم يتعرض المحتل للمؤسسات الدينية – أيام احتلاله – كان من نتائج ذلك الاحتفاظ بالمعارف والعلوم ومن أوضح ظواهرها المدارس الكبرى مثل المستنصرية والنظامية والبشيرية، والرباطات ومشيخاتها، فصارت خير واسطة للم الشعث واستبقاء الحضارة، مما دعا أن ينبغ كثيرون ذاعت شهرتهم وطبقت الآفاق.

والعراق لم يقف عند مؤسساته القديمة أو بقاياها وإنما أسس معاهد جديد مثل المدرسة العصمتية إلا أنها قليلة ولا تقاس بما بقي إلى مابعد الاحتلال من المؤسسات العباسية.

والمدارس كانت إدارتها مودعة إلى رجالات العراق وغالب أيامها إلى قاضي القضاة أو إلى صدر الوقوف ينظر فيها وفي المعاهد الخيرية والدينية، ولم يستول على أوقافها غيرهم إلا في مدة يسيرة، وفي هذه أيضاً لم يهمل شأنها، غير أن المحتلين بسبب أنهم لم يكونوا مسلمين فقد راعوا مايوافق رغبتهم من العلوم والثقافات كالعلوم الفلكية والرياضية والطب، ومن الفنون الموسيقى والرسم وأمثال ذلك، إضافة إلى أن كثيراً من علماء العراق قد هاجروا أيام الواقعة وبعدها هرباً من المغول[1]، ووجدوا في مصر والشام ملاذاً لهم، ينهلون من معارفهما وتحيطهم رعاية الأمراء واهتمامهم.

---

(١) انظر: تاريخ العراق بين احتلالين (١/٥٤٣-٥٤٥)، لعباس العزاوي.

أما دمشق —وهي التي قضى فيها السرمري الثلاثون سنة الأخيرة من عمره — فقد كانت كالقاهرة وريثة لبغداد في رعاية العلم والعلماء[1]، ووجدت فيهما نهضة علمية مباركة متميزة، وأصبحت مصر والشام من ذلك الحين مركزاً للعلوم الإسلامية والعربية.

وهناك عوامل متعددة طرأت كان لها الأثر الواضح في هذه النهضة العلمية من أبرزها:

١- وقوع كثير من البلاد الإسلامية في يد المغول:

بعد أن طغى سيل التتار الجارف من أواسط آسيا إلى شمالها مكتسحاً ما أمامه، كان لابد للمسلمين من أن تلتف قلوبهم حول المدافعين عنهم من سلاطين المماليك، وأن يشدوا أزرهم ويدعموا ملكهم، ومن أهم وسائل تدعيم الملك إحياء العلوم والمعارف، فجهد في ذلك علماء المسلمين، وأتوا بما يعد فريداً في بابه، عجيباً في صنعه[2].

٢- قتل العلماء وإتلاف الكتب العلمية:

نتيجة لما أصاب الأمة في أعز ما تملك وهو تراثها الفكري وذلك في حروبها مع أعدائها الذين خربوا المدارس والمساجد وأحرقوا الكتب والمعاهد ودور العلم، فقد شحذ العلماء والحكام هممهم لتعويض هذا الذي فات بكرة التأليف والتصنيف، وهكذا بدأ عصر الموسوعات والمتون العلمية والشروح على المتون، وهي السمات البارزة في النتاج الثقافي والعلمي خلال القرن الثامن الهجري[3].

٣- وفود العلماء والأدباء:

ولاشك أن مما عاون على هذه النهضة العلمية في مصر والشام، كثرة من أمّهما من بني الأقطار الإسلامية الأخرى، سواء أكانوا فارين من وجه الطغيان والظلم، أم كانوا طامعين في كرم وحسن إفادتها[4].

---

(١) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (١/ القسم الثاني /٩) (بتصرف).

(٢) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (٢/القسم الأول/١٧).

(٣) سمات العطاء الأدبي والفكري في القرن الثامن الهجري، للأستاذ هلال ناجي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني – العدد ٦٣.

(٤) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (٢/القسم الأول/١٨-١٩).

٤- غيرة السلاطين والأمراء:

أبدى السلاطين والأمراء غيرة دينية بارزة، وقد تجلت فيهم في كفاحهم للتتار، ومحاربتهم للفرنجة، وفيما أفاضوا من معونة وما بذلوا من رعاية للبيت الحرام وسكان الحجاز، ولغيرهم من أهل البلاد الإسلامية القريبة والبعيدة.

هذه الغيرة من دأبها أن توقظ أمثالها في نفوس العلماء، وتحفز أهل الدين إلى حياطته ورعايته، ونشر رايته، وأداهم إلى ذلك: التعليم والتأليف ومواصلة البحث والاطلاع[1].

٥- تعظيم المماليك لأهل العلم:

قد أقام سلاطين المماليك وأمرائهم وزناً كبيراً لعلماء الدين وبجلوهم وقدموهم في مسائل كثيرة، ولا ريب أن تعظيم السلاطين والأمراء لهم، له الأثر المباشر في نفوسهم على أن يظلوا مجاهدين في سبيل الدين، حريصين على الشريعة، مستزيدين من العلم والفضل، باثين هذه الروح في طلابهم وناشئتهم[2].

٦- انتشار المدارس و دور التعليم:

لاشك أن انتشار المدارس ودور التعليم، يعتبر سبباً أساسياً وحيوياً لتنشيط الحركة العلمية، وقد عمرت دمشق وبلاد الشام بكثير من المدارس ودور التعليم، فقد تنافس السلاطين وغيرهم على بناء المدارس وأجروا عليها الأوقاف، مما كان سبباً لاستمرارها في أداء رسالتها، فأقبل عليها الواردون من كل حدب وصوب ينهلون من معين المعرفة وأنواع العلوم.

وسأذكر بعضاً من هذه المدارس على سبيل الإجمال:

١- المدرسة الأتابكية، أنشأتها زوجة الملك الأشرف موسى، وقد توفيت سنة ٧٤٠ [3].

٢- المدرسة الأسدية، وقد بناها شيركوه بن شادي بن مروان الملقب أسد الدين سنة

---

(١) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (٢/القسم الأول/٢٠-٢١).

(٢) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (٢/القسم الأول/٢٢-٢٥).

(٣) انظر: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ص٧٧، لعبدالقادر بدران، تحقيق: زهير الشاويش، ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي، بيروت.

٥٦٤[1].

٣- المدرسة البدرية، وقد بناها الأمير بدر الدين حسن بن الداية في سنة ٦٣٨[2].

٤- المدرسة الجوزية: أنشأها الإمام يوسف بن عبدالرحمن ابن الجوزي، قتل مع الخليفة عند سقوط بغداد سنة ٦٥٦ بمكيدة ابن العلقمي الوزير الرافضي، وقد فرغ من بنائها سنة ٦٥٢[3].

٥- المدرسة الصاحبة، أنشأتها ربيعة خاتون الصاحبة أخت صلاح الدين والعادل، وقد توفيت سنة ٦٤٣[4].

٦- المدرسة الصدرية: أنشأها أسعد بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي صدر الدين الدمشقي، المتوفى سنة ٦٥٧، وهي مدرسة للحنابلة[5].

٧- المدرسة الصلاحية، أنشأها صلاح الدين الأيوبي عام ٥٧٢[6].

٨- المدرسة الصمصامية، وهي مدرسة المالكية[7].

٩- المدرسة الضيائية المحمدية، وقد بناها الفقيه ضياء الدين محمد بن عبدالواحد المقدسي الحنبلي، المتوفى سنة ٦٤٣[8].

وقد كتب عبدالقادر بن محمد النعيمي الدمشقي، المتوفي سنة ٩٢٧، كتابه "الدارس في تاريخ المدارس"، وعبدالقادر بدران، المتوفى سنة ١٣٤٦، كتابه "منادمة الأطلال ومسامرة الخيال"، في مدارس دمشق، ولولا كثرتها وتنوعها لما كانت محط أنظار المؤرخين والمؤلفين.

---

(١) انظر: منادمة الأطلال ص٧٩.

(٢) انظر: منادمة الأطلال ص١٥٣، الدارس في تاريخ المدارس (٣٦٥/١)، لعبدالقادر بن محمد النعيمي الدمشقي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى ١٤١٠، دار الكتب العلمية.

(٣) انظر: منادمة الأطلال ص٢٢٧-٢٢٨.

(٤) انظر: منادمة الأطلال ص٢٣٧-٢٣٨.

(٥) انظر: الدارس في تاريخ المدارس (٦٧/٢-٦٨).

(٦) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (٢/القسم الأول/٣٧).

(٧) انظر: الدارس في تاريخ المدارس(٦/٢).

(٨) انظر: الدارس في تاريخ المدارس (٧١/٢).

المبحث الثاني
حياته الشخصية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه.

المطلب الثاني: مولده وموطنه.

المطلب الثالث: أسرته.

المطلب الرابع: وفاته.

المطلب الأول: اسمه ونسبه:

هو أبو المظفر[1]، يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد بن علي[2] بن إبراهيم العُبَادي [3] "السُّرَّمَرِّي مولداً ومنشأً، البغدادي داراً، الدمشقي مهاجراً، العُقَيلي محتداً[4] "[5]، الحنبلي.

عُرف بجمال الدين[6] السُّرَّمَرِّي[7].

والسُّرَّمَرِّي نسبة إلى (سُرَّ من رأى) المدينة التي كانت اسمها قديماً (ساميرا) سميت بسامير ابن نوح، ولما اتخذها المعتصم عاصمة له، بعد أن شيد فيها مدينة كبيرة (سنة ٢٢١) سمّاها (سُرَّ من رأى)، وقد خففها الناس فقالوا سامرّاء، وتقع بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة[8]، وعلى بعد حوالي ١٠٠ كم شمال بغداد.

---

(١) في هدية العارفين (٢/٥٨٥)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، استانبول، سنة ١٩٥٥: "أبو مظفر" بدل (أبو المظفر) وهذا خلاف ما اتفق عليه في جميع المصادر ونساخ كتب السرمري.

(٢) في رفع النقاب ص٣٢٩، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، الطبعة الأولى ١٤١٨، دار الفكر، بيروت: "يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد بن محمد بن علي" والصواب ماهنا نقلاً عن السرمري نفسه.

(٣) ضبطت بضم العين : بخط السرمري نفسه على (مخطوط) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد (ل٨/ب)، وضبطت أيضاً في: تاريخ ابن قاضي شهبة (٣/٤٧٦)، تحقيق عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٩٤م؛ والدرر الكامنة (٦/٢٤٧)، تحقيق محمد عبدالمعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢، الهند؛ وكتب فوقها ابن ناصر الدين في التبيان لبديعة البيان (٢/٣١٩)، تحقيق حسين بن عكاشة، الطبعة الأولى ١٤٢٩، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر: "خف": يعني أنها غير مشددة.

(٤) المحتد: الأصل، يقال: إنه لكريم المحتِد. المعجم الوسيط (حتد) ص١٥٤، الطبعة الرابعة ١٤٢٥، مكتبة الشروق الدولية، مصر.

(٥) نقلته عن خط السرمري نفسه على ثبت الندرومي. انظر صورته في الأعلام للزركلي (٨/٢١٥).

(٦) اتفق على هذا اللقب في جميع المصادر، وجاء في بغية الوعاة (٢/٣٦٠)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت؛ ووجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام (١/٢١٠)، تحقيق بشار عواد و عصام الحرستاني و أحمد الخطيمي، الطبعة الأولى ١٤١٦، مؤسسة الرسالة: "الجمال" — بدون إضافة — ولعله اختصار.

(٧) في البدر الطالع (١/٥٠)، الطبعة الأولى ١٤١٨، دار الكتب العلمية، بيروت: "السرمدي"؛ وفي كشف الظنون (١/٧٥٨)، تحقيق محمد شرف الدين يالتقيا و رفعت بيلكه الكليسي دار إحياء التراث العربي، بيروت: "الترمذي"، وهما تصحيف.

(٨) انظر: معجم البلدان (٣/١٧٣-١٧٨)، لياقوت الحموي، الطبعة الثانية ١٩٥٥م، دار الصادر، بيروت؛ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (٣/٧٣٤)، تحقيق: مصطفى السقا، الطبعة الثالثة ١٤٠٣، عالم الكتب، بيروت؛

المطلب الثاني: مولده وموطنه:

ولد "بسر من رأى"[1] في يوم الثلاثاء[2] سابع عِشْرِي رجب من سنة ست وتسعين وستمائة[3]، كما حكى هو عن نفسه فقال: "مولدي في سابع عشري رجب المعظم من سنة ست وتسعين وستمائة"[4].

موطنه: عاش الإمام جمال الدين السرمري حياته متنقلاً بين "سر من رأى" وبغداد ودمشق، فموطنه الأصلي الأول هو: "سر من رأى"، وفيها نشأ، ثم انتقل إلى بغداد سنة ٧٢٩[5] وعمره آنذاك في حدود الثلاثة والثلاثين سنة، وابتنى بها داراً[6]، ثم رحل إلى دمشق سنة ٧٤٦[7] أسوةً بالعلماء الذين توافدوا عليها من مختلف بلدان العالم الإسلامي، فلقد كانت دمشق كالقاهرة وريثة لبغداد في رعاية العلم والعلماء خاصة بعدما حل ببغداد من تدمير على أيدي التتار وسقوط الخلافة العباسية.

المطلب الثالث: أسرته:

لقد كانت أسرة جمال الدين السرمري أسرة علم ودين

الأنساب للسمعاني (٧/١٤-١٥)، تحقيق: محمد عوامة، الطبعة الأولى ١٣٩٦، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

(١) جاء في تاريخ الأدب العربي (٧/٢٠)، أشرف على الترجمة: محمود فهمي جازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٥٥: "ولد في بغداد" وهذا خلاف ماحكى السرمري عن نفسه.

(٢) نقلاً عن ترجمة جيدة كُتبت على طرة النسخة الخطية لكتابه: إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة. انظر صورتها في المطبوع ص٦٥، تحقيق: أبي عبدالله حسين بن عكاشة رمضان، الطبعة الأولى ١٤٢٧، دار الكيان، الرياض.

(٣) جاء في فهرس الفهارس (٢/٩٢٦)، بإعتناء: إحسان عباس، الطبعة الثانية ١٩٨٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت: "٢٧ رجب عام ٦٩٤" وهذا خلاف ماحكى السرمري عن نفسه.

(٤) الأعلام للزركلي (٨/٢١٥) نقلاً عن نموذج خطه على ثبت الندرومي.

(٥) إنباء الغمر (١/١٥٠)، تحقيق: د. محمد عبدالمعيد خان، الطبعة الثانية ١٤٠٦، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٦) انظر: الأعلام للزركلي (٨/٢١٥) نقلاً عن نموذج خطه على ثبت الندرومي.

(٧) انظر: تاريخ ابن قاضي شهبة (٣/٤٧٦)، إنباء الغمر(١/١٥٠)، إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة ص٦٥ نقلاً عن ترجمة كُتبت على طرة النسخة الخطية.

أما والده فهو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن مسعود بن محمد السرمري، ذكر العليمي وابن عماد والزركلي في ترجمة جمال الدين: "ونظم الغريب في علوم الحديث لأبيه نحو ألف بيت"[1].

قال الدكتور الطريقي في هامش معجم مصنفات الحنابلة: "نسبة كتاب (علوم الحديث) لوالد المترجم دليل على أنه من أهل العلم، ولم أقف له على ترجمه مستقلة "[2] وكذلك قال بنحو هذه العبارة الدكتور عبدالرحمن العثيمين في هامش (الدر المنضد)[3].

وعلق الأخ حسين بن عكاشة محقق كتاب إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة فقال: "أخشى أن يكون وقع في اسم الكتاب تحريف وأن يكون الصواب (نظم التقريب في علوم الحديث لامية)، كما سبق عن الذهبي والله أعلم"[4].

والأمر مشكل والترجيح صعب إذ إن التصحيف محتمل في الجميع، ففي الترجمة التي كُتبت على طرة النسخة الخطية لكتاب إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة[5] ذُكِر أن الذهبي في "المعجم المختص"[6] قال: "ونظم (التقريب) في علوم الحديث (لامية) نحو ألف بيت"، وذكر ابن قاضي شهبة في تاريخه[7] أن الذهبي في "المعجم المختص" قال: "ونظم (الغريب) في علوم الحديث (لامية) نحو ألف بيت"، والعليمي وابن عماد والزركلي قالوا في ترجمة جمال الدين: "ونظم (الغريب) في علوم الحديث (لأبيه) نحو ألف بيت"[8]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) انظر: "المنهج الأحمد"(١٤٤/٥)، تحقيق حسن إسماعيل مروة و عبدالقادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، دار الصادر، بيروت؛ "شذرات الذهب"(٤٢٩/٨)، "الأعلام"(٢٥١/٨).

(٢) انظر هامش "معجم مصنفات الحنابلة"(١٨٣/٤)، الطبعة الأولى ١٤٢٢.

(٣) الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق: عبدالرحمن العثيمين، الطبعة الأولى ١٤١٢، مكتبة الناشر، السعودية.

(٤) انظر: مقدمة كتاب "إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة" ص٤٦.

(٥) انظر صورتها في المطبوع ص٦٥ تحقيق أبي عبدالله حسين بن عكاشة رمضان.

(٦) لم أقف على ترجمته في (المعجم المختص) المطبوع.

(٧) "تاريخ ابن قاضي شهبة"(٤٧٦/٣).

(٨) انظر: "المنهج الأحمد"(١٤٤/٥)، الدر المنضد (٥٥٥/٢)، "شذرات الذهب"(٤٢٩/٨)، "الأعلام"(٢٥١/٨).

وقد ذُكِر والد السرمري في طبقة سماع شرح القلادة السمطية للإمام الصّغاني[1].

وأما زوجه فهي تركان بنت خليل الشريفي سمعت بإفادة زوجها كثيراً من صالح بن الكسار البغدادي وغيره وحدثت[2].

وأما أولاده الذين وقفت عليهم فأربعة، وهم: محمد وكان فقيهاً، وإبراهيم وكان محدثاً، ولد في حدود الخمسين وسبعمائة، وأُسمع على ابن الخبّاز وبشر بن إبراهيم البعلي، سمع منه الفضلاء، وأجاز لابن حجر، وتوفي رحمه الله سنة ٨٠٣ [3]، قال ابن ناصر الدين الدمشقي[4] في ترجمة السرمري: حدثنا عنه ابنه إبراهيم.

ومن أولاده أيضاً فاطمة، وأسماء؛ وقد ذكرهم في طلبه الإجازة من الصّلاح الصّفدي[5] وفيها:

هل أنتم تتصدقون ليوسف الـ	ـسُّرَّمَرِّي وهو العقيلي المحتد
ولِعُرْسِهِ أمَة العزيزِ ووُلْدِه	منها الأُلَى شرُفوا بِمَذهب أحمد
البَرِّ إبراهيم يتبع فاطماً	وكذلك أسْما والفقيه محمد
وكذا ابن عمهم الشقيق تفضلاً	بإجازةِ المرْويِّ عند النُّقَّد[6]

تلك هي أسرة جمال الدين السرمري أسرة علم ومعرفة وإرشاد.

---

(١) نقله الدكتور عبدالرحمن العثيمين في مقدمة تحقيق: المقدمة اللؤلؤة في النحو عن نسخة مكتبة لاله لي رقم ١/١٨٩١. انظر: مقدمة تحقيق : المقدمة اللؤلؤة في النحو ص١٧١، الطبعة الأولى ١٤١٠، مكتبة الخانجي، القاهرة.

(٢) توضيح المشتبه (١٨٤/٥)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣) انظر: الضوء اللامع (١٨٢/١)، الطبعة الأولى ١٤١٢، دار الجيل، بيروت؛ السحب الوابلة (٧٨/١)، تحقيق: بكر أبو زيد و عبدالرحمن العثيمين، الطبعة الأولى ١٤١٦، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٤) التبيان (٣١٩/٢).

(٥) هو صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ولد سنة ٦٩٩، كان إماماً عالماً أديباً بليغاً، طلب العلم، وشارك في الفضائل، وقرأ الحديث، وجمع وصنف، أما عقيدته ومذهبه: فلقد كان شافعياً متعصباً، معظماً لأئمة الأشاعرة والصوفية، توفي سنة ٧٦٤. انظر: المعجم المختص بالمحدثين (ص٩١-٩٢ رقم١٠٧)، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، الطبعة الأولى ١٤٠٨، مكتبة الصديق، الطائف؛ الأعلام (٣١٥/٢)؛ موقف خليل بن أيبك الصفدي من شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية رحمة الله تعالى عليه (٥٠، ٧٤، ٧٧-٧٩)، محمد بن عبدالله أحمد، الطبعة الأولى ١٤٢٦، أضواء السلف، الرياض.

(٦) السحب الوابلة (١١٨٤/٣).

المطلب الرابع: وفاته:

توفي جمال الدين السرمري وقد جاوز الثمانين[1] بعد حياة حافلة بالتصنيف والتأليف والرواية والإفادة والإملاء في علوم شتى نظماً ونثراً، ومدافعاً عن العقيدة الصحيحة، ومنافحاً عن منهج السلف الصالح، حتى بلغت مصنفاته المائة وزادت، في بضعة وعشرين علماً[2].

وقد كانت وفاته رحمه الله في يوم السبت[3] واختلف في تعيين تأريخ اليوم من الشهر فقيل (الحادي والعشرين)[4] ولعله الصواب إذ ممن ذكره: ابن ناصر الدين الدمشقي وابن حجر وهما ممن لقي ابن السرمري "إبراهيم" وسمع منه، وقيل (العشرين)[5] وقيل (الحادي عشر)[6] من جمادى الأولى سنة ست وسبعين وسبعمائة[7]، وصلي عليه بالجامع الأموي[8]، ودفن بمقبرة الصوفية بظاهر دمشق جوار تربة الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمهما الله[9] رحمة واسعة.

---

(١) إنباء الغمر (١/١٥٠)، الدرر الكامنة (٦/٢٤٧)، وجيز الكلام (١/٢١٠).

(٢) انظر: تاريخ ابن قاضي شهبة (٣/٤٧٦)، الدرر الكامنة (٦/٢٤٧)، إنباء الغمر (١/١٥١)، وجيز الكلام (١/٢١٠)، المنهج الأحمد (٥/١٤٤)، شذرات الذهب (٨/٤٣٠)، معجم مصنفات الحنابلة (٤/١٧٥-١٧٦).

(٣) الرد الوافر ص٢٣٢، تحقيق: زهير الشاويش، الطبعة الرابعة ١٤٢٦، المكتب الإسلامي، بيروت و دمشق و عَمان؛ لحظ الألحاظ ص١٦١، دار إحياء التراث العربي؛ درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة (٣/٥٥٨)، تحقيق: د. محمود الجليلي، الطبعة الأولى ١٤٢٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

(٤) الرد الوافر ص٢٣٢، الدرر الكامنة (٦/٢٤٧)، لحظ الألحاظ ص١٦١، فهرس الفهارس (٢/٩٢٦).

(٥) نقلاً عن ترجمة كُتبت على طرة النسخة الخطية لكتابه : إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، انظر صورتها في المطبوع ص٦٥ ، تحقيق: أبي عبدالله حسين بن عكاشة رمضان.

(٦) بغية الوعاة (٢/٣٦٠)، السحب الوابلة (٣/١١٨٢)، درر العقود الفريدة (٣/٥٥٨).

(٧) في تاريخ الأدب العربي (٧/٢٠): "وتوفي سنة ١٣٣٥/٧٣٦" والصواب ماهنا نقلاً عن جميع من ترجم للسرمري، قال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي: "السُّرَّمَرِّيُّ يوسفُ القويمُ ذكيُّهم وَازنه عُلومُ ... إلى أن قال: وفي الذال والواو والعين الرمز المعمى إلى وفاة السرمري المسمى". انظر: التبيان (٢/٣١٩)؛ والذال والواو والعين لو عددناها حسب الجُمّل صارت ٧٧٦، فإن الذال في حساب الجُمّل = ٧٠٠، والواو =٦، والعين = ٧٠. انظر: أسرار الحروف وحساب الجُمّل ص٢٤، طارق القحطاني، رسالة ماجستير في قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى، ١٤٢٩-١٤٣٠.

(٨) نقلاً عن ترجمة كُتبت على طرة النسخة الخطية لكتابه: إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، انظر: صورتها في المطبوع ص٦٥ ، تحقيق: أبي عبدالله حسين بن عكاشة رمضان.

(٩) الرد الوافر ص٢٣٢.

المبحث الثالث
حياته العلمية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: نشأته وطلبه للعلم.

المطلب الثاني: مكانته وثناء العلماء عليه.

المطلب الثالث: شيوخه.

المطلب الرابع: تلاميذه.

المطلب الخامس: مؤلفاته.

المطلب الأول: نشأته وطلبه للعلم:

نشأ جمال الدين السرمري رحمه الله في سر من رأى، وحفظ القرآن في صباه، وتفقه على سراج الدين الحسين بن يوسف التستري وغيره [1]، وقد برز في شبابه حتى كتب إليه الصلاح الصفدي بقوله:

أيا فاضلاً في سر من را حوى العلا فكان له بدر الدياجي مسامرا[2]

ثم انتقل إلى بغداد سنة ٧٢٩[3] وعمره آنذاك في حدود الثلاثة والثلاثين سنة، وأخذ عن الأئمة والمسندين من شيوخ بغداد، منهم: محمود بن علي الدقوقي أبو الثناء، والصفي عبدالمؤمن بن عبدالحق وغيرهما من العلماء[4]، كما أجازه من متقدمي شيوخ بغداد ابن الخراط الدواليبي، قال السرمري: "ومن شيوخي العوالي بالإجازة المسند عفيف الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالمحسن بن أبي الحسن الواعظ البغدادي، والمسند شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحجار الصالحي وغيرهم"[5] وسمع الكتب الستة ومسند الإمام احمد والسنن الكبير للبيهقي وغير ذلك مما يطول ذكره[6]، ثم انتقل إلى دمشق سنة ست وأربعين وسبعمائة، قال الإمام الذهبي في المعجم المختص " تفقه على جماعة، ثم قدم علينا سنة ست وأربعين وسبعمائة، وقرأ علي، وله نظم جيد، ومعرفة بالمذهب وغيره، ونظم في الفقه مختصر ابن رزين،

---

(١) انظر: إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة ص٦٥ نقلاً عن ترجمة كُتبت على طرة النسخة الخطية، وهو في الدرر الكامنة (٢٤٧/٦)، والسحب الوابلة (١١٨٢/٣): "التبريزي"، وفي إنباء الغمر (١٥٠/١): "التستري".

(٢) السحب الوابلة (١١٨٥/٣).

(٣) إنباء الغمر (١٥٠/١).

(٤) انظر: تاريخ ابن قاضي شهبة (٤٧٦/٣)، التبيان (٣١٩/٢)، درر العقود الفريدة (٥٥٨/٣)، إنباء الغمر (١٥٠/١)، الدرر الكامنة (٢٤٧/٦)، لحظ الألحاظ ص١٦٠، المنهج الأحمد (١٤٤/٥)، بغية الوعاة (٣٦٠/٢)، رفع النقاب ص٣٢٩.

(٥) انظر: الأعلام للزركلي (٢١٥/٨) نقلاً عن نموذج خطه على ثبت الندرومي.

(٦) انظر: الأعلام للزركلي (٢١٥/٨) نقلاً عن نموذج خطه على ثبت الندرومي.

ونظم التقريب في علوم الحديث لامية نحو ألف بيت"[1] وسمع بها من جماعة من أصحاب الفخر ابن البخاري، وأصحاب ابن عبدالدائم المقدسي الصالحي وغيرهم[2]، وقد كان من شيوخه ابن تيمية[3] وابن القيم[4]، وكانت بينه وبين الحافظ المزي مراسلات قال السرمري في شرح اللؤلؤة: "... حكاية طريفة في المعنى أخبرنا بها الحافظ أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبدالرحمن المزي في كتابه لي بخطه مراراً"[5]، فأكثر وبرع في علوم كثيرة منها الحديث و الفقه و العربية والفرائض والطب، ونظم عدة أراجيز في عدة فنون، وخرج لغير واحد، وكتب بخطه الجميل[6] كثيراً، حتى بلغت مصنفاته المائة وزادت، في بضعة وعشرين علماً[7]، وقد تصدى جمال الدين السرمري للتدريس والدعوة فتتلمذ عليه نخبة من النابهين في سائر الفنون، منهم: الإمام المقرئ ابن الجزري[8]، والإمام اللغوي الفيروزآبادي[1]، وأخذ عنه ابن رافع مع تقدمه

---

(١) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة ص٦٥ نقلاً عن ترجمة كُتبت على طرة النسخة الخطية، تاريخ ابن قاضي شهبة (٤٧٦/٣) وفيهما: "الغريب" بدل (التقريب)، وجاء في إنباء الغمر(١/١٥٠-١٥١): "قدم علينا سنة ست وأربعين وقرأ عليّ، وله معرفة بالمذهب، ونظم جيد في علوم الحديث وغيرها".

(٢) انظر: تاريخ ابن قاضي شهبة (٤٧٦/٣)، إنباء الغمر (١٥٠/١)، الدرر الكامنة (٢٤٧/٦).

(٣) وصفه في الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية بـ:"شيخنا" ، في البيت رقم (١٠٢) و (١٤٧).

(٤) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ٣ ب قال: "قال شيخنا شمس الدين ابن القيم رحمه الله" وقد وصفه بـ"شيخنا" في أكثر من موضع في كتابه هذا.

(٥) انظر: حاشية المقدمة اللؤلؤة في النحو للسرمري ص١٦٩، تحقيق: عبدالرحمن العثيمين.

(٦) قال الدكتور: عبدالرحمن العثيمين في حاشية السحب الوابلة (١١٨٢/٣) في ترجمة السرمري "ورأيت نماذج من خط السرمري وهو في غاية الإتقان والضبط"، وقال في حاشية المقدمة اللؤلؤة في النحو ص١٦٧: "ويوجد نسخة من (القلادة السمطية في توشيح الدريدية) للحسن بن محمد الصغاني ... كلها بخط السرمري هذا، منسوخة سنة ٧٢٩ بخط جميل".

(٧) انظر: تاريخ ابن قاضي شهبة (٤٧٦/٣)، الدرر الكامنة (٢٤٧/٦)، إنباء الغمر (١٥١/١)، وجيز الكلام (٢١٠/١)، المنهج الأحمد (١٤٤/٥)، شذرات الذهب (٤٣٠/٨)، معجم مصنفات الحنابلة (١٧٥/٤-١٧٦).

(٨) قال ابن الجزري في كتابه (أسنى المطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) : "أخبرنا الإمام العالم المحدث الكبير أبو المظفر يوسف بن محمد السرمري الحنبلي رحمه الله مشافهة منه لي بمنزله من المدرسة الحنبلية داخل دمشق المحروسة في الثالثة عشرة من ذي الحجة سنة ست وستين وسبعمائة". انظر: أسمى المناقب في تهذيب أسنى المطالب ص١١٧، تهذيب وتحقيق الرافضي: محمد باقر المحمودي، ١٤٠٣، بيروت؛ وجاء في طبعة أخرى للكتاب باسم (مناقب الأسد الغالب) ص٤٥، تحقيق: طارق الطنطاوي، مكتبة القرآن، مصر: "سنة ست وسبعين وسبعمائة" وهو خطأ.

؛ و روى الأيوبي في المناهل المسلسلة ص٢٤ الحديث المسلسل بالمصافحة من طريق ابن الجزري عن السرمري.

وحدث عنه ومات قبله[٢]، وأجاز الخليفة العباسي المصري: المعتضد بالله[٣]، فقد جاء في كتابه (شرح اللؤلؤة) في قصة طريفة وقعت له في مجلس الخليفة، يقول: "فصل كنا عند الإمام أمير المؤمنين المعتضد بالله، الخليفة المصري العباسي بدمشق حين قدمها في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة فقرأت له جزءاً من مسموعاتي والتمسته أن يكتب الطبقة بخطه الشريف، فكتبها ثم كتب في آخرها: كتبه أبا – بالنصب – بكر بن سليمان، فتناول الجزء بعض الحاضرين من يده فقرأه، فالتفت إلى آخر عن جانبه فغمزه، فانتبهت لهما، وقد كنت رأيته حين كتب ذلك، ولم يحتمل المجلس تلحين الخليفة، ولا هان عليّ مادار بين ذينك الشخصين، فانشدت في الحال قولهم:

إنَّ أباها وأبا أباها   قد بلغا في المجد غايتها

فطرب من في المجلس لذلك، أما الحاضرون فإنهم عجبوا لإستحضار دليل جواز ذلك بسرعة، وأما مولانا أمير المؤمنين فإنه اتخذه في معرض المدح له ولآبائه ..."[٤].

وكان رحمه الله قائماً بالمعروف والنهي عن المنكر متحملاً في سبيل ذلك مايلقاه من أذى، فقد رد بقصيدة على التقي السبكي في قصيدته البائية المشهورة دفاعاً عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية، فتململ بها المتهالكون من أهل البدع والأهواء لوقعها الشديد على قلوبهم، فرماه

---

(١) روى الأيوبي في المناهل المسلسلة الحديثَ المسلسل بمناولة السبحة من طريق الفيروز آبادي عن السرمري. انظر: المناهل المسلسلة في الأحاديث المسلسلة ص٣٣ – ٣٤، لمحمد الأيوبي، الطبعة الأولى ١٤٠٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) انظر: الدرر الكامنة (٢٤٧/٦)، إنباء الغمر (١٥٠/١)، شذرات الذهب (٤٢٩/٨)، معجم المؤلفين (٣٣٢/١٣)، لعمر كحالة، مكتبة المثنى و دار إحياء التراث، لبنان.

(٣) هو المعتضد بالله الثاني أبو الفتح أبو بكر بن المستكفي بالله من خلفاء العباسيين بمصر، ولي الخلافة بعد وفاة أخيه سنة ٧٥٣ بعهد منه، وكان خيّراً متواضعاً محباً لأهل العلم، وقد توفي سنة ٧٦٣. انظر: شذرات الذهب (١٩٧/٦)، تاريخ الخلفاء ص٤٣٠، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، الطبعة الأولى ١٣٧١، مطبعة السعادة، مصر.

(٤) شرح اللؤلؤ في النحو ص٨٥، تحقيق: إبراهيم حمد الدليمي، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، ١٩٩٥م.

أحدهم بعميه في البصيرة وافتتانه بابن تيمية[1]، ونبزه ثان[2] بالحشوي، ووصفه ثالث[3] بأنه يسير وراء ابن تيمية في شواذه حذو النعل بالنعل، ومن أبياته فيها:

يا أيها المعتدي قولاً ومعتقداً	على ابن تيمية ظلماً ومذهبه
بيّن لنا بصريح القول معتمد ال	إنصاف والعدل فيه ماتريد به[4]

وحين لمز السبكي ابن تيمية بعد موته وتعالى في لمزه فقال:

لو كان حياً يرى قولي ويسمعه	رددت ماقال رداً غير مشتبه
كما رددت عليه في الطلاق وفي	ترك الزيارة أقفو إثر سبسبه[5]

رد عليه السرمري:

فضحت نفسك في هذا المقال ولم	تشعر وعجت عن المرعى وأخصبه
عرفتنا أن ماقد قلت ليس لوجـ	ـه الله بل للمرا أقبح بمنصبه
إذ لو أردت بيان الحق قلت به	في محضر الخصم إما في مغيبه[6]

(١) انظر: التوفيق الرباني في الرد على ابن تيمية الحراني ص٧٧.

(٢) وهو (النبهاني) في كتابه: شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ ص١٢٦، المطبعة الميمنية، مصر، ١٣٢٣؛ قال عنه الشيخ سليمان بن سحمان – رحمه الله – "مَن يوسف النبهاني وما يوسف؟ لا أكثر الله في الناس أمثاله ... صنَّف كتاباً في الاستغاثة بالنبي ﷺ، ورد عليه أئمة أهل الإسلام وبيَّنوا ما في كتابه من الأغلاط والأوهام والغلو المفرط الذي خرج به من دين الإسلام، إلى دين عبادة القبور من المشركين، وكان في عقيدته على طريقة أهل الاتحاد كابن عربي وأمثاله من أهل الكفر والعناد ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ﴾ [الفجر: ١١-١٢]، وهم من أكفر خلق الله على الإطلاق، ومن أهل الزندقة والنفاق، وكان يجحد علو الله على خلقه واستواءه على عرشه، وأنه ليس فوق السماء إله يُعبد، ولا يُصلى له ويُسجد ... ". كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام ص٢٩٧-٢٩٨، الطبعة الأولى ١٤٢٦، أضواء السلف، الرياض.

(٣) وهو (الكوثري) في هامش: لحظ الألحاظ ص١٦١، ولا عجب أن يصف هذا القِذِّيف الشَّغَّاب السَّبَّاب الطَّعَّان الشَّتَّام هذا الوصف القبيح فقد اجتمعت فيه أمراض متنوعة من التقليد الأصم، والتمشعر بغلو وجفاء، والتصوف السادر، والقبورية المكِبَّة للمخلوق عن الخالق. انظر: براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة ص٦، ٣٤، لبكر أبو زيد، الطبعة الثانية ١٤٠٨، إدارة المطبوعات بوزارة الإعلام، الرياض.

(٤) الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية ص٥٣.

(٥) الحمية الإسلامية ص٧٥.

(٦) الحمية الإسلامية ص٧٦.

إلى أن قال:

لكن إذا الأسد الضرغام غاب عن الـ ـالعرين تسمع فيه ضبح[1] ثعلبه

كذا الجبان خلا في البر صاح ألا مبارز وتـغالى في توثبه[2]

وكان - رحمه الله - يسكن بالمدرسة الحنبلية وفي آخر عمره أقعد فصار الناس يقصدونه بها يقرؤن عليه[3] حتى توفي رحمه الله رحمة واسعة، وهكذا قضى السرمري حياته حافلة بالتفقه، والإستجازة، والسماع، والتدريس، والإملاء، والتصنيف في علوم شتى نظماً ونثراً، ومدافعاً عن العقيدة الصحيحة، ومنافحاً عن منهج السلف الصالح، ولا غرابة فهو القائل في مطلع اللؤلؤة:

"وبعد فالعلـم زيـن فافن عمـرك في تحصيل ما اسطعت منه واعص من عذلا"[4].

المطلب الثاني: مكانته وثناء العلماء عليه:

لقد تبوّأ الإمام جمال الدين السرمري مكانة رفيعة عند كثير ممن ترجم له، إذ نبغ في علوم شتى، وصنّف في أنواع كثيرة نثراً ونظماً، وخرّج وأفاد وأملى روايةً وعلماً، فخلد الأئمة ذكرَه، وأثنوا عليه ثناء عاطراً.

قال عنه الحافظ ابن ناصر الدين: "الشيخ الإمام العلامة الحافظ البركة القدوة، ذو الفنون البديعة والمصنفات النافعة، جمال الدين، عمدة المحققين ... كان إماماً ثقةً عمدةً زاهداً عابداً محسناً جهده، صنف في أنواع كثيرة نثراً ونظماً، وخرج وأفاد، وأملى روايةً وعلماً ... وكان عمدةً في نقد رجال الحديث وضبطه"[5].

---

(١) ضبحَ الثعلبُ ضَبْحاً، وضُبَاحاً: صوَّت. المعجم الوسيط ص٥٣٣.

(٢) الحمية الإسلامية ص٧٧.

(٣) انظر: إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة ص٦٥ نقلاً عن ترجمة كُتبت على طرة النسخة الخطية، إنباء الغمر (١٥٠/١)، الدرر الكامنة (٢٤٧/٦)، وجيز الكلام (٢١٠/١).

(٤) المقدمة اللؤلؤة في النحو ص١٨٣، تحقيق: الدكتور عبدالرحمن العثيمين.

(٥) الرد الوافر ص٢٣٢.

وقال عنه أيضاً في (بديعة البيان):

"السرمري يوسف القويمُ ذكيهم وازنه علوم"[1].

وقال أيضاً: "كان إماماً علامة ذا فنون ثقة عمدة، لم نر أكثر تصنيفاً منه بعده"[2].

وقال الإمام تقي الدين المقريزي: "كان إماماً عالماً ثقة عمدة، زاهداً عابداً ... وله نظم ونثر ومعرفة برجال الحديث وضبطه وبالعربية والفرائض"[3].

وقال الإمام العليمي: " الشيخ العالم المحدّث / المفنّن "[4].

وقال العلامة ابن عماد: "الشيخ العالم المفنّن الحافظ ... ذكره الذهبي في (المعجم المختص) وأثنى عليه"[5].

وكتب السرمري إلى الصلاح الصفدي استجازة فأجابه الصفدي بقوله:

"لبيك ياحلف النهى والسؤدد ومن امتطى بالعلم فوق الفرقد

ومن اغتدى فينا وثغر علومه عذب مقبَّله شهي المورد

وإذا أفاض الطالبين مسائلاً يسقى بريّا ريقه العطش الصدي

وإذا جلى نظماً رأينا عقده من لؤلؤ متتابع متسرد

شرفت ربع دمشق حين سكنته بفضائل بين الورى لم تجحد

إلى أن قال الصفدي:

أنت الإمام الحبر أمرك طاعة بك أقتفي سبل البيان وأقتدي"[6].

وقال الإمام الذهبي: "له نظم جيد، ومعرفة بالمذهب وغيره"[1]

(١) التبيان لبديعة البيان (٢/٣١٩).

(٢) التبيان لبديعة البيان (٢/٣١٩).

(٣) درر العقود الفريدة (٣/٥٥٨).

(٤) المنهج الأحمد (٥/١٤٣)، الدر المنضد (٢/٥٥٥).

(٥) شذرات الذهب (٨/٤٢٩).

(٦) السحب الوابلة (٣/١١٨٤– ١١٨٥).

وقال عنه الحافظ ابن حجر: "برع في العربية والفرائض، ونظم عدة أراجيز في عدة فنون، وخرج لغير واحد وحدث ... وتفقه"[2].

وقال الحافظ السخاوي: "كان عارفاً بالمذهب ذا نظم جيد مع مشاركة في العربية والفرائض"[3].

وقال العلامة ابن قاضي شهبة: "العالم المحدّث المفنّن"[4].

ووصفه التقي ابن فهد: بـ" الإمام العلامة الحافظ ... كان عمدة ثقة ذا فنون إماماً علامة، له مصنفات عدة في أنواع كثيرة نثراً ونظماً، خرج وأفاد وأملى رواية وعلماً "[5].

وقال العلامة شهاب الدين ابن حجي: "كانت له مشاركة جيدة في العربية واللغة والفرائض"[6].

وقال الكتاني: "الحافظ الرحال"[7].

وقال صالح آل عثيمين: "الإمام العلامة الحافظ"[8].

---

(١) تاريخ ابن قاضي شهبة (٤٧٦/٣)، إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة ص٦٥ نقلاً عن ترجمة كُتبت على طرة النسخة الخطية.

(٢) الدرر الكامنة (٢٤٧/٦).

(٣) وجيز الكلام (٢١٠/١).

(٤) تاريخ ابن قاضي شهبة (٤٧٦/٣).

(٥) لحظ الألحاظ ص١٦٠.

(٦) تاريخ ابن قاضي شهبة (٤٧٦/٣).

(٧) فهرس الفهارس (٩٢٥/٢).

(٨) تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة (١١٧٠/٢)، لصالح آل عثيمين، تحقيق: بكر أبو زيد، الطبعة الأولى ١٤٢١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

المطلب الثالث: شيوخه:

تتلمذ جمال الدين السرمري رحمه الله على طائفة كبيرة من من علماء عصره في سائر الفنون، حتى صار من الصعب حصرهم، وسأذكر لك جملة من شيوخه:

١- أحمد بن أبي طالب بن نعمه بن حسن بن علي الصالحي الحجار، مسند الدنيا رحلة الآفاق أَبو العباس المعروف بابن الشحنة، حدّث بـ(صحيح البخاري) أكثر من سبعين مرة، وعمّر حتى ألحق الأحفاد بالأجداد، ورحل إليه من البلاد، وقد توفي سنة ٧٣٠[١]؛ وقد صرح السرمري بأنه من شيوخه العوالي بالإجازة[٢].

٢- أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية النميري الحراني، شيخ الإسلام تقي الدين، المتوفى سنة ٧٢٨؛ وقد وصفه السرمري بـ(شيخنا) في موضعين من كتابه (الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية)[٣].

٣- أحمد بن محمد المعروف بابن الجوخي ويقال له أيضاً ابن الزقاق، الحافظ بدر الدين، توفي سنة ٧٦٤[٤]؛ خرّج له السرمري "مشيخة" وروى عنه[٥].

٤- الحسين بن يوسف بن محمد بن أبي السري الدجيلي البغدادي، سراج الدين، المتوفى سنة ٧٣٢[٦]؛ أخذ السرمري عنه الفقه [٧].

٥- خليل بن أيبك الصفدي، صلاح الدين، المتوفى سنة ٧٦٤[٨]؛ كتب إليه السرمري

---

(١) الدرر الكامنة (١/١٥٢)، السحب الوابلة (٣/١٠٩٠).

(٢) انظر: الأعلام للزركلي (٨/٢١٥) نقلاً عن نموذج خطه على ثبت الندرومي.

(٣) الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية، البيت رقم (١٠٢) و (١٤٧).

(٤) الدرر الكامنة (١/٢٦٥)، الأعلام (١/٢١٦).

(٥) معجم المعاجم والمشيخات (١/٤٦٤)، ليوسف المرعشلي، الطبعة الأولى ١٤٢٣، مكتبة الرشد، الرياض.

(٦) ذيل طبقات الحنابلة (٥/٣٠-٣٣)، لابن رجب، تحقيق: عبدالرحمن العثيمين، الطبعة الأولى ١٤٢٥، مكتبة العبيكان، الرياض.

(٧) انظر: إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة ص٦٥ نقلاً عن ترجمة كُتبت على طرة النسخة الخطية، وهو في الدرر الكامنة (٦/٢٤٧)، والسحب الوابلة (٣/١١٨٢): "التبريزي" وفي إنباء الغمر (١/١٥٠): "التستري".

(٨) الأعلام (٢/٣١٥).

قصيدة يستجيزه فيها له ولزوجته ولأولاده ولابن أخيه فأجازهم الصلاح الصفدي شعراً، وقد ذكرها الصفدي في كتابه (ألحان السواجع)[1].

٦- صالح بن الحافظ صدر الدين أحمد بن الأنجب ابن الكَسَّار الواسطي، القاضي المقرئ قوام الدين أبو الفضل، توفي سنة ٧٤٤[2]؛ خرّج له السرمري "مشيخة" وروى عنه[3].

٧- عبدالله بن محمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن أبي البركات الزريراني، تقي الدين، إمام من متقدمي علماء الحنابلة، المتوفى سنة ٧٢٩[4]؛ ذكره السرمري في شرح اللؤلؤة ووصفه بـ "شيخنا الإمام العلامة"[5].

٨- عبدالرحمن ابن الشيخ الصالح نجم الدين عبدالله بن أحمد الدجيلي، ثم الدوري الحريري الأصولي الحنبلي، تاج الدين أبو الفرج؛ ذكر العليمي في (المنهج الأحمد) أنه من مشايخ جمال الدين السرمري، ولم يؤرِّخ لوفاته[6].

٩- عبدالمؤمن بن عبدالحق بن عبدالله بن علي بن مسعود البغدادي الحنبلي، صفي الدين، صاحب "مراصد الاطلاع" وغيره، وهو ممن قام في الانتصار لابن تيمية عندما سجن في مسألة شد الرحال إلى قبر النبي ﷺ، وكتب بموافقته[7]، توفي سنة ٧٣٩[8]. أخذ السرمري عنه الفقه وسمع الحديث منه ببغداد[9].

١٠- عبد المنعم بن التقي أحمد بن سليمان بن البوري ابو منصور؛ ذكره ابن ناصر الدين

---

(١) السحب الوابلة (٣/١١٨٣- ١١٨٥).

(٢) معجم المعاجم والمشيخات (١/٤٣٨).

(٣) معجم المعاجم والمشيخات (١/٤٣٨)، توضيح المشتبه (٥/١٨٤).

(٤) ذيل طبقات الحنابلة (٥/١-٧).

(٥) شرح اللؤلؤ ص٤٧، تحقيق: إبراهيم الدليمي.

(٦) المنهج الأحمد (٥/١٤٥).

(٧) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٩٩- ٢٠٠).

(٨) انظر: شذرات الذهب (٦/١٢١).

(٩) انظر: تاريخ ابن قاضي شهبة (٣/٤٧٦)، التبيان (٢/٣١٩)، إنباء الغمر (١/١٥٠)، الدرر الكامنة (٦/٢٤٧)، لحظ الألحاظ ص١٦٠، بغية الوعاة (٢/٣٦٠)، رفع النقاب ص٣٢٩.

في (توضيح المشتبه) وقال: "حدث عن أبيه وعنه أبو المظفر يوسف بن محمد السرمري"[١].

١١- المبارك بن بركات بن المبارك اللبناني ثم الحموي، الأمين أبو سعيد. ذكره ابن ناصر الدين في (توضيح المشتبه) وقال: "حدث عن التاج عبد الخالق بن عبد السلام وغيره وعنه العلامة أبو المظفر يوسف بن محمد السرمري"[٢].

١٢- محمد بن إبراهيم بن عمر بن أبي البدر بن حسن الحنبلي الخالدي البغدادي، تقي الدين أبو البدر، توفي سنة ٧٤١[٣]؛ ذكره السرمري في (شفاء الآلام) ووصفه بـ "شيخنا الصالح"[٤].

١٣- محمد بن إبراهيم بن محمد ابن أبي بكر بن إبراهيم الأنصاري الخزرجي، المعروف بابن إمام الصخرة، المتوفى سنة ٧٦٦ [٥]؛ قرأ عليه السرمري كتاب "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" لشيخ الإسلام ابن تيمية، مناولة من مؤلفه [٦].

١٤- محمد بن الشيخ الصالح أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي، المشهور بابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١[٧]؛ قال السرمري في كتابه (شفاء الآلام في طب أهل الإسلام) قال: "قال شيخنا شمس الدين ابن القيم رحمه الله"[٨]، وقد وصفه بـ(شيخنا) في أكثر من موضع في هذا الكتاب.

١٥- محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبدالله التركماني الأصل، ثم الدمشقي،

---

(١) في توضيح المشتبه (٦٣٤/١) المطبوع "السرمسري" وهو تصحيف، وقد نقله الشيخ عبدالرحمن المعلمي على الصواب في حاشية الإكمال للحافظ ابن ماكولا (٥٨٨/١)، الطبعة الثانية ١٩٩٣م، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٢) توضيح المشتبه (٣٦٤/٧).

(٣) المنتقى من معجم شيوخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن رجب الحنبلي ص٢٦، تحقيق: عبدالله الكندري، الطبعة الأولى ١٤٢٦، غراس، الكويت.

(٤) شفاء الآلام (مخطوط) ورقة: ١٥٣ أ.

(٥) الرد الوافر ص٨٠، تحقيق: زهير الشاويش.

(٦) انظر: الرد الوافر ص٨١، تحقيق: زهير الشاويش.

(٧) ذيل طبقات الحنابلة (١٧٠/٥-١٧٩).

(٨) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ٣ ب.

الحافظ شمس الدين الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨[١]؛ وقد تقدم قول الذهبي أن السرمري قدم عليهم سنة ست وأربعين وقرأ عليه، و قال السرمري في كتابه (شفاء الآلام في طب أهل الإسلام): "فأخبرني شيخنا شمس الدين الذهبي ... وهو مسموم بين الطلبة والله المستعان"[٢].

١٦- محمد بن عبدالعزيز بن علي ابن المؤذن الوراق البغدادي، شمس الدين أبي عبدالله، توفي نحو ٧٥٠ [٣]؛ خرَّج له السرمري "معجم" ووصفه فيه بـ"شيخنا العدل الأمين الثقة بقية السلف"[٤].

١٧- محمد بن عبدالمحسن بن أبي الحسن البغدادي، عفيف الدين الواعظ المعروف بابن الدواليبي، المتوفى سنة ٧٢٨[٥]؛ وقد صرح السرمري بأنه من شيوخه العوالي بالإجازة[٦].

١٨- محمد بن محمد بن منصور اليزدي الخوزي أبو المجد، سمع على ابن الدواليبي وشرف الدين اليونيني والذهبي والمزي وغيرهم، وصحب شيخ الإسلام ابن تيمية، توفي سنة ٧٤٢[٧]؛ ذكره ابن ناصر الدين في (توضيح المشتبه) وقال: "حدث عن أبي الحسين علي بن اليونيني، وعنه الإمام أبو المظفر يوسف بن محمد السرمري"[٨].

١٩- محمد بن محمود العدل البغدادي الحنبلي، جمال الدين أبو طالب؛ قال جمال الدين السرمري في كتابه (الأربعون الصحيحة): "أخبرني الشيخ أبو طالب محمد بن محمد بن محمود العدل بقراءتي عليه برباط الأرجوانية[٩] من درب زاخي شرقي بغداد في يوم الجمعة سادس عشر

---

(١) السحب الوابلة (١٠٩١/٣).

(٢) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام: ورقة: ٢٠٤ أ.

(٣) معجم المعاجم والمشيخات (٤٥٤/١).

(٤) فوائد مخرجة عن شيوخ شمس الدين الوراق (مخطوط) ورقة: ٨٥ أ.

(٥)الدرر الكامنة (٢٧/٤-٢٨).

(٦) انظر: الأعلام للزركلي (٢١٥/٨) نقلاً عن نموذج خطه على ثبت الندرومي.

(٧) المنتقى من معجم شيوخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن رجب الحنبلي ص٣٤.

(٨) توضيح المشتبه (٥٣٠/٢).

(٩) الأرجوانية: نسبة إلى أرجوان أم الخليفة المقتدي بأمر الله، كانت جارية أرمنية وكان لها بر ومعروف، بَنت ببغداد رباطاً (أي: وقفاً) كبيراً للصوفية، أدركت خلافة ابنها المقتدي وخلافة ابنه المستظهر وخلافة ابنه المسترشد، توفيت سنة

شعبان من سنة ثلاثين وسبعمائة"[1]؛ وقد ذكر العليمي في (المنهج الأحمد) أنه من مشايخ جمال الدين السرمري، ولم يؤرِّخ لوفاته[2].

٢٠- محمود بن علي بن محمود بن مقبل الدقوقي الحنبلي أبي الثناء، المتوفى سنة ٧٣٣[3]؛ سمع السرمري الحديث منه ببغداد[4].

٢١- يوسف بن إسماعيل بن إلياس بن أحمد البغدادي الشافعي، المعروف بابن الكتبي، صنف كتاب "مالا يسع الطبيب جهله"، وهو ممن قام في الانتصار لابن تيمية عندما سجن في مسألة شد الرحال إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وكتب إلى السلطان يرجو منه إخراجه من السجن [5]، وقد توفي سنة ٧٥٤ [6]؛ قال جمال الدين السرمري في كتابه (شفاء الآلام): "سمعت شيخنا نصير الدين بن الكتبي أستاذ الطب في وقته"[7].

المطلب الرابع: تلاميذه:

١- ابنه: إبراهيم بن يوسف بن محمد السرمري، ولد في حدود الخمسين وسبعمائة، وأُسمع على ابن الخبَّاز وبشر بن إبراهيم البعلي، سمع منه الفضلاء، وأجاز لابن حجر، وتوفي رحمه الله

---

٥١٢. انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٩/٢٠٠)، لابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٣٥٨، دار صادر، بيروت؛ الوافي بالوافيات (٢٤/١٧٤).

(١) الأربعون الصحيحة ص١٥١-١٥٢، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الطبعة الأولى ١٤٢١، المكتب الإسلامي، بيروت و دمشق و عَمان.

(٢) المنهج الأحمد (٥/١٤٥).

(٣) الدرر الكامنة (٤/٣٣٠).

(٤) انظر: تاريخ ابن قاضي شهبة (٣/٤٧٦)، التبيان (٢/٣١٩)، إنباء الغمر (١/١٥٠)، الدرر الكامنة (٦/٢٤٧)، لحظ الألحاظ ص١٦٠، بغية الوعاة (٢/٣٦٠)، رفع النقاب ص٣٢٩.

(٥) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٩٤- ١٩٦).

(٦) معجم المؤلفين (١٣/٢٧٤).

(٧) شفاء الآلام (مخطوط) ورقة: ٩٠ أ.

سنة ٨٠٣ بدمشق [١]؛ قال ابن ناصر الدين الدمشقي[٢] في ترجمة السرمري: "حدثنا عنه ابنه إبراهيم"، وقال ابن فهد في (لحظ الألحاظ): "روى عنه جماعة منهم ابنه إبراهيم"[٣].

٢- أحمد بن حجي بن موسى السَّعدي بن الحسباني الدمشقي الشافعي، مؤرخ الإسلام أبو العباس، توفي سنة ٨١٦ [٤]؛ نقل ابن قاضي شهبة في تاريخه عن ابن حجي أنه قال: "سمعت منه"[٥].

٣- أحمد بن يوسف البانياسي الدمشقي المقرئ، شهاب الدين أبو العباس، توفي سنة ٨٠٣ [٦]؛ روى السيوطي في "الحاوي للفتاوي" الحديث المسلسل بالسبحة من طريقه عن السرمري[٧].

٤- سعيد بن عبدالله الحريري الحنبلي، المحدث الحافظ المؤرخ نجم الدين أبو الخير، وتوفي سنة٧٤٩[٨]؛ سمع من السرمري منظومة (نهج الرشاد في نظم الاعتقاد) في الرابع عشر من صفر سنة ثلاثين وسبعمائة ببغداد، وقد أجاز له روايتها عنه ورواية جميع ماله روايته من مسموعات ومجازات ومنظومات ومنثورات وجميع مايدخل تحت روايته من جميع الفنون، وكتب السرمري طبقة السماع بيده آخر النسخة الخطية[٩].

٥- صواب بن عبدالله الحر الهندي عتيق الشيخ جمال الدين السرمري، سمع منه (نهج الرشاد) في الرابع عشر من صفر سنة ثلاثين وسبعمائة ببغداد، وقد أجاز له روايتها عنه ورواية

---

(١) انظر: "الضوء اللامع"(١٨٢/١)، و"السحب الوابلة"(٧٨/١).

(٢) "التبيان" (٣١٩/٢).

(٣) لحظ الألحاظ ص١٦٠.

(٤) التبيان (٣٢٩/٢)، الأعلام (١١٠/١).

(٥) تاريخ ابن قاضي شهبة (٤٧٦/٣).

(٦) إنباء الغمر (١٥٧/٢).

(٧) الحاوي للفتاوي (٥/٢)، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبداللطيف حسن عبدالرحمن، الطبعة الأولى ١٤٢١، دار الكتب العلمية، بيروت؛ وفيه "الترمذي" بدل (السرمري) وهو تصحيف.

(٨) ذيل طبقات الحنابلة (١٤٨/٥-١٤٩).

(٩) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد ص٤٨ - ٤٩، تحقيق: مطلق الجاسر، الطبعة الأولى ١٤٣٠، دار التواصل، الكويت.

جميع ماله روايته من مسموعات ومجازات ومنظومات ومنثورات وجميع مايدخل تحت روايته من جميع الفنون، وكتب السرمري طبقة السماع بيده آخر النسخة الخطية [1].

٦- عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن بن حسن المصري الحموي الأصل القبابي ثم المقدسي الحنبلي، توفي سنة ٨٣٨ [2]؛ ذكر السخاوي في ترجمته أنه سمع على الجمال يوسف السرمري.

٧- المأمون بن السعيد المرحوم مجد الدين إسماعيل بن الشيخ الصالح جمال الدنيا والدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن الرشيد الهاشمي العباسي؛ سمع من السرمري منظومة (نهج الرشاد في نظم الاعتقاد) في الرابع عشر من صفر سنة ثلاثين وسبعمائة ببغداد، وقد أجاز له روايتها عنه ورواية جميع ماله روايته من مسموعات ومجازات ومنظومات ومنثورات وجميع مايدخل تحت روايته من جميع الفنون، وكتب السرمري طبقة السماع بيده آخر النسخة الخطية[3].

٨- محمد بن هجرس بن رافع السلامي المصري ثم الدمشقي الشافعي، الحافظ تقي الدين أبو المعالي، عمل لنفسه معجماً في أربع مجلدات وهو في غاية الإتقان والضبط مشحون بالفوائد ويشتمل على أزيد من ألف شيخ، توفي سنة ٧٧٤[4]؛ قال ابن حجر: "أخذ عنه ابن رافع مع تقدمه، وذكره في معجمه وحدَّث عنه، ومات قبله"[5].

٩- محمد بن محمد بن بن علي بن يوسف الجزري الدمشقي العمري الشيرازي الشافعي، الإمام المقرئ، المتوفى سنة ٨٣٣ بشيراز[6]؛ قال ابن الجزري في كتابه (مناقب الأسد الغالب): "أخبرنا الإمام العالم المحدث الكبير أبو المظفر يوسف بن محمد السرمري الحنبلي رحمه الله مشافهة منه لي بمنزله من المدرسة الحنبلية داخل دمشق المحروسة في الثالثة عشرة من ذي الحجة

---

(١) نهج الرشاد ص٤٨- ٤٩.

(٢) الضوء اللامع (٤/١١٣- ١١٤).

(٣) نهج الرشاد ص٤٨ – ٤٩.

(٤) الدرر الكامنة (٣/٤٣٩-٤٤٠).

(٥) إنباء الغمر (١/١٥٠).

(٦) شذرات الذهب (٧/٢٠٤ – ٢٠٦).

سنة ست وستين وسبعمائة"[1]، وروى الأيوبي في "المناهل المسلسلة"[2] والفاداني في "العجالة في الأحاديث المسلسلة"[3] الحديث المسلسل بالمصافحة من طريق ابن الجزري عن السرمري.

١٠- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي، الإمام اللغوي مجد الدين أبو طاهر، صاحب "القاموس المحيط"، المتوفى سنة ٨١٧[4]؛ وروى الأيوبي في "المناهل المسلسلة"[5] الحديث المسلسل بمناولة السبحة من طريق الفيروزآبادي عن السرمري.

المطلب الخامس: مؤلفاته:

تفنن جمال الدين السرمري – رحمه الله – في التصنيف والتأليف نظماً ونثراً لتبحره في مختلف العلوم والفنون، فقد كتب في بضعةٍ وعشرين علماً، وزادت مؤلفاته على المائة مصنف[6].

قال العلامة شهاب الدين ابن حجي: "رأيت بخطه ماصورته: مؤلفاتي تزيد على مائة مصنف كبار وصغار في بضعة وعشرين علماً، ذكرتها على حروف المعجم في (الروضة المورقة في الترجمة المونقة) "[7].

---

(١) أسمى المناقب في تهذيب أسنى المطالب ص١١٧؛ وجاء في طبعة أخرى للكتاب باسم (مناقب الأسد الغالب) ص٤٥: "سنة ست وسبعين وسبعمائة" وهو خطأ فالسرمري في شهر ذي الحجة من سنة ست وسبعين وسبعمائة كان ميتاً كما ثبت في تأريخ وفاته .

(٢) المناهل المسلسلة ص٤٢.

(٣) العجالة في الأحاديث المسلسلة ص١١، لأبي فيض محمد ياسين الفاداني المكي، الطبعة الثانية ١٩٨٥م، دار البصائر، دمشق.

(٤) الضوء اللامع (٧٩/١٠).

(٥) "المناهل المسلسلة" ص٣٣ – ٣٤.

(٦) انظر: تاريخ ابن قاضي شهبة (٤٧٦/٣)، الدرر الكامنة (٢٤٧/٦)، إنباء الغمر (١٥١/١)، وجيز الكلام (٢١٠/١)، المنهج الأحمد (١٤٤/٥)، شذرات الذهب (٤٣٠/٨)، معجم مصنفات الحنابلة (١٧٥/٤-١٧٦).

(٧) تاريخ ابن قاضي شهبة (٤٧٦/٣)، شذرات الذهب (٤٣٠/٨)، المنهج الأحمد (١٤٤/٥).

وقال ابن رافع في معجمه: "بلغت مصنفاته مائة" [1].

وقال الحافظ ابن ناصر الدين: "لم نر أكثر تصنيفاً منه بعده"[2].

وقد ترجم له في (الرد الوافر) بقوله: "ذو الفنون البديعة والمصنفات النافعة ... صنف في أنواع كثيرة نثراً ونظماً وخرّج وأفاد وأملى رواية وعلماً"[3].

وهذه قائمة بمؤلفاته التي وقفت عليها من خلال المصادر المثبتة:

١- "الأحاديث القدسية" جزء.

ذكره ابن حميد في (السحب الوابلة)[4] وابن ضويان في (رفع النقاب)[5] وصالح آل عثيمين في (تسهيل السابلة)[6] والطريقي في (معجم مصنفات الحنابلة)[7].

٢- أحاديث منقولة عن المصطفى ﷺ متضمنة شفاء من أصبح على شفى.

قال جمال الدين السرمري في (شفاء الآلام في طب أهل الإسلام): "فحينئذ جمعت أحاديث منقولة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم متضمنة شفاء من أصبح على شفى، جعلتها كالأصول، وتكلمت عليها بما فتح الله من المأثور والمعقول، وشرحت مشكلها، وفتحت مقفلها، وذكرت خلال ذلك ما قاله جهابذة الأطباء، ووافق عليه نحارير الحكماء الألباء، لتسكن إليه النفس بالكلية، فلما طال اشتغالي بالحديث ومطالعتي ومراجعتي كتب الطب والأطباء، وذاكرتهم في قواعده، وأخذت من أفواههم نُكَتاً عديدة من فوائده، توفرت

---

(١) بغية الوعاة (٢/٣٦٠).

(٢) التبيان (٢/٣١٩).

(٣) الرد الوافر ص٢٣٢.

(٤) السحب الوابلة (٣/١١٨٣).

(٥) رفع النقاب ص٣٢٩.

(٦) تسهيل السابلة (٢/١١٧٢).

(٧) معجم مصنفات الحنابلة (٤/١٧٦).

الهمة على جمع كتاب أجمع من ذلك، وبناء أرفع وأوسع من ذلك، فجمعت هذا الكتاب ضمنته ما لم يتسع ذلك له، ووضعته على منهاج آخر، وأسلوب غير أسلوب الأول"[1].

٣- إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة.

ذكره الزركلي في (الأعلام)[2] وصالح آل عثيمين في (تسهيل السابلة)[3] وبكر أبو زيد في (المدخل المفصل)[4] وذُكِر أيضاً في (الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط) قسم مخطوطات الفقه وأصوله[5].

وقد طبع سنة ١٤٢٧ بتحقيق أبو عبدالله حسين بن عكاشة، وطبعه في دار الكيان بالرياض.

قال السرمري في مقدمته: "فإن المنهل الصافي من الكدر، والمنهج الآمِن من الخطر، منهج الوحي المحفوظ بالتنزيل، ومنهج الرسول المحروس من التبديل، فلما كان الشأن والقصة هذا أحببت أن انتخب مما اشتملا عليه من الأحكام كتاباً لطيفاً، يرغب الطالب في حفظه لقلة لفظه، وينشرح صدره للأخذ بحكمة حُكمه لصغر حجمه، ويربح كلفة ترجيح أحد أقوال العلماء والانتصار لفلان وفلان من الفقهاء، فيقول: قال الله وقال الرسول وناهيك بما في ذلك من إدراك السؤال، فاستخرت الله - تعالى - في ذلك، وافتتحت كل باب بآية فصاعداً من الكتاب العزيز تتعلق بأحكامِهِ، وتشهد بتهذيبه وإحكامِهِ، وتوخيت قصار الأخبار طلباً للاختصار؛ وعزوت كل حديث إلى من رواه من الأئمة، وربما حذفت من الحديث قصة غير مهمة ... وافتتحته بكتاب الإيمان والسنة اتباعاً لطريقة السلف، وترغيباً لمن بعدهم من

---

(١) شفاء الآلام (مخطوط) ورقة: ٧ ب، ٨ أ.

(٢) الأعلام (٨/٢٥٠).

(٣) تسهيل السابلة (٢/١١٧١).

(٤) المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد (٢/٩٩٢)، دار العاصمة.

(٥) الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط، مخطوطات الفقه وأصوله (١/١٨٢)، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت).

الخلف"[1].

وقد رتب السرمري هذا الكتاب على الأبواب الفقهية، وافتتحه بكتاب الإيمان والسنة، ثم ذكر كتاب الطهارة فالصلاة فالزكاة فالحج فالبيوع إلى آخر الأبواب الفقهية، وقسم كل كتاب إلى أبواب وفصول، ولما انتهى من ذكر الأحكام الفقهية ذكر كتاب الأدب، وختم السرمري الكتاب بطائفة عطرة من الآيات القرآنية[2].

٤- الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة.

ذكره ابن ناصر الدين في (التبيان)[3] وابن حجر في (إنباء الغمر)[4] وفي (الدرر الكامنة)[5] وابن فهد في (لحظ الألحاظ)[6] والعليمي في (المنهج الأحمد)[7] وفي (الدر المنضد)[8] وحاجي خليفة في (كشف الظنون)[9] وابن عماد في (شذرات الذهب)[10] وابن حميد في (السحب الوابلة)[11] والبغدادي في (هدية العارفين)[12] وابن ضويان في (رفع النقاب)[13] والزركلي في (الأعلام)[14] والكتاني في (فهرس الفهارس)[15] وبروكّلمان في (تاريخ الأدب العربي)[1] وصالح

---

(١) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة ص٧١- ٧٢.

(٢) انظر: مقدمة تحقيق (إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة) ص٥٥- ٥٧.

(٣) التبيان (٣٢٠/٢).

(٤) إنباء الغمر (١٥٠/١).

(٥) الدرر الكامنة (٢٤٧/٦).

(٦) لحظ الألحاظ ص١٦١.

(٧) المنهج الأحمد (١٤٤/٥).

(٨) الدر المنضد (٥٥٥/٢).

(٩) كشف الظنون (٥٦/١).

(١٠) شذرات الذهب (٤٢٩/٨).

(١١) السحب الوابلة (١١٨٢/٣) ونقله باسم "كتاب الأربعين الصحيحة فيما دون أجر المنيحة".

(١٢) هدية العارفين (٥٥٨/٢).

(١٣) رفع النقاب ص٣٢٩ وفي المطبوع "كتاب الأربعين الصحيحة فيما دون أجزاء المنتخبة".

(١٤) الأعلام (٢٥٠/٨) وذكره مختصراً باسم "كتاب الأربعين الصحيحة".

(١٥) فهرس الفهارس (٩٢٦/٢) وذكره مختصراً باسم "كتاب الأربعين الصحيحة".

عثيمين في (تسهيل السابلة)[2] والطريقي في (معجم مصنفات الحنابلة)[3].

وقد طبع سنة ١٤٢١ بتحقيق محمد خير رمضان يوسف، وطبعه في دار ابن حزم ببيروت.

وقد بنى السرمري كتابه هذا على حديث أخرجه الإمام البخاري وهو: "أربعون خصلة، أعلاهن منيحة العنز، مامن عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها، إلا أدخله الله بها الجنة".

فالكتاب – باختصار – في موجبات الجنة[4].

٥- الأرجوزة الجلية في الفرائض الحنبلية.

ذكره الزركلي في (الأعلام)[5] وبروكّلمان في (تاريخ الأدب العربي)[6] وبكر أبو زيد في (المدخل المفصل)[7] والطريقي في (معجم مصنفات الحنابلة)[8].

وقد طبع سنة ١٤٣١ بعناية فيصل بن يوسف أحمد العلي، وطبعه في دار البشائر الإسلامية ببيروت.

وقد أراد أن يجمع في هذه المنظومة أصول علم الفرائض، وعدد أبياتها ١٦٧.

---

(١) تاريخ الأدب العربي (٧/٢٠).

(٢) تسهيل السابلة (٢/١١٧١).

(٣) معجم مصنفات الحنابلة (٤/١٧٦).

(٤) انظر: مقدمة تحقيق (الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة) ص٥- ٦، لمحمد خير رمضان يوسف.

(٥) الأعلام (٨/٢٥١) وذكره باسم "الأرجوزة الجلية في الفرائد الحنبلية".

(٦) تاريخ الأدب العربي (٧/٢١).

(٧) المدخل المفصل (٢/٩٩٢).

(٨) معجم مصنفات الحنابلة (٤/١٧٧) وقد ذكره باسم "الأرجوزة الجلية في الفرائد الحنبلية".

٦- الإفادات المنظومة في العبادات المختومة.

ذكره حاجي خليفة في (كشف الظنون)[١] والبغدادي في (هدية العارفين)[٢] وكحالة في (معجم المؤلفين)[٣] وصالح آل عثيمين في (تسهيل السابلة)[٤] والطريقي في (معجم مصنفات الحنابلة)[٥].

٧- تخريج الأحاديث الثمانيات.

ذكره ابن ناصر الدين في (التبيان)[٦] والمقريزي في (درر العقود الفريدة)[٧] وابن حجر في (إنباء الغمر)[٨] وفي (الدرر الكامنة)[٩] وابن فهد في (لحظ الألحاظ)[١٠] والعليمي في (المنهج الأحمد)[١١] وفي (الدر المنضد)[١٢] وحاجي خليفة في (كشف الظنون)[١٣] وابن العماد في الذهب)[١٤] وابن حميد في (السحب الوابلة)[١٥] وابن ضويان في (رفع النقاب)[١٦] والكتاني في

---

(١) كشف الظنون (١/١٣١).

(٢) هدية العارفين (٢/٥٥٨).

(٣) معجم المؤلفين (١٣/٣٣٢).

(٤) تسهيل السابلة (٢/١١٧١).

(٥) معجم مصنفات الحنابلة (٤/١٧٧).

(٦) التبيان (٢/٣٢٠).

(٧) درر العقود الفريدة (٣/٥٥٨) وذكره مختصراً باسم "الثمانيات".

(٨) إنباء الغمر (١/١٥٠) وذكره مختصراً باسم "الثمانيات".

(٩) الدرر الكامنة (٦/٢٤٧) وذكره مختصراً باسم "الثمانيات".

(١٠) لحظ الألحاظ ص١٦١.

(١١) المنهج الأحمد (٥/١٤٤) وذكره مختصراً باسم "الثمانيات".

(١٢) الدر المنضد (٢/٥٥٥) وذكره مختصراً باسم "الثمانيات".

(١٣) كشف الظنون (١/٥٢٤).

(١٤) شذرات الذهب (٨/٤٢٩) وذكره مختصراً باسم "الثمانيات".

(١٥) السحب الوابلة (٣/١١٨٢) ونقله مختصراً باسم "الثمانيات".

(١٦) رفع النقاب ص٣٢٩ وذكره مختصراً باسم "الثمانيات".

(فهـرس الفهـارس)[1] وصـالح آل عثيمـين في (تسـهيل السـابلة)[2] والمرعشـلي في (معجـم المعاجم)[3] والطريقي في (معجم مصنفات الحنابلة)[4].

وهو جزء في الحديث من تخريجه لنفسه، فيه خمسة عشر حديثاً سمعه منه القبابي، قال الحافظ ابن حجر في (المشيخة الباسمة): "ثمانيات من رواية خراش عن أنس رضي الله – تعالى – عنه.

وخراش: أحد الكذابين لايفرح بعلو حديثه إلا من قصر نظره في هذا الفن، والله المستعان "[5].

٨- ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال ابن ناصر الدين في (الرد الوافر): "وترجم الشيخ تقي الدين بشيخ الإسلام فيما كتبه بخطه، وجمع في شمائله اللطيفة، ترجمة مؤنقة منيفة، إعلاماً بقدره وتنبيهاً، قال فيما وجدته بخطه فيها: حدثني غير واحد من الفضلاء ..."[6].

٩- التشوف.

ذكره ابن ناصر الدين في (النكت الأثرية)[7].

---

(١) فهرس الفهارس (٢/٩٢٦).

(٢) تسهيل السابلة (٢/١١٧١).

(٣) معجم المعاجم (١/ ٣٦، ٤٧٧) وذكره باسم "ثمانيات السرمري".

(٤) معجم مصنفات الحنابلة (٤/١٧٧) وذكره مختصراً باسم "الثمانيات".

(٥) نقله الدكتور عبدالرحمن العثيمين في مقدمة (اللؤلؤة) ص١٧٦.

(٦) الرد الوافر ص٢٣٢-٢٣٣ تحقيق: زهير الشاويش.

(٧) النكت الأثرية على الأحاديث الجزرية ص٤٤٨، تحقيق: مشعل بن باني المطيري، الطبعة الأولى ١٤٢٢، دار ابن حزم.

١٠- الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية.

ذكره ابن ناصر الدين في (الرد الوافر)[1] والمقريزي في (درر العقود الفريدة)[2] والزركلي في (الأعلام)[3] وكحالة في (معجم المؤلفين)[4] والكتاني في (فهرس الفهارس)[5] وبروكّلمان في (تاريخ الأدب العربي)[6] وصالح آل عثيمين في (تسهيل السابلة)[7] وبكر أبو زيد (المدخل المفصل)[8] والطريقي في (معجم مصنفات الحنابلة)[9].

وقد طبع عدة طبعات، فطبع في مقدمة (منهاج السنة النبوية) لشيخ الإسلام ابن تيمية في طبعتيه: الطبعة البولاقية، وطبعة الدكتور / محمد رشاد سالم، وطبع بتحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، وطبعه في مجمع البحوث الإسلامية بالهند سنة ١٤١٢.

وهي قصيدة يرد بها الإمام جمال الدين السرمري على التقي السبكي دفاعاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد احتوت قصيدة السبكي على ستة عشر بيتاً، وجاء رد السرمري في مائة واثنين وخمسين بيتاً[10]، بحيث أورد أبيات السبكي ضمن قصيدته ورد على كل بيت منها على حدة.

قال ابن ناصر الدين: "ومن مؤلفاته النظامية كتاب (الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب

---

(١) الرد الوافر ص٢٣٢.

(٢) درر العقود الفريدة (٥٥٨/٣)

(٣) الأعلام (٢٥١/٨).

(٤) معجم المؤلفين (٣٣٢/١٣).

(٥) فهرس الفهارس (٢٧٦/١).

(٦) تاريخ الأدب العربي (٢١/٧).

(٧) تسهيل السابلة (١١٧١/٢).

(٨) المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد (٩٩٢/٢).

(٩) معجم مصنفات الحنابلة (١٧٨/٤).

(١٠) وهم بروكّلمان في "تاريخ الأدب العربي" (٢١/٧) في عدة أبياتها فقال أنها في ١٤٩ بيتاً.

ابن تيمية)

معارضاً فرقة قد قال أمثلهم   إن الروافض قوم لاخلاق لهم

وقد أحسن في هذا الرد المقبول، وهدم تلك الأبيات بنظام المنقول، وجلال المعقول"[1].

١١- خصائص سيد العالمين وماله من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام.

وهو كتابنا هذا، وسيأتي – إن شاء الله تعالى – الكلام عليه.

١٢- ذكر الجراد وما في شأنه من الصلاح والفساد.

ذكره حاجي خليفة في (كشف الظنون)[2] والبغدادي في (هدية العارفين)[3] وصالح آل عثيمين في (تسهيل السابلة)[4] والطريقي في (معجم مصنفات الحنابلة)[5].

ولعل أصل هذا الكتاب هو المجلس الذي وضعه السرمري في الجراد، الذي أشار إليه ابن المبرد بقوله "وذكر السرمري بسند في المجلس الذي وضعه في الجراد ..."[6].

١٣- رفع الباس في حياة الخضر وإلياس.

ذكره ابن حميد في (السحب الوابلة)[7] والطريقي في (معجم مصنفات الحنابلة)[8].

---

(١) الرد الوافر ص٢٣٢.

(٢) كشف الظنون (١/٨٥٧).

(٣) هدية العارفين (٢/٥٥٨).

(٤) تسهيل السابلة (٢/١١٧١) وقد نقله باسم "رسالة في الجراد وما فيه من الصلاح والفساد".

(٥) معجم مصنفات الحنابلة (٤/١٧٨) وذكره باسم "رسالة في الجراد وما في شأنه من الصلاح والفساد".

(٦) محض الصواب لابن المبرد (٣/٩٦٧)، تحقيق عبدالعزيز الفريح، الطبعة الأولى ١٤٢٠، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة.

(٧) السحب الوابلة (٣/١١٨٣).

(٨) معجم مصنفات الحنابلة (٤/١٧٨).

١٤- الروضة المورقة في الترجمة المونقة.

ذكره ابن قاضي شهبة في (تاريخه)[١] والعليمي في (المنهج الأحمد)[٢] وابن العماد في (شذرات الذهب)[٣] وصالح آل عثيمين في (تسهيل السابلة)[٤] والطريقي في (معجم مصنفات الحنابلة)[٥].

وقد تقدم قول ابن حجي: "رأيت بخطه ماصورته: مؤلفاتي تزيد على مائة مصنف كبار وصغار في بضعة وعشرين علماً، ذكرتها على حروف المعجم في (الروضة المورقة في الترجمة المونقة) "[٦].

١٥- شرح اللؤلؤة في النحو.

ذكره بروكّلمان في (تاريخ الأدب العربي)[٧] والزركلي في (الأعلام)[٨] وكحالة في (معجم المؤلفين)[٩] والطريقي في (معجم مصنفات الحنابلة)[١٠]، وقد طبع عدة طبعات، فطبع سنة ١٩٨٨ بتحقيق الدكتور سعيد عرفة وسمّاها (الدرة البهية)، وطبع سنة ١٤١٢ بتحقيق الدكتور أمين عبدالله سالم وسمّاها: (اللؤلؤة في علم العربية وشرحها) وطبعه في مطبعة الأمانة بمصر، وقد حقق هذا الكتاب أيضاً إبراهيم حمد الدليمي في رسالة علمية لنيل درجة الماجستير بكلية

---

(١) تاريخ ابن قاضي شهبة (٤٧٦/٣).

(٢) المنهج الأحمد (١٤٤/٥).

(٣) شذرات الذهب (٤٣٠/٨).

(٤) تسهيل السابلة (١١٧١/٢).

(٥) معجم مصنفات الحنابلة (١٧٩/٤).

(٦) تاريخ ابن قاضي شهبة (٤٧٦/٣)، شذرات الذهب (٤٣٠/٨)، المنهج الأحمد (١٤٤/٥).

(٧) تاريخ الأدب العربي (٢١/٧).

(٨) الأعلام (٢٥١/٨) وذكره باسم "شرح اللؤلؤة في علم العربية".

(٩) معجم المؤلفين (٣٣٢/١٣).

(١٠) معجم مصنفات الحنابلة (١٨٢/٤) وذكره باسم "شرح اللؤلؤة في علم العربية".

الدراسات العليا في الجامعة الأردنية سنة ١٩٩٥م.

والكتاب هو شرح لمنظومته (اللؤلؤة) في النحو، بلغت أبياتها ١٦٣.

١٦- شفاء الآلام في طب أهل الإسلام.

ذكره ابن فهد في (لحظ الألحاظ)[١] وابن حميد في (السحب الوابلة)[٢] والبغدادي في (إيضاح المكنون)[٣] وفي (هدية العارفين)[٤] وابن ضويان في (رفع النقاب)[٥] والزركلي في (الأعلام)[٦] وكحالة في (معجم المؤلفين)[٧] والكتاني في (فهرس الفهارس)[٨] وبروكّلمان في (تاريخ الأدب العربي)[٩] وصالح آل عثيمين في (تسهيل السابلة)[١٠] وبكر أبو زيد في (المدخل المفصل)[١١] وصلاح الدين المنجد في (معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ)[١٢] والطريقي في (معجم مصنفات الحنابلة)[١٣].

قال ابن حميد[١٤] في (السحب الوابلة): "رأيت له كتاباً عجيباً في الطب سماه: (شفاء

(١) لحظ الألحاظ ص١٦١.

(٢) السحب الوابلة (١١٨٣/٣).

(٣) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (٤٩/٢)، تحقيق: رفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤) هدية العارفين (٥٥٨/٢).

(٥) رفع النقاب ص٣٢٩ وذكره باسم "شفاء السقام في طب أهل الإسلام".

(٦) الأعلام (٢٥١/٨).

(٧) معجم المؤلفين (٣٣٢/١٣).

(٨) فهرس الفهارس (٩٢٦/٢).

(٩) تاريخ الأدب العربي (٢١/٧).

(١٠) تسهيل السابلة (١١٧١/٢).

(١١) المدخل المفصل (٩٩٢/٢) وذكره باسم "شفاء السقام في طب أهل الإسلام".

(١٢) معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ ص٢٩٨، الطبعة الأولى ١٤٠٢، دار الكتاب الجديد، لبنان؛ وذكره باسم الأنام في طب أهل الإسلام".

(١٣) معجم مصنفات الحنابلة (١٧٩/٤-١٨٠).

(١٤) هو الشيخ محمد بن عبدالله بن حُميد النجدي ثم المكي الحنبلي، كان قد بلغ من العلم مبلغاً وشدا، وأَمَّ في المسجد

السقام في طب أهل الإسلام) جمع فيه بين الطب النبوي والطب المتعارف مجلد"[1]، عندي نسخة مصورة عن مكتبة جامعة الكويت برقم [٣١٥٠] في ٢٥٢ ق، وقد قرأت المخطوط فوجدته بحق كما وصفه ابن حميد رحمه الله.

١٧- شفاء القلوب في دواء الذنوب.

ذكره ابن حميد في (السحب الوابلة)[2] وابن ضويان في (رفع النقاب)[3] وصالح آل عثيمين في (تسهيل السابلة)[4] والطريقي في (معجم مصنفات الحنابلة)[5].

١٨- صلاح الأحكام وسلاح الحكام.

ذكره حاجي خليفة في (كشف الظنون)[6] والبغدادي في (هدية العارفين)[7] وكحالة في (معجم المؤلفين)[8] وصالح آل عثيمين في (تسهيل السابلة)[9] والطريقي في (معجم مصنفات الحنابلة)[10].

جمعه في قوله عليه الصلاة والسلام "بني الإسلام على خمس ..."[11].

الحرام وخطب ودرّس وأفتى، وألف في المذهب الحنبلي وحقق وأسند وأرخ، توفي سنة ١٢٩٥. انظر: مقدمة تحقيق "السحب الوابلة" ص٥، لبكر أبو زيد و د. عبدالرحمن العثيمين.

(١) السحب الوابلة (١١٨٣/٣).

(٢) السحب الوابلة (١١٨٣/٣).

(٣) رفع النقاب ص٣٢٩ وفي المطبوع "شقاء القلوب في دواء الذنوب" ولعله خطأ مطبعي.

(٤) تسهيل السابلة (١١٧٢/٢) ونقله باسم "شفاء القلوب من أدواء الذنوب".

(٥) معجم مصنفات الحنابلة (١٨٠/٤).

(٦) كشف الظنون (١٠٧٠/٢).

(٧) هدية العارفين (٥٥٨/٢).

(٨) معجم المؤلفين (٣٣٢/١٣).

(٩) تسهيل السابلة (١١٧١/٢).

(١٠) معجم مصنفات الحنابلة (١٨٠/٤).

(١١) كشف الظنون (١٠٧٠/٢).

١٩- عجائب الاتفاق وغرائب ماوقع في الآفاق.

ذكره ابن ناصر الدين في (التبيان)[١] والمقريزي في (درر العقود الفريدة)[٢] وابن حجر في (الدرر الكامنة)[٣] وفي (إنباء الغمر)[٤] وابن فهد في (لحظ الألحاظ)[٥] والعليمي في (المنهج الأحمد)[٦] وفي (الدر المنضد)[٧] وحاجي خليفة في (كشف الظنون)[٨] وابن العماد في (شذرات الذهب)[٩] وابن حميد في (السحب الوابلة)[١٠] والبغدادي في (هدية العارفين)[١١] وابن ضويان (رفع النقاب)[١٢] والزركلي في (الأعلام)[١٣] وصالح آل عثيمين في (تسهيل السابلة)[١٤] في (معجم مصنفات الحنابلة)[١٥].

وقد وقفت في فهرس مكتبة الاسكندرية على مخطوط باسم (عجائب الآفاق للسرمري) فراسلت المكتبة عن طريق مركز الملك فيصل طالباً منهم المخطوط، فأرسلوا لي خطاب اعتذار، ذكروا فيه أنه بعد المراجعة والفهرسة تبين أن هناك خطأ سابق في الفهرسة، وأن الكتاب غير متوفر لديهم، وفيما يلي صورة الخطاب:

---

(١) التبيان (٢/٣٢٠).

(٢) درر العقود الفريدة (٣/٥٥٨) وذكره مختصراً باسم "عجائب الاتفاق".

(٣) الدرر الكامنة (٦/٢٤٧) وذكره مختصراً باسم "عجائب الاتفاق".

(٤) إنباء الغمر (١/١٥٠) وذكره مختصراً باسم "عجائب الاتفاق".

(٥) لحظ الألحاظ ص١٦١.

(٦) المنهج الأحمد (٥/١٤٤).

(٧) الدر المنضد (٢/٥٥٥) وذكره مختصراً باسم "عجائب الاتفاق".

(٨) كشف الظنون (٢/١١٢٥).

(٩) شذرات الذهب (٨/٤٢٩).

(١٠) السحب الوابلة (٣/١١٨٢) ونقله مختصراً باسم "عجائب الاتفاق".

(١١) هدية العارفين (٢/٥٥٨).

(١٢) رفع النقاب ص٣٢٩ وذكره مختصراً باسم "عجائب الاتفاق".

(١٣) الأعلام (٨/٢٥١).

(١٤) تسهيل السابلة (٢/١١٧١).

(١٥) معجم مصنفات الحنابلة (٤/١٨٠) وذكره باسم "عجائب الاتفاق في غرائب ماوقع في الآفاق".

Bib Alex

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

خالد منصور المطلق

الإسكندرية في ٢٠ نوفمبر ٢٠١٢
MSS.11/15
M2/27/1

الأستاذ يحي محمود بن جنيد

الأمين العام

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

الرياض

المملكة العربية السعودية

تحية طيبة وبعد .. ،،

بالإشارة إلى خطاب سيادتكم الكريم المتضمن طلب تزويد مركزكم الموقر بصورة من مخطوطة (عجائب الآفاق) للسرمري رقم ٥١٢٣/ج جغرافيا، ٢٣٠٩/ب رحلات، نفيد سيادتكم أن هذه المخطوطة ليست هي عجائب الآفاق وإنما هي فريدة العجائب وفريدة الغرائب لابن الوردي (جزءان) وذلك بعد مراجعتها وفهرستها ولذلك نعتذر عن تزويدكم بهذه المخطوطة حيث أنها غير متوفرة لدينا.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام و التقدير،،

مع خالص تحياتي وتقديري

د. محمد سليمان

نائب مدير متحف المخطوطات

The Library of Alexandria مكتبة الإسكندرية
ص ب ١٣٨ الشاطبي، الإسكندرية ٢١٥٢٦، جمهورية مصر العربية
P.O. Box 138, Chatby, Alexandria 21526, EGYPT - Tel. +(203) 4839999 Fax: +(203) 4820450
E-mail: secretariat@bibalex.org Website: www.bibalex.org

٣٠- عقود اللآلي في الأمالي.

ذكره ابن ناصر الدين في (التبيان)[١] وابن حجر في (الدرر الكامنة)[٢] وفي (إنباء الغمر)[٣] وابن فهد في (لحظ الألحاظ)[٤] والعليمي في (المنهج الأحمد)[٥] وفي (الدر المنضد)[٦] وحاجي خليفة في (كشف الظنون)[٧] وابن العماد في (شذرات الذهب)[٨] وابن حميد في (السحب الوابلة) [٩] والبغدادي في (هدية العارفين)[١٠] وابن ضويان في (رفع النقاب)[١١] والزركلي في (الأعلام)[١٢] والكتاني في (فهرس الفهارس)[١٣] وصالح آل عثيمين في (تسهيل السابلة)[١٤] والطريقي في (معجم مصنفات الحنابلة)[١٥].

قال ابن ناصر الدين في (الرد الوافر): "وقال الإمام أبو مظفر السرمري في المجلس السابع والستين من (أماليه) في الذكر والحفظ: ومن عجائب ماوقع في الحفظ في أهل زماننا شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، فإنه كان يمر بالكتاب فيطالعه مرة فينقش في ذهنه فيذاكر به، وينقله في مصنفاته بلفظه ومعناه؛ ومن أعجب ماسمعته عنه ما حدثني به بعض أصحابه: أنه لما كان صبياً في بداية أمره، أراد والده أن يخرج بأولاده يوماً إلى البستان

---

(١) التبيان (٢/٣١٩).

(٢) الدرر الكامنة (٦/٢٤٧).

(٣) إنباء الغمر (١/١٥٠) وذكره باسم "عقد اللآلي في الآمالي".

(٤) لحظ الألحاظ ص١٦١ وذكره باسم "عنقود اللآلي في الأمالي".

(٥) المنهج الأحمد (٥/١٤٤).

(٦) الدر المنضد (٢/٥٥٥).

(٧) كشف الظنون (٢/١١٥٧).

(٨) شذرات الذهب (٨/٤٢٩).

(٩) السحب الوابلة (٣/١١٨٢).

(١٠) هدية العارفين (٢/٥٥٨).

(١١) رفع النقاب ص٣٢٩.

(١٢) الأعلام (٨/٢٥٠).

(١٣) فهرس الفهارس (٢/٩٦٢).

(١٤) تسهيل السابلة (٢/١١٧١).

(١٥) معجم مصنفات الحنابلة (٤/١٨٠-١٨١).

على سبيل التنزه.

فقال له: يا أحمد تخرج مع إخوتك تستريح، فاعتلّ عليه، فألح عليه والده، فامتنع أشد الإمتناع.

فقال: أشتهي أن تعفيني من الخروج، فتركه وخرج بإخوته، فظلوا يومهم في البستان، ورجعوا آخر النهار فقال: يا أحمد أوحشت إخوتك اليوم، وتكدّر عليهم، بسبب غيبتك عنهم فما هذا؟ فقال ياسيدي إنني اليوم حفظت هذا الكتاب، لكتاب معه، فقال: حفظته! ! كالمنكر المتعجب من قوله، فقال له: استعرضه عليّ، فاستعرضه، فإذا به قد حفظه جميعه، فأخذه وقبّله بين عينيه، وقال: يابني لاتخبر أحداً بما قد فعلت، خوفاً عليه من العين، أو كما قال"[1] وقد أيضاً أورد هذا القول عن السرمري مختصراً الشوكاني في (البدر الطالع)[2].

٢١- عمدة الدين في فضل الخلفاء الراشدين.

ذكره ابن ناصر الدين في (التبيان)[3] وابن فهد في (لحظ الألحاظ)[4] والزركلي في (الأعلام)[5] والكتاني في (فهرس الفهارس)[6] وصالح آل عثيمين في (تسهيل السابلة)[7] والطريقي في (معجم مصنفات الحنابلة)[8].

---

(١) الرد الوافر ص٢٣٤ – ٢٣٥.

(٢) البدر الطالع (١/٥٠).

(٣) التبيان (٢/٣١٩).

(٤) لحظ الألحاظ ص١٦١.

(٥) الأعلام (٨/٢٥٠- ٢٥١).

(٦) فهرس الفهارس (٢/٩٢٦).

(٧) تسهيل السابلة (٢/١١٧١).

(٨) معجم مصنفات الحنابلة (٤/١٨١).

٢٢- غيث السحابة في فضائل الصحابة.

ذكره ابن ناصر الدين في (التبيان)[١] والمقريزي في (درر العقود الفريدة)[٢] وابن حجر في (الدرر الكامنة)[٣] وفي (إنباء الغمر)[٤] والسخاوي في (وجيز الكلام)[٥] وابن فهد في (لحظ الألحاظ)[٦] والسيوطي في (بغية الوعاة)[٧] والعليمي في (المنهج الأحمد)[٨] وفي (الدر المنضد)[٩] وحاجي خليفة في (كشف الظنون)[١٠] وابن العماد في (شذرات الذهب)[١١] وابن حميد في (السحب الوابلة)[١٢] والبغدادي في (هدية العارفين)[١٣] وابن ضويان في (رفع النقاب)[١٤] في (الأعلام)[١٥] والكتاني في (فهرس الفهارس)[١٦] وصالح آل عثيمين في (تسهيل السابلة)[١٧] وصلاح الدين المنجد في (معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ)[١٨] والطريقي في (معجم مصنفات الحنابلة)[١٩].

---

(١) التبيان (٣١٩/٢).

(٢) درر العقود الفريدة (٥٥٨/٣)

(٣) الدرر الكامنة (٢٤٧/٦).

(٤) إنباء الغمر (١٥٠/١).

(٥) وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام (٢١٠/١).

(٦) لحظ الألحاظ ص١٦١.

(٧) بغية الوعاة (٣٦٠/٢).

(٨) المنهج الأحمد (١٤٤/٥).

(٩) الدر المنضد (٥٥٥/٢).

(١٠) كشف الظنون (١٢١٣/٢).

(١١) شذرات الذهب (٤٢٩/٨).

(١٢) السحب الوابلة (١١٨٢/٣) ونقله باسم "غيث السحابة في فضائل الصحابة".

(١٣) هدية العارفين (٥٥٨/٢).

(١٤) رفع النقاب ص٣٢٩.

(١٥) الأعلام (٢٥٠/٨).

(١٦) فهرس الفهارس (٩٢٦/٢).

(١٧) تسهيل السابلة (١١٧١/٢).

(١٨) معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ ص١٥١ وذكره باسم "غيث السحابة في فضائل الصحابة".

(١٩) معجم مصنفات الحنابلة (١٨١/٤).

٢٣- "الفوائد السرمرية من المشيخة البدرية"، أو "مشيخة ابن الجوخي".

ذكره ابن رجب في (المنتقى من معجم شيوخ أحمد بن رجب الحنبلي)[١] وابن قاضي شهبة في (تاريخه)[٢] وابن حجر في (الدرر الكامنة)[٣] والكتاني في (فهرس الفهارس)[٤] وبروكّلمان في (تاريخ الأدب العربي)[٥] والزركلي في (الأعلام)[٦] وصالح آل عثيمين في (تسهيل السابلة)[٧] والمرعشلي في (معجم المعاجم)[٨] والطريقي في (معجم مصنفات الحنابلة)[٩].

قال الكتاني: "خرجها الحافظ الرحال أبو مظفر يوسف بن محمد بن مسعود السرمري نزيل دمشق وبه مات، من مرويات الشيخ الحافظ بدر الدين أحمد بن محمد المعروف بابن الجوخي، فرغ منها مخرجها سنة ٧٥٧، وهي في نحو عشر كراريس، عندي منها نسخة عتيقة مسموعة على جماعة من المسندين، منهم البرهان بن أبي شريف وغيره؛ ترجم فيها ستة وأربعين شيخاً ... وقد افتتحها مخرجها بحديث الأولية، وختمها بقصيدة ميمية نبوية حلوة سلسة على نسق (غرامي صحيح) وهي للمخرج المذكور، قال: وقلت أمدح النبي صلى الله عليه وسلم على لسان أهل الحديث، وما اصطلحوا عليه من العبارات، ورتبت ذلك على فصول منظومي (المعسول في علوم حديث الرسول) "[١٠].

---

(١) المنتقى من معجم شيوخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن رجب الحنبلي ص١٤٤.

(٢) تاريخ ابن قاضي شهبة (٣/٢٥٥).

(٣) الدرر الكامنة (١/٢٥٠).

(٤) فهرس الفهارس (٢ / ٩٢٥ – ٩٢٦).

(٥) تاريخ الأدب العربي (٧/٢١).

(٦) الأعلام (٨/٢٥٠) وذكره مختصراً باسم "الفوائد السرمرية".

(٧) تسهيل السابلة (٢/١١٧١) ونقله مختصراً كما ذكر الزركلي في "الأعلام".

(٨) معجم المعاجم (١/ ٤٦٤، ٤٧٧).

(٩) معجم مصنفات الحنابلة (٤/١٨٢).

(١٠) فهرس الفهارس (٢/٩٢٥ – ٩٢٦).

٢٤- فوائد مخرجة عن شيوخ العدل الأمين الثقة بقية السلف جمال الخلف شمس الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالعزيز بن علي ابن المؤذن الوراق البغدادي.

ذكره المرعشلي في (معجم المعاجم)[1] وهو مخطوط في الظاهرية، المجموع ٥٢/٧، في ٩ ق (٨٥-٩٣)[2]، عندي نسخة مصورة عنه، يقول فيه: "فإني وقفت على إجازة بيد شيخنا العدل الأمين الثقة بقية السلف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن علي الوراق الدارقزي، بلغه الله أمله وختم بالصالحات عمله، فيها أسماء جماعة من المشايخ الصلحاء، قد أجازوا له فيها، وتحريرها في يوم الجمعة سابع عشر من شوال سنة ثمان وستين وست مائة، فأحببت أن أخرج له عن كل شيخ منهم شيئًا من مروياته، لتحصل فائدة هذه الإجازة المباركة لمن تصل إليه، وأن أذكر ما وقع إلي من مواليدهم ووفياتهم، وبالله التوفيق، نرتبهم على نسق حروف المعجم، وخرجت عن كل واحد حديثين في مكان واحد لتسهيله للطلبة"[3].

٢٥- كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون.

وقد طبع سنة ١٤٢٤ بتحقيق شوكت بن رفقي بن شوكت، وطبعه في دار الأثرية بعَمان، ودار المحبة بدمشق.

وقد جمع رسالة ذكر فيها الأحاديث الواردة في الطاعون، وبين كيف العمل عند وقوعه وحلوله، وعمل على التنبيه على مسائل أخرى مهمة مثل: العدوى والطيرة، والرضا بالقضاء

---

(١) معجم المعاجم (١/ ٤٥٤، ٤٧٧) وذكره مختصراً باسم "فوائد مخرجة عن شيوخ شمس الدين الوراق"، وذكر له أيضاً اسماً آخر وهو "معجم محمد بن عبدالعزيز ابن المؤذن الوراق".

(٢) انظر: الفهرس الشامل (١٢١٦/٢).

(٣) فوائد مخرجة عن شيوخ شمس الدين الوراق (مخطوط) ورقة: ٨٥ أ.

والتسليم لأمر الله تعالى، إلى غير ذلك[1].

٣٦- الكلم الطيب والعمل الصالح.

ذكره السرمري في كتابه (إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة) في كتاب الأدب في فصل الإحسان إلى اليتامى والمساكين وغيرهم فقال: "وقد استوفينا الكلام في هذا الباب في آخر كتاب (الكلم الطيب والعمل الصالح) فمن أراد الزيادة فليطالعه، ففيه الكفاية إن شاء الله"[2].

٣٧- مسلسلات السرمري.

ذكرها المرعشلي في (معجم المعاجم)[3]، وقال: "ذكرها النجم ابن فهد في (معجمه) ص١٤٢".

٣٨- مشيخة ابن السلار.

ذكرها ابن حجر في (الدرر الكامنة)[4] وفي (إنباء الغمر)[5] والمرعشلي في (معجم المعاجم)[6].

خرجها من مرويات الإمام المقرئ أمين الدين أبو محمد عبدالوهاب بن يوسف بن إبراهيم ابن السلار الشافعي، توفي سنة ٧٨٢[7].

---

(١) انظر: مقدمة تحقيق (كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون) ص٩، شوكت بن رفقي بن شوكت.

(٢) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة ص٦٥٨، تحقيق أبو عبدالله حسين عكاشة.

(٣) معجم المعاجم (٤٧٧/١).

(٤) الدرر الكامنة (٤٣١/٢).

(٥) إنباء الغمر (٢٥٥/١).

(٦) معجم المعاجم (١/ ٤٧٧، ٤٨٣).

(٧) الأعلام (١٨٦/٤).

٢٩- مشيخة ابن الكسار.

ذكرها ابن حجر في (الدرر الكامنة)[1] والمرعشلي في (معجم المعاجم)[2]. خرجها من مرويات القاضي قوام الدين صالح بن أحمد بن الأنجب ابن الكسار الواسطي المقرئ، توفي سنة ٧٤٤[3].

٣٠- مشيخة محيي الدين أبي نصر محمد بن شرف الدين أحمد العباسي.

ذكرها الكتاني في (فهرس الفهارس) وقال: "وهي في كراسة أرويها بالسند إلى القبابي عن يوسف السرمري الحافظ بقراءته على المخرجة له، وهي عندي في كراسة عليها سماعات وإجازات"[4].

٣١- المعسول في علوم حديث الرسول.

نقل الكتاني في (فهرس الفهارس) عن السرمري أنه قال في آخر (الفوائد السرمرية): "وقلت أمدح النبي ﷺ على لسان أهل الحديث، وما اصطلحوا عليه من العبارات، ورتبت ذلك على فصول منظومي (المعسول في علوم حديث الرسول) "[5]، ولعله هو (نظم "التقريب أو الغريب" في علوم الحديث) الآتي، والله أعلم.

٣٢- المقدمة اللؤلؤة في النحو.

ذكره الطريقي في (معجم مصنفات الحنابلة)[6].

---

(١) الدرر الكامنة (٢/١٩٩).

(٢) معجم المعاجم (١/ ٤٣٨، ٤٧٧).

(٣) معجم المعاجم (١/٤٣٨).

(٤) فهرس الفهارس (٢/٦٢٨- ٦٢٩).

(٥) فهرس الفهارس (٢/٩٢٦).

(٦) معجم مصنفات الحنابلة (٤/١٨٢) وذكره باسم "اللؤلؤة في علم العربية".

وقد طبع سنة ١٤١٠ بتحقيق الدكتور عبدالرحمن بن سليمان العثيمين وصدر عن مكتبة الخانجي بالقاهرة، وطبع سنة ١٤١٢ بتحقيق الدكتور أمين عبدالله سالم وسمّاها: (اللؤلؤة في علم العربية) وطبعه في مطبعة الأمانة بمصر.

وهي منظومة على بحر البسيط، وقافية اللام المطلقة المفتوحة، نظم فيها المهم من قواعد النحو في (١٦٢) بيتاً وجعلها للمبتدئين في هذا الفن[1].

٣٣- المولد الكبير للبشير النذير ﷺ.

له نسخة مصورة في جامعة الملك سعود بالرياض عن المكتبة الأحمدية بحلب/٣٠٨، برقم حفظ (٢/٨٨٣م ص)، وعدد أوراقها: ١٦ ورقة، وقد ذُكِر في صفحة العنوان: "المولد الكبير للبشير النذير صلى الله عليه وسلم تأليف الشيخ الإمام العالم العامل المحدث الداعي إلى السنة الكريمة جمال الدين يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد بن علي بن إبراهيم العُقيلي الحنبلي المذهب السرمري المولد والدار ثم البغدادي نزيل دمشق مولده سنة ست وتسعين وستمائة رحمه الله تعالى وجزاه خير الجزاء"، والنسخة مصححة ومقابلة؛ وقد ذكر فيها الإمام جمال الدين السرمري حكم الاحتفال بالمولد النبوي فقال بعد حكايته للخلاف في أيّ شهر ولد وفيما مضى من الشهر فقال : "وفي هذا الخلاف ما يدل على أن السلف لم يكونوا يجعلون ذلك موسماً للاجتماع والولائم والاحتفال في صُنع الأطعمة والأشربة والسماعات إذ السلف كانوا أعظم الناس توقيراً ومحبة وتعظيماً للنبي ﷺ وأحرص الخلق على نشر محاسنه فلو كان يوم مولده عندهم موسماً لتوفّرت هِمَمُهم على حفظه ولم يكن عندهم ولا عند غيرهم فيه خلافٌ ولاتفقوا عليه كما اتفقوا على يومي العيدين وأيام التشريق ويوم عرفة ويوم عاشوراء وليلة النصف من شعبان ونحو ذلك فإن هذه أيام مواسم الأعمال الصالحات مشروعةً منقولةً محفوظة، فلو كان المولد مثلها لحفظ كما حفظت، ولكن الاجتماع على قراءة القرآن ونشر معجزات النبي ﷺ

---

(١) انظر: مقدمة تحقيق (المقدمة اللؤلؤة في النحو) ص١٧٩، د. عبدالرحمن العثيمين.

وذكر أخلاقه وآدابه والتعريف لحقوقه وامتثال أوامره والوقوف لزواجره وتعليم سننه مستحب في كل وقت بل واجب ..."[1]

٣٤- نتيجة الفكر في الجهر بالذكر.

ذكر ابن حميد (السحب الوابلة)[2] وابن ضويان في (رفع النقاب)[3] وصالح آل عثيمين في (تسهيل السابلة)[4] والطريقي في (معجم مصنفات الحنابلة)[5].

٣٥- نشر القلب الميت بفضل أهل البيت.

ذكره ابن ناصر الدين في (التبيان)[6] والمقريزي في (درر العقود الفريدة)[7] وابن حجر في (الدرر الكامنة)[8] وفي (إنباء الغمر)[9] والسخاوي في (وجيز الكلام)[10] وابن فهد في (لحظ الألحاظ)[11] والعليمي في (المنهج الأحمد)[12] وفي (الدر المنضد)[13] وابن العماد في وابن حميد في (السحب الوابلة)[15] والبغدادي في (هدية العارفين)[1] وفي (إيضاح المكنون)[2]

---

(١) المولد الكبير للبشير النذير ﷺ (مخطوط) ورقة: ١٠ ب.

(٢) السحب الوابلة (١١٨٣/٣).

(٣) رفع النقاب ص٣٢٩ وفي المطبوع "نتيجة الفكر في الخيم بالذكر".

(٤) تسهيل السابلة (١١٧٢/٢).

(٥) معجم مصنفات الحنابلة (١٨٢/٤).

(٦) التبيان (٣١٩/٢) وقد ذكره باسم "نشر القلب الميت بنشر فضل أهل البيت".

(٧) درر العقود الفريدة (٥٥٨/٣)

(٨) الدرر الكامنة (٢٤٧/٦).

(٩) إنباء الغمر (١٥٠/١).

(١٠) وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام (٢١٠/١).

(١١) لحظ الألحاظ ص١٦١ وذكره باسم "نشر القلب الميت بنشر فضل أهل البيت".

(١٢) المنهج الأحمد (١٤٤/٥).

(١٣) الدر المنضد (٥٥٥/٢).

(١٤) شذرات الذهب (٤٢٩/٨).

(١٥) السحب الوابلة (١١٨٢/٣) ونقله باسم "بشرى القلب الميت بفضائل أهل البيت".

وابن ضويان في (رفع النقاب)[3] والزركلي في (الأعلام)[4] والكتاني في (فهرس الفهارس)[5] وصالح آل عثيمين في (تسهيل السابلة)[6] والطريقي في (معجم مصنفات الحنابلة)[7].

٣٦- نظم (الغريب أو التقريب) في علوم الحديث.

وقد تقدم الكلام عنه[8].

٣٧- "نظم مختصر ابن رزين" في الفقه.

ذكره ابن قاضي شهبة في (تاريخه)[9] والعليمي في (المنهج الأحمد)[10] وفي (الدر ...)[11] وابن العماد في (الشذرات)[12] والزركلي في (الأعلام)[13] وصالح آل عثيمين في (تسهيل السابلة)[14] وبكر أبو زيد في (المدخل المفصل)[15] والطريقي في (معجم مصنفات الحنابلة)[16].

---

(١) هدية العارفين (٥٥٨/٢).

(٢) إيضاح المكنون (٥٤٣/١).

(٣) رفع النقاب ص٣٢٩ وفي المطبوع "سرى القلب الميت بفضائل البيت".

(٤) الأعلام (٢٥١/٨).

(٥) فهرس الفهارس (٩٢٦/٢) وذكره باسم "نشر القلب الميت بنشر فضائل أهل البيت".

(٦) تسهيل السابلة (١١٧١/٢) وقد نقله باسم "نشر القلب الميت بنشر فضل أهل البيت".

(٧) معجم مصنفات الحنابلة (١٨٣/٤).

(٨) انظر: ص٣٣.

(٩) تاريخ ابن قاضي شهبة (٤٧٦/٣).

(١٠) المنهج الأحمد (١٤٤/٥).

(١١) الدر المنضد (٥٥٥/٢).

(١٢) شذرات الذهب (٤٢٩/٨).

(١٣) الأعلام (٢٥١/٨).

(١٤) تسهيل السابلة (١١٧١/٢).

(١٥) المدخل المفصل (٦٩٧/٢، ٩٩٢).

(١٦) معجم مصنفات الحنابلة (١٨٣/٤).

٣٨- نهج الرشاد في نظم الاعتقاد.

ذكرها البغدادي في (هدية العارفين)[١] والزركلي في (الأعلام)[٢] وبروكّلمان في (تاريخ الأدب العربي)[٣] وكحالة في (معجم المؤلفين)[٤] وصالح آل عثيمين في (تسهيل السابلة)[٥] والطريقي (معجم مصنفات الحنابلة)[٦].

وقد طبعت في العدد الأول من مجلة جامعة صدام للعلوم الإسلامية- بغداد ١٩٩٣ — بتحقيق: هلال ناجي، وطبعت أيضاً بتحقيق مطلق بن جاسر الجاسر وطبعها في دار التواصل بالكويت سنة ١٤٣٠.

وهي منظومة في عقيدة أهل السنة والجماعة، عدد أبياتها ١٥١ بيتاً[٧]، قد حوت درراً ثمينة وجواهر نفيسة، مع عذوبة في النظم وجزالة في المعاني[٨]، أورد فيها عقيدة أهل السنة في (أسماء الله وصفاته، وكتاب الله، والقضاء والقدر، و المحرمات، والتعامل مع ولاة الأمر، واليوم الآخر، والإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، والصحابة الكرام ﷺ).

---

(١) هدية العارفين (٢/٥٥٨).

(٢) الأعلام (٨/٢٥١).

(٣) تاريخ الأدب العربي (٧/٢١).

(٤) معجم المؤلفين (١٣/٣٣٢).

(٥) تسهيل السابلة (٢/١١٧١).

(٦) معجم مصنفات الحنابلة (٤/١٨٤).

(٧) وهم البغدادي في "هدية العارفين" (٢/٥٥٨) في عدة أبياتها فقال أنها في ثلاثمائة بيت، وهذا خلاف مانص عليه السرمري في آخر المنظومة فقال: وأبياتها خمسون مع مائة لها سنا البدر مع صوب الغمام على البذر؛ إلا إن قصد البغدادي بالبيت الشطر، فهذا صحيح فإن عدد أشطر المنظومة ٣٠٢.

(٨) انظر: مقدمة تحقيق (نهج الرشاد في نظم الاعتقاد) ص٥، لمطلق الجاسر.

الفصل الثاني
منهج جمال الدين السرمري في التلقي والاستدلال

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مصادر جمال الدين السرمري في التلقي.

المبحث الثاني: منهجه في الاستدلال.

المبحث الأول
مصادر جمال الدين السرمري في التلقي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القرآن الكريم.

المطلب الثاني: السنة النبوية.

المطلب الثالث: أقوال السلف في فهم الكتاب والسنة.

المطلب الأول: القرآن الكريم:

اعتمد جمال الدين السرمري رحمه الله في تلقي العقيدة اعتماداً مباشراً على كتاب الله سبحانه وتعالى، ومن تتبع مؤلفاته رحمه الله وجدها تزخر بالنصوص القرآنية، فهو يعتبر القرآن أول المصادر التي تُتلقى منها مسائل العقيدة.

يقول رحمه الله في معرض كلامه عن الأدلة الشرعية:

"إذا سألوه عن دليل مقاله أجاب بقول الله في محكم الذكرِ

وإن يستزيدوا قال: قال محمد وإن يستزيدوا قال: قال أبو بكرِ"(١)

ويعتبر أن كتاب الله هو الصراط المستقيم الذي لاتزيغ به الأهواء، قال رحمه الله: "فإن المنهل الصافي من الكدر، والمنهج الآمِنَ من الخطر، منهج الوحي المحفوظ بالتنزيل، ومنهج الرسول المحروس من التبديل"(٢).

والقارئ لكتب السرمري رحمه الله يجد أنه غالباً مايصدر الأدلة من القرآن الكريم، وهذا المنهج تجده واضحاً عند القراءة في كتبه، وانظر على سبيل المثال: كتابه (إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة) فقد تميز كتابه هذا عن كثير من كتب أدلة الأحكام أن مؤلفه جعل من منهجه أن يستفتح أبواب الكتاب بذكر الآيات القرآنية المتعلقة بالأحكام الشرعية، قال جمال الدين السرمري في مقدمته: "وافتتحت كل باب بآيةٍ فصاعداً من الكتاب العزيز تتعلق بأحكامه، وتشهد بتهذيبه وإحكامه"(٣)، فجعل معقد الترجيح فيه كلام الله وكلام رسوله ﷺ، فكفى الطالب "كلفة ترجيح أحد أقوال العلماء، والانتصار لفلان وفلانٍ من الفقهاء، فيقول: قال الله وقال الرسول، وناهيك بما في ذلك من إدراك السؤال"(٤).

---

(١) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٢٨.

(٢) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٧١.

(٣) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٧١.

(٤) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٧١.

وهذا المنهج من السرمري رحمه الله هو منهج السلف الصالح الذين يسلمون لنصوص القرآن الكريم تسليماً مطلقاً فلا يحرفون منها شيء، ولا يعارضونها بشيء، لا بعقل، ولا وجد ولاغير ذلك، يمتثلون قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحُجُرات: ١].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى: من الآية ١٠]

وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].

وقول النبي ﷺ: «يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، كتاب الله وسنتي»(٥)، وغيرها من النصوص التي يضيق المقام عن حصرها.

قال الإمام أحمد رحمه الله: "لست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا، إلا ما كان في كتاب الله، أو حديث عن النبي ﷺ، أو عن أصحابه، أو عن التابعين، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود"(٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان منهج السلف في ذلك: "وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه، ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات، والآيات البينات أن

---

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (٢/٨٩٩)، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، ح١٥٩٤.

(٦) سير أعلام النبلاء (١١/٢٨٦).

الرسول ﷺ جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم ... فكان القرآن هو الإمام الذي يقتدى به، ولهذا لايوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس، ولا بذوق ووجد ومكاشفة"[٧].

وقال أيضاً: "فكل ما يحتاج الناس إلى معرفته واعتقاده والتصديق به من هذه المسائل فقد بينه الله ورسوله بياناً شافياً قاطعاً للعذر ... وإنما يظن عدم اشتمال الكتاب والحكمة على بيان ذلك من كان ناقصاً في عقله وسمعه، ومن له نصيب من قول أهل النار الذين قالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: من الآية ١٠]"[٨].

وقال ابن أبي العز: "وكيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنة، وإنما يتلقاه من قول فلان ... ومن يتكلم برأيه وما يظنه من دين الله ولم يتلق ذلك من الكتاب والسنة، فهو مأثوم وإن أصاب، ومن أخذ من الكتاب والسنة فهو مأجور وإن أخطأ، لكن إن أصاب يضاعف أجره"[٩].

---

(٧) مجموع الفتاوى (١٣/٢٨-٢٩).

(٨) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٧-٢٨)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١.

(٩) شرح العقيدة الطحاوية، ص١١٥.

المطلب الثاني: السنة النبوية:

تمهيد: تعريف السنة:

السنة في اللغة: هي الطريقة والسيرة حسنة كانت أو قبيحة(١٠)، ومنه قوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٧]، ومنه قوله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»(١١)، ومنه أيضاً قول خالد بن عتبة الهذلي:

"فلا تجْزَعَنْ من سيرةٍ أنت سرتها فأول راضٍ سنة من يسيرها"(١٢)

أما في الاصطلاح: فتطلق على عدة معانٍ، بحسب اختلاف أغراض مستعمليها، والذي يهمنا هنا هو اصطلاح الأصوليين والمحدثين:

فالسنة عند الأصوليين هي: ما صدر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي(١٣).

أما عند المحدثين فهي: كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية

---

(١٠) انظر: لسان العرب (١٣/٢٢٠)، الطبعة الأولى، دار الصادر، بيروت.

(١١) أخرجه مسلم (٢/٧٠٥)، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، ح١٠١٧.

(١٢) لسان العرب (١٣/٢٢٠).

(١٣) انظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/٢٢٣)، تحقيق: د. سيد الجميلي، الطبعة الأولى ١٤٠٤، دار الكتاب العربي، بيروت؛ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني (١/٩٥)، تحقيق: أحمد عزو عناية، الطبعة الأولى ١٤١٩، دار الكتاب العربي؛ السنة قبل التدوين ص ١٦، لمحمد عجاج الخطيب، الطبعة الثانية ١٤٠٨، مكتبة وهبة، مصر.

أو خُلقية أو سيرة سواء أكان ذلك قبل البعثة كتحنثه في غار حراء أم بعدها[١٤].

والسنة بهذا التعريف هي المقصودة هنا في هذا المطلب، أما قبل النبوة فيستفاد منها في دلائل النبوة ونحوها، وأما بعد النبوة فالأمر فيها ظاهر.

السنة النبوية مصدر تلقي عند جمال الدين السرمري:

اعتمد جمال الدين السرمري رحمه الله على سنة النبي ﷺ في تلقي مسائل العقيدة، لأنها وحي من عند الله، وهي مخبرة عن القرآن الكريم ومبينة له، ومن محاسن كلام جمال الدين السرمري رحمه الله قوله: "فعليك باتباع الأخبار النبوية، والإعراض عن الآراء الجاهلية، فإنه متى بدرت فرسان النصوص في ميدان البحث، تنكست حينئذ رايات الرأي على وجه الثرى، وفرت صناديد الجدل لوجوهها ذُللاً لهيبة من يَرى ولا يُرى[١٥]"[١٦].

وقال أيضاً في بيان أن السنة هي الصراط المستقيم التي لا تزيغ بها الأهواء: " فإن المنهل الصافي من الكدر، والمنهج الآمِنَ من الخطر، منهج الوحي المحفوظ بالتنزيل، ومنهج الرسول المحروس من التبديل"[١٧].

والقارئ لكتب السرمري رحمه الله يجد أنه غالباً مايصدر الأدلة من السنة النبوية، حتى كتبه المؤلفة في الطب والعربية وغيرها كان استشهاده بالحديث النبوي كثيراً، وانظر على سبيل المثال: كتابه (شرح اللؤلؤة في النحو) تقف عليه تارة يذكر سند الحديث توثيقاً: "عن ابن منية عن ابن

---

(١٤) السنة قبل التدوين ص ١٦.

(١٥) أي في الدنيا بعينه سوى النبي ﷺ، يدل على ذلك إثبات السرمري للرؤية في الآخرة في منظومته (نهج الرشاد في نظم الاعتقاد ص٣٨) بقوله:

ولا يُمتَـرى في رؤيـة الله ربِّـنـا وهل يُمترى في الشمس في ساعة الظهر؛ وسيأتي -إن شاء الله- ذكر السرمري للخلاف في مسألة رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا في كتابه: "خصائص سيد العالمين"

(١٦) كتاب فيه ذكر الوباء والطاعنون، ص٨٣-٨٤.

(١٧) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٧١.

أبي نجيح عن مجاهد ...".

وتارة يعنى فيه بذكر الروايات الأخرى للحديث -إن كانت تحمل شاهداً لما هو بسبيله - كقوله: "ومنها في حديث الملاعنة: إن جاءت به أحيمر، وفي رواية: أديعج".

ولربما نص على الروايات الواردة في الحديث - وإن لم يختلف عليها شاهد -كقوله: "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع، وفي رواية بحمد الله، وفي رواية: فهو أجذم"

وتتجلى علاقته بالحديث النبوي وقربه منه وعنايته به في الكشف عن درجة الحديث ومصدره من مثل قوله: "... حديث حسن رواه أبو داود وابن ماجة في سننهما"، أو: "... متفق عليه"، أو: "... حديث صحيح"، أو: "... أخرجه مسلم في صحيحه"، أو: "... كذا بخطه في غير موضع من مسند الإمام أحمد بن حنبل"[١٨].

هذا والكتاب مصنف في العربية فكيف بك لو قرأت كتبه في المقاصد، والسرمري -كما سبق في ترجمته- حافظٌ، ومؤلفٌ في علوم السنة، وناظمٌ ما يتعلق بها من تآليف.

وهذا الاعتصام من السرمري بالسنة النبوية هو المنهج الذي سار عليه السلف الصالح - رحمهم الله - فكانوا معتصمين بالسنة، بها يحتجون وإليها يتحاكمون، ولم يعترضوا على ما جاء فيها، وليس لقول أحد منهم كائناً من كان تقديم بين يديها، ملتزمين قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحُجُرات: ١] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: من الآية ٧]

قال الشافعي رحمه الله في بيان منهج السلف في الاعتصام بالسنة: "ولا أعلم من الصحابة ولا من التابعين أحداً أخبر عن رسول الله ﷺ إلا قبل خبره وانتهى إليه، وأثبت ذلك سنة ...

(١٨) انظر: مقدمة تحقيق "اللؤلؤة في علم العربية وشرحها" ص١٩-٢٠، د. أمين عبدالله سالم، الطبعة الأولى ١٤١٢، مطبعة الأمانة، مصر.

كلهم يثبت الأخبار ويجعلها سنة، يحمد من تبعها، ويعاب من خالفها، فمن فارق هذا المذهب كان عندنا مفارق سبيل أصحاب رسول الله ﷺ، وأهل العلم بعدهم إلى اليوم، وكان من أهل الجهالة"(١٩).

وقال ابن بطة: "فإذا سمع أحدكم حديثاً عن رسول الله ﷺ رواه العلماء، واحتج به الأئمة العقلاء، فلا يعارضه برأيه وهوى نفسه، فيصيبه ما توعّده الله ﷻ به، فإنه قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: من الآية ٦٣]، وهل تدري ما الفتنة ههنا؟ هي والله الشرك بالله العظيم، والكفر بعد الإيمان، فإن الله ﷻ قال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: من الآية ١٩٣]، يقول: حتى لا يكون شرك، فإنه قال تعالى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: من الآية ١٩١] يقول: الشرك بالله أشد من قتلكم لهم ..."(٢٠).

وقال ابن أبي العز رحمه الله: "فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولاً، أو نُحمِّله شبهةً أو شكاً، أو نُقدم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم، فنوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما نوحد المرسِل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل"(٢١).

---

(١٩) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للإمام السيوطي ص٣٤-٣٥، الطبعة الثالثة ١٣٩٩، الجامعة الإسلامية، المدينة.

(٢٠) منهج الإمام ابن بطة في تقرير عقيدة السلف والرد على أهل الأهواء والبدع (٣٩/١)، رسالة دكتوراه (مخطوط)، لحمد بن عبدالمحسن التويجري، كلية أصول الدين بالرياض، ١٤١٧.

(٢١) شرح العقيدة الطحاوية ص١٦٦، تحقيق: أحمد شاكر، ١٤١٨، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

المطلب الثالث: أقوال السلف في فهم الكتاب والسنة:

تمهيد:

إن صحة الفهم ركيزة رئيسة لصحة التلقي، ولا يستطيع المرء أن يعرف مراد الله عز وجل، ومراد رسوله ﷺ إلا حينما يستقيم فهمه لدلائل الكتاب والسنة، وكثير من البدع والضلالات إنما حدثت بسبب غلط الفهم.

قال ابن القيم رحمه الله: "صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما أمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم وهم أهل الصراط المستقيم الذين أُمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة"(٢٢).

وإن الرجوع إلى فهم السلف وأقوالهم وتفسيراتهم لنصوص القرآن والسنة متعين قطعاً في أمور الدين عامة، وفي نصوص العقيدة بصفة خاصة.

فالصحابة هم خير القرون وأفضلها، ولا شك أن هذه الخيرية متمثلة في كمال العلم وتمام الفهم لما ورد عن الله ورسوله ﷺ، وقد حصل لهم ذلك لفضل صحبتهم، وكثرة ملازمتهم لرسول الله ﷺ.

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبه نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"(٢٣).

---

(٢٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٨٧/١)، تحقيق: طه عبدالرؤف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣.

(٢٣) جامع بيان العلم وفضله (١٩٨/٢)، لأبي عمر بن عبدالبر، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤٢٤،

اعتصام جمال الدين السرمري بفهم السلف:

قد اعتمد جمال الدين السرمري رحمه الله في تلقي العقيدة اعتماداً مباشراً على فهم سلف الأمة، فهو يعتبر السنة والصراط المستقيم هو ما كان عليه النبي ﷺ والسلف الصالح، قال رحمه الله في عقيدته:

"وما السنة البيضاء إلا التي قضى عليها رسول الله مع صحبه الغُرِّ
وتَابِعُهُم فيها بإحسانٍ الأُلى رضوا ورضي عنهم بها عَالِمُ السِّرِّ
وإنِّي على ما مات عنه محمد وأصحابه والتابعون إلى حشري"[٢٤].

وقال رحمه الله في معرض كلامه عن الأدلة الشرعية:

"إذا سألوه عن دليل مقاله أجاب بقول الله في محكم الذكرِ
وإن يستزيدوا قال: قال محمد وإن يستزيدوا قال: قال أبو بكرِ"[٢٥].

والمتتبع لمؤلفات السرمري رحمه الله يجد السمة الواضحة والعلامة البارزة هي أثريَّة آرائه، حتى قال عنه القِذِّيف الشَّغَّاب زاهد الكوثري[٢٦]: "وكان صاحب الترجمة -يعني الإمام السرمري- بعيداً عن علم الكلام وأصول الدين منصرفاً إلى مجالس الرواة يسير وراء ابن تيمية في شواذه حذو النعل بالنعل كغالب مقلدة الرواة من أهل زمنه ..."[٢٧].

وكان جمال الدين السرمري رحمه الله حريصاً على تتبع منهج السلف حتى في طرائقهم في التأليف، قال رحمه الله "وافتتحته بكتاب الإيمان والسنة اتباعاً لطريقة السلف، وترغيباً لمن

مؤسسة الريان-دار ابن حزم.

(٢٤) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣٠.

(٢٥) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٢٨.

(٢٦) سبق الحديث عنه ، انظر هامش ص٤٠ .

(٢٧) انظر: هامش (لحظ الألحاظ) ص١٦١.

بعدهم في اتباعهم من الخلف"[٢٨]، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض كلامه عن أن أول الواجبات هو الإيمان لا النظر: "وتقرير الحجة في القرآن بالرسل كثير ... ولهذا كان طائفة من المصنفين للسنن على الأبواب، إذا جمعوا فيها أصناف العلم، ابتدءوها بأصل العلم والإيمان، كما ابتدأ (البخاري صحيحه) ببدء الوحي ونزوله، فأخبر عن صفة نزول العلم والإيمان على الرسول أولاً، ثم أتبعه بكتاب الإيمان الذي هو الإقرار بما جاء عنه، ثم بكتاب العلم الذي هو معرفة ما جاء به، فرتبه الترتيب الحقيقي، وكذلك الإمام أبو محمد الدرامي صاحب (المسند) ابتدأ كتابه بدلائل النبوة، وذكر في ذلك طرفاً صالحاً، وهذا الرجلان أفضل بكثير من مسلم والترمذي ونحوهما، ولهذا كان أحمد بن حنبل يعظم هذين ونحوهما، لأنهما فقهاء في الحديث أصولاً وفروعاً"[٢٩].

وهذا الاعتصام من جمال الدين السرمري بمنهج السلف هو ما كان عليه الأئمة والعلماء من قبله، فقد اعتبروا أن من أصول أهل السنة والجماعة هو تمسكهم بمنهج السلف والاقتداء بهم واتباع سبيلهم والنهي عن مخالفتهم.

قال الأوزاعي: "اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكف عما كفوا واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم ... ولو كان خيراً ما خصصتم به دون أسلافكم فإنه لم يدخر عنهم خير خبئ لكم دونهم لفضل عندكم وهم أصحاب نبيه ﷺ الذين اختارهم وبعثه فيهم ووصفهم بما وصفهم به فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الفتح: من الآية ٢٩]"[٣٠].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله

---

(٢٨) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٧٢.

(٢٩) مجموع الفتاوى (٢/٣-٤).

(٣٠) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام اللالكائي (١/١٧٤).

ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع ..."[٣١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنا وظاهراً، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ..."[٣٢].

وقال ابن عبدالهادي: "ولايجوز إحداث تأويل في آية أو سنة، لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه، واهتدى إليه هذا المستأخر، فكيف إذا كان التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه ..."[٣٣].

وقال ابن أبي العز: "وكيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنة، وإنما يتلقاه من قول فلان، وإذا زعم أنه يأخذه من كتاب الله لا يتلقى تفسير كتاب الله من أحاديث الرسول ولا ينظر فيها، ولا فيما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان المنقول إلينا عن الثقات النقلة الذي تخيرهم النقاد، فإنهم لم ينقلوا نظم القرآن وحده، بل نقلوا نظمه ومعناه، ولا كانوا يتعلمون القرآن كما يتعلم الصبيان، بل يتعلمونه بمعانيه، ومن لا يسلك سبيلهم فإنما يتكلم برأيه، ومن يتكلم برأيه وما يظنه من دين الله ولم يتلق ذلك من الكتاب والسنة، فهو مأثوم وإن أصاب ..."[٣٤].

---

(٣١) طبقات الحنابلة (٢٤١/١)، لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت؛ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٧٦/١)، للإمام اللالكائي، تحقيق: د. أحمد الغامدي، الطبعة الرابعة ١٤١٦، دار طيبة، الرياض.

(٣٢) مجموع الفتاوى (١٥٧/٣).

(٣٣) الصارم المنكي في الرد على السبكي ص٣١٨، لابن عبدالهادي، تحقيق: عقيل بن محمد اليماني، الطبعة الأولى ١٤٢٤، مؤسسة الريان، بيروت.

(٣٤) شرح العقيدة الطحاوية، ص١١٥.

المبحث الثاني
منهج جمال الدين الصرصري في الاستدلال

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: منهجه في الاستدلال بالقرآن الكريم.

المطلب الثاني: منهجه في الاستدلال بالسنة النبوية.

المطلب الثالث: موقفه من علم الكلام.

المطلب الأول: منهجه في الاستدلال بالقرآن الكريم:

سبق بيان أن القرآن مصدر من مصادر التلقي عند جمال الدين السرمري رحمه الله، وقد سار على منهج أهل السنة في تقرير الاستدلال بنصوص القرآن، يتبين ذلك من خلال المسائل التالية:

المسألة الأولى: الإكثار من الاستدلال بنصوص القرآن:

حتى إنه رحمه الله يحشد في الموضع الواحد عدة آيات مقرراً ما يتعلق بها من مباحث، وما ذاك إلا لسعة علمه، واعتصامه بالكتاب العزيز.

ومن أمثلة ذلك ما ساقه في مسألة أن المقتول وغيره مات بأجله فقال: "والدليل عليه الكتاب والسنة، فالكتاب قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: من الآية ٣٤] وذم سبحانه بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران: من الآية ١٥٦] وبقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران: من الآية ١٦٨] فرد الله عليهم وأكذبهم، وبيَّن لهم خطأهم بقوله تعالى: ﴿فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: من الآية ١٦٨]، وبقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: من الآية ١٥٤] وبقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢] وبقوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: من الآية ٧٨] وبقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران:

من الآية ١٤٥] وبقوله تعالى: ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ [الحِجر: ٥] "(١).

وقال في موضع آخر في ذكر أحكام الشهادة: "قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٢] وقال: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ...﴾ الآية [المائدة: من الآية ٨] وقال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: من الآية ٢] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: من الآية ١٣٥] وقال: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٣] وقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] وقال: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢] "(٢).

وقال في موضع آخر في بيان إخباره ﷺ بالغائبات: " فمن ذلك ما أخبره الله تعالى به في القرآن كقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [آل عمران: من الآية ١٢] ....، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ [الأنفال: من الآية ٧] فهزم الله المشركين، ومن ذلك قوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن

---

(١) كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون، ص٧٩-٨٠.

(٢) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٦٣٠.

يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج: من الآية ٤٠]...، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور: من الآية ٥٥] ...، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾ [الروم: ١-٤]...، ومن ذلك قوله سبحانه تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ ﴾ [الفتح: من الآية ٢٧] فدخلوه كذلك، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ﴾ [الفتح: من الآية ٢١] ...، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ﴾ [الممتحنة: من الآية ٧]... ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ [المائدة: من الآية ١٣] وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: من الآية ٧٦] يعني من بعث محمد ﷺ ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ [البقرة: من الآية ٧٦] فأعلمه الله تعالى بذلك فقال: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [البقرة: ٧٧] ومن ذلك قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ [الأحزاب: من الآية ١٨] ...، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم ﴾ [محمد: من الآية ٢٥] إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ [محمد: من الآية ٢٦]"(١) .

---

(١) خصائص سيد العالمين [ق٣٢/و-ظ] .

المسألة الثانية: تفسير القرآن بالقرآن:

وهذا من أفضل طرق تفسير القرآن، فإن كلام الله يبين بعضه بعضاً.

ومن شواهد هذا المنهج قول جمال الدين السرمري رحمه الله: "وأما قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧] أي وفى بما ابتلاه به من قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٤]"[١].

وقال في موضع آخر عند قوله تعالى: " ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: من الآية ١٢] فلا هنا زائدة بدليل قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: من الآية ٧٥] "[٢].

المسألة الثالثة: تفسير القرآن بالسنة:

وعلى هذا سار أئمة الإسلام في تفسير كلام الله عز وجل.

ومن شواهد هذا المنهج قول جمال الدين السرمري رحمه الله في رفع قدر ومنزلة النبي ﷺ: "روى أبو سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشَّرح: ٤] قال: «قال لي جبريل: قال الله تعالى: إذا ذُكِرتُ ذُكِرتَ معي»"[٣].

وقال في موضع آخر عند الكلام على العِدد: "عن أبي بن كعب قال: قلت: يا رسول الله ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: من الآية ٤] للمطلّقة ثلاثاً أو للمتوفى عنها؟ فقال: هي للمطلقة ثلاثاً وللمتوفى عنها"[٤].

وقال في موضع آخر في أحكام المسافر: "وقال يعلى بن أمية لعمر بن الخطاب: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [النساء: من الآية ١٠١]

---

(١) خصائص سيد العالمين [ق١١/و] .

(٢) شرح اللؤلؤ في النحو، ص١٤٨-١٤٩.

(٣) خصائص سيد العالمين [ق٣٧/ظ] .

(٤) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٤٩٤.

فقد أمِنَ الناس، فقال: عجبتُ مما عجبتَ منه، فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «صدقة تصدق الله ﷻ بها عليكم فاقبلوا صدقته»"[1].

وقال في موضع آخر على قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]: "فلما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله قد علمنا كيف السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: «قولوا اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنّكَ حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»"[2] .

المسألة الرابعة: تفسير القرآن بأقوال السلف:

والمراد بهم هنا الصحابة والتابعون وتابعوهم، ومن أخذ عنهم وسار على نهجهم.

ومن شواهد هذا المنهج قول جمال الدين السرمري رحمه الله: "وعن أبي جنيح قال: سمعت عمرو بن دينار يقول في قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٤٣] قال: وقع الطاعون في قريتهم فخرج ناس وأقام ناس فنجا الذين خرجوا وهلك الذين أقاموا، فلما وقع الطاعون الثانية، خرجوا بأجمعهم فأماتهم الله تعالى"[3].

وقال في موضع آخر عند الكلام على أحكام الصيام: "وعن عطاء سمع ابن عباس يقرأ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٤] قال ابن عباس: ليست بمنسوخة هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة، لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان مكان كل يوم مسكيناً"[4].

---

(١) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ١٩٥.

(٢) شرح اللؤلؤ في النحو، ص٤٢.

(٣) كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون، ص٨١.

(٤) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٢٧٢.

وقال في موضع آخر في انتصار الله لرسول ﷺ بالريح: " قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: من الآية ٩]؛ روى أبو نعيم: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما كان يوم الأحزاب انطلقت الجَنُوبُ إلى الشَّمال فقالت: انطلقي بنا ننصر محمّداً ﷺ، فقال الشمال: إن الحُرّة لا تسري إلا بليل، فأرسل الله عليهم الصَّبا، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: من الآية ٩]"(١).

وقال في موضع آخر في باب الأيمان: "عن عائشة قالت: أنزلت هذه الآية: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: من الآية ٢٢٥] في قول الرجل: لا والله، وبلى والله"(٢).

المسألة الخامسة: عنايته بأسباب النزول:

وذلك لأن معرفة سبب نزول الآية مؤثر عند أهل العلم في معرفة معناها ودلالة ألفاظها، مع الأخذ بالاعتبار أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وقد اعتنى جمال الدين السرمري رحمه الله بهذا الجانب في مؤلفاته.

فمن شواهد هذا المنهج قوله عند الكلام عن الإيمان: "وعن البراء قال: لما حولت القبلة قال رجل: كيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: من الآية ١٤٣]"(٣).

وقال في موضع آخر في أحكام المناسك: "وعن كعب بن عُجْرَةَ قال: كان بي أذًى من رأسي، فحُملت إلى رسول الله ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: «ماكنت أرى أن الجُهْدَ بلغ بك ما أرى، أتجد شاةً؟»، قلت: لا، فنزلت الآية ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦] قال: «هو صوم ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين، نصف صاع طعام لكل

---

(١) خصائص سيد العالمين [ق٣٧/ظ] .

(٢) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٦٠٠.

(٣) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٧٦.

مسكين»"(1).

وقال في موضع آخر في كتاب البيوع: "وعن ابن عباس قال: ولما نزلت: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: من الآية ١٥٢] عزلوا أموال اليتامى حتى جعل الطعام يفسُدُ واللحم ينتن، ذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٢٠] قال: فخالطوهم"(2).

وقال في موضع آخر عند الكلام على اللعان: "وقال رجل: يا رسول الله، أرأيت لو وجد أحدنا امرأته على فاحشةٍ كيف يصنع إن تكلم تكلم بأمر عظيم، وإن سكت سكت على مثل ذلك، فسكت النبي ﷺ فلم يجبه، فلما كان بعد ذلك أتاه فقال: إن الذي سألتك عنه ابتُليت به، فأنزل الله ﷻ هؤلاء الآيات في سورة النور ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ [النور:٦] ..."(3).

وقال في موضع آخر في صفة الكفارة: "فقد كان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه سعة، وكان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه شدة، فنزلت: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ [المائدة:٨٩]"(4).

وقال في موضع آخر عند الكلام على عظم منزلة النبي ﷺ عند الله في المحبة: " لما قال من قال من الكفّار حين اشتكى فلم يقم ليلة أو ليلتين أنه قد وُدِّع فأنزل الله ﷻ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضُّحى: ١-٥]"(5).

---

(١) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٢٩٤.

(٢) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٣٧١.

(٣) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٤٨٩.

(٤) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٦١٣.

(٥) خصائص سيد العالمين [ق٢٦/و-ظ].

المسألة السادسة: عنايته بالقراءات الواردة في الآية:

قد اعتنى جمال الدين السرمري رحمه الله بهذا الجانب، فكان يوضح القراءات الواردة في الآية عند الحاجة لذلك.

ومن شواهد هذا المنهج قوله عند الكلام على حروف الجزم: "إلا أنَّ الأفصح التسكين مع الواو والفاء، والكسر مع ثم، وعلى هذا قراءة أبي عمرٍ ﴿ثم ليقطع فلينظر﴾ [الحج: من الآية ١٥] وقرأ ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ [الحج: من الآية ٢٩]"(١).

وقال في موضع آخر عند الكلام على الاستثناء: "وعلى اللغتين قُرئ قوله تعالى: ﴿مافعلوه إلا قليلٌ منهم﴾ [النساء: من الآية ٦٦] رفعاً وإلا ﴿قليلاً﴾ نصباً"(٢).

وقال أيضاً: "أن تنصبهما جميعاً بلا تنوين كما قرئ ﴿لا بيعَ فيه ولا خلالَ﴾"(٣).

وقال في موضع آخر عند الكلام على الترخيم: "روى البخاري في صحيحه: عن علي بن عبدالله، نبأنا سفيان عن عمرو عن عطاء عن صفوان بن علي عن أبيه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ على المنبر ﴿ونادوا يا مالِ﴾ [الزخرف: من الآية ٧٧]، قال سفيان: في قراءة عبدالله ﴿ونادوا يا مالِ﴾"(٤).

وقال في موضع آخر عند الكلام على الممنوع من الصرف: "وللتناسب يجوز الصرف أيضاً كقراءة نافع والكسائي ﴿سلاسلاً﴾ [الإنسان: من الآية ٤] ﴿وقواريراً﴾ [الإنسان: من الآية ١٥-١٦] وقراءة الأعمش ﴿ولايغوثاً ويعوقاً﴾ [نوح: من الآية ٢٣] مصروفين ليناسبا ودّاً وسواعاً ونسراً"(٥).

---

(١) شرح اللؤلؤ في النحو، ص٢٢٠-٢٢١.

(٢) شرح اللؤلؤ في النحو، ص١٤٤.

(٣) شرح اللؤلؤ في النحو، ص١٥١.

(٤) شرح اللؤلؤ في النحو، ص١٧٥.

(٥) شرح اللؤلؤ في النحو، ص٢٠٦-٢٠٧.

المسألة السابعة: اجتهاده في تفسير القرآن على طريقة أهل العلم:

وبهذا تظهر قوة جمال الدين السرمري رحمه الله العلمية، وتوفر آلة الاجتهاد لديه، وتمكنه من العلوم الأصلية وعلوم الآلة.

ومن شواهد هذا المنهج قوله عند الكلام على جمع المذكر السالم: "فأمّا قوله عن السماء والأرض: ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فُصِّلَت: من الآية ١١] فإنّه لما وصفهما بالقول الذي هو من خصائص من يعقل، جمعهما جمعَ من يعقل ليطابق أول الكلام آخرة ونظائره كثيرة في القرآن وغيره"[١].

وقال في موضع آخر عند الكلام على الخبر الذي يتنزل منزلة المبتدأ على وجه التشبيه: "ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب: من الآية ٦] يعني أنّ زوجات النبي ﷺ يتنزلن عند المسلمين في احترامهن وتحريم نكاحهنَّ بمنزلة أمهاتهم لا أنَّهُنَّ أمهاتهم حقيقةً"[٢].

وقال في موضع آخر عند الكلام على (كان): "وقد يقصد بها الداوم كما يقصد بـ(لم يزل) كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا﴾ [الأحزاب: من الآية ٢٧]"[٣].

وقال في موضع آخر عند الكلام على الآل: "وقد قال تعالى: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: من الآية ٤٦] وأراد بذلك قومه كلهم"[٤].

---

(١) شرح اللؤلؤ في النحو، ٩١.

(٢) شرح اللؤلؤ في النحو، ١١٦-١١٧.

(٣) شرح اللؤلؤ في النحو، ١٦٤.

(٤) شرح اللؤلؤ في النحو، ص٢٣٠.

المطلب الثاني: منهجه في الاستدلال بالسنة النبوية:

سبق أن السنة هي أحد مصادر التشريع وهي مصدر من مصادر التلقي عند جمال الدين السرمري رحمه الله، وقد سار رحمه الله على معالم واضحه في تقرير استدلاله بالسنة النبوية، فمن ذلك:

المسألة الأولى: الإكثار من الاستدلال بنصوص السنة:

حتى إنه رحمه الله يحشد في الموضع الواحد عدة آحاديث مقرراً ما يتعلق بها من مباحث، وما ذاك إلا لسعة علمه، واعتصامه بالسنة النبوية.

ومن أمثلة ذلك ما ساقه عند الكلام على فضل المنيحة[1] وعِظَم أجرها فقال: "روى أبو سعيد ﷺ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فسأله عن الهجرة فقال: «ويحك الهجرة شأنها شديد، فهل لك من إبل» قال: نعم، قال: «فتعطي صدقتَها» قال: نعم، قال: «فهل تمنحُ منها» قال: نعم، قال: «فتحلبُها يومَ ورودها» قال: نعم، قال: «فاعملْ من وراءِ البحار، فإن الله تعالى لن يَتِرَك من عملك شيئاً» متفق عليه.

ومنها عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «نعمَ الصدقةُ اللقحةُ الصَّفِيُّ مِنْحَةً، والشاةُ الصفيُّ مِنْحَةً، تغدو بإناء، وتروح بإناء» أخرجه البخاري.

ومنها عن كُدير الضبِّي: أن رجلاً أعرابيًّا أتى رسولَ الله ﷺ فقال: أخبرني بعلمٍ يُقرِّبني من طاعتِهِ ويُباعدني من النار، قال: «أوَ تعملُ بما أعلمناك»، قال: نعم، قال: «تقولُ العدلَ، وتُعطي الفضلَ»، قال: والله ما أستطيعُ أن أقولَ العدلَ كلَّ ساعة، وما أستطيعُ أن أعطيَ فضلَ مالي، قال: «فتُطعم الطعام، وتُفشي السلام»، قال: هذه شديدةٌ، قال: «فهل لكَ من إبل»، قال: نعم، قال: «فانظر بعيراً من إبلِكَ وسِقاء، ثم اعمدْ إلى أبياتٍ لا يشربونَ الماءَ إلا غِبًّا،

---

(١) المنيحة المقصودة هنا: هي أن يمنح الرجلُ صاحبَه شاةً أو ناقةً ينتفع بلبنها و وَبَرها زماناً ثم يردّها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٧٩٨)، تحقيق: طاهر الزاوي – محمود الطناحي، ١٣٩٩، المكتبة العلمية، بيروت.

فلعلَّكَ أن لا يهلِكَ بعيرُك، ولا يَنخرِقُ سِقاؤك، حتى تجبَ لك الجنة» قال: فانطلق الأعرابي يكبِّر، قال: فما تخرَّق سِقاؤه، ولا هَلَك بعيرُهُ حتى قُتِلَ شهيداً؛ أخرجه عبدالرزاق بن همام في جامعه عن معمر عن أبي إسحاق عن كُدير.

ومنها عن البراء ﷺ قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: دُلَّني على عمل يقرِّبني من الجنةِ ويُباعدني من النار، قال: «لئن كنتَ أقصرتَ الخُطبةَ لقد أعرضْتَ المسألة، أعتق النَّسَمة، وفُكَّ الرَّقَبة» قال: يا رسول الله، أو ليستا واحدة، قال: «لا عِتقُ النسمة أن تفرد بعتقها، وفكُّ الرقبةِ أن تعينَ في ثمنها، والمِنْحَةُ الوكوفُ، والفيءُ على ذي الرَّحِمِ الظالم، فإن لم تُطِق ذلك فكفَّ لسانك إلا من خير» رواه الدارقطني في سننه.

ومنها عن أبي هريرة ﷺ يبلغُ به النبيَّ ﷺ قال: «ألا رجلٌ يمنح أهل بيتٍ ناقةً تغدو بعُس وتروح بعُس، إن أجرَها لعظيم» أخرجه مسلم.

ومنها عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «أتدرون أيُّ الصدقةِ أفضل» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «المنيحةُ: أن تمنحَ أخاكَ الدرهمَ، أو ظهرَ الدابَّةِ، أو لبنَ الشاة، أو لبنَ البقرة» رواه الإمام أحمد في المسند "[1].

وقال في موضع آخر عند الكلام على حفظ اللسان والفرج: "عن سهل بن سعد ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من توكَّل لي ما بين لحييه وما بين رجليه توكلتُ له بالجنة» أخرجه البخاري، وفي رواية: «من يضمن لي» وفيها: «أضمن له» ... وقد جاء الحديث: «طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه» ... وفي حديث وصيَّة النبي ﷺ معاذاً ﷺ: «احفظ عليك لسانك» وفيه: «وهل يكبُّ الناسَ على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم» ... وقد جاء الحديث: «احفظ فرجك إلا ما ملكت يمينُك أو من زوجتك» أو كما جاء، وفي الحديث أيضاً: «أكثر ما يُدخلُ الناسَ النارَ الأجوفان: البطنُ والفرج»"[2].

---

(١) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ١٨-٢٢.

(٢) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص٥٢-٥٣.

المسألة الثانية: ظهور الصناعة الحديثية على مؤلفاته:

فكثيراً ما يُتبع جمال الدين السرمري رحمه الله الحديث بالحكم عليه، أو الكلام على رواته أو نحو ذلك، ولا غرو فالسرمري –كما سبق في ترجمته- محدث حافظ، ومؤلف في علوم السنة، وناظم ما يتعلق بها من تآليف.

ومن أمثلة ذلك قوله رحمه الله في مقدمة كتابه (إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة): "وعزوت كل حديثٍ إلى من رواه من الأئمة ... فما كان من مسند الإمام أحمد وصحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود و النسائي و ابن ماجه و الترمذي قلت: رواه الجماعة، وما كان من المسند والصحيحين: متفق عليه، وما كان من الصحيحين: أخرجاه، وما كان ممَّا عداهما: رواه الخمسة، وما لم يتفق كذلك سميت من رواه"[1].

وقال في موضع آخر عند الكلام على مكان الصلاة: "وعن زيد بن جَبِيرَةَ، عن داود بن حصين، عن نافع، عن ابن عمر ﷺ: «أن رسول الله ﷺ نَهَى أن يصلى في سبع مواطن: في المزبلَة، والمجزَرَة، والمقبرة، وقارعة الطريق، وفي الحمام، وفي معاطن الإبل، وفوق ظهر بيت الله» رواه عبد بن حميد في مسنده، وابن ماجه، والترمذي وقال: ليس إسناده بذاك القوي، قد تُكُلِّم في زيد بن جَبِيرَةَ مِن قِبَلِ حفظهِ، ورواه الليث بن سعد، عن عبدالله بن عمر العمري، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر، عن النبي ﷺ مثلَهُ، وحديث داود، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ أشبه وأصح من حديث الليث بن سعد، وعبدالله بن عمر العمري ضعَّفه بعض أهل الحديث من قِبَلِ حفظِه، منهم: يحيى بن سعيد"[2].

وقال في موضع آخر عند الكلام على ترك الحسد والغش للمسلمين: "عن أنس ﷺ قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: «يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة» ... رواه الإمام

---

(١) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٧١-٧٢.

(٢) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص١٥١-١٥٢.

أحمد بن حنبل رحمه الله في مسنده عن عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهري قال: أخبرني أنس بن مالك؛ وهذا الإسناد على شرط الصحيحين"[1].

وساق في آخر كتابه (الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة) حديثاً مسنداً فقال: "فأرودته بإسنادٍ لئلا يخلوَ كتابي من حديث مسند؛ وهو ما أخبرني الشيخ أبو طالب محمد بن محمد بن محمود العدل بقراءتي عليه برباط الأرجوانية من درب زاخي شرقيٍّ بغداد في يوم الجمعة سادسَ عشرَ شعبانَ من سنةِ ثلاثين وسبعمائة قال: أنبأنا أبو أحمد عبدالصمد بن أحمد بن عبدالقادر بن أبي الجيش المقرئ قال: أخبرنا أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي إذناً، حدثنا أبو جعفر زيد بن جامع الشامي الحموي من لفظهِ في شعبان من سنة ثمانٍ وأربعين وخمسمائة قال: أخبرنا أبو طالب عبدالقادر بن محمد اليوسفي قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن لؤلؤ الوراق قال: أخبرنا أبو حفص عمر بن أيوب السَّقَطي، وحدثنا أبو الوليد بشر بن الوليد القاضي، حدثنا الفرج بن فضالة، وحدثنا هلال أبو جبلة، عن سعيد بن المسيب عن عبدالرحمن بن سمرة قال: خرج علينا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ ونحن في مسجد المدينة فقال: «إني رأيتُ الليلةَ عجباً» ..."[2].

وقال في موضع آخر عند الكلام على ما يطول الأعمار: "وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إن البر والصلة ليطولان الأعمار ويعمران الديار، ويثريان الأموال، وإن كان القوم فُجاراً، وإن البر والصلة ليخفقان السوء سوء الحساب يوم القيامة» رواه الحافظ ابن الجوزي في كتاب البر والصلة تأليفه وأدْرَجَ عليهما"[3].

المسألة الثالثة: شرح مفردات الحديث والكلام عليها:

فقد كان جمال الدين السرمري رحمه الله يعلق على المفردات المشكلة في الحديث، ويوضح

(١) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص١١٠-١١١.

(٢) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص١٥١-١٥٢.

(٣) كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون، ص١١٢-١١٣.

المراد منها، وهذا دليل على سعة علمه ودرايته بالحديث.

ومثال ذلك قوله عند الكلام على أحاديث المنيحة: "أما حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما الذي أسَّسنا عليه الكتاب، فقوله: «منيحة»، المنيحة: هي الناقة أو البقرة أو الشاةُ يُعطيها الرجلُ الرجلَ يحتلبُها ويشربُ لبنَها ويُعيدها إليه، والمنيحة في اللغة: العطية، يُقال: مَنَحَهُ كذا إذا أعطاه؛ وأما حديث أبي سعيد فقوله: «ويحك إن الهجرةَ شأنُها شديد» يعني أن الالتزام لأحكامها مُشِقٌّ: من ترك الأهل، والولد، والوطن، والتغرُّب، والفقر، والخوف، لاسيَّما وهو صاحب ماشيةٍ، والافتتان بها أسرع، فخشيَ عليه أن لا يصبرَ على اللأواء، فيرفضَ الهجرةَ ويرتدَّ، فدلَّه على الأسهل ليقوى إيمانُه، وربما آمنَ بإيمانهِ إذا رجعَ إلى أهله غيرُه، والذي دلَّه عليه فيه أجرٌ عظيم: التصدُّقُ، والإمناح، وسقيُ اللبنِ على المورد؛ وقوله: «فاعمل من وراءِ البحار» أي إذا كانَ هذا عملَكَ فدُمْ عليه، ولو أنكَ غائبٌ عني، بعيدٌ مني، ولو خلفَ البحار، لأن اللهَ تعالى «لن يَتِرَكَ» أي يَظْلِمُكَ ويُنْقِصُكَ مما عملتَ له شيئاً، ولكنَّهُ يؤتيكَ أجرَهُ موفوراً والله أعلم؛ وأما حديث أبي هريرة ﷺ «اللِّقحةُ»: الناقة التي تُحلب، والجمع لقاح؛ و «الصفيُّ»: الناقة الكثيرةُ اللبن؛ و «النحلة» الكثيرة الحمل، وقوله: «تغدو بإناء وتروح بآخر» يعني أنها تُحلبُ غُدْوَةً وعشيَّة، فنعم المنحةُ ما كان على هذه الصفة

و«نعم» للمدح، يقال: نعمَ الرجلُ زيدٌ؛ وأما حديث كُدير فقوله: «تقولُ العدل» أي الحقَّ والصدق ولا تقلْ غيرَ ذلك، وقوله: ما أستطيعُ أن أقولَ الحقّ كل ساعة؛ وذلك لأن الحقَّ ثقيل، ومنه الأمانة التي عجزت السمواتُ والأرضُ عن حملها وأشفقنَ منها، وسُمِّي الإنسانُ بتحمُّلِها ﴿ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: من الآية ٧٢] لأنه أقدمَ على ما أحجم عن حَمْلهِ السمواتُ والأرض والجبال وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: من الآية ١٥٢]؛ وقوله «وتعطي الفضل» أي تتفضَّلُ بالإعطاءِ من مالِكَ، ويجوز أن يكون: تعطي الفضلَ من مالِكَ عن قدرِ كفايتِكَ وكفايةِ من تعول لأنه قد جاء في الحديث أن النَّبي ﷺ حضَّ الناسَ على التصدق بفضل الزاد والظهر وأصناف من المال في بعض سفراته،

قال الرواي: حتى رأينا أن لا حق لأحد منّا في فضل أو كما جاء، وقد روي «طوبى لمن أعطى الفضل من ماله، وأمسك الفضلَ من لسانه» وهذا على سبيل الندب والاستحباب ألا تراه عدل عنه إلى ما هو أسهل منه، وهو قوله: «فتطعم الطعام، وتُفشي السلام» ..."(١).

وقال في موضع آخر عند الكلام على شرح صدر النبي ﷺ: "كما ذكره مسلم في حديثه وبيّن فيه أنه «أخرَج منه علقة فألقاها وقال: هذا حظ الشيطان منك» والعلقة: قطعةُ دم تكون في تجويف القلب وتسمّى السُويداء والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ومن القلب تَجري الحياةُ في البدن وهي التي يقول لها الأطباء الروح والقوة والشهوة والحياة تنبعث من القلب ولهذا كان القلب ملك البدن وكان إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله والقلب ما دامت فيه تلك العَلقَة يدخل الشيطان فيه فهي بَيْتُه منها يتصرف بالوسوسة فأُخرِجت من النبي ﷺ وغُسل مكانها فلم يبق للشيطان عليه سبيل أصلاً ولا بقي له بيت يدخل فيه ولا مسكن وكان يقول ﷺ: «ما من أحد إلا وقد وكل به قرينه، قالوا: وأنتَ يا رسول الله، قال: وأنا لكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير» وليس المراد أسلم أنا بل أسلم هو من الاستسلام لا من إيمان لأنه قال: «فلا يأمرني إلا بخير» لأنه انقاد وانطاعَ فبقي لا يأمره إلا بما يناسبُ حاله من الخير ﷺ"(٢).

وقال في موضع آخر عند الكلام على التواضع والمسكنة لله تعالى وترك التكبُّر والتجبُّر: "عن حارثة بن وهب الخزاعي ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل الجنة، كل ضعيفٍ متضعِّف، لو أقسمَ على الله لأبرَّهُ، ألا أخبركم بأهلِ النار، كل عُتُلٍّ جوَّاظٍ مستكبر» ... وقوله في الحديث «عُتُلّ» العتلُّ: الشديد الخصومة الجافي، اللئيمُ الضريبة، وقال ابن عرفة: هو الفظُّ الغليظُ الذي لا ينقادُ لخير؛ وقوله: «جوَّاظ» الجواظ: هو الكثيرُ اللحم، المختالُ في مشيته"(٣).

(١) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص٢٢-٢٤.

(٢) خصائص سيد العالمين [ق٧٩/ظ]- [ق٨٠/و] .

(٣) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص١٤٠، ١٣٧-١٤١.

المسألة الرابعة: الجمع بين النصوص النبوية التي يوهم ظاهرها التعارض:

فمن منهج جمال الدين السرمري رحمه الله دفع إيهام تعارض أحاديث النبي ﷺ كما هو منهج أهل السنة، وعدم ضرب بعضها ببعض كما هو منهج أهل البدعة فقد قال في كتابه (شفاء الآلام في طب أهل الإسلام) في باب الجذام عند ذكر المرأة التي تزوجها النبي ﷺ فوجد البياض بكشحها فقال لها: «الحقي بأهلك» قال: "وقد ظن طائفة من العلماء أن هذه الأحاديث معارضة بأحاديث أخر تبطلها وتناقضها منها ما رواه الترمذي: أن رسول الله ﷺ أخذ بيد مجذوم فأوصلها معه في القصعة وقال: «كل باسم الله ثقة بالله وتوكلاً على الله» وبما في الصحيح أنه قال: «لا عدوى ولا طيرة» - قال: - ونحن نقول: لا تعارض بحمد الله في أحاديثه الصحيحة، فإذا وقع التعارض فإما أن يكون أحد الحديثين ليس من كلامه ﷺ، أو قد غلط فيه بعض الرواة مع كونه ثقة ثبتاً فالثقة يغلط، أو يكون التعارض في فهم السامع لا في نفس كلامه ﷺ، فلا بد من خروجه من هذه الوجوه الثلاثة، فأما حديثان صحيحان صريحان متعارضان من كل وجه ليس أحدهما ناسخاً للآخر فهذا لا يوجد أصلاً، ومعاذ الله أن يوجد في كلام الصادق المصدوق إلا الحق، فالآفة من التقصير في معرفة المقول والتمييز بين الصحيح والمعلول، أو من القصور في فهم مراده ﷺ وحمل كلامه على غير ما قصد به، أو منهما معاً، ومن هنا وقع في الاختلاف والفساد ما وقع"[1].

ومن أمثلة ذلك قوله عند الكلام على التواضع والمسكنة لله تعالى وترك التكبُّر والتجبُّر: "عن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل الجنة، كل ضعيفٍ متضعِّف، لو أقسمَ على الله لأبرَّهُ، ألا أخبركم بأهلِ النار، كل عُتُلٍّ جوَّاظٍ مستكبر» ... وأما الحديثُ الذي وردَ أن: المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، فليس هذا بالمناقض لما نحن فيه، فإن المقصودَ هنا بالقوةِ القوةُ في دين الله تعالى وعبادتهِ وامتثالِ أوامرهِ

---

(١) انظر: شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ٢٥٧ ب – ٢٥٨ أ؛ بلوغ المنى والظفر في بيان لاعدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، ص٦١-٦٣، جار الله محمد بن عبدالعزيز ابن فهد، تحقيق: أحمد المصلحي، الطبعة الأولى ١٤١٧، دار الأندلس الخضراء، جدة، نقلاً عن كتاب السرمري (شفاء الآلام).

بالوجباتِ تضاعفاً والانزجارِ عما نهى"[1].

وقال في موضع آخر في سياق الكلام على الطيرة: "وأما ما روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إن الطيرة في ثلاث: في الدار والمرأة الفرس» فالجواب عنه: أن عائشة رضي الله عنها طعنت عليه وبيَّنت تثبيت الحديث وذنك أنها ذُكر لها قول أبي هريرة فقالت: لم يحفظ أبو هريرة، دخل علينا ورسول الله ﷺ يقول: «قاتل الله اليهود؛ يزعمون أن الشؤم في الدار والمرأة والفرس» فسمع أبو هريرة آخر الحديث ولم يسمع أوله؛ وفي رواية: أن رجلين دخلا على عائشة فقالا: إن أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ: «إن الطيرة في ثلاث: في الدار والمرأة والفرس» فغضبت عائشة رضي الله عنها غضباً شديداً، وقالت: والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ما قاله، إنما قال: «أهل الجاهلية يتطيرون من ذلك» فقد بيَّنت عائشة وجه الحديث وسببه، وأن ذلك من قول اليهود والجاهلية، وبيَّنت أن أبا هريرة لم يسمع أول الحديث؛ وقد تأول قوم حديث أبي هريرة في أن الشؤم في المرأة إذا كانت لا تلد أو سيئة الخلق، وفي الدار إذا كانت بعيدة عن المسجد أو ضيقة وجيرانها جيران سوء، وفي الدابة إذا كانت تعضُّ أو ترفُس، أو كانت مربوطة للفخر والخيلاء ... ؛ فأما ما روى أنس أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنا نزلنا داراً فكثر فيها عددنا وكثرت فيها أموالنا، ثم تحولنا عنها إلى أخرى، فقلَّت فيها أموالنا، وقل فيه عددنا، فقال رسول الله ﷺ: «فَذَرُوها ذميمةً» فالجواب: أنه قال لهم: «فَذَرُوها ذميمةً» لما كان استقر في أنفسهم في زمان الجاهلية من شؤم الدار، فأمرهم بالنقلة عنها ليزول ما توهموه في قلوبهم من أن الشؤم في المسكن وما لحقهم من الاستيحاش فيها، والتثاقل بها، يستعجلوا الراحة ويزول عنهم توقع البلاء الذي قد استشعروه من نزول الحوائج، وإن لم يكن لذلك في الحقيقة أصل، ولئلا يعتقدوا التشاؤم بالدار، ويفهم من قوله: «فَذَرُوها ذميمةً» وعدم التصريح لهم والتعريف بذكر الشؤم أن ذلك قد كان قدَّره لهم بقوله: «لا عدوى ولا طيرة» وكان سؤال السائل في ذلك على سبيل الاستفهام لما أشكل عليه وقوع النقص

---

(١) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص١٤١، ١٣٧.

بسكن الدار الثانية دون الأولى، كما قال ذلك الرجل: إن النُقبة تكون في مشفر البعير، فتدخل في الإبل فتجرب، فقال له: «فَمن أعدى الأوَّل» وقال هنا: «فَذَرُوها ذميمةً» حسماً لوهم صاحب البعير أن بعيره خالط غيره فأعداه، ويتسلسل ذلك في ظنه، فقطعه بهذا الجواب، وقال لصاحب الدار: «فَذَرُوها ذميمةً» خوفاً عليه أن يقوى وهمه باستمرار النقص عليه بالمقام بها، فيؤدي ذلك إلى سوء اعتقاده فيما أخبره به أولاً أنه لا عدوى ولا طيره"(١).

المسألة الخامسة: تفسير السنة بالقرآن:

قد سلك الإمام جمال الدين السرمري مسلك الأئمة الأعلام في التعامل مع نصوص السنة، فالتمس من آيات القرآن ما يقوي به وجه الاستشهاد بالسنة؛ تارةً تأكيداً، وتارة بياناً.

ومثال ذلك قوله عند الكلام على تفسير الآل: "في الصحيح أنَّ النبي ﷺ سئل فقيل: يا رسول الله قد عَلِمْنا كيف السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: «قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد، وبارك لي محمدٍ وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنَّك حميد مجيد» واختلف الناس في آله من هم، فقيل: أهل بيته، وهذا هو الصحيح إن شاء الله، وقيل: جميع أمته فيدخل فيه أهله وأزواجُهُ وكل مؤمن به وقد قال تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: من الآية ٤٦] وأراد بذلك قومه كُلهم"(٢).

وقال في موضع آخر عند الكلام على حفظ اللسان والفرج: "عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من توكَّل لي ما بين لحييه وما بين رجليه توكلتُ له بالجنة» أخرجه البخاري ... والمراد بما بين الرجلين الفرج، وقد أمر الله تعالى بحفظه في كتابه ووعد على حفظه بالفلاح في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ

(١) كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون، ص٥٧-٦٦.

(٢) شرح اللؤلؤ في النحو، ص٢٣٠.

﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٥-٦] "[١].

وقال في موضع آخر عند الكلام على عظم أجر الصائم: "وجاء في الحديث أيضاً: «إن الله تعالى يقول: الصومُ لي وأنا أجزي به» يشيرُ إلى عظم ثوابه لأنه لم يُحِدَّهُ، ولم يوقفْ عليه بشراً فهو من قبيل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: من الآية ١٧] "[٢].

المسألة السادسة: تفسير الحديث بالحديث:

وهذا من أولى ما فُسرت به النصوص الشرعية، لأن الشارع أعلم من غيره بالمراد من النص الشرعي، وعلى هذا سار أئمة الإسلام.

ومثال ذلك قوله عند الكلام على حفظ اللسان والفرج: "عن سهل بن سعد ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من توكَّلَ لي ما بين لَحْيَيْه، وما بين رجليه توكلتُ له بالجنة» أخرجه البخاري ... وقد جاء الحديث: «طوبى لمن أمسكَ الفضل من لسانه» وقد سبق وذلك لأن «كلام ابن آدم كلُّهُ عليه لا له، إلا أمرٌ بالمعروف، أو نهيٌ عن منكر، أو تلاوةُ كتابِ الله» كذا جاء الحديث"[٣].

وقال في موضع آخر: "قوله: «فإن لم تُطق فأمسك لسانك إلا من خير» وهذا من جوامع الخير؛ لأنه قد جاء الحديث «كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو قراءة القرآن» فإذا سَلِمَ الإنسانُ من غائلة اللسانِ سَلِمَ من غائلة الإثم والعصيان كما قال: «وهل يكبُّ الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم»"[٤].

وقال في موضع آخر عند الكلام على ترك التهاجر والتشاجر: "عن أبي هريرة ﷺ أن

(١) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص٥٢-٥٣.

(٢) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص٨١.

(٣) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص٥٢.

(٤) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص٢٦.

رسول الله ﷺ قال: «تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا» أخرجه مسلم، يشترط في هذه الهجرة أن تكون في غير ذات الله تعالى، كمن هجر مسلماً غير مبتدع ... لأنه ورد أن: «من سلَّم على صاحب بدعةٍ فقد أعانَ على هدم الإسلام»"[1].

المسألة السابعة: تفسير السنة بأقوال السلف:

لا ريب أن السلف كانوا أدرى الناس بأحكام السنة وألفاظها، وأن أقوالهم مقدمة على أقوال غيرهم في فهم النصوص الشرعية، وقد نقل الإمام جمال الدين السرمري بعض الآثار عن السلف الدالة على تفسيرهم للسنة، ومن ذلك قوله عند الكلام على حسن الخلق: "وسئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخلُ الناسَ الجنة فقال: «تقوى الله وحسن الخلق» ووصف ابنُ المبارك رحمة الله عليه حسن الخلق فقال: هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكفُّ الأذى"[2].

وقال في موضع آخر عند الكلام على الإيمان: "وعن عامر بن سعد عن أبيه: أن النبي ﷺ أعطى رجالاً ولم يعط رجالاً، قال: فقلت: أعطيت فلاناً وتركت فلاناً لم تعطه وهو مؤمن، فقال النبي ﷺ: «أو مسلم» فأعدتها عليه ثلاثاً وهو يقول: «أو مسلم» ثم قال: «إني لأعطي رجالاً وأمنع رجالاً ممن هو أحبُّ إلي منهم مخافة أن يكَبُّوا في النارِ على وجوههم» أو قال: «على مناخرهم»؛ قال الزهري: فيرى أن الإسلام الكلمة، والإيمان العمل"[3].

وقال في موضع آخر عند الكلام على أحكام بيع الأصول والثمار: "وفي لفظ قال: «إن بعت من أخيك ثمراً فأصابتها جائحة فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئاً، بِمَ تأخذ مال أخيك

---

(١) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص٧١.

(٢) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص٩٣.

(٣) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٧٥.

بغير حق» رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه. فصل، قال عطاء: الجوائح كل ظاهرٍ مفسدٍ من مطرٍ أو بردٍ أو جرادٍ أو ريحٍ أو حريقٍ"[1].

المسألة الثامنة: إيراد الروايات والألفاظ الموضحة للحديث:

فجمع روايات الحديث الواحد، وذكر ألفاظه مما يبين المراد منه.

مثال ذلك قوله عند الكلام على أحكام الهبة والهدية: "عن النعمان بن بشير أن أباه أتى به النبي ﷺ، فقال: إني نحلت ابني هذا غلاماً كان لي، فقال رسول الله ﷺ: «أكُلُّ ولدكَ نحلتَهُ مثل هذا» فقال: لا، فقال: «فارجعه» متفق عليه؛ وفي روايةٍ «فليس يصلح هذا، وإني لا أشهد إلا على حق»؛ وفي روايةٍ: «لا تشهدني على جور، إن لبَنِيك عليك من الحق أن تعدلَ بينهم»؛ وقال في روايةٍ: «فاتقوا الله واعْدِلوا بين أولادكم» قال: فرجع فردَّ عطيتَهُ"[2].

وقال في موضع آخر عند الكلام على أحكام صلاة الكسوف: "و «صلَّى في كسوف قرأ ثم ركع، ثم قرأ ثم ركع، ثم قرأ ثم ركع، ثم قرأ ثم ركع، والأخرى مثلها» وفي رواية: «ثماني ركعات في أربع سجدات» روى ذلك أحمد ومسلم والنسائي وأبو داود؛ و «جَهَر في صلاة الخسوف بقراءَته، فصلى أربع ركعات في ركعتين، وأربع سجدات» أخرجاه، وفي روايةٍ: «فجَهَر بالقراءة، وأطال القيام» رواه أحمد"[3].

وقال في موضع آخر عند الكلام على إحياء الموات: "وقال النبي ﷺ: «من أحيا أرضاً ميتةً فهي له» رواه أحمد والترمذي وصححه، وفي رواية: «من أحاط حائطاً على أرض فهي له» رواه أحمد وأبو داود، وفي رواية أخرى زاد: «وليس لِعِرْقٍ ظالمٍ حقٌّ» رواه أحمد وأبو داود والترمذي"[4].

---

(١) إحكام الشريعة إلى أحكام الشريعة، ص٣٤٥.

(٢) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٤٠٧-٤٠٨.

(٣) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٢١٣-٢١٤.

(٤) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٣٩٢.

وقال في موضع آخر عند الكلام على فضل المشي إلى المساجد: "وقال لقوم أرادوا أن يحوّلوا بيوتهم إلى قربِ المسجد: «دياركم تُكتب آثاركم» يعني الزموا دياركم البعيدة من المسجد لتكثُرَ حسناتكم بكثرةِ الخُطا إلى المسجد، والله أعلم؛ وفي روايةٍ قال لهم: «إن لكم بكلِّ خطوة درجة» والقوم هم بنو سلمة من الأنصار، وفي أفراد البخاري من حديث أبي بن كعب ﷺ قال: كان رجلٌ لا أعلم رجلاً أبعدَ من المسجدِ منه، وكان لا تُخطئه صلاةً – يعني في المسجد جماعة – قال: فقيل له، أو قلتُ له: لو اشتريتَ حماراً تركبهُ في الظلماء أو في الرمضاء، قال: ما يسرُّني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريدُ أن يُكتَبَ لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعتُ إلى أهلي، فقال رسول الله ﷺ: «قد جمع اللهُ لك ذلك كله» وفي رواية: «إن لك ما احتسبت»"[1].

المسألة التاسعة: تقديم الحديث على القياس:

ليس أحد من الأئمة إلا وهو يقدم الحديث على القياس، فقدم أبو حنيفة حديث القهقهة في الصلاة على محض القياس وأجمع أهل الحديث على ضعفه، وقدم الشافعي خبر جواز الصلاة بمكة وقت النهي مع ضعفه ومخالفته لقياس غيرها من البلاد، وأما مالك فإنه يقدم الحديث المرسل والمنقطع والبلاغات وقول الصحابي على القياس[2]، وقال عبدالله بن أحمد سمعت أبي يقول: الحديث الضعيف أحب إلي من الرأي، فقال عبدالله: سألت أبي عن الرجل يكون ببلد لا يجد فيه إلا صاحب حديث لا يعرف صحيحه من سقيمه وأصحاب الرأي فتنزل به النازلة، فقال أبي: يسأل أصحاب الحديث ولا يسأل أصحاب الرأي، ضعيف الحديث أقوى من الرأي[3].

---

(١) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص٤٧-٤٨.

(٢) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/٣١-٣٢)، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

(٣) إعلام الموقعين (١/٧٦-٧٧).

وقد سلك جمال الدين السرمري رحمه الله مسلك السلف في الاعتصام بالسنة وتقديمها والاعتناء بها، ومن أمثلة ذلك قوله عند الكلام على الطب النبوي وتقديمه على طب الفلاسفة: "ليس حال من وصّل إلينا الحديث النبوي من أهل الإسلام ولو كان مهما كان من الوهن بأدنى مقالة ممن وصل إلينا عنه طب بقراط وجالينوس"[1].

وقال في موضع آخر: " ومن هنا توسعنا في الرواية عن الصغار في الأحاديث الطبية عن النبي ﷺ ما لم نتوسعه في الأحاديث الدينية لأنا وجدنا بين ما نقلنا عنه بعض الأحاديث الطبية من الضعفاء وبين من نقلها عن بقراط وجالينوس ونحوهما بوناً عظيماً بل غالبهم كفار"[2].

وقال في موضع آخر عند الكلام على العدوى: "وقد زعم قوم جهال ينتسبون إلى العلم وليسوا من أهله، ويجرون في ميدانه وليسوا بخيله ولا رجله، أن هذا الداء وغيره من بقية الأدواء يُعدي ... وهذا خُلف من القول وزيف من النقل، لا يجوز استماعه، ولا يَحِلُّ اعتقاده لما جاء في ذلك من الأحاديث الصحيحة بالعبارات الواضحة الصريحة"[3].

وقال في موضع آخر عند الكلام على أن لبس الحرير يمنع تولد القمل: "ولما روى أنس ﷺ: «أن النبي ﷺ رخّص لعبدالرحمن بن عوف والزبير في لبس الحرير لحكة كانت بهما»، وفي رواية: «أنهما شكوا إليه القمل فرخص لهما في قمص الحرير في غزاة لهما» أخرجاه في الصحيحين؛ فلبس الحرير يمنع تولد القمل خلافاً لابن سينا فإنه يزعم أن لبسه يولد القمل وقول النبي ﷺ أصدق وأولى بالقبول"[4].

---

(١) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ٢٠٦ أ.

(٢) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ١٧٠ ب.

(٣) كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون، ٤٤-٥٠.

(٤) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ٩٤ أ.

المطلب الثالث: موقفه من علم الكلام:

تمهيد: تعريف علم الكلام:

تعددت تعريفات علم الكلام، وبيان حده وحقيقته.

فقال الإيجي والتهانوي أنه: "علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينيّة بإيراد الحجج ودفع الشبه"(١).

وقال التفتازاني أنه: "العلم بالقواعد الشرعيّة الاعتقاديّة المكتسب من أدلتها اليقينيّة"(٢).

وقال الجرجاني أنه: "علم يبحث فيه عن ذات الله وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام"، ثم قال: "والقيد الأخير – على قانون الإسلام- لإخراج العلم الإلهي للفلاسفة"(٣).

وأولى التعريفات به أن يعرف بأنه: "علم يقتدر به على المخاصمة والمناظرة والمجادلة في العقائد بإيراد الحجج والشبه ودفع إيرادات الخصوم"(٤) فهو مراء متعلق بإظهار المذاهب والانتصار لها.

سبب تسميته:

تعددت أسباب تسمية هذا الجدل المذموم بعلم الكلام، وأكثر من جمع هذه الأسباب هو التفتازاني في شرح العقائد النسفية، وهي(٥):

---

(١) كتاب المواقف (١/٣١)، لعضد الدين الإيجي، تحقيق د. عبدالرحمن عميرة، الطبعة الأولى ١٩٧٧م، دار الجيل، بيروت؛ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١/٢٩)، لمحمد التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، مكتبة لبنان، بيروت.

(٢) شرح المقاصد في علم الكلام (١/٦)، لسعد الدين التفتازاني، ١٤٠١، دار المعارف النعمانية، باكستان.

(٣) التعريفات ص٢٣٧، لعلي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى ١٤٠٥، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٤) علم الكلام والتأويل وأثرهما على العقيدة الإسلامية، مجلة البحوث الإسلامية – العدد ٦٨، ص٢٨١، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية.

(٥) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص٤٧-٤٨، لعبدالرحيم السلمي، الطبعة الأولى ١٤٢١، دار المعلمة، الرياض.

١- لأن عنوان مباحثه كان قولهم: الكلام في كذا وكذا.

٢- لأن مسألة الكلام كانت أشهر مباحثه، وأكثرها نزاعاً وجدالاً، حتى إن بعض المتغلبة قتل كثيراً من أهل الحق، لعدم قولهم بخلق القرآن؛ وهذا السبب قد نقده شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "وأيضاً فما ذكره الشهرستاني ليس بصحيح في اسم المتكلمين كانوا يسمون بهذا الاسم قبل منازعتهم في مسألة الكلام، وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء أنه متكلم، ويصفونه بالكلام، ولم يكن الناس اختلفوا في مسألة الكلام"[1].

٣- لأنه يورث قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات، وإلزام الخصم كالمنطق للفلسفة؛ قال الباحث: وهذا السبب باطل، بل علم الكلام يورث صاحبه العيَّ والسفسطة العقلية بشهادة أئمته.

٤- لأنه أول ما يجب من العلوم التي إنما تُعلم وتُتعلم بالكلام، فأطلق عليه هذا الاسم لذلك ثم خص به، ولم يطلق على غيره تمييزاً؛ قال الباحث: وهذا السبب باطل، بل أول واجب من العلوم هو الإيمان بالكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٥- لأنه إنما يتحقق بالمباحثة وإدارة الكلام من الجانبين، وغيره قد يتحقق بالتأمل ومطالعة الكتب.

٦- لأنه أكثر العلوم خلافاً ونزاعاً فيشتد افتقاره إلى الكلام مع المخالفين، والرد عليهم.

٧- لأنه لقوة أدلته صار كأنه هو الكلام دون ما عداه من العلوم كما يقال للأقوى من الكلامين: هذا هو الكلام؛ قال الباحث: وهذا السبب واضح البطلان، فأيُّ قوة توصل صاحبها إلى الشك والحيرة.

٨- لأنه لابتنائه على الأدلة القطعية المؤيدة أكثرها بالأدلة السمعيّة أشد العلوم تأثيراً في القلب، وتغلغلاً فيه، فسُمي بالكلام المشتق من الكَلْم وهو الجرح؛ قال الباحث: وهذا السبب كسابقه.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨٤/٣).

٩- لأن المتكلمين كانوا يتكلمون حيث ينبغي الصمت اقتداء بالصحابة والتابعين الذين سكتوا عن المسائل الاعتقادية لا يخوضون فيها، فأصبح الكلام هنا ضد السكوت؛ قال الباحث: وهذا السبب إن أريد به أن المتكلمين خاضوا بالكيفيات حتى عطلوا الصفات فهذا صحيح، وإن أريد أن الصحابة والتابعين صمتوا في معاني الصفات وفوضوها فهذا باطل.

١٠- لأن المتكلمين قوم يقولون في أمور ليس تحتها عمل، فكلامهم نظري لفظي لا يتعلق به فعل، فأصبح الكلام – هنا – ضد الفعل؛ قال الباحث: وهذا السبب ضعيف، فكثير من العلوم الخبرية لا يتعلق بها فعل ومع ذلك لا تسمى علم كلام، ثم القول بأن المتكلمين يقولون في أمور ليس تحتها عمل غير دقيق، فبعض المسائل التي يذكرها أهل الكلام يتعلق بها فعل، فالمتكلم الذي ينفي العلو مثلاً ويقول بالحلول فسيعبد الخلق، والمتكلم الذي ينفي الرؤية في الآخرة لن يدعو بها، والترك عمل.

ذم جمال الدين السرمري لعلم الكلام:

إن الإمام جمال الدين السرمري جعل قطب الرحى في التلقي الكتاب والسنة، وهما الركيزة الأساسية، ومن الأمور التي انحرف بسببه كثير من أهل الزيغ والضلال عن منهج الكتاب والسنة، بل يعد منعطفاً خطيراً زلت فيه أقدامهم، ألا وهو علم الكلام.

ففي بيان خطر هذا المزلق يقول رحمه الله:

"ولاخير في علم الكلام لأنَّه ... خلافُ كلامِ المصطفى الطَّاهر الطُّهْرِ

أدِلَّتُهُ لا مِنْ كتابٍ وسنةٍ ... بَلى مِن كلامِ الأخطل الفَاجرِ العِرِّ[1]

يدورُ على التعطيل لا دَرّ دَرُّه ... بتمويهِ قولٍ في المَخارجِ مُزْوَرِّ

وما قصْده نفيُ المَخارج ويحه ... بلى قصْدُهُ نَفْيُ الكلام من السِّفْرِ

(١) العر: الجرب، وقولهم فلان عرة: العرة الذي يجني على أهله وإخوانه ويلحقهم من الجناية والأذى مثل ما يلحق العر صاحبه، وقال قوم: العرة عند العرب القذر الدنس الذي يلحق أهله دنساً وقذراً. انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/١٣٣)، لأبي بكر الأنباري، تحقيق: د. حاتم الضامن، الطبعة الأولى ١٤١٢، مؤسسة الرسالة، بيروت.

فتبّاً لهذا المَذهبِ المُذهبِ الذي أقَلُّ أذى فيـــه بصاحِبِـهِ يُـــــزْري"[1].

وذم أهله وبَـيَّن الفرقان بينه وبينهم في التلقي، وأن مصدرهم آراء الرجال وزبالة أذهانهم فيقدمون العقل على القرآن والسنة فقال:

"ويكفي سُواي أنَّه مُتمسِّـــكٌ بتعليم عِلْـــم المنطقِ السَّيئ النَّشْرِ
عقيدته أنَّ الكتــاب وسُنَّـــ ـة النَّبي معاً ليسا دليلاً على أمْـرِ
ولكن دليلُ الأمر والنهي عنده نتيجة أفكارٍ على عقْـــله يَجْـري"[2].

وقد حذر السلف من هذا المنهج الباطل وأجمعوا على ذم الكلام وأهله.

قال أبو عمر بن عبدالبر: "أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ، ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم"[3].

وقال الشافعي رحمه الله: "حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل، هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام"[4].

وقال أيضاً: "اعلم أني اطلعتُ من أهل الكلام على شيء ماظننته قط، ولأن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام"[5].

وقال الإمام أحمد: "لا يفلح صاحب كلام أبداً، علماء الكلام زنادقة"[6].

وقال الإمام البربهاري: "واعلم أنها لم تكن زندقة، ولا كفر، ولا شكوك، ولا بدعة، ولا

---

(١) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٢٩-٣٠.

(٢) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٢٨.

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/١٩٣).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (٢/١٩٣).

(٥) جامع بيان العلم وفضله (٢/١٩٢).

(٦) تلبيس إبليس ص٧٥، لابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢١، دار الفكر، بيروت.

ضلالة، ولا حيرة في الدين إلا من الكلام وأهل الكلام والجدل والمراء والخصومة والعجب، وكيف يجترئ الرجل على المراء والخصومة والجدال والله يقول: ﴿مَا يُجَادِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤]"(١).

وقال ابن حجر رحمه الله: "وقد توسع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم، ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلاً يردون إليه من خالفه من الآثار بالتأويل ولو كان مستكرهاً، ثم لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أن الذي رتبوه هو أشرف العلوم وأولاها بالتحصيل، وأن من لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عامي جاهل، فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف واجتنب ما أحدثه الخلف"(٢).

---

(١) شرح السنة ص٣٨، للحسن البربهاري، تحقيق: د. محمد القحطاني، الطبعة الأولى ١٤٠٨، دار ابن القيم، الدمام.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/٢٥٣)، لابن حجر، ١٣٩٧، دار المعرفة، بيروت.

الفصل الثالث

منهج جمال الدين السرمري في تقرير التوحيد

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

تمهيد : تعريف التوحيد وأقسامه .

المبحث الأول : منهج جمال الدين السرمري في تقرير توحيد الربوبية .

المبحث الثاني : منهج جمال الدين السرمري في تقرير توحيد الألوهية .

المبحث الثالث : منهج جمال الدين السرمري في تقرير توحيد الأسماء والصفات .

تمهيد
في تعريف التوحيد وأقسامه

١- تعريف التوحيد:

أ- التوحيد لغة: هو تفعيل وحد يقال: "وحده توحيداً: أي جعله واحداً"[١].

قال ابن فارس: "الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد"[٢].

وقال أبو القاسم الأصبهاني[٣]: "التوحيد على وزن التفعيل وهو مصدر وحّدته توحيداً ... ومعنى وحّدته: جعلته منفرداً عما يشاركه أو يشبهه في ذاته وصفاته، والتشديد فيه للمبالغة أي بالغت في وصفه بذلك، وقيل: الواو فيه مبدلة من الهمزة، والعرب تبدل الهمزة من الواو، وتبدل الواو من الهمزة كقولهم: وشاح وأشاح ... ويقال: جاؤوا أحاد أحاد، أي واحداً واحداً، فعلى هذا: الواو في التوحيد أصلها الهمزة، قال الهذلي:

ليث الصريمة أحدان الرجال له   صيد ومجتزئ بالليل هجّاس

وتقول العرب: واحد وأحد ووحد ووحيد، أي: منفرد، فالله تعالى واحد، أي منفرد عن الأنداد والأشكال في جميع الأحوال.

فقولهم: وحّدت الله، من باب عظمت الله، وكبرته، أي علمته عظيماً وكبيراً، فكذلك وحّدته، أي علمته واحداً، منزهاً عن المثل في الذات والصفات"[٤].

---

(١) القاموس المحيط ص٣٢٤، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة ١٤٢٦، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) معجم مقاييس اللغة (٦/٩٠)، تحقيق: عبدالسلام هارون، ١٣٩٩، دار الفكر.

(٣) هو إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني الملقب بقوام السنة، قال عنه الذهبي: "الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام"، توفي سنة ٥٣٥. سير أعلام النبلاء (٢٠/٨٠-٨١).

(٤) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة (١/٣٠٥-٣٠٦)، لأبي القاسم الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي المدخلي، دار الراية.

وقال الجرجاني: "التوحيد في اللغة: الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد"[1].

وقال السفاريني: "والتوحيد تفعيل للنسبة كالتصديق والتكذيب لا للجعل، فمعنى وحدت الله نسبت إليه الوحدانية، لا جعلته واحداً، فإن وحدانية الله تعالى ذاتية له ليست بجعل جاعل"[2].

ب- التوحيد اصطلاحاً:

تقسمت الطوائف في مفهوم التوحيد، وسمّى كل طائفة باطلهم توحيداً.

فأتباع الفلاسفة، عندهم التوحيد: إثبات وجود مجرد عن الماهية والصفة، بل هو وجود مجرد مطلق، لا يعرض لشيء من الماهيات ولا يقوم به وصف، ومن فروع هذا التوحيد: إنكار ذات الرب، والقول بقدم الأفلاك؛ فتوحيد هؤلاء: هو غاية الإلحاد والجحد والكفر[3].

وأما الاتحادية، فالتوحيد عندهم: أن الحق المنزه هو عين المشبه، وأنه سبحانه هو عين وجود كل موجود وحقيقته وماهيته، فهو عندهم عين الناكح وعين المنكوح، وعين الذابح وعين المذبوح[4]، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وأما أهل الكلام، فالتوحيد عندهم: "إفراد القديم من الحدث"[5].

وقيل: "اعتقدته منفرداً بذاته وصفاته لا نظير له ولا شبيه"[6].

---

(١) التعريفات، ص٩٦.

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية غي عقد الفرقة المرضية (١/٥٦-٥٧)، للسفاريني، الطبعة الثانية ١٤٠٢، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق.

(٣) مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين" (٣/٤٦٦)، لابن القيم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) مدارج السالكين (٣/٤٦٦).

(٥) فتح الباري (١٣/٣٤٤)؛ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/٣٥٧)، للقسطلاني، الطبعة السابعة ١٣٢٣، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر.

(٦) فتح الباري (١٣/٣٤٥)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٥/١٢٢)، لبدر الدين العيني، ضبط وتصحيح: عبدالله عمر، الطبعة الأولى ١٤٢١، دار الكتب العلمية، بيروت؛ إرشاد الساري (١٠/٣٥٧).

وقيل: "سلبت عنه الكيفية والكمية فهو واحد في ذاته لا انقسام له، وفي صفاته لا شبيه له، وفي إلهيته وملكه وتدبيره لا شريك له ولا رب سواه ولا خالق غيره"(١).

وقيل: "إثبات ذات غير مشبهة بالذوات ولا معطلة عن الصفات"(٢).

وقيل: "نفي التقسيم لذاته ونفي التشبيه عن حقه وصفاته ونفي الشريك معه في أفعاله ومصنوعاته فلا تشبه ذاته الذوات ولا صفته الصفات"(٣).

وقيل: "تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام ويتخيل في الأوهام والأذهان وهو ثلاثة أشياء: معرفة الله تعالى بالربوبية والإقرار بالوحدانية ونفي الأنداد عنه جملة"(٤).

وقيل: "إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له"(٥).

وقيل: "واحد في ذاته لا قسمه له ولا صفة له، وواحد في أفعاله لا شريك له، فلا قديم غير ذاته، ولا قسيم له في أفعاله"(٦).

وقيل: "إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلق الأكوان وأنه وحده مرجع كل كون ومنتهى كل قصد"(٧).

وفي الجملة فمفهوم التوحيد عند أهل الكلام هو نفي الصفات بدعوى التشبيه، وغالب تعريفات أهل الكلام لا تتعرض لتوحيد العبادة ولا تعرج عليه، وبخاصة الأشاعرة فهم مرجئة في التوحيد كما أنهم مرجئة في الإيمان(٨)، فلا يرون أن توحيد الألوهية من حقيقة التوحيد الذي يقع

---

(١) فتح الباري (١٣/٣٤٥).

(٢) عمدة القاري (٢٥/١٢٢).

(٣) إرشاد الساري (١٠/٣٥٧).

(٤) التعريفات، ص٩٦.

(٥) الملل والنحل (١/٤٠)، للشهرستاني، تحقيق: محمد كيلاني، ١٤٠٤، دار المعرفة، بيروت.

(٦) الملل والنحل (١/٤٠)، للشهرستاني.

(٧) رسالة التوحيد ص٥، لمحمد عبده، دار الكتاب العربي ١٩٦٦م.

(٨) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص١٢٦، لعبدالرحيم السلمي.

فيه الشرك، وذلك بسبب اعتقادهم أن توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الألوهية الذي جاءت به النصوص، وأن معنى لا إله إلا الله لا خالق إلا الله أو لا قادر على الاختراع إلا الله، فأفنوا أعمارهم بما لم ينازع فيه المشركون.

وأما القدرية فالتوحيد عندهم: هو إنكار قَدَر الله، وعموم مشيئته للكائنات وقدرته عليها، ومتأخروهم ضموا إلى ذلك: توحيد الجهمية، فصار حقيقة التوحيد عندهم: إنكار القدر، وإنكار حقائق الأسماء الحسنى والصفات العلى[1].

وأما الجبرية، فالتوحيد عندهم: هو تفرد الرب تعالى بالخلق والفعل، وأن العباد غير فاعلين على الحقيقة، وأن الرب تعالى لم يفعل لحكمة، ولا غاية تطلب بالفعل، بل ما ثم إلا مشيئة محضة[2].

وأما مفهوم التوحيد الذي دعت إليه رسل الله، ونزلت به كتبه، فوراء ذلك كله وهو: "أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له"[3].

وهذا ما فسر به جمال الدين السرمري التوحيد بقوله: "وأشهد أن لا إله إلا الله الغني عن الشركاء، المنزه عن الأشباه والنظراء، المقدس عن الصاحبة والوزراء، المبرئ عن الآباء والأبناء"[4].

٢- أقسام التوحيد:

من العلماء من قسّمه إلى ثلاثة أقسام وهو المشهور[5]، ومنهم من قسّمه إلى قسمين.

---

(١) مدارج السالكين (٣/٤٦٧).

(٢) مدارج السالكين (٣/٤٦٧).

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (١/١٢٠)، لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، تحقيق: أسامة العتيبي، الطبعة الأولى ١٤٢٨، دار العصيمي، الرياض.

(٤) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ١ ب.

(٥) انظر: شرح العقيدة التدمرية ص٤٦، لعبدالرحمن البراك، إعداد: سليمان الغصن، الطبعة الأولى ١٤٢٥، دار كنوز إشبيليا، الرياض.

فالقسمة الثلاثية هي:

١- توحيد الأسماء والصفات.

٢- توحيد الربوبية.

٣- توحيد الألوهية[1].

أما القسمة الثنائية فهي:

١- توحيد الإثبات والمعرفة.

٢- توحيد القصد والطلب[2].

ولامشاحة بين الطريقتين في التقسيم، ولا منافاة بينهما فمن جعله ثنائياً فقد أجمل ومن جعله ثلاثياً فقد فصل.

أما منهج الإمام جمال الدين السرمري في ذلك فمنهج من ذهب إلى القسمة الثلاثية، دل على هذا قوله في معرض كلامه على علاج الكرب والهم والغم والحزن: "ويحتاج إلى استفراغ كلّي:

الأول: توحيد الربوبية.

الثاني: توحيد الإلهية.

الثالث: توحيد العلمي الاعتقادي"[3].

وقال في موضع آخر في معرض كلامه على سورة الفاتحة: "المتضمنة لجميع معاني كتب الله، المشتملة على ذكر أصول أسماء الرب ومجامعها وهي: الله، والرب، والرحمن؛ وإثبات المعان، وذكر التوحيدين: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية"[4].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٢٨٤، ٣٣١)، التدمرية ص٦، تحقيق: د. محمد السعوي، الطبعة السادسة ١٤٢١، مكتبة العبيكان، الرياض؛ شرح الطحاوية ص٢٧، تيسير العزيز الحميد (١/١٢٠-١٢٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/١٠٧)، التدمرية ص٤-٥، مدارج السالكين (١/٣٣، ٣/٤٦٨)، شرح العقيدة الطحاوية ص٤١، تيسير العزيز الحميد (١/١٢٠)،

(٣) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ٣٠٥ أ.

(٤) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ٢٩٩ ب.

المبحث الأول

منهج جمال الدين السرمري في تقرير توحيد الربوبية

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية:

أ- **تعريفه لغة:** توحيد الربوبية مركب من كلمتين: "توحيد" وتقدم تعريفها، و"الربوبية" وهي مأخوذة من الرب.

يقول ابن فارس -رحمه الله-:

"الراء والباء يدل على أصول:

فالأول: إصلاح الشيء والقيام عليه. فالرّبُّ: المالك، والخالق، والصاحب؛ والرب: المصلح للشيء، يقال: ربَّ فلان ضَيعتَه، إذا قام على إصلاحها.

والأصل الآخر: لزوم الشيء، والإقامة عليه. وهو مناسب للأصل الأول، يقال: أربَّت السّحابة بهذه البلدة، إذا دامت.

والأصل الثالث: ضم الشيء للشيء، وهو أيضاً مناسبٌ لما قبله. يقال للخرقة التي يُجعل فيها القداح: رِبابَةٌ، وسمي العهد رِبابة لأنه يجمع ويؤلِّف.

ومتى أنعم النظر كان الباب كله قياساً واحداً"[1].

ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، فلا يقال "الرب" إلا عليه سبحانه، وإذا أطلق على غيره أضيف، فيقال: رب كذا[2].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢/٣٨٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٤٥٠).

ب- تعريفه في الاصطلاح:

قال الشيخ سليمان بن عبدالله: "هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء، ومالكه، وخالقه، ورازقه، وأنه هو المحيي والمميت، النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك"(١).

وقد أشار جمال الدين السرمري رحمه الله إلى هذا المعنى، فمن ذلك قوله في بيان وحدانية الباري ﷻ بالخلق والرزق: "فالله تعالى لم يخلق شيئاً فقدِر الخلق أن يعملوا مثله، فإنه تعالى أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض وأخرج به من كل الثمرات، ولا يقدر أحد من الخلق على فعل شيء من ذلك، وخلق الحيوانات والهوام وغير ذلك من ذوات الأرواح فلا يستطيع أحد من الخلق أن يعملوا مثلها ... فلا يمكنهم نقل نوع مخلوق من الحيوان والنبات والمعدن إلى آخر مخلوق"(٢).

وقال في موضع آخر في مقدمة (كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون): "الحمد لله القدير الصانع، المعطي المانع، الضار النافع، المفرق الجامع، الخافض الرافع، الذي ليس لما قضاه دافع، ولا له في حكمه منازع"(٣).

وقال في موضع آخر في معرض كلامه على شروط العبودية: "وإلقاء مقاليد الأمور كلها إليه، وأن يعترف له بالقدرة على جميع المخلوقات، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ..."(٤).

وقال في في موضع آخر في معرض كلامه على نفي العدوى: "فبطل أن يقال: حدث هذا المرض بالإعداء، وثبت أنه فعل الله تعالى، فَعَلَه بالقدرة والاختيار، إن شاء فعله مع ملابسته ذي الداء والعامة، وإن شاء فعله منفرداً عنه ابتداءً واستقلالاً ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/١٢٠-١٢١).

(٢) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ١٣٠ أ.

(٣) كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون، ص١٩.

(٤) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص١٣٨.

[الأعراف: من الآية ٥٤]، ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] إنما قوله لشيء إذا أراد أن يكون أن يقول له: كن فيكون، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب"[1].

وقال في موضع آخر: "والغرض هاهنا أنه لا يُمرض إلا الله، ولا يُعافي سواه، ولا يحيي ولا يميت إلا إياه، وهذه الأسباب التي تحصل منها التأثيرات من حمة وسقم كلها خلق من خلق الله، جارية بمشيئته وواقعة بإرادته، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين، وكل يجري لأجل مسمى ليقضي الله أمراً كان مفعولاً"[2].

المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي:

إن كل معاني لفظ الرب في اللغة صادقة على الله سبحانه وتعالى، فهو المالك لها، والسيد عليها، والمدبر لمصالحها، والقائم بحفظها، والمؤلف بينها، لا يشاركه فيها أحد من خلقه، تعالى الله الواحد الفرد الصمد.

المطلب الثاني: منهج جمال الدين السرمري في تقرير توحيد الربوبية:

١- أدلة توحيد الربوبية:

قرر جمال الدين السرمري رحمه الله أن الإيمان بوجود الله قد دلت عليه بعثة الأنبياء وآياتهم، ونفى أن يكون الدليل العقلي متقدم عليها كما يزعم أهل الكلام، بل إنه أبطل دلالة العقل من القياس في الرب على معرفة الله، وقرر أنه لا يحصل للعقل من القياس في الرب إلا

---

(١) كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون، ص٥٧.

(٢) كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون، ص٣٦.

العلم بالسلب، والعدم؛ إذا كان القياس صحيحاً، يقول رحمه الله:

ويكفي سُواي أنه متمسك   بتعليم علم المنطق السَّيئ النَّشْرِ

عقيدته أن الكتاب وسُنَّـ   ـة النَّبي معاً ليسا دليلاً على أمْرِ

ولكن دليلُ الأمر والنَّهي عنده   نتيجةُ أفكارٍ على عقله يجري

وذاك دليلٌ في الشريعةِ باطِلٌ   لأنّا عرفنا الله بالنَّقل لا الفِكْرِ

ومعرفةُ الرحمن بالعقل فِرِيَةٌ   عليه وليس العُرْفُ بالشيء كالنُّكْرِ

وما قرره جمال الدين السرمري رحمه الله هو قول الأئمة في هذا الباب، فأما كون أن العقل لا يحصل له من القياس في الرب إلا السلب فقد قال شيخ الإسلام رحمه الله: "لكن هذا القدر يعرف انتفاء غيره أن يكون إياه، وأما عينه فلا يعرف بمجوع تلك القضايا الكلية، فلا يحصل للعقل من القياس في الرب إلا العلم بالسلب، والعدم؛ إذا كان القياس صحيحاً. ولهذا جاءت الأمثال المضروبة في القرآن -وهي المقاييس العقلية- دالة على النفي في مثل قوله: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ ...﴾ الآية [الروم: ٢٨] ومثل قوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ...﴾ الآيات [النحل: ٧٦] وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ...﴾ الآية [الحج: ٧٣] وقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ...﴾ الآية [الإسراء: ٤٢] وقوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: من الآية ٩١] وأمثال ذلك من الأمثال -وهي القياسات- التي مضمونها نفي الملزوم لانتفاء لازمه، أو نحو ذلك؛ ولهذا كان الغالب على أهل القياس من أهل الفلسفة، والكلام، في جانب الربوبية: إنما المعارف السلبية"(١).

وأما أن الإيمان بوجود الله قد دلت عليه بعثة الأنبياء وآياتهم فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "قال القاضي أبو يعلى في عيون المسائل: [مسألة] ومثبتو النبوات حصل لهم المعرفة بالله

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/٦١-٦٢).

تعالى بثبوت النبوة من غير نظر واستدلال في دلائل العقول، خلافاً للأشعرية في قولهم: لا تحصل حتى تنظر وتستدل بدلائل العقول ... وقال البيهقي في كتاب الاعتقاد ماذكره الخطابي أيضاً في "الغنية عن الكلام وأهله": وقد سلك بعض من بحث في إثبات الصانع وحدوث العالم طريق الاستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات الرسالة، لأن دلائلها مأخوذة من طريق الحس لمن شاهدها، ومن طريق استفاضة الخبر لمن غاب عنها، فلما ثبتت النبوة صارت أصلاً في وجوب قبول ما دعا إليه النبي، وعلى هذا الوجه كان إيمان أكثر المستجيبين للرسول؛ وذكر قصة جعفر وأصحابه مع النجاشي، وقصة الأعرابي الذي قال: من خلق السماء، وغير ذلك. –ثم قال شيخ الإسلام–: وأما الطريقة التي ذكرها المتقدمون فصحيحة إذا حررت، وقد جاء القرآن بها في قصة فرعون فإنه كان منكراً للرب، قال تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٦-١٨] –إلى قوله–: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣-٣٣] فهنا قد عرض عليه موسى الحجة البينة التي جعلها دليلاً على صدقه في كونه رسول رب العالمين، وفي أن له إلهاً غير فرعون يتخذه. وكذلك قال تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [هود: من الآية ١٤] فبين أن المعجزة تدل على الوحدانية والرسالة"[1].

وقال في موضع آخر: "قيل لابن عباس: بماذا عرفت ربك؟ فقال: من طلب دينه بالقياس لم يزل دهره في التباس، خارج عن المنهاج، ظاعناً في الاعوجاج، عرفته بما عرف به نفسه،

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/٢٧٧-٢٧٩).

ووصفته بما وصف به نفسه؛ فأخبر أن معرفة القلب حصلت بتعريف الله: وهو نور الإيمان، وأن وصف اللسان حصل بكلام الله: وهو نور القرآن"(١).

وقال ابن القيم: "وهذه الطريق -يعني دلالة بعثة الأنبياء وآياتهم على وجود الله- من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله، وارتباط أدلة هذه الطريق بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها، فإنها جمعت بين دلالة الحس والعقل، ودلالتها ضرورية بنفسها، ولهذا يسميها الله آيات بينات"(٢).

وبيان هذا الدليل من وجهين:

الوجه الأول: الآيات والبراهين -وهي المعجزات:

من المعلوم أن الرسول إذا جاء قومه وادعى أنه رسول الله يُوحَى إليه بأنه لا إله إلا الله، أيده الله وصدقه بآية، فههنا أمور:

الأول: دعواه أنه رسول.

الثاني: أن الله هو الذي أرسله سواء كان المُخاطَب يقر بوجوده أو لا يقر.

الثالث: أنه مرسل لدعوة الناس إلى إفراد الله بالألوهية.

فإذا جاء الرسول بآية وهي العلامة التي تدل على صدقه ثبتت الرسالة وكذلك الربوبية ضمناً.

الوجه الثاني: العلوم والأحكام المتضمنة لمصالح الخلق التي جاءوا بها:

أولا: العلوم:

لا يُعقل أن يتحدث الإنسان ويخبر بأشياء غيبية ويصدق فيها دائماً دون تردد، ودون أن يجرب عليه كذب إلا إذا كان مُوحى إليه، فيدل ذلك على صدقه في الرسالة، وعلى وجود الخالق سبحانه، لأنه هو الذي أطلعه على ذلك.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/١٨).

(٢) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٣/١١٩٧).

ثانياً: الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق:

فقد تضمنت شريعة النبي ﷺ أموراً عظيمة، يقطع الإنسان أنها لا يمكن أن تكون إلا من خالق عليم حكيم[1].

٢- أثر توحيد الربوبية وثمراته:

قرر جمال الدين السرمري رحمه الله أثر توحيد الربوبية وثمراته على العبد مما يبين أهمية هذه المسألة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره في أول دواء الهم والغم والحزن فقال: "وهذه الأدوية تتضمن خمسة عشر نوعاً من الدواء فإن لم يقوى على إذهاب الهم والغم والحزن فهو ذا قد استحكم وتمكنت أسبابه ويحتاج إلى استفراغ كلي: الأول: توحيد الربوبية ..."[2].

وقال في موضع آخر في بيان أن السحر أكثر ما يصيب ضعيف التوحيد: "وعند السحرة إنما يتم سحرهم في القلوب الضعيفة المنفعلة والنفوس الشهوانية التي معلقة بالسّفليات، ولهذا غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال وأهل البوادي، ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد ..."[3].

وقال في موضع آخر في أن التوحيد من أعظم الوسائل إلى الله تعالى: "فالاعتراف بالعبودية والإخلاص في الخضوع والذل وإظهار الفقر والحاجة من أعظم الوسائل إلى الله تعالى"[4].

---

(١) منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله (١/٢٩٢-٢٩٧)، لخالد بن عبداللطيف بن محمد نور، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية.

(٢) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ٣٠٥ أ.

(٣) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ٢٩٤ ب.

(٤) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ٤٦ ب.

٣- مسألة تسلسل الحوادث:

وهذه المسألة من المسائل الطويلة التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً فيها بطلان مذهب الفلاسفة، وأدلة المتكلمين حول إثبات الصانع وحدوث العالم، وهي مباحث عويصة قال عنها شيخ الإسلام: إنها من محارات العقول[١]، بل قال عن بعض مسائلها وفروعها: إنها من الكلام المذموم[٢]، ولا شك أن شيخ الإسلام خاض فيها مضطراً؛ ليبين خطأ وضلال أولئك الذين خاضوا فيها مخالفين لمنهج الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم-؛وإلا فمسألة إثبات الصانع وحدوث المخلوقات من المسائل البدهية التي يعرفها عوام المسلمين.

وقد اشتهر عن ابن تيمية أنه يقول بجواز حوادث لا أول لها، وتلقفها مناوئوه وحساده من أعداء مذهب السلف فرموه صراحة بأنه يقول بقدم العالم كالفلاسفة، وممن اتهمه بذلك تقي الدين السبكي، فإنه لما اطلع على كتابه "منهاج السنة النبوية" أنشد أبياتاً مدح فيها الكتاب إلا إنه ناقره بأبيات فيها مغالطات واتهامات مختصرة، ومما قال فيها:

"يحاول الحشو أنّى كان فهو له حثيث سيرٍ بشرقٍ أو بمغربه

يرى حوادث لا مبدا لأولها في الله سبحانه عما يُظنّ به"[٣]

وكان قد كتب التقي السبكي قصيدته البائية المذكورة بعد وفاة شيخ الإسلام كما يدل عليه قوله:

لو كان حيّاً يرى قولي ويسمعه رددتُ ما قال رداً غير مشتبه

فتصدى للتشنيع على شيخ الإسلام بذلك، والرد عليه بمثل البحر والقافية جمال الدين السرمري رحمه الله، ومما جاء فيها:

---

(١) منهاج السنة النبوية (١/٢٠٧)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، مؤسسة قرطبة.

(٢) المصدر السابق (١/١٣٣).

(٣) ذكرها التاج السبكي في ترجمة أبيه التقي السبكي في "طبقات الشافعية الكبرى" (١٠/١٧٦)، تحقيق: د. محمود الطناحي و د. عبدالفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية ١٤١٣، دار هجر.

"أما حـوادثُ لا مبـدا لأوّلـها فذاك من أغرب المحكي وأعـجَبِـهِ

قصَّرت في الفهم فاقصر في الكلام فما ذا عُشُّك ادرُجْ فما صقرٌ كعُنْظُبِـهِ[1]

لو قلتَ قال كذا ثم الجـواب كـذا لبان مُخطِئُ قـولٍ مـن مُصَـوِّبِهِ

أجْمَلْتَ قـولاً فأجمـلتُ الجـوابَ ولو فصَّـلتَ فـصَّـلتُ تبياناً لأغـرَبِـهِ

إن قلتَ كان ولا علـم لـديه ولا كـلام لا قـدرةٌ أصـلاً كفرتَ بِهِ

أو قـلتَ أحـدثها بعد استـحالتها في حقه سَمْتُ نقصٍ ما احتججت بِهِ

وكيف يوجـدها بعـد استحالتهـا منـه أيقـدر ميـتٌ رفـع مَنْكِبِهِ

أو قلتَ فعل اختيار منه ممتنع ضـاهـيتَ قـول امرئ مُغوٍ بأنصُبِهِ

ولم يزل بـصفات الفعـل مُتَّصـفاً وبالكلام بـعيداً فـي تقـرُّبِـهِ

سبحانه لم يزل ما شاء يفعـلُهُ في كلِّ ما زمن ما من مـعقِّبِهِ

نـوعُ الـكلام كـذا نوعُ الفعالِ قديـ ـم لا المعيـَّنُ منـه في ترتُّبِـهِ

وليس يفهمُ ذو عقلٍ مقارنـة الـ ـمفعولِ مع فاعلٍ في نفس مَنْصِبِهِ

يُحبُّ يبغض يرضى ثم يغضب ذا من وصفه، أرضه، بُعداً لِمُغضِبِهِ

والخلقُ ليس هو المخلـوق تحسبه بل مصدر قـائم بالنفس فادر به

وقول كن ليس بالشيء المكوَّن والصـ ـغير يعرفُ هـذا مع تلعُّبِهِ

فالمصطفى قال كان الله قبل ولا شيء سـواه تـعالى في تحجُّبِهِ"[2].

ويمكن تلخيص المسألة كما يأتي:

أولاً: مذاهب أهل القبلة في تسلسل الحوادث:

١- استدل المتكلمون بدليل حدوث العالم على توحيد الربوبية، وزعموا أن مساق دليلهم

---

(١) العنظب: الجراد الذكر. انظر: لسان العرب (١/٦٣١).

(٢) الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية، ص٦٨-٧٥.

يقتضي:

أ- القول بأن الفعل كان ممتنعاً على الله ﷻ ثم صار ممكناً، لأنه لو قيل بجواز أن يكون قادراً على الخلق قبل ذلك لأدى ذلك إلى صحة القول بقدم العالم، لأنه ما من زمن يفترض فيه خلق العالم إلا وجائز أن يقع الفعل قبله، لأن الله قديم -عندهم-، وهذا ممتنع - بزعمهم -.

ب- نفي عن الله تعالى أن تقوم به صفات الأفعال، لأنه لما قيل لهم: إن قولكم إن الله خالق العالم بعد أن لم يكن العالم موجوداً هو قول بحلول الحوادث به تعالى، أجابوا بمذهبهم المشهور: إن الخلق هو المخلوق، أما أهل السنة يقولون: إن الفعل غير المفعول؛ فيفرق أهل السنة بين ثلاثة أشياء: الخالق تعالى، وصفة الخلق التي قامت به تعالى كغيرها من الصفات، والمخلوق المنفصل عنه تعالى.

وبناء على شبه المتكلمين في منع التسلسل، صارت أقوالهم في التسلسل في الآثار على قسمين:

- منعه في الماضي والمستقبل، وهذا قول جهم والعلاف، وحجة هؤلاء أنه إذا كان ممتنعاً في الماضي فيجب أن يكون ممتنعاً في المستقبل، فقال الجهم: بفناء الجنة والنار، وقال العلاف: بفناء حركات أهلهما.

- منعه في الماضي وتجويزه في المستقبل، وهذا القول المشهور عند أهل الكلام الذين يقولون بدوام نعيم الجنة(1).

٢- قال الفلاسفة: إن العلة التامة التي تسمى المؤثر يجب أن يقارنه معلوله في الزمان بحيث لا يتأخر عنه، وهذا سبب قولهم بقدم العالم(2).

---

(١) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/٩٩٦-٩٩٨)، د. عبدالرحمن المحمود، الطبعة الأولى ١٤١٥، مكتبة الرشد، الرياض.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/٢٧٠).

ولما رأى الفلاسفة دليل المتكلمين في إثبات حدوث العالم اعترضوا عليهم بأن في ذلك – لم يكن قادراً ثم صار قادراً– ترجيحاً لأحد طرفي الممكن بلا مرجح، والترجيح لابد له من مرجح تام يجب به، ثم قالوا: والقول بوجود سبب يقتضي الترجيح يحتاج إلى سبب آخر وهكذا إلى غير نهاية فيلزم التسلسل وهو ممتنع عندكم، فوقع المتكلمون في مأزق لم يستطيعوا التخلص منه وقامت عليهم الشناعات في هذا الموضع، يقول شيخ الإسلام: "وهذا قول أكثر المعتزلة والأشعرية وغيرهم: يقرون بالصانع المحدث من غير تجدد سبب حادث، ولهذا قامت عليهم الشناعات في هذا الموضع وقال لهم الناس: هذا ينقض الأصل الذي أثبتم به الصانع، وهو أن الممكن لا يترجح أحد طرفيه على الآخر إلا بمرجح؛ فإذا كانت الأوقات متماثلة، والفاعل على حال واحدة لم يتجدد فيه شيء أزلاً وأبداً، ثم اختص أحد الأوقات بالحدوث فيه، كان ذلك ترجيحاً بلا مرجح"(1).

٣– لما رأى شيخ الإسلام ابن تيمية بطلان مذهب الفلاسفة وأدلة المتكلمين حول إثبات الصانع وحدوث العالم، خاض فيها مضطراً لبيان الحق في المسألة، فقال: "والمقصود هنا أن هؤلاء المتكلمين الذين جمعوا في كلامهم بين حق وباطل، وقابلوا الباطل بباطل، وردوا البدعة ببدعة، لما ناظروا الفلاسفة وناظروهم في مسألة حدوث العالم ونحوها استطال عليهم الفلاسفة لما رأوهم قد سلكوا تلك الطريق التي هي فاسدة عند أئمة الشرع والعقل، وقد اعترف حذاق النظار بفسادها، فظن هؤلاء الفلاسفة الملاحدة أنهم إذا أبطلوا قول هؤلاء بامتناع حوادث لا أول لها، وأقاموا الدليل على دوام الفعل، لزم من ذلك قدم هذا العالم ومخالفة نصوص الأنبياء وهذا جهل عظيم، فإنه ليس للفلاسفة ولا لغيرهم دليل واحد عقلي صحيح يخالف شيئاً من نصوص الأنبياء، وهذه مسألة حدوث العالم وقدمه، لا يقدر أحد من بني آدم أن يقيم دليلاً على قدم الأفلاك أصلاً، وجميع ما ذكروه ليس فيه ما يدل على قدم شيء بعينه من العالم

---

(1) درء تعارض العقل والنقل (٨/١٠٧).

أصلاً، وإنما غايتهم أن يدلوا على قدم نوع الفعل، وأن الفاعل لم يزل فاعلاً، وأن الحوادث لا أول لها، ونحو ذلك مما لا يدل على قدم شيء بعينه من العالم، وهذا لا يخالف شيئاً من نصوص الأنبياء، بل يوافقها؛ وأما النصوص المتواترة عن الأنبياء بأن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وأن الله خالق كل شيء، فكل ما سواه مخلوق كائن بعد أن لم يكن، فلا يمكن أحداً أن يذكر دليلاً عقلياً يناقض هذا ..."(1).

وقال في موضع آخر: "أنهم –أي المتكلمين– لما اعتقدوا أن هذا هو دين الإسلام أخذوا يحتجون عليه بالحجج العقلية المعروفة لهم، وعمدتهم التي هي أعظم الحجج، مبناها على امتناع حوادث لا أول لها، وبها أثبتوا حدوث كل موصوف بصفة، وسموا ذلك إثباتاً لحدوث الأجسام، فلزمهم على ذلك نفي صفات الرب ﷻ، وأنه ليس له علم ولا قدرة ولا كلام يقوم به، بل كلامه مخلوق منفصل عنه ... وكان ذلك مما سلط الدهرية القائلين بقدم العالم، لما علموا حقيقة قولهم وأدلتهم وبينوا فساده، ثم لما ظنوا أن هذا قول الرسول ﷺ واعتقدوا أنه باطل، قالوا: إن الرسول لم يبين الحقائق، سواء علمها أو لم يعلمها، وإنما خاطب الجمهور بما يخيل لهم وما ينتفعون به، فصار أولئك المتكلمون النفاة مخطئين في السمعيات والعقليات، وصار خطؤهم من أكبر أسباب تسلط الفلاسفة، لما ظن أولئك الفلاسفة الدهرية أنه ليس في هذا المطلوب إلا قولان: قول أولئك المتكلمين وقولهم؛ وقد رأوا أن قول أولئك باطل، فجعلوا ذلك حجة في تصحيح قولهم، مع أنه ليس للفلاسفة الدهرية على قولهم بقدم الأفلاك حجة عقلية أصلاً، وكان من أعظم أسباب هذا أنهم لم يحققوا معرفة ما بعث الله به رسوله ﷺ"(2).

وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية إجمالاً هو: جواز تسلسل المخلوقات في الماضي والمستقبل، وأنه تعالى لم يزل مريداً، خالقاً، فاعلاً، فما من زمن يفترضه العقل حدًّا لابتداء الخلق إلا أمكنه أن يتصور قبله زماناً وقع فيه الخلق، فيكون هذا الزمان الآخر سابقاً له،

---

(1) درء تعارض العقل والنقل (٨/٢٧٩-٢٨٠).

(2) مجموع الفتاوى (١٨/٢٢٤-٢٢٥).

وماتصوره العقل في الثاني يصدق عليه ما صدق على الأول، وهكذا إلى ما لا نهاية، مع القطع بأن أعيان الحوادث مخلوقة كائنة بعد أن لم تكن[1].

ثانياً: أقوال أهل السنة في تسلسل الحوادث:

أما أقوال أهل السنة في المسألة فهي على ما يأتي:

القول الأول: أن جنس الحوادث لا أول له، وأن القول بأن جنس الحوادث له أول يلزم منه أنه سبحانه كان معطلاً عن الصنع في الماضي –تعالى عن ذلك–، فصفة الخلق لابد لها من مفعول، وأنه كما أن صفة الكلام قديمة النوع حادثة الآحاد فكذلك صفة الخلق قديمة النوع حادثة الآحاد، وأن من عسر عليه فهم هذا فليعتبر بما لا يزال يخلق في الجنة من أنواع النعيم كقوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: من الآية ٣٥] فثمرها الذي يؤكل لا ينقطع، ثمرة بعد ثمرة، وإن كان أعيان الثمار فانياً، فكذلك جنس الحوادث لا أول له وإن كان أعيانها حادثة، وأن الأحاديث الواردة في أول الخلق المقصود فيها هو: أول هذا العالم المشهود لا جنس الحوادث، وذهب إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم فقال:

"والآخرون أولو الحديث كأحمد ... ذاك ابن حنبل الرضى الشيباني
قد قال إن الله حقاً لم يزل ... متكلماً إن شاء ذو إحسان
جعل الكلام صفات فعل قائم ... بالذات لم يفقد من الرحمن
وكذا نص على دوام الفعل بالـ ... إحسان أيضاً في مكان ثان
وكذا ابن عباس فراجع قوله ... لما أجاب في مسائل القرآن
وكذا جعفرٌ الإمام الصادق الـ ... ـمقبول عند الخلق ذي العرفان
قد قال لم يزل المهيمن محسناً ... براً جواداً عند كل أوان

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٨/٢١٠-٢٤٣)؛ النبوات ص٤٣، المطبعة السلفية، ١٣٨٦، القاهرة؛ درء تعارض العقل والنقل (٨/٢٧٠).

وكذا الإمـــام الدرامـــــي فإنـــه ... قـــد قـال مـا فـيـه هـدى الحيران

قال الـحياة مع الفـعال كلاهـما ... مـتـلازمـان فـلـيس يفـتـرقان

صدق الإمام فكل حي فهو فعـا ... ل وذا في غـايـة الـتـبـيـان

إلا إذا مـا كـان ثـم مـوانـع ... مـن آفـة أو قـاسـر الـحـيـوان

والـرب ليس لـفعـله من مانع ... مـا شـاء كـان بـقـدرة الـديـان

ومشيئـة الرحـمـن لازمـة لـه ... وكـذاك قـدرة ربـنـا الـرحمن

هـذا وقـد فـطر الإلـه عبـاده ... أن الـمـهـيمن دائـم الإحـسـان

أولـست تسمع قول كل موحد ... يـا دائـم المعـروف والسلطان

وقديـم الإحسان الكثـيـر ودا ... ئـم الجـود وصاحب الغفران

من غيـر إنكار عليهـم فطـرة ... فـطـروا عليـها لا تـواص ثـان

أو ليس فعل الرب تابع وصـفـه ... وكـمـاله أفـذاك ذو حـدثـان

وكماله سبب الفعـال وخلـقـه ... أفـعـالـهـم سبـب الـكمـال الثـاني

أو ما فعال الـرب عيـن كمـالـه ... أفـذاك ممـتـنـع عـلـى الـمنان

أزلاً إلى أن صـار فيـمـا لم يزل ... مـتـمـكـنـاً والـفعـل ذو إمكان

تالله قد ضلت عقول الـقـوم إذ ... قـالـوا بـهـذا القول ذي البطلان

ماذا الـذي أضحـى له متـجدداً ... حـتـى تـمـكـن فـانطقوا ببيان

والرب ليـس مـعطـلاً عن فعله ... بـل كـل يـوم ربـنـا فـي شـان[1]

إلى أن قال:

هذا وما دون المهيمن حـادث ... لـيـس الـقـديم سـواه في الأكوان

والله سـابق كـل شـيء غيـره ... مـا ربـنـا والـخـلـق يـقـتـرنان[2]

---

(١) توضيح المقاصد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (١/٣٤٥-٣٤٦)، لأحمد بن عيسى، الطبعة الثالثة ١٤٠٦، المكتب الإسلامي، بيروت.

(٢) توضيح المقاصد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (١/٣٥٣).

ثم قال:

فلئن زعمتم أن ذاك تسلسل ... قلنا صدقتم وهو ذو إمكان

كتسلسل التأثير في مستقبل ... هل بين ذينك قط من فرقان

والله ما افترقا لذي عقل ولا ... نقل ولا نظر ولا برهان

في سلب إمكان ولا في ضده ... هذي العقول ونحن ذو أذهان

فليأت بالفرقان من هو فارق ... فرقاً يبين لصالح الأذهان

وكذاك سوى الجهم بينهما كذا ... العلاف في الانكار والبطلان

ولأجل ذا حكما بحكم باطل ... قطعاً على الجنات والنيران

فالجهم أفنى الذات والعلاف ... للحركات أفنى قاله الثوران

وأبو علي وابنه الأشعري ... وبعده ابن الطيب الرباني

وجميع أرباب الكلام الباطل الـ ... ـمذموم عند أئمة الإيمان

فرقوا وقالوا ذاك فيما لم يزل ... حق وفي أزل بلا إمكان

قالوا لأجل تناقض الأزلي والـ ... أحداث ما هذان يجتمعان

لكن دوام الفعل في مستقبل ... ما فيه محذور من النكران

فانظر إلى التلبيس في ذا الفرق تر ... ويجاً على العوران والعميان

ما قال ذو عقل بأن الفرد ذو ... أزل لذي ذهن ولا أعيان

بل كل فرد فهو مسبوق بفر ... د قبله أبداً بلا حسبان

ونظير هذا كل فرد فهو ملـ ... ـحوق بفرد بعده حكمان

النوع والآحاد مسبوق وملـ ... ـحوق وكل فهو منها فان

والنوع لا يفنى أخيراً فهو لا ... يفنى كذلك أولاً ببيان"[1].

وممن قال بهذا القول جمال الدين السرمري رحمه الله كما تقدم، وغيرهم.

---

(١) توضيح المقاصد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (١/٣٦٨-٣٦٩).

وأما الفرق بين هذا القول وقول الفلاسفة فمن وجوه:

منها: أن أصحاب هذا القول يقررون أن الله متصف بصفات الكمال، كالعلم والإرادة والقدرة والخلق والكلام وغيرها، أما الفلاسفة فينكرون هذه الصفات جميعها، وهذا غاية التعطيل والنقص، ولذلك آلت أقوالهم في التسلسل إلى القول بقدم العالم، وإذا أقروا بوجود الله سموه علة فاضت منها نفوس وعقول وأفلاك بلا إرادة منه، إلى غير ذلك من أقوالهم الفاسدة.

ومنها: أن الفلاسفة لم يفرقوا بين الآحاد والنوع في المفعولات، وقالوا بقدم الآحاد، وهذا هو التسلسل الباطل الممتنع.

ومنها: أنه يلزم على قول الفلاسفة أن لا يحدث في العالم شيء، وهذا باطل مخالف للمحسوس، وقولهم: إن الفلك أزلي مقارن لفاعله بالزمان، وهذا باطل لأن الخالق لابد أن يتقدم على مخلوقة[1].

القول الثاني: منع تسلسل الحوادث في الماضي، وأنه لا يلزم من هذا القول أنه كان معطلاً عن الصنع، فليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري، وأن القول بأن جنس الحوادث لا أول لها يلزم منه القول بأن أعيان الحوادث لا أول لها، فإن الجملة ليست شيئاً أكثر من الأفراد مجتمعة[2]، وأن الكلام في أن جنس الحوادث لا أول لها دون الأعيان شبيه بالفلسفة وعلم الكلام، وممن ذهب إلى هذا القول –منع تسلسل الحوادث في الماضي– الشيخ الألباني رحمه الله في تعليقه على حديث «إن أول شيء خلق الله تعالى القلم» فقال: "وفيه ردٌّ أيضاً على من يقول بحوادث لا أول لها، وأنه ما من مخلوق إلا وهو مسبوق بمخلوق قبله، وهكذا إلى ما لا بداية له، بحيث لا يمكن أن يقال: هذا أول مخلوق، فالحديث يبطل هذا القول، ويعين أن القلم هو أول مخلوق، فليس قبله قطعاً أي

---

(١) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/١٠٠٣-١٠٠٤)

(٢) انظر: ابن تيمية السلفي ص١٢٢، ١٢٧-١٢٨، لمحمد خليل هراس، الطبعة الأولى ١٤٠٤، دار الكتب العلمية، بيروت.

مخلوق؛ ولقد أطال ابن تيمية رحمه الله في الكلام في رده على الفلاسفة محاولاً إثبات حوادث لا أول لها، وجاء في أثناء ذلك بما تحار فيه العقول، ولا تقبله أكثر القلوب، حتى اتهمه خصومه بأنه يقول بأن المخلوقات قديمة لا أول لها، مع أنه يقول ويصرح بأن ما من مخلوق إلا وهو مسبوق بالعدم، ولكنه مع ذلك يقول بتسلسل الحوادث إلى ما لا بداية له، كما يقول هو وغيره بتسلسل الحوادث إلى ما لا نهاية، فذلك القول منه غير مقبول، بل مرفوض بهذا الحديث، وكم كنا نود أن لا يلج ابن تيمية رحمه الله هذا المولج، لأن الكلام فيه شبيه بالفلسفة وعلم الكلام الذي تعلمنا منه التحذير والتنفير منه، ولكن صدق الإمام مالك رحمه الله حين قال: ما منا من أحد إلا رَدَّ ورُدَّ عليه إلا صاحب هذا القبر ﷺ"[1].

وقال في موضع آخر: "قلت: ذكر الشارح هنا أن العلماء اختلفوا: هل القلم أول المخلوقات أو العرش؟ على قولين لا ثالث لهما، وأنا وإن كان الراجح عندي الأول، كما كنت صرحت به في تعليقي عليه ... فإني أقول الآن: سواء كان الراجح هذا أم ذاك، فالاختلاف المذكور يدل بمفهومه على أن العلماء اتفقوا على أن هناك أول مخلوق، والقائلون بحوادث لا أول لها، مخالفون لهذا الاتفاق، لأنهم يصرحون بأن ما من مخلوق إلا وقبله مخلوق، وهكذا إلى ما لا أول له، كما صرح بذلك ابن تيمية في بعض كتبه، فإن قالوا: العرش أول مخلوق، كما هو ظاهر كلام الشارح، نقضوا قولهم بحوادث لا أول لها، وإن لم يقولوا بذلك خالفوا الاتفاق، فتأمل هذا فإنه مهم، والله الموفق"[2].

ولعل من الذين ذهبوا إلى هذا القول الإمام الطحاوي رحمه الله كما رجح ذلك الإمام ابن أبي العز عند شرحه على قول الإمام الطحاوي: "ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري"[3] يشير أنه موصوف بهذه الصفات وإن لم تظهر آثارها، وأنه لا يلزم من القول بأن جنس الحوادث لها أول أنه كان معطلاً عن الصنع، وهذا مخالف لقول

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٢٥٨)، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.

(٢) العقيدة الطحاوية شرح وتعليق ص٢٠-٢١، لمحمد ناصر الدين الألباني.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ص٨٧.

من يقول: أن صفة الخلق تستلزم المفعول.

القول الثالث: التوقف في المسألة، وأن هذه من الغيبيات التي لم يخبرنا الله تعالى عنها، وممن ذهبوا إلى هذا الشيخ ابن جبرين رحمه الله فقال: "ونتوقف عن تسلسل الحوادث في الماضي، ونقول: الأمر غيبٌ، ولم يخبرنا الله تعالى بشيء من ذلك، وليس لنا التدخل في هذه الأمور، لأنها من الأمور التي لا يضر جهلها، ولا يفيد علمها، وقد توقع في شيء من الحيرة والاضطراب، والمسلم عليه أن يقتصر على ما فيه فائدة له في العقيدة، وأنه يعتقد ما ينفعه، ويكون دافعاً له لمعرفة ربه بأسمائه وصفاته، وإلى التقرب إلى الله تعالى بموجب تلك الأسماء"[1].

هذا ما وقفت عليه من أقوال أهل السنة في مسألة تسلسل الحوادث، وقد قصدت توضيح الأقوال باختصار، وليس حصر القائلين.

رأي الباحث في مسألة تسلسل الحوادث:

لا ريب أن المسألة بتفصيلاتها ولوازمها دقيقة المنزع، وعرة المسلك، بعيدة الغور، إلا أن هناك أصلين من أقر بهما فقد برئ من البدعة، وهما مما أجمع عليه أهل السنة حتى المختلفون في بعض تفاصيل المسألة، وإنما وقع الخلاف في لوازم الأقوال أنها تقدح في أحد هذين الأصلين:

١- أن الله تعالى لم يزل مريداً، خالقاً، فاعلاً، فلم يأت عليه زمن كان معطلاً فيه عن صفة الخلق؛ وهذا الأصل ضل فيه المتكلمون.

٢- أن أعيان الحوادث مخلوقة كائنة بعد أن لم تكن؛ وهذا الأصل ضل فيه الفلاسفة.

---

(١) الرياض الندية على شرح العقيدة الطحاوية (١/٤٥٤)، تعليق: د. عبدالله عبدالرحمن الجبرين، الطبعة الأولى ١٤٣١، دار الصميعي، الرياض.

المبحث الثاني

منهج جمال الدين السرمري في تقرير توحيد الألوهية

المطلب الأول: تعريف توحيد الألوهية وخصائصه:

أ- تعريفه لغة: توحيد الألوهية مركب من كلمتين: "توحيد" وتقدم تعريفها، و"الألوهية" وهي مأخوذة من إله كفعال بمعنى مألوه أي معبود، وكل ما اتُّخذ معبوداً إلهٌ عند متخذه، ومنه قرأ بن عباس رضي الله عنهما: ﴿ ويذرك وإلاهَتَكَ ﴾ بكسر الهمزة أي: وعبادتك، وكان يقول: إن فرعون كان يُعبد، ومنه اشتق -على الراجح- قولنا: الله[1].

والتأله: التنسك والتعبد قال رؤبة[2]:

لله در الغانيات المُدَّهِ[3] سبحن واسترجعن من تألهي[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والإله المعبود الذي تألهه القلوب، وكونه يستحق الإلهية مستلزم لصفات الكمال، فلا يستحق أن يكون معبوداً محبوباً لذاته إلا هو، وكل عمل لا يراد به وجهه فهو باطل، وعبادة غيره وحب غيره يوجب الفساد، كما قال تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ

---

(١) انظر: القاموس المحيط ص١٦٠٣، تاج العروس من جواهر القاموس (٣٦/٣٢١)، للمرتضى الزبيدي، دار الهداية؛ لسان العرب (١٣/٤٦٧)، مختار الصحاح ص٢٠، لمحمد الرازي، تحقيق: محمود خاطر، ١٤١٥، مكتبة لبنان، بيروت.

(٢) هو: رؤبة -بضم أوله وسكون الواو بعدها- بن العجاج الراجز المشهور التميمي ثم السعدي، لين الحديث فصيح، مات بالبادية سنة ١٤٥. انظر: تقريب التهذيب ص٢١١، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، ١٤٠٦، دار الرشيد، سوريا.

(٣) التمده: التمدح. انظر: الصحاح (٦/ ٢٢٤٩)، لإسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عطار، الطبعة الرابعة ١٩٩٠م، دار العلم للملايين، بيروت.

(٤) الصحاح (٦/٢٢٢٤، ٢٢٤٩).

﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: من الآية ٢٢] ..."[1].

هذا هو معنى الإله لغة وشرعاً.

ب- تعريفه في الاصطلاح:

عرفه الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله بتعريف جامع، ذكر فيه حد هذا التعريف، وتفسيره، وأركانه، فقال: "أن يعلم العبد ويعترف على وجه العلم واليقين أن الله هو المألوه وحده، المعبود على الحقيقة، وأن صفات الإلهية ومعانيها ليست موجودة بأحدٍ من المخلوقات، ولا يستحقها إلا الله تعالى.

فإذا عرف ذلك واعترف به حقاً أفرده بالعبادة كلها الظاهرة والباطنة، فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبر الوالدين وصلة الأرحام وقيام بحقوق الله وحقوق خلقه، ويقوم بأصول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ويقوم بحقائق الإحسان وروح الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، مخلصاً ذلك كله لله، لا يقصد به غرضاً من الأغراض غير رضا ربّه وطلب ثوابه، متابعاً في ذلك رسول الله ﷺ، فعقيدته ما دلّ عليه الكتاب والسنّة، وأعماله وأفعاله ما شرعه الله ورسوله، وأخلاقه وآدابه الاقتداء بنبيه ﷺ في هديه وسمته وكل أحواله"[2].

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله في منظومته:

"هذا وثاني نوعي التوحيد   إفراد رب العرش عن نديد

أن تعبد الله إلهاً واحداً   معترفاً بحقه لا جاحداً"[3].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق: د. ناصر العقل، الطبعة السابعة ١٤١٩، دار عالم الكتب، بيروت.

(٢) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين ص١١٢-١١٣، لعبدالرحمن السعدي، الطبعة الثانية ١٤٠٧، دار ابن القيم، الدمام.

(٣) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (٣١/١)، لحافظ الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود، الطبعة الأولى ١٤١٠، دار ابن القيم.

ج- خصائص توحيد الألوهية:

١- أنه الغاية من خلق الثقلين الجن والإنس كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فتوحيد العبادة غاية محبوبة لله تعالى لأجلها خلق الثقلين.

٢- أنه المقصود الأعظم من إرسال الرسل وإنزال الكتب وهو مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وأخبر عن رسله نوح، هود، صالح، شعيب، أنهم قالوا لقومهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: من الآيات ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥ / هود: من الآيات ٥٠، ٦١، ٨٤ / المؤمنون: من الآيات ٢٣، ٣٢].

٣- أنه أول واجب على المكلف فإن توحيد الألوهية هو معنى لا إله إلا الله، وهي أول دعوة الرسل، ولهذا قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ حين بعثه إلى اليمن: «إنك تقدم على قومٍ أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ...»[١].

قال ابن أبي العز: "ولهذا كان الصحيح أن أول واجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك، كما هي أقوال أرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلهم متفقون أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان ..."[٢].

٤- أن الشارع احتاط لهذا التوحيد أعظم الحيطة عن كل قول وفعل وقصد يكون شركاً أو

---

(١) رواه البخاري (٢/١١٩) ح١٤٥٨، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، تحقيق: محمد الناصر، الطبعة الأولى ١٤٢٢، دار طوق النجاة.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٧.

وسيلة إلى الشرك، كالرياء والحلف بغير الله والطيرة وبناء المساجد على القبور والعكوف عندها، وكذلك الألفاظ التي توهم الندية بين الله وبعض خلقه؛ كل ذلك حياطة لجناب التوحيد ورعاية له.

فهذا النوع من التوحيد له أهمية عظيمة، قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب: "وهذا التوحيد، هو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وهو معنى قول (لا إله إلا الله) ... ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء أهل الجنة، وأشقياء أهل النار ..."(١).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله: "يكاد القرآن أن يكون كله لتقرير التوحيد ونفي ضده، وأكثر الآيات يقرر الله فيها توحيد الإلهية وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، ويخبر أن جميع الرسل تدعو قومها إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأن الله تعالى إنما خلق الجن والإنس ليعبدوه، وأن الكتب والرسل اتفقت على هذا الأصل الذي هو أصل الأصول كلها، وأن من لم يدن بهذا الدين الذي هو إخلاص العمل لله فعمله باطل ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزُمَر: من الآية ٦٥]، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: من الآية ٨٨].

ويدعو العباد إلى ما تقرر في فطرهم وعقولهم، من أن المنفرد بالخلق والتدبير والمتفرد بالنعم الظاهرة والباطنة هو الذي لا يستحق العبادة إلا هو، وأن سائر الخلق ليس عندهم خلق ولا نفع ولا دفع، ولن يغنوا عن أحد من الله شيئاً، ويدعوهم أيضاً إلى هذا الأصل بما يمتدح به ويثني على نفسه الكريمة، من تفرده بصفات العظمة والمجد والجلال والكمال، وأن من له هذا الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه مشارك أحق من أخلصت له الأعمال الظاهرة والباطنة.

ويقرر هذا التوحيد بأنه هو الحاكم وحده فلا يحكم غيره شرعاً ولا جزاء ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/١٢٤-١٢٥).

لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: من الآية ٤٠].

وتارة يقرر هذا بذكر محاسن التوحيد وأنه الدين الواجب شرعاً وعقلاً وفطرة على جميع العبيد، وبذكر مساوئ الشرك وقبحه، واختلال عقول أصحابه بعد اختلال أديانهم وتقليب أفئدتهم وكونهم في شك وأمر مريج.

وتارة يدعو إليه بذكر ما رتب عليه من الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة والحياة الطيبة في الدور الثلاث، وما رتب على ضده من العقوبات العاجلة والآجلة، وكيف كانت عواقبهم أسوأ العواقب وشرها.

وبالجملة: فكل خير عاجل وآجل فإنه من ثمرات التوحيد، وكل شر عاجل وآجل، فإنه من ثمرات ضده، والله أعلم"[1].

---

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن ص٢٠-٢١، لعبدالرحمن السعدي، الطبعة الأولى ١٤٢٠، مكتبة الرشد، الرياض.

المطلب الثاني: منهج جمال الدين السرمري في تقرير توحيد الألوهية:

١- إثبات توحيد العبادة:

أثبت جمال الدين السرمري رحمه الله في مؤلفاته توحيد العبادة، فقال في معرض كلامه عن أدوية الهم والغم والحزن: "وهذه الأدوية تتضمن خمسة عشر نوعاً –وذكر منها-:

الثاني: توحيد الإلهية.

السابع: الاستعانة به وحده.

التاسع: تحقيق التوكل عليه"[١].

وقال في موضع آخر في معرض كلامه على فضل الترياق بسورة الفاتحة: "المتضمنة لجميع معاني كتب الله، المشتملة على ذكر أصول أسماء الرب ومجامعها وهي: الله، والرب، والرحمن؛ وإثبات المعان، وذكر التوحيدين: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وذكر الافتقار إلى الرب سبحانه في طلب الإعانة وطلب الهداية، وتخصيصه سبحانه بذلك، وذكر أفضل الدعاء على الإطلاق وأنفعه وأفرضه وأحوج العباد إليه وهو الهداية إلى الصراط المستقيم، المتضمن كمال معرفته، وتوحيده، وعبادته ..."[٢].

وقال أيضاً في موضع آخر: "فما تضمنه من إخلاص العبودية، والثناء على الله، وتفويض الأمر كله، والاستعانة به، والتوكل عليه، وسؤاله مجامع النعم كلها، وهي: الهداية التي تجلب النعم وتدفع النقم من أعظم الأدوية الشافية الكافية، وقيل: إن موضع الرقية منها قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ولا ريب أن هاتين الكلمتين من أقوى أجزاء هذا الدواء، فإن فيهما من عموم التفويض والتوكل والإلتجاء والاستعانة والافتقار والقلب والاجماع بين أعلى الغايات: وهي عبادة الرب وحده، وأشرف الوسائل: وهي الاستعانة به على عبادته،

---

(١) انظر: شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ٣٠٥ أ.

(٢) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ٢٩٩ ب.

ما ليس في غيرها"[1].

وقال في موضع آخر في شرح حديث: «سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله...»[2]: "وأما مخفي الصدقة فلأنَّ النفس تحب الثناء العاجل، فإذا حسم النفس عن هذه المرتبة كان بالمنزلة التي وصفها الله تعالى، لأن ذلك إنما يحصل لذي الجأش القوي، والإيمان المتين ... وأما ذكر الله تعالى خالياً فهو على حال عظيم، قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: من الآية ٤٥] وإنما خصه هاهنا بالخلوة لأنه يكون في الخلوة عريّاً عن الرياء والسمعة، والبكاء حينئذ أفضل من البكاء في الملأ، لأنه خلا عن النفاق، وبعد عن الظنة، وتمحص لله تعالى جده، فلذلك عظم شأنه، قال الله تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ [ق: ٣٣-٣٤]، وقد ذكر النبي ﷺ جماعة لا تمسهم النار، منهم: «عين بكت من خشية الله ﷻ»، فإذا كانت عين بكت من خشية الله محرمة على النار في الجملة، فهذه التي لم يشب بكاءها ريبة أولى من أن تكون ربها قريبة، وكذلك سائر أعمال النوافل، كلما أُخفي منها كان أعظم أجراً، لأنه النفس تسلم حينئذ من عجب ورياء، ولأن القلب يكون بالعبادة في الخلوة أشغل، وإلى الخشوع والخضوع بين يدي الرب تعالى أميل"[3].

وقال في موضع آخر أن إخلاص الخضوع من أعظم الوسائل إلى الله تعالى: "فالاعتراف بالعبودية والإخلاص في الخضوع والذل وإظهار الفقر والحاجة من أعظم الوسائل إلى الله تعالى"[4].

---

(١) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ٣٠٥ أ.

(٢) رواه البخاري (١/١٣٣) ح٦٦٠، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، (٢/١١١) ح١٤٢٣، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين؛ ورواه مسلم (٢/٧١٥) ح١٠٣١، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص ٦٤-٦٥.

(٤) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ٤٦ ب.

٢- مسائل تنافي توحيد الألوهية:

تعرض جمال الدين السرمري رحمه الله لبعض المسائل التي تنافي أصل توحيد الألوهية، أو تنافي كماله، مفصلاً في بعضها، ومكتفياً بذكر الأدلة في أكثرها.

أ- الطيرة:

● مفهوم الطيرة:

قال النووي رحمه الله: "الطيرة: فبكسر الطاء وفتح الياء على وزن العنبة، هذا هو الصحيح المعروف في رواية الحديث وكتب اللغة والغريب ... والتطير: التشاؤم، وأصله الشيء المكروه من قول أو فعل أو مرئي، وكانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح[1]، فينفرون الظباء والطيور، فإن أخذت ذات اليمين تبركوا به، ومضوا في سفرهم وحوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم، وتشاءموا بها، فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم، فنفى الشرع ذلك وأبطله، ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير بنفع ولا ضر"[2].

وقال ابن عبدالبر: "أصل التطير واشتقاقه عند أهل العلم باللغة والسير والأخبار هو: مأخوذ من زجر الطير، ومروره سانحاً أو بارحاً، منه اشتقوا التطير، ثم استعملوا ذلك في كل شيء من الحيوان وغير الحيوان، فتطيروا من الأعور والأعضب والأبتر ..."[3].

● حكم الطيرة:

قرر جمال الدين السرمري رحمه الله أن الطيرة محرمة، وأجاب عن الإشكال فيما جاء عن أبي هريرة وفيما جاء عن أنس رضي الله عنهما في صحة الطيرة، يقول جمال الدين السرمري

---

(١) السانح: ما ولاك ميامنه، والبارح: ما ولاك مياسره. الصحاح في اللغة (١/٤٠٠).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٤/٣٨٢)، للإمام النووي، إعداد: علي عبدالحميد أبو الخير، الطبعة الخامسة ١٤٢٠، دار الخير، بيروت.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٩/٢٨٢)، لابن عبدالبر، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري، مؤسسة قرطبة.

رحمه الله في سياق حديثه على النهي عن اعتقاد العدوى: "وكذلك الطيرة التي هي قرينة العدوى ... وممن روى: «لا طيرة» ابن عباس، وأنس، وأبو هريرة، وغيرهم؛ وعن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أرجعته الطيرة من حاجة فقد أشرك» قالوا: فما كفارة ذلك يا نبي الله؟ قال: «أن يقول أحدهم: اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك، ثم يمضي في حاجته» ... وأما ما روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إن الطيرة في ثلاث: في الدار والمرأة والفرس»، فالجواب عنه: أن عائشة رضي الله عنها طعنت عليه وبيَّنت تثبيت الحديث، وذنك أنها ذُكر لها قول أبي هريرة، فقالت: لم يحفظ أبو هريرة، ودخل علينا رسول الله ﷺ يقول: «قاتل الله اليهود، يزعمون أن الشؤم في الدار والمرأة والفرس» فسمع أبو هريرة آخر الحديث ولم يسمع أوله، وفي رواية: أن رجلين دخلا على عائشة فقالا: إن أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ: «إن الطيرة في ثلاث: في الدار والمرأة والفرس» فغضبت عائشة رضي الله عنها غضباً شديداً، وقالت: والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ما قاله، إنما قال: «أهل الجاهلية يتطيرون من ذلك»؛ فقد بينت عائشة وجه الحديث وسببه، وأن ذلك من قول اليهود والجاهلية، وبينت أن أبا هريرة لم يسمع أول الحديث.

وقد تأول قوم حديث أبي هريرة في أن الشؤم في المرأة إذا كانت لا تلد أو سيئة الخلق، وفي الدار إذا كانت بعيد عن المسجد أو ضيقة وجيرانها جيران سوء، وفي الدابة إذا كانت تعضُّ أو ترفس أو كانت مربوطة للفخر والخيلاء، كما جاء في الحديث: «الخيل ثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، ولرجل وزر، فأما الذي عليه وزر فرجل ربطها فخراً ورياءً وبطراً لأهل الإسلام فهي له وزر» وأعظم الشؤم ما جرَّ لصاحبه الوزر، ولقوله ﷺ: «من سعادة المرء: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح، ومن شقوة المرء: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء».

فأما ما روى أنس أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنا نزلنا داراً فكثر فيها عددنا وكثرت فيها أموالنا، ثم تحولنا عنها إلى أخرى، فقلَّت فيها أموالنا، وقل فيها عددنا، فقال

رسول الله ﷺ: «فذروها ذميمة»، فالجواب: أنه قال لهم: «فذروها ذميمة» لما كان استقر في أنفسهم في زمان الجاهلية من شؤم الدار، فأمرهم بالنقلة عنها ليزول ما توهموه في قلوبهم من أن الشؤم في المسكن وما لحقهم من الاستيحاش فيها، والتثاقل بها، يستعجلوا الراحة ويزول عنهم توقع البلاء الذي قد استشعروه من نزول الحوائج، وإن لم يكن لذلك في الحقيقة أصل، ولئلا يعتقدوا التشاؤم بالدار، ويفهم من قوله: «فذروها ذميمة» وعدم التصريح لهم والتعريف بذكر الشؤم أن ذلك قد كان قدَّره لهم بقوله: «لا عدوى ولا طيرة»، وكان سؤال السائل في ذلك على سبيل الاستفهام لما أشكل عليه وقوع النقص بسكن الدار الثانية دون الأولى ... وقال لصاحب الدار: «فذروها ذميمة» خوفاً عليه أن يقوى وهمه باستمرار النقص عليه بالمقام بها، فيؤدي ذلك إلى سوء اعتقاده فيما أخبره به أولاً أنه لا عدوى ولاطيرة"(١).

وما قرره جمال الدين السرمري رحمه الله من تحريم التطير هو منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب.

قال ابن عبدالبر: "من تطير فقد أثم، وإثمه على نفسه في تطيره لترك التوكل وصريح الإيمان، لأنه يكون ما تطير به على نفسه في الحقيقة، لأنه لا طيرة حقيقة ولا شيء إلا ما شاء الله في سابق علمه، والذي أقول به في هذا الباب تسليم الأمر لله ﷻ وترك القطع على الله بالشؤم في شيء ... قال الله تبارك اسمه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١] وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد: ٢٢] فما قد خط في اللوح المحفوظ لم يكن منه بد، وليست البقاع ولا الأنفس بصانعة شيئاً من ذلك ..."(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: "فالطيرة باب من الشرك، وإلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته

---

(١) كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون، ص٥٠-٦٦.

(٢) التمهيد (٩/٢٨٥).

يكبر ويعظم شأنها على من اتبعها نفسه، واشتغل بها، وأكثر العناية بها، وتذهب وتضمحل عمن لم يلتفت إليها، ولا ألقى إليها باله، ولا شغل بها نفسه وفكره، واعلم أن من كان معتنياً بها، قائلاً بها، كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره، وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشه. . . "[1].

قال ابن رجب رحمه الله: "والطيرة من أعمال أهل الشرك والكفر، وقد حكاها الله تعالى في كتابه عن قوم فرعون، قوم صالح، وأصحاب القرية التي جاءها المرسلون"[2].

ب- التبرك الممنوع:

- مفهوم التبرك:

التبرك: مصدر تبرَّك يتبرَّك تبرُّكاً، وهو طلب البركة، والتبرك بالشيء طلب البركة بواسطته[3].

وأصل البركة: الثبوت واللزوم، قال ابن فارس رحمه الله: "بَرَكَ: الباء والراء والكاف أصل واحد، وهو ثبات الشيء، ثم يتفرع فروعاً يقارب بعضها بعضاً"[4].

وتطلق أيضاً على النماء والزيادة، جاء في كتاب جمهرة اللغة: "يقال: لا بارك الله فيه: أي لا نمّاه"[5].

وفي معجم مقاييس اللغة: "قال الخليل: البركة من الزيادة والنماء"[6].

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٢/٢٢٩-٢٣٠)، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص١٤٢، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين السواس، الطبعة الخامسة ١٤٢٠، دار ابن كثير، دمشق.

(٣) التبرك أنواعه وأحكامه ص٣٠، لناصر الجديع، الطبعة الخامسة ١٤٢١، مكتبة الرشد، الرياض.

(٤) معجم مقاييس اللغة (١/٢٢٧).

(٥) جمهرة اللغة (١/٣٢٥)، لابن دريد، تحقيق: رمزي بعلبكي، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت.

(٦) معجم مقاييس اللغة (١/٢٣٠).

وتطلق أيضاً على السعادة، قال الفراء في قوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود: من الآية ٧٣] قال: "البركات: السعادة"(١).

وقال أبو منصور الأزهري بعد ذكره قول الفراء: "وكذلك قوله في التشهد: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)، لأن من أسعده الله بما أسعد به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد نال السعادة المباركة الدائمة"(٢)، وأما معنى السعادة فهي التوفيق للخير(٣).

أما التبرك الممنوع: طلب حصول الخير بمقاربة شيء وملابسته بما لم يقم عليه دليل من الشرع.

● صورة التبرك الممنوع:

للتبرك الممنوع صور عديدة، لكن الصورة التي تطرق لها جمال الدين السرمري رحمه الله هي: التبرك بقبور الصالحين، قال جمال الدين السرمري رحمه الله بعد كلامه عن التداوي بالأتربة: "وإذا كان هذا في هذه التربات فما ظنك بأطيب تربة على وجه الأرض وأبركها، وقد خالطت ريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقارنت رقيته باسم ربه وتفويض الأمر إليه... وأبلغ من هذا ما رأيته من شيخنا الصالح تقي الدين محمد بن إبراهيم الخالدي(٤)، فإنه جاء إليّ يوماً ومعه قليل من طين من قبر الإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، فقال لي: كنت في زيارة الإمام، وقد أخذت هذا من طين قبره، وهو مشدود في طرفي منديله، فقلت: ما تصنع به؟ فقال: أداوي به عيني، فإن لي مدة ما تشتكي عيني إلا أخذت من تراب قبره فاكتحلت به، فأبرأ بإذن الله؛ وأظن أنه أثر مثل هذا عن بعض أشياخه، فإذا كان تراب قبر الإمام أحمد يبرئ أمراض العين، فما ظنك بتراب قبر سيد الرّسل وأفضل الخلق عليه الصلاة

---

(١) معاني القرآن (٢/٢٣)، لأبي زكريا الفراء، تحقيق: أحمد نجاتي ومحمد نجار و عبدالفتاح شلبي، دار المصرية، مصر.

(٢) تهذيب اللغة (١٠/١٣١)، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) التبرك أنواعه وأحكامه ص٢٥-٢٧، لناصر الجديع.

(٤) تقدمت ترجمته في شيوخ السرمري.

والسلام، فحينئذٍ إما أن يكون نفع هذه الأطيان بالطبع أو بالبركة الحاصلة فيها بمن أثر فيها أو بهما، فإن كان الأول فلا شك أن للبقاع من الأرض خواص ومنافع كالأتربة والمعادن وما يتولد فيها، إن كان الثاني فضيلة بركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشهر وأظهر من أن يحتاج إلى أدلة، وكل ذلك إن كان منهما، وبركة الإمام أحمد قد ثبتت من غير وجهٍ في حياته وبعد وفاته..."[1].

وقال في موضع آخر: "فما ظنك بتربة هي أطيب تربة على وجه الأرض وأبركها، وقد خالطت ريق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقارنت ريقه باسم ربه وتفويض الأمر إليه، ولا يستعب الشفاء ببعض الترب المضافة إلى بعض الأنبياء والصالحين والأئمة على هذا التقدير، فقد دخل علي بعض شيوخنا ببغداد، وكان في زيارة قبر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وفي منديل الشيخ شيء مصرور، فقلت: ما هذا؟ فقال: شيء من تربة قبر الإمام أحمد، فقلت: ما يفعل به، فقال: اكتحلت به، فقلت: وهل يكتحل بالتراب؟ فقال: إني منذ سنين ما ترمد عيني إلا اكحلها بتراب قبره فتبرأ؛ وأظنه أثر مثل ذلك عن بعض شيوخه، وقد بعد عهدي بالحكاية"[2].

وقد أعاد نفس الحكاية في موضع آخر بعد ذكره حديث «تربة أرضنا، بريقة بعضنا، تشفي سقيمنا، بإذن ربنا» فقال: "وإذا كان قد تبرك بتراب قبر بعض صالحي أمته واستشفى به من الرمد ونحوه كما ذكرنا عن بعض مشائخنا أنه كان يستشفي من وجع عينيه بتراب قبر الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، فتراب أرض قبره فيها الأولى وأحرى أن يكون شفاء من كل داء، والله أعلم"[3].

وما قرره جمال الدين السرمري رحمه الله من فضل التداوي بتربة قبور الصالحين لتناله بركتهم غير صحيح، ومحل التبرك الممنوع في كلام جمال الدين السرمري ليس التداوي بالتراب، وإنما

---

(١) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ١٥٦ ب – ١٥٧ أ.

(٢) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ٣٠٣ أ.

(٣) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ٢٥٨ ب.

تفضيل تربة قبور الصالحين على سائر الأتربة بالتداوي، وهذا من التبرك الممنوع المخالف لمنهج أهل السنة والجماعة من عدة أوجه:

أ- أن هذا التبرك لم يرد فيه شيء عن النبي ﷺ، ولم ينقل عن الصحابة، ولا عمن تبعهم بإحسان، وإنما فعله بعض المتأخرين من غير دليل شرعي.

ب- أن ذلك ناشئ عن اعتقاد في ذات صاحب ذلك القبر أنها سبب للنفع، ولم يجعلها الله سبباً شرعياً ولا قدرياً في هذا المسبب -الاستشفاء بها من الرمد-.

ج- أن في المنع من ذلك سداً لذريعة الغلو في قبور الصالحين.

قال العلامة حافظ الحكمي في الاستشفاء بتربة القبور: "تربة القبور وما أكثر ما يستشفى بها لا شفاهم الله، واستعمالهم لها على أنواع: فمنهم من يأخذها ويمسح بها جلده، ومنهم من يتمرغ على القبر تمرغ الدابة، ومنهم من يغتسل بها مع الماء، ومنهم من يشربها، وغير ذلك، وهذا كله ناشئ عن اعتقادهم في صاحب ذلك القبر أنه ينفع ويضر، حتى عدوا ذلك الاعتقاد فيه إلى تربته، فزعموا أنها فيها شفاء وبركة لدفنه فيها، حتى إن منهم من يعتقد في تراب بقعة لم يدفن فيها ذلك الولي بزعمه، بل قيل له: إن جنازته قد وضعت في ذلك المكان، وهذا وغيره من تلاعب الشيطان بأهل هذه العصور، زيادة على من تلاعب بمن قبلهم، نسأل الله العافية"[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما التمسح بقبر النبي ﷺ وتقبيله فكلهم -أي الفقهاء- كره ذلك ونهى عنه، وذلك لأنهم علموا ما قصده النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حسم مادة الشرك، وتحقيق التوحيد وإخلاص الدين لله رب العالمين"[2].

وقد أنكر الإمام أحمد إنكاراً شديداً على من تمسح به طلباً للبركة بله بمن يتبرك بتربة قبره: "روى الخلال في أخلاق أحمد عن علي بن عبدالصمد الطيالسي قال: مسحت يدي على

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (٢/٤٩٨-٤٩٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/٨٠).

أحمد بن حنبل، ثم مسحت يدي على بدني وهو ينظر، فغضب غضباً شديداً وجعل ينفض يده، ويقول: عمن أخذتم هذا؟ وأنكره إنكاراً شديداً"[1].

ج- التوسل الممنوع:

- مفهوم التوسل:

قال ابن الأثير: "هي في الأصل: ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به، وجمعها وسائل، يقال: وَسَلَ إليه وسيلة وتَوَسَّل"[2].

وقال ابن فارس: "الواو والسين واللام كلمتان متباينتان جداً.

الأولى: الرغبة والطلب، يقال: وسل، إذا رغب، والواسل: الراغب إلى الله ﷻ، وهو في قول لبيد:

بلى كل ذي دين إلى الله واسل

ومن ذلك القياس الوسيلة ..."[3].

وقال الجوهري: "الوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوسيل والوسائل، والتوسيل والتوسل واحد، يقال: وسل فلان إلى ربه وسيلة، توسل بوسيلة: أي تقرب إليه بعمل ..."[4].

أما التوسل الممنوع: هو التقرب إلى الله ﷻ بوسيلة بدعية أو شركية.

- صورة التوسل الممنوع:

للتوسل الممنوع صور عديدة، لكن الصورة التي أشار لها جمال الدين السرمري رحمه الله

---

(١) الآداب الشرعية (٢/٢٢٥)، لابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، الطبعة الثالثة ١٤١٩، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/٤٠٢)، لابن الجزري.

(٣) معجم مقاييس اللغة (٦/١١٠)، لابن فارس.

(٤) الصحاح في اللغة (٥/١١٩)، للجوهري.

هي:

التوسل بغير الله من المخلوقين، وذلك بأن يدعوهم ويستغيث بهم ويطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، ولو بزعم أنهم واسطة فيما يطلبه من الله، وهذا الصورة من التوسل هي من الشرك الأكبر، لأنها دعاء لغير الله والتجاء إليه فيه المهمات، وهي من صرف العبادة لغير الله كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥].

وفي هذا يقول جمال الدين السرمري في (منامات رؤيت لشيخ الإسلام ابن تيمية)، وهي رؤى فيها الثناء على منهج ابن تيمية في الاعتقاد، وأنه سالك طريق النبي ﷺ وعلى قدمه، وقد ذكرها السرمري في سياق فضائله، وفي ذلك إشارة لتأييد السرمري لما جاء فيها، فلو كان يعتقد السرمري مخالفة المعاني العقدية التي تضمنتها هذه الرؤى لما ذكرها في سياق شمائله، قال جمال الدين السرمري في الرؤيا الرابعة: "حدثني الشيخ الصالح شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن محمد الأنصاري البعلبكي الخياط قال: رأيت في المنام في أول شوال من سنة نيف وخمسين وسبعمائة بدمشق، وقد كنت أنكرت على بعض الفقراء التوسل بغير الله من المخلوقين، وكان قال: إني كنت مريضاً فاستغثت بالشيخ فلان والشيخ فلان فلم يجبني منهم أحد، فاستغثت بالشيخ فلان والشيخ فلان وسماهم، قال: فرأيت الشيخ فلاناً وهو راكب فيلاً والشيخ الآخر وهو راكب فرساً، فقالا لي: قم، فقمت معافاً في الحال، قال: فقلت له: هذا خطأ منك، لو أنك استغثت بالله أصبت، فإن الشيخ فلاناً وغيره من المخلوقين لا يمكلون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، فقال: أنت مالك اعتقاد في الفقراء؟! وجرى بيني وبينه في هذا الكلام، فرأيت تلك الليلة شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية في النوم وهو يكلمني كلاماً خفياً، فقلت: يا سيدي الشيخ والله ما أفهم ما تقول، فقال: هل عندك لوح؟ فقلت: نعم، وأتيته به، فكتب لي في سطرين، فأخذته وجعلت أنظر فيه، فما عرفت اقرأ شيئاً منه إلا قوله: صَحِّحْ تَصِحُّ، وبقيت مفكراً فيه

(...)"[1]، ومضى علي هذا مدة نحو من خمسة وثمانين يوماً، فجرى بيني وبين فقير آخر شيء من الكلام من جنس ما جرى بيني وبين ذلك الرجل، فنمت تلك الليلة فرأيت الشيخ تقي الدين وهو على صورة طائر أخضر عظيم المنظر أكبر من الطاووس، فقال لي: يا فلان أما حفظت الذي كتبت لك، فعرفت أنه الشيخ تقي الدين، فقلت: يا سيدي والله ما حفظت منه إلا قولك: صحح تصح، فقال لي: قل:

صحح تصح لك الأمور جميع   إياك عن طرق الهداة تضيع

وامحوا واثبت ما تحقق يا فتى   إن الإله على القلوب طليع

لا تصحبن الأرذلين فإنهم   يوم التغابن جيلهم مقطوع[2]"[3].

وما أشار إليه جمال الدين السرمري رحمه الله في هذه الرؤيا من منع التوسل بغير الله من المخلوقين هو منهج أهل السنة والجماعة في هذا المسألة كما سيأتي بيانه.

لكن الإشكال ورود في المقابل بعض الألفاظ الموهمة في كلام جمال الدين السرمري، والتي ظاهرها التوسل الممنوع بالنبي ﷺ وبآله ﷺ والاستعانة بهم في حصول المنفعة ودفع المضرة، كقوله في النبي ﷺ:

"يا خيرة الرسل ويا من له   في حضرة القدس المحل الرفيع

أنت المُرَجَّى لدفاع الأذى   وكل خطب للبرايا فظيع"[4].

وهذا غلو بالنبي ﷺ، بزعم أن دفع الأذى يكون بالتوسل بذاته ﷺ.

وقد يكون تأثر في ذلك بالشيخ يحيى الصرصري[5] رحمه الله، وبخاصة إذا رجحنا أن ثناء

---

(١) كلمة غير واضحة.

(٢) ذكرت هذه الأبيات أيضاً في آخر (جامع الرسائل لابن تيمية) المجموعة الأولى ص٢٩٠، تحقيق: محمد رشاد سالم، ١٤٠٥، دار المدني، جدة.

(٣) منامات رؤيت لشيخ الإسلام ابن تيمية (مخطوط) ورقة: ٢ ب. وقد ذكر ابن ناصر الدين الدمشقي أنه وجد بخط السرمري ستة منامات رؤيت لشيخ الإسلام ابن تيمية، انظر: الرد الوافر ص٢٣٣، تحقيق: زهير الشاويش.

(٤) المولد الكبير للبشير النذير ﷺ (مخطوط) ورقة: ١ ب.

(٥) هو يحيى بن يوسف بن يحيى الصرصري، الفاضل المادح الحنبلي الضرير البغدادي، معظم شعره في مدح رسول الله

السرمري العاطر للشيخ حسان في مقدمة منظومته (نهج الرشاد في نظم الاعتقاد) أنه يقصد الصرصري (حسان السنة)[1]، وتخصيص السرمري للصرصري -على الراجح[2]- بالذكر مع عدم إدراكه له، وتصريحه بأنه متبع لمنهاجه في الاعتقاد وأنه مقتفي أثره، يشعر بشدة تأثر السرمري به، يقول جمال الدين السرمري:

"فلولا مكان الشيخ حسان أصبحت   مدينة سامراء في غاية الضر

ولولا خلال سدها لتعطلت   رسوم الهدى واستوسقت دولة الشر[3]

هو العالم المرضي والقشم الذي   يفتح أقفال المسائل بالسبر"[4].

إلى أن قال:

"كفاني أني أنتمي بعقيدتي   إليه وأني في طريقته أجري"[5].

ﷺ، توفي سنة ٦٥٦. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٤/٣٢)، البداية والنهاية (١٣/٢٤٤).

(١) وقد وصفه بـ(حسان السنة) عدد من العلماء، كابن القيم في "اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية" ص٢٠٠، الطبعة الأولى ١٤٠٤، دار الكتب العلمية، بيروت؛ وابن رجب في "الذيل على طبقات الحنابلة" (٤/٣٢)، وابن كثير في "البداية والنهاية" (٦/٣٣١)، وصديق حسن خان في "التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول" ص٢٣٦، الطبعة الثانية ١٤٢٨، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر؛ وقد يكون

(٢) وقد يكون قصد السرمري بـ"حسان" هو شيخه (أبا محمد حسان بن أحمد السرّمَرّي) وقد ذكره في موضعين من كتابه : شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ٢٩٧ ب، ٢٩٥ أ، ولم أقف له على ترجمه، والثناء الذي سيأتي ذكره في الأبيات يرجح أن يكون المقصود به "حسان السنة: الصرصري" كما سيأتي في التعليق على الأبيات.

(٣) كان الصرصري رحمه الله شديداً في السنة، مدافعاً عنها، منحرفاً على المخالفين لها، وهو القائل:

بالله يا أنصار ديـــن محمـد   نوحوا على الدين الحنيف وعددوا

لعبت بدينكم الروافض جهرة   وتألبوا في دحضه وتحشدوا.

وقد توفي رحمه الله شهيداً عند اجتياح التتار لبغداد، فقد دخل عليه التتار وكان ضريراً، فطعن بعكّازه بطن أحدهم فقتله، ثم قُتل، وهو القائل:

طوبى لمن قتلوه منّا إنّـه   أبداً مع الشهداء حي يرزق. انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٠٤، مقدمة تحقيق "الدرة اليتيمة والمحجة المستقيمة" للصرصري ص٢٥، جاسم الدوسري، الطبعة الأولى ١٤٢٤، دار ابن حزم، بيروت.

(٤) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٢٧-٢٨.

(٥) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٢٨.

وقد كان الصرصري رحمه الله، شديداً في السنة، منحرفاً عن المخالفين لها، وشعره مملوء بذكر أصول السنة ومدح أهلها، وذم مخالفيها[1]، غير أنه له أبيات في التوسل والاستغاثة بالنبي ﷺ أنكرها العلماء، ومن ذلك قوله في النبي ﷺ:

"أنت جاري وعدّتي ونصيري   وعمادي في شدتي ورخائي

فأعني على زمان فظيع الخطـ   ـب في أهله شديد العناء

وأسألِ اللهَ حين تُعرض أعما   لي عليك الغفران لي يا رجائي"[2].

وقوله:

"نصحت له نصحاً برئياً من القذى   إذا شاب قومٌ نصحهم بالعبائث

فقلتُ له إن رُمتَ أمناً وعزة   فعُذ من عوادي النائبات الكوارث

بأفضل مبعوث إلى خير أمة   بخير كتاب جاء من خير باعث"[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولهذا أنكرنا على الشيخ يحيى الصرصري ما يقوله في قصائده في مدح الرسول ﷺ من الاستغاثة به مثل قوله: بك أستغيث وأستعين وأستنجد"[4]، والله أعلم بالصواب.

ومن الألفاظ الموهمة التي وردت في كلام جمال الدين السرمري قوله في آل بيت النبي ﷺ:

"عليهم سلامي ما حييت وإن أمت   تحييهم عني عظامي من قبري

هم عدتي في شدتي وذخيرتي   لآخرتي مصباح ديني غنى فقري"[5].

وهذا أيضاً من الغلو في آل بيت النبي ﷺ، فالعدة في الشدة، والذخيرة للآخرة ليست التوسل بذواتهم ﷺ، بل ظاهر هذا القول هو من قبيل قول المشركين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا

---

(١) وصفه بذلك ابن رجب في "الذيل على طبقات الحنابلة" (٤/٣٤).

(٢) ذيل مرآة الزمان (١/٢٥٩)، لليونيني، الطبعة الأولى ١٣٧٤، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد.

(٣) ذيل مرآة الزمان (١/٢٦٦-٢٦٧).

(٤) مجموع الفتاوى (١/٧٠).

(٥) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص ٤٤.

﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: من الآية ٣].

لكن لعل الإمام جمال الدين السرمري عفا الله عنه لم يرد هذا، وإنما قصد محبتهم التي هي من العمل الصالح، لا سيما أن هذه الألفاظ الموهمة جاءت في سياق نظم، والوزن أحياناً يعيق عن الإفصاح.

أما منهج أهل السنة والجماعة في هذه المسألة هو منع التوسل بغير الله من المخلوقين:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وإن أراد بالواسطة: أنه لابد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل: أن يكون واسطة في رزق العباد، ونصرهم، وهداهم، يسألونه ذلك، ويرجون إليه فيه، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء، يجتلبون بهم المنافع ويجتنبون المضار"[1].

وقال الإمام العز بن عبد السلام: "ومن أثبت الأنبياء وسواهم من مشايخ العلم والدين وسائط بين الله وبين خلقه كالحجّاب الذين بين الملك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله تعالى حوائج خلقه، وأن الله تعالى إنما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم، بمعنى أن الخلق يسألونهم، وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملك حوائج الناس لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك، ولأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك، لكونهم أقرب إلى الملك من الطلب، فمن أثبتهم وسائط على هذه الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبِّهون لله، شبهوا الخالق بالمخلوق، وجعلوا لله أنداداً ..."[2].

---

(١) مجموع الفتاوى (١/١٢٣-١٢٤).

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه ص٩٧، لمحمد ناصر الدين الألباني، تنسيق: محمد عيد عباسي، الطبعة الخامسة ١٤٠٦، المكتب الإسلامي.

د- شد الرحال إلى القبور:

● تمهيد:

زيارة القبور مشروعة، وكان رسول الله ﷺ قد نهى عنها أولاً من باب سد الذرائع، لأن الأمم السابقة فتنت بقبور أنبيائها وصالحيها حتى أوقعهم الشيطان كرات ومرات في هوة الشرك واتخاذهم أنداداً مع الله.

فمن أجل صيانة لجانب التوحيد، وقطعاً للتعلق بالأموات، وسداً لذريعة الشرك نهى رسول الله أولاً عن زيارة القبور، ولما رسخت عقيدة التوحيد في قلوب أصحابه الكرام وأمن عليهم الفتنة رخص لهم في زيارتها، وبين لهم الغاية من زيارتها وهي أنها تذكر الآخرة، هذه واحدة، والأخرى ليستفيد الأموات من دعاء إخوتهم الأحياء.

وإذا كان الأمر كذلك، والهدف الأول وهو تذكر الآخرة أمر يتحقق بزيارة القبور القريبة والمجاورة، اكتفى الشارع الحكيم بالحد الأدنى الذي يحقق الغرض الشرعي مع تحفظات كثيرة تسد ذرائع الفتنة والشرك: منها أن لا تتخذ مساجد، ومنها أن لا يبنى عليها، ولا تجصص، ولا يصلى عليها، ولا إليها، وغير ذلك.

ولم يشرع أبداً السفر إليها، لا بقوله ولا بفعله ، وآية ذلك: أن هذا الأمر لم ينزل فيه قرآن، ولم يثبت فيه حديث من قول رسول الله ﷺ أو فعله، فلو كان مشروعاً لتحقق فيه كل ذلك، ولسنَّ لنا رسول الله ﷺ ذلك برحلات ورحلات إلى الأنبياء والصالحين، ولملئت الدواوين برحلات الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان، ونحن نجد دواوين الإسلام من صحاح وسنن ومسانيد وكتب فقه السلف الصالح قد سجلت كل حقوق الأموات: من عيادتهم وهم مرضى، إلى غسلهم، وتشييعهم، ودفنهم، وزيارتهم، والدعاء لهم، والنهي عن الجلوس على قبورهم.

كل هذا قد طفحت به دواوين الإسلام، خالية خلواً كاملاً من حديث نبوي صحيح أو حسن، ومن أقوال الصحابة والقرون المفضلة، ومن أقوال أئمة الهدى من الحث على شد

الرحال إلى القبور[1].

● قول جمال الدين السرمري في المسألة:

لما تطرقت البدع إلى أوساط المسلمين، وبدأوا يعتقدون في المشاهد والقبور والأضرحة والمزارات ما لم ينزل الله به سلطاناً، من شد الرحال إليها والاستغاثة بأهلها، صارت هذه القضية مفروغاً من الكلام فيها عند العلماء، فضلاً عن العامة من الناس، واعتُبرت من القضايا الحساسة التي تستغل لإثارة غضب الجماهير ضد من يتكلم فيها.

ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية الذي أشرب قلبه بالإيمان الخالص، والعقيدة الصحيحة، لما سُئل عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة حينما كان في القاهرة، فردّ عليه رداً مستنبطاً من الكتاب والسنة، ونهى عنه استدلالاً بحديث النبي ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى»[2].

فاستغل هذه الفتيا سنة ٧٢٦ القاضي المالكي الإخنائي (ت٧٥٠) بعد صدورها ببضع عشرة سنة، وزاد فيها ونقص، ورماه بالتنقيص بمنزلة النبي ﷺ، وحرض السلطان عليه تقرّباً إليه، وكسباً لعواطف الجماهير من الناس أيضاً، وألف رسالة أسماها "المقالة المرضية في الرد على من ينكر الزيارة المحمدية"، فرد شيخ الإسلام على الإخنائي وغيره ممن رد عليه في هذه المسألة (مثل الزملكاني، والسبكي، وابن الحاج، وغيرهم) في عديد من كتبه، ومنها: "الرد على الإخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية"، "المنسك القديم والجديد"، "الجواب الباهر في زوار المقابر"[3]، فأوضح الحق في المسألة، ودحض الشبه التي كانت تشنع عليه، إلا أن السبكي عفا الله عنه أعاد التشغيب على ابن تيمية بعد موته في التعريض بهذه المسألة، فقال:

---

(١) انظر: كشف زيف التصوف وبيان حقيقته وحال حملته ٢٠٦-٢٠٧، لربيع بن هادي المدخلي، الطبعة الأولى ١٤٢٧، مجالس الهدى، الجزائر.

(٢) رواه البخاري (٢/٦٠) ح١١٨٩، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة؛ ورواه مسلم (٢/١٠١٤) ح١٣٩٧، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، بمثله.

(٣) انظر: التعليق على "الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية" ص٨٠-٨١، لصلاح الدين مقبول أحمد.

"لو كان حيّاً يرى قولي ويسمعه   رددت ما قال ردّاً غير مشتبه
كما رددت عليه في الطلاق وفي   ترك الزيارة أقفو إثر سبسبه[1]"[2].

فتصدى للتشغيب على شيخ الإسلام بذلك، والرد عليه جمال الدين السرمري رحمه الله، فقال:

"وفي الزيارة لم تُنْصف رددتَّ على   ما لم يقلهُ ولم تَمرر بِسَبْسَبِه[3]
ردّاً ملخصه أشياء أذكرها   إما حديث ضعيف عند مطلبه
إما صحيح ولكن لا دليل به   على مُرادك بل هدم لمنصبه
إما بمجمل لفظٍ قولُ خصمكَ من   أقوى المقال به قسراً وأصوبه
إما بلا علم لي والجهل غايته   أيعذر الشخص فيما لا أحاط به
فأيُّ رد لعمري قد رَدَدْتَّ وما   ذا قلتَ إذ قلتَ أقفو إثر سبسبه
إن كان عندك في شد الرحال إلى الـ   ـقبور نقل فعارضه بموكبه
ليعرف الحق من كان أخا نظر   خالٍ من العلم ناءٍ عن تعصبه
أنَّ وذلك كالعنقاء[4] في عدم   وكالسَّمندل[5] يحكى مع تغيبه
ما أنت إلا كما قد قيل في مثل   خالف لتعرف مشهور لِضُرَّبِهِ
فشيخنا بصريح الحق حجته   ونقد نقلك زيف في تقلبه
فمن أحق بحق القول إن ظهر الـ   إنصاف مرتفعاً من فوق مرقبه"[6].

---

(١) السبسب: المفازة أو الأرض المستوية البعيدة. القاموس المحيط ص١٢٣، ويقصد بـ"أقفو إثر سبسبه": أتتبع غرائبه وشوارده.

(٢) ذكرها التاج السبكي في ترجمة أبيه التقي السبكي في "طبقات الشافعية الكبرى" (١٠/١٧٦).

(٣) يشير إلى قول السبكي المتقدم آنفاً.

(٤) العنقاء: طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم. الصحاح في اللغة (٤/٢٢٠).

(٥) السمندل: قيل: "طائر إذا انقطع نسله وهرم ألقى نفسه في الجمر فيعود إلى شبابه"، وقيل: "هو دابة يدخل النار فلا تحرقه". انظر: لسان العرب (١١/٣٤٨).

(٦) الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية، ص٨٠-٨٣.

ويبين كلام السرمري ويؤيده قول العلامة ابن عبدالهادي في كتابه (الصارم المنكي في الرد على السبكي) من إهمال السبكي النظر في الحديث صحة وضعفاً، وإلزام شيخ الإسلام بما لا يلزم، فقال: "فإني وقفت على الكتاب الذي ألفه بعض قضاة الشافعية في الرد على شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد ابن تيمية في مسألة شد الرحال وإعمال المطيّ إلى القبور، وذكر أنه كان قد سمّاه (شن الغارة على من أنكر سفر الزيارة) ثم زعم أنه اختار أن يسميه (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) فوجدت كتابه مشتملاً على تصحيح الأحاديث المضعفة والموضوعة، وتقوية الآثار الواهية والمكذوبة، وعلى تضعيف الأحاديث الصحيحة الثابتة والآثار القوية المقبولة، وتحريفها عن مواضعها، وصرفها عن ظواهرها بالتأويلات المستنكرة المردودة، ورأيت مؤلف هذا الكتاب المذكور رجلاً ممارياً معجباً برأيه متبعاً لهواه"[1].

وما قرره جمال الدين السرمري هو قول الأئمة في هذه المسألة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين فهذا لم يكن موجوداً في الإسلام في زمن مالك، وإنما حدث هذا بعد القرون الثلاثة، قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم، فأما القرون التي أثنى عليها رسول الله ﷺ فلم يكن هذا ظاهراً فيها، ولكن بعدها ظهر الإفك والشرك ..."[2].

وقال في موضع آخر: "وأما إذا كان قصده بالسفر زيارة قبر النبي دون الصلاة في مسجده فهذه المسألة فيها خلاف، فالذي عليه الأئمة وأكثر العلماء أن هذا غير مشروع، ولا مأمور به، لقوله ﷺ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» "[3].

وقال الشيخ سليمان بن عبدالوهاب تعليقاً على حديث: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا

---

(١) الصارم المنكي في الرد على السبكي، ص١٣.

(٢) الجواب الباهر في زوار المقابر ص٥٠، لابن تيمية، تحقيق: سليمان الصنيع و عبدالرحمن المعلمي، ١٤٠٤، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والافتاء، الرياض.

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/٢٦-٢٧).

بيوتكم قبوراً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»: "وفي الحديث دليل على منع شد الرحال إلى قبره ﷺ، وإلى غيره من القبور والمشاهد، لأن ذلك من اتخاذها أعياداً، بل من أعظم أسباب الإشراك بأصحابها، كما وقع من عباد القبور الذين يشدون إليها الرحال، وينفقون في ذلك الكثير من الأموال، وليس لهم مقصود إلا مجرد الزيارة للقبور تبركاً بتلك القباب والجدران فوقعوا في الشرك"[1].

هـ- أما المسائل التي اكتفى فيها جمال الدين السرمري رحمه الله بذكر الأدلة في النهي عنها، فهي: السحر، الحلف بغير الله، تجصيص القبور، والبناء عليها، واتخاذها مساجد، ونحو ذلك من المسائل.

وبالجملة لم أقف على كلام كثير للإمام جمال الدين السرمري رحمه الله في تقرير مسائل هذا النوع من أنواع التوحيد، حتى إنه أهمل ذكره في منظومته البديعة (نهج الرشاد في نظم الاعتقاد)، مع أنه ذكر فيها جل مباحث الاعتقاد، وقد يكون توسع في تقرير مسائل توحيد الألوهية في كتبه الأخرى التي لم أقف عليها، ككتابه (صحاح الأحكام وسلاح الحكام) فإنه "جمعه في قوله عليه الصلاة والسلام: «بني الإسلام على خمس ... الخ»"[2]، والله أعلم.

(١) تيسير العزيز الحميد، ص٣١٢.

(٢) كشف الظنون (٢/١٠٧٠).

المبحث الثالث

منهج جمال الدين السرمري في تقرير توحيد الأسماء والصفات

• **تمهيد:**

يعتبر هذا المبحث من أوسع المباحث التي تطرق لها جمال الدين السرمري، وذلك –والله أعلم– بسبب أن أهل البدع في عصره قد استشرى شرهم، وانتشر مذهبهم، كما أن هذه المسألة –مسألة الأسماء والصفات– تعتبر محكاً للتمييز بين أهل السنة ومخالفيهم، خاصة لما كثر أهل الأهواء، وأرباب المقالات الفاسدة.

المطلب الأول: معنى توحيد الأسماء والصفات:

عرفه الشيخ عبدالرحمن السعدي بتعريف جامع حيث قال: "هو اعتقاد انفراد الرب جَلَّ جَلَالُهُ بالكمال المطلق من جميع الوجوه، بنعوت العظمة والجلال والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها، الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيء منها ولا تعطيل، ولا تحريف ولا تمثيل؛ ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب وعن كل ما ينافي كماله"(1).

وقد أشار جمال الدين السرمري رحمه الله إلى هذا المعنى، فمن ذلك قوله عن أهل الحق:

"قوم أتاهم صحيح النقل فاتبعوا ... سبيله وحموه من مكذبهِ

وأثبتوا لإله العرش ما ثبتت ... فيه النقول بلا شبه يُقاس بهِ

فرام بعض أولي التعطيل دحضهم ... فآب من قصده الأدنى بأخيبهِ"(2).

---

(1) القول السديد شرح كتاب التوحيد ص٤٠، لعبدالرحمن السعدي، تحقيق: صبري شاهين، الطبعة الأولى ١٤٢٥، دار الثبات، الرياض.

(2) الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية، ص٦٦.

وقال في موضع آخر في معرض كلامه على قوله ﷺ «لوجدتني عنده»: "ولا يجوز أن يُتعدَّى في هذه الأحاديث ونحوها ما وردت به السنة، لأنها من أحاديث الصفات التي لا يجوز تأويلها بما ينافي مقتضاها، نسأل الله تعالى العصمة والعافية من التأويل والتعطيل والتحريف والتكييف والتبديل"(١).

وهذا التوحيد أجل المعارف لأنه معرفة الله بأسمائه وصفاته، وعلى هذه المعرفة تبنى العبادة، فإذا لم يعرف العبد ربه فكيف يعبده؟ كيف يعبد إلهاً يجهله؟ لذا استفاضت الأدلة بذكره والتنويه به لأنه كلما كان الأمر مهماً كثر إيضاحه وبيانه.

المطلب الثاني: منهج جمال الدين السرمري في تقرير توحيد الأسماء والصفات:

١- إثبات الصفات مع نفي العلم بالكيفية:

قرر جمال الدين السرمري رحمه الله إثبات الصفات وإمرارها كما جاءت بلا كيف، وأنه لا تلازم بين إثبات الصفات وبين تكييفها، وقد أولى هذه المسألة اهتماماً كبيراً، إذ أكد عليها في مواضع متعددة فقال:

"وينزل لا تكييف لي في نزوله ... تعالى سما الدنيا يقول سلو سَتري

وذلك إذ يبقى من الليل ثلثه ... كذلك حتى يُفصل الليل بالفجرِ

وربي كما قد جاء في قوله استوى ... على العرش أما كيف ذاك فلا أدري

ومذهبنا لا كيف لا مثل لا لما ... بالاقرار والإمرار من غير ما فسرِ"(٢).

---

(١) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص١٢٤.

(٢) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣١.

وقال في موضع آخر:

"وإن أحاديث الصفات وآيُها   تمر كمر السحب من غير ما نشر

وما جاء عن القرآن أوضح نقله   عن السيد المختار من ناقلي الأثر

تلقته منّا بالقبول قلوبنا   وذلّت له الأسماع في العُسر واليسر"(١).

وما قرره جمال الدين السرمري رحمه الله هو منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب.

قال سفيان بن عيينة: "سئل ربيعة عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ المبين، وعلينا التصديق"(٢).

وروي هذا الكلام بنحوه عن الإمام مالك، واشتهر عنه فعن جعفر بن عبدالله قال: "جاء رجل إلى مالك بن أنس فقال: يا أبا عبدالله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ قال " فما رأيت مالكاً وجد من شيء كموجدته من مقالته وعلاه الرحضاء –يعني العرق– قال: واطرق القوم وجعلوا ينتظرون ما يأتي منه فيه، قال: فسُرِّي عن مالك فقال: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فإني أخاف أن تكون ضالاً وأمر به فأخرج"(٣).

قال الإمام الذهبي عقبه: "هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة أن كيفية الاستواء لا نعقلها، بل نجهلها، وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به، لا نعمق ولا نتحذلق ولا نخوض في لوزام ذلك نفياً ولا إثباتاً، بل نسكت ونقف كما وقف السلف، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه، ونعلم يقيناً مع ذلك أن الله جل جلاله لا مثل له

---

(١) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣٢.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ص٤٤٢، للإمام اللالكائي.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ص٤٤١، للإمام اللالكائي.

في صفاته ولا في استوائه ولا في نزوله، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً"[1].

وقال الحافظ أبو القاسم التيمي: "وإثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات الصفات ... وعلى هذا مضى السلف"[2].

وقال الوليد بن مسلم: "سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في الصفات، فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف"[3].

قال شيخ الإسلام: "فقولهم ﷺ: (أمروها كما جاءت) رد على المعطلة، وقولهم: (بلا كيف) رد على الممثلة ... —إلى أن قال: – فقول ربيعة ومالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب موافق لقول الباقين: أمروها كما جاءت بلا كيف، فإنما نفوا علم الكيفية، ولم ينفوا حقيقة الصفة.

ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه – على ما يليق بالله – لما قالوا: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ولما قالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف، فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلوماً بل مجهولاً بمنزلة حروف المعجم.

وأيضاً: فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ المعنى؛ وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات.

وأيضاً: فإن من ينفي الصفات الخبرية – أو الصفات مطلقاً – لا يحتاج إلى أن يقول بلا كيف، فمن قال: إن الله ليس على العرش، لا يحتاج أن يقول بلا كيف، فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا بلا كيف.

وأيضاً: فقولهم: أمروها كما جاءت يقتضي إبقاء دلالتها على ماهي عليه، فإنها جاءت

---

(١) العلو للعلي الغفار ص١٣٩، للإمام الذهبي، تحقيق: أشرف بن عبدالمقصود، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، مكتبة أضواء السلف، الرياض.

(٢) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة (١/١٦٦-١٦٣)، لأبي القاسم التيمي، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، ١٤١٩، دار الراية، الرياض.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/١٤٩).

ألفاظ دالة على معاني، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال: أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة، وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت، ولا يقال حينئذ بلا كيف، إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول"[1].

٢- تعطيل الصفات أو بعضها تكذيب للوحي:

المعطلة: هم الذين عطلوا الرب ﷻ عما يجب أن يثبت له من الأسماء والصفات، وهم على ثلاثة أقسام:

- أهل التخييل: وهم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف، فإنهم يقولون: إن ما ذكره الرسول ﷺ إنما هو تخييل للحقائق، لينتفع به الجمهور، لا أنه بين به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح الحقائق؛ وليس فوق هذا الكفر كفر.

- أهل التأويل: هم الذين يقولون: إن النصوص الواردة في الصفات، لم يقصد بها الرسول ﷺ أن يعتقد الناس الباطل، ولكن قصد بها معاني، ولم يبين لهم تلك المعاني، ولا دلهم عليها، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم، ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها، ومقصوده امتحانهم وتكليفهم وإتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوه كلامه عن مدلوله ومقتضاه، ويعرفوا الحق من غير جهته، وهذا قول الجهمية والمعتزلة ومن دخل معهم في شيء من ذلك؛ ولا يخفى ما في ضمن كلام هؤلاء من قصد الإضلال، وعدم النصح، ومناقضة ما جاء به النبي ﷺ، وما وصفه الله به من الرأفة والرحمة.

- أهل التجهيل: هم الذين يقولون: إن الرسول ﷺ لم يعرف معاني ما أنزل الله عليه من آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك[2].

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/٣٩-٤٢).

(٢) انظر: الفتوى الحموية الكبرى ص٢٧٧- ٢٨٥، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. حمد التويجري، الطبعة الثانية ١٤٢٥، دار العصيمي، الرياض.

وقد قرر جمال الدين السرمري رحمه الله بطلان هذا المذهب، وبين أن مقصود أصحابه تكذيب الوحي، فقال:

"يدور على التعطيل لا دَرّ دَرُّه بتمويه قولٍ في المخارج مُزْوِرِّ
وما قصده نفي المخارج ويحه بلى قصده نفيُ الكلام من السِّفر
فتبًّا لهذا المذهب المُذهب الذي أقلُّ أذى فيه بصاحبه يُزري"(1).

كما رد على من شنع على أهل السنة لإثباتهم معاني الصفات وعدم تعطيلها بالحشو، وأن العبرة بالحقائق لا بالألقاب والشناعات، فقال في رده على السبكي:

"وسمت بالحشو أهل الحق إذ ملأوا وظائف العلم من قولٍ بأطيبه
قومٌ أتاهم صحيح النقل فاتبعوا سبيله وحموه من مكذبه
وأثبتوا لإله العرش ما ثبتت فيه النقول بلا شبه يُقاس به
فرام بعض أولي التعطيل دحضهم فآب من قصده الأدنى بأخيبه
فكل من قصرت في العلم رتبته وقلَّ ديناً تجرَّا في توثبه
فأحمد المصطفى عُودي وقيل له مُذمَّمٌ وتعالوا في تجنُّبه
وقيل ساحرٌ أو مجنون أو رجل معلمٌ كاهنٌ يسمو بأكعُبه
لو كان الاسم يشين الفعل في رجل لشان خير البرايا من ملقبه"(2).

وقال أيضاً في (منامات رؤيت لشيخ الإسلام ابن تيمية)، وهي رؤى فيها الثناء على منهج ابن تيمية في الاعتقاد، وبطلان مذهب المعطلة: "وجدت بخط المحدّث الفاضل العالم نجم الدين

---

(1) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣٠.

(2) الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية، ص٦٥-٦٧.

إسحاق ابن أبي بكر بن ألْمى التركي[1]، قال: أخبرنا فقير يعرف بعبدالله، وذهب عني اسم والده، ورأيت جماعة من أصحابنا يثنون على دينه، ويذكرونه بالصلاح والخير، قال: رأيت بدمشق في النوم ليلة الجمعة في رجب سنة خمس وسبعمائة، وكأنني خرجت من بيتي، لبعض حاجة، وكأن قائلاً يقول لي: إن رسول الله ﷺ في المدينة، فأتيت إليه فرأيته جالساً على دكان خباز، فسلمت عليه وذهبت لأتكلم فلم أُطق الكلام، فقال لي النبي ﷺ: يا عبدالله قل ما عندك، فقلت: يا رسول الله ما تنظر ما الناس فيه من الاختلاف وكثرة الأهواء والفتن؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ، وقال لي: يا عبدالله الحق مع أحمد ابن تيمية، وهو سالك على طريقي، وعلى قدمي، وما جئت إلا لأفصل بينهم، ثم إن رسول الله ﷺ غضب وتكلم بكلام لم أفهمه، إلا أنني فهمت في آخره وهو يقول: أيقدرون أن ينكروا معراجي؟ فوالذي نفسي بيده لقد أُسري بي من سماء إلى سماء، ورأيت ربي، ووضع ﷺ إصبعه اليمنى تحت عينه اليمنى، أو كما قال"[2].

يشير بهذا إلى بطلان مذهب من يعطل صفة العلو لله ﷻ.

وما قرره جمال الدين السرمري رحمه الله من بطلان مذهب التعطيل هو ما صرح به الأئمة.

قال عبدالرحمن بن مهدي: "إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن الله كلّم موسى وأن يكون على العرش، أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم"[3].

وقال علي بن عاصم شيخ الإمام أحمد: "ما الذين قالوا: إن لله سبحانه ولداً أكفر من الذين قالوا: إن الله سبحانه لم يتكلم" وقال أيضاً: "احذروا من المريسي وأصحابه فإن كلامهم من الزندقة، وأنا كلمت أستاذهم فلم يثبت أن في السماء إلهاً"[4].

---

(١) هو الشيخ المحدث، العالم الفقيه نجم الدين أبو الفضل إسحاق بن ابن أبي بكر ابن ألمى بن أطُز التركي، توفي بعد ٧٢٠. انظر: الرد الوافر، ص١٥٩-١٦٠.

(٢) الرد الوافر، ص٢٣٤.

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية، ص١٣٤.

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية، ص١٣٥.

وقال وهب بن جرير: "إياكم ورأي جهم فإنهم يحاولون أن ليس في السماء شيء وما هو إلا من وحي إبليس وما هو إلا الكفر"(١).

وقال الإمام ابن القيم في معرض ذكره لأنواع الإلحاد في أسمائه تعالى: "ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها، وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد ويقولون: لا حياة له، ولا سمع، ولا بصر، ولا كلام، ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً وشرعاً ولغةً وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين، فإن أولئك أعطوا أسماءه لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله، وجحدوها، فكلاهما ملحد في أسمائه ... وكل من جحد شيئاً عما وصف الله به نفسه، أو وصف به رسوله فقد ألحد في ذلك فليستقل أو ليستكثر"(٢).

والأقوال في ذلك من السلف متواترة، ويضيق المقام عن حصرها.

٣- تنزيه صفات الله ﷻ عن مماثلة صفات المخلوقين:

من قواعد أهل السنة والجماعة تنزيه الله ﷻ عن مماثلة صفات المخلوقين، وهذه المسألة تكلم فيها أهل السنة بناءاً على النصوص الواردة في نفي التمثيل، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: من الآية ١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: من الآية ٦٥]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] وغيرها من الأدلة.

وبينوا بطلان مذهب المشبهة: وهم الذين يمثلون صفات الله بصفات المخلوقين كقول بعضهم: لله سمع كسمعي، وبصر كبصري؛ وأن هذا نوع من الإلحاد في أسماء الله وصفاته الوارد في قوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية، ص١٣٦.

(٢) بدائع الفوائد (١/١٨٠)، لابن القيم، تحقيق: هشام عطا و عادل العدوي و أشرف أحمد، الطبعة الأولى ١٤١٦، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة.

وقد قرر جمال الدين السرمري رحمه الله هذا الأصل في أكثر من موضع، ومن ذلك قوله:

"أقــرُّ بــأنَّ الله جــل جــلالــه تعالى عن التشبيه والوصف والحصر[1]

سميع بصير ليس شيء كمثله كما جاء في القرآن إن كنت من تدري

فسبحانه من مالكٍ متكبرٍ تفرَّد دون الخلق بالعزِّ والقهر"[2].

ويقصد بقوله: "تعالى عن الوصف" أي مما هو من خصائص المخلوقين.

وقال في موضع آخر: "وأشهد أن لا إله إلا الله الغني عن الشركاء، المنزه عن الأشباه والنظراء، المقدّس عن الصاحبة والوزراء، المبرئ عن الآباء والأبناء ..."[3].

وقال في موضع آخر عن أهل الحق -أهل السنة-:

"وأثبتوا لإله العرش ما ثبتت فيه النقول بلا شبه يقاس به"[4].

وما قرره جمال الدين السرمري رحمه الله من تنزيه صفات الله ﷻ عن مماثلة صفات المخلوقين هو معتقد أهل السنة والجماعة —كما تقدم —.

قال الحافظ المقدسي رحمه الله ناقلاً اتفاق السلف على نفي التشبيه والتمثيل: "اعلم وفقنا الله وإياك لما يرضيه من القول والنية والعمل، وأعاذنا وإياك من الزيغ والزلل، أن صالح السلف، وخيار الخلف، وسادة الأئمة، وعلماء الأمة، اتفقت أقوالهم، وتطابقت آراؤهم على الإيمان بالله ﷻ، وأنه أحد فرد صمد، حي قيوم، سميع بصير، لا شريك له ولا وزير، ولا شبيه له ولا نظير،

---

(١) أسماؤه تعالى ليست محصورة بعدد، يدل لذلك قوله ﷺ في دعاء الهم: «أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك» فهذا يدل على أن لله أسماء استأثر بعلمها، وهذه الأسماء متضمنة لصفات لا يعلمها العباد، فأسماؤه تعالى وصفاته لا يحيط بها إلا هو، وأما العباد فلا يحيطون بها علماً، فتبين بهذا أن صفاته تعالى وأسماءه ليست محصورة بعدد، وقد قال ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك» فالعباد لا يحصون الثناء على الله، لأنهم لا يعلمون كل ما لله من الأسماء والصفات التي يكون بها الثناء عليه سبحانه.

(٢) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣١.

(٣) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ١ ب.

(٤) الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية، ص٦٦.

ولا عدل ولا مثل"[1].

وقال ابن القيم في معرض ذكره لأنواع الإلحاد في أسمائه تعالى: "وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه، تعالى الله عما يقول المشبهون علواً كبيراً، فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة فإن أولئك نفوا صفات كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد، وتفرقت بهم طرقه"[2].

٤- أزلية الصفات:

قرر جمال الدين السرمري رحمه الله هذه المسألة تقريراً بيناً واضحاً، لا لبس فيه ولا غموض، إذ كان منهجه في ذلك إثبات أن الله متصف بهذه الصفات منذ الأزل، لم يخل ﷻ من هذه الصفات طرفة عين، قائمة به أزلاً وأبداً، وأن من قال أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها فقد كفر.

قال رحمه الله في معرض رده على السبكي:

"إن قلتَ كان ولا علم لديه ولا　　كلام لا قدرة أصلاً كفرتَ به

أو قلتَ أحدثها بعد استحالتها　　في حقه سمت نقصٍ ما احتججت به

أو قلتَ فعلُ اختيارٍ منه ممتنعٌ　　ضاهيت قول امرئٍ مُغوٍ بأنصُبِهِ

ولم يزل بصفات الفعل متصفاً　　وبالكلام بعيداً في تقربه"[3].

وما قرره جمال الدين السرمري رحمه الله هو منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأن الله لم يزل متكلماً إذا شاء، وهذا قول أئمة السنة،

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد ص٧٨، لعبدالغني المقدسي، تحقيق: أحمد الغامدي، الطبعة الأولى ١٤١٤، مكتبة العلوم والحكم، المدينة.

(٢) بدائع الفوائد (١/١٨٠).

(٣) الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية، ص٧١-٧٣.

وهو الحق الذي يدل عليه العقل والنقل؛ وكذلك أفعاله، فإن الفعل والكلام صفة كمال، فإن من يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، ومن يخلق أكمل ممن لا يخلق، قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧]، وحينئذ فهو ما زال متصفاً بصفات الكمال، منعوتاً بنعوت الإكرام والجلال"(١).

وقال الإمام ابن أبي العز: "أن الله ﷻ لم يزل متصفاً بصفات الكمال: صفات الذات وصفات الفعل، ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها، لأن صفاته –سبحانه– صفات كمال، وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده"(٢).

وهذه المسألة لها ارتباط مباشر بمسألة تسلسل الحوادث –وقد تقدم الكلام عنها–.

٥– التفسير السلفي لنصوص الصفات:

تكلم جمال الدين السرمري رحمه الله على تفسير بعض نصوص الصفات، وكان في تفسيره سائراً على منهج أهل السنة والجماعة، ومن ذلك قوله في تفسير حديث «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني، قال: أي رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده...»: "وأما قوله: «لوجدتني عنده» فهو مثل قوله: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» وقوله: «أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما الآخر»، ويجوز أن يكون أراد (قريب) من العائد والمطعم والساقي بالقبول والإنابة على ما نووه وأمّلوه من الأجر فيما فعلوه، ويكون المراد بقوله: «لوجدتَ ذلك عندي» أي وجدتَ أجرَ ذلك، أو أجر ذلك مكتوباً، أو موفوراً عندي، والله أعلم.

---

(١) مجموع الفتاوى، ص٣٨٤.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص٧٩.

وهو من قبيل: «من تقرَّب إليَّ شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرَّب إليَّ ذراعاً تقرَّبت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيتُه هرولة» ولا يجوز أن يتعدَّى في هذه الأحاديث ونحوها ما وردتْ به السنة، لأنها من أحاديث الصفات التي لا يجوز تأويلها بما ينافي مقتضاها، نسأل الله العصمة والعافية من التأويل والتعطيل والتحريف والتكييف والتبديل"[1].

وقال في موضع آخر عند كلامه على صفة التردد في قبض نفس المؤمن والكراهية لله ﷻ الواردة في الحديث القدسي «ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»: "وليس هذا التردد كتردد الجاهل الذي لا يعرف العاقبة، ولا كراهيته كراهة العاجز الذي لا يمكنه دفع ما يكره، فإنه سبحانه عالم بالعواقب، قادر على ما يشاء، لا يكون إلا ما شاء، ولا يشاء إلا ما يكون، وهو سبحانه يقدِّر مع كراهته أشياء من مقدوراته التي يبغضها ويقضيها ويشاؤها من أنواع الكفر والفسوق والعصيان، فتجتمع الإرادة والكراهة في شيء واحد، فهو يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]"[2].

وما ذكره جمال الدين السرمري رحمه الله من تفسير هذا الحديث صحيح موافق لمنهج السلف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية حينما سئل عن هذا الحديث: "هذا حديث شريف رواه البخاري من حديث أبي هريرة وهو أشرف حديث روي في صفة الأولياء، وقد رد هذا الكلام طائفة وقالوا: إن الله لا يوصف بالتردد وإنما يتردد من لا يعلم عواقب الأمور والله أعلم بالعواقب، وربما قال بعضهم: إن الله يعامل معاملة المتردد، والتحقيق: أن كلام رسوله حق وليس أحد أعلم بالله من رسوله ولا أنصح للأمة منه ولا أفصح ولا أحسن بياناً منه فإذا كان كذلك كان المتحذلق والمنكر عليه من أضل الناس، وأجهلهم وأسوئهم أدباً بل يجب تأديبه

---

(١) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص١٢٣-١٢٤.

(٢) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص١٢٨.

وتعزيره، ويجب أن يصان كلام رسول الله ﷺ عن الظنون الباطلة، والاعتقادات الفاسدة، ولكن المتردد منا وإن كان تردده في الأمر لأجل كونه ما يعلم عاقبة الأمور، لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، ثم هذا باطل، فإن الواحد منا يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب، وتارة لما في الفعلين من المصالح والمفاسد فيريد الفعل لما فيه من المصلحة ويكرهه لما فيه من المفسدة، لا لجهله منه بالشيء الواحد الذي يُحب من وجه ويكره من وجه ... ومن هذا الباب يظهر معنى التردد المذكور في هذا الحديث ..."[1].

٦- تعداد بعض الأسماء والصفات:

تعرض جمال الدين السرمري رحمه الله في مواضع من كتبه إلى ذكر عدد من أسماء وصفات الله ﷻ إجمالاً من غير تعليق عليها، وهو يذكرها عرضاً في سياق مسائل أخرى، وفيما يلي ذكر لبعض تلك الأسماء والصفات:

المسألة الأولى: تعداد بعض الأسماء:

١) اسم الله[2].

٢) اسم الرب[3].

٣) اسم الرحمن، وذكر أن الأسماء الثلاثة السابقة هي أصول أسماء الرب ومجامعها[4].

٤) الحي[5].

٥) القيوم، ورجح أن اسم الله الأعظم هو (الحي القيوم) لما تضمنته صفة الحياة لجميع

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/١٢٩).

(٢) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ٢٩٩ ب.

(٣) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ٢٩٩ ب.

(٤) انظر: شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ٢٩٩ ب.

(٥) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ٣٠٥ أ.

صفات الكمال، وصفة القيومية لجميع صفات الأفعال[1].

المسألة الثانية: تعداد بعض الصفات:

١) صفة العَجَب[2].

٢) صفة الحلم[3].

٣) صفة القرب[4].

٤) صفة المحبة[5].

٥) صفة الكره[6].

٦) صفة التردد في قبض نفس المؤمن[7].

٧) صفة المشيئة[8].

٨) صفة العلم[9].

٩) صفة القدرة[10].

١٠) صفة البغض[11].

١١) صفة الإرادة[12].

---

(١) انظر: شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ٣٠٥ أ.

(٢) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص٦٣.

(٣) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص٨٧.

(٤) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص١٢٣.

(٥) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص١٢٧.

(٦) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص١٢٨.

(٧) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص١٢٨.

(٨) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص١٢٨.

(٩) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص١٢٨؛ الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية، ص٧١.

(١٠) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص١٢٨؛ الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية، ص٧١.

(١١) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص١٢٨.

(١٢) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص١٢٨.

١٢) صفة الحكم[1].

١٣) صفة السمع[2].

١٤) صفة البصر[3].

١٥) صفة العزة[4].

١٦) صفة القهر[5].

١٧) صفة النزول[6].

١٨) صفة الاستواء[7].

١٩) صفة الكلام[8].

٢٠) صفة الكبر[9].

٢١) صفة الرؤية[10].

٢٢) صفة الحياء[11].

٢٣) صفة الستر[12].

٢٤) صفة العلو[13].

---

(١) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص١٢٨.

(٢) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣١.

(٣) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣١.

(٤) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣١.

(٥) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣١.

(٦) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣١.

(٧) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣١.

(٨) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣٣؛ ؛ الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية، ص٧١.

(٩) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣٣.

(١٠) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣٨.

(١١) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص١٢٠.

(١٢) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص١٢٠.

(١٣) خصائص سيد العالمين [ق٧٩/و].

٢٥) صفة الأناة[١].

وما ذكره جمال الدين السرمري رحمه الله من إثبات هذه الأسماء والصفات هو الحق الذي دلت عليه النصوص وقال به أهل السنة الجماعة عدا الصفة الأناة لله ﷻ، فإني لم أقف على نص صريح في إثباتها، والسرمري قد استدل عليها بدليلين:

الأول: قول النبي ﷺ لأشج عبدالقيس «إن فيك خصلتين يحبها الله تعالى: الحلم والأناة» فالأناة صفة يحبها الله تعالى[٢].

الثاني: أدلة صفة الرفق لله ﷻ، وذلك لأن الرفق والأناة مترادفان في المعنى.

وما ذكره جمال الدين السرمري في إثبات صفة الأناة لله ﷻ مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة من أن صفات الله توقيفية، والله أعلم.

---

(١) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص٨٧.

(٢) انظر: الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص٨٧.

الفصل الرابع
منهج جمال الدين السرمري في سائر أصول الإيمان

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان بالملائكة والإيمان بالرسل.

المبحث الثاني: الإيمان باليوم الآخر.

المبحث الثالث: الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الأول: الإيمان بالملائكة والإيمان بالرسل

لما كانت المادة العلمية لدى جمال الدين السرمري فيما يتعلق بالملائكة قليلة، أما ما يتعلق بالرسل فأكثرها سيأتي الكلام عليه في القسم الثاني من خطة البحث –قسم التحقيق–، جعلت هذه المادة في مطلبين تحت مبحث واحد.

المطلب الأول: الإيمان بالملائكة:

الملائكة خلق من خلق الله تعالى خلقهم من نور، يجب الإيمان بوجودهم، وأنهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧]، ويجب الإيمان بالملائكة جملة وتفصيلاً، جملة فيما أجمل، وتفصيلاً فيما فصل من أسمائهم، وأوصافهم، وأعمالهم التي كلفهم الله بها، كما دلت على ذلك النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة.

فالإيمان بالملائكة: أحد أركان الإيمان وأصوله الذي لا يصح اعتقاد مسلم ولا يتم إيمانه إلا به، قال ﷻ: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [البقرة: من الآية ١٧٧].

وقال ﷻ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٥].

وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: من الآية ١٣٦].

وفي حديث جبريل المشهور عندما سأل النبي ﷺ عن الإيمان، قال: «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خير وشره ...» الحديث[1].

---

(١) رواه مسلم (١/٣٩)، كتاب الإيمان، باب الإيمان ماهو وبيان خصائله، ح٩.

وقد أجمل الإمام جمال الدين السرمري القول في هذا الأصل، ولم يتطرق –فيما وقفت عليه من كتبه– إلى الذين تخبطوا فيه كما هي الحال عند من يسمون بـ"فلاسفة الإسلام" الذين أنكروا حقيقة الملائكة، وزعموا أنها خيالات وأشكال نورانية يتخيّلها النبي في نفسه، وهي مجردات ليست داخل العالم ولا خارجه، ولا فوق السماء، ولا تحتها، وليست موصوفة بالصعود، ولا النزول، وليس لها تدبير البتة، ولا تتكلم، ولا تنتقل من مكان إلى مكان ... ونحو ذلك؛ وإنما ذكر السرمري بعضاً من أخبار الملائكة كما دلت عليها النصوص من الكتاب أو السنة، والتي تتضمن إيمانه بوجودهم حقيقة، وما ثبت من أسمائهم وصفاتهم وما وكلوا به من أعمال، وأنهم أحياء ناطقون، لا كما تزعم الفلاسفة.

فمن ذلك قوله في الإيمان بإسرافيل عليه السلام، وأنه الموكل بالنفخ بالصور:

"وينفخ إسرافيل في الصور نفخة   لصعق وأخرى فيه ينفخ للنشر"[1].

ومن ذلك ذكره لخبر الملائكة السيارة، فقال في فضل مجالسة أهل الذكر:

"عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فُضلاً يتتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكرٌ قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم، حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا افترقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، قال: فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم، من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض، يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك، قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك، قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا يا رب، قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك، قال: ومم يستجيروني؟ قالوا: من نارك يارب، قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا، قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك، قال: فيقول: قد غفرتُ لهم، وأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا، قال: فيقولون: رب فيهم فلانٌ عبدٌ خطّاء، إنما مر فجلس معهم، قال: فيقول: وله

---

(١) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣٨.

قد غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» متفق عليه"[1].

ومن ذلك ذكره لخبر تأمين الملائكة خلف الإمام، فقال في فضل التأمين خلف الإمام عند قوله ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: من الآية ٧]: "عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمن الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» متفق عليه، وذلك أنه جاء في الحديث: إن الملائكة إذا سمعت الإمام يقول: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: من الآية ٧] تقول: آمين، فإذا قال العبد: آمين، فقد وافق الملائكة في التأمين، فيغفر له ما تقدم من ذنبه، كما قال ﷺ"[2].

ومن ذلك ذكره لخبر ملك الموت، فقال: "عن سعيد بن المسيب عن عبدالرحمن بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال: «إني رأيت الليلة عجباً» فقالوا: وما هو يا رسول الله؟ قال: «رأيت رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بره بوالديه فرده عنه ...»[3].

ومن ذلك ذكره لخبر لعن الملائكة للمرأة الممتنعة عن الفراش لغير عذر، فقال في باب عشرة النساء: "وقال: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء، فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح» متفق عليه"[4].

ومن ذلك قوله في محبة الملائكة للرائحة الطيبة: "وفي الطيب خاصية أن الملائكة تحبه، والشياطين تنفر منه، وأحب شيء إلى الشياطين الرائحة الكريهة والمنتنة، فلهذا كانت المساجد ومواضع الذكر مهابط الملائكة ومجتمعهم، والحشوش مأوى الشياطين، والأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة، والأوراح الخبيثة تحب الأرواح الخبيثة، فالخبيثات للخبيثين، والطيبات للطيبين،

---

(١) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص٩٤.

(٢) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص١١٨.

(٣) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص١٥٢.

(٤) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٤٧٣.

والطيبون للطيبات"[1].

ومن ذلك قوله في صلاة الملائكة على النبي ﷺ: "وقد أمر الله سبحانه المؤمنين بالصلاة والسلام عليه، وأخبر أنه وملائكته يصلون عليه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]"[2].

ومن ذلك ذكره لخبر صف الملائكة مع الأنبياء في الإسراء وصلاتهم خلف النبي ﷺ، فقال: "ففي حديث الإسراء عنه ﷺ: «إن الله تعالى جمع الأنبياء والملائكة صفوفاً قال فقدّمني وأمرني أن أصلّي بهم فصليت بهم ركعتين ...»"[3].

ومن ذلك ذكره لخبر تغسيل الملائكة لحنظلة بن أبي عامر ﷺ، فقال: "قال رسول الله ﷺ: «إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضّة» قال أبو أسيد الساعديّ: فذهبنا فنظرنا فإذا رأسه يقطر ماء فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فأرسل إلى امرأته يسألها فأخبرته أنه خرج وهو جنب فولده يقال لهم بنو غسيل الملائكة"[4].

ومن ذلك ذكره لخبر دنو الملائكة لسماع قراءة ابن خضير ﷺ، فقال: "قال: «تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبح الناس ينظرون إليها لا تتوارى منها» وكان حسن الصّوت، فدنوّ السكينة والملائكة لسماع قراءة ابن خضير أعظم من تسمّع الجبال والطير والوحش لصوت داود عليه الصلاة والسلام"[5].

ومن ذلك قوله في نصرتهم للنبي ﷺ: "فقال تعالى: ﴿وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: من الآية ٤] فأيّ

---

(١) شفاء الآلام في طب أهل الإسلام (مخطوط) ورقة: ١٥٤ ب.

(٢) شرح اللؤلؤ في النحو، ص٤١.

(٣) خصائص سيد العالمين [ق٢/ظ].

(٤) خصائص سيد العالمين [ق٣٦/ظ].

(٥) خصائص سيد العالمين [ق٤٠/و].

ظهير أعظم من هذا وأيّ ناصر أقوى من هذا فكانت الملائكة المقرّبون أنصاره ﷺ وأعوانه يقاتلون بين يديه في الحروب كفاحاً ويمنعون عنه ويدافعون دونه ولمّا تواعدت قريش ليأخذوه فيقتلوه وقد دخل المسجد يصلّي فسمعوا صوتاً ما ظنّوا أنّه بقي بتهامة جبل إلا نتق فغشي عليهم فما عقلوا حتى قضى صلاته ثم رجع إلى أهله سالماً ثم تواعدوا عليه مرّة أخرى فنهضوا عليه فجاء الصّفا والمروة حتى التقى أحدهما بالأخرى فحالتا بينه وبينهم ولمّا حلف أبو جهل ليطأنّ عنقه إن رآه مصلّياً فلما همّ بذلك لم يفجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه وقال: رأيت بيني وبينه خندقاً من نار وأهوالاً وأجنحة فقال رسول الله ﷺ لو دنا منّي لاختطفته الملائكة عضواً عضواً ..."(١).

ومن ذلك ذكره لخبر ملك الجبال، فقال: "على أنّ محمّداً ﷺ أعطي من تسخير الجبال ما لو شاء لصارت جبال مكّة معه ذهَباً وقال له مَلَكُ الجبال: إن شئت أن أُطْبِقَ عليهم الأخْشَبَينِ يعني جَبلي مكّة على الكفّار فقال ﷺ: «بل أرجو أن يُخْرِجَ اللهُ من أصلابهم من يعبد الله تعالى لا يشرك به شيئاً»"(٢).

ومن ذلك ذكره لخبر سؤال الملكين في القبر: "وذلك أن الميت إذا وضع في قبره جاءه ملكان فيُقعدانِه ويسألانه: من ربك، ومن نبيك، وما دينك ..."(٣).

ومن ذلك ذكره لخبر وصف ملك من الملائكة، فقال: "وقد قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «يا عائشة لو شئتُ لسارت معي جبال الذّهب، جاءني ملك إنّ حُجزته لَتُسَاوِي الكعبةَ ..."(٤).

وقال في موضع آخر: "وعن عمار بن ياسر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله أعطى ملكاً من الملائكة أسماع الخلائق فهو قائم على قبري إلى يوم القيامة لا يصلي عليّ

---

(١) خصائص سيد العالمين [ق٤٤/و-ظ].

(٢) خصائص سيد العالمين [ق٤١/و].

(٣) خصائص سيد العالمين [ق٢٩/ظ].

(٤) خصائص سيد العالمين [ق٤١/ظ].

أحد إلا سمّاه باسمه واسم أبيه وقال: يا أحمد صلّى عليك فلان بن فلان وتكفّل لي الربّ ﷻ أن أردّ عليه بكل صلاة عليه عشراً ﷺ»"[1].

ومن ذلك ذكره لخبر وصف الملائكة الذين مر عليهم النبي ﷺ في ليلة المعراج، فقال: "قال: ثم مررت بملك آخر جالس على كرسي قد جُمِعَ له الدنيا بين ركبتيه وفي يديه لوح مكتوب من نور ينظر فيه لا يلتفت يميناً وشمالاً ينظر فيه كهيئة الحزين فقلت: من هذا يا جبريل وما مررت بملك أنا أشدّ خوفاً منه مني من هذا، قال: وما يمنعك كلنا بمنزلتك هذا ملك الموت دائبٌ في قبض الأرواح وهو من أشد الملائكة عملاً وأدأبِهِم، قلت: يا جبريل كل من مات ينظر فيه إلى هذا، قال: نعم، قلت: كفى بالموت طامةً، فقال: يا محمّد ما بعد الموت أطمّ وأعظم، قلت: يا جبريل ادنني من ملك الموت أُسَلِّم عليه وأسأله فأدناني منه فسلمت عليه فأومئ إلي فقال له جبريل: هذا محمد نبيّ الرحمة ورسول العرب فرحّب بي و حيّاني وأحسن بشارتي وإكرامي وقال: أبشر يا محمد فإني أرى الخير كله في أمتك، فقلت: الحمد لله المنّان بالنعم، ما هذا اللوح الذي بين يديك؟ قال: مكتوب فيه آجال الخلائق، قلت: فأين أسماء من قبضت أرواحهم في الدهور الخالية؟ قال: تلك الأرواح في لوح آخر قد أعلمت عليها وكذلك أصنع بكل ذي روح إذا قبضتُ روحَه حَلَّقتُ عليها، فقلت: يا ملك الموت سبحان الله كيف تقدر على قبض أرواح جميع أهل الأرض وأنت في مكانك هذا لا تبرح، قال: ألا ترى أن الدنيا كلها بين ركبتيّ وجميع الخلائق بين عينيّ ويداي تبلغان المشرق والمغرب وخلفهما فإذا نفدَ أجل عبد من عباد الله نظرت إليه وإلى أعواني فإذا نظر أعواني من الملائكة أني نظرت إليه عرفوا أنه مقبوض فعمدوا إليه يعالجون نزع روحه فإذا بلغ الروحُ الحلقومَ علمتُ ذلك ولا يخفى عليّ شيء من أمري مَددت يدي إليه فقبضتُه فلا يَلِي قبضَه غيري فذلك أمري وأمر ذوي الأرواح من عباد الله، قال: فأبكاني حديثُه وأنا عنده ثم جاوزنا فمررنا بملك آخر ما رأيت من الملائكة خلقاً مثله عابس كالح الوجه كريه المنظر شديد البطش ظاهر الغضب فلما نظرت إليه رُعبت

---

(1) خصائص سيد العالمين[ق٦١/و].

منه جدّاً، فقلت: يا جبريل من هذا فإنّي رُعبت منه رعباً شديداً، قال: فلا تعجب أن تُرعَب منه كلّنا بمنزلتك في الرّعب منه هذا مالك خازن جهنم لم يتبسّم قط ولم يزل منذ ولّاه الله جهنّم يزداد كلّ يوم غضباً وغيظاً على أعداء الله تعالى وأهل معصيته لينتقم منهم، قلت: ادنني منه فأدناني منه فسلم عليه جبريل فلم يرفع رأسه، فقال: جبريل يا ملك هذا محمّد رسول العرب فنظر إليّ وحيّاني وبشّرني بالخير، فقلت: مُذ كَم أنت وَاقِدٌ على جهنم، فقال: منذ خُلقتُ حتى الآن وكذلك حتى تقوم الساعة، قلت: يا جبريل مُره فليُرني طريقاً من النار فأمره ففعَل فخرج منه لهبٌ ساطع أسوَد معه دخان كدر مُظلم امتلأ منه الآفاق فرأيت هولاً عظيماً وأمراً فظيعاً أعجز عن صفته لكم فغشي علي وكاد يذهب نفسي فضمّني جبريل إليه وأمره أن يَرُدّ النارَ فردّها فجاوزناها ..."[1].

إلى نحو ذلك من الأخبار التي ذكرها جمال الدين السرمري، والتي تتضمن إيمانه —كما تقدم- بوجودهم حقيقة.

وما ذكره جمال الدين السرمري هو الحق الذي دلت عليه النصوص وقال به أهل السنة الجماعة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "إنه من المتواتر عن الأنبياء صلوات الله عليهم أن الملائكة أحياء ناطقون يأتونهم عن الله بما يخبر به ويأمر به تارة، ويقاتلون معهم تارة، وكانت الملائكة أحياناً تأتيهم في صورة البشر والحاضرون يرونهم، وقد أخبر الله عن الملائكة في كتاب بأخبار متنوعة، وذلك يناقض ما يزعمونه من أن الملك إنما هو الصورة الخيالية التي ترتسم في الحس المشترك أو أنها العقول والنفوس"[2].

---

(١) خصائص سيد العالمين[ق٧١/و]- [ق٧٢/و].

(٢) الرد على المنطقيين ص٤٨٩-٤٩٠، لابن تيمية، دار المعرفة، بيروت.

المطلب الثاني: الإيمان بالرسل:

لقد بعث الله إلى خلقه ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: من الآية ١٦٥] وأمر بالإيمان بهم جميعاً: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦] فيجب الإيمان بهم جملة وتفصيلاً، وذلك يتضمن الإيمان بمن سمى الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من الأنبياء وبما ثبت من أخبارهم، ومن لم يقص علينا خبرهم يجب الإيمان بهم جملة لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: من الآية ٧٨] ويجب الإيمان بأن الأنبياء جميعاً بشر ليس لهم من خصائص الربوبية شيء، فهم من عباد الله، يجري عليهم ما يجري على البشر، يأكلون ويشربون ويتزوجون ويمرضون ويموتون ويقتلون، ولا يعلمون الغيب، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: من الآية ٢٠] وأن كلهم جاءوا بالدعوة إلى توحيد الله ونبذ الشرك وإن اختلفت بعض شرائعهم ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: من الآية ٣٦] وأن من كفر بنبي واحد منهم فقد كفر بهم جميعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

فالإيمان بالرسل أحد أركان الإيمان الذي لا تصح عقيدة المسلم إلا بتحقيقه.

هذا ما يتعلق بالإيمان بالأنبياء والرسل جملة، أما نبينا محمد ﷺ فيجب الإيمان به على وجه الخصوص، مع الاعتقاد بوجوب طاعته في جميع ما أمر به وشرعه، والانتهاء عن جميع ما عنه نهى وزجر، والإيمان بعموم رسالته، وأنه مبعوث للناس عامة قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ

﴿ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: من الآية ٢٨] والإيمان بأن الرسالة والنبوة ختمت به، إذا لا نبي بعده، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: من الآية ٤٠].

هذا من أهم ما تضمنه الإيمان بالرسل جملة، والإيمان بالنبي ﷺ على وجه الخصوص.

وقد ذكر الإمام جمال الدين السرمري رحمه الله عدداً من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما ورد من أخبارهم، وذكر أيضاً ما اختص به المصطفى ﷺ في كتابه "خصائص سيد العالمين وماله من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام" كما سيأتي دراسته في القسم الثاني من خطة البحث –قسم التحقيق-.

المبحث الثاني: الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر أصل من أصول الإيمان التي لا يصح إيمان عبد إلا بتحقيقه، كما دل على ذلك الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: من الآية ١٧٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: من الآية ٣٩]، وقال ﷺ في حديث جبريل: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره»[(١)]، والنصوص في ذلك كثيرة.

ويجب الإيمان باليوم الآخر جملة وتفصيلاً، فيجب الإيمان بكل ما ورد في الكتاب والسنة من التفصيلات المتعلقة باليوم الآخر، من حياة البرزخ، والنفخ في الصور، والبعث، والحشر، والميزان، والحوض، والصراط، والجنة والنار، والشفاعة، ورؤية المؤمنين لربهم.

وقد تطرق جمال الدين السرمري رحمه الله لهذه المسائل، وفيما يلي تقسيم لهذه المسائل وعرض لها بمشيئة الله تعالى.

المطلب الأول: حياة البرزخ:

البرزخ: هو الحائل بين الشيئين، ومنه قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩-٢٠] والمراد به هنا: الفترة من وقت الموت إلى القيامة، فهي برزخ

---

(١) تقدم تخريجه ، انظر: ص١٨٤.

بين الدنيا والآخرة[1]، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: من الآية ١٠٠].

ومن أصول مذهب أهل السنة والجماعة، ولوازم الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بما يحصل في حياة البرزخ.

وقد أشار الإمام جمال الدين السرمري إلى هذه الحياة، ونص على ما ورد فيها من ضمة القبر، وتسمية الملكين اللذين يسألان العبد في القبر أنهما منكر ونكير، وأنه يستثنى من هذا السؤال الرسل عليهم السلام.

فقال في منظومته في الاعتقاد:

"وموت الورى حق ومن بعد بعثهم وبينهما لا شك في عصرة القبر

ويسألهم فيه نكير ومنكر عدا الرسل أرجوا الله يلهمني عذري"[2].

وما أشار إليه الإمام جمال الدين السرمري من إثبات حياة البرزخ وما يحصل فيها هو مذهب أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "مذهب سائر المسلمين بل وسائر أهل الملل إثبات (القيامة الكبرى) وقيام الناس من قبورهم والثواب والعقاب هناك، وإثبات الثواب والعقاب في البرزخ – مابين الموت إلى يوم القيامة- هذا قول السلف قاطبة وأهل السنة والجماعة، وإنما أنكر ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع، لكن من أهل الكلام من يقول: هذا إنما يكون على البدن فقط كأنه ليس عنده نفس تفارق البدن، كقول من يقول ذلك من المعتزلة والأشعرية، ومنهم من يقول: بل هو على النفس فقط بناء على أنه ليس في البرزخ عذاب على البدن ولا نعيم كما يقول ذلك ابن مسرة وابن حزم، ومنهم من يقول: بل البدن ينعم ويعذب بلا حياة فيه كما

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (١/٣٣٣)؛ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (٢/٤)، لشمس الدين السفاريني، الطبعة الثانية ١٤٠٢، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق؛ إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، لصالح الفوزان، الطبعة الثالثة ١٤٢٣، مؤسسة الرسالة.

(٢) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣٨.

قاله طائفة من أهل الحديث وابن الزاغوني يميل إلى هذا في مصنفه في حياة الأنبياء في قبورهم وقد بسط الكلام على هذا في مواضع، والمقصود هنا: أن كثيراً من أهل الكلام ينكر أن يكون للنفس وجود بعد الموت ولا ثواب ولا عقاب ويزعمون أنه لم يدل على ذلك القرآن والحديث كما أن أن الذين أنكروا عذاب القبر والبرزخ مطلقاً زعموا أنه لم يدل على ذلك القرآن وهو غلط، بل القرآن قد بين في غير موضع بقاء النفس بعد فراق البدن وبيَّن النعيم والعذاب في البرزخ ..."[1].

وقد أنكر بعض المعتزلة وغيرهم سؤال الملكين، قال التفتازاني: "اتفق الإسلاميون على حقيقة سؤال منكر ونكير في القبر وعذاب الكفار وبعض العصاة فيه ونسب خلافه إلى بعض المعتزلة قال بعض المتأخرين منهم حكي إنكار ذلك عن ضرار بن عمرو وإنما نسب إلى المعتزلة وهم براء منه لمخالطة ضرار إياهم وتبعه قوم من السفهاء المعاندين للحق"[2].

أما قول جمال الدين السرمري: " وبينهما لا شك في عصرة القبر"[3]، فصحيح موافق لما ثبت في النصوص، وعصرة القبر هي: هي أول ما يلاقيه الميت حين يوضع في قبره، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن للقبر ضغطة، ولو كان أحد ناجياً منها نجا منها سعد بن معاذ»[4]، وقد علق الألباني على هذا الحديث في الصحيحة (١٦٩٥) فقال: "وجملة القول أن الحديث بمجموع طرقه وشواهده صحيح بلا ريب، فنسأل الله تعالى أن يهون علينا ضغطة القبر إنه نعم المجيب"[5].

وأما قول جمال الدين السرمري أنه يستثنى الرسلُ عليهم السلام من فتنة القبر وسؤال الملكين، فلعل ما ذهب إليه السرمري هو الظاهر في المسألة، ويدل على ذلك الأحاديث

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٢٦٢).

(٢) شرح المقاصد في علم الكلام (٢/٢٢٠).

(٣) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣٨.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٠/٣٢٧) ح٢٤٢٨٣، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الطبعة الثانية ١٤٢٠، مؤسسة الرسالة.

(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/٢٧١).

الصحيحة التي وردت في أن الشهيد لا يسأل، وألحق به من مات مرابطاً لظاهر حديث: «كل ميت يختم على عمله إلا المرابط، فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامة، ويؤمَّن من فتان القبر»[1]، وألحق القرطبي بالشهيد الصديق لأنه أعلى مرتبة من الشهيد، ومنه يؤخذ انتفاء السؤال في حقه ﷺ وفي حق سائر الأنبياء[2].

وعلى كل حال فمسألة استثناء الرسل عليهم السلام من سؤال الملكين ليس وراءها كثير فائدة، وليست من أصول الإيمان، والله أعلم.

المطلب الثاني: النفخ في الصور، والبعث من القبور:

الصور: هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام عند بعث الموتى إلى المحشر[3]، ومن أصول الإيمان باليوم الآخر ومستلزماته: الإيمان بالنفخ في الصور.

وقد قرر الإمام جمال الدين السرمري هذا الأصل في منظومته في الاعتقاد، فقال:

"وينفخ إسـرافيـل في الـصور نفخة   لصعق وأخرى فيه ينفخ للنشر

وموت الورى حق ومن بعد بعثهم   وبينهما لا شك في عصرة القبر"[4].

وما قرره جمال الدين السرمري من النفخ في الصور هو الحق الذي دلت عليه النصوص، ومنها:

قوله جل جلاله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩]

، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]، وقوله

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/٩)، كتاب الجهاد، باب في فضل الرباط، ح٢٥٠٠؛ وقال الألباني: "إسناده صحيح، وصححه ابن حبان". صحيح أبي داود (٧/٢٦٠).

(٢) الإيمان والرد على أهل البدع ص٨٢، لعبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، الطبعة الثالثة ١٤١٢، دار العاصمة، الرياض.

(٣) انظر: النهاية في غريب الأثر (٣/١٢٢)، لسان العرب (٤/٤٧١).

(٤) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣٨.

تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٣-١٥]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨].

أما ما ذكره جمال الدين السرمري من أن صاحب الصور من الملائكة هو إسرافيل فصحيح موافق لمذهب السلف.

قال القرطبي: "والأمم مجمعة على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل عليه السلام "(١)، وقد نقل الحليمي أيضاً الإجماع على ذلك(٢).

وقد أشار الإمام جمال الدين السرمري في البيت السابق إلى عدد النفخات في الصور أنها اثنتان ، وهذا أصح الأقوال في النفخات، وقد قيل: إن عددها ثلاث، وقيل: أربع(٣).

وأما ما يتعلق بالشق الثاني مما قرره جمال الدين السرمري وهو البعث، أي قيام الناس من قبورهم لرب العالمين، فهذا من المعلوم من الدين بالضرورة، بل من الأديان السماوية جميعاً.

وقد قرر القرآن هذا الأصل العظيم بأساليب متعددة، قال ابن القيم: "وقد أعاد الله سبحانه هذا المعنى وأبداه في كتابه، وبأوجز العبارات، وأدلها، وأفصحها، وأقطعها للعذر،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٧)، تحقيق: هشام البخاري، ١٤٢٣، دار عالم الكتب، الرياض.

(٢) انظر: فتح الباري (٣٦٨/١١).

(٣) انظر: فتح الباري (٤٤٦/٦)، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ص٢٠٠، للإمام القرطبي، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، الطبعة الأولى ١٤٢٥، دار المنهاج، الرياض.

وألزمها للحجة"[1].

بل لم يكن إثبات هذا مقتصراً على ورود الشرع وحده، إذا قد ثبت بدلالة العقل، والفطر السليمة[2].

ولقد ألحد في عقيدة البعث، وقيام الناس من قبورهم لرب العالمين، ليجازي كل إنسان بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وتخبطوا فيها بعض من يتسمون (بفلاسفة الإسلام) وزعموا أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري، قال ابن أبي العز: "ومحمد ﷺ لما كان خاتم الأنبياء، وكان قد بعث هو والساعة كهاتين، وكان هو الحاشر المقفي، بيَّن تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء، ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم أنه لم يُفصح بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ، وجعلوا هذا حجة لهم في أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري ... وهذا كذب، فإن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء، من آدم إلى نوح، إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام"[3].

المطلب الثالث: الحشر:

قال القرطبي: "الحشر: ومعناه الجمع؛ وهو على أربعة أوجه: حشران في الدنيا وحشران في الآخرة.

أما الذي في الدنيا، فقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِ﴾ [الحشر: من الآية ٢] ...

الثاني: ما رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا» ... ،

---

(١) إعلام الموقعين (١/١٤٠-١٤١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٧٢.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٧٢.

قال القاضي عياض: هذا الحشر في الدنيا قبل قيام الساعة، وهو آخر أشراطها ...

والحشر الثالث: حشرهم إلى الموقف ... قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

والرابع: حشرهم إلى الجنة والنار، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] ... وقال: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: من الآية ١٠٢] "[1].

والإيمان بالحشر من أصول الإيمان باليوم الآخر.

وقد قرر الإمام جمال الدين السرمري هذا الأصل بقوله:

"وفي الحشر ميزان ونار وجنة وفيه صراط للمزلة والعبر"[2].

وقد ذكر الإمام جمال الدين السرمري في هذا البيت بعض من أحوال ومواقف ومقامات الحشر، فحالات الناس في الحشر خمسة: حال البعث من القبور، وحال السوق إلى مواضع الحساب، وحال المحاسبة، وحال السوق إلى دار الجزاء، وحال مقامهم في الدار التي يستقرون فيها[3]؛ وسيأتي بيان وتفصيل المواقف التي ذكرها الإمام جمال الدين السرمري في البيت السابق في المطالب القادمة –إن شاء الله تعالى–.

المطلب الخامس: الميزان:

دل الكتاب، والسنة، وإجماع أهل السنة على إثبات الميزان يوم القيامة، وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان.

قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨-٩]، وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا

---

(١) التذكرة، ص٢٢٥.

(٢) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣٨.

(٣) انظر: التذكرة، ص٢٣٢.

﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦-٩].

أما من السنة: فإن الأحاديث التي جاءت في إثبات الميزان قد بلغت حد التواتر، حكى ذلك غير واحد من العلماء[1].

كما أن أهل السنة أجمعوا على القول بإثباته كما ورد في النصوص.

قال الزجاج: "أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، ويميل بالأعمال"[2].

وقال السفاريني: "والحاصل أن الإيمان بالميزان كأخذ الصحف ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ... - إلى أن قال: - وانعقد إجماع أهل الحق من المسلمين عليه ..."[3].

فالإيمان بالميزان من أصول الإيمان باليوم الآخر.

وقد قرر الإمام جمال الدين السرمري هذا الأصل بقوله:

"وفي الحشر ميزان ونار وجنة   وفيه صراط للمزلة والعبر"[4].

وقال في موضع آخر: "وقد جاء أن الله تعالى يوقفُ عبداً في الحساب، فتوزن حسناته وسيِّئاته ..."[5].

---

(١) نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص٢٣١، لمحمد بن جعفر الكتاني، الطبعة الثانية، دار الكتب السلفية، مصر؛ لوامع الأنوار البهية (٢/١٨٥)؛ السلسلة الصحيحة (١/١٣٤) غير أن الألباني -رحمه الله- لم يجزم ببلوغها حد التواتر، وإنما قال: "والأحاديث في ذلك -أي الميزان- متضافرة إن لم تكن متواترة".

(٢) فتح الباري (١٣/٥٣٨).

(٣) لوامع الأنوار (٢/١٨٤-١٨٥).

(٤) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣٨.

(٥) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص١٠٦.

وما قرره جمال الدين السرمري من الإيمان بالميزان هو مذهب أهل السنة والجماعة –كما تقدم–، وقد خالف في هذا الأصل الجهمية وجمهور المعتزلة، بل إن بعض العلماء ذهب إلى أن جميع المعتزلة تنكره، فنفوا أن يكون الميزان حقيقي، إذ زعموا أن الأعمال أعراض، والأعراض لا توزن، وإن أمكن إعادتها فلا يمكن وزنها إذ لا توصف بالخفة والثقل، وقالوا أيضاً: الوزن للعلم بمقدارها، وهي معلومة لله تعالى، فلا فائدة فيه، فيكون قبيحاً تنزه عنه الرب تعالى، وتأولوا النصوص الواردة في الميزان بأنه العدل[1]،

وقد رد عليهم العلماء وأوضحوا خطأهم في هذا التأويل الباطل، حتى إن أحد كبار أئمتهم –وهو القاضي عبدالجبار– رد على من يؤول ذلك التأويل.

يقول القاضي عبدالجبار: "أما وضع الموازين فقد صرح الله تعالى في محكم كتابه، قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: من الآية ٤٧] وقوله: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ...﴾ الآية [الأعراف: ٨] إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن هذا المعنى، ولم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه المتعارف فيما بيننا دون العدل وغيره على ما يقوله بعض الناس، لأن الميزان وإن ورد بمعنى العدل في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الحديد: من الآية ٢٥] فذلك على طريق التوسع والمجاز، وكلام الله تعالى مهما أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه إلى المجاز؛ يبين ذلك ويوضحه، أنه لو كان الميزان إنما هو العدل، لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى، فدل على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل على ما تشمل عليه الموازين فيما بيننا ..."[2].

---

(١) انظر: شرح المقاصد في علم الكلام (٢/٢٢٣) للتفتزاني؛ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص٩٨، لأبي الحسين الملطي، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، الطبعة الثانية ١٩٧٧م، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة؛ فتح الباري (١٣/٥٣٨)؛ مقالات الإسلاميين ص٤٧٢-٤٧٣، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: هلموت ريتر، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث، بيروت؛ كتاب المواقف (٣/٥٢٤)؛ روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني (١٧/٦)، محمود الألوسي، دار إحياء التراث، بيروت.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص٧٣٥، للقاضي عبدالجبار بن أحمد، تحقيق: عبدالكريم عثمان، الطبعة الثالثة ١٤١٦، مكتبة وهبة، القاهرة.

وقال الزجاج بعد أن ذكر الأقوال في معنى الميزان، -ومنها قول من قال: إنه العدل-: "هذا سائغ من جهة اللسان والأولى أن يتبع ما جاء في الأسانيد الصحاح من ذكر الميزان"[1]،

قال القشيري تعليقاً على كلام الزجاج: "وقد أحسن الزجاج فيما قال، إذ لو حمل هذا فليحمل الصراط على الدين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة - ثم قال: - وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل، وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر، وصارت هذه الظواهر نصوصاً"[2].

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي: "ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال! وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً، ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه"[3].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧/١٤٧)، للإمام القرطبي؛ فتح القدير (٢/٢١٦)، للإمام الشوكاني، الطبعة الأولى ١٤١٤، دار ابن كثير – دار الكلم الطيب، دمشق –بيروت.

(٢) المصدران السابقان.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٨٢.

المطلب السادس: الحوض:

الحوض في اللغة: مجتمع الماء[1]، المراد بالحوض هنا: هو المورد الموعود به النبي ﷺ في عرصات القيامة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، طوله شهر، وعرضه شهر، من يشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً[2].

ومن أصول الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالحوض.

وقد قرر الإمام جمال الدين السرمري هذا الأصل في منظومته في الاعتقاد، فقال:

"وللمصطفى حوض لورد أولى التقى   أباريقه في العدِّ كالأنجم الزهر"[3].

وما قرره الإمام جمال الدين السرمري هو الحق الذي دلت عليه النصوص، وأجمع عليه أهل السنة والجماعة.

قال ابن كثير رحمه الله: "ذكر ما ورد في الحوض المحمدي سقانا الله منه يوم القيامة من الأحاديث المشهورة المتعددة من الطرق المأثورة الكثيرة المتضافرة، وإن رغمت أنوف كثير من المبتدعة المكابرة القائلين بجحوده، المنكرين لوجوده ..."[4].

وقال الإمام ابن أبي العز: "الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً -رضي الله عنهم- ..."[5].

وقال القاضي عياض – رحمه الله – فيما ينقله النووي: "أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، و التصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة و الجماعة، لا يتأول ولا يختلف فيه -وقال القاضي: - وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة ..."[6].

ويقول ابن حجر: " وقال القرطبي في (المفهم) تبعاً للقاضي عياض في غالبه -أي أغلب الكلام الآتي-: مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبيه محمداً ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي

---

(١) لسان العرب (١٤١/٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤٦/٣).

(٣) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣٨.

(٤) النهاية في الفتن والملاحم (٣٧٤/١)، لابن كثير، تحقيق: محمد أحمد عبدالعزيز، الطبعة ١٤٠٨، دار الجيل، بيروت.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص١٤٥، وانظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص٢٣٦ – ٢٣٨.

(٦) شرح صحيح مسلم (٥٣/١٥).

يحصل بمجموعها العلم القطعي ... وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف، وأنكرت ذلك طائفة من المبتدعة وأحالوه على ظاهره وغلوا في تأويله من غير استحالة عقلية ولا عادية تلزم من حمله على ظاهرة وحقيقته ولا حاجة تدعو إلى تأويله فخرق من حرفه إجماع السلف وفارق مذهب أئمة الخلف"[1].

المطلب السادس: الصراط:

الصراط: وهو جسر ممدود على ظهر جهنم مدحضة مزلة، أحدّ من السيف وأدق من الشعر، وأحر من الجمر، عليه خطاطيف تأخذ الأقدام، وعبوره بقدر الأعمال، مُشاة وركباناً وزحفاً، يمر عليه المسلم والكافر، فيجوزه المؤمن كالبرق والريح وأجاويد الخيل والركبان والمشاة، فناج مسلم ومخدوش ومكردس في النار[2].

وقد دلت الأدلة في الكتاب والسنة على إثبات الصراط

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١-٧٢] ذهب أكثر المفسرين أن المقصود بورود النار هنا: المرور على الصراط، وهو منقول عن ابن مسعود وجابر والحسن وقتادة وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم والكلبي وغيرهم[3].

وقال ابن جرير رحمه الله بعد أن حكى الخلاف في تفسير الآية: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار، وورودها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فناج مسلم، ومكدس فيها"[4].

---

(١) فتح الباري (١١/٤٦٧).

(٢) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١/١٢٦)، لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، الطبعة الأولى ١٤٠٤، دار طيبة، الرياض.

(٣) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ص٢٤٩، لابن رجب الحنبلي، ١٣٩٩، مكتبة دار البيان، دمشق.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/٢٣٤)، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، الطبعة الأولى ١٤٢٠، مؤسسة الرسالة.

وقال ابن أبي العز: " واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: من الآية ٧١] ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]، وفي الصحيح أنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة»، قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: من الآية ٧١] فقال: «ألم تسمعيه قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]» أشار ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله، بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم ... وكذلك حال الوارد في النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً، فقد بين ﷺ في حديث جابر المذكور: أن الورود هو الورود على الصراط"(١).

أما من السنة: فقد حكى بعض العلماء أن أحاديث الصراط بلغت حد التواتر المعنوي(٢).

والإيمان بالصراط من أصول الإيمان باليوم الآخر.

وقد قرر الإمام جمال الدين السرمري هذا الأصل بقوله:

"وفي الحشر ميزان ونار وجنة وفيه صراط للمزلة والعبر"(٣).

وما قرره جمال الدين السرمري من الإيمان بالصراط المنصوب على متن جهنم هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافاً للمعتزلة الذين يأولون النصوص الواردة في الصراط عن ظاهرها.

قال السفاريني: "اتفقت الكلمة على إثبات الصراط في الجملة، لكن أهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسراً ممدوداً على متن جهنم، أحد من السيف وأدق من الشعر، وأنكر هذا الظاهر القاضي عبد الجبار المعتزلي، وكثير من أتباعه زعماً منهم أنه لا يمكن عبوره، وإن أمكن ففيه تعذيب، ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة، وإنما المراد طريق الجنة

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٨٠.

(٢) انظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر، ص٢٣١.

(٣) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣٨.

المشار إليه بقوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٥]، وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: من الآية ٢٣].

ومنهم من حمله على الأدلة الواضحة، والمباحات والأعمال الرديئة ليسأل عنها ويؤاخذ بها،

وكل هذا باطل وخرافات، لوجوب رد النصوص على حقائقها، وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء أو الطيران في الهواء، والوقوف فيه، وقد أجاب ﷺ عن سؤال حشر الكافر على وجهه بأن القدرة صالحة لذلك، وأنكر العلامة القرافي كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف، وسبقه إلى ذلك شيخه العز بن عبد السلام، والحق أن الصراط وردت به الأخبار الصحيحة، وهو محمول على ظاهره بغير تأويل كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والصحاح مما لا يحصى إلا بكلفة من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق، وهم في جوازه متفاوتون.

وقال المنكر لكون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف: هذا إن ثبت حمل على غير ظاهره لمنافاته للأحاديث الأخر من قيام الملائكة على جنبتيه، وكون الكلاليب والحسك فيه، وإعطاء كل من المارين عليه من النور قدر موضع قدميه.

قال القرافي: والصحيح أنه عريض، وقيل: طريقان يمنى ويسرى، فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين، وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال، وفيه طاقات كل طاقة تنفذ إلى طبقة من طبقات جهنم، وجهنم بين الخلق وبين الجنة، والجسر على ظهرها منصوب فلا يدخل أحد الجنة حتى يمر على جهنم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: من الآية ٧١] على أحد الأقوال.

ثم قال القرافي تبعاً للحافظ البيهقي: كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف لم أجده في الروايات الصحيحة، وإنما يروى عن بعض الصحابة، فيؤول بأن أمره أدق من الشعر، فإن يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى، وقد جرت العادة بضرب دقة الشعر مثلا للغامض الخفي، وضرب حد السيف لإسراع الملائكة في المضي لامتثال أمر الله، وإجازة الناس عليه.

ورد هذا الإمام القرطبي وغيره من أئمة الآثار، وقد أخرج مسلم تلك الزيادة في صحيحه عن أبي سعيد بلاغاً، وليست مما للرأي والاجتهاد فيه مجال فهي مرفوعة، وقد مر من الأخبار ما يوجب الإيمان بذلك، ثم إن القادر على إمساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن ويجريه ويمشيه، على أنه أخرج الإمام عبد الله بن المبارك، وابن أبي الدنيا عن سعيد بن أبي هلال قال:

بلغنا أن الصراط يوم القيامة يكون على بعض الناس أدق من الشعر، وعلى بعض مثل الوادي الواسع، وأخرج أبو نعيم عن سهل بن عبد الله التستري قال:

من دق الصراط عليه في الدنيا عرض عليه في الآخرة، ومن عرض عليه الصراط في الدنيا دق له في الآخرة"(1).

وقال أبو الحسن الأشعري: "وأجمعوا –يعني: أهل الحديث- على أن الصراط جسر ممدود على جهنم، يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم، وأنهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك"(2).

المطلب السابع: الجنة والنار:

من لوازم الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالجنة والنار، وأنهما مخلوقتان موجودتان، وأن الجنة لا تفنى ونعيمها لا يزول، وأن أهل النار خالدين فيها.

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب: الآيات الكثيرة التي دلت على أن آدم وحواء أسكنهما الله الجنة، وأهبطهما منها، كقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: من الآية ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/١٩٢-١٩٤).

(٢) رسالة إلى أهل الثغر ص٢٨٦، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: عبدالله شاكر الجنيدي، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، مكتبة العلوم والحكم، دمشق.

ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: من الآية ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧].

ومن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١] فالجنة والنار بدلالة الآيتين قد أعدتا وفرغ من إعدادهما، مما يقتضي أنهما مخلوقتان موجودتان الآن.

وأما الأدلة على أن الجنة لا تفنى ونعيمها لا يزول فكثيرة، ومن ذلك:

قوله تعالى في الجنة: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: من الآية ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: من الآية ٥٦].

وأما الأدلة على خلود أهل الجنة والنار فيهما، فقد جاء في غير آية من القرآن الكريم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧/١٢٢/١٦٩، المائدة: ١١٩، التوبة: ٢٢/١٠٠، الأحزاب: ٦٥، التغابن: ٩، الطلاق: ١١، الجن: ٢٣، البينة: ٨]، إلى غير ذلك من الأدلة.

وقد قرر الإمام جمال الدين السرمري الإيمان بالجنة والنار وخلود أهلهما فيهما في منظومته في الاعتقاد، فقال:

"ويدخل ناس بالمعاصي جهنماً فيأخذهم منها على قدر الوزر

إلى أن قال:

ويُذبَح كبش الموت فالناس بعده فريقان ذو ربح وآخرُ ذو خسر"[1].

ولا شك أن ما قرره الإمام جمال الدين السرمري هو مذهب أهل السنة والجماعة قاطبة.

قال الإمام الصابوني: "ويشهد أهل السنة: أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما باقيتان لا

---

(١) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣٨.

يفنيان أبداً، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبداً، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خلقوا لها، لايخرجون منها أبداً، وأن المنادي ينادي يومئذ "يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت" على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ"[1].

وقد قال ابن حزم رحمه الله في المسائل التي أجمع عليها أهل السنة: "وأن الجنة حق، وأنها دار نعيم أبداً، لا تفنى ولا يفنى أهلها بلا نهاية ... وأن النار حق، وأنها دار عذاب أبداً، لا تفنى ولا يفنى أهلها أبدا بلا نهاية ..."[2].

أما قول جمال الدين السرمري: " ويُذبَح كبش الموت"[3] فصحيح ثابت في السنة، فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت» قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: «﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] وأشار بيده إلى الدنيا» واللفظ لمسلم[4].

المطلب الثامن: الشفاعة:

الشفاعة في اللغة كما قال الراغب: "الانضمام إلى آخر ناصراً له، وسائلاً عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى. ومنه الشفاعة في القيامة"[5].

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص٢٦٤، لأبي عثمان الصابوني، تحقيق: ناصر الجديع، الطبعة الثانية ١٤١٩، دار العاصمة، الرياض.

(٢) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات ص١٧٣، لابن حزم، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣٨.

(٤) رواه البخاري (٦/٩٣)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (وأنذرهم يوم الحسرة)، ح٤٧٣٠؛ ورواه مسلم (٤/٢١٨٨)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ح٢٨٤٩.

(٥) المفردات في غريب القرآن ص٢٦٣، للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.

وقال القرطبي: "أصل الشفاعة والشفعة ونحوها من الشفع وهو الزوج في العدد، ومنه الشفيع، لأنه يصير مع صاحب الحاجة شفعاً، ومنه ناقة شفوع إذا جمعت بين محلبين في حلبة واحدة، وناقة شفيع إذا اجتمع لها حمل وولد يتبعها، والشفع ضم واحد إلى واحد، والشفعة ضم ملك الشريك إلى ملكك؛ فالشفاعة إذا ضم غيرك إلى جاهك ووسيلتك، فهي على التحقيق إظهار لمنزلة الشفيع عند المشفع وإيصال المنفعة إلى المشفوع له"(١).

أما الشفاعة في الاصطلاح كما قال ابن الأثير: "هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم"(٢).

وقد دل الكتاب والسنة على وقوع الشفاعة يوم القيامة، وهي تقع بشرطين:

أحدهما: أن يكون بعد إذن الله تعالى للشافع.

والثاني: أن يرضى الله عن المشفوع له.

وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٥] وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: من الآية ٢٨].

أما من السنة: فإن الأحاديث التي جاءت في إثبات الشفاعة قد بلغت حد التواتر(٣).

والإيمان بالشفاعة من أصول الإيمان باليوم الآخر التي أجمع عليها أهل السنة والجماعة، خلافاً للمعتزلة والخوراج.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن أحاديث الشفاعة في أهل الكبائر ثابتة متواترة عن النبي ﷺ، وقد اتفق عليها السلف من الصحابة وتابعيهم بإحسان وأئمة المسلمين، وإنما نازع في ذلك أهل البدع من الخوارج والمعتزلة ونحوهم"(٤).

وقد قرر الإمام جمال الدين السرمري هذا الأصل في غير ما موضع.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٩٥).

(٢) النهاية في غريب الأثر (٢/١١٨٤).

(٣) انظر: نظم المتناثر ص٢٣٤ – ٢٣٦.

(٤) مجموع الفتاوى (٤/٣٠٩).

ومن ذلك قوله في منظومته في الاعتقاد:

"ويدخل ناس بالمعاصي جهنمّا فيأخذهم منها على قدر الوزر

ويشفع فيهم سيد الخلق أحمد عليه صلاة الله ما غرد القمري

ويخــرج مـن في قلبـه وزن ذرة بـلا شك منها من مقارفة البر"(١).

وقال في موضع آخر في ذكر ما خص الله به نبيه محمد ﷺ في الآخرة: "ومنها شفاعاته في الآخرة فإن له ﷺ عدّة شفاعات، الأولى: الشفاعة في عموم الخلق ليحاسَبُوا ويُراحُوا من الموقف كما سبق، وشفاعَةٌ في أهل الكبائر من أمّته، وشفاعة لمن في قلبه مثقال ذرّة من إيمان؛ إلى ما دون ذلك من الشفاعات الخاصّة والمشتركة هو وغيره فيها"(٢).

وقال في موضع آخر: "فجملة الشفاعة خمسة مقامات، المقام الأول: في أهل الموقف لفصل القضاء وهي الشفاعة العظمى، وهي من خصائصه ﷺ، والمقام الثاني: في من يدخل الجنة بغير حساب وهي من خصائصه أيضاً ﷺ، و المقام الثالث: فيمن يخرج من النّار وابتداؤها له ﷺ فإنه أول شافع وأول مشفع كما سَبَق، المقام الرابع: فيمن يدخل الجنة واختصاصه منها أنه لا يدخل الجنة أحد بالشفاعة أكثر ممن يدخلها بشفاعته، المقام الخامس: شفاعته في قوم لرفع درجاتهم من الجنة"(٣).

وهذه المقامات السابقة التي ذكرها جمال الدين السرمري سوى المقام الثالث ليست هي التي جرى فيها الخلاف بين الأمة، وإنما أكثر ما وقع الخلاف والإشكال والتنازع فيه هو في الشفاعة فيمن يخرج من النار، وهذا هو المحل الذي ذكر العلماء لأجله موضوع الشفاعة في كتب العقيدة وكرروا ذلك لأهميته بالنسبة للرد على أهل البدع، ولا يزال أهل البدع إلى اليوم ينكرون هذا النوع، وهو شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار أن يخرجوا منها،

فالمعتزلة والخوارج ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر وأن الله سبحانه وتعالى لا يأذن لأحد أن

(١) نهج الرشد في نظم الاعتقاد، ص٣٨.

(٢) خصائص سيد العالمين [ق٦٢/و].

(٣) خصائص سيد العالمين [ق٨٥/و].

يشفع في أهل الكبائر فيخرجون من النار، والسبب في ذلك لأنهم يرون فيها تعارضاً مع ما أصَّلوه وهو: أن صاحب الذنب لا بد أن يُجازى بذنبه وجوباً، فيدخل النار ولا يخرج منها، هكذا قررت عقولهم دون الرجوع إلى الآيات وإلى الأحاديث.

يقول ابن القيم رحمه الله: "رد الخوارج والمعتزلة النصوص المتواترة الدالة على خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة وكذبوا بها، وقالوا: لا سبيل لمن دخل النار إلى الخروج منها بالشفاعة ولا غيرها، ولما بهرتهم نصوص الشفاعة وصاح بهم أهل السنة وأئمة الإسلام من كل قطر وجانب ورموهم بسهام الرد عليهم أحالوا بالشفاعة على زيادة الثواب فقط لا على الخروج من النار فردوا السنة المتواترة قطعاً ..."[1].

المطلب الثامن: رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة:

وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وهي الغاية التي شمَّر إليها المشمرون، وتنافس المتنافسون، وحُرمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مردودون[2]، فإن أعظم نعيم وعده الله عباده المؤمنين هو رؤيته تعالى في الآخرة، وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، وأجمع عليه سلف الأمة.

فمن أدلة الكتاب:

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وهي من أظهر الأدلة، فإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية، وتعديته بأداة إلى الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه، حقيقة موضوعة صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب ﷻ[3].

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص٥٦٨-٥٦٩، لابن القيم، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الطبعة الثانية ١٤١٤، دار ابن القيم، الدمام.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص١١٠.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص١١٠.

أما من السنة: فإن الأحاديث التي جاءت في إثبات الرؤية قد بلغت حد التواتر، حكى ذلك غير واحد من العلماء[1].

وقد أجمع السلف وأئمة المسلمين على إثبات رؤية المؤمنين لربهم سبحانه في الآخرة عياناً بأبصارهم، وممن نقل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[2]، وابن أبي العز[3].

وقد قرر الإمام جمال الدين السرمري مذهب السلف في هذه المسألة فقال:

ولا يُمتَـرى في رؤيـة الله ربِّـنـا وهل يُمترى في الشمس في ساعة الظهر[4].

وأما من خالف في إثبات الرؤية: فهم الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية[5]، وأما الأشاعرة: لما لم يمكنهم إنكار الأدلة من الكتاب والسنة أثبوا الرؤية وقالوا: يُرى ولكن ليس في جهة، وهذا من التناقض العجيب، إذ ليس هناك شيء يُرى وهو ليس في جهة.

نقل شيخ الإسلام عن ابن رشد قوله: " أنكرها –أي الرؤية- المعتزلة، وردت الآثار الواردة في الشرع بذلك مع كثرتها وشهرتها، فشنع الأمر عليهم، وسبب وقوع هذه الشبهة في الشرع أن المعتزلة لما اعتقدوا انتفاء الجسمية عنه سبحانه وتعالى، واعتقدوا وجوب التصريح بها لجميع المكلفين، ووجب عندهم إذا انتفت الجسمية أن تنتفي الجهة، وإذا انتفت الجهة انتفت الرؤية، إذ كل مرئي في جهة من الرائي، فاضطروا لهذا المعنى لرد الشرع المنقول، واعتلوا للأحاديث بأنها أخبار آحاد وأخبار الآحاد لا توجب العلم ... وأما الأشعرية فراموا الجمع بين الاعتقادين أعني بين انتفاء الجسمية وبين جواز الرؤية لما ليس بجسم بالحس فعسر ذلك عليهم ولجؤوا في ذلك إلى حجج سوفسطائية مموهة"[6].

---

(١) انظر: نظم المتناثر، ص٢٤٢-٢٤٣.

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٣٧).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ص١١٠.

(٤) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣٨.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية، ص١١٠.

(٦) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/٣٦١)، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى ١٣٩٢، مطبعة الحكومة، مكة.

المبحث الثالث: الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر من أصول الإيمان الستة التي لا يتم الإيمان إلا بها، كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة.

ومن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: من الآية ٣٨].

ومن السنة حديث جبريل وفيه أن النبي ﷺ قال في جواب سؤاله عن الإيمان: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[١].

والإيمان بالقضاء والقدر هو نظام التوحيد، فمتى اختل هذا الأصل العظيم، اختل توحيد العبد.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "القدر نظام التوحيد فمن وحَّدَ الله سبحانه وكذَّب بالقدر كان تكذيبه للقدر نقضاً للتوحيد، ومن وحَّد الله وآمن بالقدر كانت العروة الوثقى"[٢].

وقد قرر الإمام جمال الدين السرمري -رحمه الله- هذا الأصل في عدة مواضع، ومن ذلك قوله في منظومته في الاعتقاد:

"وما لم يقدره المهيمنُ لم يكن   وما قـدَّره الرحمن لا بد أن يجري

إلى أن قال:

وما جاء من خير وشر مقدَّرٌ   كذلك ما يأتي من الحُلو والـمُـرِّ"[٣].

وقال في موضع آخر: "ومجمل شروط العبودية تلقي أوامر السيد بالقبول -إلى أن قال: -

---

(١) رواه مسلم (١/٣٦) ح١، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة.

(٢) كتاب الشريعة (٦/٨٧٧)، للإمام أبي بكر الآجري، تحقيق: عبدالله الدميجي، الطبعة الأولى ١٤١٨، دار الوطن، الرياض.

(٣) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣٤.

وأن يعترف له بالقدرة على جميع المخلوقات، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ..."[1].

كما اعتنى الإمام جمال الدين السرمري -رحمه الله- ببيان هذا الأصل، وقرر بعض مسائله بما يتفق مع دلالة الكتاب والسنة، كما سيتضح من خلال المطالب التالية.

المطلب الأول: معنى الإيمان بالقضاء والقدر:

القضاء لغة: أصله من قضى، قال ابن فارس: "القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته"[2].

أما القضاء شرعاً فيأتي على عدة أوجه، ومنها[3]:

١- الأمر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: من الآية ٢٣]

٢-الإنهاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحِجر: من الآية ٦٦]، أي: تقدمنا إليه وأنهينا.

٣-الحكم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه: من الآية ٧٢]

٤-الفراغ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فُصِّلَت: من الآية ١٢].

٥- الإعلام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الإسراء: من الآية ٤].

أما القدر لغة: قال ابن فارس: "القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء

---

(١) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة ص١٣٧-١٣٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة (٥/٩٩)؛ وانظر: لسان العرب (١٥/١٨٦)، المفردات في غريب القرآن ص٤٠٦-٤٠٧.

(٣) انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه ص٣٤-٣٥، د. عبدالرحمن المحمود، الطبعة الثانية ١٤١٨، دار الوطن.

وكُنهه ونهايته"[1].

ويطلق القدر على الحكم والقضاء، ويطلق على التقدير، ويأتي على وجوه أخرى كذلك[2].

أما معنى الإيمان بالقضاء والقدر في الشرع: "فهو الإيمان بتقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلقه لها[3].

المطلب الثاني: مراتب القدر:

إن حقيقة الإيمان بالقدر لابد أن يشتمل على الإيمان والتصديق بمراتبه، بل إن هذه المراتب تمثل أركان الإيمان بالقدر، ومتى اختل ركن فقد اختل إيمان الشخص بهذا الأصل العظيم.

قال الإمام ابن القيم: "الباب العاشر: في مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر ..."[4].

وهي أربع مراتب[5]:

١): العلم

يجب الإيمان بعلم الله عز المحيط بكل شيء، وأنه علم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وأنه يعلم كل شيء بعلمه القديم

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/٦٢)؛ وانظر: لسان العرب (٥/٧٤)، المفردات في غريب القرآن ص٣٩٥-٣٩٦.

(٢) انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس ص٣٦-٣٩، د. عبدالرحمن المحمود.

(٣) القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس ص٣٩-٤٠، د. عبدالرحمن المحمود.

(٤) شفاء العليل، ص٢٩.

(٥) انظر: شفاء العليل ص٢٩-٦٥؛ القضاء والقدر ص٥٤-٨٣، د. عبدالرحمن المحمود.

المتصف به أزلاً وأبداً.

وأدلة هذه المرتبة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: من الآية ١٢]، وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الأنعام: من الآية ٧٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]، وقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقد اتفق على الإيمان بالعلم السابق الرسلُ عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى خاتمهم، واتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الأمة، ولم يخالف إلا مجوس الأمة –غلاة القدرية–[1].

٢) الكتابة:

وهي أن الله تعالى كتب مقادير المخلوقات، والمقصود بهذه الكتابة: الكتابة في اللوح المحفوظ، وهو الكتاب الذي لم يُفرِّط فيه الله من شيء، فكل ما جرى ويجري فهو مكتوب عند الله.

وأدلة هذه المرتبة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: من الآية ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

قال ابن القيم: "وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم

---

(١) شفاء العليل، ص٢٩

القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب"[1].

٣) المشيئة:

كل ما يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله ﷻ فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يخرج عن إرادته الكونية شيء.

وقد وردت أدلة كثيرة جداً لهذه المرتبة، منها قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [المائدة: من الآية ٤٨]، والله ﷻ وجّه نبيه قائلاً: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

قال الإمام الصابوني: "ومن مذهب أهل السنة والجماعة: أن الله ﷻ مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها، ولم يؤمن أحد إلا بمشيئته، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة، ولو شاء أن لا يُعصى ما خلق إبليس، فكفر الكافرين، وإيمان المؤمنين، بقضائه ﷻ وقدره، وإرادته ومشيئته، أراد كل ذلك وشاءه وقضاه"[2].

٤) الخلق:

يجب الإيمان بأن الله خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد، فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه.

وأدلة هذه المرتبة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٥-٩٦]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الزُّمَر: من الآية

---

(١) شفاء العليل، ص٤١

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص٢٨٥-٢٨٦.

٦٢]، وفي آية أخرى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [غافر: من الآية ٦٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر وأن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء ..."(١).

تقرير الإمام جمال الدين السرمري لمراتب القدر:

وقد قرر الإمام جمال الدين السرمري مراتب القدر الأربع في عدة مواضع، علماً بأنه لم يتحدث عنها مرتبة، أو بعناوين مستقلة، بل جاء الحديث عنها في ثنايا كلامه، ومن ذلك قوله: "والغرض ها هنا أنه لا يُمرض إلا الله ولا يُعافي سواه، ولا يحيي ولا يميت إلا إياه، وهذه الأسباب التي تحصل منها التأثيرات من حمة وسقم كلها خلق من خلق الله -قال الباحث: في هذه إشارة إلى مرتبة الخلق-، جارية بمشيئته وواقعة بإرداته -مرتبة المشيئة-، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء -مرتبة العلم-، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين -مرتبة الكتابة- ..."(٢).

المطلب الثالث: أصلا الضلال في القدر:

وهذا الأصلان قد زلت فيهما أقدام، وضلت فيهما أفهام، ونشأ بسببهما الضلال في القدر، وهما مما اتفق عليهما الجبرية والقدرية بالقول بهما على اختلاف مذاهبهم.

١) التسوية بين المشيئة والإرادة وبين الرضا والمحبة:

موضوع الإرادة وهل هي مستلزمة للرضا والمحبة مما خاض فيه أهل الأهواء، وضلوا فيه عن

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/٤٥٩).

(٢) كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون، ص٣٦.

الحق، وأدى بهم ضلالهم إلى انحراف خطير جداً في مسألة القضاء والقدر، وهي مسألة الأمر والنهي، وعلاقة هذه بتلك، والخلاف: هل الإرادة تستلزم الرضا والمحبة؟ وقع على قولين:

القول الأول: إن الإرادة تستلزم الرضا والمحبة:

وهذا قول المعتزلة، والجهمية، وأغلب الأشاعرة، ولكن اتفاق هؤلاء في هذا، لم يجعلهم يتفقون فيما يترتب على ذلك من كون ما يقع من الكفر والمعاصي محبوباً لله لكونه مراداً له، بل اختلفوا:

أ- فقالت المعتزلة القدرية: قد علم بالكتاب والسنة وإجماع السلف أن الله يحب الإيمان والعمل الصالح، ولا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر، ويكره الكفر والفسوق والعصيان، ولما كان هذا ثابتاً لزم أن تكون المعاصي ليست مقدرة له ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه.

يقول عبدالجبار الهمذاني المعتزلي: "ولا يصح أن يقال: إن المحبة غير الإرادة، وإنما استحال ما ذكرناه، لأن كل واحد منهما يحتاج إلى صاحبه"[1]، ثم يقول: "أن كل مَن جازت عليه الإرادة، جازت عليه المحبة، وأنه تعالى إذا صح كونه مريداً، فيجب كونه محباً، وكل ما صح أن يريده صح أن يحبه، وكل ما أوجب قبح محبته، أوجب قبح إرادته"[2].

ويقول في الرضا: "وإنما قلنا في الرضا أنه الإرداة، لأنه لو كان غيرها لم يمتنع أن نرضى الشيء وإن لم نُرِده على وجه، أو نريده ويقع على ما أراده، ولا نرضى به على وجه، فإذا بطل ذلك صح أنه الإرادة"[3].

ب- وقالت الجهمية، ومن معها من الأشاعرة: قد علم بالكتاب والسنة والإجماع أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وكل ما في الوجود فهو بمشيئته وقدرته، وعلى هذا فالكون كله، قضاؤه وقدره، وطاعته ومعاصيه، وخيره وشره، فهو

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل – الإرادة- ص٥١، لعبدالجبار الأسد آبادي، تحقيق: محمود قاسم.

(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل – الإرادة- ص٥٤.

(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل – الإرادة- ص٥٦.

محبوب لله، لأنه مريده وخالقه.

يقول الباقلاني: "واعلم: أنه لا فرق بين الإرادة، والمشيئة، والاختيار، والرضى، والمحبة ... واعلم: أن الاعتبار في ذلك كله بالمآل لا بالحال، فمن رضى سبحانه عنه لم يزل راضياً عنه لا يسخط عليه أبداً، وإن كان في الحال عاصياً، ومن سخط عليه فلا يزال ساخطاً عليه ولا يرضى عنه أبداً، وإن كان في الحال مطيعاً"(1).

القول الثاني: إن الإرادة لا تستلزم الرضا والمحبة، بل بينهما فرق:

وهذا قول أهل السنة المثبتين للقدر، وقد دل على ذلك الشرع والفطرة والعقل.

قال تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: من الآية ٣٩] وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: من الآية ١٢٥]، هذا من نصوص المشيئة والإرادة.

ومن نصوص المحبة قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: من الآية ٢٠٥] وقوله: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨] فالآيات الأولى تدل على أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن –كما هو إجماع المسلمين– ثم تدل النصوص الأخرى أن هناك أشياء يكرهها الله، ولا يحبها، ولا يرضاها، فدل ذلك على افتراق المشيئة عن المحبة، والآيات في ذلك كثيرة جداً.

وقد فطر الله عباده على أن يقولوا: هذا الفعل يحبه الله، وهذا يكرهه الله، وفلان يفعل ما يغضب الله ... والكل واقع بقدرة الله ومشيئته، فدل على أن هناك فرقاً بينهما.

وأما العقل: فلا يمتنع في بداهة العقول أن يريد الإنسان شيئاً وهو لا يحبه كما في الدواء

---

(١) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص١٣، للباقلاني

وغيره[1].

وقد قرر الإمام جمال الدين السرمري رحمه الله مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، فقال: "وهو سبحانه يقدِّر مع كراهته أشياءَ من مقدوراته التي يبغضها ويقضيها ويشاؤها من أنواع الكفر والفسوق والعصيان، فتجتمع الإرادة والكراهة في شيء واحد ..."[2].

وهذا القول الذي ذهب إليه أهل السنة من التفريق بين المشيئة والمحبة هو الذي ينجي من الورطة في هذا الأصل العظيم، كما قال ابن القيم: "والذي يكشف هذه الغمة، ويبصر من هذه العماية، وينجي من هذه الورطة: إنما هو التفريق بين ما فرق الله بينه، وهو المشيئة والمحبة، فإنهما ليسا واحداً، ولا هما متلازمين"[3].

٢) التسوية بين الفعل والمفعول:

وهذا الأصل الثاني الذي نشأ بسببه الخلاف في القدر، وهو هل الخلق هو المخلوق أو غيره؟ فالذين يقولون بنفي الصفات الاختيارية بناءًا على منع حلول الحوادث، أجابوا عن ذلك بأن قالوا: إن الخلق هو المخلوق، والفعل هو عين المفعول، وهذا الأصل مما اتفق عليه الجبرية والقدرية، والتزموا بسببه لوازم باطله على اختلاف أقوالهم، فقالت المعتزلة: الكفر والفسوق والعصيان أفعال قبيحة، والله منزه عن القبيح باتفاق المسلمين، فلا تكون فعلاً له، وزعمت الجهمية ومن تبعهم من الأشاعرة أن العبد مجبور على أفعاله، دون أن يكون له اختيار أو أي فعل ينسب إليه، وإنما فعل العبد هو فعل الله، وقد دخل من بابهم أهل الاتحاد والحلول.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ثم من هؤلاء –أي المائلون إلى الجبر– من قال: إنه ليس لله فعل يقوم به فلا فرق عنده بين فعله ومفعوله وخلقه ومخلوقه ... وأكثر المعتزلة يوافقون هؤلاء على أن فعل الرب تعالى لا يكون إلا بمعنى مفعوله، مع أنهم يفرقون في العبد بين الفعل

---

(١) انظر: القضاء والقدر ص٢٩١-٢٩٨، د. عبدالرحمن المحمود.

(٢) الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، ص١٢٨.

(٣) مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين" (١/١٣)، لابن القيم.

والمفعول، فلهذا عظم النزاع، وأشكلت المسألة على الطائفتين وحاروا فيها"[1].

وقال في موضع آخر: "ولكن طائفة من أهل الكلام -المثبتين للقدر- ظنوا أن الفعل هو المفعول والخلق هو المخلوق، فلما اعتقدوا أن أفعال العباد مخلوقة مفعولة لله، قالوا فهي فعله، فقيل لهم مع ذلك: أهي فعل العبد؟ فاضطربوا؛ فمنهم من قال: هي كسبه لا فعله ولم يفرقوا بين الكسب والفعل بفرق محقق، ومنهم من قال: بل هي فعلٌ بين فاعلين، ومنهم من قال: بل الرب فعل ذات الفعل والعبد فعل صفاته؛ والتحقيق ما عليه أئمة السنة وجمهور الأمة من الفرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق، فأفعال العباد هي كغيرها من المحدثات مخلوقة مفعولة لله، كما أن نفس العبد وسائر صفاته مخلوقة مفعولة لله وليس ذلك نفس خلقه وفعله، بل هي مخلوقة ومفعولة، وهذه الأفعال هي فعل العبد القائم به ليست قائمة بالله، ولا يتصف بها، فإنه لا يتصف بمخلوقاته ومفعولاته، وإنما يتصف بخلقه وفعله كما يتصف بسائر ما يقوم بذاته، والعبد فاعل لهذه الأفعال وهو المتصف بها، وله عليها قدرة وهو فاعلها باختياره ومشيئته، وذلك كله مخلوق لله، فهي فعل العبد ومفعولة للرب ..."[2].

وقد قرر الإمام جمال الدين السرمري مذهب أهل السنة الجماعة من التفريق بين الفعل والمفعول، فقال في معرض رده على السبكي:

"والخلق ليس هو المخلوق تحسبه   بل مصدر قائم بالنفس فادر به

وقول كن ليس بالشيء المكوَّنِ والصَّـ   ـغيرُ يعرفُ هذا مع تلَعُّبِه"[3]

وقد تقدم الإشارة إلى ما يتعلق بهذا الأصل في مسألة (تسلسل الحوادث).

المطلب الرابع: الأحكام الشرعية والأحكام القدرية:

ومن مزلات الأقدام ومضلات الأفهام منازعة الأحكام الشرعية بالأحكام القدرية، وقد

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/١٢٢-١٢٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/١١٩-١٢٠).

(٣) الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية، ص٧٤.

حارت القدرية في الجمع بينهما، وقد فصل شيخ الإسلام أقوالهم فيها إلا ثلاثة أصناف:

١- القدرية المشركية: وهم الذين اعترفوا بالقضاء والقدر، وزعموا أن ذلك يوافق الأمر والنهي، وقالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: من الآية ١٤٨]، فهؤلاء يئول أمرهم إلى تعطيل الشرائع والأمر والنهي، حتى يخرج من يخرج منهم إلى الإباحة للمحرمات وإسقاط الواجبات ورفع العقوبات، ويكثر هذا المذهب عند غلاة الصوفية، وهذا حاصل مذهب الجبرية، وهؤلاء شر الخلق.

٢- القدرية المجوسية: الذين يجعلون لله شركاء في خلقه، فيقولون: خالق الخير غير خالق الشر، ويقولون: إن الذنوب الواقعة ليست واقعة بمشيئة الله تعالى، وغلا بعضهم فقال: ولا يعلمها، ويقولون: إن جميع أفعال الحيوان واقع بغير قدرة الله ولا صنعه، فيجحدون مشيئته النافذة وقدرته الشاملة، ويزعمون أن هذا هو العدل، وهذا قول المعتزلة، والشيعة المتأخرين، وهؤلاء أقرب إلى الكتاب والسنة والدين من القدرية المشركية، المعطلة للأمر والنهي.

٣- القدرية الإبليسية: وهم الذين صدقوا بأن الله صدر عنه الأمران الشرعي والقدري، لكن عندهم هذا تناقض وهم خصماء الله كما جاء في الحديث، ويكثر هذا عند بعض سفهاء الشعراء، ونحوهم من الزنادقة(١).

وأما مذهب أهل السنة والجماعة فهو التصديق بالقدر والخلق، والتصديق بالشرع والوعيد، فقوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨] إثبات للقدر بقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾، وإثبات لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه، ليعلم أنها هي الفاجرة والمتقية، وقوله بعد ذلك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠] إثبات لفعل العبد والوعد والوعيد بفلاح من زكى نفسه، وخيبة من دساها، وهذا صريح في الرد على القدرية المجوسية وعلى الجبرية، وأما المظلمون للخالق فإنه قد دل على عدله بقوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: ٧] والتسوية: التعديل، فبيَّن أنه عادل في تسوية النفس التي ألهمها

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٢٥٦-٢٦٠)، (١٦/٢٣٩).

فجورها وتقواها[1].

وقد قرر جمال الدين السرمري مذهب أهل السنة والجماعة من الإيمان بالأحكام الشرعية والأحكام القدرية والتسليم لهما، فقال في منظومته في الاعتقاد:

"وما جاء من خير وشر مقدَّر كذلك ما يأتي من الحلو والمر

ولو شاء لا يعصى تقدس ذكره لما خلق الشيطان في سالف العصر

ولا أمر إلا من كتاب وسنة كذا الضد كالتحليل للشيء والحِظر"[2].

فالبيت الأول والثاني فيه رد على القدرية المجوسية الذين قالوا: خالق الخير غير خالق الشر، وأن الذنوب الواقعة ليست واقعة بمشيئة الله تعالى؛ والبيت الثالث فيه رد على القدرية المشركية الذين عطلوا الشرائع والأمر والنهي.

المطلب الخامس: السبب والمسبب:

تأثير الأسباب في المسببات أمر معلوم بالعقل والمشاهدة، وقد ذكر الله ذلك في كتابه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف: من الآية ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: من الآية ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: من الآية ١٤] وغيرها من الآيات.

والله سبحانه وتعالى هو خالق السبب والمسبَّب، فلا يجوز نسبة الانفراد بالخلق في صفة الفعل لغير الله تعالى، فمثل هذه الإضافة بالانفراد لا تخرج في حكمها عن كونها شركًا في الربوبية.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٦/٢٤٢-٢٤٤).

(٢) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣٤.

وعلى الضد من ذلك يدخل في الانحراف -أيضاً- نفي التأثير للأشياء التي جعلها الله تعالى أسبابًا ووسائط على المسبّبات.

وقد ضل في هذه المسألة الأشاعرة والمعتزلة على اختلاف مذاهبهم.

فأما الأشاعرة فقد نحوا منحى الجبرية، حيث لا يثبتون في المخلوقات قوًى وطبائع، ويقولون: إنَّ الله فعل عندها لا بها، وإنَّ قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل، فليس في النار قوة الإحراق لكن عند وجود النار يخلق الله الإحراق بلا تأثير من النار، وليس في الماء قوة الإغراق، وإنما عند وجود الماء يخلق الله الإغراق بلا تأثير من الماء، ولا في السكِّين قوة القطع، وإنما عند وجود السكين يخلق الله القطع بلا تأثير من السكين، ولا في الماء والخبز قوة الرَّي والتغذِّي به، وإنما عند وجود الماء والخبز يخلق الله الرَّي والتغذيةَ بلا تأثير من الماء والخبز، ونحو ذلك مما قد أجرى الله العادة بخلق المسبَّبات عند وجود هذه الأسباب.

وهذا المعنى -بلا شك- طردٌ لعقيدة الجبرية على قاعدة: «أنه لا فاعل إلا الله».

وعلى النقيض من هذا المذهب ما قررته القدرية من أنَّ العبد هو الموجِد لفعله، ويضاف إليه الانفراد بالتأثير، وكذا الأسباب فهي مؤثرة بذاتها من غير أن يكون لله تقدير ومشيئة.

وأما وأهل السنة لا ينكرون تأثير القوى والطبائع في مسبَّباتها، والله تعالى خالق السبب والمسبَّب، وحدوث المسبَّب بالسبب لا عند السبب، فرجع الكل إلى محض خلق الله وأمره وفضله ورحمته، وضمن هذا المعنى يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "فالذي عليه السلف وأتباعهم وأئمة أهل السنة وجمهور أهل الإسلام المثبتون للقدر المخالفون للمعتزلة إثبات الأسباب، وأن قدرة العبد مع فعله لها تأثير كتأثير الأسباب في مسبَّباتها، والله تعالى خلق الأسباب والمسبَّبات، والأسباب ليست مستقلة بالمسبَّبات، بل لا بدَّ لها من أسباب أُخَر تعاونها، ولها -مع ذلك- أضداد تمانعها، والمسبَّب لا يكون حتى يخلق الله جميع أسبابه، ويدفع عنه أضداده المعارضة له، وهو سبحانه يخلق جميع ذلك بمشيئته وقدرته، كما يخلق سائر المخلوقات، فقدرة العبد سبب من الأسباب، وفعل العبد لا يكون بها وحدها، بل لا بد من الإرادة الجازمة مع القدرة، وإذا أريد بالقدرة القوة القائمة بالإنسان فلا بد من إزالة الموانع كإزالة القيد والحبس ونحو ذلك، والصاد عن السبيل كالعدو وغيره"[1].

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٨٧-٤٨٨).

وقد قرر الإمام جمال الدين السرمري مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، فقال:

"واعلم أن الأسباب تؤثر في المخلوقات بما أودع الله تعالى فيها من الحكم الغامضة، إذا شاء أن يُؤثر، وقد أجرى العادة بأشياء من ذلك كما جعل حرَّ الشمس منضجاً للثمار، وبرد الليل والرياح الشمال مربية للزروع والحبوب، ونور القمر منضج للخضروات ... ونحوها، وجعل رياح الجنوب مؤذية لذلك، مع أنها لواقح للسحاب والشجر في منافع أخر، وهذه أمور قد عرفها من يباشرها من أرباب الزراعات.

واعلم أنه ليس كلما وقعت هذه الحوادث أثرت هذا التأثير، لأنها ليست لها قوة تفعلها بنفسها، ولكن إذا شاء الله أن يفعل بها شيئاً من ذلك فعله إذا شاء، ألا ترى أن العادة قد جرت بأن المطر يُنبت به النباتُ فإذا لم يُرد الله أن يُنبت لم ينفع كثرة المطر، كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليس السنة أن لا تمطروا، إنما السنة أن تمطروا ثم تمطروا ولا تنبت الأرض شيئاً»، فهذه الأشياء كذلك، على أن المؤثرات في العالم من أكل الأشياء وشربها وشم أريجها ومقارنتها وملابستها واستعمالها، كذلك بمشيئة الله تعالى ... وهذه الأشياء في كثير من هذا الباب قد عُرفَت بالاستقراء والتتبع في العادات، تفعل هذه الأفعال غالباً، وقد تختل هذه فيها، ولو كان ذلك من فعلها أنفُسها لما انخرمت القاعدة فيها، ولكن بمشيئة الله تعالى، فإذا شاء أن يمضي حكمه في شيء أمضاه"[1].

المطلب السادس: آجال الخلائق:

الأجل: هو الوقت المضروب المحدود في المستقبل[2]، فإن أجل الشيء هو نهاية عمره، وعمره مدة بقائه، فالعمر مدة البقاء، والأجل نهاية العمر بالانقضاء[3].

---

(١) كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون، ص٢٧-٢٩.

(٢) لسان العرب (١١/١١).

(٣) مجموع الفتاوى (٨/٥١٦).

ولقد وقع النزاع بين أهل السنة وأهل البدع في هذه المسألة امتداداً للنزاع في أفعال المخلوقين، واختلفوا بالجواب عن مسائلها، وهي: إذا كان الله قد قدر لعبدٍ من عباده أجلاً ما فقتل قبل غاية أجله، فهل كانت حياته تمتد به حتى أجلها لو لم يقتل؟ بمعنى هل القاتل خرم على المقتول حياته ولولا القتل لعاش أجله؟ وهل صحيح لو صبر القاتل على المقتول لمات لوحده؟.

فقال بعض المعتزلة: إنه كان يعيش، وأن المقتول مقطوع عليه أجله، وقالوا: لو كان المقتول قُتل بأجله فأين الظلم ممن قد استوفى كل أجله وفنيت حياته، وقال بعض نفاة الأسباب من الجبرية: إنه يموت وجزموا في ذلك(١)، وكلاهما خطأ.

وأجاب أهل السنة: بأنه لا فرق بين أجل من مات حتف أنفه وبين من مات قتلاً، فأجلهما في علم الله واحد لا يتقدم ولا يتأخر، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل: ٦١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران: من الآية ١٤٥]، وأن القتل هو سبب من أسباب كثيرة وذريعة من ذرائع الموت لا يقع بها الموت إلا بإذن الله، ولهذا ورد في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران: من الآية ١٤٥]، قال الشوكاني: "هذا كلام مستأنف يتضمن الحث على الجهاد والإعلام بأن الموت لا بد منه ومعنى ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ بقضاء الله وقدره، وقيل: إن هذه الجملة متضمنة للإنكار على من فشل بسبب ذلك الإرجاف بقتله ﷺ فبين لهم أن الموت بالقتل أو بغيره منوط بإذن الله"(٢).

وأما القاتل إن كان قَتل بغير حق فإنه ظالم لتعديه على الحكم الشرعي.

وأما قول نفاة الأسباب من الجبرية: "لو صبر القاتل على المقتول لمات وحده" فغير

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٥١٧).

(٢) فتح القدير (١/٥٨١).

صحيح، والصواب عدم القطع، والحكم بالإمكان والجواز.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "المقتول كغيره من الموتى لا يموت أحد قبل أجله ولا يتأخر أحد عن أجله ... والله يعلم ما كان قبل أن يكون، وقد كتب ذلك، فهو يعلم أن هذا يموت بالبطن، أو ذات الجنب أو الهدم أو الغرق أو غير ذلك من الأسباب، وهذا يموت مقتولاً: إما بالسم وإما بالسيف وإما بالحجر وإما بغير ذلك من أسباب القتل، وعلم الله بذلك وكتابته له بل مشيئته لكل شيء وخلقه لكل شيء لا يمنع المدح والذم والثواب والعقاب، بل القاتل: إن قتل قتيلاً أمر الله به ورسوله كالمجاهد في سبيل الله أثابه الله على ذلك، وإن قتل قتيلاً حرمه الله ورسوله كقتل القطاع والمعتدين عاقبه الله على ذلك ... ولو لم يقتل المقتول فقد قال بعض القدرية إنه كان يعيش، وقال بعض نفاة الأسباب: إنه يموت، وكلاهما خطأ؛ فإن الله علم أنه يموت بالقتل، فإذا قدر خلاف معلومه كان تقديراً لما لا يكون لو كان كيف يكون، وهذا قد يعلمه بعض الناس وقد لا يعلمه، فلو فرضنا أن الله علم أنه لا يُقتل، أمكن أن يكون قدَّر موته في هذا الوقت، وأمكن أن يكون قدَّر حياته إلى وقت آخر، فالجزم بأحد هذين التقدرين على التقدير الذي لا يكون جهل، وهذا كمن قال: لو لم يأكل هذا ما قدر له من الرزق كان يموت أو يرزق شيئاً آخر"[1].

وقد قرر الإمام جمال الدين السرمري -رحمه الله- مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، فقال: "وكل من مات بمرض أو غرق أو جرف أو هدم أو قتل أو في وباء أو بطاعون أو غير ذلك من أسباب الهلاك، فإنما يموت بأجله، لم يكن ليتأخر عن أجله ولا ليتقدم قبل أجله، والدليل عليه الكتاب والسنة.

فالكتاب قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: من الآية ٣٤] وذمَّ سبحانه بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا

(١) مجموع الفتاوى (٨/٥١٦-٥١٨).

قُتِلُواْ ﴾ [آل عمران: من الآية ١٥٦]، وبقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ﴾ [آل عمران: من الآية ١٦٨]، فرد الله عليهم وأكذبهم وبيَّن خطأهم بقوله تعالى: ﴿فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران: من الآية ١٦٨]، وبقوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ﴾ [آل عمران: من الآية ١٥٤]، وبقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، وبقوله تعالى: ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: من الآية ٧٨]، وبقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران: من الآية ١٤٥]، وبقوله تعالى: ﴿ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴾ [الحجر: ٥].

وهذه الآيات –كما ترى– قد دلت على أن الإنسان لا يتأخر ولا يتقدم عن أجله، ولا يقع إلا على الوجه الذي أعلمه الله تعالى أن يموت فيه.

وأما السنة: فما روى ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «يمكث خلق أحدكم نطفة أربعين يوماً، ثم علقة أربعين يوماً –إلى أن قال: – ثم يقول الملك: ما رزقه؟ ما أجله؟ أشقي أم سعيد؟ فيقضي الله، ويكتب الملك».

وقوله عليه السلام: «فرغ ربنا من أربع: الخَلق والخُلق والأجل والرزق» ... فعليك باتباع الأخبار النبوية، والإعراض عن الآراء الجاهلية، فإنه متى بدرت فرسان النصوص في ميدان البحث، تنكست حينئذ رايات الرأي على وجه الثرى، وفرت صناديد الجدل لوجوهها ذُللاً لهيبة من يَرى ولا يُرى، فنسأل الله تعالى السلامة من بلائه، والتسليم لأمره وقضاءه، والقبول لما أنزله على رسله وأنبيائه، والعمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه من أوله إلى انتهائه"[1].

---

(١) كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون، ص٧٩-٨٤.

المطلب السابع: الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي:

من المعلوم أن كثيراً من الكافرين والمشركين الضالين، والمقصرين في عبادة الله، والمنحرفين عن منهج الله، قد وجدوا مجالاً للاحتجاج به على كفرهم وفسادهم وتقصيرهم، وتوهموا التعارض بين الشرع -المقتضي للتكليف ثم الحساب والجزاء- والقدر المقتضي لكمال ربوبيته تعالى ونفوذ مشيئته وكمال قدرته في خلقه، ولذلك ورد في أقوال العلماء ما يرد على هؤلاء جميعاً ويدحض حججهم كلها، ومن ذلك ما يلي:

١- أنه قد علم بالاضطرار أن الاحتجاج بالقدر حجة باطلة وداحضة باتفاق كل ذي عقل، ودين من جميع العالمين، ويوضح هذا: أن الواحد من هؤلاء إما يرى القدر حجة للعبد، وإما أن لا يراه حجة للعبد، فإن كان القدر حجة للعبد فهو حجة لجميع الناس، فإنهم كلهم مشتركون في القدر، فحينئذ يلزم أن لا ينكر على من يظلمه ويشتمه، ويأخذ ماله، ويفسد حريمه، ويضرب عنقه، ويهلك الحرث والنسل، وهؤلاء جميعاً كذابون متناقضون، فإن أحدهم لا يزال يذم هذا، ويبغض هذا، ويخالف هذا، حتى إن الذي ينكر عليهم يبغضونه ويعادونه، وينكرون عليه، فإن كان القدر حجة لمن فعل المحرمات، وترك الواجبات، لزمهم ألا يذموا أحداً، ولا يبغضوا أحداً، ولا يقولوا في أحد: إنه ظالم ولو فعل ما فعل، ومعلوم أن هذا لا يمكن أحداً فعله، ولو فعل الناس هذا لهلك العالم، فتبين أن قولهم فاسد في العقل كما أنه كفر في الشرع.

وهذا يدل على ما يختلج في النفوس من شهوات وشبهات، ولذلك تراهم يحتجون بالقدر على أفعالهم ومعاصيهم، وفي نفس الوقت ينتقمون ممن اعتدى عليهم أو ظلمهم، ولو احتج عليهم بالقدر لما قبلوا، بل لو كان الاعتداء بما يحسن الاحتجاج بالقدر عليه كالمصائب التي يقدرها الله سبحانه وتعالى لاعترضوا ولم يقبلوا أن يحتج بالقدر من كانت على يديه هذه المصائب دون عمد منه أو تفريط، وعند الاستقراء تجد أن هؤلاء يحتجون بالقدر في ترك حق ربهم، ومخالفة أمره، لا في ترك ما يرونه حقاً لهم، ولا مخالفة أمرهم.

٢- أنه يلزم على الاحتجاج بالقدر لازم باطل ألا وهو تعطيل الشرائع، وحين تعطل الشرائع يلزم عليها أن يكون إبليس، وفرعون، وقوم نوح، وعاد وكل من عذبه الله بسبب مخالفته أمره معذوراً، ويلزم أيضاً ألا يفرق بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الله وأولياء الشيطان، وهذه كلها لوازم معلوم بطلانها بالضرورة.

ولو كان القدر حجة للعباد لم يعذب أحد من الخلق لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولم تقطع يد سارق، ولا أقيم حد على زان، ولا جوهد في سبيل الله.

٣- أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وهو متمكن من الإيمان قادر عليه، وكما هو معلوم فإن القدرة التي هي شرط في الأمر تكون موجودة قبل الفعل لكل مكلف، ومن ثم فالإنسان قادر متمكن، وقد خلق الله فيه القدرة على الإيمان، وحينئذ فحين لا يؤمن يكون هو الذي لا يريد الإيمان، ومادام الأمر كذلك فليس لأحد أن يقول: لماذا لم يجعلني الله مريداً للإيمان، لأنه لو أراد الإيمان لقدر عليه، ومادام الإنسان مريداً قادراً فاحتجاجه بالقدر باطل. وينبغي أن يعلم أن الاحتجاج بالقدر إنما يَرِد على من لا يقر للإنسان بإرادة ولا قدرة كالجهمية والأشاعرة، أما على مذهب أهل السنة الحقيقي فلا يَرِد، لأنهم يقولون إن الإنسان مريد وفاعل حقيقة، وله قدرة يقع بها الفعل.

٤- وأقرب مثال على بطلان الاحتجاج بالقدر أن يقال: إذا كان معلوماً أن الله قد علم وكتب أن فلاناً يتزوج امرأة ويطؤها ويولد له، وأن فلاناً يبذر البذر فينبت الزرع ... إلخ، ولا يمكن لأحد أن يحتج بالقدر هنا فيقول: أنا لا أتزوج أو أطأ امرأة، فإن كان قدر الله أن يولد لي ولد فسيولد، أو يقول: أن لا أبذر البذر، فإن كان قدر الله أن تنبت أرضي زرعاً فستنبت، لأن من قال هذا عد من أجهل الجاهلين؛ إذا وضح هذا المثال فنقول: إن الله تعالى علم وكتب أن فلاناً يؤمن ويعمل صالحاً فيدخل الجنة، وفلاناً يعصي ويفسق فيدخل النار، وحينئذ فمن قال: إن كنت من أهل الجنة فأنا سأدخلها بلا عمل صالح، كان قوله قولاً باطلاً متناقضاً، لأنه علم أنه يدخل الجنة بعمله الصالح، فلو دخلها بلا عمل كان هذا مناقضاً لما علمه الله وقدره، وهذا

شبيه بمن قال: أنا لا أطأ امرأة، وإن كان قد قدر أن يأتيني منها ولد فسيأتيني.

ومن ثم فالاحتجاج بعلم الله السابق باطل، وبهذا تبطل كثير من الشبه التي تثار حول الاحتجاج بالقدر[1].

وقد قرر الإمام جمال الدين السرمري مذهب أهل السنة والجماعة من التسليم والاستسلام لله تعالى في كل ما يقضيه ويقدره، وفي كل ما يشرعه ويأمر به وينهى عنه، ومن التحذير من الاحتجاج بالقدر، ومن ذلك قوله:

"ولا نجعل التقدير للذنب حجة   لنا بل علينا حجة الله بالنذر"[2].

(١) انظر: القضاء والقدر، ص٤١٣-٤٢٠.

(٢) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص٣٤.

الفصل الخامس
منهج جمال الدين السرمري في مسائل الإيمان

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مسمى الإيمان.

المبحث الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الثالث: الاستثناء في الإيمان.

المبحث الرابع: الكبيرة وحكم مرتكبها.

المبحث الأول

مسمى الإيمان ومفهومه

الإيمان في اللغة:

قال ابن فارس رحمه الله: "الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق؛ والمعنيان متدانيان ..."[1].

وقال الراغب: "أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف"[2].

وقال شيخ الإسلام: "فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار و الطمأنينة و ذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق و الانقياد"[3].

ولشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- رأي سديد في معنى الإيمان اللغوي، وهو من آرائه الدقيقة، واختياراته الموفقة؛ حيث اختار معنى (الإقرار) للإيمان على معنى التصديق، لأنه رأى أن لفظة (أقر) أصدق في الدلالة والبيان على معنى الإيمان الشرعي من غيرها، قال رحمه الله: " ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار، لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد"[4].

وقال رحمه الله في رده على من ادعى الترادف بين الإيمان والتصديق: " أنه -أي الإيمان- ليس مرادفاً للتصديق في المعنى، فإن كل مخبر عن مشاهدة أو غيب، يقال له في اللغة: صدقت، كما يقال: كذبت؛ فمن قال: السماء فوقنا، قيل له: صدق، كما يقال: كذب، وأما لفظ الإيمان، فلا يستعمل إلا في الخبر عن غائب، لم يوجد في الكلام أن من أخبر عن

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١/١٣٣).

(٢) المفردات في غريب القرآن ص٢٥.

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول (١/٥١٩)، لابن تيمية، تحقيق: محمد عبدالله الحلواني ومحمد كبير أحمد شوردي، الطبعة الأولى ١٤١٧، دار ابن حزم، بيروت.

(٤) مجموع الفتاوى (٧/٦٣٨).

مشاهدة، كقول: طلعت الشمس وغربت أنه يقال: آمناه، كما يقال: صدقناه، ولهذا المحدثون والشهود ونحوهم، يقال: صدقناهم، وما يقال: آمنا لهم؛ فإن الإيمان مشتق من الأمن، فإنما يستعمل في خبر يؤتمن عليه المخبر؛ كالأمر الغائب الذي يؤمن عليه المخبر، ولهذا لم يوجد قط في القرآن وغيره لفظ: آمن له؛ إلا في هذا النوع"(١).

وقال أيضاً: "أن لفظ الإيمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب، كلفظ التصديق؛ فإنه من المعلوم في اللغة أن كل مخبر يقال له: صدقت أو كذبت، ويقال: صدقناه، أو كذبناه، ولا يقال: لكل مخبر: آمنا له أو كذبناه، ولا يقال: أنت مؤمن له أو مكذب له؛ بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر، يقال: هو مؤمن أو كافر، والكفر لا يختص بالتكذيب"(٢).

تعريف الإيمان شرعاً:

يحدد الإمام جمال الدين السرمري مفهوم الإيمان شرعاً: بأنه تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بكثرة العمل والطاعة وينقص بترك العلم والمعصية.

يقول في ذلك:

"وإيمانُنا قول وفعل ونيّة فقولٌ كمن يقرا وفعل كمن يقري

يَقل بعصيان وينمو يضده وإن قل حتى كان في زنة الذَّر"(٣)

وقال في كتاب الإيمان من كتابه إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة: "وهو –أي الإيمان– قول وعمل يزيد وينقص"(٤).

وهذا الذي قرره هو مذهب أهل السنة.

قال الإمام الشافعي: "وكان الإجماع من الصحابة والتابعين مِن بعدهم ممن أدركناهم: أن

(١) مجموع الفتاوى (٧/٢٩١).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٢٩٢).

(٣) نهج الرشاد ص٣١-٣٢.

(٤) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة ص٧٤.

الإيمان: قول وعمل ونية، ولا يجزي واحد من الثلاثة إلا بالآخر"[1].

وقال الإمام البخاري: كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة ولم أكتب إلا عن من قال: الإيمان قول وعمل"[2].

وقال يحيى بن سليم: "سألت عشرة من الفقهاء –وذكر منهم: الثوري، وابن جريج، وافع، ومالك، وابن عيينة، وغيرهم– عن الإيمان؟ فقالوا: قول وعمل"[3].

وقال الآجري رحمه الله: "باب القول بأنَّ الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، لا يكون مؤمناً إلا بأن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث –ثم قال: – اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح؛ ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق اللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كمُلت فيه هذه الخصال الثلاث كان مؤمناً دلَّ على ذلك القرآن والسنة وقول علماء المسلمين"[4].

وقال ابن عبدالبر: " أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان ..."[5].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن أصول أهل السنة: أن الدين والإيمان قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"[6].

---

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/٩٥٧) ح١٥٩٣.

(٢) المصدر السابق (٥/٩٥٩) ح١٥٩٨.

(٣) المصدر السابق (٤/٩٣٠) ح١٥٨٤.

(٤) الشريعة (٣/٦١١).

(٥) التمهيد (٩/٢٣٨).

(٦) مجموع الفتاوى (٣/١٥١).

المبحث الثاني

زيادة الإيمان ونقصانه

الكلام في هذا الفصل مترتب على الكلام في الفصل السابق، ونتيجة للخلاف في تحديد حقيقة الإيمان، وهل الأعمال داخلة فيه أم لا؟

فمن قال إن الأعمال داخلة في حقيقة الإيمان ذهب إلى أن الإيمان يزيد وينقص، وهذا ما قرره جمال الدين السرمري وانتصر له بذكر الأدلة عليه.

قال رحمه الله في ذلك:

"وإيمانُنا قول وفعل ونيّة فقولٌ كمن يقرا وفعل كمن يقري

يَقل بعصيان وينمو بضده وإن قل حتى كان في زنة الذَّر"[1].

وقال في كتاب الإيمان من كتابه إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة: "وهو –أي الإيمان– قول وعمل يزيد وينقص، وقال الله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: من الآية ٤]، وقوله: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: من الآية ١٣]، وقوله: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدَّثر: من الآية ٣١]، وقوله: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: من الآية ١٢٤]"[2].

وهذا الذي قرره هو مذهب أهل السنة.

قال عبدالرزاق الصنعاني: "لقيت اثنين وستين شيخاً ... كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"[3].

وقال عقبة بن علقمة: "سألت الأوزاعي عن الإيمان أيزيد؟ قال نعم حتى يكون كالجبال،

---

(١) نهج الرشاد ص٣١-٣٢.

(٢) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة ص٧٤.

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/١٠٢٩) ح١٧٣٧.

قلت: فينقص؟ قال: نعم، حتى لا يبقى منه شيء"[1].

وقال يعقوب بن سليمان: "الإيمان عند أهل السنة: الإخلاص لله بالقلوب والألسنة والجوارح وهو قول وعمل يزيد وينقص، على ذلك وجدنا كل من أدركنا من عصرنا بمكة والمدينة والشام والبصرة والكوفة"[2].

وقال سهل بن المتوكل: "أدركت ألف أستاذ وأكثر كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"[3].

---

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/١٠٣٠) ح١٧٤٠.

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/١٠٣٥) ح١٧٥٣.

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/١٠٣٦) ح١٧٥٤.

المبحث الثالث

الاستثناء في الإيمان

المراد بالاستثناء في الإيمان: هو قول الرجل: "أنا مؤمن إن شاء الله"، وهذه المسألة مرتبط بالكلام في المبحثين السابقين، وثمرة من ثمرات الخلاف فيهما، وحاصل الأقوال التي قيلت في المسألة على ثلاثة أقوال قد جلاها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقال: "وأما الاستثناء في الإيمان بقول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله، فالناس فيه على ثلاثة أقوال: منهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجوز الأمرين باعتبارين وهذا أصح الأقوال.

فالذين يحرمونه: هم المرجئة والجهمية ونحوهم ممن يجعل الإيمان شيئًا واحدًا يعلمه الإنسان من نفسه كالتصديق بالرب ونحو ذلك مما في قلبه، فيقول أحدهم: أنا أعلم أني مؤمن كما أعلم أني تكلمت بالشهادتين وكما أعلم أني قرأت الفاتحة وكما أعلم أني أحب رسول الله وأني أبغض اليهود والنصارى، فقولي: أنا مؤمن كقولي: أنا مسلم وكقولي: تكلمت بالشهادتين وقرأت الفاتحة وكقولي: أنا أبغض اليهود والنصارى، ونحو ذلك من الأمور الحاضرة التي أنا أعلمها وأقطع بها، وكما أنه لا يجوز أن يقال: أنا قرأت الفاتحة إن شاء الله، كذلك لا يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، لكن إذا كان يشك في ذلك فيقول: فعلته إن شاء الله، قالوا: فمن استثنى في إيمانه فهو شاك فيه وسموهم الشكاكة.

والذين أوجبوا الاستثناء لهم مأخذان: أحدهما أن الإيمان هو ما مات عليه الإنسان، والإنسان إنما يكون عند الله مؤمناً وكافراً باعتبار الموافاة وما سبق في علم الله أنه يكون عليه وما قبل ذلك لا عبرة به، قالوا: والإيمان الذي يتعقبه الكفر فيموت صاحبه كافراً ليس بإيمان كالصلاة التي يفسدها صاحبها قبل الكمال، وكالصيام الذي يفطر صاحبه قبل الغروب، وصاحب هذا هو عند الله كافر لعلمه بما يموت عليه، وكذلك قالوا في الكفر، وهذا المأخذ مأخذ كثير من المتأخرين من الكلابية وغيرهم ممن يريد أن ينصر ما اشتهر عن أهل السنة

والحديث من قولهم: أنا مؤمن إن شاء الله، ويريد مع ذلك أن الإيمان لا يتفاضل، ولا يشك الإنسان في الموجود منه وإنما يشك في المستقبل، وانضم إلى ذلك أنهم يقولون: محبة الله ورضاه وسخطه وبغضه قديم ... فهؤلاء يقولون: إذا علم أن الإنسان يموت كافراً لم يزل مريداً لعقوبته فذاك الإيمان الذي كان معه باطل لا فائدة فيه بل وجوده كعدمه، فليس هذا بمؤمن أصلاً، وإذا علم أنه يموت مؤمناً لم يزل مريداً لإثابته وذاك الكفر الذي فعله وجوده كعدمه، فلم يكن هذا كافرا عندهم أصلاً، فهؤلاء يستثنون في الإيمان بناء على هذا المأخذ، وكذلك بعض محققيهم يستثنون في الكفر مثل أبي منصور الماتريدي فإن ما ذكروه مطرد فيهما ..."[1].

وقال في موضع آخر مبيناً مأخذ أهل السنة والجماعة: "والقول الثالث أوسطها وأعدلها: أنه يجوز باعتبار وتركه باعتبار، فإذا كان مقصوده أني لا أعلم أني قائم بكل ما أوجب الله علي وأنه يقبل أعمالي، ليس مقصوده الشك فيما في قلبه، فهذا استثناؤه حسن، وقصده أن لا يُزكي نفسه بأنه عمل عملاً كما أُمر فقبل منه، والذنوب كثيرة والنفاق مخف على عامة الناس"[2].

وقال أيضاً: "والذين استثنوا من السلف والخلف لم يقصدوا في الإنشاء وإنما كان استثناؤهم في إخباره عما قد حصل له من الإيمان فاستثنوا إما أن الإيمان المطلق يقتضي دخول الجنة وهم لا يعلمون الخاتمة كأنه إذا قيل للرجل: أنت مؤمن، قيل له: أنت عند الله مؤمن من أهل الجنة، فيقول: أنا كذلك إن شاء الله، أو لأنهم لا يعرفون أنهم أتوا بكمال الإيمان الواجب"[3].

واستدل أهل السنة على جواز الاستثناء على الأمور اليقينية بأدلة منها:

قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: من الآية ٢٧] مع العلم أن الله يعلم أنهم سيدخلون لا محالة.

وقال الفضل بن زياد: "سمعت أبا عبد الله يقول: إذا قال: أنا مؤمن إن شاء الله فليس هو

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/٢٢٩-٢٣١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٤١).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/٤٢).

بشاك، قيل له: إن شاء الله، أليس هو شكاً؟ فقال: معاذ الله، أليس قد قال الله تعالى ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: من الآية ٢٧] وفي علمه أنهم يدخلونه، وصاحب القبر إذا قيل له: وعليه تبعث إن شاء الله، فأي شك هاهنا؟ وقال النبي ﷺ: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»"[١].

وعن الأثرم قال: "حدثنا أبو عبدالله –يعني الإمام أحمد– بحديث عائشة عن النبي ﷺ: «إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله»، فقال: هذا أيضاً أرجو، أي هو حجة في الاستثناء في الإيمان، أي: إنه قال أرجو وهو أخشاهم"[٢].

ولم أقف على كلام صريح للإمام جمال الدين السرمري رحمه الله في مسألة الاستثناء في الإيمان، لكنه ممن يرى أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص كما تقدم، ومن قال بهذين الأصلين قال بالاستثناء في الإيمان.

قال الخلال: "دخل عليه –أي الإمام أحمد– شيخ فسأله عن الإيمان، فقال له : قول وعمل، يزيد وينقص، فقال له: أقول : مؤمن إن شاء الله؟ قال: نعم، فقال له : إنهم يقولون لي: إنك شاك، قال : بئس ما قالوا، ثم خرج، فقال: ردوه، فقال: أليس يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ؟ قال: نعم، قال: هؤلاء يستثنون، قال له : كيف يا أبا عبد الله ؟ قال : قل لهم : زعمتم أن الإيمان قول وعمل، فالقول قد أتيتم به، والعمل لم تأتوا به، فهذا الاستثناء لهذا العمل"[٣].

---

(١) الشريعة للآجري (٣/٦٦٠).

(٢) رواه الخلال في السنة (٣/٥٩٦-٥٩٧) ح١٠٥٥، قال محقق الكتاب –د. عطية الزهراني- : "إسناده صحيح".

(٣) مجموع الفتاوى (٧/٤٥١).

المبحث الرابع
الكبيرة وحكم مرتكبها

إن مسألة حكم مرتكب الكبيرة من المسائل الكبار التي زلت فيها بعض الأقدام، وجرى بسببها خلاف كبير بين أهل السنة وبين الفرق الأخرى، وصار الناس فيها طرفين ووسطاً:

فمنهم من غلب جانب نصوص الوعد، وأهمل نصوص الوعيد، وهؤلاء هم المرجئة، حيث زعموا أن من قال لا إله إلا الله محمداً رسول الله وحرم ما حرم الله وأحل ما أحل الله دخل الجنة إذا مات، وإن سرق وقتل وشرب الخمر وقذف المحصنات وترك الصلاة والزكاة والصيام إذا كان مقراً بها يُسوِّف التوبة لم يضره وقوعه على الكبائر وتركه للفرائض وركوبه الفواحش، وإن فعل ذلك استحلالاً كان كافراً بالله مشركاً وخرج من إيمانه وصار من أهل النار، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص وإيمان الملائكة والأنبياء والأمم وعلماء الناس وجهالهم واحد لا يزيد منه شيء على شيء أصلاً[1].

وقابل هؤلاء من غلَّب جانب نصوص الوعيد وأهمل نصوص الوعد، وهؤلاء هم الوعيدية –الخوارج والمعتزلة–، وزعموا أن مرتكب الكبيرة حكمه في الدنيا كافرٌ كفراً أكبر –على حد زعم جمهور الخوارج–[2]، وفي منزلة بين المنزلتين –على حد زعم المعتزلة–[3]؛ أما في حكمه في الآخرة –إن لم يتب– فهو خالد مخلد في النار وقولهما في هذا واحد، غير أن الخوارج يقولون إن مرتكبي الكبائر ممن ينتحل الاسلام يعذبون عذاب الكافرين والمعتزلة يقولون إن عذابهم ليس كعذاب الكافرين[4].

---

(١) التنبيه والرد، ص٤٣.

(٢) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ص٥٦، لعبدالقاهر بن طاهر البغدادي، الطبعة الثانية ١٩٧٧ م، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

(٣) مقالات الإسلاميين ص٢٧٠.

(٤) مقالات الإسلاميين ص١٢٤.

وهدى الله أهل السنة للجمع بين النصوص فكان منهجهم وسطاً بين الإفراط والتفريط، فقالوا: إن مرتكب الكبيرة -عدا الشرك- لا يكفر -إذا لم يستحل ذلك- ولا يخرج من الإسلام بهذه المعصية، بل هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته، وإذا مات من غير توبة فهو تحت المشيئة، إن شاء الله غفر له ابتداءاً وأدخله الجنة رحمه منه وفضلاً، وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم أدخله الجنه بعدله وحكمته.

ولا شك أن هذا المعنى هو ما تواترت عليه أدلة الكتاب والسنة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: "وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه، ما لم تكن كبيرة شركًا بالله"(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجُرات: ٩].

فسمى الله تعالى كلا من الطائفتين المقتتلتين مؤمنة وأمر بالاصلاح بينهما ولو بقتال الباغية(٢).

وكذلك في آية القصاص أثبت الإيمان للقاتل والمقتول من المؤمنين وأثبت لهم أخوة الإيمان فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [البقرة: من الآية ١٧٨].

---

(١) تفسير الطبري (٨/٤٥٠).

(٢) معارج القبول (٣/١٠١٨).

وحديث أبي ذر ﷺ الطويل، وفيه أن النبي ﷺ ذكر أن جبريل عرض له في جانب الحرة، فقال: «بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت يا جبريل، وإن سرق؟ وإن زنى؟ قال: نعم، قال: قلت: وإن سرق؟ وإن زنى؟ قال: نعم وإن شرب الخمر»[1].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ، أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبدالله وكان يُلقب "حمَاراً"، وكان يُضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأُتي به يوماً فأمَر به فجُلِد، فقال رجلٌ من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله»[2].

وأحاديث الشفاعة لأهل الكبائر جميعها دالة على هذا المعنى، وقد تقدمت في مطلب الشفاعة.

وقد قرر الإمام جمال الدين السرمري رحمه الله هذا الأصل، وبيَّن أن لا يكفر أحد من أهل القبلة بكل ذنب، ولا يخرج من الإسلام بمعصية، وأنه يُرجى للمحسن، ويُخاف على المسيء، فقال:

"ولا يخرج الإيمان من قلب مؤمن مصرٌّ على فعل المآثم مستجري
ونرجوا الرِّضا عمَّن قضى وهو مؤمن ويُخشى على من مات وهو على شرٍّ"[3].

وقال في موضع آخر في بيان عدم خلود أهل الكبائر في النار:

"ويدخل ناسٌ بالمعاصي جهنماً فيأخذهم منها على قدر الوزر
ويشفع فيهم سيد الخلق أحمد عليه صلاة الله ما غرَّد القمري
ويخرج مَن في قلبه وزن ذرة بلا شك منها مِن مُقارفة البِرِّ"[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٨/٩٤)، كتاب الرقاق، باب المكثرون هم المقلون، ح٦٤٤٣.

(٢) أخرجه البخاري (٨/١٥٨)، كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج من الملة، ح٦٧٨٠.

(٣) نهج الرشاد، ص٣٦.

(٤) نهج الرشاد، ص٣٨.

وما قرره الإمام جمال الدين السرمري رحمه الله هو ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

قال ابن بطة: "وقد أجمعت العلماء لا خلاف بينهم أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بمعصية، نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء"[1].

وقال أبو الحسن الأشعري: " وأجمعوا -يعني أهل السنة- على أن المؤمن بالله تعالى وسائر ما دعاه النبي إلى الإيمان به لا يخرجه عنه شيء من المعاصي ولا يحبط إيمانه إلا الكفر، وأن العصاة من أهل القبلة مأمورين بسائر الشرائع غير خارجين عن الإيمان بمعاصيهم"[2].

وقال الإمام الصابوني: "ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة صغائر وكبائر فإنه لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص، فإن أمره إلى الله عز وجل إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عفا عنه وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار"[3].

وقال شيخ الإسلام في معرض ذكره لأصول أهل السنة: "وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي ... ولا يسلبون الفاسق المِلِّي الإيمان بالكلية ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة ... ويقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم"[4].

---

(١) منهج الإمام ابن بطة في تقرير عقيدة السلف والرد على أهل الأهواء والبدع (٦٣٩/٢)، د. حمد بن عبدالمحسن التويجري.

(٢) رسالة إلى أهل الثغر، ص٢٧٤.

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص٢٧٦.

(٤) مجموع الفتاوى (١٥١/٣-١٥٢).

وقال ابن أبي العز الحنفي: "أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة بالكلية ... ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود مع الكافرين"[1].

---

(١) شرح الطحاوية، ص٣٠١-٣٠٢.

الفصل السادس
منهج جمال الدين السرمري في الصحابة والإمامة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج جمال الدين السرمري في الصحابة رضي الله عنهم.

المبحث الثاني: منهج جمال الدين السرمري في الإمامة.

المبحث الأول

منهج جمال الدين السرمري في الصحابة ﷺ

تمهيد: تعريف الصحابي:

لغة: الصاد والحاء والباء، أصل واحد، يدل على مقارنة شيء ومقاربته من ذلك الصَّاحب، والجمع: الصَّحْب؛ ومن الباب: أصحب فلان: إذا انقاد، وكل شيء لائم شيئاً فقد استصحبه[1].

قال الباقلاني: "لا خلاف بين أهل اللغة في أن القول صحابي مشتق من الصحبة وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص بل هو جار على كل من صحب غيره قليلًا كان أو كثيرًا كما أن القول مكلم ومخاطب وضارب مشتق من المكالمة والمخاطبة والضرب وجار على كل من وقع منه ذلك قليلًا كان أو كثيرًا وكذلك جميع الأسماء المشتقة من الأفعال وكذلك يقال: صحبت فلاناً حولاً ودهرًا وسنة وشهرًا ويومًا وساعة، فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره وذلك يوجب في حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار هذا هو الأصل في اشتقاق الاسم ..."[2].

وقال السخاوي: "الصحابي لغة: يقع على من صحب أقل ما يطلق اسم الصحبة فضلاً عمن طالت صحبته وكثرت مجالسته"[3].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/٣٣٥).

(٢) الكفاية في علم الرواية ص٥١، للخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبدالله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة.

(٣) فتح المغيث شرح ألفية الحديث، لشمس الدين السخاوي (٣/٩٣)، الطبعة الأولى ١٤٠٣، دار الكتب العلمية، لبنان.

أما تعريفه في الاصطلاح:

فقد تنوعت عبارات العلماء في ذلك مع اتفاق المعنى في الجملة:

قال الواقدي: "ورأينا أهل العلم يقولون: كل من رأى رسول الله ﷺ وقد أدرك الحلم فأسلم وعقل أمر الدين ورضيه فهو عندنا ممن صحب رسول الله ﷺ ولو ساعة من نهار ولكن أصحابه على طبقاتهم وتقدمهم في الإسلام"(١).

قال الإمام أحمد: "كل من صحبه سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه، وكان سابقته معه، وسمع منه، ونظر إليه"(٢).

وقال البخاري: "من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه"(٣).

ولعل من أدق التعاريف ما ذكره الحافظ ابن حجر بقوله: "وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي: من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على الإسلام –ثم شرح التعريف بقوله: – فيدخل فيمن (لقيه): من طالت مجالسته له أو قصرت ومن روى عنه أو لم يرو ومن غزا معه أو لم يغز ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ومن لم يره لعارض كالعمى، ويخرج بقيد (الإيمان): من لقيه كافرًا ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى، وقولنا (به): يخرج من لقيه مؤمنًا بغيره كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة، وهل يدخل من لقيه منهم وآمن بأنه سيبعث أو لا يدخل محل احتمال ومن هؤلاء بحيرا الراهب ونظراؤه، ويدخل في قولنا (مؤمنًا به): كل مكلف من الجن والإنس فحينئذ يتعين ذكر من حفظ ذكره من الجن الذين آمنوا به بالشرط المذكور ....، وهل تدخل الملائكة محل نظر قد قال بعضهم إن ذلك ينبني على أنه هل كان مبعوثا إليهم أو لا ....، وخرج بقولنا (ومات على الإسلام): من لقيه مؤمنًا به ثم ارتد ومات على ردته والعياذ بالله ... ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت سواء اجتمع به ﷺ مرة أخرى أم لا وهذا هو الصحيح المعتمد والشق الأول لا خلاف في دخوله وأبدى

(١) أسد الغابة (١/٧).

(٢) الكفاية، ص٥٢.

(٣) فتح الباري (٧/٣).

بعضهم في الشق الثاني احتمالًا وهو مردود لإطباق أهل الحديث على عد الأشعث بن قيس في الصحابة وعلى تخريج أحاديثه في الصحاح والمسانيد وهو ممن ارتد ثم عاد إلى الإسلام في خلافة أبي بكر، وهذا التعريف مبني على الأصح المختار عند المحققين كالبخاري وشيخه أحمد ابن حنبل ومن تبعهما"[1].

المطلب الأول: حق الصحابة ﷺ:

يقرر جمال الدين السرمري رحمه الله تولي جميع أصحاب النبي ﷺ، ومحبتهم، والترضي عنهم، وأنهم خير قرون الخلق.

أما على الخصوص: فمعرفة لكل فضله ومنزلته وسابقته بحسب ورود النص فيه على خصوصه، والشهادة له وفق ما جاء في هذا النص، كالخلفاء الأربعة، وبقية العشرة، وأهل بدر، وبيعة الشجرة، وعائشة، وسائر أمهات المؤمنين.

يقول رحمه الله:

"وخير القرون الخلق قرن نبيّنا ... وأفضله عشرون مع عشر مع عشر

هم الأربعون المسلمون الألى بهم ... جرى القمر الإيمان في فلك النَّصر

وأفضلهم عشر عن النار زحزحوا ... فكل ثَوى من جنة الخلد في قَصْر

وأفضل هذا العشر أربعة لهم ... على الخلق فضل كالنُّضار على الصُّفْر[2]

-ثم قال: -

وأن نترضى عن صحاب محمد ... كما أمر الرحمن في سورة الحشر

-إلى أن قال: -

وأن لأهل البيت فضلاً على الورى ... نحققه فيهم للفقير وللمثري

(١) الإصابة (١/٤-٥).

(٢) النضار: الذهب. لسان العرب (١/٦٤٢)؛ والصُّفْر: النحاس. انظر: لسان العرب (٤/٤٦٠).

وأن ابنة الصدّيق عائشة الرضى   منزهة عما يقول أولو الأشر

وكل نساء المصطفى أمهاتنا   ورادِدُ هذا القول مستوجب الهجر"[1].

وقد تقدم أن من مؤلفات السرمري: كتاب "عمدة الدين في فضل الخلفاء الراشدين" ، وكتاب "غيث السحابة في فضائل الصحابة"، وكتاب "نشر القلب الميْت بفضل أهل البيت".

وما قرره جمال الدين السرمري رحمه الله موافق للنصوص الشرعية ومنهج أهل السنة والجماعة.

قال ﷻ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال ﷻ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وقال ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

وعن عمران بن حصين ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم قرني، ثم يلونهم، ثم الذين يلونهم»[2].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق

---

(١) نهج الرشاد، ص٤٢-٤٣.

(٢) أخرجه البخاري (٨/٩١)، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، ح٦٤٢٨؛ ومسلم (٤/١٩٦٤)، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ح٢٥٣٥؛ واللفظ للبخاري.

مثل أحد ذهباً، ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه»[1].

وحديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها»[2].

وحديث علي بن أبي طالب ﷺ الطويل في قصة حاطب بن أبي بلعتة ﷺ، وفيه: فقال النبي ﷺ: «إنه شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال: اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم»[3].

والأدلة من السنة كثيرة جداً، حتى أن أئمة أهل الحديث عقدوا لهذا الموضوع مباحث مستقلة في كتبهم.

قال شيخ الإسلام –بعد أن ذكر جملة من أحاديث فضائل الصحابة–: "وهذه الأحاديث مستفيضة بل متواترة في فضائل الصحابة والثناء عليهم وتفضيل قرنهم على من بعدهم من القرون"[4].

وقال ابن كثير: "والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة، لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله ﷺ، رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل، والجزاء الجميل"[5].

وقد حُكي الإجماع على عدالتهم، قال السفاريني: "فمعتمد القول عند أئمة السنة أن

---

(١) أخرجه البخاري (٥/٨)، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً»، ح٣٦٧٣؛ ومسلم (٤/١٩٦٧)، كتاب فضائل الصحابه ﷺ، باب تحريم سب الصحابة ﷺ، ح٢٥٤١.

(٢) أخرجه مسلم (٤/١٩٤٢)، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان ﷺ، ح٢٤٩٦.

(٣) أخرجه البخاري (٥/١٤٥)، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، ح٤٢٧٤؛ ومسلم (٤/١٩٤١)، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أهل بدر ﷺ وقصة حاطب بن أبي بلتعة، ح٢٤٩٤.

(٤) مجموع الفتاوى (٤/٤٣٠).

(٥) اختصار علوم الحديث ص١٨١-١٨٢، لابن كثير، تحقيق: أحمد شاكر، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت.

الصحابة رضوان الله عليهم كلهم عدول بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق المعتبرين"[1].

المطلب الثاني: الإمساك عما شجر بين الصحابة ﷺ:

قرر جمال الدين السرمري رحمه الله الإمساك عما شجر بينهم، مع سلامة القلوب، وكف الألسن عن الخوض في ذلك، فقال:

"ونمسك عمّا شجر بينهم من تشاجر ونعلم أن الله لكل ذو غفر"[2].

وما قرره جمال الدين السرمري هو أصل من أصول مذهب أهل السنة والجماعة تجاه أصحاب النبي ﷺ.

قال ابن عباس ﷺ: "لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فإن الله ﷻ قد أمر بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتتلون"[3].

وقال الإمام الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث: "ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبًا لهم ونقصًا فيهم، ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم"[4].

وقال أبو الحسن الأشعري: "وأجمعوا –يعني أهل السنة– على الكف عن ذكر الصحابة عليهم السلام إلا بخير ما يذكرون به، وعلى أنهم أحق أن ينشر محاسنهم ويلتمس لأفعالهم أفضل المخارج وأن نظن بهم أحسن الظن وأحسن المذاهب ممتثلين في ذلك لقول رسول الله: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا» وقال أهل العلم: معنى ذلك لا تذكروهم إلا بخير الذكر ..."[5].

وقال شيخ الإسلام في معرض ذكره لأصول أهل السنة والجماعة: "ويمسكون عما شجر

(١) لوامع الأنوار (٣/٣٧٧).

(٢) نهج الرشاد، ص٤٣.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧/١٣١٨-١٣١٩).

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص٣٢.

(٥) رسالة إلى أهل الثغر، ص٣٠٣-٣٠٤.

بين الصحابة، ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ماهو كذب ومنها ما قدر زيد ونُقص وغُيِّر عن وجهه، والصحيح منه: هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون ..."[1].

ولا يعني الإمساك عما شجر بين الصحابة ادعاء العصمة لهم، بل هم بشر يجري عليهم ما يجري على سائر البشر من الخطأ والسهو والغفلة.

قال شيخ الإسلام: "ومما ينبغي أن يُعلم أنه وإن كان المختار الإمساك عما شجر بين الصحابة والاستغفار للطائفتين جميعاً وموالاتهم، فليس من الواجب اعتقاد أن كل واحد من العسكر لم يكن إلا مجتهداً متأولاً كالعلماء، بل فيهم المُذنب والمُسيء، وفيهم المُقصر في الاجتهاد لنوع من الهوى لكن إذا كانت السيئة في حسنات كثيرة كان مرجوحة مغفورة، وأهل السنة تُحسن القول فيهم وتترحم عليهم وتستغفر لهم، لكن لا يعتقدون العصمة من الإقرار على الذنوب وعلى الخطأ في الاجتهاد ..."[2].

المطلب الثالث: ترتيب الخلفاء في الفضل:

إن التفاضل بين الخلق سنة من سنن الله في هذا الكون:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: من الآية ٣٢].

وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ [النحل: من الآية ٧١].

ولقد فضل الله بعض النبيين على بعض، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٣].

وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: من الآية ٥٥].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/١٥٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/٤٣٤).

كما أنه سبحانه وتعالى فاضل بين الأمم، فقال ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرةمن الآية: ٤٧].

وكذلك الصحابة ﷺ كسائر الخلق بينهم التفاضل، قال تعالى: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْ﴾ [الحديد: من الآية ١٠].

وأهل السنة والجماعة يقرون بما تواتر به النقل ودلت عليه الآثار من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ووقع الخلاف من بعضهم في عثمان وعلي ﷺ في الفضل مع إجماعهم على تقديم عثمان ﷺ في مسألة الخلافة.

ثم استقر قول أهل السنة على تقديم عثمان على علي في الفضل، وأن ترتيب الخلفاء الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض ذكره لأصول أهل السنة والجماعة: "ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وعن غيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ويثلثون بعثمان ويربّعون بعلي ﷺ كما دلت عليه الآثار وكما أجمع الصحابة ﷺ على تقديم عثمان في البيعة مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي -رضي الله عنهما بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر- أيها أفضل، فقدم قوم عثمان وسكتوا أو ربعوا بعلي، وقدَّم قوم علياً، وقوم توقفوا؛ لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان، وإن كانت هذه المسألة -مسألة عثمان وعلي- ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها هي مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله"(١).

وهذا ما قرره جمال الدين السرمري رحمه الله حيث قال:

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/١٥٣).

"وأفـضـلـهـم صـدِّيــقــه ووزيـــره أبو بكر ذو الإنفاق في اليسر والعسر
ومن بـعده الـفـاروق لا يُنسى فـضـلـه وعثمان ذو النورين ذو القرب بالصهر
ومن بعده زوج البـتول عليّ الذي جـاهـد الـكـفـار بالبيـض والـسُـمـر"[1].

وقال في تقدمة كتابه (المولد الكبير للبشير النذير ﷺ) بعد الصلاة على النبي ﷺ: "وعلى صاحبه الصدّيق وخليفته بالتحقيق، والمُنفق عليه ماله في الضيق، أبي بكر عبدالله بن عثمان الذي قاتل أهل الردة، وألحق العاصي بالمطيع؛ وعلى صاحبه الفاروق، المكلَّم والمكاشف، المحدث الملهم، والعادل المعظم المكرم، أبي حفص عمر بن الخطاب، كافل الأرملة واليتيم، والعظيم والرّضيع؛ وعلى ذو النورين، صهره على الابنتين، وختنه على الكريمتين، وأمينه على البضْعتين، أبي عمرو عثمان بن عفان المقتول ظلماً، أفضل أهل البقيع؛ وعلى المرتضى البطل الهمام، والأسد الهزبر الضرغام، كاثر الأوثان والأصنام، أبي الحسن علي بن أبي طالب الذي ما بارزه بطل إلا سقاه كأس النَّجيع"[2].

المطلب الرابع: موقف أهل البدع من الصحابة:

عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن في آيات كثيرة يكثر إيرادها ويطول تعدادها، ووصف رسول الله الصحابة مثل ذلك، وأطنب في تعظيمهم، وأحسن الثناء عليهم؛ وهؤلاء الصفوة الذين يعتبرون تاجاً في رأس الأمة الإسلامية، لم تسلم من كيد بعض أصحاب القلوب المريضة ممن وجدوا في هذه الصفوة الطاهرة بغيتهم، فذهبوا يكيدون لها بالكذب والافتراء، حتى طعنوا في عدالتهم ورموهم بالعظائم زوراً وبهتاناً، يحدوهم في هذا كله الجهل حيناً والهوى أحياناً.

---

(١) نهج الرشاد، ص٤٣.

(٢) المولد الكبير للبشير النذير (مخطوط) ورقة: ١ ب.

ومن تولى كبر ذلك وحمل لواءه:

١- الخوارج: قالوا بتكفير علي وعثمان، وأصحاب الجمل والحكمين ومن صوبهما أو صوب أحدهما أو رضي بالتحكيم[1].

٢- الروافض: قالوا بتكفير أبي بكر وعمر وعثمان ومن عقدوا خلافتهم وبايعوهم[2].

ولقد عَرَضَ الإمام جمال الدين السرمري لكل الطائفتين، وبين فساد مذهبهم بالعموم، ولم يعرض لشيء من شبههم، فمن ذلك قوله: "ومحبة أحد من أهل الجنة لا ينفعه ذلك مع مجانبة الكتاب والسنة، ممن أحب أبا بكر وعمر وعثمان وأبغض علياً، أو أحب علياً وأبغض أبا بكر وعمر وعثمان ... وقد جاء الحديث أن: «من أبغض أبا بكر وعمر فقد كفر» فلا تنفعه محبة علي، ومَثَلُ ذلك كما قال الصرصري رحمه الله تعالى:

مثل الذي جحد ابن مريم وادَّعى　　حب الكليم وتلك دعوى تفسدُ

وروي في الحديث: أن علياً ﷺ لا يبغضه إلا منافق ولا يحبه إلا مؤمن، قال بعض الصحابة: إنْ كنَّا لنعرف المنافقين منا معاشر الأنصار ببغضهم علي بن أبي طالب؛ وأما ما يدعيه الرافضة من حبهم علياً ﷺ، فليس من هذا في شيء، ودعواهم أن محبته ومحبة أهل البيت حسنة لا يضرها معها سيئة فهي دعوى فاسدة، لأنهم كما زعموا يحبونهم ويبغضون أهلهم وأصحابهم وأختانهم وأحماهم ومواليهم، ويسبونهم ويلعنونهم، وقد قال النبي ﷺ: «المؤمن لا يكون لعاناً»، وليس أحد ممن لعنوه أو سبوه إلا وقد سبقت له سابقة صالحة في الإسلام، وأبلى بلاءً حسناً، وقد نص النبي ﷺ في جماعة منهم بأنهم في الجنة، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم، فمن أبغض علياً وأحب أبا بكر وعمر وعثمان لم ينفعه حبهما"[3].

وقال في موضع آخر في بيان ضلال الرافضة:

"هم أكذب الناس في قول وفي عمل　　وأعظم الخلق جهلاً في توثبه

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق، ص٥٦.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/٤٧٧).

(٣) الأربعون الصحيحة، ص٦٨-٦٩.

وهم أقل الورى عقلاً وأغفلهم   عن كل خير وأبطا عن تكسبه

وكل عيب يَرُدُّ الشرع قد جمعوا   هم جند إبليس بل فرسان مِقْنبه[1]"[2].

وقال في موضع آخر عند رده على السبكي حين شنع على شيخ الإسلام رده على ابن مطهر الحلي، وأوضح السرمري وجوب الرد على الرافضة، فقال:

"والله لا غنية عن رد إفكهم   بل رده واجب أعظم بمُوجبه

أيتركون يسبون الصحابة والـ   إسلام يختال زهواً في تصلبه

هذا مقال شنيع لم يقل أحد   به ولا رهط جهم في تحزبه"[3].

وما ذكره السرمري من بيان ضلالهم وفساد مذهبهم هو قول أهل الأئمة في هذا الباب.

قال الإمام الصابوني: "ومن أبغضهم –يعني الصحابة– وسبهم، ونسبهم إلى ما تنسبهم الروافض والخوارج، فقد هلك في الهالكين"[4].

وقال الإمام النووي: "واعلم أن سب الصحابة ﷺ حرام من فواحش المحرمات سواء من لابس الفتن منهم وغيره لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون ... قال القاضي عياض: وسب أحدهم من المعاصي الكبار"[5].

وقال الإمام أحمد: "من تنقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فلا ينطوي إلا على بلية وله خبيئة سوء"[6].

وقال شيخ الإسلام في حكم تكفير الصحابة: "وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا نفراً قليلاً يبلغون بضعة عشر نفساً أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أيضاً في كفره لأنه كذب لما نصه القرآن في غير موضع: من الرضى

---

(١) المِقنب –بالكسر–: جماعة الخيل. لسان العرب (١/٦٩٠).

(٢) الحمية الإسلامية، ص٥٦.

(٣) الحمية الإسلامية، ص٥٨.

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص٣٢.

(٥) شرح النووي على مسلم (١٦/٩٣).

(٦) السنة للخلال (٢/٤٧٧) ح٧٥٨.

عنهم و الثناء عليهم بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق و أن هذه الآية التي هي: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وخيرها هو القرن الأول، كان عامتهم كفاراً أو فساقاً ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم وأن سابقي هذه الأمة هم شرارهم وكفر هذا مما يعلم باضطرار من دين الإسلام"[1].

(١) الصارم المسلول (١/٥٩٠).

المبحث الثاني

منهج جمال الدين السرمري في الإمامة

تعريف الإمامة:

الإمامة في اللغة: مصدر من الفعل (أَمَّ) تقول: أَمَّهم وأَمَّ بهم: تقدَّمهم، والإمام: ما ائتم به من رئيس أو غيره[1].

وقال ابن منظور: " والإمام ما ائتم به من رئيس وغيره، والجمع: أئمة ... وإمام كل شيء قيِّمُه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين، وسيدنا محمد رسول الله ﷺ إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية"[2].

أما تعريف الإمامة في الاصطلاح: فقد عرفها العلماء بعدة تعريفات، وكلها متقاربة في المعنى

فيعرفها الماوردي بأنها: "خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا"[3].

وقال الجويني: "رياسة تامة وزعامة عامة تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا، متضمنها حفظ الحوزة ورعاية الرعية وإقامة الدعوة بالحجة والسيف وكف الجنف والحيف والانتصاف للمظلومين من الظالمين واستيفاء الحقوق من الممتنعين وإيفاؤها على المستحقين"[4].

وقال ابن خلدون: "هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة،

---

(١) انظر: القاموس المحيط، ص١٣٩٢.

(٢) لسان العرب (١٢/٢٢).

(٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية (١/٣)، لأبي الحسن الماوردي، تحقيق: د. أحمد مبارك البغدادي، الطبعة الأولى ١٤٠٩، دار ابن قتيبة، الكويت.

(٤) غياث الأمم والتياث الظلم ص١٥، لأبي المعالي الجويني، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم ود. مصطفى حلمي، ١٩٧٩م، دار الدعوة، الاسكندرية.

فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به"[1].

وقال الإيجي: "هي خلافة الرسول في إقامة الدين وحفظ حوزة الملة بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة"[2].

المطلب الأول: طاعة الأئمة، وحكم الخروج على الإمام الجائر:

هذه المسألة من أبرز المسائل المتعلقة بمبحث الإمامة، وذلك لما حصل فيها من خلاف بين أهل السنة وبين بعض أهل البدع.

وقد ذهب عامة أهل السنة إلى وجوب طاعة الأئمة، وعدم جواز الخروج على ولاة الأمر حتى ولو جاروا وظلموا، ما لم يُرَ كفراً بواحاً فيه من الله برهان، لما يترتب على الخروج عليهم من المفاسد التي لا يقدر قدرها إلا الله، من سفك الدماء، وانتهاك الأعراض، وانتهاب الأموال.

بل وأوجب العلماء إقامة الشعائر العامة معهم مع جورهم وظلمهم، كإقامة الجمع، والحج، والعيدين، والجهاد، ونحو ذلك.

وهذا ما قرره الإمام جمال الدين السرمري وبينه بياناً لا لبس فيه، حيث قال:

"وإن نحن بايعنا الإمام ببيعة وَفينا ولم نغدرْ ولا خير في الغدرِ

ونَلقى ولاة الأمر منا بطاعة ولا يُلتقى بالسيف منا أولى الأمرِ

وننصرهم إن جاهدوا ونطيعهم وإن ظلموا عُدنا من الظلم بالصبرِ"[3].

وكلام جمال الدين السرمري هذا، وكلام الأئمة قبله وبعده قد استند في ذلك إلى النصوص الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة.

ومما ورد في هذا المعنى:

---

(١) مقدمة ابن خلدون (١/٣٦٥)، لولي الدين عبدالرحمن بن خلدون، تحقيق: عبدالله الدرويش، الطبعة الأولى ١٤٢٥، دار يعرب، دمشق.

(٢) كتاب المواقف (٣/٥٧٩).

(٣) نهج الرشاد، ص٣٧.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: من الآية ٥٩].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأنَّ رأسه زبيبة»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول ﷺ قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»(٢).

وعن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»(٣).

وعن عوف بن بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه، فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يداً من طاعة»(٤).

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع» قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «لا، ما صلَّوا»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٩/٦٢)، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ح٧١٤٢.

(٢) أخرجه البخاري (٩/٦١)، كتاب الأحكام، باب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:من الآية ٥٩] ، ح٧١٣٧؛ ومسلم (٣/١٤٦٦)، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، ح١٨٣٥.

(٣) أخرجه البخاري (٩/٦٣)، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ح٧١٤٤؛ ومسلم (٣/١٤٦٩)، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ح١٨٣٩؛ واللفظ للبخاري.

(٤) أخرجه مسلم (٣/١٤٨١)، كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم، ح١٨٥٥.

(٥) أخرجه مسلم (٣/١٤٨٠)، كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا ونحو ذلك، ح١٨٥٤.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال النبي ﷺ: «من رأى من أميره شيئاً فكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يُفارق الجماعة شبراً فيموت، إلا مات ميتة جاهلية»[1].

هذه بعض نصوص الكتاب والسنة الدالة على وجوب طاعة الأئمة في غير معصية الله أبراراً كانوا أو فجاراً، وتحريم الخروج عليهم.

أما الآثار عن السلف في هذا المعنى فكثيرة جداً.

فمن ذلك قول أبو إسماعيل الصابوني: "ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم براً كان أو فاجرًا، ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورة فجرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح، ولا يرون الخروج عليهم وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف"[2].

وقال ابن بطال: "وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء ... ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها"[3].

وقال حنبل: "اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق إلى أبي عبدالله، وقالوا له: إن الأمر قد تفاقم وفشا -يعنون إظهار القول بخلق القرآن وغير ذلك- ولا نرضى بإمرته ولا سلطانه، فناظرهم في ذلك وقال: عليكم بالإنكار بقلوبكم ولا تخلعوا يداً من طاعة ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، وانظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر، وقال: ليس هذا بصواب، هذا خلاف الآثار"[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٩/٦٢)، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ح٧١٤٣؛ ومسلم (٣/١٤٧٨)، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، ح١٨٤٩؛ واللفظ للبخاري.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص٣٢.

(٣) فتح الباري (١٣/٧).

(٤) الآداب الشرعية (١/١٩٦).

وقال النووي: "أجمع العلماء على وجوبها -يعني طاعة الأمراء- في غير معصية وعلى تحريمها في المعصية"[1].

وقد بين الإمام النووي أن العلة من الحكم بالحرمة والتي من أجلها تظاهرت الأحاديث وانعقد إجماع أهل السنة: هو ما يترتب على ذلك من المفاسد الكثيرة، فقال: "وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينعزل وحكى عن المعتزلة أيضاً فغلط من قائله مخالف للإجماع، قال العلماء: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه"[2].

وأما من يقول بجواز الخروج على أئمة الجور محتجاً بفعل بعض السلف، فالجواب عليه: أن القول بعدم جواز الخروج على أئمة الجور كان من مسائل الخلاف بين أهل السنة ثم انعقد الإجماع على الحرمة، ثم ليس كل خروجهم كان بمجرد الفسق، قال القاضي عياض: "وقد ادعى أبو بكر بن مجاهد في هذا الإجماع وقد رد عليه بعضهم هذا بقيام الحسن وابن الزبير وأهل المدينة على بني أمية وبقيام جماعة عظيمة من التابعين والصدر الأول على الحجاج مع ابن الأشعث، وتأول هذا القائل قوله أن لا ننازع الأمر أهله في أئمة العدل، وحجة الجمهور أن قيامهم على الحجاج ليس بمجرد الفسق بل لما غير من الشرع وظاهر من الكفر، قال القاضي: وقيل أن هذا الخلاف كان أولاً ثم حصل الإجماع على منع الخروج عليهم"[3].

قال الباحث: وإن كان ظاهر قول القاضي عياض أنه يضعف انعقاد الإجماع على ذلك، لكن قد تقدم عن غير واحد من أهل العلم من حكى الإجماع عليه.

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٢/٢٢٩).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٢/٢٢٩).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٢/٢٢٩).

وأما من ينفي من العلماء صحة الإجماع أصلاً على ذلك، كابن حزم[1] وابن الوزير[2] والشوكاني[3] وغيرهم، فمنزع قول أكثرهم مبني على مسألة أصولية، إذ لا يثبتون الإجماع الذي يقع بعد الخلاف، والله أعلم.

المطلب الثاني: موقف المخالفين لأهل السنة في مسألة الإمامة:

لم يكن إدخال العلماء هذه المسألة في صلب مسائل العقيدة، أو الإسهاب في الحديث عنها عبثاً، بل إن مما دعاهم إلى ذلك ما جنح إليه بعض أهل الأهواء والبدع من التخبط والانحراف في هذا الأصل العظيم، حتى صار ضلالهم فيه من الأصول التي يتفقون عليها في الغالب.

ومن أبرز الفرق التي خالفت أهل السنة في هذه المسألة: الخوارج، والمعتزلة، والرافضة.

والفرقة التي أشار إليه جمال الدين السرمري من بين هذه الفرق هي الخوارج وأشار إلى جانب من انحرافهم فيما يتعلق بهذا الأصل بكونهم أوجبوا الخروج على الإمام[4].

أما المعتزلة: فإن من أصولهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن المعاني التي ستروها تحت مسمى هذا الأصل، الخروج على الولاة إذا خالفوهم فيما ذهبوا إليه.

قال أبو الحسن الأشعري: " فقالت المعتزلة: إذا كنا جماعة وكان الغالب عندنا أنا نكفي مخالفينا، عقدنا للإمام، ونهضنا فقتلنا السلطان وأزلناه وأخذنا الناس بالانقياد لقولنا، فإن دخلوا في قولنا الذى هو التوحيد وفى قولنا في القدر وإلا قتلناهم، وأوجبوا على الناس الخروج على

---

(١) مراتب الإجماع،ص١٧٨.

(٢) انظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (٨/٧٦)، لابن الوزير، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة ١٤١٥، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣) انظر: نيل الأوطار (٧/٢٠٨)، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الضابطي، الطبعة الأولى ١٤١٣، دار الحديث، مصر.

(٤) الفرق بين الفرق، ص٥٥.

السلطان على الإمكان والقدرة إذا أمكنهم ذلك وقدروا عليه"[1].

وأما جمهور الرافضة فمخالفتهم لأهل السنة في هذا الأصل من وجوه متعددة منها على سبيل المثال: أنهم جعلوا الإمامة أحد أركان الإيمان بل هي أفضل هذه الأركان، وأهم المطالب في أحكام الدين وأشرف مسائل المسلمين.

وأيضاً القول بعصمة الأئمة، وأن الإمامة نص من الله لا تكون إلا في المنصوص عليهم أو من ينوبنهم، وما سواهم فمغتصب يجب الخروج عليه، وإزالته بالقوة كائناً من كان[2].

والذي يهمنا هنا من هذه الطوائف الثلاث: فرقة الخوارج، لأن الإمام جمال الدين السرمري قد تناولها بالإشارة والحديث من بين هذه الطوائف، واكتفى في الرد عليهم بإيراد بعض النصوص الدالة على الحث على قتالهم بسبب خروجهم على الإمام، فقال في كتابه إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة: "فصل في قتال الخوارج والبغاة.

قال علي ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج قوم في آخر الزمان حُدَّاث الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قلتهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة» متفق عليه.

وقال: «يكون من أمتي فرقتين فيخرج من بينهما مارقة يلي قتلَهم أولاهما بالحق».

وفي لفظ: «تمرق مارقة عند فُرقة من المسلمين يقتُلُها أولى الطائفتين بالحق» رواهما أحمد ومسلم.

وقال: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية» متفق عليه.

وقال: «من أتاكم وأمرُكم جميعٌ على رجل، يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم

---

(١) مقالات الإسلاميين، ص٤٦٦.

(٢) منهج الإمام ابن بطة في تقرير عقيدة السلف والرد على أهل الأهواء والبدع (٦٩١/٢)، د. حمد بن عبدالمحسن التويجري.

فاقتلوه» رواه أحمد ومسلم.

وقال: «من حمل علينا السلاح فليس منا» رواه أحمد"[1].

ومذهب الخوارج على الأئمة إذا ظلموا وجاروا مبني على مذهبهم في حكم مرتكب الكبيرة، حيث كفروه بذلك.

فيرد عليهم في مسألة الإمامة بنقض قولهم في حكم مرتكب الكبيرة أولاً، وهذا قد سبقت الإشارة إليه في مبحث الكبيرة وحكم مرتكبها[2].

ويرد عليهم أيضاً بالنصوص الآنفة الذكر، المتضمنة تحريم الخروج على الولاة، وعدم نزع اليد من طاعتهم عند ظلمهم وجورهم، إذ النصوص صريحة في النهي عن ذلك والتشديد فيه، ويرد عليهم أيضاً بالإجماع الذي حكاه غير واحد من أهل العلم -وقد تقدم نقله-[3] على حرمة الخروج على الأئمة وإن كانوا فسقة ظالمين.

---

(١) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٥٤٧-٥٤٨.

(٢) انظر : ص٢٤٥-٢٤٩ .

(٣) انظر : ٢٦٦-٢٦٧ .

الفصل السابع
موقفه جمال الدين السرمري من أهل الأهواء والبدع

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: لزوم الجماعة وذم الفرقة.

المبحث الثاني: موقفه من أهل البدع.

المبحث الأول: لزوم الجماعة وذم الفرقة

مفهوم الجماعة:

الجماعة في اللغة: مأخوذة من الاجتماع، وهو ضد التفرق، يقال: جمع الشيء عن تفرقة فاجتمع، وجمعت الشيء إذا جئت به من هاهنا وهاهنا، وأجمع أمره أي جعله جميعاً بعدما كان متفرقاً، والجمع اسم لجماعة الناس، والجماعة والجميع والمجمع كالجمع، وقد تستعمل الجماعة في غير الناس حتى قالوا: جماعة الشجر، وجماعة النبات[1].

وقال ابن فارس: "الجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تضام الشيء، يقال: جمعت الشيء جمعاً، والجُمَّاع الأُشابه من قبل شتى"[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين"[3].

أما مفهوم الجماعة بالمعنى الخاص، فقد اختلف العلماء في المقصود بها على أقوال[4]:

١- أن الجماعة هم السواد الأعظم من أهل الإسلام، يقول أبو غالب: إن السواد الأعظم هم الناجون من الفرق، فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق، ومن خالفهم مات ميتة جاهلية، سواء خالفهم في شيء من الشريعة أو في إمامهم وسلطانهم، فهو مخالف للحق.

وممن قال بهذا عبدالله بن مسعود ﷺ، فقد روي أنه لما قُتل عثمان سُئل عن الفتنة فقال: "عليك بالجماعة فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة، واصبر حتى يستريح بر أو

---

(١) انظر: لسان العرب (٨/٥٣).

(٢) معجم مقاييس اللغة (١/٤٧٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/١٥٧).

(٤) انظر: الاعتصام (٣/٢٠٩-٢١٧)، للإمام الشاطبي، تحقيق: د. هشام الصيني، الطبعة الأولى ١٤٢٩، دار ابن الجوزي، الدمام؛ فتح الباري (١٣/٣٧).

يستراح من فاجر"[1].

فعلى هذا القول يدخل في الجماعة مجتهدو الأمة وعلماؤها وأهل الشريعة العاملون بها، ومن سواهم داخلون في حكمهم، لأنه تابعون لهم ومقتدون بهم، فكل من خرج عن جماعتهم فهم الذين شذوا، ويدخل في هؤلاء جميع أهل البدع لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأمة، لم يدخلوا في سوادهم بحال.

٢- أن الجماعة هي جماعة أئمة العلماء المجتهدين، فمن خرج عما عليه جماعة علماء الأمة مات ميتة جاهلية، لأن الله تعالى جعلهم حجة على العالمين، وأما العامة فعنها تأخذ دينها، وإليها تفزع في النوازل، وهي تبع لها، وممن قال بهذا عبدالله بن المبارك وإسحاق بن راهويه وجماعة من السلف وهو رأي الأصوليين، فقيل لعبدالله بن المبارك من الجماعة الذين ينبغي أن يقتدى بهم؟ قال: "أبو بكر وعمر، فلم يزل يحسب حتى انتهى إلى محمد بن ثابت والحسين بن واقد، فقيل: هؤلاء ماتوا، فمن الأحياء؟ قال: أبو حمزة السكري"[2].

فعلى هذا القول لا مدخل في هذا السواد لمن ليس بعالم مجتهد، لأنه داخل في أهل التقليد، فمن عمل منهم بما يخالفهم فهو صاحب الميتة الجاهلية، ولا يدخل فيهم أيضاً أحد المبتدعين، لأن البدعة قد أخرجته عن نمط من يعتد بأقواله.

٣- أن الجماعة هي جماعة الصحابة على الخصوص، فإنهم الذين أقاموا عماد الدين وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلاً، ولأنهم المتلقون لكلام النبوة الذين فهموا مراد الله بالتلقي من نبيه مشافهة، على علم وبصيرة بمواطن التشريع وقرائن الأحوال بخلاف غيره، فإن فيه لأهل الاجتهاد مجالاً للنظر رداً أو قبولاً، فأهل البدع إذاً غير داخلين فيه، وممن قال بهذا القول عمر بن عبدالعزيز.

٤- أن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام، إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من

---

(١) الاعتصام (٣/٢٠٩).

(٢) الاعتصام (٣/٢١١).

أهل الملل اتباعهم، وهم الذين ضَمِن الله لنبيه عليه الصلاة والسلام أن لا يجمعهم على ضلالة.

وكأنَّ هذا القول راجع إلى الثاني وهو يقتضي ما يقتضيه، أو يرجع إلى القول الأول وهو الأظهر، وفيه من المعنى ما في الأول من أنه لابد من كون المجتهدين فيهم، وعند ذلك لا يكون مع اجتماعهم على هذا القول بدعة أصلاً.

٥- أن الجماعة هي جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، وقد اختار هذا القول الإمام الطبري؛ وحاصل هذا القول أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة، وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة خارج عن معنى الجماعة كالخوارج ومن جرى مجراهم.

والذي يظهر أنه لا تعارض بين هذه الأقوال إذ الجماعة هي من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام والتابعون ومن تبعهم بإحسان، فمن وافقهم فهو من الجماعة، وإن كان فرداً، ومن خالفهم فهو من أهل الشذوذ والفرقة وإن كثر عددهم.

قال عبدالله بن مسعود ﷺ: "إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك"[1].

وقال أبو شامة: "وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك بالحق قليلاً والمخالف كثيراً لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه ﷺ ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم"[2].

وقال ابن القيم: " واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده وإن خالفه أهل الأرض ... وقال بعض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الأعظم فقال: أتدري ما السواد الأعظم هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه! فمُسخ المختلفون الذين

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/١٢٢) ح١٦٠.

(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث ص٢٢، لأبي شامة المقدسي، تحقيق: عثمان أحمد عنبر، الطبعة الأولى ١٣٩٨، دار الهدى، القاهرة.

جعلوا السواد الأعظم والحجة والجماعة هم الجمهور وجعلوهم عياراً على السنة وجعلوا السنة بدعة والمعروف منكراً لقلة أهله وتفردهم في الإعصار والأمصار وقالوا: من شذ شذ الله به في النار، وما عرف المختلفون أن الشاذ ما خالف الحق وإن كان الناس كلهم عليه إلا واحداً منهم فهم الشاذون، وقد شذ الناس كلهم زمن احمد بن حنبل إلا نفراً يسيراً فكانوا هم الجماعة، وكانت القضاة حينئذ والمفتون والخليفة وأتباعه كلهم هم الشاذون، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة"(١).

الحث على لزوم الجماعة وذم التفرق:

جاءت النصوص الدالة على لزوم الجماعة والتمسك بها كثيرة ومتضافرة، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: من الآية ١٠٣].

وقوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: من الآية ١٠٥].

وقوله ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: من الآية ١٥٣].

وقوله ﷻ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ [الشورى: من الآية ١٣].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس، إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال: «أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا

---

(١) إعلام الموقعين (٣/٣٩٨).

لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد، من أراد بحبوبة الجنة فيلزم الجماعة ...»[1].

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»[2].

وقد ذكر الإمام جمال الدين السرمري فيما يندرج تحت هذا المبحث الأحاديث الواردة بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة في فصل قتال الخوارج والبغاة[3].

وما أشار إليه الإمام جمال الدين السرمري هو منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب.

قال الإمام البربهاري: "اعلموا أن الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر، فمن السنة لزوم الجماعة، فمن رغب غير الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وكان ضالاً مضلاً"[4].

وقد عقد الإمام الآجري باباً في ذكر الأمر بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة، ومما قال فيه: " أمرنا ﷻ بلزوم الجماعة، ونهانا عن الفرقة، وكذلك حذرنا النبي ﷺ من الفرقة وأمرنا بالجماعة، وكذلك حذرنا أئمتنا ممن سلف من علماء المسلمين كلهم يأمرون بلزوم الجماعة، وينهون عن الفرقة"[5].

كما عقد أيضاً الإمام اللالكائي فصلاً في سياق ما ورد عن النبي ﷺ في الحث على اتباع الجماعة والسواد الأعظم والوعيد عن مفارقة الجماعة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٤٦٥) ح٢١٦٥، وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب".

(٢) أخرجه أبو داود (٤/٢٤١)، كتاب السنة، باب في قتل الخوارج، ح٤٧٥٨؛ قال الألباني: "صحيح". انظر: صحيح سنن أبي داود (٣/١٦٧).

(٣) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٤٥٧-٤٥٨.

(٤) شرح السنة، ص٢١.

(٥) الشريعة (١/٢٧٦).

المبحث الثاني: موقف جمال الدين السرمري من أهل البدع

تمهيد

أهل البدع نسبة إلى البدعة:

والبدعة في اللغة:

مصدر (بَدَعَ)، قال ابن فارس: " الباء والدال والعين أصلان: أحدهما ابتداء الشيء وصنعُه لا عن مثال، والآخر الانقطاع والكلال"[1].

والمعنى الثاني داخل في المعنى الأول، كما أشار إلى ذلك ابن الأثير حيث قال: "أبدعت الناقة إذا انقطعت عن السير بكلال أو ظلع كأنه جعل انقطاعها عما كانت مستمرة عليه من عادة السير إبداعاً أي إنشاء أمر خارج عما اعتيد منها"[2].

وقال ابن منظور: "البدعة: الحَدَث، وما ابتُدع من الدين بعد الإكمال، -وقال- ابن السكيت: البدعة كل مُحدثة –إلى أن قال: – وفلان بِدْع في هذا الأمر: أي أول لم يسبقه أحد"[3].

وعليه فإن البدعة بالمفهوم اللغوي العام: ابتداء الشيء وإنشاؤه لأول مرة على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: من الآية ٩]، وقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: من الآية ١١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: من الآية ٢٧].

أما البدعة في الاصطلاح:

فقد اختلفت عبارات العلماء في ذلك، علماً بأنها تلتقي في معنى عام كلي في الجملة.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١/٢١٠).

(٢) النهاية في غريب الأثر (١/٢٦٧).

(٣) لسان العرب (٨/٦).

فقد عرفها الإمام الشاطبي بأنها: "طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه"(١).

ويعرفها شيخ الإسلام بأنها: "ما لم يشرعه الله ورسوله وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب"(٢).

وقال في موضع آخر: "والبدعة: ما خالفت الكتاب والسنة أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات، كأقوال الخوارج والروافض والقدرية والجهمية وكالذين يتعبدون بالرقص والغناء في المساجد والذين يتعبدون بحلق اللحى وأكل الحشيشة وأنواع ذلك من البدع التي يتعبد بها طوائف من المخالفين للكتاب والسنة"(٣).

ويعرفها ابن رجب بأنها: "ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً وإن كان بدعة لغة"(٤).

ويعرفها السيوطي بأنها: "عبارة عن فعلة تصادم الشريعة بالمخالفة، أو توجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان"(٥).

وكما سبق فإن هذه الضوابط والحدود التي ذكرها العلماء للبدعة لا تخرج في مفهومها العام من كون البدعة إحداث في الدين ماليس له أصل في الشرع، سواء كان ذلك في العمل أو القول أو في الاعتقاد.

ومفهوم مسمى (أهل البدع) يطلق غالباً على كل من اشتهر ببدعة وخاصة منها الاعتقادية.

قال الإمام الشاطبي: "إن لفظ أهل الأهواء وعبارة أهل البدع إنما تطلق حقيقة على الذين

---

(١) الاعتصام (١/٤٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/١٠٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٨/٣٤٦).

(٤) جامع العلوم والحكم، ص٢٦٦.

(٥) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ص٨٨، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: ذيب القحطاني، ١٤٠٩، مطابع الرشيد.

ابتدعوها، وقدَّموا فيها شريعة الهوى بالاستنباط والنصر لها، والاستدلال على صحتها في زعمهم، حتى عُدّ خلافهم خلافاً، وشبههم منظوراً لها، ومُحتاجاً إلى ردِّها والجواب عنها، كما تقول في ألقاب الفرق من المعتزلة والقدرية والمرجئة والخوارج والباطنية ومن أشبههم فإنها ألقاب لمن قام بتلك النحل، ما بين مستنبط لها، وناصر لها، وذاب عنها"[1].

وقال شيخ الإسلام: "ومما ينبغي أيضاً أن يُعرف أن الطوائف المنتسبة إلى متبوعين في أصول الدين والكلام على درجات: منهم من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة، ومنهم من يكون إنما خالف السنة في أمور دقيقة ... ومثل هؤلاء إذا لم يجعلوا ما ابتدعوه قولاً يُفارقون به جماعة المسلمين، يُوالون عليه ويعادون، كان من نوع الخطأ ... بخلاف من والى موافقه وعادى مخالفه وفرَّق بين جماعة المسلمين وكفَّر وفسَّق مخالفه دون موافِقِه في مسائل الآراء والاجتهادات، واستحل قتال مخالفه دون موافقه من أهل التفرق والاختلافات، ولهذا كان أوَّل من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع الخوارج المارقون"[2].

الموقف من أهل البدع:

لقد وضع أهل السنة والجماعة قواعد وضوابط في التعامل مع أهل الأهواء والبدع، ومن ذلك:

أولاً: حراسة الدين، وإبطال البدع:

أول موقف لأهل السنة والجماعة من البدع والمبتدعة هو نفيرهم الدائم لحراسة الدين وإبطال البدع، فما كان يطلع للبدعة قرن إلا ويهب الرجال العاملون والعلماء المخلصون لاستئصال شأفة هذه البدعة وإماتتها وقطعها عن طريق الأمة.

---

(١) الاعتصام (١/٢٨٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٣٤٩).

وكان أول بدعة ظهرت في الدين التفريق بين الصلاة والزكاة، والادعاء أن الزكاة لا تؤدى إلا للرسول ولا تعطي لخلفائه من بعده، فتصدى الصديق ﷺ لهذه البدعة، وقاتل القائلين بها، ووأدها في مهدها قبل أن يستفحل ضررها وشرها، ولو ترك أبو بكر ذلك فلم يقاتلهم لانْثَلَم الإسلام، ولما التأم بعد ذلك أبداً، ولأصبحت هذه البدعة سنة مُتّبعةً يأخذ بها الناس بعدهم فيؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، ويفعلون ما يحلو لهم من الدين ويتركون ما لا يشتهون.

وفي عهد الفاروق ﷺ حصلت بعض البدع الصغيرة فأماتها كاتباع متشابه القرآن، واستحلال الخمر بزعم أن القرآن يبيح ذلك، والزعم أن الصحابة لا يطبقون القرآن كله.

وفي عهد عثمان رضي الله عنه حدثت أوائل الفتنة الكبرى وهي الخروج على الإمام الحق بالسيف، وانتهت بدعتهم بمقتله ﷺ، وكان هذا بداية فتنة عظمى في الإسلام وظهور بدعة الخوارج التي لا تزال إلى يوم القيامة، ولقد قام أهل السنة والجماعة فردوا هذه البدعة بالعلم والبرهان والدليل.

ثم توالت البدع فجاءت القدرية، وجاءت المرجئة، وجاءت الرافضة، وجاء الزنادقة، والفرق الباطنية، وجاءت الجهمية منكروا الصفات والأسماء، وكلما ظهرت بدعة من هذه البدع كان أهل الإسلام الحق لها بالمرصاد، فأما الأمراء الصالحون فقد وضعوا السيف في أصحابها ومروجيها، وأما العلماء الأبرار فقد قاموا بالرد والإبطال لها.

ولا تكاد توجد بدعة أو مقالة من مقالات الخارجين عن الكتاب والسنة إلا ولعلماء السنة والجماعة جهاد مشكور وردود تدحض هذه البدعة، وتبين زيفها وبعدها عن الحق .

والخلاصة أن موقف أهل السنة والجماعة من البدع والمبتدعة هو أنهم كشفوا اللثام عن كل قول أو فعل يخالف القرآن والسنة ويخرج عن إجماع الأمة، وصاحوا بأهل البدع من كل مكان في الأرض يبينون زيف مقالاتهم، وكذب ادعاءاتهم، وخروجهم ببدعتهم عن الإسلام

الصحيح، والدين الخالص.

ولقد سار الإمام جمال الدين السرمري على هذا النهج في حراسة الدين وإبطال البدع، يوضح ذلك رده على تقي الدين السبكي لما شنع على شيخ الإسلام ابن تيمية رده رفض ابن مطهر الحلي، حين قال السبكي:

"والناس في غُنية عن ردِّ إفكهمُ لهجنة الرفض واستقباح مذهبه"[1].

فرد عليه الإمام جمال الدين السرمري ببيان وجوب حراسة الدين وإبطال البدع، وأن هذا هو منهاج الأئمة، بل هذا داخل دخولاً أولياً في شريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال:

"والله لا غنية عن رد إفكهم بل رده واجب أعظم بموجبه
أيتركون يسبون الصحابة والـ إسلام يختال زهواً في تصلبه
هذا مقال شنيع لم يقل أحد به ولا رهط جهم في تحزبه
والله لولا سيوف من أئمتنا في كاهل الرفض لا تُلْوى ومنكبه
لأضحت السنة الغراء دائرة بين البرية كالعنقا وأغربه

إلى أن قال:

أيترك الأمر بالمعروف مطرحاً والنهي عن منكر ما من يقول به
كلا ومن رفع السبع الطباق على وجه الثرى وتعالى في تحجبه"[2].

ثانياً: الهجر:

الأصل في الشرع هو هجر المبتدع، لكن ليس عاماً في كل حال ومن كل إنسان ولكل مبتدع، ومشروعية الهجر هي في دائرة ضوابطه الشرعية المبنية على رعاية المصالح ودرء المفاسد،

---

(١) ذكرها التاج السبكي في ترجمة أبيه التقي السبكي في "طبقات الشافعية الكبرى" (١٠/١٧٦).

(٢) الحمية الإسلامية، ص٥٨-٦٠.

وهذا مما يختلف باختلاف البدعة نفسها واختلاف مبتدعها واختلاف أحوال الهاجرين، واختلاف المكان والقوة والضعف، والقلة والكثرة، وهكذا من وجوه الاختلاف والاعتبار التي يرعاها الشرع.

وميزانها للمسلم الذي به تنضبط المشروعية هو: مدى تحقق المقاصد الشرعية من الهجر: من الزجر، والتأديب، ورجوع العامة، وتحجيم المبتدع وبدعته وضمان السنة من شائبة البدعة.

ويحسن هنا أن أنقل بالنص فتوى شيخ الإسلام رحمه الله حول أحكام الهجر، وحكمته، فقد سئل رحمه الله عمن يجب أو يجوز بغضه أو هجره أو كلاهما لله تعالى؟ وماذا يشترط على الذي يبغضه أو يهجره لله تعالى من الشروط؟ وهل يدخل ترك السلام في الهجران ؟ وإذا بدأ المهجور بالسلام فهل يجب الرد عليه أم لا؟ وهل يستمر البغض والهجران لله عز وجل حتى يتحقق زوال الصفة المذكورة التي أبغضه وهجره عليها ؟ أم هل يكون لذلك مدة معلومة ؟ فإن كان لها مدة معلومة فما حدها ؟

فأجاب رحمه الله: "الهجر الشرعي نوعان: أحدهما بمعنى الترك للمنكرات، والثاني: بمعنى العقوبة عليها.

فالأول: هو المذكور في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: من الآية ١٤٠].

فهذا يراد به أنه لا يشهد المنكرات لغير حاجة مثل قوم يشربون الخمر يجلس عندهم، وقوم دعوا إلى وليمة فيها خمر وزمر لا يجيب دعوتهم، وأمثال ذلك؛ بخلاف من حضر عندهم للإنكار عليهم، أو حضر بغير اختياره، ولهذا يقال: حاضر المنكر كفاعله ، وفي الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر» ، وهذا الهجر من

جنس هجر الإنسان نفسه عن فعل المنكرات، كما قال ﷺ : «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه»

ومن هذا الباب الهجرة من دار الكفر والفسوق إلى دار الإسلام والإيمان، فإنه هجر للمقام بين الكافرين والمنافقين الذين لا يمكنونه من فعل ما أمر الله به، ومن هذا قوله تعالى : ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدَّثر: ٥].

النوع الثاني: الهجر على وجه التأديب، وهو هجر من يظهر المنكرات، يُهجر حتى يتوب منها، كما هجر النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون الثلاثة الذين خلفوا حتى أنزل الله توبتهم حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعيّن عليهم بغير عذر، ولم يهجر من أظهر الخير وإن كان منافقاً، فهنا الهجر هو بمنزلة التعزير.

والتعزير يكون لمن ظهر منه ترك الواجبات وفعل المحرمات: كتارك الصلاة والزكاة والتظاهر بالمظالم والفواحش والداعي إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة التي ظهر أنها بدع .

وهذه حقيقة قول من قال من السلف والأئمة : إن الدعاة إلى البدع لا تقبل شهادتهم، ولا يصلى خلفهم، ولا يؤخذ عنهم العلم، ولا يناكحون .

فهذه عقوبة لهم حتى ينتهوا؛ ولهذا يُفرقون بين الداعية وغير الداعية، لأن الداعية أظهر المنكرات فاستحق العقوبة بخلاف الكاتم فإنه ليس شراً من المنافقين الذين كان النبي ﷺ يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله مع علمه بحال كثير منهم، ولهذا جاء في الحديث: «إن المعصية إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها، ولكن إذا أعلنت فلم تنكر ضرت العامة»، وذلك لأن النبي ﷺ قال: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوْشَك أن يعمهم الله بعقاب منه»، فالمنكرات الظاهرة يجب إنكارها، بخلاف الباطنة فإن عقوبتها على صاحبها خاصة، وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم، فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث

يُفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعاً، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف، ولهذا كان النبي يتألف قوماً ويهجر آخرين ... وإذا عرف هذا فالهجرة هي من الأعمال التي أمر الله بها ورسوله، فالطاعة لابد أن تكون خالصة لله وأن تكون موافقة لأمره فتكون خالصة لله صواباً، فمن هجر لهوى نفسه أو هجر هجراً غير مأمور به، كان خارجاً عن هذا، وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانة أنها تفعله طاعة لله ..."(١).

وقد نقل ابن حجر رحمه الله أقوال الأئمة في هذه المسألة عند تبويب البخاري (باب من لم يُسلم على من اقترف ذنباً)، فقال: "وقد ذهب الجمهور إلى أنه لا يسلم على الفاسق ولا المبتدع، قال النووي: فإن اضطر إلى السلام بأن خاف ترتب مفسدة في دين أو دنيا إن لم يسلم سلم، وكذا قال ابن العربي وزاد: وينوي أن السلام اسم من أسماء الله تعالى، فكأنه قال: الله رقيب عليكم، وقال المهلب ترك السلام على أهل المعاصي سنة ماضية وبه قال كثير من أهل العلم في أهل البدع، ... وحكى ابن رشد قال: قال مالك: لا يسلم على أهل الأهواء، قال ابن دقيق العيد: ويكون ذلك على سبيل التأديب لهم والتبري منهم"(٢).

وقد قرر الإمام جمال الدين السرمري رحمه الله هذا المنهج في التعامل مع أهل البدع في أكثر من موضع؛ فمن ذلك قوله عند الحديث الوارد في النهي عن التهاجر والتشاجر: "يشترط في هذه الهجرة أن تكون في غير ذات الله تعالى، كمن هجر مسلماً غير مبتدع، بل لحظ النفس، فذلك الذي لا يجوز هجره أكثر من ثلاثة أيام، وهو الذي يُحبس عن دخول الجنة؛ وأما إن كان الهجر لبدعة، فهو مندوب إليه، ويثاب المسلم عليه، ولا يجوز أن يُسَلَّم عليه ما دام على بدعته، لأنه ورد أن: من سلَّم على صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام"(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٣-٢٠٧).

(٢) فتح الباري (١١/٤٠).

(٣) الأربعون الصحيحة، ص٧١.

وقال في كتاب الأدب من كتابه إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة: "ولا تهجر مسلماً فوق ثلاث إلا لبدعة"(1).

وقال في منظومته في الاعتقاد:

"ومن كان بدعيًّا أُمرنا بهجره   وقلنا لهم لا قوه بالزجر لا البشر"(2).

---

(1) إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص٦٦٨.

(2) نهج الرشاد، ص٣٦.

القسم الثاني

تحقيق كتاب "خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام"

مقدمة التحقيق

وفيها ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالكتاب ، وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول : اسم الكتاب .

المطلب الثاني : توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف .

المطلب الثالث : موضوع الكتاب ، ومجمل مباحثه .

المطلب الرابع : أهمية الكتاب ، وقيمته العلمية .

المطلب الخامس : منهج المؤلف فيه .

المطلب السادس : مصادره في كتابه .

المطلب السابع : تقويم الكتاب .

المبحث الثاني : التعريف بالخصائص والمناقب والمعجزات .

المبحث الثالث : وصف النسخ الخطية .

المبحث الأول
التعريف بالكتاب

المطلب الأول : اسم الكتاب :

اختلفت النسختين والمراجع التي ذكرت الكتاب في اسم الكتاب على ثلاثة أسماء :

ففي نسخة المكتبة الظاهرية ، والتي رمزت لها بحرف "أ" وهي النسخة التي اعتمدتها أصلاً ، ذكر الاسم هكذا :

"خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام"

وقد ذُكر هذا الاسم مختصراً بذكر أوله "خصائص سيد العالمين" : صلاح الدين المنجد في (معجم ما أُلف عن رسول الله ﷺ)[1] ، وذُكر أيضاً في (الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط -السيرة والمدائح النبوية-)[2] ، وكلاهما يحكون عن نسخة الظاهرية .

وفي نسخة مكتبة آستان قدس رضوي المركزية بمشهد الإيرانية ، والتي رمزت لها بحرف "ب" ، كتب العنوان هكذا :

"الخصائص والمفاخر"

وفي نسخة مكتبة برلين ذكر من وقف عليها مثل : بروكلمان في (تاريخ الأدب العربي)[3] ، والفهرس المخطوط الموجود في مكتبة برلين والخاص بها[4] ، أن عنوانها كتب هكذا :

"الخصائص والمفاخر لمعرفة الأوائل والأواخر"

وقد ذكر هذا الاسم أيضاً : الزركلي في (الأعلام)[5] عند ترجمته لجمال الدين السرمري ،

---

(١) معجم ما أُلف عن رسول الله ﷺ ص١٨٨ .

(٢) الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط ، السيرة والمدائح النبوية (١/٢٨٣) .

(٣) تاريخ الأدب العربي (٧/٢١) .

(٤) سيأتي -إن شاء الله- صورة هذا الفهرس ومعلومات عنه في مطلب : وصف النسخ الخطية .

(٥) الأعلام (٨/٢٥١) .

ورمز له بأنه مخطوط ولم يشر إلى مكانه .

ومن خلال النظر في الأسماء الثلاثة نجد ما يلي :

أما الاسم الأول "**خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام**": ففيه عدة مرجحات :

١- كتب في نسخة خطية أصلية ، فقد قوبلت على نسخة المؤلف ، وقُرئت عليه ، وعليها قيد السماع والإجازة من الإمام جمال الدين السرمري بخط يده .

٢- أنه قد وضع في النسخة خطاً تحت قول المؤلف : "ونحن نذكر إن شاء الله ما نُقل عن كلّ نبي من المعجزات ، وما ثبت لنبينا ﷺ من الخصائص ، وماله من الفضائل الفواضل ، وما أُوتي من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام"[1] ، وكُتب في هامشها : "سبب تسمية الكتاب" ، وإذا نظرنا في الاسم المكتوب على النسخة وما جاء في النص السابق من قول المؤلف نجد المقاربة الواضحة بينهما ، وتبرز أهمية هذا الهامش عند معرفة أن النسخة مكتوبة بخط تلميذ السرمري ، ومقروءة على السرمري كاملة .

٣- أنه جاء في صفحة العنوان ما يلي : **خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام ، تأليف الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد المفيد جمال الدين يوسف السرمري رضي الله عنه ، آمين**" ، ووصف جمال الدين السرمري بـ(الإمام العالم العامل الزاهد المفيد) هو نفس الوصف الذي جاء في آخر المخطوطة بعد ختم الكتاب ، فقد كتب تلميذ السرمري : "يسّر الله تعالى كَتْب هذا الكتاب الشريف من أصل المصنّف الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد المفيد جمع الله تعالى له ولأولاده وأهل بيته سعادات الدور الثلاثة دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار ورضي عنه وعن والديه . آمين ، بيد العبد المستعيذ بعفو الله الكريم من عقابه محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله أعاذهم الله تعالى من عذاب القبر وعذاب النار . آمين ، في شهر جمادى الأولى من سنة سبعين وسبعمائة

---

(١) [ق٤/و] .

بدمشق المحروسة"[1] ، كما أن الدعاء بـ(**رضي الله عنه**) مشعرٌ في الغالب بأنه مكتوب في حياة المؤلف ، وهذا المرجح غير قطعي وإنما هو مما يستأنس به .

أما الاسم الثاني "**الخصائص والمفاخر**": فقد كتب في نسخة خطية فرعية ، نُسخت سنة ٨٩١ ، أي بعد وفاة المؤلف ، وهي مقابلة على منتسخ أصل المؤلف .

أما الاسم الثالث "**الخصائص والمفاخر لمعرفة الأوائل والأواخر**" : فهو مسجوع ، والإمام جمال الدين السرمري كثيراً ما يجنح عند تسمية مؤلفاته إلى تلك الأسماء المشتملة على سجع ، فهو الذي سمى تلك الكتب بهذه الأسماء : (إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة) ، (الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة) ، (الأرجوزة الجلية في الفرائض الحنبلية) ، (الإفادات المنظومة في العبادات المختومة) ، (الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية) ، (رفع الباس في حياة الخضر وإلياس) ، (شفاء الآلام في طب أهل الإسلام) ... وهكذا .

وعند الترجيح بين الأسماء الثلاثة نجد أن أقواها في النظر هو الاسم الأول "**خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام**" لأن نسخته أصلية ، وأما الثاني : فنسخته فرعية ، وأما الثالث : فهو وإن كان الذوق يميل إليه إلا أن جهالة نسخته يضعفه ، ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ [يوسف:من الآية ٨١] .

المطلب الثاني : توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف :

لا أشك أن كتاب "خصائص سيد العالمين وماله من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام" من مؤلفات جمال الدين السرمري رحمه الله ، وذلك للأسباب التالية :

١- قيد السماعات على الإمام جمال الدين السرمري وإجازته في نهاية النسخة الأصلية ، والتي صُرِّح فيها بنسبة الكتاب للسرمري رحمه الله .

(١) [ق٩١/ظ-ق٩٢/و] .

٢- كتب جمال الدين السرمري في ختم النسخة الأصلية بخط يده بعد تصحيحه للسماع والإجازة : "وكتب يوسف السرمري المصنف عفا الله عنه" .

٣- نقل عنه وعزا إليه ابن حجر الهيتمي في كتابه (المنح المكية) فقال : "وذكر الحافظ السرمري الحنبلي تلميذ ابن القيم ذلك –يقصد إلانة الحجارة لنبينا ﷺ- في (خصائصه) فقال : وأما إلانة الحديد لداود عليه السلام ..."(١) .

٤- أشار المؤلف في [ق٢/أ] إلى شيخه ابن الخباز بقوله "كما أخبرنا الشيخ أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الأنصاري" ، وابن الخباز ولد سنة ٦٦٧ وتوفي سنة ٧٥٦(٢) ، والإمام جمال الدين السرمري ولد سنة ٦٩٦ وتوفي سنة ٦٧٦ ، وقد تقدم في ترجمة إبراهيم بن جمال الدين السرمري أنه أُسمع على ابن الخباز وهو دون السادسة من عمره ، وهذا يدل على أن الكتاب أُلِّف في عصر جمال الدين السرمري .

المطلب الثالث : موضوع الكتاب ، ومجمل مباحثه :

قد أوضح جمال الدين السرمري موضوع الكتاب فقال : "وموضوع هذا الكتاب أنه لم يكن لنبي من الأنبياء معجزة أو فضيلة إلا ولمحمد ﷺ من جنسها ما هو أكمل منها أو مثلها ، وأنه اختص بأشياء لم يشركه فيها غيره كما قد ذكرناه في أماكنه والله يختص بفضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم"(٣) ، وقال أيضاً في مقدمته : "ونحن نذكر إن شاء الله تعالى مانُقل عن كل نبيّ من المعجزات وماثبت لنبيِّنا ﷺ من الخصائص وماله من الفضائل الفواضل وما أُوتي من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام"(٤) ، **فموضوعها** : معجزات الأنبياء

---

(١) المنح المكية في شرح الهمزية ص٣٦٨-٣٦٩، تحقيق: أحمد جاسم المحمد و بوجمعة مكري، الطبعة الثانية ١٤٢٦، دار المنهاج، جدة.

(٢) سيأتي ترجمته في موضعه إن شاء الله .

(٣)[ق٨٥/و-ظ]

(٤) [ق٤/و] .

عليهم السلام التي ثبت لنبينا ﷺ أفضل منها ، وما اختص به من المعجزات والمزايا الكريمة مما فاق به على غيره .

أما مجمل مباحث الكتاب ، فهي كالتالي :

بدأه بمقدمة في فضل النبي ﷺ .

ثم كتب فصلاً : تحدث فيه عن موضوع الكتاب .

ثم كتب فصلاً : فاضل فيه بين ما أوتي أول أولي العزم من الرسل وهو نوح عليه السلام وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ ، وبيّن أوجه فضله ﷺ .

ثم كتب فصلاً : فاضل فيه بين ما أوتي ثاني أولي العزم وهو إبراهيم عليه السلام وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ ، وبين أوجه فضله ﷺ .

ثم عقد مبحثاً في المفاضلة بين إتمام إبراهيم عليه السلام لما ابتلاه الله به من كلمات وبين إتمام نبينا محمد ﷺ لهن .

ثم كتب فصلاً : فاضل فيه بين ما أوتي ثالث أولي العزم وهو موسى عليه السلام وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ ، وبين أوجه فضله ﷺ .

ثم كتب فصلاً : فاضل فيه بين ما أوتي رابع أولي العزم وهو عيسى عليه السلام وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ ، وبين أوجه فضله ﷺ .

ثم كتب فصلاً : فاضل فيه بين ما أوتي إدريس وهود عليهما السلام وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ ، وبين أوجه فضله ﷺ .

ثم كتب فصلاً : فاضل فيه بين ما أوتي صالح عليه السلام من معجزة إخراج الناقة وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ من جنسها ما هو أعجب منها ، وبين أوجه فضله ﷺ .

ثم كتب فصلاً : فاضل فيه بين ما أوتي يوشع بن نون عليه السلام من معجزة حبس الشمس وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ من هذا الجنس ما هو أعظم ، وبين أوجه فضله ﷺ .

ثم كتب فصلاً : فاضل فيه بين ما أوتي داود عليه السلام وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ ، وبين

أوجه فضله ﷺ .

ثم كتب فصلاً : فاضل فيه بين ما أوتي سليمان عليه السلام وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ ، وبين أوجه فضله ﷺ .

ثم كتب فصلاً : فاضل فيه بين ما أوتي يعقوب عليه السلام وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ ، وبين أوجه فضله ﷺ .

ثم كتب فصلاً : فاضل فيه بين ما أوتي يوسف عليه السلام وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ ، وبين أوجه فضله ﷺ .

ثم كتب فصلاً : فاضل فيه بين ما أوتي يحيى عليه السلام وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ ، وبين أوجه فضله ﷺ .

ثم كتب فصلاً : نبَّه فيه عن أن المقصود من هذا التفضيل ليس التنقص من المفضول ، بل كل الأنبياء كان عند الله وجيهاً ، وكان كل منهم نبيّاً نبيهاً صلى الله عليهم وبارك وسلم ، وأجاب عن قوله ﷺ «لا تفضّلوني على يونس بن متى» وقوله : «لا تفضّلوا بين أنبياء الله» .

ثم كتب فصلاً : أورد فيه فضله ﷺ على سائر الأنبياء عموماً .

ثم كتب فصلاً : ذكر فيه خصائص النبي ﷺ التي اختص بها دون غيره من واجبات ومحظورات ومباحات وتكرُّمات .

ثم كتب فصلاً : ذكر فيه خصيصة النبي ﷺ في فضل الصلاة عليه .

ثم كتب فصلاً : سرد فيه جملة من خصائص النبي ﷺ .

ثم كتب فصلاً : ذكر فيه خصائص النبي ﷺ في ميلاده .

ثم كتب فصلاً : سرد فيه جملة من خصائص النبي ﷺ .

ثم كتب فصلاً : ذكر فيه خصيصة النبي ﷺ في طيب ريحه .

ثم كتب فصلاً : سرد فيه جملة من خصائص النبي ﷺ .

ثم كتب فصلاً : ذكر خصيصة النبي ﷺ في أسمائه .

ثم كتب فصلاً : سرد جملة من خصائص النبي ﷺ .

ثم كتب فصلاً : ذكر فيه خصائص النبي ﷺ في صفاته الخَلقية والخُلقية .

ثم كتب فصلاً : ذكر فيه خصائص النبي ﷺ في ليلة الإسراء به .

ثم كتب فصلاً : ذكر فيه الحكمة من ابتداء الخبر بالإسراء قبل المعراج .

ثم كتب فصلاً : ذكر فيه الفوائد في حديث الإسراء والمعراج .

ثم كتب فصلاً : ذكر فيه الخلاف في مسألة رؤية النبي ﷺ ليلة المعراج .

ثم كتب فصلاً جامعاً لمقاصد الكتاب .

ثم كتب فصلاً : ذكر فيه ما خص الله به النبي ﷺ في وفاته .

ثم كتب فصلاً : ذكر فيه ما خص الله به نبيه ﷺ في الآخرة .

ثم كتب فصلاً : ذكر فيه منهجه في هذا الكتاب في إيراد الأحاديث الضعيفة .

ثم كتب فصلاً لطيفاً في ذكر الصلاة على النبي ﷺ وفضلها .

ثم كتب فصلاً : ذكر فيه خصيصة النبي ﷺ في ذكر اسمه والصلاة عليه .

ثم كتب فصلاً : ذكر فيه فضل النبي ﷺ على غيره في الأجر .

ثم ذكر فصلاً خاتماً لمباحث لكتاب .

المطلب الرابع : أهمية الكتاب ، وقيمته العلمية :

مما يبين أهمية هذا الكتاب وقيمته العلمية ما يلي :

- أن في الكتاب إضافة علمية فريدة ، فلم أقف على من صنف في فضل النبي ﷺ على الأنبياء عليهم السلام كتاباً مستقلاً على غيره ، وإنما عامة الكتب في هذا الباب إما في الدلائل على نبوته ﷺ وإما في الخصائص وإما في السيرة ، أما هذا الكتاب فقد جمع السرمري فيه ما اشترك فيه النبي ﷺ مع غيره في المعجزات وبيَّن أوجه فضله ﷺ ، وبين ما اختص به من الفضائل دون غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

- حسن التقسيم ودقيق الاستنباط من المؤلف -رحمه الله- ، فقد جعل لكل نبي فصلاً يذكر فيه ما أوتي من المعجزات ثم يورد نظائر هذه المعجزات التي وقعت لنبينا ﷺ أو الكرامات للصالحين من أمته ثم يوازن بينهما ويستنبط فضله ﷺ .

- إيراد المؤلف لجملة من المسائل المشكلة والجواب عنها ، مثال ذلك قال رحمه الله : "فإن قيل : في قوله تعالى : ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:من الآية ٢٦] وأن الله سبحانه استجاب له فأغرق الأرض ومَن عليها دليل على أن نوحاً عليه الصلاة و السلام كان مُرسلاً إلى جميع أهل الأرض فكيف يقال : بأن محمداً ﷺ وحده أُرسِل إلى الناس كافةً ، فالجواب ..."[1] ، والكتاب مملوء بـ(فإن قيل/الجواب) .

- لم يقتصر المؤلف -رحمه الله- في كتابه على سرد الأحاديث والآثار وإنما كان له شرح وبيان في كثير من المواضع ، والكتاب فيه تحقيق كبير ، فمن ذلك ما ذكره في الرواية التي جاء فيها أن إدريس عليه السلام قال للنبي ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج «مرحباً بالأخ الصالح» : "وكذلك إدريس أنه قال : «مرحباً بالأخ الصالح» قد يكون غلطاً من الراوي لأنه أب بلا شك لأن النبي ﷺ من ذرّية نوح ونوح من ذرية إدريس قاله شيخ الإسلام ابن تيمية قال : ولا يتنبّه لمثل هذا إلا النحرير ؛ قلت : وقد وقع لي في هذا محمل لا بأسَ به يُقرُّ الروايةَ الصحيحة على ماهي علَيه ويبين عذر إدريس إذ لم يقل : والابن الصالح ، وذلك أن ما ظهر من عظم شأن محمد ﷺ في هذا المقام أجل من منزلة الأبوة فكيف بمنزلة البنوة فلم يتهجّم لما رأى من علوّ الرتبة أن يجعل نفسه أباً له فيكون أرفع منه ولا سيما ولم يَذكرُ له جبريل ما ذكر لآدم و لإبراهيم من قوله : «هذا أبوك آدم فسلم عليه» ، «هذا أبوك إبراهيم فسلّم عليه» ، فإنه لما أنَّسَ آدم بأن قال لمحمد : «هذا أبوك آدم فسلم عليه» حَسُن أن يقول له آدم : «مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح» وكذلك لما قال له : «هذا أبوك إبراهيم فسلّم عليه» حَسُن أن يقول له إبراهيم : «مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح» فأما إدريس فقال له عنه : «هذا إدريس فسلم عليه» ولم

---

(١) [ق٧/ظ] .

يقل له : هذا أبوك إدريس ، فلم يحسن التهجم عليه بمزيّة الأبوة مع ما هنالك من علوّ الدَّرجة وعظيم المنزلة وما أكرم به من القرب ، فلم يجد إدريس ما يُمِتُّ به مِمّا لا عَتبَ فيه إلا الأخوّة في النبوة التي رُفع بها مكاناً علياً فقال ما يناسِبُ حالَه : «مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح» ، وقد قال النبي ﷺ : «الأنبياء إخوة أولاد علّاتٍ دينهم واحد وأمهاتهم شتى» على أن الله تعالى قال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٣٣-٣٤] فبعض الأنبياء من نسل بعض وقد سماهم النبي ﷺ إخوةً ، فيكون قول إدريس «الأخ الصالح» من هذا القبيل ، ولا يَضُرّ قول إدريس بالأخ الصالح ، فالأخوّة في الدين والنبوة صادقة عليهما ، كما أن النبوة والأخوّة صادقة عليه وعلى إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، وكما لم يَضُرّ سارة عليها السلام حين أوصاها إبراهيم عليه السلام أن تقول للجبّار الذي دَعاها أن تقول : «إنه أخي» ، وهي زوجته فالأخوّة صادقة عليهما بالإيمان كما قال إبراهيم : فإني لا أعلم على وجه الأرض مؤمناً غيري وغيرك ، لكن قصّة سارة كانت من باب المعاريض وقصّة إدريس من باب الأدب والله أعلم ، إذ كان ذلك المقام لا يقتضي غيره لما رأى من عظم العناية الإلهيّة والوِلاية الربانية وهذا تأويل لا بأسَ به إن شاء الله تعالى ، وإن جعلنا رَدّ السلام والترحيب بلفظ الأخوّة والخلافة من خزنة السموات لم يبق إشكال فإن في سياق حديث الثعلبي أن كل باب يُفتح لهم يقال له : «حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء» لكن الروايات الأخرى لا تساعد على هذا المعنى وكذلك يَردُ قولُ آدم وإبراهيم : «مرحباً بالابن الصالح» والله تعالى أعلم ؛ وفي هذا السياق لطيفة أخرى : وهي قول خَزَنة أبواب السموات : «حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة» فإنه مشعر بالاعتذار عن قولهم حين قال الله : ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:من الآية ٣٠] ..."[1] .

---

(١)[ق٧٧/ظ-ق٧٨/و] .

وإن القارئ للمخطوطة ليشعر من صفحاتها الأولى بعظيم قدرها ، فقد جمع فيها بين الرواية والدراية ، كيف لا يكون وهو من أهل الحديث؟ كما أن موضوعها مهم في زمن كثر المخالفون فيه من أهل الديانات الباطلة والمنسوخة الطاعنون في الرسالة وفي القرآن بل وفي كل الشريعة والدين ، وإن معرفة فضائله ﷺ وما أيده الله من الآيات وخوارق العادات من الأمور العظيمة التي تطمئن بها النفوس وتركن بها القلوب إلى تقبل ما جاء به وتطبيقه والسير على منهجه ﷺ .

المطلب الخامس : منهج المؤلف فيه :

تقدم في القسم الأول من البحث الكلام على منهج السرمري عموماً في كتبه –ومنها كتابه خصائص سيد العالمين– ، فلذلك سأذكر هنا نقاط المنهج الخاصة في هذا الكتاب بإيجاز .

١– الاعتماد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآثار الصحابة في الاستدلال : وهذا كثير في هذا الكتاب ، وإذا كان هذا منهج كثير من علماء المسلمين ، فإن جمال الدين السرمري قد تميز في ذلك .

٢– طول النفس : لقد اتسم منهج جمال الدين السرمري في هذا الكتاب بطول النفس ، وحسبك أن تقرأ فصل خصائصه ﷺ في ليلة الإسراء فقد سرد الروايات المطولة في ذلك .

٣– السعة والشمول : إن ظاهرة السعة والشمول في معالجته لكل قضية طرقها من قضايا الكتاب الأساسية معالجة شاملة بحيث لا يدع شاردة ولا واردة إلا ذكرها .

٤– المناقشة والتحليل : وهذا يظهر جلياً في موزانته بين ما أوتي الأنبياء وبين ما أوتي نبيه ﷺ ، وأوجه فضله ﷺ ، والكتاب مملوء بـ(فإن قيل/الجواب) .

٥– الأمانة في النقل : كان جمال الدين السرمري أميناً في نقله ، فهو كثيراً ما يذكر اسم الكتاب والمؤلف فيقول : قال فلان في كتابه كذا ، وأحياناً يصرح باسم المؤلف فقط .

٦- الأسلوب الأدبي : تميز أسلوب جمال الدين السرمري بالبيان ، والجاذبية ، وحسن الصياغة ، والعرض ، والإكثار من المحسنات الأدبية ، كالاقتباس ، والتضمين ، والسجع .. وغيرها مع قوة المعنى وعمق الفكرة ، كيف لا وهو إمام في اللغة ؟ .

المطلب السادس : مصادره في الكتاب :

لقد نقل جمال الدين السرمري عن كثير من كتب الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها من كتب السير وكتب العلم كما سيأتي ذكرها في فهرس المصادر والمراجع -إن شاء الله- ، وسأورد هنا ما صرح فيه جمال الدين السرمري بذكر اسم الكتاب والمؤلف ، أو باسم المؤلف فقط ، أو باسم الكتاب فقط ونقل عنه ، أو أحال على الكتاب ولم ينقل منه ، وذلك عدا كتب الصحاح والمسانيد المشهورة .

١- كان من أكثر الكتب التي رجع إليها جمال الدين السرمري في هذا الكتاب (دلائل النبوة) لأبي نعيم الأصبهاني . (انظر : ص٣٦٨ ، ص٣٧٠ ، ص٤٠٩ ، ص٤١٢ ، ص٤١٣ ، ص٤١٤ ، ص٤٤٢ ، ص٤٤٨ ، ص٤٥٧) .

٢- الكشف والبيان ، لأبي إسحاق الثعلبي . (انظر : ص٥٤١-٥٥٩) .

٣- الفوائد ، لأبي القاسم تمام بن محمد . (انظر : ص٥١٤) .

٤- المقام المحمود ، لأبي بكر المروذي . (انظر : ص٥١٨) .

٥- الوفا بأحوال المصطفى، لأبي الفرج ابن الجوزي . (انظر : ص٥٠٢ ، ص٥٠٩ ، ص٥١٥) .

٦- شفاء السول في أعلام نبوة الرسول وخصائصه ، لابن سبع . (انظر : ص٥٨٠ ، ص٥٨٦) .

٧- عيون الحكايات لابن الجوزي . (انظر : ص٤٨٧) .

٨- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبدالبر . (انظر : ص٤٤٩) .

٩- كتاب الشريعة ، للإمام أبي بكر الآجري . (انظر : ص٥٨٠) .

المطلب السابع : تقويم الكتاب :

إذا كان كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا محمد بن عبدالله ﷺ ، فإن المصنف مع إمامته وسعة علمه وطول باعه لم يخل كتابه هذا من بعض ما يخالف فيه الأولى مما قد يعرض لأي عالم أو باحث ، فلذا لا يأخذني الإعجاب بالمصنف رحمه الله فأثبت له كل حسن وأنفي عنه كل ما يخالف ذلك رغم قصر باعي وقلة اطلاعي ، وقديماً قيل :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

فمما خالف فيه الأولى ما يلي :

١- **ذكره لمسائل معتمدها أحاديث موضوعة** : وهو وإن كان قد نبه في آخر الكتاب على منهجه في ذكر الأحاديث الضعيفة بقوله : "كلما في هذا الكتاب من حديث فيه ضعف أو وهن فالعمدة إنما هي على ما ثبت من جنسه من آيةٍ أو خبر ، وإنما ذكرناه لما عساه يكون فيه من فائدة إما توضيح معنى أو زيادة بيان كما يذكره أهل الحديث من الشواهد والمتابَعات ، أو كما يقول الفقهاء في مثله : هذا سند الدليل" ، إلا أن هذه الأغراض التي ذكرها لا تدخل في الأحاديث المكذوبة على النبي ﷺ ؛ ومن أمثلة هذه المسائل: تولد النور من عرقه ﷺ[1] ، وكسوة نور وجه النبي ﷺ من نور العرش[2]، وأن النبي ﷺ لا ظل له[3]؛ وهي قليلة -والحمد لله- موازنة بين مجمل مسائل الكتاب؛ إضافة إلى أن ذكر الأحاديث الموضوعة لم تكن منهجاً للسرمري في الكتاب، يدل على ذلك تعليقه على حديث قتال علي بن أبي طالب ﷺ للجنّ بقوله: "وإن صح حديث قتال علي بن أبي طالب ﷺ للجنّ في بئر ذات العلم كان غاية في هذا

---

(١) انظر : ص٤٧٨ .

(٢) انظر : ص٤٧٨ .

(٣) انظر : ص٤٧٧ .

الموضع، وقد رواه من الحفاظ أبو الفضل ابن ناصر شيخ ابن الجوزي ولكن ردّه غيره وقالوا الحديث فيه موضوع فالله أعلم"[1] ، ويدل عليه أيضاً نقده لكتاب الخصائص لابن سبع بقوله: " وفي الحديث طُولٌ ذكَره أبو الربيع سليمان بن سبع السبتي في كتاب الخصائص له والله أعلم بحال هذا الحديث ، وفي كتابه هذا أحاديث فيها ما فيها"[2].

٢- **إكثاره من رواية الأحاديث بالمعنى** : هذا وإن كان جائزاً من عالمٍ وعارف بما يحيل من المعاني كالسرمري رحمه الله ، إلا أنه لا خلاف بين أهل العلم أن رواية الحديث بلفظه المسموع منه ﷺ هو الأصل الذي ينبغي لكل راوٍ وناقل أن يلتزمه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

٣- **وقوع بعض الأوهام في الكتاب**: وهي قليلة –والحمد لله- ، فمن ذلك ما ذكره في قصة العلاء بن الحضرمي وأن الراوي لها (منجاب)، والصواب أن الراوي لها هو ابنه (سهم بن منجاب)؛ ومن ذلك أيضاً: ما ذكره في قصة فتح كسرى وأنه صاحب الأقباض هو (قيس بن سعد ﷺ)، والصواب أنه (عامر بن عبدقيس – التابعي-).

ولكن مع هذا ففي الكتاب إضافة علمية كبيرة ، فهو فريد في بابه كما تقدم ، كما قد جمع فيه فضائل للنبي ﷺ كثيرة من معجزاته وما آتاه الله تعالى من الكرامات والمزايا الكريمة والعطايا العظيمة ما لم تجمع في غيره ؛ بل الكتاب فيه فوائد مستنبطة من السرمري نفسه لا توجد في غيره ، وقد سبق بيانها في أهمية الكتاب وقيمته العليمة .

---

(١)[ق٤٣/ظ] .

(٢)[ق٨٦/ظ]

المبحث الثاني
التعريف بالخصائص والمناقب والمعجزات

المطلب الأول : التعريف بالخصائص :

الخصائص لغة : قال صاحب القاموس : خصه بالشيء خصاً وخصوصاً وخصوصية : فضّله[1] .

وقال ابن منظور : خصّه بالشيء يَخُصّه خَصّاً وخُصوصاً وخَصوصيّة وخُصوصيّة والفتح أفصح : أفرده به دون غيره[2] .

وفي المعجم الوسيط : "الخصيصة : الصفة التي تميز الشيء وتحدده ، والجمع : خصائص"[3] .

فمن التعريفات اللغوية السابقة يُستنتج أن معنى الخَصِيْصة يدور على الآتي :

١-الفضل ٢- الانفراد ٣-التميز .

الخصائص اصطلاحاً : هي الفضائل والأمور التي انفرد بها النبي ﷺ وامتاز بها إما عن إخوانه الأنبياء وإما عن سائر البشر[4] .

المطلب الثاني : التعريف بالمناقب :

المناقب لغة : قال ابن فارس : "النون والقاف والباء أصل صحيح يدل على فتح في

---

(١) انظر : القاموس المحيط ص٦١٧ .

(٢) لسان العرب (٧/٢٤) .

(٣) المعجم الوسيط (١/٢٣٨) .

(٤) خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء ص١٦ ، الصادق بن محمد بن إبراهيم ، الطبعة الأولى ١٤٢٦ ، دار المنهاج ، الرياض .

شيء ... والمنقبة : الفعلة الكريمة ، وقياسها صحيح ، لأنها شيء حسن قد شُهر ، كأنه نُقِّب عنه"[1] .

وقال الزبيدي : المنقبة : المفخرة ، وهي ضد المثلبة ، وفي اللسان : كرم الفعل ، وجمعها المناقب ، يقال : في فلان مناقب جميلة : أي أخلاق حسنة[2] .

أما تعريفها في الاصطلاح : هي المفاخر التي اشترك في جنسها النبي ﷺ مع إخوانه من الأنبياء عليهم السلام .

وقد أشار الإمام جمال الدين السرمري إلى هذا المعنى في مقدمته فقال :

"اعلم أن التفضيل إنما يكون إذا ثبت للفاضل من الخصائص ما لايوجد للمفضول مثلُه ، فإذا استويا في أسباب الفضل وانفرد أحدهما بخصائص لم يَشْرَكْه فيها الآخر كان أفضل منه ، وأمَّا ماكان مشتركاً بين الرجل وغيره من المحاسن فتلك مناقب وفضائل ومآثر لكن لاتُوجب تفضيله على غيره إذا كانت مشتركة ليست من خصائصه ، وإذا اتَّحدت الفضيلتان فكانتا من جنسٍ واحد لكن كانت إحداهما أكمل من الأخرى وأعظم أو أعجب أو أبلغ فلا ريب أنَّ صاحب ذلك أفضل في ذلك"[3] .

المطلب الثاني : التعريف بالمعجزات :

المعجزة لغة : أصلها من (عجز) ، قال ابن فارس : "العين والجيم والزاء أصلان صحيحان ، يدل أحدهما على الضعف ، والآخر على مؤخر الشيء ؛ فالأول عجز عن الشيء يعجز عجزاً فهو عاجز : أي ضعيف ... ويقال : أعجزني فلان ، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه"[4] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/٤٦٦) .

(٢) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس (٤/٣٠١) .

(٣) [ق٤/و] .

(٤) معجم مقاييس اللغة (٤/٢٣٢) .

وقال الفيروزآبادي : "العَجْز والمعْجِز والمعْجِزَة وتفتح جيمهما والعَجَزان محركة والعُجُوزُ بالضم : الضعف ... ومعجزة النبي : ما أعجز به الخصم عند التحدي والهاء للمبالغة"[1] .

أما تعريفها في الاصطلاح : قال الباحث: "آية الله الخارقة الدالة على النبوة الصادقة" .

وعلى هذا التعريف تدخل حتى خوارق الأولياء في المعجزة ، لكونها تدل على نبوة من اتبعه الولي ، وعلى هذا جرى الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد وغيره[2] ، وهو ما صرح به الإمام جمال الدين السرمري بقوله : "كل كرامة لوليّ من أمّة من الأمم هي مضافة إلى معجزاتِ مَتبوعِهِ من الأنبياء كما أشرنا إليه ، فإن الكرامات لا تحصل إلا بمتابعة الرسل صلى الله عليهم وسلم ، وتصديقهم ، والتزام طريقتهم"[3] .

---

(١) القاموس المحيط ص٥١٥-٥١٦ .

(٢) مجموع الفتاوى (١١/٣١١-٣١٢) .

(٣) [ق٥٩/ظ] .

المبحث الثالث

وصف النسخ الخطية

يوجد للكتاب ثلاث نسخ خطية :

النسخة الأولى :

وهي نسخة أصلية توجد في المكتبة الظاهرية برقم [٩٤٥٢] وعنها نسخة مصورة في مركز الملك فيصل برقم [٢٤٢٨٤] وأخرى في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث برقم [٢٣٨٨٩٢] وأخرى في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم [١٠٥٦] ، وقد رمزت لها بالحرف "أ" .

- تحوي ٩٢ لوحة ، في كل لوحة ١٩ سطراً ، متوسط مافي كل سطر ١٦ كلمة .
- النسخة قديمة وقيمة .
- فيها آثار رطوبة رممت أطراف أوراقها الأولى .
- خرم أسفل الورقة ٢٩ .
- مكتوبة بخط واضح .
- تأريخ نسخها : في جمادى الأولى سنة ٧٧٠ في حياة المؤلف .
- منسوخة عن أصل المصنف .
- جاء في نهاية الكتاب ما يلي : "يسّر الله تعالى كَتْب هذا الكتاب الشريف من أصل المصنّف الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد المفيد جمع الله تعالى له ولأولاده وأهل بيته سعادات الدور الثلاثة دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار ورضي عنه وعن والديه . آمين ، بيد العبد المستعيذ بعفو الله الكريم من عقابه محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله أعاذهم الله تعالى من عذاب القبر وعذاب النار . آمين ، في شهر جمادى الأولى من سنة سبعين وسبعمائة بدمشق المحروسة ، والحمد لله المنعم المتفضّل الذي بنعمته تتم الصالحات وأفضل الصلوات والسلام

وأكمل الرحمة والبركات على محمّد المصطفى المبعوث بأعظم المعجزات المنعوت بأكرم صفات البريات الذي شهدت بصدق دعوته العجماوات والجمادات ربّ اجعل أهواءنا تابعة لما جاء به رسولك محمّد سيد ولد آدم أطهر أطهار العالم صلى الله عليه وبارك وسلم والحمد لله رب العالمين" .

-كتب جمال الدين السرمري بخطه في آخرها ما يلي : "السماع والإجازة صحيحان ، وكتب يوسف السرمري المصنف عفا الله عنه" .

سماع النسخة "أ" :

"الحمد لله

قرأت هذا الكتاب الشريف الذي هو بالحقيقة بحار فوائد على مؤلّفه شيخنا الإمام العالم العامل الزّاهد المفيد العلامة المحقق أحد دعاة السنة النقية البيضاء جامع أنواع من المعالي والفضائل والكمالات الفائقة ذي التصنيفات الشريفة النافعة باسط بساط الإفادة جمال الدين يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد بن علي السرّمرّي جزاه الله تعالى خيراً ورضي عنه وعن والديه ولا حرمنا من بركات أنفاسه الشريفة آمين في مجالس آخرها يوم الخميس العاشر من جمادى الأولى سنة سبعين وسبعمائة الهلاليّة وسمع الشيخ عماد الدين على بن إبراهيم بن علي بن عثمان المشهدي الفستجاني بقراءتي من أول الكتاب إلى قوله : (فصل وأما دواد عليه السلام) ثم سمع من قوله : (فصل ومن خصائصه الكبار ما قدمنا الإشارة إليه في ليلة الإسراء ...) إلى آخر الكتاب ؛ وسمع الفاضل شمس الدين محمد بن نور النيرين أبي بكر بن محمد بن علي المهرجاني البيابانكي الهروي من قوله : (وأما يوسف الصديق الكريم عليه السلام الموصوف بالحسن والجمال والعلم والعقل والأفضال ...) إلى آخر الكتاب ، وأجاز المؤلف المذكور مد الله تعالى ظلال بركاته للقارئ المذكور والسامعين رواية ماله روايته بشرطه المعتبر عند أهل الحديث والحمد لله وحده وصلّى الله وسلم وبارك على محمد المصطفى الأعظم الرسول الأحلم الأكرم النبيّ الأعلم سيّد ولد آدم أطهر أطهار العالم ؛ والقراءة المذكورة بمنزل المسمع بمدرسة شرف الإسلام بدمشق المحروسة وهذا خطّ المشّرف بقراءة الكتاب المستعيذ بعفو الله تعالى من عقابه محمد بن

عبدالله بن محمد بن عبدالله الإيجي غفر الله تعالى لهم ولمن استغفر لهم مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنباً . آمين ."

ثم كتب جمالُ الدين السرمري بخطه بعد السماع :

"السماع والإجازة صحيحان وكتبَ يوسُف السُرمري المصنف عفا الله عنه" .

النسخة الثانية :

وهي نسخة توجد في مكتبة آستان قدس رضوي المركزية بمشهد الإيرانية برقم [٢٠٠٩] وعنها نسخة في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث برقم [٣١٠٤٣٣] ، وقد رمزت لها بالحرف "ب" .

- تحوي ٧٥ لوحة ، في كل لوحة ٢٧ سطراً ، متوسط مافي كل سطر ١٣ كلمة .
- تأريخ نسخها : في منتصف صفر سنة ٨٩١ .
- منسوخة عن منتسخ أصل المصنف .
- جاء في نهاية الكتاب ما يلي : "يسّر الله تعالى كَتْب هذا الكتاب الشريف من منتسخ أصل المصنفِ الشيخِ الإمام العالم العامل الزاهد المفيد جمع الله تعالى له ولأولاده ولأهل بيته سعادات الدورِ الثلاثة دارِ الدنيا ودار البروج ودار القرار ورضي عنه وعن والديه آمين بيد الفقير المستعيذ بعفو الله الكريم العليّ موسى بن هارون بن موسى العمري الجيابي أعاذهم الله تعالى من عذاب القبر وعذاب النار . آمين ، في منتصف شهر صفر من سنة إحدى وتسعين وثمانمائة الهجرية المصطفوية والحمد لله المنعم المتفضّل الذي بنعمته تتم الصالحات وأفضل الصلاة والسلام وأكمل الرحمة والبركات على محمد المصطفى المبعوث بأعظم المعجزات المنعوت بأكرم صفات البريات الذي شهدَتْ بصدق دعوته العجماوات والجمادات رب اجعل أهواءنا تابعة لما جاء به رسولك محمدٌ سيد ولد آدم أظهَرُ أطهار العالَم صلى الله عليه وبارك وسلّم والحمد لله رب العالمين . تمت" .

النسخة الثالثة :

وهي نسخة توجد في مكتبة برلين برقم [oct.١٤٤٤] ، وقد ذكرها بروكلمان في (تاريخ الأدب العربي)[1] .

وقد حاولت جاهداً الحصول على هذه النسخة ، فراسلت ابتداءاً مكتبة برلين عن طريق مركز الملك فيصل فأجابوا بخطاب اعتذار عن التصوير ، وعللوا اعتذارهم بأن (حالة المخطوطة الصحية لا يسمح بتصويرها) ، ثم راسلتهم مرة ثانية أسألهم فيها : هل يمكنني رؤية المخطوطة فقط وليس تصويرها عند قدومي برلين ؟ ، لكن لم أجد إجابة ، فكررت المراسلة مرات عدة ولم أجد إجابة ، فلم أجد بدًا غير السفر إلى برلين علّي أن أجد إجابة سؤالي الملح : هل نسخة برلين صورة عن إحدى النسختين السابقتين أم نسخة ثالثة ؟

فلما قدمت إلى المكتبة أوضح لي العاملون في قسم المخطوطات في مكتبة برلين أن حالة الكتاب لا يمكن معه التصوير ، فأوراقه معتفسة جداً ، فطلبت منهم الرؤية فقط ، فأمهلوني ريثما يأت الموظف المختص بالمخطوطات العربية ، فطلبت منهم وصف هذه النسخة الموجود في فهرس المكتبة ، فأعطوني وصفها من الفهرس الموجود في حاسب المكتبة ، ولم يكن فيه أي معلومة جديدة سوى أن عدد أوراقها (٧٢) ، ثم لما حضر بعد أيام الموظف المختص بالمخطوطات العربية وهو (Christoph Rauch) اعتذر عن السماح بالرؤية ولم يوضح لي سبب اعتذاره عن الرؤية ، فطلبت منه وصف هذه النسخة ، فدخل وأحضر لي فهرساً مخطوطاً خاصاً بالمكتبة وفيه وصف النسخة ، قد كُتب فيه : اسمها (الخصائص والمفاخر لمعرفة الأوائل والأواخر) ، واسم المؤلف (جمال الدين السرمري) ، ووفاته (٧٣٦)[2] ، وأن النسخة (كُتبت في حياة المؤلف) ، وأن عدد أوراقها (١٣٤) ، وأن بروكلمان ترجم له في تاريخ الأدب العربي ص٢٠٤[3] .

---

(١) تاريخ الأدب العربي (٢١/٧) .

(٢) نقلوا هذا الخطأ في تأريخ الوفاة عن بروكلمان في (تاريخ الأدب العربي) ، كما سيأتي في نهاية الوصف .

(٣) هذه رقم الصفحة لتاريخ الأدب العربي بالنسخة الألمانية .

وقد مكثت في برلين ما يقارب الخمسة عشر يوماً[1] ، أتردد فيها على المكتبة محاولاً الإذن برؤية المخطوطة ، لكن كل محاولاتي قوبلت بالرفض القاطع من مدير المكتبة والموظف المختص بالمخطوطات العربية .

(١) لأني كنت أمنّي النفس أن الممتنع هو التصوير فقط وأنهم سيأذنوا لي بالاطلاع على المخطوط ، فأقابل النسخة في المكتبة ، وهو متيسر خاصة أني كنت قد أنهيت مقابلة النسختين .

Orientabteilung

Staatsbibliothek
zu Berlin

350

Staatsbibliothek zu Berlin · Preußischer Kulturbesitz · [illegible] · 10772 Berlin

King Faisal Center for
Research and Islamic Studies
Attn.: Mr. Yahya Mahmoud Ibn Junaid
P. O. Box 5 10 49
RIYADH
SAUDI ARABIEN 11543

ORIENTABTEILUNG
Sekretariat

Haus Potsdamer Straße 33, 10785 Berlin
Telefon: +49 (0)30 266 43 58 01
Telefax: +49 (0)30 266 33 58 01
orientabt@sbb.spk-berlin.de

www.staatsbibliothek-berlin.de

Berlin, 2011-07-21

Your ref.no.
821 / date 26/6/2011

our ref.no.
#387 / km

Your microfilm / photocopy order (1444 Oct) for Mr. Khalid Mansor Al-Mufinq

Dear Sir,

unfortunately the manuscript "Ms.or.oct.1444" requested by you is in such a bad condition that a reproduction is not possible at all, neither microfilm nor photocopy nor digital scans.

We are sorry to be unable to help you in this case.

Yours sincerely,

Kristina Münchow
- for the Director -

Stiftung Preußischer Kulturbesitz

خطاب الاعتذار من مكتبة برلين والمرسل إلى الباحث عن طريق مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، وفيه مكتوب : (حالة المخطوطة الصحية لا يسمح بتصويرها) .

Print out of signatureMs. or. oct. 1444 Page 1

Ms. or. oct. 1444

Common data

Classmark	
↳ current	Ms. or. oct. 1444
↳ alternate	017863
Dataset type	Einzelhandschrift
Reproduction	de Kind: Fiche Remarks: Hs or sim 00000 / Fiches 0
Author of record	de Datenübernahme SBB
Location	Staatsbibliothek zu Berlin - Preußischer Kulturbesitz
State	In Arbeit
MyCoRe ID	SBBMSBook_islamhs_00017863
Created at	2008-04-30
Last changed	2012-06-13T05:01:03.855Z

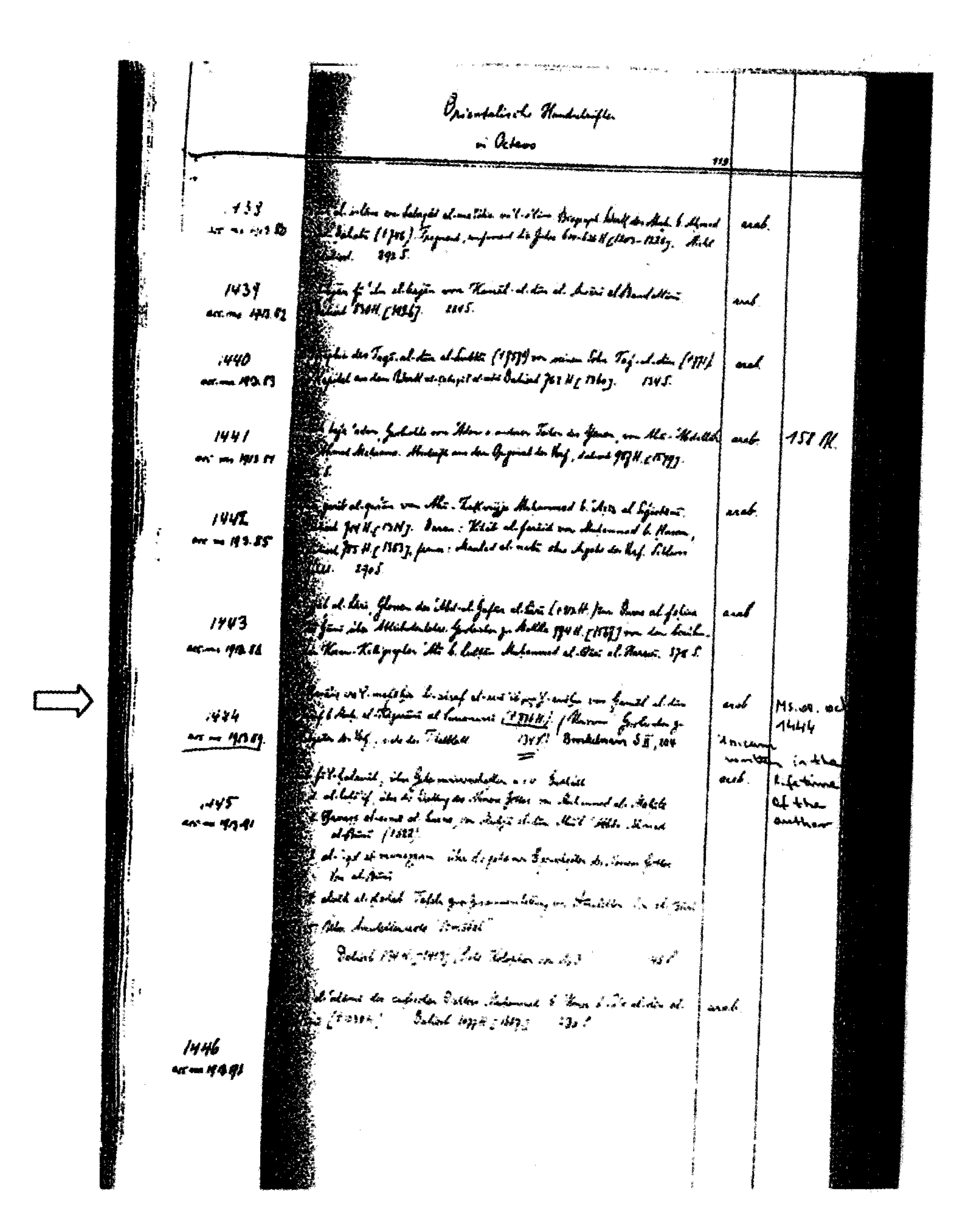
Content and history of the book

Language	Arabisch
Alphabet	Arabisch
Region	Islamische Welt / MENA-Region
Completeness	unbestimmbar
Subject matter	unbekannt

Physical description

Number of volumes	de 1
Writing material	
↳ Material	unbekannt
↳ Colour	unbekannt
Number of folios	de 72
Catchwords	unbekannt
Script	
↳ Style	unbestimmbar
↳ Ink	unbekannt

بيانات النسخة من الفهرس الموجود في مكتبة برلين ، وفيه : أن عدد صفحاتها (٧٢) .


Orientalische Handschriften in Octavo

1438

1439

1440

1441 — arab. — 157 Bl.

1442 — arab.

1443 — arab.

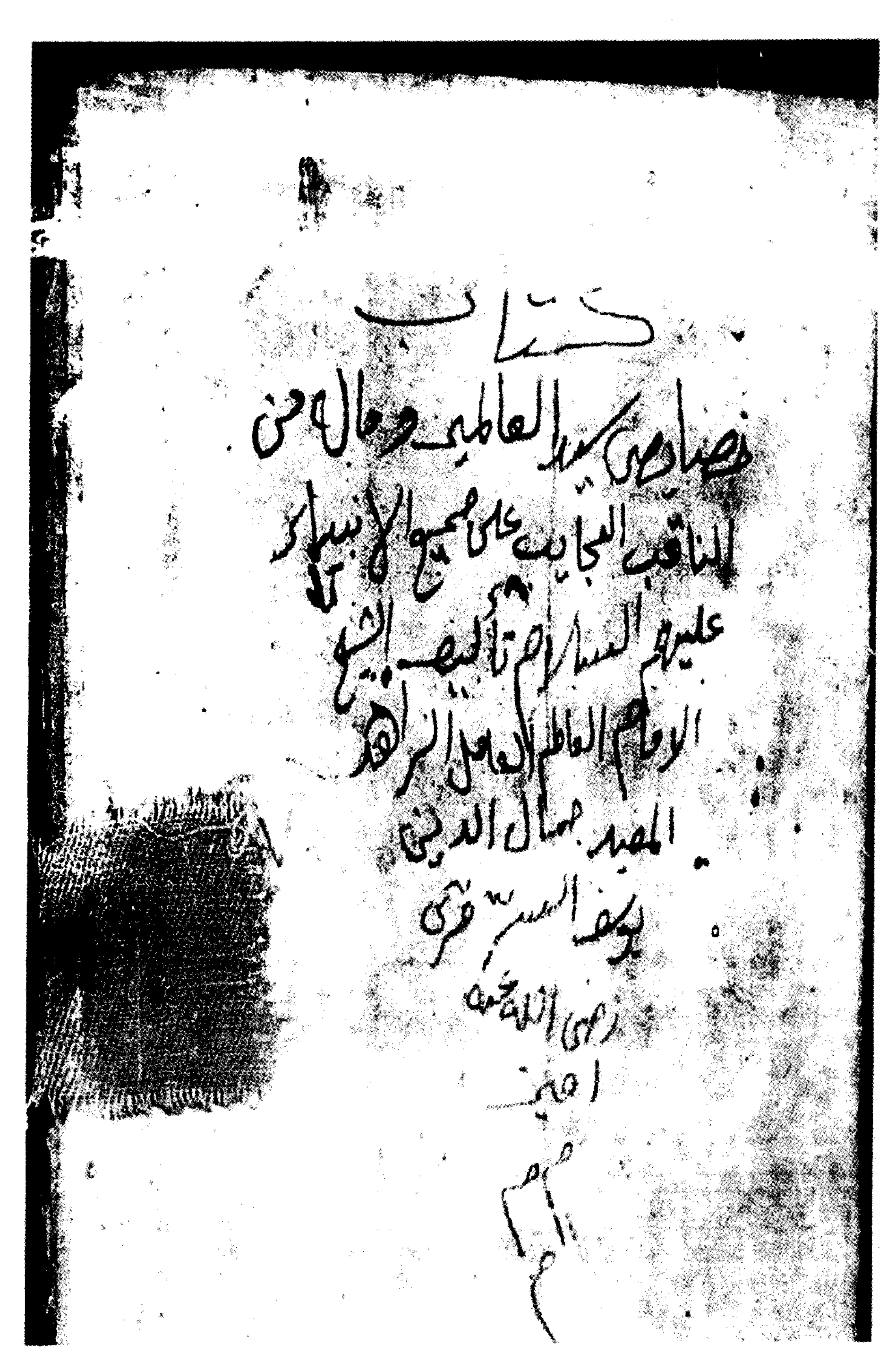
1444 — arab. — Brockelmann S II, 204 — Ms. or. oct. 1444 — Ancient written in the lifetime of the author

1445 — arab.

1446

بيانات النسخة من الفهرس المخطوط الخاص بمكتبة برلين، وفيه من اليسار: رقم المخطوط بالمكتبة (١٤٤٤) ، الخصائص والمفاخر لمعرفة الأوائل والأواخر ، جمال الدين السرمري ، (توفي سنة ٧٣٦هـ) ، المخطوط مكتوب في حياة مؤلفه ، عدد صفحاته ١٣٤ ، ذكره بروكلمان في كتابه ص٢٠٤ .

نماذج من النسختين الخطية



كتاب

خصائص سيد العالمين وما له من

المناقب العجائب على جميع الأنبياء

عليهم السلام تأليف الشيخ

الإمام العالم الأوحد الزاهد

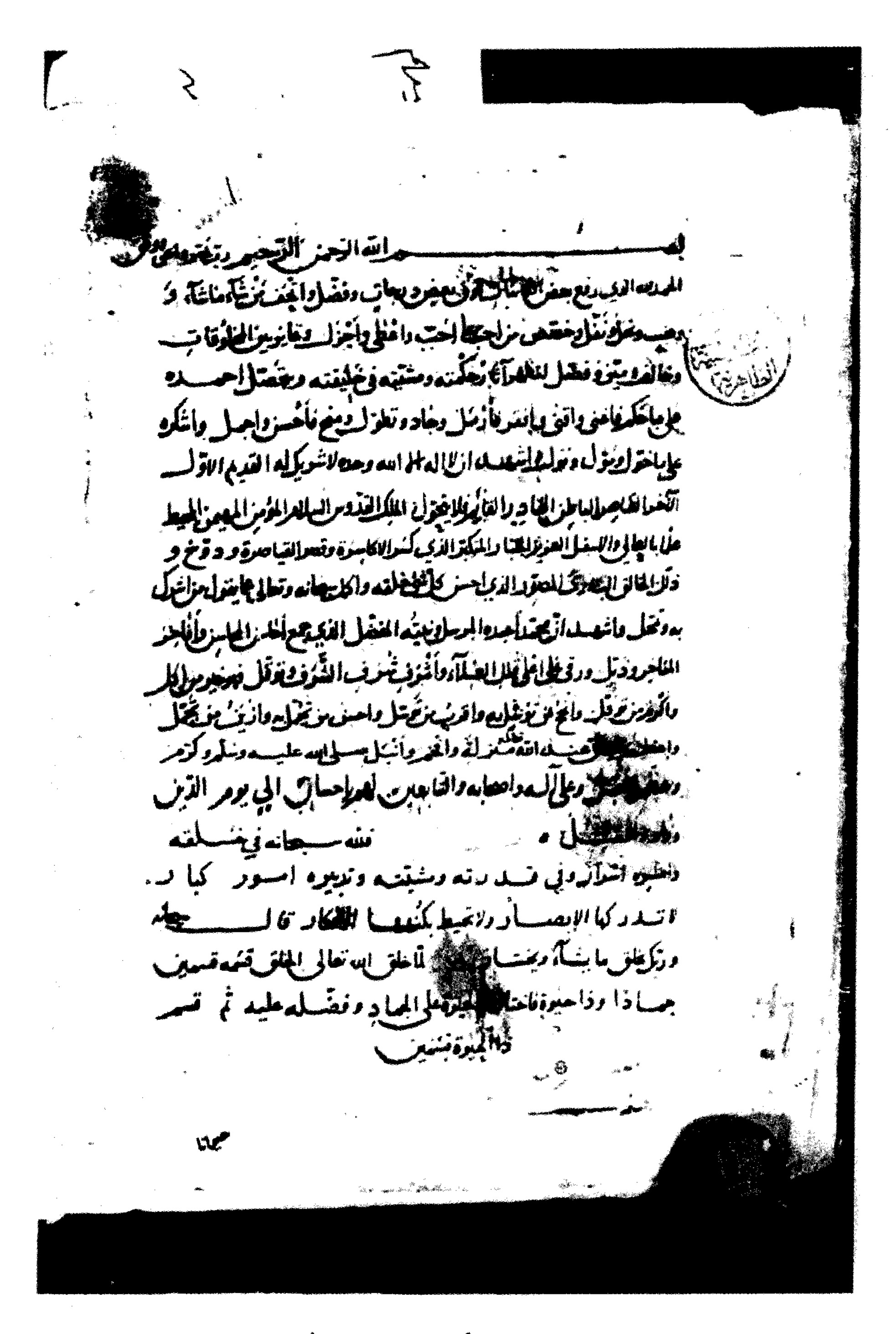
المفيد جمال الدين

يوسف [illegible]

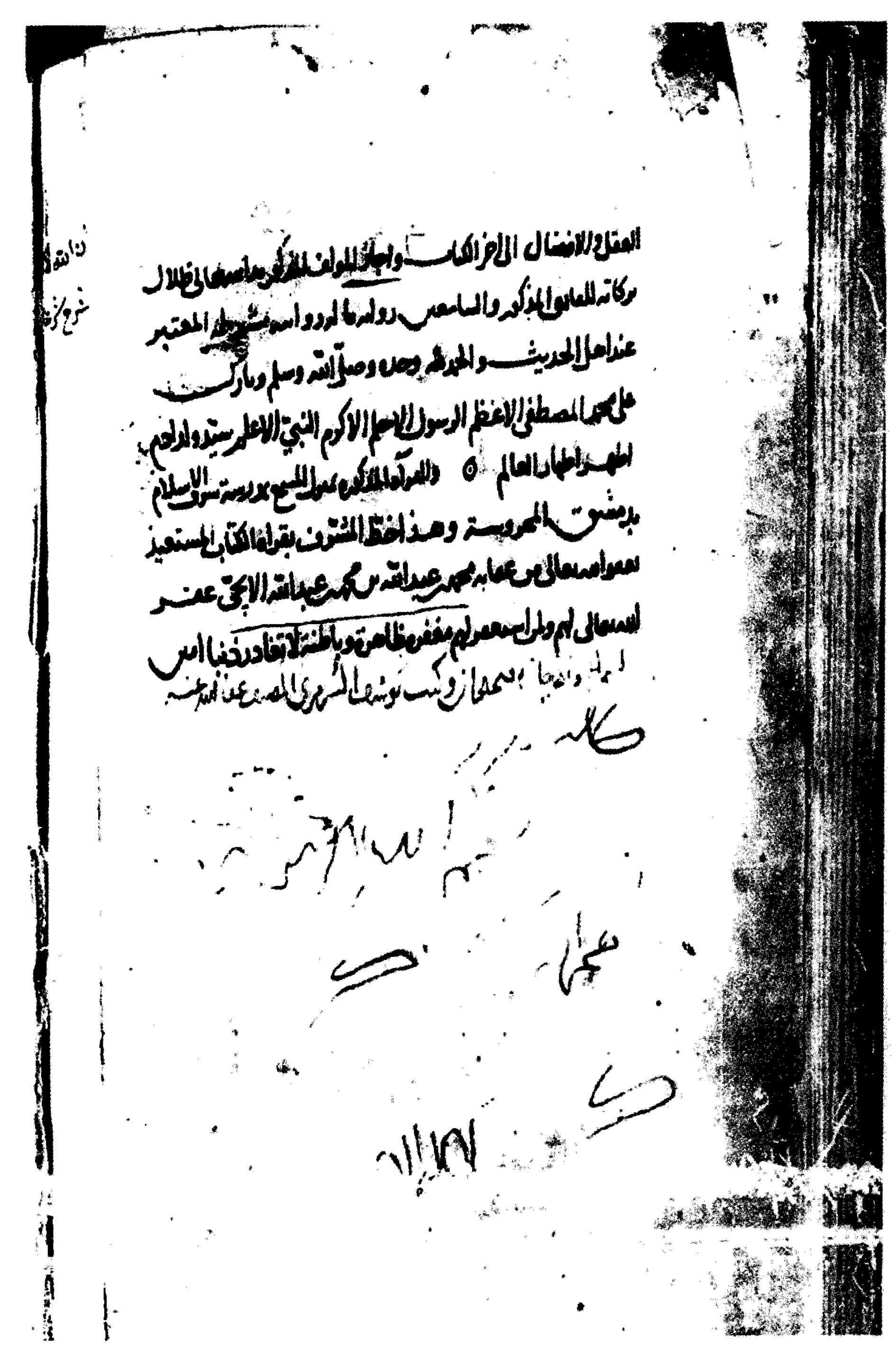
رضي الله عنه

آمين

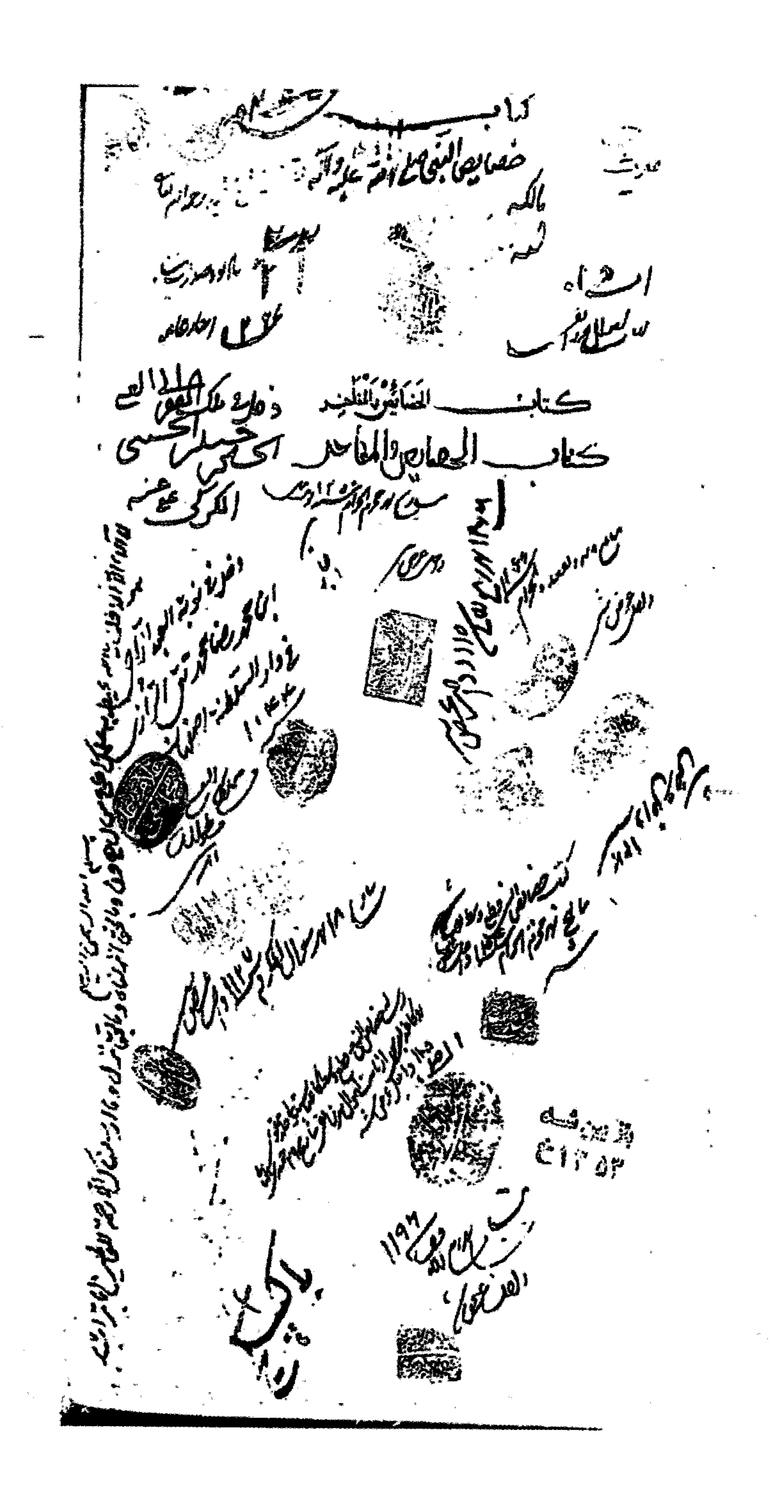
صورة صفحة العنوان من النسخة "أ"



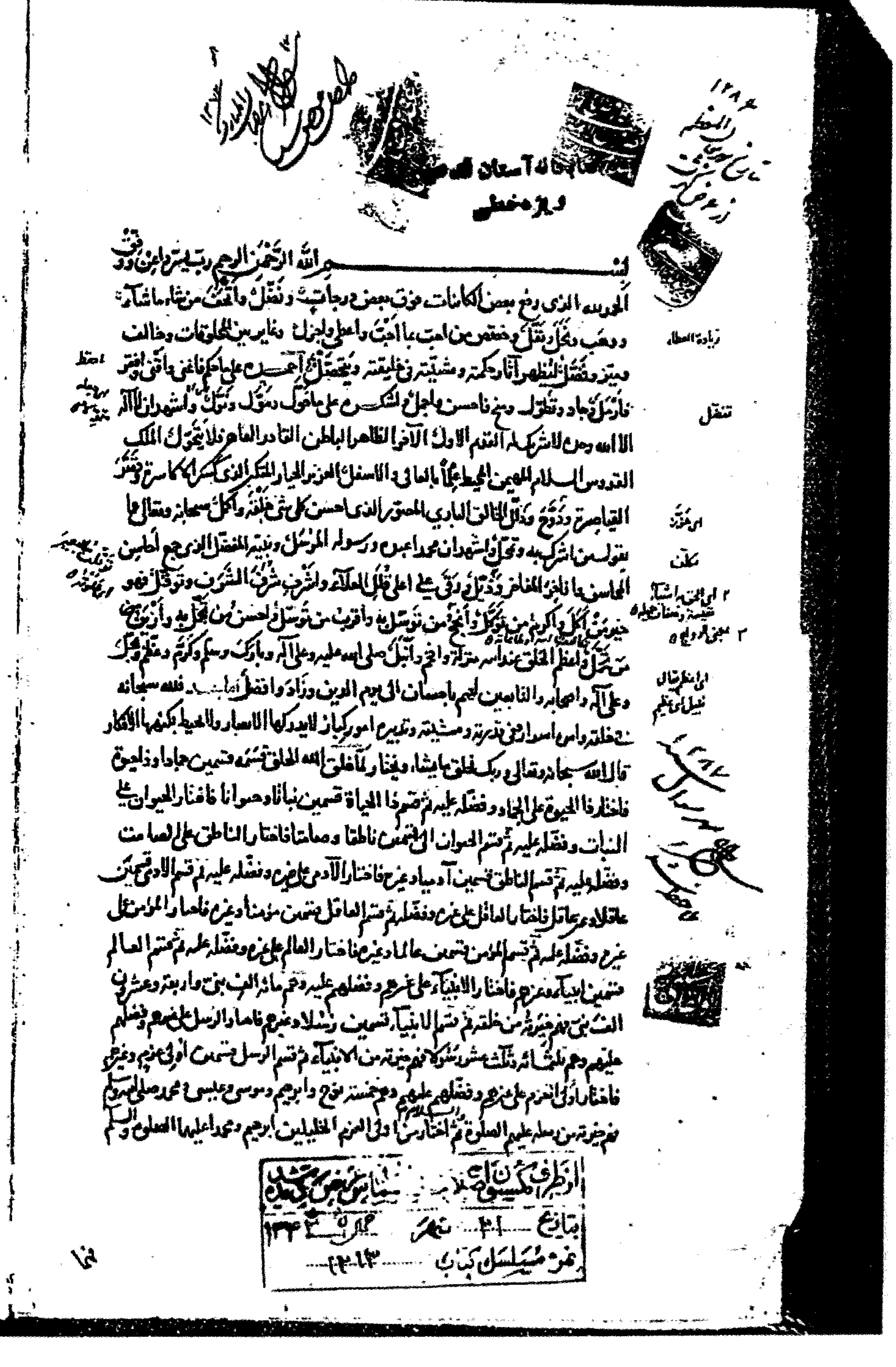
صورة الصفحة الأولى من النسخة "أ"


العقل والانصاف الى آخر الكتاب واجاز للمؤلف المذكور ما سمعه اطال الله
بركاته للقارئ المذكور والسامعين روايته ما يرويه [illegible] المعتبر
عند اهل الحديث والحمد لله وحده وصلى الله وسلم وبارك
على محمد المصطفى الاعظم الرسول [illegible] الاكرم النبي الاعلى سيد ولد آدم
الطاهر المطهر العالم ٥ والقراءة المذكورة بمحل السماع بمدرسة شرف الاسلام
بدمشق المحروسة وهذا خط المشرف بقراءة الكتاب المستعيذ
بعفو الله تعالى من عقابه محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله الايجي عفى
الله تعالى عنه ولمن اسمعه ولهم مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا ابدا
[illegible] وكتب يوسف [illegible]

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة "أ"



صورة صفحة العنوان من النسخة "ب"



صورة الصفحة الأولى من النسخة "ب"

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة "ب"

تحقيق كتاب
"خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام"

بسم الله الرحمن الرحيم ، رب يسر وأعن ووفق .

الحمد لله الذي رفع بعض الكائنات فوق بعض درجات وفَضّل ، وأتْحَف مَن شاء ما شاء و وهب ونحَل ونفَّل[1] ، وخصّص من أحب بما أحب وأعطى وأجزل ، وغاير بين المخلوقات وخالف وميَّز وفَضَّل ، لتظهر آثار حكمته ومشيئته في خليقته ويتحصَّل[2] ، أحمده على ماحكم فأغنى وأقنى وأفقر فأرمل[3] ، وجاد وتطوَّل[4] ، ومنح فأحسن وأجمل ، وأشكره على ماخوَّل[5] ومَوَّل[6] ونوَّل[7] ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له القديم الأوَّل ، الآخر الظاهِر الباطِن القادر القائم[8] فلا يتحوَّل ، الملك القدُّوس السلام (المؤمِن)[9] المهيمن المحيط علماً بالعالي والأسفل ، العزيز الجبَّار المتكبر الذي كسَر الأكاسرة وقصر القياصرة ودوَّخ وذلَّل ، الخالق البارئ المصوِّر الذي أحسن كلَّ شيء خلقه وأكمل ، سبحانه وتعالى عما يقول من أشرك به وتمحَّل[10] ، وأشهد أن محمداً عبده المرسل ونبيُّه المفضَّل ، الذي جمع أحاسن المحاسِن وأفاخِر المفاخِر وذَيَّل ، ورقى على أعلى قُلَلِ العلاء وأَشْرفِ شُرَف الشَّرَف وتوقَّل[11] ، فهو خير من أكل وأكرم من توكَّل ، وأنجح من توسل به[12] وأقرب من تَوسَّل ، وأحسن من تُجمِّل به وأزين من

---

(١) نفل : قال ابن فارس : "النون والفاء واللام أصل صحيح يدل على عَطاء وإعطاء ... والنوفل : الرجل الكثير العطاء" . معجم مقاييس اللغة (٥/٤٥٥) .

(٢) يتحصل : أي يتبين ويثبت . انظر : لسان العرب (١١/١٥٣) ، مادة حصل .

(٣) أرمل : أي أنفد الزاد ، وصار المكان ذا رمل ، والمرأة مات زوجها . انظر : المعجم الوسيط (١/٣٧٤) .

(٤) تطول بمعنى : تفضل . المعجم الوسيط (٢/٥٧٢) .

(٥) خول : الخول ما أعطى الله سبحانه وتعالى من النعم . لسان العرب (١١/٢٣٤) ، مادة خول .

(٦) مول : "موله" قدم له ما يحتاج من مال . المعجم الوسيط (٢/٨٩٢) .

(٧) نول : قال ابن فارس : "النون والواو واللام أصل صحيح يدل على إعطاء" . معجم مقاييس اللغة (٥/٣٧٢) .

(٨) في ب "القاهر" .

(٩) " المؤمن " ليس في ب .

(١٠) تمحل : احتال ، ورجل مَحِل أي ذو كيد . انظر : المعجم الوسيط (٢/٨٥٦) ، لسان العرب (١١/٦١٦) .

(١١) توقل : صعد ، ويقال توقل في مصاعد الشرف . المعجم الوسيط (٢/١٠٥٢) .

(١٢) هذه من الألفاظ الموهمة، ولم تضبط بالشكل في النسختين، ولعل تشكيلها بفتح التاء "تَوسل" أي: النبي ﷺ، "به"

تَجمَّل[1] ، وأعظم الخلق عند الله تعالى منزلة وأفخم وأنبل ، صلى الله عليه وسلم وكرَّم وعظم وبجَّل ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وزاد وأفضل .

أما بعد : فلله سبحانه في خلقه وأمره أسرار ، وفي قدرته ومشيئته وتدبيره أمور كبار ، لاتدركها الأبصار ولاتحيط بكُنهها الأفكار ، قال [الله][2] سبحانه وتعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:من الآية ٦٨] .

لما خلق الله تعالى الخلق قسَمه قسمين : جماداً وذا حياة ، فاختار ذا الحياة على الجماد وفضَّله عليه ، ثم قسم [ق١/ظ] **ذا الحياة قسمين : حيواناً ونباتاً ، فاختار الحيوان على النبات وفضَّله عليه ، ثم قسم الحيوان [إلى][3] قسمين : ناطقاً وصامتاً ، فاختار النَّاطق على الصَّامت وفضَّله عليه ، ثم قسم الناطق قسمين : آدميّاً وغيره ، فاختار الآدميَّ على غيره وفضَّله عليه ، ثم قسم الآدمي قسمين : عاقلاً وغير عاقل ،**

أي: بالله ﷻ كما الضمير في قوله: "وأشهد أن محمداً عبده المرسل ونبيه المفضل"؛ وعلى تقدير تشكيلها بالضم "تُوسِّل به" لعل قصده بمحبته والاقتداء بسنته ﷺ التي هي من العمل الصالح، وإذا كان من القواعد المقررة في الشريعة إحسان الظن بالمسلمين، فكيف وهذا المسلم إمام من أئمة أهل السنة والجماعة؟! فإن إحسان الظن في حقة آكد، لاسيما وقد تقدم كلام له فيه اعتدال ومجانبة طرفي الغلوّ والجفاء، ومن ذلك: ما تقدم من كلامه في حكم الاحتفال بالمولد النبوي، وأن خلاف السلف في تأريخ ميلاده من أي شهر وفيما مضى منه يدل على أنهم لم يكونوا يجعلون ذلك موسماً للاجتماع والولائم والاحتفال في صُنع الأطعمة والأشربة والسماعات إذ السلف كانوا أعظم الناس توقيراً ومحبة وتعظيماً للنبي ﷺ وأحرص الخلق على نشر محاسنه فلو كان يوم مولده عندهم موسماً لتوفّرت هِمَمُهم على حفظه ولم يكن عندهم ولا عند غيرهم فيه خلافٌ؛ كما تقدم أيضاً: رده على تقي الدين السبكي في مسألة شد الرحال بقصد زيارة قبر النبي ﷺ دون الصلاة في مسجده؛ كما تقدم أيضاً: في مخطوطته (منامات رؤيت لشيخ الإسلام ابن تيمية) الإنكار على بعض الفقراء التوسل بغير الله من المخلوقين؛ والأصل أن نحمل كلام الأئمة على أحسن الوجوه ما وجدنا لذلك محملاً، متبعين في ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر:من الآية١٠] وحمل كلامهم على أحسن المحامل داخل في الاستغفار لهم، والله أعلم.

(١) في ب "تحمل" بالحاء المهملة ، وفي الهامش "تكاليف الله وطاعاته" .

(٢) لفظ "الله" زيادة من ب .

(٣) "إلى" زيادة من ب .

فاختار العاقل على غيره وفضّله عليه ، ثم قسم العاقل قسمين : مؤمناً وغيره ، فاختار المؤمن على غيره وفضّله عليه ، ثم قسم المؤمن قسمين : عالماً وغيره ، فاختار العالم على غيره وفضّله عليه ، ثم قسم العالم قسمين : أنبياء وغيرهم ، فاختار الأنبياء على غيرهم وفضّلهم عليهم[1] ، وهم مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي[2] ، فهم خيرته من خلقه ، ثم قسم الأنبياء قسمين : رسُلاً وغيرهم ، فاختار الرسل على غيرهم وفضّلهم عليهم ، وهم ثلاثمائة وثلاثة[3] عشر رسولاً ، فهم خيرته من الأنبياء ، ثم قسم الرسل قسمين : أولي عزم وغيرهم ، فاختار أولى العزم على غيرهم وفضّلهم عليهم وهم خمسة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم ، فهم خيرته من رسله عليهم الصلاة والسلام ، ثم اختار من أولي العزم [الخليلين][4] إبراهيم ومحمّداً صلى الله عليهما وسلم ، فهما خيرته من أولي العزم من الرسل ، ثم اختار منهما [الحبيب][5] محمداً ﷺ[6] ، فهو المختار المصطفى من جميع الخلق ،كما أخبرنا الشيخ أبو عبدالله

---

(١) في ب "عليه" ، فالضمير فيه يعود إلى العالم .

(٢) ورد في عدة أحاديث تعداد الأنبياء والرسل ، ولكن الأحاديث في الباب لا تخلو من ضعف على كثرتها والأولى التوقف ، قال الشيخ ابن باز –رحمه الله– : "وجاء في حديث أبي ذر عند أبي حاتم بن حبان وغيره أنه سأل النبي ﷺ عن الرسل وعن الأنبياء فقال النبي ﷺ : «الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفا والرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر» وفي رواية أبي أمامة : «ثلاثمائة وخمسة عشر» ، ولكنهما حديثان ضعيفان عند أهل العلم ، ولهما شواهد ولكنها ضعيفة أيضاً ، كما ذكرنا آنفاً ، وفي بعضها أنه قال عليه الصلاة والسلام : «ألف نبي فأكثر» ، وفي بعضها «أن الأنبياء ثلاثة آلاف» ، وجميع الأحاديث في هذا الباب ضعيفة ، بل عد ابن الجوزي حديث أبي ذر من الموضوعات ؛ والمقصود أنه ليس في عدد الأنبياء والرسل خبر يعتمد عليه ، فلا يعلم عددهم إلا الله سبحانه وتعالى ، لكنهم جم غفير ، قص الله علينا أخبار بعضهم ولم يقص علينا أخبار البعض الآخر ، لحكمته البالغة جل وعلا" . مجموع فتاوى العلامة عبدالعزيز بن باز (٢/٦٦-٦٧) ، جمع وترتيب : محمد الشويعر ، موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء .

(٣) في ب "ثلاث" .

(٤) مابين المعقوفتين طمس في الأصل ، وما ذكرته من ب .

(٥) مابين المعقوفتين طمس في الأصل ، وما ذكرته من ب .

(٦) تفضيله لوصف المحبة على وصف الخلة فيه ضعف ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "وقول بعض الناس : إن محمداً حبيب الله ، وإبراهيم خليل الله ، وظنه أن المحبة فوق الخلة قول ضعيف ... وما يروى «أن العباس يُحشر بين حبيب وخليل» وأمثال ذلك فأحاديث موضوعة لا تصلح أن يعتمد عليها" . مجموع الفتاوى (١٠/٢٠٤) ؛ وقال ابن القيم –

محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الأنصاري[1] -بقراءتي عليه- قلت له: أخبرك جماعة من شيوخك؛ منهم: أبو العباس أحمد بن عبدالدائم بن نِعْمة المقدسي[2] وأبو محمد إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليُسْر التنُوخي[3] قراءةً عليهما وإلا فإذناً[4]، قالا: أخبرنا الإمام أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي إجازة، قال المقدسي وحده:

رحمه الله- : "وقد ظن بعض من لا علم عنده أن الحبيب أفضل من الخليل ، وقال محمد حبيب الله وإبراهيم خليل الله ، وهذا باطل من وجوه كثيرة : منها : إن الخلة خاصة والمحبة عامة ، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، وقال في عباده المؤمنين : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة:من الآية ٥٤] ، ومنها : أن النبي نفى أن يكون له من أهل الأرض خليل ، وأخبر أن أحب النساء إليه عائشة ، ومن الرجال أبوها ، ومنها : أنه قال «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً» ، ومنها : أنه قال : «لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام ومودته» . روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص٤٩ ، لابن القيم ، ١٤١٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(١) هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن سالم بن بركات بن سعد بن بركات بن سعد الانصاري الخزرجي العبادي -من ذرية عبادة بن الصامت ﷺ- أبو عبدالله ، المعروف بابن الخباز ، ولد سنة٦٦٧ ، بكر به أبوه فأحضره على أحمد بن عبدالدائم وغيره ،كان مسند الآفاق في زمانه ، روى عنه الأئمة والحفاظ كالذهبي ، وزين الدين العراقي ، وابن رجب ، وغيرهم ، وقد أُسمع عليه أيضاً إبراهيم بن جمال الدين السرمري -تقدم ذلك في ترجمة إبراهيم ، انظر : ص٤٨- ، وكان رجلاً صبوراً على الإسماع محباً للحديث وأهله ، توفي سنة ٧٥٦ .

انظر : المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (٣٨١/٢) ؛ ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد (٩٨/١) ، لمحمد بن أحمد الفاسي المكي ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، الطبعة الأولى ١٤١٠ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ؛ الدرر الكامنة (١١٩/٥-١٢٠) .

(٢) هو أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي ، أبو العباس ، زين الدين : نساخ ، من شيوخ الحنابلة ، عالم بالحديث ، ولد في نابلس سنة ٥٧٥ ، وانتقل إلى دمشق ، وتوفي بها ، له كتاب (مشيخة) ١٥ و (تاريخ) جمعه لنفسه ، وكان حسن الخط سريعاً فيه ، مكثراً من نسخ الكتب له وبالأجرة . لازم الكتابة أكثر من ٥٠ سنة ، وكان يكتب في اليوم إذا تفرغ تسعة كراريس ويقال إنه كتب بيده ألفي مجلدة ، منها تاريخ الشام لابن عساكر مرتين ، والمغني لموفق الدين مرات. وكف بصره في آخر عمره ، وتوفي سنة ٦٦٨ . انظر : الأعلام للزركلي (١٤٥/١) .

(٣) هو إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر ، مسند الشام تقي الدين شرف الفضلاء ، أبو محمد التنوخي المعري الأصل ، الدمشقي المولد ، ولد سنة ٥٨٩ ، وأجاز له جماعة وروى الكثير ، ومات سنة ٦٧٢ .

انظر : المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (٣٨٣/٢-٣٨٥) ، ليوسف بن تغري بردي الأتابكي ، تحقيق : د. محمد محمد أمين ، ١٩٨٤م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٤) إذناً : عبارة تدل على التحمل بالإجازة أو المناولة ، وهي بمعنى : فيما أذن له فيه .

انظر : منهج النقد في علوم الحديث ص٢٢٥ ، لنور الدين عتر ، الطبعة الثالثة ١٤١٨ ، دار الفكر ، دمشق .

إن لم يكن سماعاً قال: أخبرنا أحمد بن علي بن المُجْلِي[1] قال أخبرنا أبو الحسين بن المهتدي[2] قال أخبرنا عبيدالله بن أحمد الصَّيدلاني[3][4] قال أخبرنا الحسين بن إسماعيل المحاملي[5] قال حدثنا يوسف بن موسى[6] قال حدثنا عبيدالله[7] بن موسى[8]

---

(١) هو أبو السعود أحمد بن علي المجلي –بضم الميم وسكون الجيم وتخفيف اللام المكسورة– من شيوخ ابن الجوزي ، توفي سنة ٥٢٥ .

انظر : توضيح المشتبه (٥٩/٨) ، سير أعلام النبلاء (٥٨٤/١٩) .

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن عبيد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله ، أبو الحسين ، الخطيب القاضي الهاشمي المعروف بابن الغريق ، كان ثقة صالحاً ، حدث عنه جماعة منهم أبو السعود أحمد بن علي بن المجلي وغيره ، توفي مستهل ذي الحجة من سنة ٤٦٥ .

انظر : التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ص٩٤ ، لمحمد بن عبدالغني البغدادي ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، ١٤٠٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٣) في ب " الصيدلافي" ، وهو تصحيف .

(٤) هو أبو القاسم عبيدالله بن أحمد بن علي بن الحسين بن عبد الرحمن المقرئ المعروف بابن الصيدلاني ، من أهل بغداد ، كان شيخاً صالحاً ثقة مأموناً ، وكانت ولادته في رجب سنة سبع وقيل : سنة تسع وثلاثمائة ، ووفاته في رجب سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ببغداد .

انظر : الأنساب ، للإمام السمعاني (٥٧٤/٢) ، تعليق : عبدالله البارودي ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ ، دار جنان .

(٥) هو الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ، أبو عبدالله الضبي ، القاضي ، المحاملي ، البغدادي ، الحافظ ، ولد سنة ٢٣٥ ، سمع من يوسف بن موسى القطان ، وتوفي سنة ٣٣٠ .

انظر : أمالي المحاملي ص١٥-٢٩ ، تحقيق وتخريج : د. إبراهيم القيسي ، الطبعة الأولى ١٤١٢ ، دار ابن القيم ، الدمام .

(٦) هو يوسف بن موسى بن راشد بن بلال القطان ، أبو يعقوب الكوفي ، اشتهر بطلب الحديث والرحلة إليه في الآفاق ، حدث عن عبيد الله بن موسى وغيره ، وروى عنه أبو عبدالله المحاملي وغيره ، وكتب عنه ابن المعين : صدوق ، وذكره ابن حبان في الثقات ، ووثقه الخطيب البغدادي ، توفي سنة ٢٥٣ ببغداد ، وقيل غير ذلك .

انظر : تاريخ بغداد (٤٤٥/١٦) ، للخطيب البغدادي ، تحقيق : د. بشار عواد معروف ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ؛ تهذيب التهذيب (٣٧٤/١١) ، لابن حجر العسقلاني ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ ، دار الفكر .

(٧) في ب " عبدالله " ، وهو تصحيف .

(٨) هو عبيدالله بن موسى بن أبي المختار ، واسمه باذام العبسي مولاهم الكوفي ، أبو محمد الحافظ ، روى عن إسماعيل بن أبي خالد وغيره ، كان يروي أحاديث في التشيع منكرة ، توفي سنة ٢١٣ ، وقيل سنة ٢١٤ .

انظر : تهذيب التهذيب (٤٦/٧-٤٨) .

عن إسماعيل بن أبي خالد(١) عن يزيد بن أبي زياد(٢) عن عبدالله بن الحارث بن [ق٢/و] نوفل(٣) عن العباس بن عبدالمطلب ﷺ قال : قلت يا رسول الله إنّ قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم (فجعلوا)(٤) مَثَلك مَثل نخلة نَبَتتْ في كَبْوة(٥) من الأرض فقال رسول الله ﷺ : «إن الله ﷻ يوم خلق الخلق جعلني في خيرهم ثم حين فرَّقهم جعلني في خير الفريقين ، ثم حين جعل القبائل جعلني في خير قبيلة ، ثم حين جعل البيوت جعلني في خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً»(٦) ، وقد خلق الله تبارك وتعالى النفوس مختلفة ، فمنها الغاية في الجَودة والجوهريَّة ، ومنها المتوسط ومنها الكدر ، وجعل في

---

(١) هو إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي مولاهم ، كان أعلم الناس بالشعبي وأثبتهم فيه ، روى عنه عبيدالله بن موسى وغيره ، وأخرج له الجماعة ، توفي سنة ١٤٦ .

انظر : تهذيب التهذيب (١/٢٥٤-٢٥٥) .

(٢) هو يزيد بن أبي زياد القرشي الهاشمي ، أبو عبدالله مولاهم الكوفي ، روى عن عبدالله بن الحارث بن نوفل وغيره ، وروى عنه إسماعيل بن أبي خالد وغيره ، كان من شيعة الكوفة ، قال ابن حبان : كان صدوقاً إلا أنه لما كبر ساء حفظه وتغير وكان يلقن ما لقن فوقعت المناكير في حديثه ، توفي سنة ١٣٧ ، وقيل سنة ١٣٦ .

انظر : تهذيب التهذيب (١١/٢٨٧) .

(٣) هو عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم الهاشمي ﷺ ، أبو محمد المدني ، ولد على عهد النبي ﷺ فحنكه النبي ﷺ ، وتحول إلى البصرة ، واصطلح عليه أهل البصرة حين مات يزيد بن معاوية ، روى عن عم جده العباس بن عبدالمطلب وغيره ، وروى عنه يزيد بن أبي زياد وغيره ، وأخرج له الجماعة ، توفي سنة ٨٤ عند انقضاء فتنة الأشعث ، وكان خرج إليها هارباً من الحجاج .

انظر : تهذيب التهذيب (٥/١٥٧-١٥٨) .

(٤) " فجعلوا " ليس في ب .

(٥) الكبوة : أصلها من كبو وهو يدل على سقوط وتزيُّل ، والكبوة : هي الكناسة والتراب الذي يُكنس من البيت . انظر : النهاية في غريب الأثر (٤/٢٥١) ، معجم مقاييس اللغة (٥/١٥٥-١٥٦) .

(٦) أخرجه الترمذي (٥/٥٨٤) بمعناه في كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ ، باب في فضل النبي ﷺ ، ح٣٦٠٧ ، تحقيق : إبراهيم عطوة ، الطبعة الثانية ١٣٩٥ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، وقال : حديث حسن ؛ وذكره ابن كثير بمثله في البداية والنهاية (٢/٣١٥-٣١٦) ؛ وأخرجه البيهقي بنحوه في دلائل النبوة (١/١٦٧) ، تحقيق : د. عبدالمعطي قلعجي ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

وقال الألباني : ضعيف . انظر : ضعيف الجامع الصغير وزيادته ص٢٣٢ ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

كل مرتبة درجات لتظهر أسرارُ حكمته في الخلق ، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم الغاية في الجودة ، خُلقت أبدانهم سليمة من عيب فصلحت لحلول النفوس الكاملة ، ثم هم يتفاوتون أيضاً في المراتب ، ويتميَّز[1] بعضهم على بعض في المناقب وعلوِّ المناصب ، وكان نبينا محمد ﷺ أصحَّ الأنبياء مزاجاً ، وأكملهم[2] بدناً ، وأصفاهم رُوحاً ، وبمعرفة ما نذكره من أحواله وأخلاقه وصفاته يتبين فضله ، ولذلك قدَّمه الله تعالى على الكُل ، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم خلاصة الوجود ، وواسطة العقود ، وهم خيرة الخلائق ، وصفوة الخالق ، وهم في الفضل طبقات ، وفي القدر درجات قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء:من الآية ٥٥] فكلٌ له رتبة (لايتعدَّاها)[3] ، ومنزلة لايدرك غيره مَداها ، وغاية إذا بلغ منتهاها تناهى ، وجعل لمحمد ﷺ من الرتب أعلاها ، ومن المنازل أسماها ، ومن المعجزات أعظمها وأقواها ، ومن المنقبات أجملها وأبهاها ، ومن الفضائل أُولاها وأُخراها ، ومن المحاسن أَوْلاها وأَحراها ، ففي حديث الإسراء عنه ﷺ : «إن الله تعالى جمع الأنبياء والملائكة صفوفاً قال فقدَّمني وأمرني أن أصلِّي بهم فصليت بهم ركعتين ، ثم إنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أثنوا على ربهم سبحانه ، فقال إبراهيم عليه السلام [ق٢/ظ] : الحمد لله الذي اتخذني خليلاً وأعطاني مُلكاً عظيماً وجعلني أمَّة قانتاً يؤتم بي وأنقذني من النار وجعلها عليَّ برداً وسلاماً ، ثم إن موسى عليه السلام أثنى على ربه تعالى فقال : الحمد لله رب العالمين الذي كَلَّمني تكليماً وجعل هلاك فرعون على يدي ونجَّا بني إسرائيل على يدي وجعل من أمتي قوماً يهدون بالحق وبه يعدلون ، ثم إن داود عليه السلام أثنى على ربه تعالى فقال : الحمد لله الذي جعل لي مُلكاً عظيماً وعلَّمني الزَّبور وألان لي الحديد وسخَّر لي الجبال يسبّحن والطير وأعطاني الحكمة وفصل الخطاب ، ثم إن سليمان عليه السلام أثنى على ربه فقال :

---

(١) في ب " يتمايز " .

(٢) في ب " أجملهم " .

(٣) " لايتعداها " ليس في ب .

الحمد لله الذي سخَّر لي الرياح وسخَّر لي جنود الشياطين يعملون لي ماشئت من محاريب وثماثيل وجفان[1] كالجوابي[2][3] وقدور راسيات وعلَّمني منطق الطير وآتاني من كل شيء فضلاً وآتاني ملكاً عظيماً لاينبغي لأحد من بعدي وجعل ملكي ملكاً طيِّباً ليس عليَّ فيه حساب ، ثم إن عيسى عليه السلام أثنى على ربِّه فقال : الحمد لله رب العالمين الذي جعلني كلمةً منه وجعل مَثَلي مَثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون ، وعلَّمني الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وجعلني أبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله ورفعني وطهّرني وأعاذني وأمّي من الشيطان الرجيم ولم يكن للشيطان علينا سبيل ، ثم إن محمداً ﷺ قال : كلُّكم قد أثنى على ربّه وإني مُثْنٍ على ربي فقال : الحمد لله الذي أرسلني رحمةً للعالمين وكافةً للناس بشيراً ونذيراً وأنزل عليّ الفرقان[4] فيه تبيان كل شيء وجعل أمَّتي خير أمَّة أخرجت للناس وجعل أمَّتي (أمَّة)[5] وَسَطاً وجعل أمَّتي هم الأولين والأخرين وشرح لي صدري ووضع عنِّي وِزْري ورفع لي ذكري وجعلني فاتِحاً وخاتِماً فقال إبراهيم عليه السلام : بهذا فَضَلَكم محمد ﷺ»[6] ، وفي حديث الإسراء أيضاً [ق٣/و] أنه قال : «قيل لي : سل ، فقلتُ : ياربِّ اتخذتَ إبراهيم خليلاً وكلَّمتَ موسى تكليماً ورفعت

---

(١) جفان : جمع جفنة اسم للقدر الكبيرة . الجدول في إعراب القرآن (٢١٠/٢٢) ، لمحمود صافي ، الطبعة الرابعة ١٤١٨ ، دار الرشيد ، دمشق .

(٢) في ب "كالجواب" ، وقد قرأ ابن كثير بإثبات الياء (الجوابي) وصلاً ووقفاً ، وأبو عمرو وورش بإثباتها وصلاً ، وحذفها وقفاً ، والباقون بحذفها في الحالين ، فمن قرأ بالياء فلأنه الأصل ، ومن حذفه فلاكتفائه بكسر الياء . انظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١٦١/٩-١٦٢) ، للسمين الحلبي ، تحقيق د. أحمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ؛ بحر العلوم ، لأبي الليث السمرقندي (٧٨/٣) ، تحقيق : د. محمود مطرجي ، دار الفكر ، بيروت .

(٣) كالجوابي : جمع جابية ، والجابية : الحوض العظيم ، سُميت بذلك لأنه يُجبى إليها الماء . انظر : الدر المصون (١٦٢/٩) .

(٤) في ب "القرآن" .

(٥) "أمة" ليس في ب .

(٦) سيأتي تخريجه عند التعليق على الحديث التالي .

إدريس مكاناً علياً وآتيت سليمان ملكاً عظيماً وآتيتَ داود زبوراً فما لي ياربّ ، فقال لي ربي ﷻ : يا محمد اتخذتك حبيباً كما اتخذت إبراهيم خليلاً وكلَّمتك كما كلَّمتُ موسى تكليماً وأعطيتك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة وكانا من كنوز عرشي ولم أعطها نبيّاً قبلك وأرسلتك إلى أهل الأرض جميعاً أبيضهم وأسودِهم إنسهم وجنِّهم ولم أرسل إلى جماعتهم نبيّاً قبلك وجعلت الأرض كلّها بَرَّها وبحرها طهوراً ومسجداً لك ولأُمَّتك وأطعمت أمَّتك الفيء ولم أُطعمه أمَّة قبلهم ونصرتك بالرعب على عدوّك مسيرة شهر وأنزلت عليك سيِّد الكتب كُلِّها ومهيمناً عليها قرآناً فرقناه ورفعت لك ذكرك حتى تُذكَر كلَّما ذُكرتُ من [أجلِّ][1] شرائع ديني وأعطيتك مكان التوراة المثاني ومكان الإنجيل المئين[2] ومكان الزبور الحواميم وفضّلتك بالمُفصَّل وشرحتُ لك صدرك ووضعتُ عنك وزرك وجعلتُ أمَّتك خير أمَّة أخرجت للنَّاس وجعلتهم[3] أمَّة وسطاً وجعلتهم[4] الأولين وهم الآخرون[5] فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ثم أفضى إليَّ بعدها أموراً لم يُؤذن لي أن أخبركم بها ...» وذكر باقي[6] الحديث[7] ؛ و(في)[1] حديث

---

(١) "أجل" زيادة من ب .

(٢) في هامش ب "سُوَرٌ يكون عدد آياتها مائةً أو جاوزت منها ولم يبلغ إلى الألف" .

(٣) في ب "وجعلتها" .

(٤) في ب "وجعلهم" .

(٥) في ب "الآخرين" .

(٦) في ب "وذكرنا في".

(٧) الخبر بطوله ذكره بنحوه ابن جرير في تفسيره (٣٣٧/١٧) وفي تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار (٤٣٧/١) ، تحقيق : محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ؛ كما أخرجه البزار في مسنده من طريق أبي العالية (١٧/٧-١٢) ح٩٥١٨ ، تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة ، كما ذكره البيهقي في دلائل النبوة (٣٩٧/٢-٤٠٣) ؛ وهذا الحديث من رواية (أبو جعفر الرازي) ، قال الحافظ ابن كثير : "قلت : (أبو جعفر الرازي) قال فيه الحافظ أبو زرعة : يهم في الحديث كثيراً ، وقد ضعفه غيره أيضاً ، ووثقه بعضهم ، والأظهر أنه سيئ الحفظ ففيما تفرد به نظر ، وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابه ونكارة شديدة ، وفيه شيء من حديث المنام من رواية سمرة بن جندب في المنام الطويل عند البخاري ، ويشبه أن يكون مجموعاً من أحاديث شتى ، أو منام أو قصة أخرى غير الإسراء ، والله أعلم" .

تفسير القرآن العظيم (٣٨/٥) ، لابن كثير ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، الطبعة الثانية ١٤٢٠ ، دار طيبة .

أنس ﷺ [أيضاً][2] قال : قال رسول الله ﷺ : «لواء الحمد بيدي ولا فخر ، (آدم)[3] ومَن دونه من النبيين تحت لوائي يوم القيامة ولافخر»[4] وفي حديث أنس ﷺ أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : «يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل ويجيء النبي ومعه الرجلان وأنا أكثر الناس تَبَعاً يوم القيامة» رواه البخاري[5] ؛ وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : «إنَّ لكل نبي دعوة دعا بها في أمَّته ، وخبأتُ دعوتي شفاعة لأمّتي يوم القيامة» أخرجاه في الصحيحين [ق٣/ظ] من حديث أنس مثلَه سواء[6] ؛ وفي رواية : «اختبأت دعوتي شفاعةً لأمَّتي لأنَّها أعمُّ وأكفأ»[7] ، وفي هذا الحديث الشريف

---

(١) "في" ليس في ب .

(٢) "أيضاً" زيادة من ب .

(٣) "آدم" ليس في ب .

(٤) أخرجه ابن خزيمة بنحوه في كتاب التوحيد ص٤٤٦ ، تحقيق : عبدالعزيز الشهوان ، الطبعة الخامسة ١٤١٤ ، مكتبة الرشد ، الرياض .

قال الألباني : ضعيف . انظر : ضعيف الجامع ، ص١٩٠ .

(٥) أخرجه البخاري (١٣٤/٧) ، في كتاب الطب ، باب من لم يرق ، ح٥٧٥٢ ، بلفظ : «عرضت علي الأمم ، فجعل النبي يمر معه الرجل ، والنبي معه الرجلان ، والنبي معه الرهط ، والنبي ليس معه أحد ، ورأيت سواداً كثيراً سد الأفق ، فرجوت أن تكون أمتي ، فقيل : هذا موسى وقومه ، ثم قيل لي : انظر ، فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق ، فقيل لي : انظر هكذا وهكذا ، فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق ، فقيل : هؤلاء أمتك ، ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب» ؛ وأخرجه مسلم (١٨٨/١) ، كتاب الإيمان ، باب في قول النبي ﷺ : "أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً" ، ح١٩٦ ، بلفظ : «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً» .

(٦) أخرجه البخاري (٦٧/٨) ، في كتاب الدعوات ، باب لكل نبي دعوة مستجابة ، ح٦٣٠٥ ، بلفظ : «لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيب ، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة» ؛ وأخرجه مسلم (١٩٠/١) بنحوه في كتاب الإيمان ، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ، ح٢٠١ .

(٧) أخرجه أحمد في مسنده (٣٢٧/٩) ح٥٤٥٢ ، بلفظ : «خيرت بين الشفاعة أو يدخل نصف أمتي الجنة ، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ...» الحديث ؛ وأخرجه ابن ماجه (١٤٤١/٢) بنحو لفظ المسند في كتاب الزهد ، باب ذكر الشفاعة ، ح٤٣١١ ؛ كما ذكره الطبراني في المعجم الأوسط (١٠٧/٧) ح٦٩٩٤ ، تحقيق : طارق بن عوض الله ، ١٤١٥ ، دار الحرمين ، القاهرة ، بلفظ : «إن الله خيرني بين أن يغفر لنصف أمتي أو شفاعتي فاخترت شفاعتي وروجوت أن تكون أعم لأمتي ...» الحديث .

قال الألباني : ضعيف بهذا التمام ، وصحيح دون قوله : «لأنها ...» . انظر : ضعيف سنن ابن ماجه ص٣٥٩ ، الطبعة الأولى ١٤١٧ ، مكتبة المعارف ، الرياض .

دليل ظاهر على فضل نبيِّنا [محمد][1] ﷺ على جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وإشارة بيِّنة إلى أن كل فضيلةٍ لنبي من الأنبياء قد شاركه فيها وزاد عليه فيما يشابهها ويُقاربُها مما تظاهرت به الأخبار وتواطئت عليه الآثار عن علماء الأمصار .

فصل

اعلم أن التفضيل إنما يكون إذا ثبت للفاضل من الخصائص ما لايوجد للمفضول مثلُه ، فإذا استويا في أسباب الفضل وانفرد أحدهما بخصائص لم يَشْرَكْه فيها الآخر كان أفضل منه ، وأمَّا ماكان مشتركاً بين الرجل وغيره من المحاسن فتلك مناقب وفضائل ومآثر لكن لاتُوجب تفضيله على غيره إذا كانت مشتركة ليست من خصائصه ، وإذا اتَّحَدت الفضيلتان فكانتا من جنسٍ واحد لكن كانت إحداهما أكمل من الأخرى وأعظم أو أعجب أو أبلغ فلا ريب أنَّ صاحب ذلك أفضل في ذلك ، ومحمد ﷺ قد امتاز عن غيره بأمور لم يشركه[2] فيها غيرُه وشارك غيرَه في أمور كثيرة على الوجه الأكمل فظهرت مزيَّته على مزية غيره وفضيلتُه على مَن عداه كما سنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى ، ونحن نذكر إن شاء الله تعالى مانُقل عن كل نبيّ من المعجزات وماثبت لنبيِّنا ﷺ من الخصائص وماله من الفضائل الفواضل وما أُوتي من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام ، فإن محمداً ﷺ من خصائصه أنه أُرسِل إلى جميع الخلق أسودهم وأحمرهم وجنِّهم وإنسهم وأن الله تعالى أخذ العهد على جميع النبيين لئن بُعث وهم أحياء ليؤمننَّ به ولينصرنَّه وخَتم به النَّبيِّين وجعل أمَّته خير أمة أُخرجت للناس وآتاه السبعَ المثاني والقرآن العظيم وأُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عُرج به إلى فوق سبع سموات وإلى سدرة المنتهى وإلى ماشاء الله تعالى مما فوق ذلك وأشياء

سبب تسمية الكتاب

(١) "محمد" زيادة من ب .

(٢) كذا في أ ونسخة بهامش ب ، وفي ب "يشاركه" .

غير ذلك نذكرها فيما [ق٤/و] بعد إن شاء الله تعالى في مواضعها يتبيَّن بها فضله على غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، ونذكر من معجزاته وما آتاه الله تعالى من الكرامات والمزايا الكريمة والعطايا العظيمة ممَّا فاق به عليهم من الآيات البيِّنات والمفاخر الظاهرات ، فمن ذلك : أولو العزم[1] من الرسل وهم خمسة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى [ابن مريم][2] ومحمد صلى الله عليهم وسلم ، فمحمد ﷺ آخرهم بعْثاً وأوّلهم في الذّكْر والفضيلة قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب:٧] .

(١) قال ابن عباس : معنى أولي العزم : ذوو الحزم ، وقال الضحاك: ذوو الجد والصبر .

انظر : الكشف والبيان (٢٤/٩) ، لأبي إسحاق الثعلبي ، تحقيق : ابن عاشور ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ ، دار إحياء التراث ، بيروت ؛ الجدول في إعراب القرآن (٢٠٤/٢٦) ، لمحمود صافي ؛ وقد اختلف العلماء فيمن هم أولي العزم من الرسل ، فقال ابن زيد : كل الرسل كانوا أولي عزم ، وكل الأنبياء ذوو حزم وصبر ورأي وكمال وعقل ، وهذا القول هو اختيار فخر الدين الرازي ، وفسرت (من) في قوله : ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥] للتبيين لا للتبعيض ، كما تقول ثوب من خز ، وقال قوم : هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام ، وهم ثمانية عشر لقوله بعد ذكرهم : ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:من الآية ٩٠] ، وقال الكلبي : هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشرة لأعداء الله ، وقيل: هم ستة : نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف والشعراء ، وقال مقاتل : هم ستة : نوح صبر على أذى قومه ، وإبراهيم صبر على النار ، ويعقوب صبر على فقد ولده وغشاوة بصره ، ويوسف صبر على الجب والسجن ، وأيوب صبر على الضر ، وقال ابن عباس وقتادة : هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين ، فهم أصحاب الشرائع ، وقد ذكرهم الله على التخصيص والتعيين في قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب:من الآية ٧] ، ولعله الراجح ، والله أعلم .

انظر : الكشف والبيان (٢٥/٩-٢٦) للثعلبي ، الجدول في إعراب القرآن (٢٠٤/٢٦) لمحمود صافي .

(٢) "ابن مريم" زيادة من ب .

فصل

مفاضلة بين ما أوتي أول أولي العزم من الرسل -نوح عليه السلام- وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ

فأمّا فضيلة نوح عليه السلام فظاهرة ، ومعجزته[1] باهرة ، وهو أوّل رسول أُرسِل إلى بني آدم في أحد قولي العلماء ، وآيته التي أوتي نجاته في السفينة بمن آمن معه وإغراق عدوّه بدعوته وهي لعَمري فضيلة عظيمة ومعجزة كريمة ، ولاشك أن الماشي على وجه الماء من غير سفينةٍ أعظم من الماشي عليه في السفينة ، وقد أعطى الله تعالى نبيَّنا ﷺ في أمَّته مَن مشى على وجه الماء بغير سفينة ، فكثير من أولياء أمَّة نبينا ﷺ مشى[2] على الماء ، فمن ذلك ماروى مِنْجابٌ[3] قال : "غزونا مع العلاء بن الحَضْرمي[4] دَارِينَ[5] فدعا بثلاث دعوات فاستجيبت له ، نزلنا منزلاً فطَلَب الماء فلم يجدْه فقام فصلى ركعتين وقال : اللهم إنَّا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوَّك اللهم اسقنا غيثاً نتوضَّأ به ونشرب ولايكون لأحد فيه نصيب غيرنا ، فسِرْنا قليلاً فإذا نحن بماءٍ حين أقلعت السماء عنه

---

(١) كذا في أ ونسخة بهامش ب ، وفي ب "ومعجزاته" .

(٢) في ب "يمشي" .

(٣) الصواب أن الراوي هو ابنه : سهم بن منجاب بن راشد الضبي الكوفي .

انظر : الثقات (٤/٣٤٤) ، لابن حبان ، تحقيق : شرف الدين أحمد ، الطبعة الأولى ١٣٩٥ ، دار الفكر ؛ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/١) ، لأبي نعيم الأصبهاني ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ؛ موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا (٤/ص٣٩-٤٠) ، تحقيق : زياد حمدان ، الطبعة الأولى ١٤١٤ ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ؛ صفة الصفوة (١/٦٩٥) ، لابن الجوزي ، تحقيق : محمود فاخوري و د. محمد رواس قلعه جي ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ ، دار المعرفة ، بيروت ؛ منهاج السنة النبوية (٨/١٠٦) ، البداية والنهاية (٩/٣١١) .

(٤) هو الصحابي الجليل العلاء بن الحضرمي –واسم الحضرمي عبدالله– بن عباد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن الخزرج ، كان من حضرموت ، ولاه النبي ﷺ البحرين ، وتوفي النبي ﷺ وهو عليها فأقره أبو بكر خلافته كلها ، ثم أقره عمر ، وتوفي في خلافة عمر سنة ١٤ ، وقيل : توفي سنة ٢١ والياً على البحرين .

انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة (٤/٧١) ، لابن الأثير ، تحقيق : علي معوض و عادل عبدالموجود ، الطبعة الأولى ١٤١٥ ، دار الكتب العلمية .

(٥) دارين : فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند ، والنسبة إليها (داري) ، وهي حالياً قرية أو جزيرة من شرق المملكة العربية السعودية بالقرب من القطيف . انظر : المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص١١٥ ، لمحمد بن محمد حسن شراب ، الطبعة الأولى ١٤١١ ، دار القلم ، دمشق ؛ معجم البلدان (٢/٤٣٢) .

فتوضأنا منه وتزوّدنا وملأت إداوتي[1] وتركتها مكانها حتى أنظر هل يستجيب له أم لا فسرنا قليلاً ثم قلت : لأصحابي نسيت إداوتي فرجعت إلى ذلك المكان فكأنَّه لم يصبه ماء قط ، ثم سرنا حتى أتينا دَارِينَ والبحر بيننا وبينهم فقال : يا عليم يا حليم يا عليّ يا عظيم إنَّا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوّك اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلاً فدخلنا البحر فلم يبلغ الماء لُبُودَنا[2] ومشينا على متن الماء ولم يَبْتلّ لنا شيء [ق٤/ظ] فلما رجع أخذه وجع البطن فمات فطلبنا ماء نغسله فلم نجده فلففناه في ثيابه ودفنَّاه فَسِرنا غير بعيدٍ فإذا نحن بماء كثير فقال بعضنا لبعضٍ : لو رجعنا فاستخرجناه ثم غسلناه فَرُحْنا[3] فطلبناه فلم نجده فقال رجل من القوم إني سمعته يقول : يا عظيم[4] يا حليم يا علي يا عظيم أخْفِ عليهم موتي – أو كلمة نحوها – ولا تُطلع على عيوبي أحداً فرحَلْنا وتركناه"[5] ، وقال عمر بن ثابت : "دخلتْ في أذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجها الأطبَّاء فلم يقدروا عليها حتى وصلت إلى سِماخه[6] فأسهرت ليلَهُ ونغَّصت عيشَ نهاره فأتى رجلاً من أصحاب الحَسَن فشكا إليه فقال له : ويحك إن كان شيء ينفعُك الله به فدعوة العلاء بن الحَضْرمي التي دعا بها في البحر و المفازة ، قال : وما هي رحمك الله

---

(١) الإداوة بالكسر : المطهرة ، وهي إناء صغير من جلد يُتخذ للماء ، وجمعها أداوى .
انظر : تاج العروس من جواهر القاموس (٥١/٣٧) ، النهاية في غريب الأثر (٦٣/١) .

(٢) لبود : جمع لبد ، وهو كل شعر أو صوف ملتصق بعضه ببعض التصاقاً شديداً .
انظر : إكمال الأعلام بتثليث الكلام ، لمحمد الطائي الجياني ، تحقيق : سعد الغامدي ، ١٤٠٤ ، جامعة أم القرى ، مكة .

(٣) كذا في أ ونسخة بهامش ب ، وفي ب "فرجعنا" .

(٤) في هامش أ : الظاهر "عليم" .

(٥) أخرجه بنحوه ابن أبي الدنيا في مجابي الدعوة –موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا- (٤/ص٣٩-٤٠) ، كما ذكر هذه الرواية بنحوها ابن الجوزي في صفة الصفوة (٦٩٥/١) ، وابن كثير في البداية والنهاية (٣١١/٩) ، والبيهقي مختصراً في الدلائل (١٩١/٦) ؛ قال ابن حبان في الثقات (٣٤٤/٤) : "سهم بن منجاب يروي عن العلاء بن الحضرمي في دعواته المستجابة" .

(٦) في ب "صِماخه" وهو صحيح ، قال ابن الأثير في السماخ : "ويقال بالصاد لمكان الخاء" ؛ والسماخ : هو ثقب الأذن يدخل فيه الصوت . النهاية (٩٩٢/٢) .

، قال : يا علي يا عظيم يا حليم يا عليم فدعا بها فوالله ما برحنا حتى خرجت من أذنه ولها طنين حتى أصابت الحائط وبرأ"[1] ؛ والمشي على الماء في السفينة أمر معلوم معهود والنجاة فيه غير مستبعدة ، ومشيُ العلاء بن الحَضرمي وأصحابه بخيولهم ودوابِّهم وحمُولهم على متن الماء بلا سفينة أعظم بالنسبة إلى معجزة محمد ﷺ مِن مشي نوح عليه السلام ومن معه في السفينة واستجيبت دعواته كما استجيبت دعوة نوح عليه السلام أيضاً ، فكرامة الأمّة[2] من معجزة نبيِّنا ﷺ ، وسيأتي قصة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأصحابه في فتح أبيض كسرى[3] إن شاء الله تعالى .

فإن قيل : إن الله تعالى أعطى نوحاً عليه الصلاة والسلام ما سأل من شِفَاء غيظه في إجابة دعوته على قومه بتعجيل النقمة عليهم حين كذَّبوه وكفروا بما أُرسل به فأهلك بدعوته مَن على بسيط الأرض مِن صامتٍ وناطقٍ إلا مَن آمن به ودخل معه السفينةَ وكانوا قليلاً كما قال تعالى : ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:من الآية ٤٠] وكانوا فيما قيل : ثمانين نفساً أو نحوها ، قلنا : هذه فضيلة عظيمة وآية جسيمة وافقَتْ سابِق القَدَر في هلاك مَن هلك لكن فضيلة نبيِّنا صلوات الله عليه وسلامه أكمل ، ومعجزته أجمل ، وعاقبتها أحسن ، وصورة الواقع فيها أبين ، وذلك أنه لمَّا كذَّبه قومُه [ق٥/و] وآذوه وبالغوا في أذاه جاءه الملك من ربِّه يُخيِّره في أن يُطبِق عليهم الأخشبَيْن : أخشبَي مكة يعني : الجبلين المكتنفين لها ، فقال : «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم مَن يعبد الله لايشركُ به شيئاً»[4] ، فكان ما رَجَا من ذلك وزيادة ، ولمَّا أسْرَف

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا بنحوه في مجابي الدعوة –موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا– (٤١/٤) ، كما ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٦٩٦/١-٦٩٧) .

(٢) في ب "الأولياء" .

(٣) أبيض كسرى : مُلك كسرى ، وإنما قال الأبيض لبياض ألوانهم ولأن الغالب على أموالهم الفضة . انظر : النهاية (٥٤١/١) .

(٤) أخرجه البخاري (١١٥/٤) بنحوه في كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم : آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غُفر له ما تقدم من ذنبه ، ح٣٢٣١ ؛ وأخرجه مسلم (١٤٢٠/٣) كتاب الجهاد والسير ، باب

من أسْرَف في عداوته وبلغ الغاية في أذيَّته حين ألقى عُقبة بن أبي مُعَيْط على ظهره ﷺ سَلَا[1] الجزور وهو ساجد والحديث فيه مشهور وهو ما رُوي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة وجَمْعٌ[2] من قريش ينظرون فقال قائل منهم : ألا ترون إلى هذا المُرائِي أيُّكم يقوم إلى جَزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودَمِها وسَلاها حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه ، فانطلق أشقاهم فجاء به حتى إذا سجد ﷺ وضعه بين كتفيه ، وثبت رسول الله ﷺ ساجداً ، وضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك ، فانطلق منطلق إلى فاطمة وهي جويرية[3] فأقبلت تسعى وثبت النبي ﷺ ساجداً حتى نَحَّتْهُ عنه وأقبلت عليهم تسبُّهم ، فلما قضى النبي ﷺ صلاته استقبل الكعبة فقال[4] : «اللهم عليك الملأ من قريش» ثم سمّاهم فقال : اللهم عليك بعَمرو بن هشام وشيبة وعُتبة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي مُعَيط وعُمَارة بن[5] الوليد» قال عبدالله : والذي توفّى نفْسَه لقد رأيتهم صرعى يُسحَبون إلى القليب قليب بدْر ، قال رسول الله ﷺ : «اللهم أتبع أهل القليب لعنةً»[6] فلم يَدْعُ عليهم بالبوار

ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، ح١٧٩٥ .

(١) السلى : الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه . النهاية (٩٨٦/٢) .

(٢) كذا في أ ونسخة بهامش ب ، وفي ب "وجميع" وهو خطأ .

(٣) في هامش ب "أي شابة قليلة السنِّ" .

(٤) في ب "قال" بدون الفاء .

(٥) في ب "ابن" بزيادة الهمزة ، وهو خطأ .

(٦) أخرجه البخاري (١١٠/١) بنحوه في كتاب الصلاة ، باب المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى ، ح٥٢٠ ، بلفظ : «اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش» ثم سمى : «اللهم عليك بعمرو بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط ، وعمارة بن الوليد» ... ثم قال رسول الله ﷺ : «وأتبع أصحاب القليب لعنة» ؛ وأخرجه مسلم (١٤١٩/٣) ، كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، ح١٧٩٤ ، بلفظ : «اللهم عليك الملأ من قريش : أبا جهل ، وعتبة بن ربيعة ، وعقبة بن أبي معيط ، وشيبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف — أو أبي بن خلف شعبة الشاك —» .

كلِّهم ولا باستئصال شأفتهم[1][2] ، وكذلك لما استعان عليهم بدعائه أن يعينه عليهم بسبع كسبع يوسف فأجْدبوا حتى أكلوا العظام من الجوع حتى جاء إليه ﷺ أكابرهم يسألونه أن يدعو لهم بكشف ذلك عنهم ، فلما دعا قال الله تعالى : ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان:١٥] ، فلما عادوا انتقم الله منهم قال تعالى : ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان:١٦] فانتقم منهم بالقتل يوم بدر[3] ؛ والسِّرُّ في دعائه ﷺ على هؤلاء النَّفر خاصَّةً أنهم اتّفقوا [ق٥/ظ] على هذا الفعل القبيح ، وادَّعوا أنه مُراءٍ بصلاته ، وانتهكوا حرمة الصلاة مع حرمته ﷺ ، فكان غضبه ودعاؤه لأجل انتهاك حرمة الصلاة لله تعالى في ذلك المكان فلم يَحسُن العفو حينئذ بل تعيَّن الانتصار والانتصاف فإنه كان[4] من عادته ﷺ أن لاينتصر لنفسه كما لم يعاقب الذين سَمُّوه ولا الذين سَحروه ولا الذي أراد اغتياله في أشياء نحو ذلك وإنما غضب هنا[5] وانتصر لحقِّ الله تعالى فدعا عليهم فاستجاب الله تعالى له فيهم وأظهر تكذيبهم في اعتقادهم أنه مُراءٍ فاجتمع له ﷺ في هذه القصة من الفضائل ما يضيق هذا المكان عن ذكره مما لم يحصل لنوح عليه السلام منه إلا البعض ، فإنَّ نوحاً عليه الصلاة والسلام لمَّا اشتدَّ عليه الأذى من قومه دعا ربَّه أنِّي مغلوب فانتصر فقال الله تعالى : ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر:١١-١٤] فكان دعاؤه عليه السلام دعاء منتقمٍ مستنصرٍ[6]

---

(١) في ب "ساقتهم" ، وفي هامشه "ساقة الجيش مُؤخّره" .

(٢) شأفة الرجل : أهله وعياله . تاج العروس من جواهر القاموس (٢٣/٤٨٧) .

(٣) القصة أخرجها البخاري (٦/١٣١) ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله : ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان:١٢] ، ح٤٨٢٢ ؛ وأخرجها مسلم (٤/٢١٥٥) ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب الدخان ، ح٢٧٩٨ .

(٤) في ب "فكان" بدون إنه .

(٥) في ب "هاهنا" .

(٦) في ب "منتصر" .

فاستجاب الله تعالى له فشفى صدره منهم وأغرقهم ودعوة نبيّنا ﷺ كانت رحمةً و(كانت)[1] أكثر نفعاً وأعظم أثراً في الخير والبركة كما روى أنس ﷺ قال : أصاب أهلَ المدينة قحط على عهد رسول الله ﷺ فقام إليه الناس يوم جمعة وهو على المنبر يخطب فقالوا : يا رسول الله غلَتِ الأسعار واحتَبَست الأمطار فادع الله أن يسقينا فرفع رسول الله ﷺ يَده واستسقى قال : فمُطِرنا ولم نزل نُمطَرُ حتى كانت الجمعة المُقبلة فقام إليه الناس فقالوا : ادع الله يَحْبِسْها عنّا فتبسَّم رسول الله ﷺ ورفع يده فقال : «اللهم حوالينا ولا علينا» قال : فتخرَّقَتْ[2] فصارت المدينة كأنَّها إكْليل[3] وما حولها ممطور[4] ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : ربَّما ذكرتُ قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النّبي ﷺ يستسقى (فما ينزل حتى يجيش [ق٦/و] كل مِيزاب[5])[6]

وأبيض يُسْتسقى الغَمام بوجهه ثِمَالَ[7] اليتامى عصمةً للأرامل[1]

---

(١) "كانت" ليس في ب .

(٢) في هامش ب "أي انكشفت الغيم" .

(٣) إكليل : الإكليل -بكسر الهمزة وسكون الكاف- : كل شيء دار من جوانبه ، يُريد أن الغيم تقشَّع عنها واستدار بآفاقها . انظر : فتح الباري (٥٠٦/٢) ، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ص١٠٢ ، لمحمد بن أبي نصر فتوح الأزدي الحميدي ، تحقيق : زبيدة محمد سعيد ، الطبعة الأولى ١٤١٥ ، مكتبة السنة ، القاهرة ؛ النهاية (٣٥٣/٤) .

(٤) أخرجه البخاري (١٩٥/٤) ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ح٣٥٨٢ ، بلفظ : "أصاب أهل المدينة قحط على عهد رسول الله ﷺ ، فبينا هو يخطب يوم الجمعة ، إذ قام رجل فقال : يا رسول الله هلكت الكراع ، هلكت الشاء ، فادع الله يسقينا ، «فمد يديه ودعا» ، قال أنس : وإن السماء لمثل الزجاجة ، فهاجت ريح أنشأت سحاباً ، ثم اجتمع ثم أرسلت السماء عزاليها ، فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا ، فلم نزل نمطر إلى الجمعة الأخرى ، فقام إليه ذلك الرجل أو غيره ، فقال : يا رسول الله : تهدمت البيوت فادع الله يحبسه ، فتبسم ، ثم قال : «حوالينا ولا علينا» فنظرت إلى السحاب تصدع حول المدينة كأنه إكليل ، وأخرجه مسلم (٦١٤/٢) ، بنحوه في كتاب صلاة الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء ، ح٨٩٧ .

(٥) مِيزاب بكسر الميم : وهو ما يسيل منه الماء من موضع عال . انظر : فتح الباري (٤٩٧/٢) .

(٦) مابين القوسين ليس في ب .

(٧) ثِمَال بكسر المثلثة وتخفيف الميم : هو العماد والملجأ والمطعم والمغيث والمعين والكافي ، قد أطلق على كل من ذلك . فتح الباري (٤٩٦/٢) .

وهو قول عمه أبي طالب[٢] رواه البخاري[٣] ، فكانت دعوته نعمة في الأوَّل [و][٤] رحمة في الآخر[٥] ، ولم تكن دعوة نوح عليه الصلاة والسلام إلا مجرَّد عذابٍ شفى الله تعالى به قلبه ؛ ولبث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم فبلغ جميع من آمن به من الرجال والنساء الذين ركبوا معه في السفينة وهم دون المائة نفْسٍ كما أشرنا إليه ، ونبينا ﷺ كانت مدَّة دعائه[٦] الخلق إلى الحقِّ نحو عشرين سنة فآمن فيها من الخلق شرقاً وغرباً ما لايُحصى ودانت له جبابرة الأرض وملوكها وخافته على ملْكها ككسرى وقيصر وأسلم النَّجاشي والأقيال[٧] رغبة في دين الله تعالى ممن رآه وممن سمع به ولم يره لِمَا ألقى الله في قلوب الخلق من هيبته ، والتزم مَن لم يؤمن به من أقطار الأرض الجزية والأتاوة[٨] عن صَغار كأهل نجران وهجر وأيلة وغيرهم فأذلَّهم الله بما ألقى في قلوبهم من الرعب الذي كان يسير أمامه مسيرة شهر حتى جاءه نصر الله والفتح

---

(١) عصمة للأرامل : أي يمنعهم مما يضرهم ، والأرامل جمع أرملة : وهي الفقيرة التي لا زوج لها .
فتح الباري (٢/٤٩٦) .

(٢) هذا البيت من أبيات في قصيدة لأبي طالب ، ذكرها ابن إسحاق في السيرة بطولها ، وهي أكثر من ثمانين بيتاً ، قالها لما تمالأت قريش على النبي ﷺ ونفَّروا عنه من يريد الإسلام ، أولها :
ولما رأيت القوم لا ود فيهم وقد قطعوا كل العرا والوسائل . فتح الباري (٢/٤٩٦) .

(٣) أخرجه البخاري (٢/٢٧) ، كتاب أبواب الاستسقاء ، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا ، ح١٠٠٩.

(٤) "و" زيادة من ب .

(٥) في أ "في الثاني" ، وما أثبته من ب هو الصواب ، لأن العرب لا يسمون (الثاني) إلا ما كان له ثالث . انظر : عمدة الكتاب ، لأبي جعفر النحاس ص١٠٠ ، تحقيق : بسام الجابي ، الطبعة الأولى ١٤٢٥ ، دار ابن حزم .

(٦) في هامش ب "دعوته" .

(٧) الأقيال : جمع قيل وهو أحد ملوك حِمْيَر دون الملك الأعظم ، مأخوذ من القول بمعنى نفوذ القول والأمر ؛ وقد أسلم وائل بن حجر الحضرمي ، وكان قيلاً من أقيال حضرموت وكان أبوه من ملوكهم ، وفد على رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ قد بشر أصحابه بقدومه قبل أن يصل بأيام وقال : «يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة من حضرموت طائعاً راغباً في الله ﷻ وفي رسوله ، وهو بقية أبناء الملوك» ، واستعمله النبي ﷺ على الأقيال من حضرموت . انظر : النهاية في غريب الأثر (٤/٢٠٦,٢٢٦) ، غريب الحديث (٢/٢٧٥) ، لابن الجوزي ، تحقيق : د. عبدالمعطي أمين قلعجي ، الطبعة الأولى ١٩٨٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ؛ أسد الغابة (٥/٤٠٥) .

(٨) الأتاوة : وهو الخراج . النهاية (١/٢٧) .

ودخل الناس في دين الله أفواجاً فهذه منزلة لم تحصل لا[1] لنوح ولا لغيره من النبيين صلوات الله عليهم أجمعين ، ولا بلغ مُلْك مَلك ما بلغ مُلكه ودينَه كما قال : «زُويت[2] لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وأن مُلك أمّتي سَيبلغ[3] ذلك»[4] .

وأما فضيلة نوح عليه السلام بأن الله تعالى سماه شكوراً باسم من أسماءه سبحانه ، فنبيّنا ﷺ قد خصَّه باسمين من أسماءه جمعهما له لم يشركه فيهما أحد فقال : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] ، ونوح عليه السلام لمَّا خاطبه الله تعالى قال له : ﴿يَٰنُوحُ [ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ][5]﴾ [هود:من الآية ٤٨] ، ولمَّا خاطب ﷺ لم يقل له : يامحمد بل قال له : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١ ، ٦٧] ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال:من الآية ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٠ / التوبة:من الآية ٧٣ / الأحزاب:من الآية ١ ، ٢٨ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥٩ / الممتحنة:من الآية ١٢ / الطلاق:من الآية ١ / التحريم:من الآية ١ ، ٩] ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ [المزَّمل:١] ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدَّثر:١] ، فخاطبه بصفات الشَّرف والرِّفعة التي تقوم مقام الكنية واللقب بل أعظم ، والخطاب بالكنية واللقب أعظم من الخطاب بالاسم المجرَّد ، وكذلك باقي الأنبياء خاطبهم [ق٦/ظ] بأسمائهم المجرَّدة فقال : ﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ [هود:من الآية ٧٦ / مريم:من الآية ٤٦ / الأنبياء:من الآية ٦٢ / الصافات:من الآية ١٠٤] ، ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ [البقرة:من الآية ٥٥ ، ٦١ / المائدة:من الآية ٢٢ ، ٢٤ / الأعراف:من الآية

---

(١) في ب "إلا" ، وهو خطأ .

(٢) زويت : جُمعت ، ويقال : انزوى القوم بعضهم إلى بعض إذا تدانوا وتضاموا . غريب الحديث (٣/١) ، القاسم بن سلام ، تحقيق : د. محمد عبدالمعيد خان ، الطبعة الأولى ١٣٩٦ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٣) في ب "يبلغ" .

(٤) أخرجه مسلم (٢٢١٥/٤) ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، ح٢٨٨٩ ، بلفظ : «إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها ...» الحديث .

(٥) ﴿ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ﴾ زيادة من ب .

١١٥ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٤ / الإسراء:من الآية ١٠١ / طه:من الآية ١١ ، ١٧ ، ١٩ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ٨٣ / النمل:من الآية ٩ ، ١٠ / القصص:من الآية ١٩ ، ٢٠ ، ٣٠ ، ٣١] ، ﴿يَـٰيَحْيَىٰ﴾ [مريم:من الآية ١٢] ، ﴿يَـٰدَاوُۥدُ﴾ [ص:من الآية ٢٦] ، ﴿يَـٰعِيسَىٰٓ﴾ [آل عمران:من الآية ٥٥ / المائدة:من الآية ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٦] **ولم يكنهم ولم يخاطبهم بما يقوم مقام الكنية واللقب ، ولمَّا خاطبهم كلّهم وكان محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم داخلاً**(١) **فيهم خاطبهم بالتعظيم فقال :** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ...﴾ **(الآية)**(٢) [المؤمنون:٥١] ، **فظهر فضل محمد ﷺ عليهم كلهم في هذه المسئلة وفي غيرها كما سنذكره إن شاء الله تعالى ، وقريبٌ من هذا المعنى أن كل نبيّ لما آذاه قومُه وكذَّبوه وسبّوه تولى هو الذب عن نفسه بنفسه ، ومحمد ﷺ صفح عنهم وأعرض عن إجابتهم فتولى الله سبحانه الجواب عنه وانتصر له وكذَّبهم فيما نسبوه**(٣) **ﷺ إليه ، وذلك نحو قول قوم نوح لنوح عليه الصلاة والسلام :** ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف:من الآية ٦٠] **فأجابهم :** ﴿يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:من الآية ٦١] ، **ونحو قول قوم هود لهود عليه الصلاة والسلام :** ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف:من الآية ٦٦] **فقال مجيباً لهم :** ﴿يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:من الآية ٦٧] ، **وقول فرعون لموسى عليه الصلاة والسلام :** ﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء:من الآية ١٠١] **فرد عليه بقوله :** ﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء:من الآية ١٠٢] **وأشباه هذا ، ونبينا ﷺ لمَّا قال له المشركون : شاعر أو مجنون صبر على أذاهم ووكل أمره إلى ربه سبحانه فتولى الجواب عنه ونصَره عليهم وكذّبهم بوحي يُتلى**

(١) في ب "داخلهم" .

(٢) "الآية" ليس في ب .

(٣) كذا في أ ونسخة بهامش ب ، وفي ب "سبُّوه" .

فقال : ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ [وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ](1)﴾ [يس:من الآية ٦٩] وقال : ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم:٢] وزاد على الانتصار له بمدحه إيّاه فقال : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] وهدَّد مَن نسب إليه خلاف الصحة(2) فقال : ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [القلم:٥-٦] ولما قالت قريش : ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل:من الآية ١٠٣] و ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان:من الآية ٤] دفع الله عنه ما قالوا وانتصر له وكذبهم وبكتهم وبكعهم(3) وأظهر حجَّته له عليهم وكسر حجتهم وأبطل دعواهم فقال سبحانه : ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:من الآية ١٠٣] وقال تعالى : ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفرقان:من الآية ٦] في أمثال (هذا)(4) ، وكمال هذه الأمور [ق٧/و] لم تحصل لغير نبينا ﷺ .

فإن قيل : في قوله تعالى : ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:من الآية ٢٦] وأن الله سبحانه استجاب له فأغرق الأرض ومَن عليها دليل على أن نوحاً عليه الصلاة و السلام كان مُرسلاً إلى جميع أهل الأرض فكيف يقال : بأن محمداً ﷺ وحده أُرسِل إلى الناس كافةً ، فالجواب : أن رسالة محمد ﷺ عامَّة في جميع الأمكنة والأزمنة والأصناف ، فإنه ﷺ بُعث إلى جميع أهل الأرض إنسهم وجنِّهم ودعوته ﷺ باقية إلى يوم القيامة لا يُبعث بعده نبي يَنسخ(5) شريعته ، وهذه الخصيصة ليست لنوح عليه الصلاة والسلام ولا لغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقوم نوح عليه الصلاة والسلام إذا كانوا هم الذين أُغْرِقُوا فدعوته مختصة بهم لم تتناول مَن بعدهم من القرون ،

---

(١) ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ زيادة من ب .

(٢) في هامش ب "أي المرض والجنون تعالى الرسول من ذلك" .

(٣) بكعت الرجل بكعاً : إذا استقبلته بما يكره وهو نحو التقريع . النهاية (١/٣٨٨) .

(٤) "هذا" ليس في ب .

(٥) كذا في أ ونسخة بهامش ب ، وفي ب "يمسخ" .

ودعوة موسى عليه الصلاة والسلام وإن كانت متناولة لبني إسرائيل قرناً بعد قرن إلى المسيح عليه الصلاة والسلام فلم تكن متناولة لغيرهم ولهذا لم يكن مبعوثاً إلى الخضر وما جرى بينهما من المحاورة دليل على ذلك والله أعلم .

فصل

مفاضلة بين ما أوتي ثاني أولي العزم من الرسل - إبراهيم عليه السلام - وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ

وأما إبراهيم عليه الصلاة والسلام فهو خليل الله وناهيك بها فضيلة قد جمع الله تعالى له بين النُّبوة والرِّسالة والخلَّة (والعزيمة)[1] ، لكن قد أُعطي نبينا ﷺ ذلك وزاد ، فهو نبي رسول خليل حبيب ، ففيه ما في إبراهيم والزيادة التي لم تتحصَّل لغيره من الرسل ، فإبراهيم ﷺ خليل الله ومحمد ﷺ أيضاً خليل الله ، ولكن محمد ﷺ أعظم الخليلين ، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً» أو كما قال[2] ، ففي الصحيح أنه ﷺ قال : «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله»[3] ، وقال ﷺ : «اتخذ اللهُ إبراهيم خليلاً وموسى نجياً واتخذني حبيباً – ثم قال – وعزَّتي لأُوثرنَّ حبيبي على خليلي ونجيِّي»[4] ، وهو ﷺ في

---

(١) "والعزيمة" ليس في ب .

(٢) أخرجه مسلم (٣٧٧/١) ، بنحوه في كتاب الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد ، ح٥٢٣ .

(٣) أخرجه مسلم (١٨٩٦/٤) ، بنحوه في كتاب فضائل الصحابة ﷺ ، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ ، ح٢٣٨٣ .

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٨١/٣) ح١٤١٣ ، تحقيق : د.عبدالعلي عبدالحميد ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ ، مكتبة الرشد ، الرياض ، وقال البيهقي في راويه مسلمة بن علي : "مسلمة بن علي هذا ضعيف عند أهل الحديث" ؛ وقال ابن الجوزي : "هذا حديث لا يصح ، انفرد بروايته عن زيد : مسلمة ، قال يحيى : مسلمة ليس بشيء ، وقال النسائي والدارقطني والأزدي : متروك" . كتاب الموضوعات (٢٩٠/١) ، لابن الجوزي ، تحقيق : عبدالرحمن محمد عثمان ، الطبعة الأولى ١٣٨٦ ، المكتبة السلفية ، المدينة ؛ وقال الألباني : "موضوع ... ثم إنه مخالف لقوله ﷺ : «إن الله اتخذني خليلاً ، كما اتخذ إبراهيم خليلاً»". سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة (١١٠/٤) ، الطبعة الأولى ١٤١٢، دار المعارف ، الرياض .

التوراة مكتوب محمد حبيب الرحمن[1] .

فإن قيل : إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام حُجب عن نُمروذ[2] بحُجب ثلاثة[3] ، قيل : إنَّ محمَّداً صلوات الله وسلامه عليه حجبه الله تعالى بستة حجب قال [الله][4] تعالى في حقّه : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا [ق٧/ظ] فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس:٨-٩] فهذه أربعة حجب ثم قال تعالى : ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝٤٥ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ

---

(١) هذا الخبر جزء من حديث الإسراء الطويل المتقدم تخريجه ، وقد أخرج هذا الخبر بلفظ : «وهو مكتوب في التوارة محمد حبيب الرحمن» البزار في مسنده (١١/١٧) ، وأخرجه بنحوه ابن جرير في تهذيب الآثار (٤٤١/١) ، وابن كثير في تفسيره (٣٧/٥) ، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢٣٦/١) ، طبعة ١٤٠٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ؛ وقال : "ورجاله موثقون إلا أن الربيع بن أنس قال عن أبي العالية أو غيره فتابعيه مجهول" . مجمع الزوائد (٢٣٦/١) .

(٢) في ب "نمرود" بالدال المهملة ، وكلا الوجهين صحيح عند الجمهور ، قال الزبيدي : "نمرود بالضم وإهمال الدال وإعجامها ، وفي المزهر -المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطي- بالوجهين، وصرَّح العصام وغيره بأنه المعجمة ، قال شيخنا : يؤيده ما أنشده الخفاجي في المجلس الثامن من الطراز لابن رشيق من قوله :

يا رب لا أقوى على دفع الأذى
وبك استعنت على الزمان الموذي
مالي بعثت إليَّ ألف بعوضة
وبعثت واحدة على نمروذ -هذا اعتراض للقدر لا يجوز-

قال : وهو الموافق للضابط الذي نظمه الفارابي فرقاً بين الدال والذال في لغة الفرس حيث قال :

احفظ الفرق بين دال وذال
فهو ركن في الفارسية معظم
كل ما قبله سكون لا وا
وٍ فدالٌ وما سواه فمعجم

وفي أمالي ثعلب : نمروذ ، بالذال المعجمة ، وأهل البصرة يقولون : نمرود ، بالدال المهملة ، وعلى هذا عوَّل كثيرون فجوزوا الوجهين" . تاج العروس (٢٤٠/٩) .

(٣) في ب "بثلاث حجاب" .

(٤) لفظ "الله" زيادة من ب .

﴿وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا﴾ [الإسراء:٤٥-٤٦] **وهذا حجابان فصارت ستَّة حجب ، وزيادة أخرى وهي أنَّ الله تعالى جعل حجب محمد ﷺ من أعداءه حجباً لأمَّته من أعدائهم من الجنِّ والإنس كما ذكرنا ذلك في موضعه .**

فإن قيل : إن إبراهيم عليه السلام كسر نمروذ[1] **ببرهان نبوَّته فبهته كما قال تعالى :** ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة:من الآية ٢٥٨] ، **قلنا : فمحمد ﷺ أتاه أُبيُّ بن خَلَف المكذِّب بالبعث بعظمٍ بالٍ ففركه فانفتَّ في يده وقال : من يحي العظام وهي رميم إنكاراً لإحيائها بعدما رمَّت فأنزل الله تعالى البرهان الساطع والجواب القاطع :** ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٩] **فانصرف مبهوتاً مكبوتاً**[2].

فإن قيل : إبراهيم عليه السلام كسَّر أصنام قومه غضباً لله تعالى ، قلنا : فمحمد ﷺ نكَّس[3] **ثلاثمائة وستين صنماً كانت منصوبة حول الكعبة بإشارته إليها من غير أن يمسَّها بيده فتساقطت ، وجعل يطعن بسية**[4] **قوسٍ كانت معه في عين الصنم منها ويقول :** «﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ [الإسراء:من الآية ٨١] ، ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ:من الآية ٤٩]»[5] ، **وأبلغ من هذا في الطرفين أن إبراهيم**

---

(١) في ب "نمرود" بالدال المهملة .

(٢) القول أن الآيات في سورة يس (٧٧-٨٠) قد نزلت في أبي بن خلف هو قول : مجاهد ، وعكرمة ، وعروة بن الزبير ، والسدي ، وقتادة . تفسير ابن كثير (٦/٥٩٣) .

(٣) في ب "يكسر" وعليها تضبيب .

(٤) في ب "بسئة" ، وما أثبته من أ –بتخفيف الياء– هو الوارد في صحيح مسلم ، قال النووي : "السية بكسر السين وتخفيف الياء المفتوحة : المنعطف من طرفي القوس" . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/١٢٨-١٢٩) .

(٥) أخرجه البخاري (٦/٨٦) ، كتاب تفسير القرآن ، باب (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) ، ح٤٧٢٠ ، من طريق عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، بلفظ : دخل النبي ﷺ مكة ، وحول البيت ستون وثلاث مائة نُصُب ، فجعل يطعنها بعود في يده ، ويقول : «﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ [الإسراء:من الآية ٨١] ، ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ:من الآية ٤٩]» ؛ وأخرجه مسلم (٣/١٤٠٨) ،

عليه الصلاة والسلام فعل ذلك مستخفياً من قومه وأحال به على كبيرهم وإن كان ذلك إلزاماً للحجة على قومه إذا لم ينطقوا حتى عدّد ذلك من كذباته ، فنبينا ﷺ دخل هو وعلي ﷺ الكعبة فصعد ﷺ على منكب عليٍّ ﷺ فلم يقدر عليٌّ على حمله ، فأصعد عليّاً على منكبه فقلع الصنم الذي كان من صُفرٍ على الكعبة فقذفه فوقع فتكسر كما تتكسَّر القوارير(١) [ق٨/و] ، ولا ريب أنَّ هذا كان سراً من قريش والأول(٢) جهراً يوم فتح مكة .

فإن قيل : إبراهيم عليه السلام لمَّا أُلقي في نار نمروذ(٣) خمدت وطفئت ، قلنا : أبلغ من ذلك نار جهنم إذا مرَّ عليها المؤمن من أمَّة محمد ﷺ قالت : جُزْ يامؤمن فقد أطفأ نورك لهبي(٤) .

وليلة مولد نبينا ﷺ خمدت نيران فارس التي كانت تُعبَد ولم تخمد قبل ذلك بألف

بنحوه في كتاب الجهاد والسير ، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة ، ح١٧٨١ .

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٤٣/١-٤٤٤) ح٦٤٤ ، من طريق علي ﷺ ، بلفظ : "انطلقت أنا والنبي ﷺ حتى أتينا الكعبة ، فقال لي رسول الله ﷺ : «اجلس» وصعد على منكبي ، فذهبت لأنهض به ، فرأى مني ضعفاً فنزل ، وجلس لي نبي الله ﷺ ، وقال : «اصعد على منكبي» ، قال : فصعدت على منكبيه ، قال : فنهض بي ، قال : فإنه يخيل إلي أني لو شئت لنلت أفق السماء ، حتى صعدت على البيت ، وعليه تمثال صُفر أو نحاس ، فجلت أُزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه ، حتى إذا استمكنت منه قال لي رسول الله ﷺ : «اقذف به» ، فقذفت به ، فتكسر كما تتكسر القوارير ، ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق ، حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس" ؛ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١/٦) ح٩٨٣٦ ؛ قال الشيخ أحمد شاكر : "إسناده صحيح" . المسند للإمام أحمد (٤٤٣/١) ، شرح : أحمد شاكر ، الطبعة الأولى ١٤١٦ ، دار الحديث ، القاهرة .

(٢) في ب "والأول" عليها تضبيب .

(٣) في ب "نمرود" بالدال المهملة .

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٤٠/١) ح٢٧٧ ، وقال فيه : "تفرد به سليم بن منصور وهو منكر" ؛ والهيثمي في مجمع الزوائد (٦٥٢/١٠) ح١٨٤٤٦ ، وقال فيه : "رواه الطبراني وفيه سليم بن منصور بن عمار وهو ضعيف" ؛ وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٣٩٤/٦) ، تحقيق : يحيى غزاوي ، ١٤٠٩ ، دار الفكر ، بيروت ؛ وقال الألباني : "ضعيف" . انظر : ضعيف الجامع الصغير وزيادته ، ص٦٢٣ .

عام[1] فإبراهيم عليه السلام طفئت عنه نار نمروذ[2] بقول الله تعالى لها : ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:من الآية ٦٩] وقرب[3] إبراهيم منها ، ونيران فارس خمدت على مسافة أشهر من محمد ﷺ حين ولد ، وفي أمة محمد ﷺ مَن أُلقي في النَّار فلم تؤثِّر فيه ببركته : منهم أبو مسلم الخَولاني لمَّا دعاه الأسود العَنْسي المتنبِّئ إلى تصديقه فقال : ما أسمع -مراراً- ، فأجَّج له ناراً وطرح فيها أبا مسلم ، فلم تضرُّه ، فلمَّا قدم المدينة رآه عمر رضي الله عنه فقبَّل بين عينيه ، ثم جاء به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وقال : الحمد لله الذي لم يُمتني حتى أراني في أمة محمد ﷺ من فُعل به كما فُعل بإبراهيم خليل الرحمن عليه السلام[4] .

وأما إلقاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام في المنجنيق ورميهم به فإن في أصحاب

---

(١) ذكره البيهقي في الدلائل (١٢٦/١-١٢٧) من طريق مخزوم بن هانئ المخزومي عن أبيه ، بفلظ : "لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ، ارتجس إيوان كسرى ، وسقط منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نيران فارس ، ولم تتخمد قبل ذلك بألف عام ..." ؛ وأبو نعيم في دلائل النبوة (١٣٨/١) ، تحقيق : محمد رواس قلعه جي وعبدالبر عباس ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ ، دار النفائس ، بيروت ؛ والسيوطي في الخصائص الكبرى ص٨٨-٨٩ ، ١٤٠٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بلفظ : "خمدت نار فارس ، ولم تخمد قبل ذلك ..." ؛ وقال : "قال ابن عساكر : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مخزوم عن أبيه تفرد به أبو أيوب البجلي هكذا قال في ترجمة سطيح في تاريخه ، وقال في ترجمة عبد المسيح بعد أن أخرجه من هذا الطريق ورواه معروف بن خربوذ عن بشر بن تيم المكي قال : لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ فذكر نحوه ، قلت : ومن هذا الطريق أخرجه عبدان في كتاب الصحابة وقال ابن حجر في الاصابة أنه مرسل" . الخصائص الكبرى ص٨٩ ؛ وقال د. عبدالمعطي قلعجي محقق كتاب الدلائل للبيهقي : "وهذا حديث ليس بصحيح ، وذكره في كل هذه الكتب على سبيل التسهيل لتمحيصه لا لصدقه" . دلائل النبوة (١٢٩/١) .

(٢) في ب "نمرود" بالدال المهملة .

(٣) في نسخة بهامش أ ، نسخة بهامش ب " بقرب" .

(٤) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٢٨/٢-١٢٩) ، وابن عبدالبر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٧٥٨/٤) ، تحقيق : علي البجاوي ، الطبعة الأولى ١٤١٢ ، دار الجيل ، بيروت ؛ كما نقله ابن حبان في صحيحه (٣٣٨/٢) ، من طريق أبي حاتم ؛ قال ابن كثير : "هذا وإن كان فيه انقطاع مشهور" . مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم (٦٩٢/٢) ، لابن كثير ، تحقيق : عبدالمعطي قلعجي ، الطبعة الأولى ١٤١١ ، دار الوفاء ، المنصورة .

محمد ﷺ ماهو شبيه بذلك ، وهو أنَّ البراء بن مالك ﷺ لَمَّا كانت وقعة مسيلمة وتحصَّنوا وأغلقوا باب الحصن ، قال البراء لأصحابه : ضعوني على تُرسٍ واحملوني على رؤوس الرِّماح ثم ألقوني من أعلاها إلى داخل الحصن ففعلوا فوقع وقام فقاتل المشركين وقتل عشرةً أو أكثر وفتح الباب للمسلمين وكان سبب الفتح وقَتْل عدوِّ الله مسيلمة[1] ؛ ونظير ذلك ما فعَل طُلَيحة بن خويلد لما خرج في أصحابه لغزو الروم في البحر فلقيهم العدو في سفينة فقال طُلَيحة لأصحابه : اقذفوني في سفينتهم ، ففعلوا فغشيهم بسيفه حتى تطايروا[2] فرقاً منه فغرق من غرق واستسلم [ق٨/ظ] من استسلم فبلغ ذلك عمر ﷺ فأعجبه[3] وإبراهيم عليه الصلاة والسلام أُلقي في المنجنيق مُكرهاً ، وهذان بذلا أنفسهما وطلبا ذلك واختاراه ففعلاه وهي فضيلة لنبينا ﷺ إذ[4] كان في أمته مثل ذلك .

وأما كرم إبراهيم عليه الصلاة والسلام وإقراؤه للضيف وأنه كان يخرج المسافة يبتغي من يأكل معه حتى قيل له : أبو الضِيفان ، فقد كان نبينا ﷺ من ذلك بالمنزلة التي لاتجهل فإنه كان يعطي عطاء من لا يخاف الفاقة فيهب المائة من الإبل ، وأعطى رجلاً غنماً بين جبلين ، وما سأله أحد شيئاً فقال : لا[5] ، ولقد أتاه مرةً ضيف فأرسل إلى

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤٤/٩) ، كتاب السير ، باب من تبرع بالتعرض للقتل رجاء إحدى الحسنين ، ح١٨٣٧٩ ، الطبعة الأولى ١٣٤٤ ، مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد ، من طريق السري بن يحيى عن محمد بن سيرين ، بفلظ : "أن المسلمين انتهوا إلى حائط قد أُغلق بابه ، فيه رجال من المشركين ، فجلس البراء بن مالك ﷺ على ترس ، فقال : ارفعوني برماحكم فألقوني إليهم ، فرفعوه برماحهم ، فألقوه من وراء الحائط ، فأدركوه قد قتل منهم عشرة" ؛ وابن كثير بنحوه في البداية والنهاية (٣٠٠/٦) ، وابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة (٢٧٩/١-٢٨٠) ، تحقيق : علي البجاوي ، الطبعة الأولى ١٤١٢ ، دار الجيل ، بيروت ؛ وابن حبان في الثقات (١٧٤/٢-١٧٥) .

(٢) في ب "تطايرا".

(٣) أخرجه ابن قدامة بنحوه في كتابه التوابين ص١٣٤ ، تحقيق : عبدالقادر الأرناؤوط ، ١٤٠٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٤) في ب "إذا" .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل (١٨٠٦/٤) ، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه ، ح٢٣١٢ ، من طريق موسى بن أنس عن أبيه ، بفلظ : "ما سُئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه ،

أزواجه واحدةً بعد واحدةٍ فيَقُلْن : والذي بعثك بالحق ماعندنا إلا ماء[1] ؛ وذلك أنه كان لا يدَّخر شيئاً حتى يجوع ويربط على بطنه الحجر ، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام كان صاحب مال وماشية يُطعِم ويُضيف من جملة ماله ولم نسمع أنه أعطى كلَّ ماعنده ، ونبينا ﷺ يقول : «ما يكن عندي من خير فلن ادّخره عنكم»[2] وقال : «لو أنَّ لي مثلَ هذه العِضاهِ نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً»[3] وجوده وكرمه من أشهر[4] صفاته الحميدة صلوات الله عليه وسلامه .

وأما فضيلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام في صبره على ما ابتُلي به مِن ذبح ولده حتى أكرمه الله تعالى بالفِداء وهذه رُتبة عظيمة ، قلنا : ليس هذا بأعظم من فضيلة نبينا ﷺ إذ جاد بنفسه في جهاد أعداء الله تعالى فإنه صبَّر نفسه وغرَّر[5] بها في طاعة ربه تعالى حتى إنه يوم حنين لما تولى عنه أصحابه وبقي وحده ما يألو ما صادم العدو بنفسه

قال : فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين ، فرجع إلى قومه ، فقال : يا قوم أسلموا ، فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة" .

(١) أخرجه البخاري (٣٤/٥) ، كتاب مناقب الأنصار ، باب قول الله : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:من الآية ٩] ، ح٣٧٩٨ ، من طريق أبي هريرة ﷺ ، بلفظ : "أن رجلاً أتى النبي ﷺ ، فبعث إلى نسائه فقلن : ما معنا إلا الماء ..." ؛ وأخرجه مسلم في كتاب الأشربة ، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره ، بلفظ : "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال : إني مجهود ، فأرسل إلى بعض نسائه ، فقالت : والذي بعثك بالحق ما عندي إلا الماء ، ثم أرسل إلى أخرى ، فقالت مثل ذلك ، حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا ، والذي بعثك بالحق ، ما عندي إلا ماء ..." .

(٢) أخرجه البخاري (١٢٢/٢) ، كتاب الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة ، ح١٤٦٩ ، من طريق أبي سعيد الخدري ﷺ ، وفي كتاب الرقاق (٩٩/٨) ، باب الصبر عن محارم الله ، ح٦٤٧٠ ؛ وأخرجه مسلم (٧٢٩/٢) ، كتاب الزكاة ، باب في فضل التعفف والصبر ، ح١٠٥٣ .

(٣) أخرجه البخاري (٢٢/٤) ، كتاب الجهاد والسير ، باب الشجاعة في الحرب والجبن ، ح٢٨٢١ ، بلفظ : «أعطوني ردائي ، لو كان لي عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلاً ، ولا كذوباً ، ولا جباناً» ، وفي كتاب فرض الخمس (٩٤/٤) ، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ، ح٣١٤٨ .

(٤) في ب "أشرف" .

(٥) في ب "عزَّر" ، وفي هامشه "أي أدَّب نفسه بامتثال الطاعة" .

وأخذ كفًّا من تراب فرمى به في وجوه القوم فهزمهم الله تعالى[1] ، وجوده ﷺ بنفسه وصبره في (مثل)[2] هذا المقام الذي لم يبق معه ناصر ولا معاضد والعدو حريص على قتله أعظم من صبر إبراهيم عليه الصلاة والسلام على ذبح ابنه .

وأما قول الله تعالى في إبراهيم : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:من الآية ١٢٤] ففي الحديث أن نبينا ﷺ [ق٩/و] قال : «أنا إمامهم إذا بُعثوا وخطيبهم إذا ورَدُوا ...» الحديث[3] ، وقد صلى بإبراهيم وغيره من الأنبياء ليلة الإسراء وشريعته داخلة في شريعة محمد صلى الله عليهما وسلم وشريعة محمد ﷺ أتم وأكمل[4] من شريعة إبراهيم صلى

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٩٨/٣) ، كتاب الجهاد ، باب في غزوة حنين ، ح١٧٧٥ ، من طريق العباس بن عبدالمطلب ، بلفظ : "شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين ، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه ، ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي ، فلما التقى المسلمون والكفار ولَّى المسلمون مدبرين ، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبل الكفار ، قال عباس : وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكُفُّها إرادة أن لا تُسرع ، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «أي عباس ، ناد أصحاب السَّمُرة» ، فقال عباس : وكان رجلاً صيِّتاً ، فقلت بأعلى صوتي : أين أصحاب السَّمُرة ، قال : فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها ، فقالوا : يا لبيك ، يا لبيك ، قال : فاقتتلوا والكفار ، والدعوة في الأنصار يقولون : يا معشر الأنصار ، يا معشر الأنصار ، قال : ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج ، فقالوا : يا بني الحارث بن الخزرج ، يا بني الحارث بن الخزرج ، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم ، فقال رسول الله ﷺ «هذا حين حمي الوطيس» قال : ثم أخذ رسول ﷺ حصيات فرمى بهنَّ وجوه الكفار ، ثم قال : «انهزموا ورب محمد» قال : فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى ، قال : فوالله ماهو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلاً ، وأمرهم مدبراً" .

(٢) "مثل" ليس في ب .

(٣) أخرجه الترمذي (٥٨٥/٥) ، في المناقب ، باب في فضل النبي ﷺ ، ح٣٦١٠ ، من طريق أنس ﷺ ، بلفظ : «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، لواء الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر» ، وقال : "هذا حديث حسن غريب" ؛ وقال الألباني : "ضعيف" . الجامع الصغير وزيادته (٢٣٤/١) ح٣٢٣٤ ؛ وأخرجه الدارمي (١٩٦/١) ، كتاب دلائل النبوة ، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل ، ح٤٩ ، بلفظ : «أنا أولهم خروجاً ، وأنا قائدهم إذا وفدوا ، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ...» الحديث ؛ وأخرجه البغوي في شرح السنة (٢٠٣/١٣) ، كتاب الفضائل ، باب فضائل سيد الأولين والآخرين محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أجمعين وشمائله ، ح٣٦٢٤ ، وقال : "هذا حديث غريب" ؛ وأخرجه البيهقي في الدلائل (١٠٨/٦) ح٢٢٣٣ .

(٤) في ب "وأجمل" .

الله عليه وسلم كما هو معروف ؛ وقوله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل:من الآية ١٢٠] ومعنى الأمة أنه كان معلماً للخير وداعياً إليه ، ولا ريب أنَّ علم نبينا ﷺ وتعليمَه وما ظهر من الخير على يديه في زمانه وبعد موته بسببه أمر لا يكاد يرتاب فيه عاقل ، فإنَّ علمَه وشريعته متداولة بين أمته إلى يوم القيامة ، وسنَّة إبراهيم ﷺ من بعض ماهو من سنن محمد ﷺ التي دعا إليها وأمر بالاستنان بها ، وقنوت محمد ﷺ كان أعظم فإنه ﷺ لما نزل عليه : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:من الآية ٢] قام[1] فصلى حتى تفطرت قدماه فقيل له : قد غُفر لك من ذنبك ماتقدم وما تأخر ، فقال : «أفلا أكون عبداً شكوراً»[2] وصلّى حتى أنزل عليه ﷺ : ﴿طه (١) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ (٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه:١-٣][3] .

فإن قيل : إن إبراهيم ﷺ بوَّأ الله تعالى له مكانَ البيت حتى عَمَره وأقام شعائر الله ، قيل : ما فعله محمد ﷺ في أمر البيت أعظم ، فإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام جاء إلى أرض داثرة[4] فبنى فيها بيتاً وأقام فيه أموراً شرعها الله تعالى له ، وليس في ذلك كبير[5] مشقة وإن كان فيه من الفضل والإحسان مافيه ، فإن فعل نبينا ﷺ أعظم خطراً

---

(١) كذا في أ ونسخة بهامش ب ، وفي ب "فقام" بزيادة فاء .

(٢) أخرجه البخاري (١٣٥/٦) ، كتاب تفسير القرآن ، باب ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح:٢] ، ح٤٨٣٦ ؛ وأخرجه مسلم (٢١٧١/٤) ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ، ح٢٨١٩ .

(٣) أخرج ابن مردويه عن علي ﷺ قال : "لما نزل على النبي ﷺ : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل:١-٢] قام الليل كله حتى تورمت قدماه ، فجعل يرفع رجلاً ، ويضع رجلاً ، فهبط عليه جبريل ، فقال : ﴿طه﴾ [طه:١] طأ الأرض بقدميك يا محمد ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾ [طه:٢] ..." . انظر : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (٥٤٣/٢) ، للمتقي الهندي ، تحقيق : بكري حياني ، الطبعة الخامسة ١٤٠١ ، مؤسسة الرسالة .

(٤) في هامش ب "الدثور : الدروس ، أي مدروسة وخالية من العمران" .

(٥) في ب "كثير" .

وأشدّ ابتلاء فإنَّه بُدِّلت تلك الشعائر[1] التي رسمها إبراهيم عليه الصلاة والسلام (بعده)[2] ، وتناسخت الأحوال حتى صار ذلك البيت الذي بناه إبراهيم عليه الصلاة والسلام لإقامة شعائر الدين الحنيف بتبديل الجاهلية مَركزاً للشرك ومحلًّا للأوثان وصار يُعبَد فيه غير الله ويُدعى من سواه ويُقاتل على ذلك ، فبعث الله محمداً ﷺ [ق٩/ظ] فمحا تلك الآثار وكسر تلك الأصنام وأزال المنكرات وأعاد سنَّة إبراهيم عليه الصلاة والسلام التي كانت[3] قد دثرت ، وعبد الله وحده وزال[4] الإشراك[5] وزاد على شريعة إبراهيم مما[6] شرعه الله تعالى له حتى كان عام حجَّة الوداع أنزل عليه : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:من الآية ٣] حتى قال بعض اليهود لعمر بن الخطاب : "(يا أمير المؤمنين)[7] آيةٌ في كتابكم تقرؤنها لو علينا معشر يهود أنزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ، فقال عمر : أيّ آية ، قال : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...﴾ الآية [المائدة:من الآية ٣] ، فقال عمر رضي الله عنه : إني لأعلم الموضع الذي نزلت فيه واليوم الذي نزلت فيه يوم جمعة عشية عرفة"[8] ؛ ففرقٌ بين من بنى بيتاً وسنَّ سُنَّة من غير منازع إلى من جاء إلى أمَّة جاهلية جهلاء ، قد اجتمعت على بيتٍ جعلته دينها وأقامت فيه الأصنام يعبدونها من دون الله وشرعوا أموراً زيَّنها لهم الشيطان فرأوها حسنة واتخذوها ديناً وقاتلوا على ذلك وتوارثوه خلفاً عن سلف ووجدوا عليه آبائهم فأمرَهم بترك ما قد نشأوا عليه من ذلك الدين ومفارقة ما قد رسمه لهم أسلافهم

---

(١) في ب "الشرائع" .

(٢) "بعده" ليس في ب .

(٣) في أ "كان" بدون التاء ، وهو خطأ .

(٤) في ب "وأزال" .

(٥) في نسخة بهامش ب "الشرك" .

(٦) كذا في أ ونسخة بهامش ب . وفي ب "فيما" .

(٧) "يا أمير المؤمنين" ليس في ب .

(٨) أخرجه بنحوه البخاري (١/١٨) ، في كتاب الإيمان ، باب زيادة الإيمان ونقصانه ، ح٤٥ ؛ وأخرجه مسلم ، بنحوه في كتاب التفسير ، ح٣٠١٧ .

ونبتت عليه[1] لحومهم ودماؤهم فصرفهم عنه طوعاً وكرهاً وردَّهم عنه إلى دين لم يعرفوه هم ولا آباؤهم بما أوضحه لهم من الحق حتى أطاعوه وقال أحبَّ إليهم من آبائهم وأولادهم وإخوانهم وعشيرتهم حتى ضَرَبَ الدينُ بحرانه واستقر على أركانه .

وأما كفالة إبراهيم عليه الصلاة والسلام الأطفال[2] المؤمنين الذين يُتوفون وهم صغار فليس ذلك بأعظم من كفالة الأطفالِ في الدنيا ، فإن في الدنيا يحتاجون إلى ما يمونهم من مأكول ومشروب وغير ذلك ، بخلاف من هو في الآخرة في كفالة الله تعالى لا يحتاج إلى أكل وشرب وكسوة ومؤنة ، فإن محمداً ﷺ كان لليتيم كالأب الرحيم وللأرملة كالزوج الشفيق كما قال فيه عمه أبو طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل[3]

فكفالة الأحياء (بلا ريب أعظم من كفالة الأموات)[4] .

فإن قيل : إن الله تعالى أمر محمداً صلى الله عليه وسلم وبارك باتباع [ق١٠/و] ملة إبراهيم ﷺ ، قلنا : ذلك إحدى حسناته ﷺ فإنَّ محمداً ﷺ قد اتبع ملة إبراهيم ﷺ فحاز آخرها وزاد عليها ما أمر اللهُ به فكان له الفضل أولاً وأخيراً .

فإن قيل : إن الله تعالى سمَّى إبراهيم حليماً ومنيباً وأوَّاهاً ، قيل : هذه كلّها من بعض خصال محمد ﷺ وله من الخصال الحميدة أضعافُ أضعاف هذه كما هو مبسوط في كتب مناقبه ، فكان في الحلم آيةً [كما][5] قال أنس ﷺ : "خدَمتُه عشر سنين[6]

---

(١) في أ "عليهم" بزيادة الميم .

(٢) في ب "أطفال" .

(٣) تقدم التعليق عليه ، انظر : ص٣٣٥-٣٣٦ .

(٤) مابين القوسين ليس في ب .

(٥) "كما" زيادة من ب .

(٦) وردت رواية في مسلم (١٨٠٥/٤) ، كتاب الفضائل ، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً ، ح٢٣٠٩ : "تسع سنين" ، قال النووي في شرحه (٧١/١٥) : "وأما قوله : تسع سنين ، وفي أكثر الروايات : عشر سنين ، فمعناه أنها تسع سنين وأشهر ، فإن النبي ﷺ أقام بالمدينة عشر سنين تحديداً لا تزيد ولا تنقص ، وخدمه أنس في أثناء السنة الأولى ، ففي رواية (التسع) لم يحسب الكسر ، بل اعتبر السنين الكوامل ، وفي رواية (العشر) حسبها

وليس كلّ شأني كما يَرضى صاحبي ، فما قال لي يوماً قط لشيء صنعته لم صنعت هذا هكذا ، ولا لشيء لم أصنعه لِمَ لم تصنع هذا هكذا"[1] وكان ﷺ من الإنابة إلى ربِّه سبحانه بالموضع الذي لايخفى فإنه كان من دعائه : «اللهم بك أُقاتِل وبك أصول وبك أحول»[2] إلى غير ذلك من الإنابة في جِلِّ الأمور ودِقِّها وكان من تأوهه وخوفه من ربه أنه يقول : «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم[3] قليلاً وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصّعدات تجأرون إلى ربكم»[4] إلى غير ذلك من أخباره عن حلمه وإنابته وتأوّهه .

فإن قيل : إن إبراهيم عليه السلام أوحي إليه : "يا إبراهيم إنك لمَّا سَلَّمت مالك إلى الضِيفان ، وابنك إلى القربان ، ونفسك إلى النيران ، وقلبك إلى الرحمن ، اتخذناك خليلاً"[5] ، قلنا : إن ذلك لفضل عظيم ، وخير عميم ، وفخر مقيم ، وكل ذلك من

سنة كاملة ، وكلاهما صحيح" .

(١) أخرجه البخاري (١٢/٩) ، كتاب الديات ، باب من استعان عبداً أو صبياً ، ح٦٩١١ ، بلفظ : "فخدمته في الحضر والسفر ، فوالله ما قال لي لشيء صنعته لم صنعت هذا هكذا ، ولا لشيء لم أصنعه لِمَ لَمْ تصنع هذا هكذا" ؛ وأخرجه مسلم ، بنحو لفظ البخاري في كتاب الفضائل ، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً ، ح٢٣٠٩ .

(٢) أخرجه الترمذي (٥٧٢/٥) ، أبواب الدعوات ، باب في فضل لا حول ولا قوة إلا بالله ، ح٣٥٨٤ ، بلفظ : «اللهم أنت عضدي ، وأنت نصيري ، وبك أقاتل» ، وقال : "هذا حديث حسن غريب" ؛ وأخرجه أبو داود (٤٢/٣) ، بنحوه في كتاب الجهاد ، باب ما يدعى عند اللقاء ، ح٢٦٣٢ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ؛ وقال الألباني في صحيح أبي داود (٣٨٢/٧) ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ ، مؤسسة غراس ، الكويت : "إسناده صحيح على شرط الشيخين ، وصححه ابن حبان ، وأبو عوانة ، وحسنة الترمذي" .

(٣) في ب "وضحكتم" بدون اللام .

(٤) أخرجه الترمذي (٥٥٦/٤) ، بنحوه في أبواب الزهد ، باب في قول النبي ﷺ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ح٢٣١٢ ، وقال الترمذي : "حديث حسن غريب" ؛ وأخرجه ابن ماجه (١٤٠٢/٢) ، بنحوه في كتاب الزهد ، باب الحزن والبكاء ، ح٤١٩٠ .

(٥) لم أقف على هذا الحديث القدسي مروياً في كتب السنة ، وإنما قول من الأقوال في تأويل : ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥] . انظر : مفاتيح الغيب (٤٧/١١) ، للفخر الرازي ، الطبعة الأولى ١٤٢١ ، دار الكتب

بعض ما أُعطي نبينا ﷺ وزاد عليه كما أشرنا إليه وكما يأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى .

فإن قيل : إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أُعطي الصّحف وكانت عشر صحائف ، قلنا : إن ما أوتي محمد ﷺ من السبع المثاني والقرآن العظيم أعظم من ذلك بكثير فإن صحف إبراهيم عليه السلام كانت كلها مواعظ وأمثالاً كقوله فيها : "أيها الملِك المبتلى المُسَلّط المغرور إنّي لم أبعثك لجمع الدنيا بعضها على بعض ولكن بعثتك لتَرُدَّ عنّي دعوة المظلوم فإنّي [ق١٠/ظ] **لا أردها وإن كانت من كافر"**[1] **وأمثال ذلك من الحِكَم**[2] **، وكان ما أوتيه محمد ﷺ من القرآن فيه نبأ مَن مضى ونبأ مَن يأتي إلى يوم القيامة ومابين ذلك من الحِكَم والأحكام والمواعظ والزواجر والأمر والنهي والتحليل والتحريم إلى غير ذلك مما يطول ذكره ويشق حصره ، فمحمد ﷺ سيّد الرُّسل عليهم الصلاة والسلام وكتابه سيّد الكتب وأمَّته خَيْر الأمم صلوات الله عليه وسلامه .**

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم:٣٧] **: أي وفَّى بما ابتلاه به من قوله تعالى : ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾** [البقرة:من الآية ١٢٤] **اختلف العلماء في الكلمات التي ابتلى الله تعالى بها إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما : "هي ثلاثون سهماً ، وهي شرائع الإسلام لم يُبْتلَ أحدٌ بهذا الدين فأقامه كلَّه إلا إبراهيم عليه السلام أتمهنَّ فكُتِب له البراءة فقال : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾** [النجم:٣٧] **وهي عشر في سورة براءة**[3] **: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ...﴾ إلى**

العلمية ، بيروت ؛ لباب التأويل في معاني التنزيل (٦٠٤/١) ، للخازن ، ١٣٩٩ ، دار الفكر ، بيروت ؛ وقد وجدته مروياً في كتب الشيعة عن أبي الحسن المسعودي في كتابه أخبار الزمان . انظر : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٤٣٣/٣) ، للمحبي ، ١٢٨٤ ، المطبعة الوهبية .

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧٦/٢) ، بنحوه في كتاب البر والإحسان ، باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ح٣٦١ ، من حديث أبي ذر الطويل ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، الطبعة الثانية ١٤١٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : "إسناده ضعيف جداً ..." ، وأخرجه كثير (٤٧٢/٢) ؛ وقال الألباني : "ضعيف جداً" . ضعيف الترغيب والترهيب (٨٢/٢) ح١٣٥٢ ، للإمام الألباني ، ١٤٢١ ، مكتبة المعارف .

(٢) في ب "الحلم" .

(٣) في ب "البراءة" .

آخرها[1] [التوبة:١١٢] وعشر في الأحزاب : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ...﴾ إلى آخرها [الأحزاب:٣٥] وعشر في المؤمنين : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ...﴾ [المؤمنون:١] وقوله : ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ...﴾ [المعارج:٢٢] في سأل سائل" ، وروى طاوس عن ابن عباس أيضاً قال : "ابتلاه الله تعالى بعشرة أشياء هي من الفطرة والطهارة ، خمس في الرأس وخمس في الجسد فالتي في الرأس قصُّ الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرّأس[2] ، والتي في الجسد تقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء" ، وقال مجاهد : "هي الآيات التي بعدها في قوله تعالى : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾[البقرة:من الآية ١٢٤] إلى آخر القصة" ، وقال الربيع وقتادة : مناسك الحج ، وقال الحسن : سبعة أشياء ابتلاه [الله][3] بالكوكب والقمر والشمس وأحسن النظر في ذلك وعلم أن ربَّه دائم لايزول [أبداً][4] وابتلاه بالنَّار فصبر على ذلك وابتلاه بالهجرة فصبر على ذلك وابتلاه بذبح ابنه فصَبر [على ذلك][5] وبالختان فصبر على ذلك ؛ وقال أبو رَوْقٍ[6] : هي قوله : ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾...﴾ [الشعراء:٧٨] إلى آخر الآيات ؛ وقال بعضهم : هي [ق١١/و] أن الله تعالى ابتلاه في ماله وولده ونفسه وقلبه ، فسَلَّم مالَه للضيفان ، وولدَه إلى القربان ، ونفسه إلى النيران ، وقلبه إلى الرحمن ، فاتخذه خليلاً ؛ وقيل هي : سهام الإسلام وهي عشرة : شهادة أن لا إله إلا الله وهي الملة ، والصلاة وهي الفطرة ، والزكاة وهي الطُّهْرة ، والصوم وهو الجُنّة ، والحج وهو

---

(١) في ب "آخره" .

(٢) فرق الرأس : أي فرق شعر الرأس ، وهو قسمته في المفرق وهو وسط الرأس ، والمفرق مكان انقسام الشعر من الجبين إلى دائرة الرأس ؛ قال النووي في حكمه : "اختلف السلف فيه ... والحاصل أن الصحيح المختار جواز السدل والفرق ، وأن الفرق أفضل" . انظر : عمدة القاري (٢٢/٨٦) ، شرح النووي على مسلم (١٥/٩٠) .

(٣) لفظ "الله" زيادة من ب .

(٤) "أبداً" زيادة من ب .

(٥) "على ذلك" زيادة من ب .

(٦) أبو روق –بفتح الراء وسكون الواء بعدها– : هو عطية بن الحارث الهمداني الكوفي ، صاحب التفسير . انظر : تقريب التهذيب ص٣٩٣ .

الشريعة ، والغَزْو وهو النصرة ، والطاعة وهي العصمة ، والجماعة وهي الأُلفة ، والأمر بالمعروف وهو الوفاء ، والنهي عن المنكر وهو الحجة ، فأتمهن ، وقام بهن ، ووفَّى بهن ، فقال الله تعالى له : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:من الآية ١٢٤][1] .

الكلام على تفضيل هذه الأشياء وأنّ ما أوتي محمد ﷺ منها مثلها أو ما يوازيها على أتم مما أوتيها إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأكمل وأفضل

مفاضلة بين إتمام إبراهيم عليه السلام لما ابتلاه الله به من كلمات وبين إتمام نبينا محمد ﷺ لهن

فأما العشر التي في سورة براءة فقوله : ﴿التَّائِبُونَ﴾ [التوبة:من الآية ١١٢] فقد أوتيها محمد ﷺ بل وكثير من أمَّته ، فإنه ﷺ قال : «استغفروا الله وتوبوا إليه فإنِّي أتوب إلى الله في اليوم مائة مرّة»[2] ، وفي أمّته من يفعل ذلك و قريباً منه كثير ، وقوله : ﴿الْعَابِدُونَ﴾ [التوبة:من الآية ١١٢] فبعبادته تضرب الأمثال وحالُهُ فيها لاتطاق ، فقد كان يقوم حتى تتفطر قدماه[3] ، ويصوم حتى يُقال لا يفطر ، وكنت لاتشاء أن تراه من الليل قائماً إلا رأيته[4] ، وكان يقوم من الليل ما شاء الله ثم ينام ثم يقوم ثم ينام ثم يقوم[5] وهذه حالةٌ لا يتمكن منها أحد غيره في الليلة الواحدة ، وكثير من أمَّته كان يُحيي

---

(١) انظر الأقوال في تأويل الآية : الكشف والبيان (١/٢٦٨-٢٦٩) ، للثعلبي .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب العلم ، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ، بلفظ : «يا أيها الناس توبوا إلى الله ، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة» ، ح٢٧٠٣ .

(٣) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٤٨ .

(٤) أخرج البخاري في صحيحه (٢/٥٢) ، كتاب التهجد ، باب قيام النبي ﷺ بالليل من نومه وما نُسخ من قيام الليل ، ح١١٤١ ، عن أنس رضي الله عنه قال : "كان رسول الله ﷺ يُفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم منه ، ويصوم حتى نظن أن لا يُفطر منه شيئاً ، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصليّاً إلا رأيته ، ولا نائماً إلا رأيته" .

(٥) قال الإمام ابن عبدالبر معلقاً على قول عائشة رضي الله عنها : "ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثاً قالت عائشة فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر فقال يا عائشة : «إن عيني تنامان ولا ينام قلبي»" ، قال ابن عبدالبر : "وأما قولها في هذا الحديث أتنام قبل أن توتر فإنه لا يوجد إلا في هذا الإسناد ففيه تقديم

الليل ويصوم النهار ، وأراد بعض أصحابه أنْ يتبتَّل[1] فنهاهم عن ذلك[2] ، وعزموا على الوصال في رمضان كما كان يُواصِل فنهاهم خوفاً عليهم أن يُفرَض عليهم فيعجز منهم من يعجز منهم عنه[3] ، وكان كثيراً ما يعمل العمل والأشياء من النوافل وقتاً دون وقتٍ خوفاً أن يتبعه أصحابُه فيُفرَض عليهم ، وخلائق من لايُحصى من أمَّته كان يصلِّي الصبح بوضوء العشاء ويَسرُد الصَّومَ في ضمن ما يعملون من الجهاد وغيره مما يطول شرحه وهو واضح ظاهر ، وقوله : ﴿ٱلْحَـٰمِدُونَ﴾ [التوبة:من الآية ١١٢] **فقد كان محمد ﷺ أعظم النَّاس** [ق١١/ظ] **حمداً لربِّه سبحانه ، وأنزل الله فاتحة الكتاب المفتتحة بالحمد لله التي لم تُنزل على أحد من الأنبياء قبله المتضمّنةِ لحقوق الله تعالى ومطالب العبد كما في الحديث «قسَمْتُ الصلاة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ، يقول العبد : الحمد لله رب العالمين ، يقول الله : حمدني عبدي ...» (الحديث)[4][5] ، فجعل الله**

وتأخير لأنه في هذا الحديث بعد ذكر الوتر ، ومعناه أنه كان ينام قبل أن يصلي الثلاث التي ذكرت ، وهذا يدل على أنه كان يقوم ثم ينام ثم يقوم فينام ثم يقوم فيوتر ، ولهذا ما جاء في هذا الحديث أربعاً ثم أربعاً ثم ثلاثاً أظن ذلك والله أعلم من أجل أنه كان ينام بينهن فقالت أربعاً ثم أربعاً يعني بعد نوم ثم ثلاث بعد نوم ولهذا ما قالت له أتنام قبل أن توتر" . التمهيد (٧٢/٢١) .

(١) التبتل : الانقطاع عن النساء وترك النكاح . النهاية في غريب الأثر (٢٢٨/١) .

(٢) أخرج مسلم في صحيحه (١٠٢٠/٢) ، كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم ، ح١٤٠١ ، عن أنس ﷺ : "أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر ؟ فقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم : لا آكل اللحم ، وقال بعضهم : لا أنام على فراش ، فحمد الله وأثنى عليه ، فقال : «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ؟ لكني أصلي وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني» .

(٣) أخرج البخاري في صحيحه (٢٩/٣) ، كتاب الصوم ، باب بركة السحور من غير إيجاب ، ح١٩٢٢ : عن عبدالله بن عمر ﷺ : "أن النبي ﷺ واصل ، فواصل الناس ، فشق عليهم فناهم ، قالوا : إنك تواصل ، قال : «لست كهيئتكم إني أظل أطعم وأسقى» ؛ وأخرجه مسلم (٧٧٤/٢) ، بنحوه في كتاب الصيام ، باب النهي عن الوصال في الصوم ، ح١١٠٢ .

(٤) لفظ "الحديث" ليس في ب .

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٦/١) ، كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وإنه إذا لم يُحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها ، ح٣٩٥ ، من طريق أبي هريرة ﷺ ، بلفظ : «قال الله تعالى : قسمت الصلاة

هذه السورة مُكرَّرة في صلاته في كل ركعة من الصلوات الخمس فجعل صلاته كلّها حمداً لله تعالى ، هذا غير ما يحمده في غيرها ضمن التسبيح والتحميد والتكبير الذي كان يفعله عقيب الصلوات وعند المنام وعند القيام وعند الطعام وعند غالب أحواله ولأمَّته من ذلك النصيب الوافر ، ولهذا أنزل في التوراة على موسى في صفتهم أنهم "الحمَّادون رُعاة الشمس"(١) يعني المحافظين على الصلوات في أوقاتها بمراعاة(٢) زوال الشمس وتحلّقها(٣) وغروبها وغير ذلك ، فمحمَّد ﷺ وأمَّته الحمَّادون الله(٤) على كل حال وفي كل نعمة ، وفي التوراة أنهم الحمادون على كل نجد(٥)(١) ؛ وقوله :

بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] قال الله تعالى : حمدني عبدي ...» الحديث ؛ وأخرجه النسائي في السنن الصغرى (٢/١٣٥) ، كتاب الافتتاح ، باب ترك قراءة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:١] في فاتحة الكتاب ، ح٩٠٩ ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، بلفظ : «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، فنصفها لي ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل» قال رسول الله ﷺ : «اقراءوا يقول العبد : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] ، يقول الله ﷻ : حمدني عبدي ...» الحديث ؛ وأخرجه أبو داود (١/٢٦١) ، بلفظ النسائي في كتاب الصلاة ، باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب ، ح٨٦١ ؛ وأخرجه الترمذي (٥/٢٠١) ، بنحوه في أبواب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة فاتحة الكتاب ، ح٢٩٥٣ ؛ وأخرجه ابن ماجه ، بنحوه في كتاب الأدب ، باب ثواب القرآن ، ح٣٧٨٤ .

(١) روى البغوي بسنده في تفسيره –معالم التنزيل- (٣/٢٧٩) ، تحقيق : محمد النمر و عثمان ضميرية و سليمان الحرش ، الطبعة الرابعة ١٤١٧ ، دار طيبة ، عن كعب الأحبار "أن موسى نظر في التوراة فقال: إني أجد أمة خير الأمم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله وبالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ، ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجال ، رب اجعلهم أمتي ، قال : هي أمة محمد يا موسى ، فقال : ربي إني أجد أمة هم الحمادون رعاة الشمس المحكمون إذا أرادوا أمراً قالوا نفعل إن شاء الله فاجعلهم أمتي ، قال : هي أمة محمد ..." ؛ وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/٣٨٥) .

(٢) كذا في أ ونسخة بهامش ب . وفي ب "لمرعاة" .

(٣) في هامش ب "التحلُّق :استواء الشمس في الفلك" .

(٤) في نسخة بهامش ب "لله" بالجر .

(٥) النجد : ما ارتفع من الأرض . النهاية (٥/٤٧) .

﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة:من الآية ١١٢] يعني «الصّائمين»[٢] رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ[٣] ، وقال سعيد بن جُبَيْر : هم الصائمون ألم تر أنّ الله تعالى إذاً ماذكر الصائمين[٤] ، وقال الحسن : ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة:من الآية ١١٢] الصائمون عن الحلال الممسكون عن الحرام ، وقال عطاء : ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة:من الآية ١١٢] الغُزَاةُ والمجتهدون ، وقال عُمَر بن نافع : سمعت عكرمة وسئل عن قول الله تعالى : ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة:من الآية ١١٢] فقال : هم طلبة العلم[٥] ، وقد أوتي محمَّد ﷺ وأمَّته من هذا النصيب الأوفى فقد ذكرنا أنه كان يصوم حتى يُقال لايُفطر ، وقال بعض أصحابه وأراد التّبتل للعبادة : أما أنا فأصوم لا أُفْطر وهو عبدالله بن عمرو بن العاص وفعل ذلك مدَّة حتى نهاه النبي ﷺ عن ذلك شفقةً عليه[٦] ، وأمّا كون السياحة الجهاد فقد باشر النبي ﷺ الجهاد بنفْسه وكُسرت رباعيته ودُمِي وهُشمت البيضة على رأسه وكان يَحْمل على الكَتيبَةِ ويقول : «أنا النبي لاكذب أنا ابن عبدالمطلب»[٧] فيُوَلّي الكفارُ الأدبارَ ، وقد جاهد في الله تعالى حق جهاده ، وفي الصحيح أنَّ البراء قال : كنا والله

---

(١) روى البغوي بسنده في تفسيره (٣/٢٨٩) ، عن كعب ﷺ قال : "إني أجد في التوراة مكتوباً محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ، أمته الحمادون يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل نجد ..." .

(٢) في ب "الصائمون" .

(٣) روي مرفوعاً وموقوفاً ، والموقوف أصح . انظر : تفسير ابن كثير (٤/٢٢٠) .

(٤) قال سعيد بن جبير : "هم الصائمون ألم تر أن الله ﷻ إذا ذكر الصائمين لم يذكر السائحين ، وإذا ذكر السائحين لم يذكر الصائمين" . تفسير الثعلبي (٥/٩٨) .

(٥) انظر الأقوال في تأويل الآية : تفسير الثعلبي (٥/٩٨) .

(٦) أخرج البخاري في صحيحه (٨/٣١) ، كتاب الأدب ، باب حق الضيف ، ح٦١٣٤ ، عن عبدالله بن عمرو ﷺ قال : "دخل عليَّ رسول الله ﷺ فقال : «ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار» قلت : بلى ، قال : «فلا تفعل ، قم ونم ، وصم وأفطر ، فإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لعينك عليك حقاً ، وإن لزورك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ...» الحديث .

(٧) أخرجه البخاري (٤/٣٠) ، كتاب الجهاد والسير ، باب من قاد دابة غيره في الحرب ، ح٢٨٦٤ ؛ وأخرجه مسلم (٣/١٤٠١) ، كتاب الجهاد والسير ، باب في غزوة حنين ، ح١٧٧٦ .

إذا احمرَّ البأس نتَّقي به وإن الشجاع منّا للذي يُحاذي به يعني [ق١٢/و] النبي ﷺ[1] ، وكان من أُمَّته من إذا لقي العدو كسَر جَفْن سيفه[2][3] وحمل عليهم[4] ، ومنهم من كان في يده تمرات فلمَّا التقى الجمعان قال : لئن عشتُ حتى آكل تمراتي هذه إنَّها لحياة طويلة فألقى التمرات وقاتل حتّى قُتل[5] ومن هذا الجنس في أمّة محمد ﷺ قديماً وحديثاً كثيرٌ معروف مشهور ، وأمَّا كون السِّياحة طلب العلم فإنَّ محمَّداً ﷺ كان في بَدْء أمره يتزوَّد ويخرج إلى جبل حراء يتوقع نزولَ الوحي وتعلُّم العلم من الملَك ، ولم يُنقَل عن أحد من الأمم في كثرة طلب العلم ما في أمَّة محمد ﷺ حتى إنَّ أحدهم يرحل مسيرة الشهر في طلب الحديث الواحد ، ومنهم من يتغرَّب السنين في طلب العلم ويترك وطنه وأهله وولده ، وقوله : ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ [التوبة:من الآية ١١٢] : يعني

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٠١/٣) ، كتاب الجهاد والسير ، باب في غزوة حنين ، ح١٧٧٦ .

(٢) جفن السيف : غمده . لسان العرب (٨٩/١٣) .

(٣) في هامش ب "جفن السيف : غمده ، أي يقع الكسر في آلات حربه من غاية شجاعته كقوله : بهن فلول من قراع الكتائب" .

(٤) أخرج مسلم في صحيحه (١٥١١/٣) ، كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد ، ح١٩٠٢ ، من طريق أبي بكر بن عبدالله بن قيس عن أبيه ، قال سمعت أبي ، وهو بحضرة العدو يقول : قال رسول الله ﷺ : «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف» ، فقام رجل رث الهيئة ، فقال : يا أبا موسى ، آنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا ؟ قال : نعم ، قال فرجع إلى أصحابه ، فقال : أقرأ عليكم السلام ، ثم كسر جفن سيفه فألقاه ، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قُتل" .

(٥) وهو عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري السلمي ، قال ابن الأثير في ترجمته : "قتل ببدر وهو أول قتيل من الأنصار في الإسلام في حرب ... قال ابن إسحاق : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم بدر : «لا يقاتل أحد في هذا اليوم فيقتل صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مدبر إلا دخل الجنة» ، وكان عمير واقفاً في الصف بيده تمرات يأكلهن فسمع ذلك فقال : بخ بخ ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء وألقى التمرات من يده وأخذ السيف فقاتل القوم وهو يقول :

ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد

والصبر في الله على الجهاد إن التقى من أعظم السداد

وخير ما قاد إلى الرشاد وكل حي فإلى نفاد

ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل ، قتله خالد بن الأعلم" . أسد الغابة (٢٧٨/٤-٢٧٩) .

المصلين ، وقد ذكرنا[1] أن محمداً ﷺ صلّى حتى تفطَّرت قدماه ، وأمَّتُه الموصوفون في التوراة بأنهم رُعاة الشمس يُوضِّؤون أطرافهم ويسجدون على جباههم وأن الأرض كلها لهم مسجد وترابها طَهُور ، فليس في الأمم أعظم صلاة منهم كما هو وصفهم في التوراة أنهم يصفّون في صلاتهم صفوف الملائكة وأصواتهم في مساجدهم كَدوي النحل[2] ، وأن موسى عليه السلام قد كان أراد بني إسرائيل على أقلّ من خمس صلوات فلم يقدروا ولم يفعلوا كما في حديث الإسراء ، وفي أمّة محمد ﷺ مَن يُصلي الخمس ثم يصلي من النوافل أضعافها ، فصلاة محمد ﷺ وأمّته على أتمّ الوجوه وأكمل الأحوال ؛ وقوله : ﴿ٱلْأَمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة:من الآية ١١٢] وكان لمحمد ﷺ من ذلك النصيب الأوفى والحظ الأسنى كما أوحى الله تعالى إليه في شأن أهل الكتاب أنه ﷺ ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:من الآية ١٥٧] فأخبر سبحانه وتعالى أنه مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل بهذه الصفات وكذلك صفة [ق١٢/ظ] أمته في التوراة أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[3] ، وقوله : ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:من الآية ١١٢] قال ابن عباس رضي الله عنهما : القائمون على طاعة الله[4] ، وهذا من خواص ما أوتي محمد ﷺ أنّ دينه لا يزال قائماً حتى تقوم الساعة كما في الصحيح : «لا تزال

(١) في ب "ذكر" .

(٢) أخرج الدارمي في سننه (١٥٨/١) ، كتاب دلائل النبوة ، باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه ، ح٧ ، تحقيق : حسن سليم ، الطبعة الأولى ١٤١٢ ، دار المغني ، عن كعب رضي الله عنه قال : "محمد رسول الله أمته الحمادون يحمدون الله في السراء والضراء يحمدون الله في كل منزله ، ويكبرون على كل شرف ، رعاة الشمس يصلون الصلاة إذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كناسة ، ويأتزرون على أوساطهم ، ويوضؤن أطرافهم ، وأصواتهم بالليل في جو السماء كصوت النحل" .

(٣) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٥٦.

(٤) تفسير الثعلبي (٩٨/٥) .

طائفة من أمتي يدعون إلى الحقّ لايضرهم مَن خذلهم ولا مَن خالفهم حتى تقوم الساعة»[1] ، وقال الحسن : الحافظون لحدود الله هم أهل الوفاء ببيعته[2] كما قال له بعض أصحابه حين ندبهم إلى الجهاد : والله لانقول لك كما قال أصحاب موسى لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، بل نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكم مقاتلون ، واللهِ لو أمرتنا أن نُخيضها البحر لأخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادَها إلى بَرك الغِماد لفعلنا[3] . ولما نودي في أصحابه يوم هوازن حين ولّوا لما رَمَوهم بالنّبل نادى العباس : يا أصحاب السَمُرة يا أصحاب سورة البقرة فذكّرهم عقد البيعة التي بايعوا بها محمّداً ﷺ تحت الشجرة عَطَفوا عطفة[4] البقر على أولادها يقولون : يالبيّك يالبيّك ، فقال رسول الله ﷺ : «الآن حين حمي الوطيس»[5] وأنزل الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٢] ؛ وأما تفصيل العشر التي في الأحزاب وأن محمّداً ﷺ أوتيها على أكمل الأحوال وأتمّ الأفعال فقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ...﴾ الآية

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه (٢٠٧/٤) ، كتاب المناقب ، ح٣٦٤١ ، بلفظ : «لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم ، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك» ؛ وأخرج مسلم في صحيحه (١٥٢٤/٣) ، كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» ، ح١٠٣٧ ، بلفظ : «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس» .

(٢) تفسير الثعلبي (٩٨/٥-٩٩) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٠٥/٣) ح١٢٠٤٥ ، من طريق أنس ﷺ ، بلفظ : "لما سار رسول الله ﷺ إلى بدر خرج فاستشار الناس ، فأشار عليه أبو بكر ، ثم استشارهم ، فأشار عليه عمر ، فسكت ، فقال رجل من الأنصار : إنما يريدكم ، فقالوا : يا رسول الله ، والله لا نكون كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههانا قاعدون ، ولكن والله لو ضربت أكبادها حتى تبلغ برك الغماد لكنا معك" .

قال ابن كثير : "وهذا إسناد ثلاثي صحيح على شرط الصحيح" . البداية والنهاية (٣٢١/٣) .

(٤) عطف عطفاً وعطوفاً : مال وانحنى . المعجم الوسيط (٦٠٨/٢) .

(٥) أخرجه مسلم (١٣٩٨/٣) ، كتاب الجهاد والسير ، باب في غزو حنين ، ح١٧٧٥ ، بلفظ : «هذا حين حمي الوطيس» .

[الأحزاب:٣٥] فقد روي أن مقاتل بن حَيَّان قال : بلَغني أنّ أسماء بنت عُمَيس رضي الله عنها رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما[1] فدخلت على نساء رسول الله ﷺ فقالت[2] : هل نزل فينا شئ من القرآن ، قلن : لا ، فأتَتْ رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن النساء لفي خَيبةٍ وخسارٍ ، فقال رسول الله ﷺ : «ومِمَّ ذاك» ، قالت : لأنهنّ لا يُذكَرْن [ق١٣/و] بخير كما يُذكَر الرجال فأنزل الله ﷻ : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥][3] ولا ريب أنّ هذه الأمور كانت من محمد ﷺ على أكمل الأحوال وفي كثير من أمّته كانت وتكون على الأحوال الكاملة ، وقد قال عطاء بن أبي رباح رحمة الله عليه : من فوَّض أمره إلى الله ﷻ فهو داخل في قوله : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب:من الآية ٣٥] ، ومن أقرّ بأنَّ الله ربّه وأن محمداً ﷺ رسوله ولم يخالف قلبُه لسانَه فهو داخل في قوله : ﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب:من الآية ٣٥] ، ومن أطاع الله تعالى والرسول ﷺ في السنَّة فهو داخل في قوله : ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ [الأحزاب:من الآية ٣٥] ، ومن صان لسانه عن الكذب فهو داخل في قوله : ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ [الأحزاب:من الآية ٣٥] ، ومن صَلَّى فلم يَعرفْ مَن عن يمينه وعن يساره فهو داخل في قوله : ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾

(١) في هامش أ "أي عن الزوج والزوجة" -الترضي- .

(٢) في ب "فقال" ، وهو تصحيف .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي (٤٥/٨) .

[الأحزاب:من الآية ٣٥] ، ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرَّزيئة[1][2] فهو داخل في قوله : ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ﴾ [الأحزاب:من الآية ٣٥] ، ومن تصدَّق في كل أسبوع بدرهم فهو داخل في قوله تعالى : ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ﴾ [الأحزاب:من الآية ٣٥] ، ومن صام في كل شهر أيام البيض : ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر فهو داخل في قوله : ﴿وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ﴾ [الأحزاب:من الآية ٣٥] ، ومن حفظ فرجَه عمّا لا يحل له فهو داخل في قوله : ﴿وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ﴾ [الأحزاب:من الآية ٣٥]، ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله : ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:من الآية ٣٥][3]، فمحمَّد ﷺ في الإسلام جبل راسخ، وفي الإيمان عَلَم شامخ ، وفي القنوت بحر طافح ، وفي الصدق [ق١٣/ظ] سحاب سافح[4] ، وفي الخشوع إمام ، وفي الصبر على الطاعة هُمام ، وكان أبعد الناس عن المعصية ، وأصبرهم على المَرْزِية ، وكان أعظم الخلق بالصّدقة إيثاراً ، وفي الهَواجر[5] على مواظبة الصوم اصطباراً ، وكان ﷺ أمْلَكَ الخلق لإربه في الحلال فكيف عن الحرام ، وأشد الناس مُثابرة على الصلوات والناس نيام ، وكم في أمّته من قُطْبٍ[6] استنَّ بسنّته ، وكم فيهم من

---

(١) في ب "الرزيّة" بالتسهيل وكلاهما صحيح ، فقد جاء في المعجم الوسيط : "الرزيئة ويقال الرزية بالتسهيل" . المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات و حامد عبدالقادر ومحمد النجار ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ؛ وفي نسخة بهامش ب "الذريئة" .

(٢) الرزيئة بالمد والرزية : المصيبة . مختار الصحاح ص٢٦٧ .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي (٤٦/٨) .

(٤) سافح : اسم لـ(سفح) ، وقال ابن فارس : " السين والفاء والحاء أصل واحد يدل على إراقة شيء ، يقال سفح الدم إذا صبَّه" معجم مقاييس اللغة (٦١/٣) .

(٥) الهواجر : شدة الحر . لسان العرب (٢٥٠/٥) .

(٦) القطب : كل من دار عليه أمر من أمور الدين أو الدنيا باطناً أو ظاهراً ، فهو قطب ذلك الأمر ومداره ، سواءٌ كان الدائر عليه أمر داره أو دربه أو قريته أو مدينته ، أمر دينها أو دنياها ، باطناً أو ظاهراً ، لكن الممدوح من ذلك من كان مداراً لصلاح الدنيا والدين دون مجرد صلاح الدنيا ، وهي من الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة ،

وليٍّ سار بسيرته ، وليس ذلك لغير محمد ﷺ (كما لَه ، وليس لواحد من الأمم مثل ما)[1] ولأمّته[2] ، ولا اجتمع في أهل ملل غير أهل ملّته .

وأما العشر التي في المؤمنين فقوله : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون:١-١١] **فقد مضى ذكر الإيمان والخشوع وهنا ذكر الخشوع في الصلاة فإنّه أوكَدُ منه في غير الصلاة واللغو القبيح من القول وقد قال ﷺ : «إني لم أُبعَثْ لعَّاناً ولا فحَّاشاً ولا سخَّاباً في الأسواق»[3] ، وقوله : ﴿لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾** [المؤمنون:من الآية ٤] **ولم يكن ﷺ صاحبَ مال ، وعُرضت عليه ﷺ كنوز الأرض فأباها[4] ولم يكن فقره كفقر غيره من الناس الذين يأكلون الصدقات فإن الصدقة محرّمة عليه وعلى ذريّته وبَني عمّه إلى يوم القيامة ، [ففقره أعلى درجة من درجة الملوك][5] ، وهذه المرتبة أكمل من مرتبة صاحب مالٍ يُسأل من أين اكتسبه وفيما أنفقه[6] ، وفي أمّة محمد**

وليست موجودة في كتاب الله تعالى ، ولا هي أيضاً مأثورة عن النبي ﷺ بإسناد صحيح ولا ضعيف . انظر : مجموع الفتاوى (١١/٤٣٣ ، ٤٤٠) .

(١) ما بين القوسين ليس في ب .

(٢) في ب "وأمته" بدون اللام ، وهو تصحيف .

(٣) أخرجه مسلم (٤/٢٠٠٦) ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ، ح٢٥٩٩ ، بلفظ : «إني لم أبعث لعاناً ، وإنما بعثت رحمة» .

(٤) أخرج الإمام أحمد في مسنده (١٢/٧٦) ح٧١٦٠ ، عن أبي هريرة ﷺ قال : "جلس جبريل إلى النبي ﷺ ، فنظر إلى السماء ، فإذا ملك ينزل ، فقال جبريل ، إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة ، فلما نزل قال : يا محمد أرسلني إليك ربم ، أفملكاً نبياً يجعلك ، أو عبداً رسولاً ، قال جبريل : تواضع لربك يا محمد ، قال : «بل عبداً رسولاً» .

(٥) الزيادة من نسخة في ب ، وفي هامش أ كذلك .

(٦) في أ "أخرجه" ، وما أثبته في ب ونسخة بهامش أ وهي اللفظة الواردة في الحديث الصحيح الذي أخرجه الترمذي (٤/٦١٢) ، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب في القيامة ، ح٢٤١٧ .

ﷺ من أولياء الله الصّالحين مَن سُئل عن قدر الزكاة ماهو فقال للسائل : عندنا أو عندكم ، وكان السائل فقيهاً ، فقال السائل : وهل عندكم غير ماعندنا ، قال : نعم ، أنتم عندكم في كلّ مائتي درهم خمسة دراهم حقّ الله ، ونحن عندنا أنّ الكلّ حقّ الله[1] و [ق١٤١/و] لهذا قال النبي ﷺ : «ما يكن عندي من خير فلن ادّخره عنكم»[2] وكان ﷺ لا[3] يدّخر شيئاً لغد ، وكان يعطي عطاء من لايخشى الفاقة .

وقوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾ [المؤمنون:٥] فقد تقدم شرف النبي ﷺ في هذا المقام ، وأنه كان أملك الخلق لإربه ، وفي أمّته عجائب في حفظ الفروج ومجانبة الزّنا كما يروى عن مَن حُصِر في بيت وأُغلق عليه ودُعي إلى الفاحشة فمنهم من ألقى نفسه من أعالي البيت فسَلِم ، ومنهم من دخل الخلاء وتلطّخ بالعَذرة وخرج في زيّ مجنون ، وأمثال هذه الأمور كما سيأتي في قصّة يوسف عليه الصلاة والسلام ، كل ذلك حفظاً للفروج وخوفاً من الله تعالى عن تعدّي حدوده[4] واللائمة يوم القيامة ، وتقدّم الكلام في مراعاة العهود والوفاء بها والمحافظة على القيام بها .

وأما المحافظة على الصلوات فكان النبي ﷺ وأصحابه ﷺ من المحافظة عليها في أوقاتها من الغاية ، حتى إن رسول الله ﷺ أبطأ ليلة فلم يخرج إليهم حتى ذهب ما شاء الله من الليل فقالوا : أبطأت عنّا يا رسول الله ، فقال : «أبشروا فإنه ليس أحد ينتظر الصلاة غيركم»[5] ولم يكن يومئذ يُصلّى بغير المدينة ، ولهم اختصاص الانتظار للصلاة

---

(١) نسبها بعضهم إلى أن السائل : هو الإمام أحمد بن حنبل ، والمسؤول : هو بشر الحافي ؛ وعلق الشيخ عبدالرحمن الوكيل على القصة بقوله : "تبرق عيون الصوفية بالسرور السكران –أي من جواب بشر الحافي– ، وتميد أعطافهم من نشوة الخمر الصوفي !! ، هؤلاء ينسون الإثم الكبير في قول الصوفي الحافي : "عندنا أم عندكم" فإنه نزغة من الأسطورة الصوفية التي تزعم : أن الدين شريعة وحقيقة" . هذه هي الصوفية ص١٥٣ ، لعبدالرحمن الوكيل ، الطبعة الرابعة ١٩٨٤م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٢) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٤٦ .

(٣) في نسخة بهامش ب "لم" .

(٤) في ب "حدود الله" .

(٥) أخرجه البخاري (١١٨/١) ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب النوم قبل العشاء لمن غلب ، ح٥٧٠ ؛ وأخرجه مسلم (٤٤٢/١) ، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب وقت العشاء وتأخيرها ، ح٦٣٩ ، من طريق عبدالله بن عمر ﷺ

بعد الصلاة ، والمراعاة للجماعات والمشي إليها في الظلمات ، حتى إنّ في هذه الأمّة من ذُكِر أنه لـم يفته صـلاة في جماعـة إلا مرّة فصـلى سبعاً وعشـرين صـلاة لما بلغه أن صـلاة الجماعـة تضـاعف على صـلاة الواحـد سبعاً وعشـرين ضـعفاً والحكاية معروفة[1] ، **وفـي إسباغ الوضـوء فـي المكروهـات والمشـي إلـى الجماعـات وانتظـار الصـلوات بعـد الصلوات يَختصم الملأ الأعلى كما جاء في الحديث المشهور**[2] ، **فأولئك هم الوارثون الـذين يرثـون الفـردوس هـم فيهـا خالـدون ، وهـذا الميـراث إنمـا هـو أنّ هـذه الصـلوات عرضت على من كان قبلهم فأضاعوها ، كما قال تعالى :** ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [مريم:من الآية ٥٩] **فأوْرَثَ الله هذه الأمّة** [ق١٤/ظ] **مكانهم الذي وعدهم على حفظ الصلوات لو حفظوها والله تعالى أعلم ؛ واستثنى الله تعالى في**

، بلفظ : "أن رسول الله ﷺ شُغل عنها ليلةً ، فأخرها حتى رقدنا في المسجد ، ثم استيقظنا ، ثم رقدنا ، ثم استيقظنا ، ثم خرج علينا النبي ﷺ ، ثم قال : «ليس أحد من أهل الأرض ينتظر الصلاة غيركم» .

(١) الحكاية تروى عن (عبيد الله بن عمر القواريري) –شيخ البخاري ومسلم– ، يقول القواريري : "لم تكن تكاد تفوتني صلاة العتمة في جماعة ، فنزل بي ضيف ، فشغلت به ، فخرجت أطلب الصلاة في قبائل البصرة ، فإذا الناس قد صلوا ، فقلت في نفسي : يروى عن النبي ﷺ أنه قال : «صلاة الجميع تفضل على صلاة الفذ إحدى وعشرين درجة» ، وروي : «خمساً وعشرين درجة» وروي : «سبعاً وعشرين » ، فانقلبت إلى منزلي ، فصليت العتمة سبعاً وعشرين مرة ، ثم رقدت فرأيتني مع قوم راكبي أفراس، وأنا راكب ، ونحن نتجارى وأفراسهم تسبق فرسي ، فجعلت أضربه لألحقهم ، فالتفت إلي آخرهم ، فقال : لا تجهد فرسك ، فلست بلاحقنا ، قال : فقلت : ولم ؟ لأنا صلينا العتمة في جماعة" . سير أعلام النبلاء (٤٤٤/١١) ، تهذيب الكمال (١٣٤/١٩) ، للإمام المزي ، تحقيق : د. بشار عواد معروف ، الطبعة الأولى ١٤٠٠ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ؛ الوافي بالوفيات (٢٦٢/١٩) ، تاريخ بغداد (٢٥/١٢) .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٦/٥) ، أبواب تفسير القرآن ، باب ومن سورة ص ، ح٣٢٣٥ ، عن معاذ بن جبل ﷺ قال : احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس ، فخرج سريعاً فثوب بالصلاة ، فصلى رسول الله ﷺ وتجوز في صلاته ، فلما سلم دعا بصوته قال لنا : «على مصافِّكم كما أنتم» ثم انْفَتَلَ إلينا ثم فقال : «أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة : أني قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي فاستثقلت ، فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة فقال : يا محمد ، قلت : لبيك رب ، قال : فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدري –قالها ثلاثاً– ، قال : فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي ، فتجلى لي كل شيء وعرفت ، فقال : يا محمد ، قلت : لبيك رب ، قال فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : في الكفارات ، قال : ما هن ؟ قلت : مشي الأقدام إلى الحسنات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات ، وإسباغ الوضوء حين المكروهات ...» الحديث .

قال الترمذي : "هذا حديث حسن صحيح" .

سورة (سأل سائل) المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ممّن ذمّهم بالهَلع والجزع ، وجعل الدائمين عليها المحافظين في جنّات مكرمين[1] .

وأما العشرة التي ذكرها طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما من الفطرة التي أوتيها إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقد أوتيها محمد ﷺ وزيادة عليها ففعلها هو ﷺ وأمَّته على الوجه الكامل والحال الفاضل .

وأما قول مجاهد بأنها قوله تعالى : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[البقرة:من الآية ١٢٤] فقد كانت إمامة محمد ﷺ أظهر وتبع الخلق له على دينه أشهر .

وأما قول الحسن أنها سبعة أشياء الكوكب والقمر والشمس فقد ذكرنا[2] أنّ محمداً ﷺ أوتي في صباه من الحفظ والإيقان والسلامة من أسباب الإشراك وإلهام التوفيق إلى الحق مافيه كفاية ، وكذلك ذكرنا صبره ﷺ على القتل بنفسه والتّغْرير بها في طاعة الله تعالى ماهو أعظم من الصبر على فقد الولد وألم الختان وصبره في هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة وبلواه كانت أعظم من صبر إبراهيم ﷺ في هجرته ، فإنه خرج مختفياً وقد بيَّته القوم كما ذكر الله ﷻ في كتابه ليقتلوه ، ولما علموا أنه قد خرج بعثوا في طلبه في جميع الطرق وبذلوا الأموال الكثيرة لمن يقتله أو يأتي به ، وقصته مع سُراقة في ذلك معروفة حتى قدم المدينة .

وأما قول أبي رَوْق أنها قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ ...﴾[الشعراء:٧٨] [الآيات][3] فإنّ محمداً ﷺ كان من هذه الأمور بالمنزلة التي لايصل إليها غيره وهي ظاهرة مِن سيرته ﷺ ، وقد ذكرنا الكلام على قول بعضهم أنها ابتلاؤه[4] في ماله وولده ونفسه وقلبه وأنّ الله اتخذه لذلك خليلاً ، فمحمّد ﷺ كان في هذه الأمور أكمل قدراً وأعظم أجْرًا فإن الله تعالى اتخذه خليلاً حبيباً .

---

(١) في ب "مكرمون" .

(٢) في أ "ذكر" .

(٣) "الآيات" زيادة من ب .

(٤) في ب "ابتلاه" .

وأما قول من قال : هي سهام الإسلام وهي عشرة شهادة أن لا إله إلا الله وهي الملّة فقد كان محمّد ﷺ يدعوا إليها على [ق١٥/و] الوجه الأتمّ ، والحال الأعمّ كما صعد ﷺ على الصّفا ونادى «يا صباحاه» فاجتمعوا فقال : «أرأيتم لو أخبرتكم[1] أنّ عدوّاً يُصَبّحكم أو يُمَسّيكم أكنتم مصدِّقي» ، قالوا : ما جرَّبنا عليك كذباً ، قال : «فإني نذير لكم بين يدَي عذاب شديد»[2] يعني أن تقولوا لا إله إلا الله ، وكان يدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلهم بالتي هي أحسن كما أمره الله تعالى حتى أذن له في جهادهم فجاهدهم حتى أقام الدّين وظهر أمْرُ الله وهم كارهون وأقام الملّة العوجاء وقالوا : لا إله إلا الله ، وأما الصلاة فقد تقدم الكلام فيها وقال ﷺ : «أُمِرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأنّي رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ...» الحديث[3] ، وكذلك الحج والجهاد والطاعة والجماعة والألفة[4] والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أشرنا إلى ذلك وأنَّ محمّداً ﷺ فعل هذه الأمور مع غيرها من شريعته وسنّته على أتمّ النظام وأكمل الأقْسام ، فمرتبة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام جليلة[5] ، ومزيّته نبيلة ، ودرجته أثيلة[6] ، ولا كمحمّد ﷺ صاحب الوسيلة والمنزلة الرفيعة العريضة الطويلة صلوات الله وسلامه عليهما ، وبركاته وتحيّاته واصلة إليهما ، فقد تبين بالبرهان الواضح ، والدليل الرّاجح ، أن ماوَفّى محمد ﷺ أبلغ مما وفّى إبراهيم ﷺ فإنه بلغ ما أوحي إليه من ربّه سبحانه البلاغ المبين ولم يألُ جهداً في توضيح أصول الدين ، ولم يكتم شيئاً ممّا أوحي إليه ، وسواءً كان ذلك له أو عليه كما قالت عائشة رضي الله

---

(١) في ب "أخيرتكم" ، وهو تصحيف .

(٢) أخرجه البخاري (٦/١٢٢) ، بنحوه في كتاب تفسير القرآن ، باب قوله : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ:من الآية ٤٦] ، ح٤٨٠١ ، من طريق ابن عباس ﷺ .

(٣) أخرجه البخاري (١/١٤) ، بنحوه في كتاب الإيمان ، باب : ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة:من الآية ٥] ، ح٢٥ ؛ وأخرجه مسلم (١/٥٣) ، بنحوه في كتاب الإيمان ، باب الأمر بتقال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ح٢٢ .

(٤) في هامش ب "لم يذكر الصوم وجعل الجماعة والألفة اثنين وهو واحد" .

(٥) في هامش ب "أي خُلّتُه" .

(٦) أثيل : أصيل . المعجم الوسيط (١/٦) .

عنها لمّا نزلت قصّة زيد ﷺ من قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب:من الآية ٣٧] : "لو كان النبي ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي كتم هذه الآية"[1] فلم يمنعه من تبليغ الوحي مانعٌ ، ولا دفعه عن قول الحق دافعٌ ، كما قال بعض أصحابه : "لقد تركَنا رسولُ الله ﷺ ومامن طائر يطير بين السماء والأرض إلا وقد ذكر لنا منه علماً"[2] واستنطق الناس في أعظم حَفْلٍ وأكثر جمعٍ [ق١٥/ظ] يوم حجّة الوداع «ألا هل بلّغت» فيقولون : نعم ، فيرفع يده إلى فوق وينكبها[3] إليهم ويقول : «اللهم اشهد»[4] ، وأما قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء:من الآية ٥١] وقوله في الكوكب والقمر والشمس وإلهامُه أن قال : ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام:من الآية ٧٩]فإنَّ حال محمد ﷺ أكمل وأتمّ وأقوى في التبليغ وأنجع في قلوب السامعين ، وروى أبو نعيم بسنده عن النَّزَّال بن سَبْرَة عن علي ﷺ قال : قيل للنبي ﷺ : هل عبدت وثناً قطّ قال : «لا» ، قالوا : هل شربت خمراً قطّ قال : «لا وما زلت أعرف أن الذي هم عليه كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان»[5] ، وفي حديث آخر أنه ﷺ قال :

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٣/٥) ، أبواب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأحزاب ، ح٣٢٠٨ ، وقال : "هذا حديث حسن صحيح" .

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٧٢/٨) ح١٣٩٧٣ ، عن أبي الدرداء ﷺ ، بلفظ : "لقد تركنا رسول الله ﷺ وما في السماء طائر يطير بجناحيه إلا ذكرنا منه علماً" ، وقال : "رجاله رجال الصحيح" ؛ وأخرجه أحمد في مسنده (٢٩٠/٣٥) ح٢١٣٦١ ، من طريق أبي ذر ﷺ ، بلفظ : "لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علما" قال الهيثمي : "رواه: الإمام أحمد ، والطبراني ... ورجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ وهو ثقة ، وفي إسناد أحمد من لم يسم" .

(٣) ينكبها : أي يُمِلها إليهم يريد بذلك أن يُشْهِدَ الله عليهم . النهاية (٢٣٥/٥) .

(٤) أخرجه البخاري (٢ /١٧٦) ، بنحوه في كتاب الحج ، باب الخطبة أيام منى ، ح١٧٤١ ، من طريق أبي بكرة ﷺ ؛ وأخرجه مسلم (١٣٠٧/٣) ، بنحوه في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات ، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ، ح١٦٧٩ .

(٥) لم أقف على الحديث في كتب أبي نعيم ، ولعله سقط من نسختي المطبوعة عن كتاب الدلائل ، وقد عزاه أيضاً لأبي

«لمّا نشأتُ بُغضت إليّ أوثان قريش وبُغض إليَّ الشعر»[1] ، وعن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه جُبير ﷺ قال : كانت قريش إنّما تدفع[2] من المزدلفة وتقول : نحن الحُمْس[3] فلا نخرج من الحرم ، وقد تركوا الموقف بعرفة ، قال : فرأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية يقف مع الناس بعرفة على جمل له ثم يصبح مع قومه بالمزدلفة ثم يدفع بدفعهم إذا دَفعُوا[4] ، وأمثال هذا كثير من تجنُّبه لشركهم وضلالهم وكل ذلك بتوفيق من الله تعالى له .

وقيل له : متى كنت نبيّاً ، قال : «وآدم مُنْجدلٌ[5] في طينته»[6] فمن يكون هذا حاله كيف يتطرق إليه شرك أو[1] شكّ وقد جرى بينه وبين رجل من قريش كلامٌ فقال له

نعيم وابن عساكر : السيوطي في الخصائص الكبرى ص١٤٩ ، الشوكاني في فتح القدير (٥٤٦/٤) وعزاه لكتاب الدلائل ، والمتقى الهندي في كنز العمال (٤٠٦/١٢) وعزاه أيضاً لكتاب الدلائل .

(١) ذكره البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (١٧/٧) ، كتاب علامات النبوة ، باب ما جاء أول أمره ومولده وإرضاعه وغير ذلك مما يَذكر ﷺ ، ح٦٣١٩ ، تحقيق : دار المشكاة ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ ، دار الوطن ، الرياض ، وقال في إسناده : "هذا إسناد ضعيف لضعف عمر بن صبح ، والرواي عنه محمد بن يعلى الكوفي" ؛ وذكره ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (١٨٥/١٧) ح٤٢٠٧ ، تنسيق : د. سعد الشثري ، الطبعة الأولى ١٤١٩ ، دار العاصمة ؛ وعزاه السيوطي في الخصائص الكبرى (٩٩/١) لأبي نعيم وابن عساكر .

(٢) في هامش ب "أي : ترجع قريش" .

(٣) الحُمْس : جمع الأحْمَس : وهم قريش ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس ، سُمُّوا حمساً لأنهم تحمسوا في دينهم : أي تشددوا ، كانوا يقفون بمزدلفة ولا يقفون بعرفة ، ويقولون : نحن أهل الله فلا نخرج من الحرم ، وكانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون . انظر : النهاية (١٠٤٦/١) .

(٤) أخرجه البخاري (١٦٢/٢) ، كتاب الحج ، باب الوقوف بعرفة ، ح ١٦٦٤ ، بلفظ : "أضللت بعيراً لي ، فذهبت أطلبه يوم عرفة ، فرأيت النبي ﷺ واقفاً بعرفة ، فقلت : هذا والله من الحمس فما شأنه ها هنا" ، وأخرجه مسلم (٨٩٤/٢) ، كتاب الحج ، باب في الوقوف وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة:من الآية ١٩٩] ، ح١٢٢٠ ، بلفظ : "أضللت بعيراً لي ، فذهبت أطلبه يوم عرفة ، فرأيت رسول الله ﷺ واقفاً مع الناس بعرفة ، فقلت : والله إن هذا لمن الحمس ، فما شأنه هاهنا ، وكانت قريش تُعَدُّ من الحمس" .

(٥) منجدل : أي مُلقى على الجَدَالة وهي الأرض . النهاية (٧٠٧/١) .

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩٥/٢٨) ح١٧١٦٣ ، بلفظ : «إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ...» الحديث ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : "صحيح لغيره" ، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤٥٣/٢) ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الأحزاب ، ح٣٥٦٦ ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر

القرشيّ : احلف باللات والعزى فقال : «والله ما أبغضتُ شيئاً ما أبغضتهما وإنّي لأمُرُّ بهما فأعرِض عنهما» ، فقال له القرشي [ق١٦٦/و]: أنت صادق فيما تقول[2] ؛ وقد كان ﷺ قبل الوحي يتألَّه ويتحنَّث ويتعبَّد لله تعالى كما قد ثبت في الصحاح وغيرها من سيرته ﷺ وكل ذلك رُشد آتاه الله تعالى إيَّاه في صغره وتوفيق مَنَحه إيَّاه في طفوليته ، وذلك (من)[3] فضل الله الذي يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ؛ وأما تبليغ دعوة إبراهيم ﷺ لمّا بنى البيت بالحج في الناس فبلغ صوته مَن قضى الله أن يحجّ ، قلنا لمحمد ﷺ أبلغ من ذلك فإنه زُويت[4] له الأرض فرأى مشارقها ومغاربها وقال : «سيبلغ مُلْك أمّتي مازوي لي منها»[5] ولو أراد أن يبلّغ الله صوته ما بلغ نظره لكان ذلك ، وما أُعطي محمد ﷺ أعظم مما أُعطي إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وقد أعطى الله بعض أمة محمد ﷺ أن بلغ صوته حيث أراد وكشف عن بصيرته وبصره المسافة البعيدة مسيرة شهر وذلك ما رواه أبو نعيم بإسناده عن عمرو بن الحارث قال : "بينما عمر بن الخطاب ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ ترك الخطبة فقال : يا ساري[6][7] الجبل مرتين أو ثلاثاً ثم أقبل على خطبته ، فقال أولئك النظراءُ من أصحاب محمد ﷺ : لقد جُنَّ إنه لمجنون ، بينا[8] هو في خطبته قال : يا ساري الجبل ، فدخل عليه عبدالرحمن بن عوف ﷺ وكان يطمئنّ إليه فقال : لشدّ ما ألُومُهم عليه أنك لتجعل لهم على نفسك مقالاً بينا أنت تخطب إذ أنت

عطا ، الطبعة الأولى ١٤١١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بلفظ : «إني عبدالله وخاتم النبيين ، وأبي منجدل في طينته» وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" .

(١) في ب "و" .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (١٢٨/١) ح١٠٥ ، بلفظ : «ما حلفت بهما قط وإني لأمر بهما فأعرض عنهما» .

(٣) "من" ليس في ب .

(٤) زويت : أي جُمعت : يقال زويته أزويه زيّاً . النهاية (٨٠١/٢) .

(٥) أخرجه مسلم (٢٢١٥/٤) ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، ح٢٨٨٩ ، بلفظ : «وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها» .

(٦) هو سارية بن زنيم الكناني ، اختلف في صحبته ، توفي نحو ٣٠ هـ . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة (٣/٤-٥) ؛ الأعلام (٣/٦٩-٧٠) .

(٧) ساري بحذف تاء التأنيث : من باب الترخيم ، والوارد في الدلائل بإثبات التاء "سارية" .

(٨) في ب "بينما" .

تصيح : يا ساري الجبل أيّ شيء هذا ؟ قال : إني والله ما ملكت ذلك أن رأيتهم يقاتلون عند جبل يُؤتَون من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك أن قلت : يا ساري الجبل ليلحقوا بالجبل ، فلبثوا إلى[1] أن جاء رسول سارية بكتابه أنّ القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم من حين صلينا الصّبح حتى إذا حضرت الجمعة وسمعنا منادياً ينادي : يا ساري الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدوّنا حتى هزمهم الله تعالى وقتلهم ، فقال أولئك الذين طعنوا عليه : دعوا[2] هذا الرجل فإنه مصنوع له[3]"[4] .

---

(١) في ب "إذا" ، وهو خطأ .

(٢) في أ "دعوه" .

(٣) في هامش ب "أي الله تعالى صنع لعمر عجائب وأسراراً لم نصل إليه" .

(٤) انظر : دلائل النبوة (١/٥٨٠-٥٨١) ح٥٢٨ .

(فصل)[1]

فأما موسى عليه الصلاة والسلام فهو صفي الله تعالى [ق١٦/ظ] ونجيّه وكليمه ونبيّه ورسوله ، ففضله ليس يخفى ، ونور جلاله قدره لا يَطفا ، عالج القبط وبني إسرائيل ، وقاسى شدائد منهم شرحُها طويل ، وجاهد أعداء الله تعالى (ونصر كلمته ، وصابر وثابر لله تعالى)[2] وبلّغ رسالته ، فصلوات الله عليه ما كان أصبره ، وبمُداراة القوم ومُدارأتهم[3] ما أخبره ، وقد أُعطي محمد ﷺ من ذلك ما تُعقد عليه البنان الخمس ، وسار في الآفاق مسير القمر والشّمس ، فكل فضيلة أوتيها موسى ، وكل قضيّة[4] لقيها نعمى وبؤسى ، فلمحمّد ﷺ نظيرتها وأكبر ، وأوضح منها لمن تأمّلها وأظهر ، وكلٌّ كان عند الله وجيهاً ، وكل منهما قد كان نبيّاً نبيهاً ، فمن ذلك معجز موسى عليه الصلاة والسلام في العصا واليد وانفجار الماء من الحجر في التّيه ، فإن الله تعالى أعطى محمّداً ﷺ مثل ذلك أو أعجب و أعظم فإن العصي[5] (لموسى)[6] عليه الصلاة والسلام كانت من خشب يجعلها الله تعالى له ثعباناً حيّاً يتلقف ما يأفك سحرة فرعون ثم تعود إلى خاصيتها وسيرتها الأولى ، وكان لموسى عليه الصلاة والسلام فيها مآرب أخرى فما ذاك بأعجب من جذع يابس كان محمد ﷺ يخطب عليه ، فلما عمل المنبر وتحوّل إليه حنّ ذلك الجذع إليه كحنين العشار إلى أولادها ، وجعل يَخُور كما يخور الثور حتى سمع أهل المسجد ذلك ، فلم يزل كذلك يحنّ ويئنّ حتى جاءه رسول الله ﷺ فاحتضنه وضمّه إليه فسكن وقال : «والذي نفسي بيده لو (لم)[7] ألتزمه لما زال كذلك حتى تقوم الساعة جزعاً على رسول الله ﷺ»[8] ، وأعجب من ذلك أنه دعا شجرةً من أقصى الوادي فجاءت تَخُدّ الأرض[1]

مفاضلة بين ما أوتي ثالث أولي العزم من الرسل - موسى عليه السلام - وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ

(١) "فصل" ليس في ب .

(٢) "ونصر كلمته وصابر وثابر لله تعالى" ليس في ب .

(٣) مدارأتهم : من درأ يدرأ درءاً إذا دفع . النهاية (٢/٢٤٤) .

(٤) في ب "فضيلة" .

(٥) في ب "العصا" .

(٦) "لموسى" ليس في ب .

(٧) "لم" ليس في ب .

(٨) أخرجه البخاري (٤/١٩٥) ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ح٣٥٨٣ ، بلفظ : "كان النبي ﷺ

حتى وقفت بين يديه ثم أمرها فرجعت إلى منبتها فقامت كما كانت[2] ، ونحو ذلك دعاؤه للعذق من رأس النخلة فانْحدَرَ وجاءه يَنقُزُ حتى صار بين يديه ثم أمره أن يعود حيث كان فصعد كذلك[3] ، وأعجب من ذلك أنه كان بالحَجون[4] وهو كئيب حزين فقال

يخطب إلى جذع ، فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحنَّ الجذع فأتاه فمسح يده عليه"؛ وأخرجه أحمد في مسنده (١٠/١٢٧) ح٥٨٨٦ ، من طريق عبدالله بن عمر ﷺ ، بلفظ : "كان جذع في المسجد يسند رسول الله ﷺ ظهره إليه إذا كان يوم جمعة ، أو حدث أمر يريد أن يكلم الناس ، فقالوا : ألا نجعل لك يا رسول الله شيئاً كقدر قيامك ؟ قال : «لا عليكم أن تفعلوا» ، فصنعوا له منبراً ثلاث مراقي ، قال : فجلس عليه ، قال : فخار الجذع كما تخور البقرة جزعاً على رسول الله ﷺ ، فالتزمه ومسحه وسكن"؛ وأخرجه الطحاوي بنحوه في شرح مشكل الآثار (١٠/٣٧٨) ح٤١٧٩ ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، الطبعة الأولى ١٤١٥ ، مؤسسة الرسالة.

(١) تخد الأرض : أي تشقها . انظر : لسان العرب (٢/١٦٠) .

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٤/٤٣٤) ، كتاب التاريخ ، باب المعجزات ، ح٦٥٠٥ ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، الطبعة الثانية ١٤١٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، من طريق ابن عمر ﷺ ، بلفظ : "كنا مع النبي ﷺ في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : أين تريد ؟ قال : إلى أهلي قال : هل لك إلى خير ؟ قال : ما هو ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، قال : هل من شاهد على ما تقول ؟ قال ﷺ هذه السمرة ، فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض خداً حتى كانت بين يديه فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابي إلى قومه وقال : إن يتبعوني أتيتك بهم وإلا رجعت إليك فكنت معك" ، علق عليه شعيب الأرنؤوط : "رجاله ثقات" ؛ وأخرجه الهيثمي بنحو لفظ ابن حبان في مجمع الزوائد (٨/٥١٧) ح١٤٠٨٥ ، وقال : "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، وأخرجه البيهقي بنحو لفظ ابن حبان في دلائل النبوة (٦/١٤٠) ح٢٢٦٢ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٣/٤٢٤) ح١٩٥٤ ، من طريق ابن عباس ﷺ ، بلفظ : "أتى النبي ﷺ رجل من بني عامر ، فقال : يا رسول الله ، أرني الخاتم الذي بين كتفيك ، فإني من أطب الناس ، فقال له رسول الله ﷺ : «ألا أريك آية» ، قال : بلى ، قال : فنظر إلى نخلة ، فقال : «ادع ذلك العذق» ، قال : فدعاه ، فجاء ينقز ، حتى قام بين يديه ، فقال له رسول الله ﷺ : «ارجع» ، فرجع إلى مكانه ، فقال العامري : يا آل بني عامر ، ما رأيت كاليوم رجلا أسحر" ، قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "إسناده صحيح على شرط الشيخين" .

(٤) الحَجُون –بفتح الحاء المهملة ثم جيم مضمومة وآخره نون– : يقول الشيخ حمد الجاسر في تهميشه لكتاب (الأماكن) أو (ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة) أن العلماء قد اختلفوا في تحديد موقع الحجون ، مع اتفاقهم على أنه في أعلى مكة بقرب المقبرة ، فالمتأخرون وبعض المتقدمين منهم يرونه الجبل الذي تقع المقبرة بسفحه مما يلي الأبطح ، ومسجد الجن (مسجد بيعتهم) ، وفيه شقت ثنيه كداء (ثنية الحجون) وهذا هو المعروف عند المتأخرين ، إلا أن الشيخ الجاسر يقول أنه ورد في «أخبار مكة» ما يفهم منه أنه الجبل المقابل لهذا في الجانب الآخر من المعلاه ، يدعه المتجه إلى منى على يمينه . انظر : هامش الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة ص٣٢٢–

ﷺ : «اللهم أرني اليوم آيةً لا أبالي من كذّبني بعدها من قومي [ق١٧/و] فأُمِر أن ينادي شجرةً من عقبة المدينة فناداها فجاءت تَشُق الأرض حتى انتهت إليه فسلّمت عليه ثم أمَرها فذهبت فقال : ما أبالي من كذّبني بعدها من قومي»(١) ، وأعجب من هذا أو أبلغ أنه كان حين بُعث لا يمرّ بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يارسول الله ، وقال : «كان حجر بمكة يسلّم عليّ قبل أن أُبعث إني لأعرفه الآن»(٢) ونحوه تسبيح الحصى في يديه ، وتسبيح الطعام وهو يؤكل عنده وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى وهذا بابٌ (واسع)(٣) .

وأما ضرب موسى عليه السلام بالحجر بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً وهم في التيه فليس بأعجب من أنّ محمداً ﷺ كان في سفر فأعوز القوم من الماء فدعا بقدح فجعل أصابعه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه حتى روي القوم أجمعون(٤) ، وخروج الماء من الأحجار أمْرٌ معتاد قال الله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ وَإِنَّ

---

٣٢٣ ، لأبي بكر الحازمي ، تحقيق : حمد الجاسر ، ١٤١٥ ، دار اليمامة .

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (١/٣٣٣) ح٢٨٠ ، وأخرجه بنحوه البيهقي في الدلائل (٦/١٣٨) ، وأخرجه بنحوه البزار (١/٧٦) ح٣١٠ ؛ وأخرجه بنحوه أبو يعلى (١/١٩٠) ح٢١٥ ، تحقيق : حسين سليم أسد ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ ، دار المأمون ، دمشق ؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/١٠) : "رواه البزار وأبو يعلى ، وإسناد أبي يعلى حسن" ،

(٢) أخرجه مسلم (٤/١٧٨٢) ، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ، ح٢٢٧٧ ، بلفظ : «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أُبعث إني لأعرفه الآن» .

(٣) "واسع" ليس في ب .

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧/٧٦) ح٦٤٣٥ ، تحقيق : حمدي السلفي ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، من طريق عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أبيه ، بلفظ : "كنا مع النبي ﷺ في غزاة فأصابنا عطش شديد ، فشكونا ذلك إلى النبي ﷺ ، فقال : «هل فضل ماء في إداوة؟» فأتاه رجل بفضلة ماء في إداوة ، فحفر النبي ﷺ في الأرض حفرة ووضع عليها نطعاً ، ووضع كفه على الأرض ، ثم قال لصاحب الإداوة : «صب الماء على كفي واذكر اسم الله» ، ففعل ، قال أبو ليلى : قد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ حتى روي القوم وسقوا ركابهم" قال الهيثمي (٨/٣٠١) ح١٤١٠٧ : "وفي إسناده : خالد بن نافع الأشعري ضعفه أبو زرعة وأبو داود والنسائي وقال أبو حاتم : ليس بقوي ، يُكتب حديثه ، وقد روى عنه أحمد بن حسر ، وقد اشتهر أن شيوخه كلهم ثقات عنده"

مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ[1]﴾ [البقرة:من الآية ٧٤] ، وأما من بين الأصابع فلا يعهده أحد لغير[2] محمد ﷺ فهو أعظم وأعجب ، وذلك ماروى عبدالرحمن بن أبي عمرة الأنصاري قال : حدثني أبي قال : "كُنّا مع رسول الله ﷺ في غزوة غزاها فأصاب الناس مخمصة فدعا بركوة فوضعت بين يديه ثم دعا بماء فصبّ فيها ، (ثم مجّ فيها)[3] ، وتكلم بما شاء الله أن يتكلم ، ثم أدخل خنصره فيها ، فَأُقسِمُ بالله لقد رأيت أصابع رسول الله ﷺ تتفجَّر ينابيع الماء ، ثم أمر الناس فسَقوا وشربوا وملأوا قِربهم وإداواتهم"[4] ، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة مشهورة معلومة في كتب الصّحاح[5] و السنن والسِّير وغير ذلك .

فإن قيل : إن موسى عليه الصلاة والسلام انفلق له البحر لما ضربه بعصاه فجازه هو وأصحابه لما تبعهم فرعون وجنوده ، قيل : لمحمد ﷺ أعجب من ذلك[6] فإنه لم يحتج إلى عبور البحر بل بعض أصحابه قال : "والله لو أمرتنا أن نُخيضها البحر لأخضناها"[7] ، ولم يشترطوا انفلاق البحر وهم صادقون فيما قالوا وقد حقّق هذا الفعل بعض أصحابه في حياته وبعد موته وهو العلاء بن الحضرميّ ﷺ لما كان بالبحرين واضطر إلى عبور [ق١٧/ظ] البحر فعبر هو وأصحابه ولم يبتل لهم ثوب ، وذلك ما روى أبو هريرة ﷺ قال : "لما بعث النبي ﷺ العلاء بن الحضرميّ إلى البحرين تبعتُه

---

(١) في ب زيادة ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ وهو زيادة على الشاهد غير مرادة .

(٢) في ب "ولغيره" .

(٣) "ثم مجّ فيها" ليس في ب .

(٤) أخرجه مطولاً الطبراني في المعجم الأوسط (١/٢٦) ح٦٣ ، وفي المعجم الكبير (١/٢١١) ح٥٧٩ ؛ وقال الهيثمي في إسناده : "ورجاله ثقات" . مجمع الزوائد (١/٢٠) ح٢٨ .

(٥) منها : ما أخرجه البخاري (٤/١٩٣) ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ح٣٥٧٦ ، من طريق سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ، بلفظ : "عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ ، فجهش الناس نحوه ، فقال : «ما لكم؟» ، قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يده في الركوة ، فجعل الماء يثور بين أصابعه ، فشربنا وتوضأنا ، قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة" .

(٦) في ب زيادة "فإنه ﷺ أعجب من ذلك" وهو تكرار لمعنى الجملة السابقة .

(٧) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٦٠ .

فرأيت منه خصالاً ثلاثاً لا أدري أيتهن أعجب ، انتهينا إلى شاطئ البحر فقال : سموا الله تعالى واقتحِمُوا ، فسمّينا واقتحمنا فعَبرنا فما بلّ الماء إلا أسافل[1] أخفاف الإبل ، فلما قفلنا جُزنا معه بفلاة من الأرض وليس معنا ماء فشكونا إليه فصلّى ركعتين ثم دعا فإذا سحابة مثل الترس ثم أرخت عَزالَيْها[2] فسَقينا واستقينا[3] ومات فدفنّاه ، فلما سرنا غير بعيد قلنا : يجيء سبع فيأكله فرجعنا فلم نره"[4] وقد تقدمت[5] هذه القصّة بأتم من هذا السياق عند ذكر نوح عليه الصلاة والسلام ، وكذلك قصة سعد بن أبي وقاص ﷺ فإنه لما فرغ من أمر القادسية ونزل بالمسلمين الكوفةَ ومدائن[6] كسرى بالأجناد والرجال فافتتحوها وهرب منها أردشير[7] فدخل المسلمون مدينة[8] نهرشير[9] وهي المدينة الدُنيا

---

(١) في ب "سافل" .

(٢) العزالي : جمع العزْلاء وهو فم المزادة الأسفل ، فشبّه اتساع المطر واندفاقه بالذي يخرج من فم المزادة" . النهاية (٣/٤٥٩) .

(٣) في ب "واسقينا" .

(٤) أخرجه الطبراني بنحوه في المعجم الأوسط (٤/١٥) ح٣٤٩٥ ، وفي المعجم الكبير (١٨/٩٥) ح١٤٨٧٧ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٣٧٦) ح١٦٠٠٧ : "وفيه إبراهيم بن معمر الهروي والد إسماعيل ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات" .

(٥) في ب "مر" .

(٦) المدائن : وهي مدينة قديمة على دجلة تحت بغداد سبعة فراسخ ، واسمها بالفارسية : طيسفون ، وهذا الموضع كان مسكن الملوك من الأكاسرة الساسانية وغيره ، وسميت بالجمع –مدائن– لأن كل واحد منهم إذا ملك بنى لنفسه مدينة إلى جنب التي قبلها . انظر : شرح سنن أبي داود (٣/١٠٣) ، لبدر الدين العيني ، تحقيق : أبو المنذر خالد المصري ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ ، مكتبة الرشد ، الرياض ؛ معجم البلدان (٥/٧٤) .

(٧) هو يزدجرد بن شهريار ابن كسرى ، ينتهي نسبه إلى أردشير بن بابك –أول ملوك الفرس الساسانية– ، انهزم من جيش عمر فاستولوا على العراق ، وانهزم هو إلى مرو وولت أيامه ، ثم ثار عليه أمراء دولته وقتلوه سنة ثلاثين ، وقيل : بل بيّته الترك وقتلوا خواصه ، وهرب هو واختفى في بيت ، فغدر به صاحب البيت فقتله ، ثم قتلوه به ، وكان آخر ملك من آل أردشير بن بابك . انظر : سير أعلام النبلاء (٢/١٠٩) ، الكامل في التاريخ (٣/١٨) لأبي الحسن الشيباني ، تحقيق : عبدالله القاضي ، الطبعة الثانية ١٤١٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٨) في ب "المدينة" .

(٩) في تاريخ الطبري : "بهر سير" ، وفي معجم البلدان (بَهُرَ سِير) –بالفتح ثم الضم وفتح الراء وكسر السين المهملة وياء ساكنة وراء– من نواحي سواد بغداد قرب المدائن ، وهي معربة من (ده أردشير) أو (به أردشير) كأن معناه : خير مدينة أردشير ، وهي في غربي دجلة . انظر : تاريخ الأمم والملوك (٢/٤٦٠) ، لأبي جعفر الطبري ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ؛ معجم البلدان (١/٥١٥) .

في جوف الليل ، فلاح لهم القصر الأبيض قال المسلمون : الله أكبر هذا أبيض كسرى الذي وعدنا الله تعالى ورسولُهُ ﷺ وتابعوا التكبير حتى أصبحوا وذلك في صفر سنة ست عشرة وكان هذا القصر الأبيض مدينة كسرى القصوى التي فيها منزله فوقف المسلمون على دجلة وطلب سعد السفن ليعبر بالناس إلى المدينة القصوى فلم يقدروا على شيء منها ووجدهم قد ضمّوا السفن فأقاموا بنهرشير أياماً يريدونه على العبور فيمنعه الإبقاء على المسلمين حتى أتاه أعلاجٌ[1] فَدلُّوهُ على مَخاضَةٍ فأبى وتردّد عن ذلك وفجئهم المَدُّ فرأى رؤيا أن خيول المسلمين اقتحمتها فعبرت وقد أقبلت يعني دجلة من المدّ بأمر عظيم فعزم لتأويل رؤياه على العبور فجمع سعدٌ الناسَ فحمد الله وأثنى عليه وقال : إن عدوّكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليهم وهم[2] يخلصون إليكم إذا شاءوا فَيُناوشونكم[3][4] في سُفنهم وليس وراءكم [ق١٨/و] شيء تخافون أن تُؤتَوا منه وإنّي قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم ، فقالوا جميعاً : عزم الله لنا ولك على الرّشد فافعل ، فندَب سعدٌ (الناسَ)[5] للعبور فقال : من يبدأ ويَحمي لنا العِرَاصَ[6] حتى يَتلاحق به الناس لكي لايمنعوهم من الخروج فانتدب له عاصم بن عمرو[7] وانتدب (له)[8] ستمائة رجل من أهل النجدَات فاستعمل عليهم عاصماً فسار بهم حتى وقف على شاطئ دجلة ثم قال : من ينتدب معي يمنع العراص من عدوّكم فانتدب له ستون منهم فجعلهم نصفين على خيول إناث وذكور ليكون أسلس لعَوْم الخيل إذا اقتحموا دجلة فلما رأى سعد عاصماً على العراص قد منعها أذن للناس في الاقتحام وقال : قولوا نستعين بالله ونتوكّل عليه ،

---

(١) أعلاج : جمع علج ، والعلج : الكافر ، ويقال للرجل الضخم من الكفار عِلج . لسان العرب (٣٢٦/٢) .

(٢) في ب "وهذا" ، وهو خطأ .

(٣) في ب "فيناوشوونكم" بزيادة واو .

(٤) تناوش القوم في القتال : تناول بعضهم بعضاً بالرماح ، ولم يتدانوا كل التداني . المعجم الوسيط (٩٦٣/٢) .

(٥) "الناس" ليس في ب .

(٦) العراص : جمع عرصة : وهي كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ، والمراد به هنا مكان نزول الجند . انظر : مختار الصحاح ص٤٦٧ .

(٧) عاصم بن عمرو التميمي : أحد الشعراء الفرسان ، أخو القعقاع بن عمرو ، له أخبار وأشعار في فتوح العراق ، اختلف في صحبته . انظر : الأعلام (٢٤٨/٣-٢٤٩) ، الإصابة (٥٧٤/٣) .

(٨) "له" ليس في ب .

حسبنا الله ونعم الوكيل ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وتلاحق عظم الجند فركبوا اللجة وإنَّ دجلة لترمي بالزَّبد وإنّها لمسودّة وإن الناس ليتحدّثون في عومهم وقد اقترنوا كما يتحدّثون في مسيرهم على الأرض ففجئوا أهلَ فارس بأمرٍ لم يكن في حسابهم فَأجهَضُوهم وأعجلوهم عن جُمهور أموالهم[1] ودخلها المسلمون واستولوا على كل مابقي في بيوت كسرى من الثلاثة ألف ألف ألفٍ وما جمع شِيرِينُ ومَن بعده[2] ، وروى أبو بكر بن حفص بن عمر قال : "الذي كان يُساير سعداً في الماء سلمان الفارسي رضي الله عنهما فعامَتْ بهم الخيل وسعد يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل ، والله لينصرن الله وليّه وليظهرنّ دينه ، وليهزمنّ عدوَّه ، وإن يكن في الجيش بغي وذنوب تغلبُ الحسناتُ ، فقال سلمان : إن الإسلام جديد ذلَّل لهم والله البحارَ كما ذلّل لهم البَرّ ، أمَا والذي نفس سلمان بيده ليَخرُجُنّ أفواجاً كما دخلوه أفواجاً ، وطبَّقُوا[3] الماء حتى ما يُرى الماءُ من الشاطىء ، ولهم فيه أكثر حديثاً منهم في البَر ، فخرجوا منه لم يفقدوا شيئاً ولم يغرق منهم أحد"[4] ، وعن حبيب ابن صُهْبَان[5] قال : "شهدتُ القادسية –قال :– فانهزَمُوا حتى أتوا المدائن وتبعناهم –قال :– فانتهينا إلى دجلة وقد قطعوا الجسور وذهبوا بالسفن فانتهينا إليها وهي تَطْفَح فأقحم رجل[6] منّا فرسَه وقرأ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ [ق١٨/ظ] كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران:من الآية ١٤٥] قال : فعبر ثم تبعه النّاس أجمعون فعبروا فما فقدوا عِقالاً ما عدا رجلاً منهم انقطع قَدحٌ له كان معلّقاً بسَرْجه فرأيته يدور في الماء ، قال : فلما رأونا انهزموا من غير قتال فبلغ سهم

---

(١) في ب "أحوالهم" .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٢/٥٧٤-٥٧٥) ح ٥٢٢ .

(٣) الطَّبَق : كل غطاء لازم على الشيء . النهاية (٣/٢٥٠) ، والمراد به هنا : أي غطت الخيول والرجال وجه الماء .

(٤) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٢/٥٧٦) ح ٥٢٢ .

(٥) حبيب بن صهبان –بضم المهملة– أبو مالك الأسدي الكوفي ، ثقة من الثانية ، قتله المختار سنة ست وستين . انظر : تقريب التهذيب ص١٥١ ، تاريخ بغداد (٩/١٥٧) ، الطبقات ص١٤٣ ، لخليفة بن خياط ، تحقيق : د.أكرم ضياء العمري ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ ، دار طيبة ، الرياض .

(٦) وهو حجر بن عدي ﷺ . انظر : تاريخ بغداد (٩/١٥٧) ، تفسير ابن كثير (٢/١٢٩) .

الرجل منا ثلاث عشرة دابة وأصابوا من الجامات[1] الذهب والفضة فكان الرجل منا يَعرِض الصحفة[2] الذهبَ يبدلها بصحفة[3] من فضة يُعجبه بياضُها فيقول : من يأخذ صفراء ببيضاء[4] ، وعن أبي عثمان النهدي[5] قال : سَلِمُوا من عند آخرهم إلا رَجل من بَارِق[6] يُدعى غَرْقَدة[7] زال عن ظهر فرس له أشقر كأني انظر إليها تَنفُضُ أعرافَها[8][9] عُرْياً والغريق طافي فثنى القعقاعُ بن عمرو[10] عنان فرسه إليه وأخذه بيده فجرَّه حتى عبر قال :

---

(١) الجام : إناء للشراب والطعام . المعجم الوسيط (١/١٤٩) .

(٢) في ب "الصفحة" .

(٣) في ب "بصفحة" .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٩/١٥٧) ، وأخرجه ابن كثير في تفسيره (٢/١٢٩) ، بلفظ : "قال رجل من المسلمين –وهو حجر بن عدي- : ما يمنعكم أن تعبروا إلى هؤلاء العدو ؟ هذه النطفة –يعني دجلة- ؟ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران:من الآية ١٤٥] ، ثم أقحم فرسه دجلة ، فلما أقحم أقحم الناس ، فلما رآهم العدو قالوا : ديوان ، فهربوا" .

(٥) أبو عثمان النهدي : هو عبدالرحمن بن مل –بكسر الميم وضمها- النهدي ، قال أسلمت على عهد رسول الله ﷺ وأديت إليه ثلاث صدقات ولم ألقه ، وغزوت على عهد عمر ، قال ابن عبد البر : شهد القادسية وجلولاء وتستر ونهاوند واليرموك ومهران ورستم ، يقال أنه عاش في الجاهلية أزيد من ستين سنة وفي الإسلام مثل ذلك وكان يقول بلغت من العمر مائة وثلاثين سنة ، وتوفي سنة خمس وتسعين للهجرة ، وروى له الجماعة . انظر : الوافي بالوفيات (١٨/١٦٨) .

(٦) بارِق –بكسر الراء- : جبل باليمن ، نزله بنو سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر فنسبوا إليه . انظر : فتح الباري (٦/٦٣٤) .

(٧) قال ابن حجر في الإصابة (٥/٣٤١) : " غرقدة غير منسوب له إدراك ، ذكر الطبري في تاريخه أن المسلمين حين عبروا دجلة سلموا عن آخرهم الا رجلاً من بارق يدعى غرقدة زال عن ظهر فرس له شقراء فرمى القعقاع بن عمرو إليه عنان فرسه فأخذ بيده حتى عبره" .

(٨) في ب "أعراقها" .

(٩) عرف الفرس : منبت الشعر من العنق . لسان العرب (٩/٢٣٦) .

(١٠) القعقاع بن عمرو التميمي : أحد فرسان العرب وأبطالهم في الجاهلية والاسلام ، له صحبة ، شهد اليرموك وفتح دمشق وأكثر وقائع أهل العراق مع الفرس ، وسكن الكوفة ، وأدرك وقعة صفين فحضرها مع علي ، وكان يتقلد في أوقات الزينة سيف هرقل (ملك الروم) ويلبس درع بهرام (ملك الفرس) وهما مما أصابه من الغنائم في حروب فارس ، وكان شاعراً فحلاً ، قال أبو بكر: صوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل ، توفي نحو ٤٠ . الأعلام (٥/٢١-٢٢) .

وما ذهب لهم في الماء شيء إلا قدح كانت علاقته رثّةً[1] ، فانقطعت ، فذهب به الماء ، فقال الرجل الذي يعاومه صاحبُ القدح : أصابه القدرُ -معزّياً له- فقال : والله إنّي لعلى طريقة ما كان (الله)[2] ليَسلُبَني قدحي من بين أهل العسكر ، فلمّا عبروا إذا رجل ممن كان يحمي[3] العراصَ وإذا (بالقدح)[4] قد ضربته الرّياح والأمواج حتى وقع إلى الشاطىء فتناوله برمحه فجاء به إلى العسكر يعرّفه وأخذه صاحبه[5] ، وعن عمير الصائدي[6] قال : "لما أقحم سعدٌ الناسَ في دجلة اقترنوا ، فكان سلمانُ قرين سعدٍ إلى جانبه يسايره في الماء ، فقال سعد : ذلك تقدير العزيز العليم ، والماء يطمُو[7] بهم وما يَزال فرسٌ يستوي قائماً قد أعيا ، تنشِزُ له تَلْعَةٌ[8] فيستريح عليها كأنه على الأرض ، فلم يكن في المدائن أمر أعجب من ذلك ، ولذلك كان يدعى يوم الجراثيم لا يعيي أحدٌ إلا نشزت (له)[9] جرثومة[10] يُريح عليها ، وقال حبيب بن صُهبان[11] : لمّا عبر المسلمون يوم المدائن دجلة فنظر الفُرسُ إليهم وهم يعبرون فجعلوا يقولون بالفارسية : ديوانان[12] يعنون أنّ هؤلاء مجانين ، وقال بعضهم : والله إنكم لم تقاتلوا الإنس وما تقاتلون إلا الجنّ فانهزموا[13] ، فهذا في الفضيلة لنبينا محمد ﷺ أعظم من الفضيلة لموسى ﷺ في

---

(١) الرث : الخَلَق البالي . معجم مقاييس اللغة (٢/٣٨٤) .

(٢) لفظ "الله" ليس في ب .

(٣) في ب "يحي" ، وهو تصحيف .

(٤) "بالقدح" ليس في ب .

(٥) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٢/٥٧٦-٥٧٧) ح ٥٢٢ ، وأخرجه الطبري في تاريخه (٢/٤٦٢) .

(٦) قال ابن حبان في الثقات (٨/٥٠٩) : "عمير بن عمار الصائدي ، يروي عن إبراهيم بن سعد ، روى عنه الكوفيون" .

(٧) طما الماء يطموا طموًّا : ارتفع وعلا وملأ النهر . لسان العرب (١٥/١٥) .

(٨) التلعة : ما ارتفع من الأرض . القاموس المحيط ص٩١٣ .

(٩) "له" ليس في ب .

(١٠) قال ابن الأثير في النهاية (١/٢٧٢) : "في حديث ابن الزّبير (لما أراد هدم الكعبة وبناءها كانت في المسجد جراثيم) أي : كان فيها أماكن مجتمعة من تراب أو طين ، أراد أن أرض المسجد لم تكن مستوية" .

(١١) تقدم ذكر ترجمته ، انظر : ص٣٧٨ .

(١٢) في ب "ديوافان" .

(١٣) أخرجه أبو نعيم بنحوه في الدلائل (٢/٥٧٧-٥٧٨) ح ٥٢٢ .

عبور [ق١٩/و] البحر ، فإنّ ذلك كان في صحبة موسى وأخيه هارون وهما اللذان تقدّما القومَ ، وهذا كان من أصحاب محمّد ﷺ بعد موته بمدّة ، وأيضاً فإن التغرير بالنفس في خوض دجلة مع شدّة جريانها وعظم طغيانها أعظم من اقتحام البحر مع سكونه وعدم[1] جنونه ، وأيضاً فإن موسى وأصحابه إنما دخلوا البحر لما ضربه موسى عليه السلام بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهرت أرض البحر فمشوا عليها كما قال (الله)[2] تعالى : ﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ [طه:من الآية ٧٧] فلما تبعهم فرعون بجنوده أطبقه الله عليهم وأغرقهم ونجى موسى وأصحابه ، وأيضاً فإنّ أصحاب موسى عليه الصلاة والسلام عبروا البحر وهم مطلوبون خائفون كما قال تعالى عنهم قالوا : ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾ [الشعراء:من الآية ٦١]، وأصحاب محمد ﷺ كانوا طالبين لعدوّهم ، وفرق عظيم بين من يغرّر بنفسه في طلب عدوّه ليقتله وبين من يغرّر بنفسه فارًّا منه في طلب النجاة لئلّا يقتله ، وأيضاً فمشي أصحاب محمد ﷺ على وجه الماء أعظم من مشي أصحاب موسى عليه الصلاة والسلام على أرض البحر اليابسة ، فإن المشي على الأرض شيء معتاد معروف بخلاف المشي على وجه الماء .

فأما توريث الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام وأصحابه أموال فرعون وقومه كما قال تعالى : ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ [الأعراف:من الآية ١٣٧] فليس هذا بأعظم مما ورّث الله تعالى أصحاب محمد ﷺ إكراماً لمحمد ﷺ ، فإن الأرض التي أُورثها موسى وقومه هي أرض فرعون التي كان يحكم فيها لا جميع الأرض التي خلق الله تعالى بدليل قوله : ﴿ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾ [الأعراف:من الآية ١٣٧] وليس كل الأرض بارك الله فيها ، وقد أورث الله تعالى أصحاب محمد ﷺ من آل كسرى ما لا يعد ولا يحصى من الذهب والفضّة والجواهر والأمتعة والفرش والأواني والعُدد والسلاح والدوابّ إلى غير ذلك من سائر أنواع الجواهر

(١) في ب "عدمه" بزيادة الهاء ، وهو خطأ .

(٢) لفظ "الله" ليس في ب .

والمزارع والأملاك وغير ذلك ، وحُمل ذلك أو معظمه إلى عمر[1] ﷺ فلما رآه قال : إنّ قوماً أدَّوا هذا لَذَوُو أمانة ، فقال له علي ﷺ : إنك عَففت [ق١٩/ظ] فعفّت الرعيّة[2] ، وقال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما : "والله الذي لا إله إلا هو ما اطّلعنا على أحد من أهل القادسية وما بعدها من المدائن أنّه يريد الدنيا والآخرة ولقد إئتمنا ثلاثة نفر فما رأينا مثل أمانتهم وزهدهم وهم : طُليحة بن خويلد[3] ، وعمرو بن معدي كرب[4] ، وقيس بن المكشوح[5][6]"[7] ، وكان من جملة ما أصابوه أسفاط[8] فيها تاج كسرى وحلته ووشاحه ودرعه التي كان يلبس للمباهاة و الثياب التي كان يلبس من الديباج المنسوج بالذهب

---

(١) في ب تكرار "إلى عمر" ، وهو خطأ ظاهر .

(٢) أخرجه أبو القاسم التيمي في الحجة (٢/٣٨٥) ، وأخرجه الطبري في تاريخه (٢/٤٦٦) ، كما أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/٣٤٣) ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي ، ١٤١٥ ، دار الفكر .

(٣) هو طليحة بن خويلد الأسدي ، متنبئ ، شجاع ، من الفصحاء ، كان يقال له (طليحة الكذاب) ، من أشجع العرب ، يعد بألف فارس ، قدم على النبي ﷺ في وفد بني أسد سنة ٩ هـ وأسلموا ، ولما رجعوا ارتد طليحة وادعى النبوة في حياة رسول الله ﷺ ، ثم قدم زمن عمر ﷺ وأسلم بعد أن أسلمت أسد وغطفان كافة ، فبايعه في المدينة ، ثم شهد طليحة القادسية فأبلى فيها بلاء حسناً ، توفي سنة ٢١ . انظر : الاستيعاب (١/٢٣٣-٢٣٤) ، الأعلام (٣/٢٣٠) .

(٤) هو عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي : فارس اليمن ، وصاحب الغارات المذكورة ، وفد على المدينة سنة ٩ في عشرة من بني زبيد ، فأسلم وأسلموا وعادوا ، ولما توفي النبي ﷺ ارتد عمرو في اليمن ، ثم رجع إلى الاسلام ، فبعثه أبو بكر إلى الشام ، فشهد اليرموك ، وذهبت فيها إحدى عينيه ، وبعثه عمر إلى العراق ، فشهد القادسية ، يكنى أبا ثور ، وأخبار شجاعته كثيرة ، توفي سنة ٢١ . الأعلام (٥/٨٦) .

(٥) في أ "المكشوخ" بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف .

(٦) هو قيس بن المكشوح أبو شداد ، واختلف في اسم أبيه فقيل : عبد يغوث ، وقيل : هبيرة بن هلال وهو الأكثر ، قال أبو عمر : إنما قيل له المكشوح لأنه كوي ، وقيل : لأنه ضرب على كشحه ؛ قيل : له صحبة وقيل : لا صحبة له باللقاء والرؤية ، وهو الذي أعان على قتل الأسود العنسي مع فيروز ، وهذا يدل على إسلامه في حياة رسول الله ﷺ ، له آثار صالحة في قتال الفرس بالقادسية وغيرها وشهد مع النعمان بن مقرن نهاوند ثم قتل بصفين مع علي . وكان فارسا بطلا شاعرا وهو ابن أخت عمرو بن معد يكرب . انظر : أسد الغابة (٤/٤٢٥) .

(٧) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/٤٦٦) ، بلفظ : "ولقد اتهمنا ثلاثة نفر فما رأينا كالذي هجمنا عليه من أمانتهم وزهدهم ..." ، وأخرجه الواقدي في فتوح الشام (٢/١٨٩) ، الطبعة الأولى ١٤١٧ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ؛ بلفظ : "ولقد اتهمنا ثلاثة نفر فاتبعناهم فعجزنا عن وصف أمانتهم وزهدهم ..." .

(٨) السفط : وعاء يوضع فيه الطيب ونحوه من أدوات النساء ، ووعاء من قضبان الشجر ونحوها توضع فيه الأشياء كالفاكهة ونحوها . المعجم الوسيط (١/٤٣٣) .

المنظوم بالجوهر ، وأصابوا أيضاً عَيُبَتَيْنِ[1] في غِلافين[2] ، في الواحد منهما خمسة أسياف وفي الأخرى ستة أسياف وأدراع فيها درع كسرى ومغفره[3] وساقاه وساعده ودرع هرقل ودرع خاقان (ودرع دَاهِر[4])[5] ودرع بهرام[6] ودرع سِيا خُرْس[7] ودرع النعمان[8] كانوا سَبَوْها أيام عزّهم ، فبعث بذلك إلى عمر ليراه المسلمون ويسمع بذلك العرب ، ومما وُجد أيضاً سَفَطانِ في إحداهما فرس من ذهب مسرّج بسرج من فضة على ثفره[9] ولبته[10] الياقوت والزمرّذ[11] منظوماً ولجام كذلك وفارسُه من فضة مكلّل بالجوهر ، وسَفط فيه ناقة من فضّة عليها شليلٌ[12] من ذهب زمامُها من ذهب وكل ذلك منظوم بالياقوت والجوهر وعليها رجل من ذهب مكلل بالجوهر كان[13] كسرى يضعهما إلى

---

(١) العيبة : وعاء من أدم ونحوه يكون فيه المتاع . المعجم الوسيط (٢/٦٣٩) .

(٢) الغلاف : الغشاء يغشى به الشيء . المعجم الوسيط (٢/٦٥٩) .

(٣) المغفر : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة . المعجم الوسيط (٢/٦٥٦) .

(٤) داهر : ملك الهند . الكامل (٢/٣٦١) .

(٥) "ودرع داهر" ليس في ب .

(٦) بهرام : من ملوك الفرس . شذرات الذهب (١/١٩٦) .

(٧) في ب "سبا خرس" ، وفي تاريخ الطبري (٢/٤٦٥) والكامل (٢/٣٦١): "سياوخش" ، وهو : سياوخش بن مرهان بن بهرام جوبين ، ملك الري . الكامل (٢/٤٢٦) .

(٨) هو النعمان (الثالث) ابن المنذر (الرابع) بن امرئ القيس اللخمي ، أبو قابوس : من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية ، كان داهية مقداماً ، ملك الحيرة إرثاً عن أبيه ، وكانت تابعة للفرس ، فأقره عليها كسرى فاستمر إلى أن نقم عليه كسرى (أبرويز) أمراً ، فعزله ونفاه إلى خانقين ، فسجن فيها إلى أن مات نحو ١٥ ق هـ ؛ وقيل : ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته فهلك ، وفي صحاح الجوهري : قال أبو عبيدة : إن العرب كانت تسمي ملوك الحيرة -أي كل من ملكها- "النعمان" لأنه كان آخرهم . انظر : الأعلام (٨/٤٢-٤٣) .

(٩) ثفر الدابة : السير الذي في مؤخر السرج . لسان العرب (٤/١٠٥) .

(١٠) اللبة : ما يُشد في صدر الدابة ليمنع استئخار الرحل . القاموس المحيط ص١٧٠ .

(١١) في ب "الزمرد" ، قال الزبيدي في التاج (٩/٤١٥) : "قال ابن قتيبة : دال مهملة ، وصوَّب الأصمعي الإعجام ، ونقله في البارع -البارع في اللغة لأبي علي القالي- وصححه ، وقال بعضٌ بالوجهين" .

(١٢) في أ ، ب "تليل" ، وفي تاريخ الطبري (٢/٤٦٥) والاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (٤/٢٤٧) ، تحقيق : د. محمد كمال الدين ، الطبعة الأولى ١٤١٧ ، عالم الكتب، بيروت ، كما أثبته ؛ والشليل : مِسحٌ من صوف أو شعر يُجعل على عجز البعير من وراء الرحل . لسان العرب (١١/٣٦٠) .

(١٣) في ب "وكان" بزيادة الواو .

اسطوانتي التاج ، وأقبل رجل بِحُقّ إلى صاحب الأقْباض، في ذلك الحُقّ صنوف من نفيس الجوهر ، فقال له صاحب الأقباض ومن كان معه : ما رأينا مثل هذا قط ولا يَعدله ما عندنا ولا يقاربه ، وقال للرجل : هل أخذتَ منه شيئاً فقال : أما والله لولا الله ما أتيتُكم به فعرفوا أن للرجل شأناً ، فقالوا له : مَن أنت ؟ قال : لا والله (لا)[1] أُخبركم ، فأتبعوه رجلا حتّى انتهى إلى أصحابه فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبدقيس[2][3] .

وأيضاً[4] فإنّ قهر أصحاب موسى عليه السلام لفرعون وقومه كان بما أطبقه الله تعالى عليهم من البحر وإغراقهم وقهر أصحاب محمد ﷺ لكسرى وقومه كان بمباشرتهم وسيوفهم ورماحهم وقوّتهم وأسلم من أسلم واستسلم على الجزية والصَّغار [ق٢٠/و] مَن استسلم فكان أبلغ في النكاية على العدوّ وأعظم لظهور الإسلام وأدحر[5] لمعالم الكفر والطغيان ، فأصحاب موسى عليه السلام كانوا فارّين من عدوّهم وأصحاب محمد ﷺ كانوا طالبين لعدوّهم وفرق بين هؤلاء وهؤلاء والله يؤيد بنصره من يشاء ، وكان ذلك أبلغ مما لو أهلكهم جميعاً فإنه أبقى في أعقابهم الذّلّ والصَّغار ليُعتبر بهم ، وجعل ما يؤخذ منهم قوّة للمسلمين وزيادة في أموالهم واستمراراً للذلّة[6] في عدوّهم ، ثم إنّ ما علمنا أنّ المسلمين غنموه[7] من آل كسرى أعظم مما علمنا أن أصحاب موسى عليه الصلاة السلام غنموه من آل فرعون وذلك أن سعداً رضي الله عنه لمّا قسم المغانم بين العسكر جمع

---

(١) "لا" ليس في ب .

(٢) في أ "قيس بن سعد رضي الله عنه" ، وفي ب "سعد بن قيس" ، وفي تاريخ الطبري (٤٦٥/٢) والكامل في التاريخ (٣٦٢/٢) كما أثبته ، وهو : عامر بن عبد الله المعروف بابن عبد قيس العنبري ، تابعي ، من بني العنبر ، وهو من أقران أويس القرني و أبي مسلم الخولاني ، مات ببيت المقدس في خلافة معاوية سنة ٥٥ . انظر : الأعلام (٢٥٢/٣-٢٥٣) .

(٣) أخرجه بنحوه الطبري في تاريخه (٤٦٤/٢-٤٦٥) ، وذكره أيضاً أبو الحسن الشيباني في الكامل (٣٦١/٢-٣٦٢) .

(٤) في ب "أيضاً" بدون الواو .

(٥) في ب "وأدخر" : أي أصغر وأذل . المعجم الوسيط (٢٧٤/١) .

(٦) في ب "للذة" ، وهو تصحيف .

(٧) في ب "غنموا" ، وهو خطأ .

كل شئ (أراد)[1] أن يتعجّب منه عمر من ثياب كسرى وحليه وسيفه وغير ذلك مما كانت العرب تعجب أن يقع إليهم[2] ويصير بأيديهم ، فمن ذلك أنه أخرج بساطاً يعرف بالقطيف[3] مقدار سَعته جريبٌ أرضُهُ مُذهبَةٌ فيه صور[4] مختلفة ووشي وفصوص كالنُوار[5] في خلالها صُور النخل والشجر وفي حافاتها طُرْزٌ كالأرض المزروعة والأرض المُبقِلة بالنبات في الربيع معمولاً بالحرير وعليه قضبان من ذهب ونُواره معمول بالذهب والفضة وغرائب الألوان البديعة ،كان كسرى يبسطه في الشتاء إذا ذهب النوار والرياحين ويَشرب عليه مع رجاله كأنهم في روضةٍ ، فلم تَعتدل قسمته فقال سعد للمسلمين : هل لكم في أن تطِّيبوا نَفْساً على أربعة أخماسه ونبعثه إلى عمر ليضعه حيث يرى فإنا[6] لا نراه تتّفق قسمته علينا وهو قليل بيننا وسيقع من أهل المدينة موقعاً فقالوا : نعم[7] ، وبعث به سعد إلى عمر رضي الله عنهما فلما قدم عليه بالمدينة جمع الناس فاستشارهم بالبساط وأخبرهم خبره فمن بين مُشير عليه بقبضه وآخر مُفوِّض إليه وآخر متوقف فقام علي ﷺ فقال له : إنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت ، أو لبست فأبليت ، أو أكلت فأفنيت ، فقال : صدقتني ، فقطَّعه وقسمه بين الناس وقال : إن الأخماس يُنفِّل منها[8] من شهد ومن غاب من أهل البلاء فأصاب عليّاً[9] قطعةٌ من البساط فباعها بعشرين ألفاً وما هي بأجود تلك القطع[10][ق٢٠/ظ] ولما أُتي[11] عمر ﷺ بحلي كسرى

(١) "أراد" ليس في ب .

(٢) في ب "عليهم" ، وهو خطأ .

(٣) القطيف : بساط واحد طوله ستون ذراعاً وعرضه ستون ذراعاً كانت الأكاسرة تعده للشتاء . الكامل (٣٦٢/٢) .

(٤) في ب "صوره" ، وهو خطأ .

(٥) النوار : الزهر ، واحدته نوارة . المعجم الوسيط (٩٦٢/٢) .

(٦) في ب "فإنه" ، وهو خطأ .

(٧) أخرجه بنحوه الطبري في تاريخه (٤٦٦/٢-٤٦٧) .

(٨) في ب "فيها" .

(٩) في ب "فأصاب عليه" ، وهو تصحيف .

(١٠) أخرجه بنحوه الطبري في تاريخه (٤٦٧/٢) .

(١١) في ب "إلى" ، وهو تصحيف .

وزيّه في المباهاة وزيّه في غير المباهاة وكان له عند كل حالة زيّ قال : عَلَيَّ بمُحَلِّمٍ[1] ، وكان من أجسم عربي يومئذ بالمدينة ، فأُلبس تاجَ كسرى على عمودين وخشب ، ثم صبّ عليه أوشِحَتُه وقلائده وثيابه وأجلس للناس ، فنظر إليه عمر والناس معه فرأوا أمراً عظيماً من أمر الدّنيا وفتنتها ، ثم قام عن ذلك فألبس زيّاً آخر فنظروا إلى مثل ذلك في غير ما نوع ، ثم ألبس سلاحه وقلّد سيفه فنظروا إليه في ذلك ، ونفّل عمر ﷺ مُحَلِّماً سيف كسرى وقال : أحمِق بامرئٍ من المسلمين غرّته الدنيا هل يبلغنّ مغرور منها إلا دون هذا ومثلَه[2] ؛ فهذا الذي أوتي محمد عليه الصلاة والسلام أعظم مما أوتي موسى عليه الصلاة والسلام من فلق البحر وميراث آل فرعون ، ثم إن أصحاب محمد ﷺ لما فرغوا من هذه الغزوة وبعثوا الأموال إلى عمر ﷺ توجّهوا إلى غزوة أخرى وهي الوقعة المعروفة بجَلُولاء وغيرها لا يَشغلهم ما أصابوا من الأموال والأنفال عن غزو أعداء الله تعالى والجهاد في سبيل الله تعالى ، وقوم موسى عليه الصلاة والسلام لمّا نجوا من البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا : يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون ، إنّ هؤلاء متبّر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون ، وأصحاب (محمد)[3] ﷺ لما فرغوا من أمر الفرس وانتهى سعد ﷺ إلى إيوان[4] كسرى ورأى المدائن وخُلُوّها وما تركوا فيها فقرأ : ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٨] فصلى سعد ﷺ في الإيوان صلاة[5] الفتح ثمان ركعات لا يفصل بينهنّ[1] ، وأتم الصلاة

---

(١) قال الكلاعي في الاكتفاء (٤/٢٥٠) : " هكذا وقع ذكر محلم في هذا الحديث ولا أعرف ولا أعلم في ذلك الصدر من اسمه محلم إلا محلم بن جثامة ويقال إنه توفي على عهد رسول الله ﷺ وقصته في الدم الذي أصابه والعفو عند وجوب القود ودعاء النبي ﷺ لما مثل بين يديه قصة مشهورة ، وقد قيل : إنه عاش بعد النبي ﷺ فالله أعلم ، وكذلك قيل : إن الذي ألبسه عمر سواري كسرى هو سراقة بن مالك المدلجي" .

(٢) أخرجه بنحوه الطبري في تاريخه (٢/٤٦٧) .

(٣) "محمد" ليس في ب .

(٤) الإيوان والإوان : مجلس كبير على هيئة صفة واسعة لها سقف محمول من الأمام على عقد يجلس فيها كبار القوم . المعجم الوسيط (١/٣٣) .

(٥) في ب "وصلاة" بزيادة الواو .

يوم دخل المدائن لأنه أراد المقام بها ، وكانت أول جمعة جمعت بالمدائن ، واتّخذ سعد ﷺ الإيوان مصلّى للأعياد واتخذ فيه منبراً ؛ فقد تبين فضل محمد ﷺ على موسى ﷺ وفضل أمّة محمد ﷺ على أمة موسى ﷺ ، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً .

فإن قيل [ق٢١/و] : إنّ موسى عليه الصلاة والسلام أتى فرعون وقومَه بالعذاب الأليم الجراد والقمل والضفادع والدّم على ما أخبر الله تعالى في كتابه ، قلنا : نعم هو كذلك وكان لموسى عليه الصلاة والسلام من المنزلة أعظم من هذا ، ولكن لمحمّد ﷺ أعظم من ذلك ، فإنّ قريشاً لمّا عتوا وتجبّروا ولم يجيبوا[٢] إلى الإسلام دعا عليهم محمد ﷺ أن يعينه عليهم بسنين كسني يوسف فقال : «اللهم اشدد وطأتك على مُضَر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»[٣] ، فتوالت عليهم السنون بالجَدْب حتى أكلوا العظام والجيف وكان أحدهم ينظر فيما بينه وبين السّماء فيرى كهيئة الدّخان قال الله تعالى : ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الدخان:من الآية ١١] (فقالوا)[٤] : ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ﴾ [الدخان:١٢] فقال الله تعالى : ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان:١٥-١٦] يعني : يوم بدر فإنه لما كشف عنهم العذاب في الأولى عادوا إلى كفرهم فسلّط الله تعالى عليهم رسوله ﷺ فانتقم منهم بأن جعل هلاكهم بسيفه ، فشفى صدره وصدور[٥] المؤمنين منهم[٦] .

---

(١) أخرجه الطبري بنحوه في تاريخه (٢/٤٦٣-٤٦٤) .

(٢) في ب "يجيبوا" .

(٣) أخرجه البخاري (١/١٦٠) ، كتاب الأذان ، باب يهوي بالتكبير حين يسجد ، ٨٠٤ ؛ وأخرجه مسلم (١/٤٦٦) ، بنحوه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة ، ح٦٧٥ .

(٤) "فقالوا" ليس في ب .

(٥) في ب "وصدر" .

(٦) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٣٤ .

فإن قيل : إن موسى ﷺ أنزل الله عليه وعلى قومه المن والسلوى وظلّل عليهم الغمام ، قلنا : لمحمّد ﷺ أفضل من ذلك فإنّ المنّ والسلوى رزق رزقهم الله تعالى كُفُوا فيه السّعي والاكتساب على ماكانوا قد منعوا منه من الطيبات كما قال الله تعالى : ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء:من الآية ١٦٠] **وكانوا لما أنزل الله تعالى عليهم المن والسلوى محصورين في التّيه يتيهون ، فهي[1] نعمة في طيّ نَقِمَةٍ تفضّلاً من الله تعالى عليهم ، فإنه ذو مغفرة للناس على ظلمهم ولا يمنع عاصياً رزقَه المكتوب له لأجل معصيته ، فإنه لابدّ له من القوت أيّام حياته مطيعاً وعاصياً .**

فأما محمّد ﷺ (فإنه)[2] ما أملق[3] أصحابه أو عطشوا إلا دعا لهم[4] بالبركة في الطعام والشراب حتى يكتفوا ويفضل عنهم وكان في ذلك [ق٢١/ظ] **فضيلة أخرى وهي جعل البركة في القليل حتى يكفي النفر الجليل ، فقد كان يصيب أصحابَه الفاقَةُ في غزواتهم ويَقلّ عليهم الطعام والماء فيدعو بما يكون قد بقي معهم من ذلك ، فيوجَد الشيء اليسير فيدعو فيه فيبارَك فيه حتى يأكلوا ويشربوا ويكتفوا ويفضل منهم[5] كما هو مستفيض في المنقول ، وأحلّ لهم الغنائم ولم يحلّ لأحد كان قبلهم رحمةً لهم ولطفاً بهم لأنّه رأى ضعفهم فأحلّها[6] لهم وقوّاهم بها على عدوّهم وعلى أمور دينهم ودنياهم ، فأدّوا الأمانة فيما أمروا به من اجتناب الغلول[7] وحمل ما يحصل من الغنائم إلى الإمام ورضاهم بما يحصل لهم بالقسمة كما ذكرنا من خبر قيس بن سعد[8] حين وَجَدَ الحُقَّ**

---

(١) في ب "في" .

(٢) "فإنه" ليس في ب .

(٣) أملق إملاقاً : افتقر واحتاج . المعجم الوسيط (٢/٨٨٥) ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي (٢/٥٧٩) ، لأحمد الفيومي ، المكتبة العلمية ، بيروت .

(٤) في ب "دعاهم" ، وهو خطأ .

(٥) في ب "فيهم" .

(٦) في ب "فأحلت" .

(٧) الغلول : وهو الخيانة في المغنم والسرقة من الغنيمة قبل القِسمة . يقال : غَلَّ في المغنم يَغُلُّ غُلولاً فهو غَالٌّ . وكلُّ مَن خان في شيء خفية فقد غَل . وسُمِّيت غُلولاً لأن الأيدي فيها مغلولة : أي ممنوعة مجعول فيها غلٌّ وهو الحديدة التي تجمع يد الأسير إلى عنقه . النهاية (٣/٧١٧) .

(٨) تقدم ذكر أن الخبر لعامر بن عبدقيس ، وليس قيس بن سعد ﷺ ، انظر : ص٣٨٤ .

الذي فيه من الأموال ما تستغني به عِدَةُ أهل أبياتٍ غِنَى الأبد فردَّهُ وقال لهم : لولا الله ما رأيتموه ؛ وأما قوم موسى عليه السلام فإنه يكفل لهم بأن المنّ[1] والسلوى ينزل عليهم كل يوم قدر كفايتهم وأمرهم أن لا يدّخروا شيئاً فخانوا وخالفوا[2] وادخروا فأنتن ما ادخرُوا وَدَادَ[3] وفسد فقطعه الله تعالى عنهم كما جاء في الحديث : «لولا بنوا إسرائيل لم يخنز اللحم وَلولا حوّاء لم تخن أنثى زوجَها الدهرَ»[4] فأين هؤلاء من هؤلاء ؟! وأبلغ من ذلك أنّ أصحاب محمد ﷺ كانوا يخرجون في غزواتهم فيحصل لهم الحاجة فيجدون ما يكفيهم ويفضل كالذين خرجوا إلى ساحل البحر وقلّت أزوادهم فوجدوا حوتاً قد قذفه البحر فأكلوا منه شهراً وادّهنوا حتى سمنوا[5] ؛ وأما دعاؤه ﷺ لأحاد من الناس بالبركة ونحو ذلك فيضيق الوقت عن حصْرِهِ كَعُكّة[6] أم سُلَيم التي أهدت له (فيها)[1] سمناً

---

(١) في ب "يكفل لهم بالمن" .

(٢) في ب "أن لايدخروا فخالفوه" .

(٣) في هامش أ "أي صار فيه الدود" .

(٤) أخرجه البخاري (٤/١٥٤) ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:١٤٢] ، ح٣٣٩٩ ؛ وأخرجه مسلم (١٠٩٢/٢) ، كتاب الرضاع ، باب لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر ، ح١٤٧٠ ، بلفظ : "لولا بنو إسرائيل ، لم يخبث الطعام ، ولم يخنز اللحم ، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر" .

(٥) أخرجه مسلم (١٥٣٥/٣) ، كتاب الإمارة ، باب إباحة ميتات البحر ، ح١٩٣٥ ، من طريق أبي الزبير عن جابر ﷺ ، بلفظ : "بعثنا رسول الله ﷺ وأمّر علينا أبا عبيدة ، نتلقى عيراً لقريش ، وزوّدنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة ، قال : فقلت : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : نمصها كما يمص الصبي ، ثم نشرب عليها من الماء ، فتكفينا يومنا إلى الليل ، وكنا نضرب بعصينا الخبط ، ثم نبله بالماء فنأكله ، قال : وانطلقنا على ساحل البحر ، فرُفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم ، فأتيناه فإذا هي دابة تُدعى العنبر ، قال : قال أبو عبيدة : ميتة ، ثم قال : لا ، بل نحن رسل رسول الله ﷺ ، وفي سبيل الله ، وقد اضطررتم فكلوا ، قال : فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلاث مائة حتى سمنا ، قال : ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه بالقلال الدهن ، ونقتطع منه الفدر كالثور ، أو كقدر الثور ، فقلد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً ، فأقعدهم في وقب عينه ، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا ، فمر من تحتها وتزونا من لحمه وشائق ، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ ، فذكرنا ذلك له ، فقال : «هو رزق أخرجه الله لكم ، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا» ، قال : فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله" .

(٦) عُكّة بضم العين وتشديد الكاف : وعاء صغير من جلد للسمن خاصة . شرح النووي على مسلم (٢١٩/١٣) .

فردّها ولم يعصرها فكانت كلّما أرادت[2] سَمْناً أخذت منها حتى عصَرتها ففني فقال ﷺ : «لو لم تَعصرها لأخذَتْ منها وقام لها أدم بيتها ...» الحديث[3] ، وكجراب أبي هريرة ﷺ الذي كان فيه دون عشرين تمرة فدعا فيه بالبركة فأكل وجهّز في سبيل الله كذا وكذا وسقا وبقي يأكل منه ويطعم إلى أن قتل عثمان [ق٢٢/و] بن عفّان ﷺ ففقد الجراب في تلك الواقعة[4] ، وكشعير عائشة رضي الله عنها الذي دعا فيه فكانت تأكل منه حتى كالته ففني[5] وهذا باب واسع ؛ وأيضاً فإنّ بني إسرائيل لمّا رزقوا المنّ والسّلوى كانوا[6] محجوراً عليهم في التّيه، معاقَبين[7] على مخالفة الأمر بالدخول إلى الأرض المقدّسة لما احتجوا بأنّ فيها قوماً جبّارين ، فقالوا : إنّا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها ، وقالوا لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، فحرمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ، فجعلهم يتيهون في أرض التّيه تلك المدّة ، فهذا كان حالهم لما أنزل الله تعالى عليهم المن والسلوى وأصحاب نبيّنا ﷺ لمّا أمرهم بالقتال قالوا : اؤمُرْنا بما شئت فوالله لو

---

(١) "فيها" ليس في ب .

(٢) في ب "أراد" بدون تاء التأنيث .

(٣) أخرجه مسلم (١٧٨٤/٤) ، كتاب الفضائل ، باب في معجزات النبي ﷺ ، ح٢٢٨٠ ، من طريق جابر ﷺ ، بلفظ : "أن أم مالك كانت تهدي للنبي ﷺ في عكة لها سمناً ، فيأتيها بنوها فيسألون الأُدم ، وليس عندهم شيء ، فتعمد إلى الذي كانت تُهدي فيه للنبي ﷺ ، فتجد فيه سمناً ، فما زال يقيم لها أُدم بيتها حتى عصرته ، فأتت النبي ﷺ فقال : «عصرتيها» ، قالت : نعم ، قال : «لو تركتيها ما زال قائماً» .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٧٦/١٤) ح ٨٦٢٨ ، من طريق أبي العالية عن أبي هريرة ، بلفظ : "أتيت النبي ﷺ يوماً بتمرات ، فقلت : ادع الله لي فيهن بالبركة ، قال : فصفَّهن بين يديه ، قال : ثم دعا ، فقال لي : «اجعلهن في مزود ، فأدخل يدك ولا تنثره» قال : فحملت منه كذا وكذا وسقاً في سبيل الله ، ونأكل ، ونُطعم ، وكان لا يفارق حقوي ، فلما قتل عثمان ﷺ انقطع عن حقوي فسقط" ؛ وأخرجه الترمذي (٦٨٥/٥) ، بنحو لفظ المسند في أبواب المناقب ، باب مناقب أبي هريرة ﷺ ، ح٣٨٣٩ ، وقال : "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي هريرة" ، وقال الألباني : " حسن الإسناد" . صحيح سنن الترمذي (٥٦٠/٣) ، للإمام الألباني ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ ، مكتبة المعارف ، الرياض .

(٥) أخرجه البخاري (٩٦/٨) ، كتاب الرقاق ، باب فضل الفقر ، ح٦٤٥١ ؛ وأخرجه مسلم (٢٢٨٢/٤) ، كتاب الزهد والرقائق ، ح٢٩٧٣ ، عن عائشة رضي الله عنها ، بلفظ : "لقد توفي النبي ﷺ وما في رفِّي من شيء يأكله ذو كبد ، إلا شطر بعير في رف لي ، فأكلت منه ، حتى طال عليَّ ، فكِلته ففني" .

(٦) في ب "كان" .

(٧) في ب زيادة "كانوا" قبل "معاقَبين" .

أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا ، إنّا لا نقول كما قال أصحاب موسى لموسى : اذهب أنت وربّك فقاتلا (إنّا هاهنا قاعدون ، بل نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا)[1] إنا معكم مقاتلون[2] ، وقد تقدم هذا المعنى ؛ فكان ما أعطي أصحاب موسى عليه السلام في مقام الرحمة ، وما أعطي أصحاب محمد ﷺ في مقام الكرامة والنعمة .

فإن قيل : إن موسى عليه السلام أعطي العصا لما حضرت السّحرة وألقوا حبالهم وعصيّهم ألقى موسى عليه السلام عصاه فتلقفت ما صنعوا واستغاث فرعون بموسى[3] عليه السلام رهبة وفرقاً منها ، قيل : فقد أُعطي[4] محمد ﷺ أعظم من ذلك ، وذلك أن أبا جهل بن هشام قال : يا معشر قريش إن محمّداً قد أبى إلا ماترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وسبّ آلهتنا ، وإني أعاهد الله لأجلسنَّ له بحجر قدر ما أطيق حَمله ، فإذا سجد في صلاته رضخت به رأسَه ، فأسلموني (عند ذلك)[5] أو امنعوني ، فليصنع بنو عبد مناف ما بدا لهم ، قالوا : لا والله لا نُسْلِمُكَ لشيء أبداً فاصنع ما تريد ، فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف وجلس لرسول الله ﷺ ، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو ، فقام يصلّي وقد قعدت قريش في أنديتهم [ق٢٢/ظ] ينتظرون ما أبو جهل صانع ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دَنا منه رجع مَبْهُوتاً ، مُنتقعاً لونه مَرْهُوباً ، قد يبسَتْ يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده ، وقامت[6] إليه رِجَالاتُ قريش وقالوا : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت إليه لأفعل به ما قلتُ لكم البارحة ، فلما دنوت منه عَرض لي دونه فحل من الإبل ، (لا)[7] والله ما

---

(١) ما بين القوسين ليس في ب .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/١٨٥) ، قال الألباني : "وهذا إسناد مرسل صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين" . انظر : هامش السلسلة الصحيحة (٩/١٢١) ح٣٣٤١ .

(٣) في ب "لموسى" .

(٤) في ب "قيل فأعطي" بدون "قد" .

(٥) "عند ذلك" ليس في ب .

(٦) في ب "ثم قامت" .

(٧) "لا" ليس في ب .

رأيت مثل هامته ولا قَصَرته ولا أنيابه ، فهمّ أن يأكلني ، فيُذكر أنّ رسول الله ﷺ قال : «ذاك جبريل لو دنا منّي لأخَذَه»[1] ، وفي رواية أخرى : فلمّا أتاه وهو ساجد رفع يده وفيها الفِهرُ ليَدْمغ رسولَ الله ﷺ (زعم)[2] ، فيبست يده على الحجر[3] ، فلم يستطع إرسال الحجر من يده ، فرجع إلى أصحابه فقالوا : أجَبُنتَ عن الرجل ؟! فقال : لم أفعل ، ولكن هذا في يدي لا أستطيع إرسالَه ، فعجبوا من ذلك فوجدوا أصابعه قد يبست على الحجر فعالَجوها حتى خلصوها وقالوا : هذا شيء يُراد[4] ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال : قال أبو جهل[5] : هل يعفّر محمّدٌ وجهه بين أظهركم ، فقيل : نعم ، (فقال)[6] : واللات والعزّى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنّ على رقبته أو لأعفِّرنَّ وجهه في التراب -قال- : فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يصلي زعم لِيَطَأ على رقبته ، فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتّقي بيديه[7] -قال- : فقيل له : مالك ، قال : إنّ بيني وبينه لخندقاً من نار وهَولاً وأجنحةً ، فقال رسول الله ﷺ : «لو دَنا مني لاختطفته الملائكة عُضواً عضواً ...» الحديث[8] ؛ فكيد سحرة فرعون وإن كان عظيماً فإنه كان لأجل فرعون إما رغبة وإمّا رهبة فلا يوازي كيد أبي جهل إذ كان يجهد لنفسه بنفسه في أذى رسول الله ﷺ ليَشفي غيظ قلبه منه ، وليس من يسعى ويجهد لغيره في القوّة كمن يسعى لنفسه ، ثم إن من نُصر به محمد ﷺ كان جبريل والملائكة عليه وعليهم السلام كما قال رسول الله ﷺ : «لو دنا منّي لاختطفتهُ الملائكةُ [ق٢٣/و] عضواً عضواً»[9] ،

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٦٥/٢) ، وأخرجه بنحوه أبو نعيم في الدلائل (٢٠٥/١) ح١٥٦ .

(٢) "زعم" ليس في ب .

(٣) في ب "حجره" .

(٤) أخرجه بنحوه أبو نعيم في الدلائل (١٩٩/١) ح ١٥٢ .

(٥) في ب "أبو جعفر" ، وهو خطأ .

(٦) "فقال" ليس في ب .

(٧) في ب "ببدنه" ، وهو تصحيف .

(٨) أخرجه مسلم (٢١٥٤/٤) ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب قوله : ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق:٦-٧] ، ح٢٧٩٧ .

(٩) تقدم تخريجه في الحديث السابق .

فهو أعظم مما نُصِر به موسى عليه الصلاة والسلام فإنه كان الثعبان المنقلب عن العصا وبينه وبين جبريل بَوْنٌ [بعيد][1] عظيم .

فإن قيل : انقلاب العصا الجماديّة ثعباناً حيّاً آية عظيمة وفضيلة جسيمة لموسى عليه السلام ، قيل : لمحمد ﷺ أمثالها و أعظم فإنه قد سبّح الحصى في يده وفي يد أصحابه[2] فهذه حياة في جمادٍ ونطق بتسبيح يسمعه من حَضر ، وكذلك سبح الطعام وهو يؤكل بحضرته[3] ، والأحجار قد سلمت عليه[4] ، والأشجار قد دعاها فأقبلت إليه[5] ، وكذلك العذق دعاه فنزل من رأس النخلة ينقز حتى وقف بين يديه فشهد برسالته ثلاثاً

---

(١) "بعيد" زيادة من ب .

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢٠٧/٦) ح٢٣١٤ ، من طريق أبي ذر رضي الله عنه ، بلفظ : "لا أذكر عثمان إلا بخير بعد شيء رأيته ، كنت رجلا أتتبع خلوات رسول ﷺ وسلم فرأيته يوماً جالساً وحده ، فاغتنمت خلوته فجئت حتى جلست إليه ، فجاء أبو بكر فسلم ثم جلس عن يمين رسول الله ﷺ ، ثم جاء عمر فسلم فجلس عن يمين أبي بكر ، ثم جاء عثمان فسلم ثم جلس عن يمين عمر ، وبين يدي رسول الله ﷺ سبع حصيات ، أو قال : تسع حصيات ، فأخذهن فوضعهن في كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن ، ثم أخذهن فوضعهن في يد أبي بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن ، ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن ، ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن" . وأخرجه أبو نعيم بنحوه في الدلائل (١٦٣/٢) ح٥٢٢ ، وأخرجه البزار بنحوه في مسنده من طريق سويد بن زيد عن أبي ذر (٤٣١/٩) ح٤٤٠ ، ومن طريق جبير بن نفير عن أبي ذر (٤٣٤/٩) ح٤٠٤٤ ، قال الهيثمي : "رواه البزار بإسنادين ورجال أحدهما ثقات وفي بعضهم ضعف" . مجمع الزوائد (٥٢٧/٨) ح١٤١٠٣ ، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٥٤٣/٢) ح١١٤٦ ، قال الألباني : "حديث صحيح ، ورجال إسناده ثقات غير عبدالحميد بن إبراهيم وهو أبو تقي فيه ضعف من قبل حفظه ، ولكنه قد توبع" . السنة لابن أبي عاصم لأبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم ، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة (٥٤٣/٢) ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الأولى ١٤٠٠ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

(٣) أخرجه البخاري (١٩٤/٤) ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ح٣٥٧٩ ، من طريق عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، بلفظ : "كنا نعد الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفاً ، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فقَل الماء ، فقال : «اطلبوا فضلة من ماء» ، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ، ثم قال : «حيَّ على الطهور المبارك ، والبركة من الله» ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل" .

(٤) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٧٤ .

(٥) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٧٢ .

ثم عاد ينقز إلى مكانه[1] ، وكذلك حنّ الجذع اليابس إليه حين فارقه فلمّا جاءه واحتضنه سكن[2] .

فإن قيل : إن موسى عليه السلام لما وفد بخيار قومه وهم سبعون نَفْساً إلى الله تعالى وكانوا من أفاضلهم فلمّا صاروا في البَرِّيَّةِ غلب رَوحُ القُرْبة على قلبه ، وتحقق صدق الإجابة ، وظاهَرَهُ قوة الوصول ، أسرَعَ إلى ربّه ناسياً لقومه لما وجد من الوله قاصداً للمناجاة فقال الله تعالى (له)[3] : ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه:٨٣] فقال : ﴿هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ [طه:من الآية ٨٤] ، وهذه حالة شريفة خصّ بها موسى عليه الصلاة والسلام دون سائر المرسلين عليهم السلام ، عبّر عن نفسه ودلّ على قصده ومراده ، قيل : إنّ الله عظّم شأن محمّد ﷺ في آيتين أعلمه (فيهما)[4] رضاه عنه وأعطاه سؤله ومناه من غير سؤال منه ولا رغبة تقدمت منه فقال تعالى : ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَا﴾ [البقرة:من الآية ١٤٤] ، وقال في الآية الأخرى : ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضُّحى:٥] فمنحه رضاه وأعطاه مُناه في جميع مايهواه ويتمنّاه ، وغيرُه من الأنبياء عليهم السلام سألوا وطلبوا رضى مولاهم ، وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : "لما أنزلت هذه الآية : ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ﴾ [الأحزاب:من الآية ٥١] قلتُ : ما أرى ربّك إلا يسارع في هواك"[5] ، وخصه مع الرضى بالرحمة والرأفة [ق٢٣/ظ] فقال : ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ...﴾ الآية [آل عمران:١٥٩] وكان رقيق القلب ، وأمر الله تعالى

---

(١) تقدم تخريجه ، انظر : ٣٧٣ .

(٢) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٧٢ .

(٣) "له" ليس في ب .

(٤) "فيهما" ليس في ب .

(٥) أخرجه البخاري (١١٧/٦) ، بنحوه في كتاب تفسير القرآن ، باب قوله تعالى : ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَ﴾ [الأحزاب:من الآية ٥١] ، ح٤٧٨٨ .

موسى عليه السلام بالملاينة لفرعون لما كان فيه من الفظاظة والغلظة وقال له ولأخيه : ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه:من الآية ٤٤] ، وذكر عن محمّد ﷺ الملاينة والرأفة وأمره بضدّها فقال : ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:من الآية ٧٣] وإنّ لكلّ مقام مقالاً ، والذي اشتهر من حال موسى عليه الصلاة والسلام الحدّة وقلة التماسك عند ورود الملمات عليه كما فعل في إلقاء الألواح وفي أخذه برأس أخيه ولحيته وجرّه إليه ، وروى زيد بن (أسلم)[1] عن أبيه : "أن موسى عليه السلام كان إذا غضب اشتعلت قلنسوته ناراً" من شدّة غضبه ذكره الثعلبي[2] ، ومحمد ﷺ بُولغ في أذاه وفي خِلافه[3] وعداوته حتى ألقوا على ظهره السَّلا والفرث والدّم وهو ساجد ، وضربوه حتّى أدموه إلى غير ذلك من أصناف الأذى فعلاً وقولاً ، فقال : «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[4] ، فكان عاقبة الصّبر النصر ، وأثنى الله تعالى عليه ﷺ في سَعَةِ خُلقه وحسن سيرته وجميل صبره فقال : ﴿وَإِنَّكَ[5] لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] ؛ وأما شوقهُ ﷺ إلى ربّه تعالى ولقائه (فإنّه)[6] حين جاءه[7] نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، وأكمل له الدّين وأتم عليه النعمة ، وكان العيش عند ذلك مطلوباً وطول البقاء في الدنيا محبوباً مَرِض فَخُيّر بين الحياة وبين لقاء ربّه ، فاختار لقاء ربّه ولم يزل يقول : «الرفيق الأعلى» (حتى)[8] قُبض ﷺ[9] ، وموسى

---

(١) "أسلم" ليس في ب .

(٢) لم أقف عليه في كتب الثعلبي ، وقد أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦١/٦١) ، وذكره ابن القيم في الروح (٢٣٤/١) ، ١٣٩٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٣) في ب "بولغ في أذاه بخلافه" .

(٤) أخرجه البخاري (١٧٥/٤) ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الغار ، ح٣٤٧٧ .

(٥) في ب ﴿إِنَّكَ﴾ بدون الواو .

(٦) "فإنه" ليس في ب .

(٧) في ب "جاء" بدون الهاء .

(٨) "حتى" ليس في ب .

(٩) أخرجه البخاري (١٠/٦) ، كتاب المغازي ، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، ح٤٤٣٨ ، من طريق عائشة رضي الله عنها ، بلفظ : «في الرفيق الأعلى» ؛ وأخرجه مسلم (١٨٩٤/٤) ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها ، ح٢٤٤٤ ، بلفظ : «اللهم الرفيق الأعلى» .

عليه الصلاة والسلام لمّا حضره ملك الموت ليقبض رُوحَه لطمه ففقأ عينه كما ثبت ذلك في الصحيح ، فرجع ملك الموت (إلى ربّه)[1] فقال : "ياربّ إنّك أرسلتني إلى عبد لك لايحب الموت وقد فقأ عيني فردّ الله عليه عينه ..." الحديث[2] ؛ ثم أين أصحاب موسى الذين اختارهم لميقات ربّه ثم تهجّموا على ربهم فقالوا لموسى : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة فماتوا جميعاً فقال [ق٢٤/و] موسى : رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإيّاي ، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ، رب كيف أرجع إلى بني إسرائيل[3] وقد أهلكت خيارهم ، فلم يزل موسى يناشد ربَّه حتى أحياهم الله ﷻ (جميعاً)[4] رجلاً بعد رجل ينظر بعضهم إلى بعض[5] كيف يُحيَوْن فذلك قوله ﷻ : ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة:٥٦][6] فهؤلاء الذين اختارهم موسى من قومه ، وقد روى أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا راح منّا إلى الجمعة سبعون رجلاً كانوا كالسبعين الذين وفدوا مع موسى ﷺ وأفضل»[7] ، وأما أصحاب محمد ﷺ فإن الإيمان كان أرسخ في[8] قلوبهم من الجبال الراسيات ، منهم من يغرر بنفسه وماله في نصرة الدين ، ومنهم من يهجر ولده ، ومنهم من يطلق زوجته ، ومنهم من يقتل قريبه ونسيبه ، ومنهم مَن يُعْرَض على القتل فيختار القتل والموت على الإسلام

---

(١) "إلى ربه" ليس في ب .

(٢) أخرجه البخاري (٢/٩٠) ، كتاب الجنائز ، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها ، ح١٣٣٩ ؛ وأخرجه مسلم (٤/١٨٤٢) ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل موسى ﷺ ، ح٢٣٧٢ ، من طريق أبي هريرة ﷺ ، بلفظ : " أُرسل ملك الموت إلى موسى ﷺ ، فلما جاءه صكّه ففقأ عينه ، فرجع إلى ربه فقال : أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت ، قال : فرد الله إليه عينه ..." واللفظ لمسلم .

(٣) في ب تكرار "إلى بني إسرائيل" ، وهو خطأ .

(٤) "جميعاً" ليس في ب .

(٥) في ب "ينظر بعضهم بعضاً" .

(٦) انظر : تفسير الثعلبي (١/١٩٩-٢٠٠) .

(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١/٢٤٤) ح٧٩٩ ، قال الهيثمي : "رواه الطبراني في الأوسط وفيه أحمد بن بكر البالسي ، قال الأزدي : كان يضع الحديث" مجمع الزوائد (٢/٣٩٥) ح٣٠٧٨ ؛ وقال الألباني : "موضوع" . ضعيف الجامع الصغير (١/٧١) ح١٥١٢ .

(٨) في ب "إلى" .

ولا يكفر ، ومنهم من يُعَذّب بأنواع العذاب كصهيب وبلال رضي الله عنهما وأرضاهما ونحوهما ، ومنهم من يقول :

ولست أبالي حين أُقتل مسلماً على أيّ جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزّع[1]

وهو خُبَيب ﷺ إلى غير ذلك من أحوال كثير من أصحاب محمد ﷺ ومن بعدهم رضي الله عنهم أجمعين .

فإن قيل : قد أكرم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام بأن ألقى له المحبة في القلوب وكان بين عينيه نور لاينظر إليه أحد إلا أحبّه قال الله تعالى : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه:من الآية ٣٩] وهذا أحد الأقوال في هذه المحبّة وهو الوارد في هذا المكان ، قيل : إنما كان ذلك في صغره لشدّة الحاجة إلى ذلك ، لأنه عليه الصلاة والسلام أُلقي في البحر وكان الأطفال في ذلك الوقت تذبح ولاتستبقى حتى[2] أُخرج من اليمِّ والتقطه آل فرعون وجعلوا يطلبون (له)[3] المراضع لِيُنْفذ الله تعالى حكمه ويمضي قدَره فقالت أخت موسى [ق٢٤/ظ]: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ [القصص:من الآية ١٢] ، فكان أولَ ما أخرج من اليمّ أحبّه[4] فرعون وامرأته حتى ربَّوه في دار المملكة (مكرماً)[5] معززاً إلى أن نشأ وكان من شأنه ما كان ، فظهر له منهم ومن بني إسرائيل من العداوة والشنآن ما الله به العليم حتى من أهله كقارون ونحوه فإنه لما قال لبني إسرائيل : ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ[6] لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:من الآية ١٢٨] ،

---

(١) أخرجه البخاري (٩/١٢٠) ، كتاب التوحيد ، باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله ، بلفظ : "على أيِّ شق كان لله مصرعي" .

(٢) في ب "حين" .

(٣) "له" ليس في ب .

(٤) في ب "أخت" .

(٥) "مكرماً" ليس في ب .

(٦) في ب "والعاقية" ، وهو خطأ ظاهر .

أجابوه بأبشع جواب وأشنعه فقالوا : ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف:من الآية ١٢٩] فقال لهم : ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:من الآية ١٢٩] فكان رَدُّه[١] عليهم بهذا اللطف عن ذاك[٢] الجفاء والغِلظة ، وأظهروا خلافه فيما أمرهم به من الدخول على الجبابرة في الأرض المقدّسة حتى قالوا (إنّا)[٣] لن ندخلها أبداً ماداموا فيها كما تقدم ، وكما نهاهم عن الصيد يوم السبت فاحتالوا في حبس الحيتان ، وكما نهاهم عن الإدخار من المن والسلوى فادخروا ، ولما[٤] غاب عنهم زمن المناجاة عَبَد العجل منهم الجم الغفير ، وقارون القريب النسيب[٥] جرى في حقّه منه ما جرى وعاداه العداوة البليغة ، والسامري الذي كان من عظماء بني إسرائيل[٦] نافَق وعمل ما عمل وكل ذلك في كبره وفي زمان النبوّة ، ولم يُسْلِمْ له ممن أحبّه طفلاً إلا امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون ، وقد قال لمحمد صلى الله عليه وعليه وسلم ليلةَ الإسراء : إنه عالج بني إسرائيل أشد المعالجة[٧] ، واقترحوا عليه من الأمور المنكرة والأمور الدينية ما عُرف به سوء أدبهم (معه)[٨] وقلّة [معرفتهم و][٩] احترامهم إياه ، كما أنه لما كان يعتزلهم في

---

(١) في ب "فرده" .

(٢) في ب "ذلك" .

(٣) "إنا" ليس في ب .

(٤) في ب "لما" بدون الواو .

(٥) قال بدر الدين العيني في قارون : "وفي نسبه إلى موسى ثلاثة أقوال : أحدها : أنه كان ابن عمه قاله سعيد بن جبير عن ابن عباس وبه قال ابن جريج وعبد الله بن الحارث ، والثاني : ابن خالته رواه عطاء عن ابن عباس ، والثالث : أنه عم موسى قاله ابن إسحاق" . عمدة القاري (٢٣/٣٥٢) .

(٦) قال قتادة : "كان السامري عظيماً من عظماء بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة ، ولكنّ عدوّ الله نافق بعدما قطع البحر مع بني إسرائيل ، فلمّا مرّت بنو إسرائيل بالعمالقة وهم يعكفون على أصنام لهم فقالوا : يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، فاغتنمها السامريّ ، فاتّخذ العجل ..." . تفسير الثعلبي (٦/٢٥٨) .

(٧) أخرجه البخاري (٤/١٠٩) ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، ح٣٢٠٧ .

(٨) "معه" ليس في ب .

(٩) "معرفتهم و" زيادة من ب .

مغتسلهم وكانوا يغتسلون عراة ينظر بعضهم (سوءة)[1] بعض ، وكان موسى عليه الصلاة والسلام ستيراً فكان يغتسل وحده فقالوا : ما يمنع أن يغتسل معنا إلا أنّ به أدرة[2] أو آفة فقال الله لهذه الأمّة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ... ﴾ الآية[3] [الأحزاب:٦٩][4] ، وكما ذكرنا من سؤال الذين اختارهم أن يروا ربّهم جهرة ، والذين قالوا : ادع لنا ربّك يخرج لنا مما تنبت الأرض [ق٢٥/و] من بقلها وقثّائها وفومها وعدسها وبصلها ، قال : أتستبدلون الذي[5] هو أدنى بالذي هو خير ، وتعنّتهم في سؤالهم عن البقرة التي[6] أُمِرُوا بذبحها مرّةً بعد مرّةٍ[7] ، ولو أنهم ذبحوا بقرةً (في)[8] أوّل مرّةٍ أيّ شيء كانت لأجزأت عنهم ، لكنهم شدّدوا فشدّد الله عليهم ، فأمّا محمد[9] ﷺ فإن محبّته كانت مغروزة في قلوب الخلق في صغره وكبره حتى إن الكفار الذين كانوا يخالفونه وينابذونه كان في قلوبهم منه هيبة ، وكان عندهم موقراً معزّزاً ، وكان يسمى فيهم الأمين ، وإذا قال قولاً لايشكّون في صدقه حتى عن الغائبات ، كما قيل لبعضهم[10] إن محمداً يزعم أنه قاتلك فقال : والله مايكذب محمد إذا حدّث [به][11] ،

---

(١) في ب "سوء" .

(٢) الأدرة بالضم : نفخة في الخصية . النهاية في غريب الأثر (١/٦٠) .

(٣) في ب ذكر الآية بتمامها .

(٤) أخرجه البخاري (٤/١٥٦) ، بنحوه في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام ، ح٣٤٠٤ .

(٥) في ب "بالذي" بزيادة الباء .

(٦) في ب "الذي" .

(٧) في ب "أخرى" .

(٨) "في" ليس في ب .

(٩) في ب "فامحمد" ، وهو خطأ .

(١٠) وهو أمية بن خلف ؛ والقصة أخرجها البخاري (٤/٢٠٥) ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ح٣٦٣٢ .

(١١) "به" زيادة من ب .

وبقي[1] ذلك الرجل متحرزاً مدّة حتى أنفذ[2] الله فيه حكمه بما وَعَد به الرسول ﷺ ، وما أظهروا عداوته إلا لما سَبّ آلهتهم وضلّل آبائهم وسفّه أحلامهم على عبادة غير الله .

فأمَّا محبّة المؤمنين له عليه الصلاة (والبركة)[3] والسلام فأمر ظاهر لايحتاج إلى برهان ، فإنه لما دعى[4] خواصهم كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وعوامَهم ﷺ ، وآمنوا به ، أمرهم بالهجرة من بلادهم وعن أولادهم وعن قومهم وآبائهم وأمهاتهم وعشائرهم ومساقط رؤوسهم وأوطانهم ، هاجر أناس إلى الحبشة وأناس إلى غيرها ، وهجروا الأهل والمساكن والعشائر ، ولايخفى محبة العرب لعشائرهم وقومهم وشدّة خوفهم إذا بَعُدوا عنهم أو فارقوهم إلى غيرهم ، فهاجر من هاجر من مكّة وهي مركز دينهم وموضع شرفهم وعبادتهم التي فخروا بها على جميع الأمم وحسدهم عليها جميع الطوائف فتركوا بها الأهل والأموال ، وهاجروا إلى الله تعالى ورسوله ﷺ رغبةً في الدين ومحبّة له حتى إنهم يوم بدر تكلموا في الأسارى فأشار كل قوم بما عندهم ، فقال عمر ﷺ : "ما أرى الذي رأوا ولكن تمكننا منهم فنضرب أعناقهم ، فتمكن عليّاً من عَقيل فيضرب[5] عنقه ، وتمكّنني من فلان [ق٢٥/ظ] نسيب لعمر فأضرب عنقه ، فإنّ هؤلاء صناديد الكفر وأئمّته"[6] ، وفي صلح الحديبية يقول قائل[7] الكفّار[8] : والله ما رأيتُ أحداً يعظّم أحداً مايعظّم محمّداً أصحابُه ، لقد دخلت على الملوك فما رأيت قومهم يعظّمونهم كما يعظم محمّداً أصحابُه ، فإنهم إن تكلم أنصتوا ولا يرفعون أصواتهم عنده إجلالاً له ، وما تنخّم نخامةً إلا وقعت في يد رجل منهم فدلك بها وجهه وجسده ؛ ومثل

---

(١) في ب "ونفى" ، وهو تصحيف .

(٢) في ب "أنفذه" بزيادة الهاء ، وهو خطأ .

(٣) "والبركة" ليس في ب .

(٤) في ب "ادعى" بزيادة الهمزة ، وهو خطأ .

(٥) في ب زيادة "به" بعد "فيضرب" .

(٦) أخرجه مسلم (١٣٨٣/٣) ، بنحوه في كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم ، ح١٧٦٣ .

(٧) في ب "قاتل الله" .

(٨) وهو عروة بن مسعود ﷺ ، والخبر أخرجه البخاري (١٩٣/٣) ، كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ، ح٢٧٣١ .

هذا كثير في الصحابة ﷺ ؛ فأما الأنصار من أهل المدينة[1] فبايعوه بالأنفس والأموال والأولاد مع ماقيل لهم عند ذلك : إنّ هذا الأمر إن فعلتموه رمَتْكم العرب عن قوس واحدة[2] ، فحملهم حُبُّهم له على معاداة جميع العرب ومحاربة جميع الخلق وقالوا : والذي بعثك بالحق لنمنعنّك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ، فبايعوه وآووه[3] إلى بيوتهم ونصروه وعزّروه وواسوه له ولأصحابه ، ولما أمرهم بالقتال قالوا : والله لو أمرتنا أن نُخيضها البحر لأخضناها كما تقدّم ، ولما قال : «لن[4] يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من نفسه وأهله وماله»[5] ، فقال عمر : والله إنك لأحبُّ إليّ مِن كلّ شيء إلا نفسي ، فقال (له)[6] : «لا حتى أكون أحبّ إليك من نفسك» ، فقال : والله لأنتَ الآن أحبّ إليّ من نفسي ، فقال : «الآن يا عمر»[7] ، وهذا باب واسع في محبة أصحابه ﷺ (له)[8] ﷺ ، ومحبة المؤمنين بَعْدَهم كما أخبر ﷺ عمن يأتي بعده حيث قال : «يأتي من بعدي قومٌ يَوَدّ أحدهم لو رآني بأهله وماله»[9] ، فهو كذلك بأبي وأمّي هو ﷺ ، فمحمد وموسى صلى الله عليهما وسلم محبّتهما في قلب كل سعيد ، وكلما عظمت محبة الله للعبد أعظم محبّته في قلوب عباده ، ومحبّة الله تعالى لمحمد ﷺ أعظم وأكبر ، فمحبته في قلوب الخلق أعظم ، وقد روى ثابت البُناني أنّ النبي ﷺ قال : «موسى

---

(١) في ب "يثرب" .

(٢) القائل هو : بحيرة بن فراس القشيري ، والخبر أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية (١٧٢/٣-١٧٣) ، بلفظ : "ما أعلم أحدًا من أهل هذه السوق يرجع بشيء أشد من شيء ترجعون به بدء ثم لتنابذوا الناس وترميكم العرب عن قوس واحدة" .

(٣) في ب "وأدوه" .

(٤) في ب "لو" ، وهو خطأ .

(٥) أخرجه مسلم (٦٧/١) ، كتاب الإيمان ، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة ، ح٤٤ ، بلفظ : «لا يؤمن عبدٌ حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين» .

(٦) "له" ليس في ب .

(٧) أخرجه البخاري (١٣٩/٨) ، بنحوه في كتاب الإيمان والنذور ، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ ، ح٦٦٣٢ .

(٨) "له" ليس في ب .

(٩) أخرجه مسلم (٢١٧٨/٤) ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب فيمن يود رؤية النبي ﷺ بأهله وماله ، ح٢٨٣٢، بلفظ : «من أشد أمتي لي حباً ، ناس يكونون بعدي ، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله» .

صفي الله وأنا حبيب الله»[1] ، ولا يخفى مابين الكليم والحبيب من التفاضل ، ولعظم منزلة محمّد ﷺ عند الله في المحبّة لما قال من قال من الكفّار حين اشتكى فلم يقم ليلة أو ليلتين أنه قد وُدِّع فأنزل الله [ق٢٦/و] ﷻ : ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضُّحى: ١-٥][2] .

وأما تكليم الله لموسى عليه السلام ففضيلة عظيمة ولمحمّد ﷺ مثلها وأعظم منها ، فإن موسى عليه الصلاة والسلام قد كلّمه الله تعالى وموسى في الأرض ، ومحمد ﷺ كلّمه الله تعالى وهو في مقام قاب قوسين أو أدنى من فوق سبع سموات بما الله به عليم من العلوّ ، وموسى عليه السلام سأل رَبَّه الرّؤية فمُنِعها ، ومحمد ﷺ أُعطِيها من غير سؤال ليلةَ المعراج في أحد قولي العلماء[3] ، قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [الإسراء:من الآية ٥٥] .

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (٢٠٠/١) ، كتاب دلائل النبوة ، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل ، ح٥٥ ، قال المحقق حسين الداراني : "في إسناده علتان : عبدالله بن صالح والانقطاع" ؛ وقد تقدم التعليق على تفضيل وصف النبي ﷺ بالحبيب على الخليل ، انظر : ص٣٢٠-٣٢١ .

(٢) أخرجه البخاري (١٨٢/٦) ، كتاب فضائل القرآن ، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل ، ح٤٩٨٣ ، من طريق الأسود بن قيس عن جندب ، بلفظ : "اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين ، فأتته امرأة ، فقالت : يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك ، فأنزل الله ﷻ : ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضُّحى:١-٣] ؛ وأخرجه مسلم (١٤٢٢/٣) ، بنحو لفظ البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، ح١٧٩٧ .

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "وأما الرؤية : فالذي ثبت فى الصحيح عن ابن عباس أنه قال : رأى محمد ربه بفؤاده مرتين ، وعائشة أنكرت الرؤية . فمن الناس من جمع بينهما ، فقال : عائشة أنكرت رؤية العين ، وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد ، والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هى مطلقة أو مقيدة بالفؤاد ، تارة يقول : رأى محمد ربه ، وتارة يقول : رآه محمد ، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه . وكذلك الامام أحمد تارة يطلق الرؤية وتارة يقول : رآه بفؤاده ؛ ولم يقل أحد أنه سمع أحمد يقول رآه بعينه ، لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ففهموا منه رؤية العين ، كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهم منه رؤية العين ، وليس فى الأدلة ما يقتضى أنه رآه بعينه ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة ولا فى الكتاب والسنة ما يدل على ذلك ، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل كما فى صحيح مسلم عن أبى ذر قال : سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ؟ فقال : «نور أنَّى

فـإن قيـل : قـد قـال الله تعـالى : ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف:١٥٩] ، قيل : لايخفى مافي أمة محمد ﷺ من أئمة الهُدى والعدل ، وأئمة الهُدى والفقه كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وعثمان وعلي وغيرهم من أئمة الهدى والعدل ، ففي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبيّ وإنه لانبي بعدي وستكون خلفاء فتكثر» قالوا : فما تأمرنا ، قال : «فُوا ببيعة الأوّل فالأوّل وأعطوهم حقّهم فإن الله سائلهم عمّا استرعاهم»[1] ، وكأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغير هؤلاء ممن يهتدى به ويعدل في الأمة ، وقد صح أن النبي ﷺ قال : «لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة وهم ظاهرون»[2] وليس هذا في غير أمة محمد ﷺ ، وهذه النعمة ببركة قولهم لنبيهم ﷺ : سمعنا وأطعنا ، فإن الله خفف عنهم وغفر لهم ورفع عنهم الأغلال والآصار ؛ وقوم موسى لما قالوا : سمعنا وعصينا ، ثقل عليهم وعاقبهم وجعل الآصار والأغلال عليهم والذل إلى يوم القيامة ، وسلبهم بركة الطاعة فجعلها في غيرهم وسلطهم عليهم كما قال تعالى : ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ...﴾ الآية [النساء:١٦٠] ، وفي الجملة ففي [ق٢٦/ظ]

أراه» ، وقد قال تعالى : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء:من الآية ١] ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أولى ، وكذلك قوله : ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨] ولو كان رآه بعينه لكان ذِكْرُ ذلك أولى ، وفي الصحيحين عن ابن عباس في قوله : ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء:من الآية ٦٠] قال هي رؤيا عين أُريها رسول الله ﷺ ليلة أُسري به وهذه (رؤيا الآيات) لأنه أخبر الناس بما رآه بعينه ليلة المعراج فكان ذلك فتنة لهم حيث صدقه قوم ولم يخبرهم بأنه رأى ربه بعينه وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة ذكر ذلك ولو كان قد وقع ذلك لذكره كما ذكر ما دونه" . مجموع الفتاوى (٥٠٩/٦-٥١٠) .

(١) أخرجه مسلم (١٤٧١/٣) كتاب الإمارة ، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ، ح١٨٤٢ .

(٢) أخرجه أحمد بنحوه في مسنده (١١٦/٢٨) ح١٦٩١١ ، قال الألباني في سنده : "وهذا سند صحيح على شرط مسلم" . السلسلة الصحيحة (٤٧٠/٤) ح١٩٧١ ؛ وقد ورد الحديث بألفاظ أخرى في الصحيحين .

مسائل موسى عليه الصلاة والسلام ربّه تعالى أنّه رأى في التوراة أمّةً صفتها كذا وكذا : ياربّ فاجعلها أمّتي ، فيقول ربّه : تلك أمّة محمّد ﷺ ، فقال : إني أجد في التوراة أمّة صفتهم كذا وكذا فاجلعهم أمتي ، قال[1] له ربّه : تلك أمة محمد ﷺ ، مراراً كثيرة يذكر أمّةً يجدهم في التوراة بصفات من الخير جليلة فيسأل ربّه أن يجعلهم أمّته وكل ذلك يقول له : تلك أمّة محمد ﷺ (فلما رأى الخير كله في أمّة محمّد ، قال : يارب فاجعلني من أمّة محمّد)[2][3] ، والحديث الصحيح الذي رواه جابر أن عمر بن الخطاب ﷺ أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ فغضب وقال : «أمتهوّكون[4] فيها يا ابن الخطّاب ، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبرونكم بحق فتكذبونه أو بباطل فتصدقونه والذي نفسي بيده لو أن موسى عليه السلام كان حيّاً ما وسعه إلا أن يتبعني»[5] ، وعنه أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : «لو بدا لكم موسى فاتبعتموه ثم تركتموني لضلَلتم عن سواء السبيل ، ولو كان موسى حيّاً ثم أدركني في نبوّتي لاتبعني»[6] ، وهذه من خصائص محمد ﷺ فإن الله تعالى يقول:

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران:من الآية ٨١] ، **وهذا الميثاق أخذه الله تعالى على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في محمد ﷺ لئن أدركوه ليؤمننّ به**

---

(١) في ب "فقال" بزيادة الفاء .

(٢) ما بين القوسين ليس في ب .

(٣) أخرجه ابن عساكر بنحوه في تاريخ دمشق (١٢٠/٦١) ، وأخرجه الطبراني في تفسيره (١٣/١٢٣-١٢٤) ؛ قال الدكتور محمد أبو شهبة : "إن آثار الوضع والاختلاق بادية عليه ، والسند مطعون فيه" . الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص٢٦٥ ، الطبعة الرابعة ، مكتبة السنة .

(٤) التهوك : كالتهوُّر ، وهو الوقوع في الأمر بغير رويَّة ، وقيل : هو التحيّر . النهاية (٥/٦٦٠) .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٢٣/٣٤٩) ح١٥١٥٦ ؛ قال الهيثمي : "وفيه مجالد بن سعيد ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما" . مجمع الزوائد (١/١٧٤) .

(٦) أخرجه الذهبي في السير (١٣/٣٢٤) من طريق مجالد عن الشعبي عن جابر ﷺ ، وقال : "هذا حديث غريب ، ومجالد ضعيف الحديث" . سير أعلام النبلاء (١٣/٣٢٥) .

ولينصرنه فكيف بأمته الذين قال فيهم : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ...﴾ (الآية)[1] [الفتح:٢٩] .

فصل

مفاضلة بين ما أوتي رابع أولي العزم من الرسل -عيسى عليه السلام- وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ

وأما عيسى ﷺ فرُوح الله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، أعطاه (الله)[2] تعالى الآيات البينات ، والمعجزات الباهرات ، كلّم الناس في المهد وكهلاً ، وأنطقه الله تعالى بالعبوديّة والنبوّة طفلاً ، وآتاه الإنجيل ، وجعله يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله ، وجعله مباركاً أينما كان ، وله معجزات كثيرة ، ومنقبات منيرة ، منها قوله تعالى في حقّه : ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا [ق٢٧/و] وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران:٤٥] (فقد أعطي محمد ﷺ من الوَجاهة في الدنيا والآخرة)[3] حتى قبل أن يبعث ﷺ كما أشرنا إليه ونبّهنا عليه من أن قريشاً كانت تسمّيه الأمين ، ولمّا اختلفوا في وَضع الحجر الأسود مكانه عند عمارة الكعبة اجتمعوا على أن يضعه أوّل من يخرج عليهم ، فخرج محمد ﷺ فقالوا : هذا الأمين[4] ، فرَضُوا كلّهم به لِما جمع الله تعالى (فيه)[5] من الخصال المحمودة ، والسيرة المرضية ، والنسب الشريف ، والحسب المنيف ، (والبيت)[6] ، والجاه ، والمنصب ، والعشيرة ، فلم يكن بمكة في زمانه أَوْجَه منه في جميع أموره ، فلما بُعث ﷺ بالرسالة فلا يخفى ما ازداد من الوَجاهة ، ولا يخفى ما أعطي من النّباهة ، وأمّا في

---

(١) "الآية" ليس في ب .

(٢) لفظ "الله" ليس في ب .

(٣) ما بين القوسين ليس في ب .

(٤) أخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٢/٥) من طريق علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقال : "مدار حديث علي بن أبي طالب على خالد بن عرعرة ، وهو مجهول" . إتحاف الخيرة (٢/٦) .

(٥) "فيه" ليس في ب .

(٦) "و البيت" ليس في ب .

الآخرة فله الجاه الأعظم والمقام الأكرم في محل الشفاعة حين يُدعا إليها[1] آدمُ فمن دونه من الأنبياء وكُلٌّ يقول : لست[2] لها ، فإذا أفضت إليْه قال : أنا لها ، فيَسأل الله ثم يسأله فيعطيه ما طلب ويُشَفِّعُه في أهل المحشر فيحاسَبون ويَستريحون من شدّة ما كانوا فيه فيُشَفَّعُ فيهم ، ثم إذا صار العصاة من أمّته إلى النار يُشَفَّع فيهم مرّةً بعد مرّة حتى لا يبقى في النار من قال : لا إله إلا الله إلا أُخرج بشفاعته[3] ، وذلك المقام المحمود الذي وُعِدَه ﷺ بقوله تعالى : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:من الآية ٧٩] فيَغبِطُهُ بهذا المقام الأوّلون والآخرون ، فأيّ جاه في الدنيا والآخرة أعظم من هذا الجاه ، وقد قال قوم من أهل العلم في قوله : ﴿يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:من الآية ٧٩] هو أن يُجلسه معه على العرش كما سيأتي[4] ، وأما القرب فأيّ منزلة أقرب من منزلة الحبيب[5] ، وهل نال أحد ما نال محمد ﷺ من التقريب ، أمَا هو الذي خُصّ بدرجة دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى حتى أوحى الله إليه ما أوحى .

وأما قوله في عيسى عليه السلام : ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ [ق٢٧/ظ] ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ

---

(١) في ب "إليه" .

(٢) في ب "ولست" بزيادة الواو ، وهو خطأ .

(٣) أخرج حديث الشفاعة البخاري (٩/١٤٦) ، كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، ح٧٥١٠ ؛ وأخرجه مسلم (١/١٨٢) ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، ح١٩٣ ، من طريق معبد بن هلال العنزي .

(٤) سيأتي التعليق على المسألة في موضعها -إن شاء الله- .

(٥) تقدم التعليق على تفضيل وصف النبي ﷺ بالحبيب على الخليل ، انظر : ص٣٢٠-٣٢١.

﴿ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران:٤٨-٥١] قلنا : هذه معجزات عظيمة ، وآيات كريمة ، ومرتبة جسيمة ، ولنبيّنا محمد ﷺ مثلها وأعظم ، وزاد عليها في الفضل وتمّم ، فإن الله تعالى أنزل على محمّد ﷺ كتاباً مصَدِّقاً لما جاء به موسى ، ومقرِّراً لما أنزل على عيسى ، وشاهداً للنبيّين بالصّدق والنّبوة ، ولولا كتابه لما ظهرت (لنا)[1] لنبوتهم قوّة ، فكتابه فيه ما في كتبهم وزيادة ، ولِصدْقهم فيما ادعوه أكبر شهادة ، ونسَخ الله تعالى به من شرائع مَن قبله ماشاء ، وأحلّ ما شاء ، وحرّم ما شاء ، ورفع (فيه)[2] عن أمّته ما كان من الآصار والأغلال على من قبلهم ، وجَمع فيه نَبأ ما كان وما يكون ، وجعله يُحفظ ويتلى بخلاف غيره من الكتب المنزلة فإنها كانت تكتب في الصحف ولا تحفظ في الصدور ، وتكفّل الله تعالى بحفظ هذا الكتاب بنفسه فقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩] ، فكتاب محمد ﷺ القرآن أعظم معجزاته ، فليس لنبيّ معجزة مثله ، وقد تحدّى الله ﷻ به الإنس والجن على أن يأتوا بمثله[3][4] فلم يقدروا ، وعلى سورة من مثله فلم يستطيعوا[5] ، فهو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، لاتفنى عجائبه ، ولا يَخلقُ على كثرة الرّدّ ، فهو معجزة قائمة إلى يوم القيامة ، كل نبيّ انقضت معجزته بموته ومعجزة محمّد ﷺ قائمة إلى يوم الدين ، شاهدة بمعجزة مَن قبله ، ولولا ذلك لم يمكن أحداً من أهل الأديان إقامة دليل على نبوّةٍ ولا معجزة لتبديل الكتب وانقطاع السَّند الصحيح لمن قبل هذه الأمّة ، فرسالة محمّد ﷺ كما ذكرها الله تعالى رحمة للعالمين ؛ وأما الحكمة فكان [ق٢٨/و] كلام محمّد ﷺ كلّه حِكَم حتى ما يفاوض به الأطفال

---

(١) "لنا" ليس في ب .

(٢) "فيه" ليس في ب .

(٣) في ب "بمثل هذا القرآن" .

(٤) قال تعالى : ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور:٣٤] .

(٥) قال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة:٢٣] .

كقوله : «يا (أبا)[1] عُمَير ما فَعل النُّغَير[2]»[3] لنُغَرٍ كان يلعب به فمات فرآه حزيناً فقال له ذلك ، فكُتب عنه ودُوّن وصُحّح ، فاعترض بعض الزنادقة والملحدين وقال : وأيّ فائدة في هذا الكلام حتى نقل عن النبي ﷺ ؟! فانتدب له بعضُ من نوّر الله قلبه بالإيمان وملأه من الحكمة فاستخرج[4] من هذا الحديث ما يزيد على مائة حُكم من أحكام الشريعة المحمّديّة[5] ، و [قد][6] قال الله تعالى لأزواج محمد ﷺ :

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب:من الآية ٣٤] **فالآيات : القرآن ، والحكمة : كلام الرسول ﷺ ، وهذا باب واسع تكلّ الألسنة**

---

(١) "أبا" ليس في ب .

(٢) النغير : تصغير النُّغَر وهو طائر يُشبه العصفور ، أحمر المنقار . النهاية (٥/١٩٠) .

(٣) أخرجه البخاري (٨/٣٠) ، كتاب الأدب ، باب الانبساط إلى الناس ، ح٦١٢٩ .

(٤) في ب "فاستخرجه" .

(٥) قال الحافظ في فتح الباري (١٠/٥٨٤) : "وفي هذا الحديث عدة فوائد جمعها أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الطبري المعروف بابن القاص الفقيه الشافعي صاحب التصانيف في جزء مفرد بعد أن أخرجه من وجهين عن شعبة عن أبي التياح ومن وجهين عن حميد عن أنس ومن طريق محمد بن سيرين ، وقد جمعت في هذا الموضع طرقه وتتبعت ما في رواية كل منهم من فائدة زائدة ، وذكر بن القاص في أول كتابه أن بعض الناس عاب على أهل الحديث أنهم يروون أشياء لا فائدة فيها ومَثَّل ذلك بحديث أبي عمير هذا ، قال : وما درى أن في هذا الحديث من وجوه الفقه وفنون الأدب والفائدة ستين وجهًا ثم ساقها مبسوطة فلخصتها مستوفيا مقاصدة ثم أتبعته بما تيسر من الزوائد عليه" ، و جزء ابن القاص مطبوع ، قال في مقدمته : "وأما قصة أبي عمير ، فأنا ذاكرها برواياتها ، وملطف القول في تخريج ما فيها من وجوه الفقه والسنة وفنون الفائدة والحكمة ، ليعلم الزاري على أهل الحديث به أنهم بالمدح به أولى ، وأن السكوت كان به أحرى ، وذلك أن فيه ستين وجهاً من الفقه ، وسنأتي إن شاء الله وبعون الله وتوفيقه على بيان ذلك وتفصيله" . جزء فيه فوائد حديث أبي عمير ، تحقيق : صابر البطاوي ، الطبعة الأولى ١٤١٣ ، مكتبة السنة ، القاهرة .

وقد ذكر بعضهم من فوائد هذا الحديث أكثر من هذا ، ففي نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٦/٢١٥) ، لأحمد بن محمد المقري التلمساني ، تحقيق : د. إحسان عباس ، ١٣٨٨ ، دار صادر ، بيروت : أن الفقيه ابن الصباغ – وهو من العلماء الذين غرقوا في نكبة السلطان أبي الحسن المريني- أملى في مجلس درسه بمكناسة على حديث «يا أبا عمير ما فعل النغير» أربعمائة فائدة .

وقال ابن غازي المكناسي في حواشيه على الصحيح أنه أوصلها إلى أكثر من مائتين . انظر : التراتيب الإدارية (٢/١٥٠) ، لعبد الحي الكتاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٦) "قد" زيادة من ب .

والخواطر عن إدراك ما اشتمل عليه كلامه من الحكم ، فكان ما أوتي (عيسى)(1) عليه السلام بل وغيره من النبيين عليهم السلام من الحِكَم داخل فيما أوتي نبينا ﷺ من الحكم ، وكان أمره بالتبليغ للأمّة بالحكمة والموعظة الحسنة ، هذا مع ما أوتي [رسول الله](2) ﷺ من الفصاحة ، والبلاغة ، وجوامع الكلم ، وفواتحه ، وخواتمه ، وما اختُصر له من الحكمة ، وما أوتي عيسى من تعليمه التوراة ، والإنجيل ، وإرساله إلى بني إسرائيل ، فإن نبيّنا ﷺ أوتي القرآن المجيد الذي استوعب مافي الكتب كلّها وزاد عليها كما تقدّم ، وأرسل إلى الخلق(3) كافة ، وكان الأنبياء قبله يبعث النبي إلى قومه خاصّةً ، وقال الله تعالى لمحمّد ﷺ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:من الآية ٢٨] .

وأما خَلق عيسى عليه السلام للطير بإذن الله ونفخه(4) فيه فيصير طيراً يطير ، فليس ذلك بأعظم من حنين الجذع وهو خشبة يابسة(5) ، وتسليم الأحجار والأشجار عليه وهي من الجمادات(6) ، وقلب الأعيان وصَيُّورُهَا إلى حالة أخرى ، كما ذكر أبو نعيم في كتابه(7) دلائل النبوة : أن عكاشة بن محصن انقطع سيفه يوم بدر فدفع إليه رسول الله ﷺ جذلاً من حطبٍ وقال : «قاتلْ بهذا» فعاد في يده سيفاً شديد المتن ، أبيض الحديدة ، طويل القامة ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين [ق٢٨/ظ] ثم لم يزل يشهد به المشاهد إلى أيّام الردّة(8) . وأمّا ما كان عيسى عليه السلام يخلق من الطين كهيئة الطير فإنه كان يطير حتى يغيب عن العيون ويعود إلى ما كان أوّلاً في ساعته ، والجذع الذي حَنّ إلى محمّد

---

(١) "عيسى" ليس في ب .

(٢) "رسول الله" زيادة من ب .

(٣) في ب "الحق" ، وهو خطأ .

(٤) في ب "ونفخ" بدون الهاء .

(٥) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٧٢ .

(٦) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٧٤ .

(٧) في ب "كتاب" بدون الهاء .

(٨) دلائل النبوة (١٨٤/٢) ، ذكره أبو نعيم بلا سند .

ﷺ حتى جاء فاحتضنه فسكن قال : «لو لم أحتضنه لَحَنّ إلى يوم القيامة»[1] فهذا أبلغ وأعظم في إحياء الميت ، وكذلك التّسبيح والتقديس والتهليل من الحجر الأصمّ في يده[2] ، وشهادة[3] الأحجار والأشجار له بالنبوّة كلّما مرّ بها وتسليمها عليه بالرسالة[4] ، وطاعة الأشجار له في المجيء إليه لما دعاها ورجوعها إلى محلها حين أمرها بالرجوع[5] ، ونزول العذق من النخلة عن أمره وصعوده إلى محلّه كما كان بقوله[6] أبلغ من إحياء ميتٍ قد كان عهد منه حياة ، وأيضاً فإن الصُوَر أدخل في باب الحياة وما يترتب عليها من الحركة والكلام وغير ذلك من الأشجار والجمادات ، ولهذا نهى عن التصوير لما فيه الروح خوفاً من الفتنة به كما عُبدت الصُّور التي صَورها قوم نوح ومن بعدهم لدخول الشياطين فيها ، وعيسى عليه السلام إنما أذن له في ذلك لإظهار معجزته التي يدعو إلى الله تعالى وإلى توحيده وعبادته بها ، فجريان الأرواح في الصُّوَر أمر معهود ، فأمّا في الأحجار والأشجار فلا ، وأما إحياء عيسى عليه السلام الموتى بإذن الله فإنه كان يمر بالميت أو بالقبر[7] فيصلي ويسأل الله أن [يحييه][8] فيحييه ويكلّمه ما أراد ثم يعود ميتاً كما كان[9] ، ففضيلة محمد ﷺ في هذا الباب أعظم ، فإن قتادة بن النعمان لما أصيبت [عينه يوم أحد فجاء وهي في يده][10] إلى رسول الله ﷺ [فقال : يارسول الله إني رجل

---

(١) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٧٢ .

(٢) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٩٣ .

(٣) في ب "شهادة" بدون الواو .

(٤) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٧٤ .

(٥) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٧٣-٣٧٤ .

(٦) تقدم تخريجه ، انظر : ٣٧٣ .

(٧) في ب "القبر" بدون الباء .

(٨) مابين المعقوفتين خرم في الأصل ، وما ذكرته من ب .

(٩) قال ابن الجوزي : "ذكر المفسرون أنه أحيا أربعة أنفس من الموت ، وعن ابن عباس : أن الاربعة كلهم بقي حتى ولد له إلا سام بن نوح" . زاد المسير في علم التفسير (٣٩٢/١) ، لان الجوزي ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ ، المكتب الإسلامية ، بيروت ؛ وانظر : تفسير البغوي (٤٠/٢) ، تفسير القرطبي (٩٤/٤) .

(١٠) مابين المعقوفتين خرم في الأصل ، وما ذكرته من ب .

مبتلى بحب النساء و][1] أخاف [أن يقلن بأعور فلا يردنني فادع الله تعالى لي أن يردها علي ، فقال : «إن شئت صبرت واحتسبت فلك الجنة ، وإن دعوت الله تعالى فكانت كما كانت» فقال][2] : بل ادعُ لي بالجنّة وأن يردّها عليّ ، فأخذها النبي ﷺ فردّها إلى مكانها فعادت أحسن عينيه وأحدّهما -: يعني نظراً-[3][4] ؛ فإنّ إحياء العضو الواحد الذي بان عن الجسد وانفصل عنه زماناً وأُيس من عوده غير معهود ولا جرت عادة بذلك ، بخلاف ما (إذا)[5] أصيب العضو وهو قائم بالجسد فإن تلافيَه بالمداواة معتاد معهود ، والصرع الذي يعم البدن فيبقى صاحبه ميتاً أو كالميت يمكن تلافيه بالأدوية والرُّقا[6] ونحو ذلك ، ولا يمكن إلصاق اليد إذا بانت وبردت ولا إلصاق الرِجل ولا الرأس ولا نحو ذلك من سائر الأطراف ، فكان إعادة مالم تجر العادة بإعادة مثله أبلغ في المعجز ؛ وكان نظير تكليم عيسى عليه الصلاة والسلام للموتى وأبلغ منه ذِراع الشاة التي أخبَرت النبي ﷺ بأنّها مسمومة وكانت مشويّةً قد قُدمت ليأكلها ، فكلمته وقالت : إنّي مسمومة فلا تأكلني[7] ، ولم تجر العادة من عضو حيوان[1] بهيم أن يتكلم ، بل ولا

---

(١) مابين المعقوفتين خرم في الأصل ، وما ذكرته من ب .

(٢) مابين المعقوفتين خرم في الأصل ، وما ذكرته من ب .

(٣) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (١/٤٦٣) ، وذكره المقريزي في إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع (٢٢/٣٣٥) ، تحقيق : محمد عبدالحميد النميسي ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٤) في هامش أ "ولما دخل عاصم بن عمر بن قتادة على عمر بن عبدالعزيز سأل عمر عنه فقال عاصم :

أنا ابن الذي سالت على الخدّ عينه   فرُدّت بكفّ المصطفى أحسن الردِّ

فعادت كما كانت لأوّل أمرها   فيا حُسْن ما عينٍ ويا حسن ما خدِّ

فقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى :

تلك المكارم لا قعبان من لبن   شيباً بماء فعادا بَعْدُ أبوالا" .

(٥) "إذا" ليس في ب .

(٦) في ب "الرقاء" .

(٧) أخرجه البزار في مسنده (٢/٣٠٣) ح ٦٦٧٥ ، من طريق أنس ﷺ ، بلفظ : "وأهدت امرأة يهودية إلى رسول الله ﷺ شاة سميطًا فلما مد يده ليأكل قال رسول الله ﷺ : «إن عضوًا من أعضائها يخبرني أنها مسمومة» فامتنع رسول الله ﷺ وامتنع من معه ..." الحديث ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٩٥) : "رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح غير مبارك بن فضالة وهو ثقة وهو ضعيف" ؛ وقد ورد حديث إخبار الشاة للنبي ﷺ بألفاظ أخرى

يتكلم حيوانُه وهو حيّ ، فكان تكليم عضو واحد منه بعد ذبحه وشيّه أبلغ من تكليم ميت قد وردت السُنّة الثّابتة بوقوعه[2] ، وذلك «أن الميت [إذا][3] وضع في قبره جاءه ملكان فيُقعدانِه ويسألانه : من ربك ، ومن نبيك ، وما دينك ، [فأما المؤمن فيقول : ربي][4] الله ونبيّي محمد وديني الإسلام ، وأما الكافر أو[5] المنافق [فيقول : هاه هاه لا أدري ، سمعت الناس يقولون][6] شيئاً فقلته ...»[7] الحديث بطوله وهو صحيح [مشهور ، ونحو ذلك ما روى أبو نعيم عن حبيب بن فويك[8] عن أبيه أنه][9] خرج به إلى [النبي ﷺ وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئاً فسأله : «ما أصابك» ، قال : كنت أمرن جملي فوضعت رجلي على بيض حية فأصابت بصري ، فنفث النبي ﷺ على عينيه فأبصر قال :

صحيحة ، ومن ذلك ما أخرجه أبو داود في سننه (١٧٤/٤) ، كتاب الديات ، باب فيمن سقى رجلاً سماً أو أطعمه فمات أيقاد منه ، ح٤٥١٢ ، من طريق محمد بن عمر عن أبي سلمة ، بلفظ : "كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ولا يأكل الصدقات ، فأهدت له يهودية بخيبر شاة مصليَّة سمَّتها فأكل رسول الله ﷺ منها وأكل القوم فقال : «ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة ...» الحديث ، قال الألباني : "حسن صحيح" . صحيح وضعيف سنن أبي ادود (١٢/١٠) .

(١) في ب "وحيوان" بزيادة واو .

(٢) في ب "بجوازه" .

(٣) مابين المعقوفتين خرم في الأصل ، وما ذكرته من ب .

(٤) مابين المعقوفتين خرم في الأصل ، وما ذكرته من ب .

(٥) في ب "و المنافق" .

(٦) مابين المعقوفتين خرم في الأصل ، وما ذكرته من ب .

(٧) أخرجه البخاري (٩٠/٢) ، كتاب الجنائز ، باب الميت يسمع خفق النعال ، ح١٣٣٨ ، بلفظ : «العبد إذا وضع في قبره ، وتُولِّي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان ، فأقعده ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال : انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة ، -قال النبي ﷺ :- فيراهما جميعاً ، وأما الكافر أو المنافق : فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس ...» الحديث .

(٨) هو حبيب بن فويك ، ويقال: بدل الواو: دال : فديك -وهو المذكور في الدلائل لأبي نعيم- ، ويقال: فريك بالراء ، ابن عمرو السلاماني، أبو فديك ، وهو من بني سلامان بن سعد ، وقد قدم في وفد بني سلامان على النبي ﷺ في شوال سنة عشر من الهجرة . الإصابة في تمييز الصحابة (٢٢/٢ ، ٢٣) .

(٩) مابين المعقوفتين خرم في الأصل ، وما ذكرته من ب .

فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وأنه ابن ثمانين سنة وأن عينيه لمبيضتان][1][2] وهذا إحياء لبعض عضو ميتٍ من جسَدٍ كلّه حَيّ ، وهو غاية في عظم المعجز ؛ فأما إحياء ميتٍ بجملته فقد روى أبو نعيم في كتابه "دلائل النبوة" بإسناده في إحياء شاة جابر ﷺ ، فإنه ذبح شاة له ودعا النَّبيَّ ﷺ والأنصارَ وقدم الطعام ، فكان يدخل قوم ويخرج قوم ويأكلون والطعام على هيئته ، وكان قال لهم :«كلوا ولاتكسروا عظماً» ، ثم إنّ[3] رسول الله ﷺ جمع العِظام في وسط الجفنة فوضع عليها يده وتكلم بكلام لم أفهمه إلا أنّي أرى شفتيه تتحرّك ، فإذا الشاة قد قامت تنفُضُ ذَنَبها ، فقال لي : «خذ شاتك يا جابر بارك الله لك فيها» ، فأخذتها ومضيت ، وإنها لتنازعني أذنها حتى أتيت بها البيتَ ، فقالت لي المرأة : ما هذا يا جابر ؟ قلت : هذه واللهِ شاتُنا التي ذبحناها لرسول ﷺ (فأحْياها لنا ، قالت : أنا)[4] أشهد أنه رسول الله ﷺ ، أشهد أنه رسول الله ﷺ ، (أشهد أنه رسول الله ﷺ)[5][6] .

وروى فيه أيضاً عن أنس بن مالك ﷺ قال : "دخلنا على رجل من الأنصار وهو مريض ، فلم نبرح حتى قضى فبسطنا عليه ثوباً وأمّ له عجوز كبيرة عند رأسه فقلنا : يا هذه احتسبي مصيبتك على الله ﷻ ، قالت : ومات ابني ، قلنا : نعم ، قالت : حقّاً تقولون ، قلنا : نعم ، قال : فمدّت يديها فقالت : اللهم إنك تعلم أنّي أسلمت لك ، وهاجرت إلى رسولك ، رجاء أن تغيثني عند كلّ شدّة ورخاءٍ ، فلا تحمل عليّ هذه المصيبة اليوم ، فكشف الثوب عن وجهه ، ثم ما برحنا حتّى طعمنا معه"[7] .

---

(١) مابين المعقوفتين خرم في الأصل ، وما ذكرته من ب .

(٢) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (٢/٦١٤) ح٥٥٦ ، وقال البوصيري : "هذا إسناد ضعيف ، لجهالة بعض رواته" . إتحاف الخيرة المهرة (٧/١٠٥) ح٦٤٧٢ .

(٣) في ب "فإن" .

(٤) مابين القوسين ليس في ب .

(٥) قول "أشهد أنه رسول الله ﷺ" الثالثة ليس في ب .

(٦) انظر : دلائل النبوة (٢/٦١٦) ح٥٦٠ .

(٧) انظر : دلائل النبوة (٢/٦١٧) ح٥٦١ .

وروى أيضاً عن ربعي بن حراش قال : "مات أخي فسجّيناه ، فذهبت في التماس كفنه ، فرجعت وقد كشف الثوب عن وجهه وهو يقول : ألا إنّي لقيت ربّي بعدكم فتلقاني بروحٍ وريحان وربّ غير غضبان ، وأنه كساني ثياباً خضراً من سندس وإستبرق ، وأنّ الأمر أيسر مما في أنفسكم فلا تغتروا ، وعدني رسول الله ﷺ لا يَذهب حتى أُدركه ، قال[1] : فما شبّهت خروج نفسه إلا بحصاةٍ أُلقِيَتْ في ماءٍ فرسَبت ، فذُكر ذلك لعائشة رضي الله عنها فصَدّقت بذلك وقالت : قد كنّا نتحدّث أنّ [ق٣٠/و] رجلاً من هذه الأُمّة يتكلّم بعد موته قال : وكان أقْوَمَنا في الليلة الباردة وأصْوَمَنا في اليوم الحارّ"[2] فهذه الثلاثة[3] أحاديث رواها بمعناها الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتابه دلائل النبوة في إحياء الموتى بدعائه وفي دعاء بعض أصحابه بإحيائها وفي حياة بعض أمّته الصالحين بعد موته من غير دعاء أحَدٍ حتى أخبر عن حاله مع ربّه سبحانه ثم مات ؛ وروى أبو نعيم أيضاً بإسناده عن عُتبَة بن ضَمْرة[4] قال سمعت والدي[5] يقول : كان لرجل صِرْمَةٌ من غنم وكان له ابن يأتي النبيَّ ﷺ بقدح من لبن إذا حَلَب ثم إن النبي ﷺ افتقده فجاء أبوه فأخبره أنّ ابنه هلك ، فقال النبي ﷺ : «أتريد أن أدعو الله أن يَنشره لك أو تَصبِرَ فيدّخره لك إلى يوم القيامة فيأتيك ابنك فيأخذ بيدك فينطلق بك إلى باب الجنة فيدخلك من أيّ أبواب الجنة شئت» ، فقال الرجل : ومَن لي بذلك يا نبيّ الله قال : «هو لك ولكلّ مؤمن»[6] ؛ فلو لم يكن النبي ﷺ واثقاً من ربّه تعالى بإجابة دعوته في إحياء الموتى لما تهَجّم وضمن ذلك للرجل ولا يليق بعاقل أن يدخل تحت هذا الدّرك العظيم إلا بأوثق ضمان .

---

(١) في ب "فقال" بزيادة الفاء .

(٢) انظر : دلائل النبوة (٥٨٤/٢) ح٥٣٦ ؛ وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣٣٨/٧) ح٢٧٨١ ، وقال : "هذا إسناد صحيح لا يشك حديثي في صحته" .

(٣) في ب "ثلاثة" .

(٤) هو عتبة بن ضمرة بن حبيب بن صهيب الزُبيدي ، من أهل الشام ، يروي عن أبيه ، روى عنه أحمد الموصلي ، صدوق ، من السابعة . الثقات لابن حبان (٥٠٧/٨) ، تقريب التهذيب ص٣٨١ .

(٥) هو ضمرة بن حبيب بن صهيب الزُبيدي ، أبو عتبة الحمصي ، ثقة ، من الرابعة . تقريب التهذيب ص٢٨٠ .

(٦) لم أقف على الحديث في كتب أبي نعيم ، ولعله سقط من نسختي المطبوعة عن كتاب الدلائل ، وقد ذكره السيوطي في الخصائص الكبرى (١٠٧/٢) وعزاه أيضاً لأبي نعيم .

وأما إبراء عيسى عليه السلام الأكمهَ والأبرصَ قيل المراد بالأكمه : الذي خلق لا نظر له[1] ، والأبرص : الذي قد أُيس من بُرئه ، ولا ريب في أن ذلك معجز عظيم وخطْب جسيم وليس ذلك بأعجب من إحياء الموتى وهو شئ قد أُعْطِيَهُ عيسى عليه الصلاة والسلام إكراماً له وإظهاراً لمعجزته وزيادة في إقامة برهانه ولكن لنبيّنا ﷺ أعظم منه من إحياء الموتى كما ذكرنا وكما سيأتي ، ومن إبراء الأدواء التي لا يمكن تلافيها بالأدوية المقدورة للبشر مما هو مُدَوَّن في كتب الحديث والسِّيَر وغيرها ، فمن ذلك مسحه وتفلُه ولمسه على أدواء تبرأ في الحال كائنةً ما كانت ، فإنه تَفَل في عين علي رضي الله عنه وهو أرمد فبرأ في الحال وما اشتكاهما بعد ذلك[2] ، ولقد كان ﷺ يُؤتى بالمَرْضى والمُصابين فيَدعو [الله][3] لهم ويمسحهم فيردّون أصحّاء ، وأتي بصبيّ يأخذه الشيطان فقال : «اخسأ[4] عدوّ الله أنا رسول الله» فثَعَّ ثَعَّةً[5] فخرج منه [ق٣٠/ظ] كالجرو الأسود[6] ؛ وعاد مريضاً كان قد صار مثل الفرخ المنتوف فدعا له فكأنّما نُشِط من عقال[7] ؛ وله ﷺ في

---

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٣٩٢/١) : "في الأكمه أربعة أقوال : أحدها : أنه الذي يولد أعمى رواه الضحاك عن ابن عباس ، وسعيد عن قتادة ، وبه قال اليزيدي و ابن قتيبة و الزجاج ؛ والثاني : أنه الأعمى ذكره ابن جريج عن ابن عباس ، ومعمر عن قتادة ، وبه قال الحسن والسدي ؛ وحكى الزجاج عن الخليل أن الأكمه : هو الذي يولد أعمى وهو الذي يعمى ، و إن كان بصيراً ؛ والثالث : أنه الأعمش قاله عكرمة ؛ والرابع : أنه الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل قاله مجاهد و الضحاك" .

(٢) أخرجه البخاري (٤٧/٤) ، كتاب الجهاد والسير ، باب دعاء النبي الناس إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ، ح٢٩٤٢ ، من طريق سهل بن سعد رضي الله عنه ؛ وأخرجه مسلم (١٨٧١/٤) ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، باب من فضائل على بن أبي طالب رضي الله عنه ، ح٢٤٠٤ ، من طريق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٣) لفظ "الله" زيادة من ب .

(٤) في أ "اخسَ" .

(٥) الثعُّ : القيء ، والثعة : المرة الواحدة . النهاية (٦٠٩/١) .

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٢٤١/٤) ح٢٤١٨ ، من طريق ابن عباس رضي الله عنه ، بلفظ : "أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ بابن لها ، فقالت : إن ابني هذا به جنون ، يأخذه عند غدائنا وعشائنا ، فيخبث علينا ، فمسح النبي صدره ودعا ، فثع ثعةً فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود" ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥٧/١٢) ح١٢٤٩٠ ؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٩) : "رواه أحمد والطبراني ، وفيه فرقد السبخي ، وثقه ابن معين والعجلي ، وضعفه غيرهما" .

(٧) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٤٨/٦) ح٣٨٣٧ ، من طريق أنس رضي الله عنه ؛ قال البوصيري في إتحاف الخيرة

إبراء الأسقام وإزالة الأمراض والآلام ممن استشفى وشكى إليه وَصَبَهُ وأَلَمَهُ فدعا له فَعُوفي أمورٌ يطول ذِكْرها ويشق حَصْرها ومن ذلك أنّ عائذ بن عمرو[1] قال : أصابتني رَمْية وأنا أقاتل بين يدي رسول الله ﷺ يوم حنين في وجنتي فأسَالت الدم على وجهي ولحيتي وصدري فتناول النبي ﷺ بيده فسَلت الدم عن وجهي وصدري إلى ثُنْدُؤتَيَّ[2] ثم دعا لي ، فلمّا مات وغسلوه نظروا إلى ما كان يصف من أثرِ يَدِ رسول الله ﷺ فإذا في صدره كغُرة الفرس سائلة[3] ؛ وكان بوجه أبيض بن حمّال المأرِبي[4] حَزازة –يعني : القُوباء[5]– قد التمعَتْ أنفَه فدعاه رسولُ الله ﷺ فمسح على وجهه فلم يُمْسِ من ذلك اليوم وفيه أثر[6] ؛ ودخل رافع بن خديج[7] يوماً على النبي ﷺ وعندهم قِدْر تفور لحماً ، قال : فأعجبتني شحمة فأخذتها فازدردتها فاشتكيت عليها سنةً ثم ذكرته لرسول الله ﷺ فقال : «إنه كان فيها نَفْسُ سَبْعَةِ أناسِي» ثم مسح بطني فألقيتها خَضْراء فوالذي بعثه بالحق ما اشتكيت بطني حتى السّاعة[8] ؛ وعبدالله بن عَتيك لما ذهب ليقتل أبا رافع

(٤/٤٢٠-٤٢١) ح٣٨٦٦ : "هذا حديث صحيح" ؛ وأخرجه بنحوه مسلم (٤/٢٠٦٨) ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا ، ح٢٦٨٨ .

(١) هو عائذ بن عمرو بن هلال المزني ، أبو هبيرة البصري ، صحابي شهد الحديبية ، مات في ولاية عبيد الله بن زياد سنة إحدى وستين . تقريب التهذيب ص٢٩٨ .

(٢) الثندؤة : لحم الثدي . تاج العروس (٧/٤٧٠) .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٨/٢٠) ح١٤٧٤١ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٤١٢) : "رواه الطبراني ، وفيه من لم أعرفهم" ، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٣/٦٧٧) ح٦٤٨٦ ، وقال : "وإسناده فيه مجهولان" . انظر : مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبدالله الحاكم (٥/٢٢٩٧) ح٧٩٠ ، لابن الملقن ، تحقيق : سعد آل حميد ، الطبعة الأولى ١٤١١ ، دار العاصمة ، الرياض .

(٤) هو أبيض بن حمال بن مرثد بم ذي لُحيان –بضم اللام– المأربي السبائي ، قال البخاري وابن السكن : له صحبة وأحاديث ، يعد في أهل اليمن . الإصابة (١/١٤) .

(٥) القوباء : داء في الجسد يتقشر منه الجلد ، وينجرد منه الشعر . المعجم الوسيط (٢/٧٦٥) .

(٦) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٢/٦١٥) ح٥٥٨ ؛ وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/٢٧٩) ح٨١٦ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٤١٢) : "رواه الطبراني ورجاله ثقات ، وثقهم ابن حبان" .

(٧) هو رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن زيد الأنصاري الأوسي الحارثي ، مات سنة أربع وسبعين . انظر : أسد الغابة (٢/٢٣٢) .

(٨) أخرجه الطبراني (٤/٢٨٢) ح٤٤٣٠ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٢٠٣) : "رواه الطبراني ، وفيه أبو أمية الأنصاري ولم أعرفه ، وبقية رجاله وثقوا" .

اليهوديَّ وقصته مشهورة في الصحاح وغيرها فوقع فانكسرت رجْله فعصّبها بعمامته و أتى النّبيَّ ﷺ فأخبره فقال : «ابسُط رجلك» فبسطها فمسحها قال فكأنما لم اشتكها قط[1] ؛ وقد أبرأ ﷺ من الجنون كما في حديث المرأة التي رفعت إليه ولدها وذكرت أن الشيطان يُلم به منذ سبع سنين فقال النبي ﷺ : «اخرُجْ عدوّ الله فأنا رسول الله»[2] فخرج ولم يعاوده وقد سبق ذلك[3] ؛ وحديث المرأة التي كانت تصرع وتنكشف فقال لها : «إن شئتِ دعوتُ اللهَ لكِ وإن شئتِ صَبرتِ واحتسبتِ ولكِ الجنّة» فقالت : أصبرُ وأحتسِبُ ولكن ادع الله لي أن [ق٣١/و] لا أنكشف ، فدعا لها ، فلم تنكشف[4] ؛ وأبلغ من ذلك أنّ (في)[5] أمّة محمّد ﷺ من كان به برص فدعا الله تعالى[6] (فبرأ وهو أويس القرني كان به برص فدعا الله)[7] فأذهبه الله عنه إلا موضع درهم ليذكر به نعمة الله تعالى عليه[8] .

---

(١) أخرجه البخاري (٥/٩١) ، كتاب المغازي ، باب قتل أبي رافع عبدالله بن أبي الحقيق ، ح٤٠٣٩ .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/٦٧٤) ح٤٢٣٢ ، وقال : "صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة" ، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٦/١٤٧) ح٢٢٦٩ .

(٣) تقدم تخريج هذا الحديث بألفاظ أخرى ، انظر : ص٤١٥-٤١٦ .

(٤) أخرجه البخاري (٧/١١٦) ، كتاب المرضى ، باب فضل من يصرع من الريح ، ح٥٦٥٢ ، وأخرجه مسلم (٤/١٩٩٤) ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها ، ح٢٥٧٦ ، من طريق عطاء بن أبي رباح ، بلفظ : "قال لي ابن ابن عباس : ألا أُريك امرأة من أهل الجنة ، قلت : بلى ، قال : هذه المرأة السوداء ، أتت النبي ﷺ فقالت : إني أُصرع ، وإني أتكشف ، فادع الله لي ، قال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك ، فقالت : أصبر ، فقالت : إني أتكشف ، فادع الله لي أن لا أتكشف ، فدعا لها" .

(٥) "في" ليس في ب ، وهو خطأ .

(٦) في ب زيادة "به" بعد "فدعا الله تعالى" .

(٧) مابين القوسين ليس في ب .

(٨) أخرجه مسلم (٤/١٩٦٩) ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، باب من فضائل أويس القرني ﷺ ، ح٢٥٤٢ ، من طريق أسير بن جابر ، بلفظ : "كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن ، سألهم : أفيكم أويس بن عامر ، حتى أتى على أويس ، فقال : أنت أويس بن عامر ؟ قال : نعم ، قال : مِن مُراد ثم من قرن ؟ قال : نعم ، قال : فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم ؟ قال : نعم ، قال : لك والدة ؟ قال : نعم ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن ، من مُراد ثم من قرن ، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم ...» الحديث ؛ وأخرجه أبو يعلى في مسنده (١/١٨٧) ح٢١٢ ، من

وأما إخبار عيسى عليه السلام بالغيوب في قوله[1]: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران:٤٩]، **فلمحمّد ﷺ من هذا الجنس عجائب يحار فيها عقول الألبّاء فمن ذلك إخباره ﷺ بموت النجاشي في اليوم الذي مات فيه بالحبشة ومحمد ﷺ بالمدينة[2] ، وإخباره بمن استشهد بمؤتةَ من أرض الشام زيد وجعفر وابن رواحة ﷺ يوم استشهدوا قبل أن يأتي خبرهم[3] وكان السائل يأتيه ليسأله فيقول : «إن شئت أخبرتك عما جئت تسألني وإن شئت تسأل فأُخبرك» فيقول : لا بل أخبرني فيخبره بما كان في نفسه من سؤاله إياه[4] ، وأخبر عُميْرَ بن وهب الجمحي بما تواطأ[5] عليه هو وصفوان بن أمية لما قعدا في الحجر من الفَتْك برسول الله ﷺ بعد مصاب أهل بدر حتى أسلم عمير[6] ، ومنها إخبارُه عمَّه العباسَ بن عبدالمطلب لمّا أُسِر ببدر وأراد[1] أن يفاديه**

طريق صعصعة بن معاوية ، بلفظ : "كان أويس بن عامر رجل من قرن وكان من أهل الكوفة وكان من التابعين فخرج به وضح فدعا الله أن يذهبه عنه فأذهبه فقال : اللهم دع لي في جسدي منه ما أذكر به نعمك علي فترك له منه ما يذكر به نعمه عليه ..." ، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٦/٤) : "هذا حديث غريب تفرد به مبارك بن فضالة عن أبي الأصفر ، وأبو الأصفر ليس بمعروف" .

(١) في ب "بقوله" .

(٢) أخرجه البخاري (٨٩/٢) ، كتاب الجنائز ، باب التكبير على الجنازة أربعاً ، ح١٣٣٣ ، من طريق أبي هريرة ﷺ ، بلفظ : "أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى ، فصف بهم ، وكبر عليه أربع تكبيرات" ؛ قال المباركفوري في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (١١٥/٤) ، دار الكتب العلمية ، بيروت : "وفيه علم من أعلام النبوة لأنه صلى الله عليه و سلم أعلمهم بموته في اليوم الذي مات فيه مع بعد ما بين أرض الحبشة والمدينة" .

(٣) أخرجه البخاري (٢٧/٥) ، كتاب أصحاب النبي ﷺ ، باب مناقب خالد بن الوليد ﷺ ، من طريق أنس ﷺ ، بلفظ : "أن النبي ﷺ ، نعى زيداً ، وجعفراً ، وابن رواحة للناس ، قبل أن يأتيهم خبرهم ، فقال : «أخذ الراية زيد ، فأصيب ، ثم أخذ جعفر فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب ، وعيناه تذرفان ...» الحديث .

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٠٥/٥) ح١٨٨٧ ؛ وذكره المنذري في الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، الطبعة الأولى ١٤١٧ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ؛ قال الألباني : "حسن" . صحيح الترغيب والترهيب (٣٤/٢) ١١٥٥ ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الأولى ١٤٢١ ، مكتبة المعارف ، الرياض .

(٥) في ب "تواطأه" .

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥٨/١٧) ح١٣٨٠٦ ، من طريق محمد بن جعفر بن الزبير ؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨٦/٨) : "رواه الطبراني مرسلاً وإسناده جيد" .

فقال : ليس لي مال ، قال : «فأين المال الذي أودعته لأمّ الفضل لما أردت الخروج وعهدت إليها فيه» فقال العباس : والذي بعثك بالحق ما علم به أحد غيري وغيرها[2] ، ومنها قصّة المرأة التي حملت كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة فبَعث ﷺ علياً والزّبير رضي الله عنهما فأدركاها بروضة خاخ فجحدت أنّ معها كتاباً ، فقال عليّ رضي الله عنه : والله ما كذب رسول الله ﷺ لتخرجِنَّ الكتابَ أو لأجرّدنّك فخافت فأخرجته من عقاصها كما أخبر به النبي ﷺ[3] ، ومنها لما ضلّت راحلته[4] منصرفة من تبوك فقال بعض المنافقين : ألا حدثه الله بمكانها ، فأطلعه الله عليها وعلى مافي نفس المنافق فأسلم وفارق النفاق[5] ، ومنها: إخباره لرسولَي فيروز لما قدما عليه المدينة من اليمن حين كتب إليه كسرى فقال لهما : «إنّ ربي قد قَتل ربّكما البارحة» فكتبا تلك الليلة [ق٣١/ظ] فلما رجعا إلى اليمن أتى فيروزَ الخَبرُ أن شيرويه بن كسرى قتل أباه تلك الليلة[6] ، فهذه أشياء وقعت وهو غائب عنها فأخبر بها كما وقعت وهذا باب واسع نبّهنا به على ما وراءه إذ حصر ما ورد في ذلك عزيز أو متعذّر ؛ وأما الأشياء التي أخبر بها مما لم يكن أنه سيكون فهذا أيضاً باب واسع وطريق شاسع وفيه من العجائب ما يَدْهَشُ العقولَ فمن

---

(١) في ب "وأفاد" .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥/٣٣٥) ح٣٣١٠ ، بلفظ : «فأين المال الذي وضعته بمكة ، حيث خرجت عند أم الفضل ، وليس معكما أحد غيركما ، فقلت إن أصبت في سفري هذا فللفضل كذا ولقثم كذا ولعبد الله كذا ؟» قال : فوالذي بعثك بالحق ، ما علم بهذا أحد من الناس غيري وغيرها ، وإني لأعلم أنك رسول الله" ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٨٦) : "رواه أحمد ، وفيه راوٍ لم يُسم ، وبقية رجاله ثقات" .

(٣) أخرجه البخاري (٨/٥٧) ، كتاب الاستئذان ، باب من نظر في كتاب من يحذر على المسلمين ليستبين أمره ، ح٦٢٥٩ ؛ وأخرجه بنحوه مسلم (٤/١٩٤١) ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة ، ح٢٤٩٤ .

(٤) في ب "راحاته" .

(٥) أخرجه البيهقي (٤/١١٨) ح١٤٠٨ ، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل (٢/٥١٥) ح٤٤٣ ، من طريق عروة بن الزبير.

(٦) أخرجه أبو نعيم بنحوه في الدلائل (١/٣٤٦) ح٢٤٠ ، من طريق دحية الكلبي ؛ قال الألباني : "صحيح" . صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/٢١٠) ح٨٦١ ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، تحقيق : زهير الشاويش ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨ ، المكتب الإسلامي، بيروت .

ذلك ما أخبره[1] الله تعالى به في القرآن كقوله : ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [آل عمران:من الآية ١٢] **فكان الغلب كما ذكر[2] وتقريراً للعذاب[3] إذا حشروا ، فإنهم قاتلوا وغُلِبوا وسيحشرون إلى النار كما وُعِدُوا ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ[4]﴾** [الأنفال:من الآية ٧] **فهزم الله المشركين[5] ، ومن ذلك قوله : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾** [الحج:من الآية ٤٠] **فنَصَر الله حزبه على حزب الشيطان وأظهر دينه على الأديان ، ومن ذلك قوله**

---

(١) في ب "أحيره" ، وهو خطأ .

(٢) قال الشيخ السعدي : " قد وقع كما أخبر الله ، فغلبوا غلبة لم يكن لها مثيل ولا نظير ،وجعل الله تعالى ما وقع في "بدر" من آياته الدالة على صدق رسوله ، وأنه على الحق ، وأعداءه على الباطل ، حيث التقت فئتان ، فئة المؤمنين لا يبلغون إلا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً مع قلة عددهم ، وفئة الكافرين ، يناهزون الألف ، مع استعدادهم التام في السلاح وغيره ، فأيد الله المؤمنين بنصره ، فهزموهم بإذن الله ، ففي هذا عبرة لأهل البصائر" . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٩٦٣ ، لعبدالرحمن السعدي ، تحقيق : عبدالرحمن اللويحق ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ ، مؤسسة الرسالة .

(٣) في ب "وتقرير العذاب" .

(٤) في ب زيادة ﴿وَتَوَدُّونَ﴾ ، وهي زيادة على الشاهد غير مرادة .

(٥) قال الثعلبي في تفسيره (٣٣١/٤) : " قال ابن عباس وابن الزبير وابن يسار والسدي : أغار كرز بن جابر القرشي على سرح المدينة حتّى بلغ الصفراء فبلغ النبي ﷺ فركب في أثره فسبقه كرز فرجع النبي ﷺ فأقام سنة وكان أبو سفيان أقبل من الشام في عير لقريش فيها عمرو بن العاص وعمرو بن هشام ومخرمة بن نوفل الزهري في أربعين راكباً من كبار قريش وفيها تجارة عظيمة وهي اللطيمة حتى إذا كان قريباً من بدر بلغ النبيّ ﷺ فندب أصحابه إليهم وأخبرهم بكثرة المال وقلّة الجنود فقال : «هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعلّ الله عزّ وجلّ ينفلكموها» فخرجوا لا يُريدون إلاّ أبا سفيان والركب لا يرونها إلا غنيمة لهم وخف بعضهم وثقل بعض ، وذلك أنهم كانوا لم يظنّوا أنّ رسول الله ﷺ يُلقي حرباً فلما سمع أبو سفيان بمسير النبي ﷺ استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري وبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لعيرهم وأصحابه . فخرج ضمضم سريعاً إلى مكّة وخرج الشيطان معه في صورة سراقة بن خعشم فأتى مكّة فقال : إنّ محمداً وأصحابه قد عرضوا لعيركم فلا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ، فغضب أهل مكّة وانتدبوا وتنادوا لا يتخلف عنا أحد إلاّ هدمنا داره واستبحناه ، وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه حتّى بلغ وادياً يقال له : وفران ، فأتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عيرهم ، فخرج رسول الله ﷺ حتّى إذا كانوا بالروحاء أخذ عيناً للقوم فأخبره بهم وبعث رسول الله ﷺ أيضاً عيناً له من جهينة حليفاً للأنصار يدعى ابن الاريقط فأتاه بخبر القوم ، وسبقت العير رسول الله ﷺ فنزل جبرئيل فقال : إن الله وعدكم إحدى الطائفتين إمّا العير وإمّا قريش ..." .

تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور:من الآية ٥٥] **فكان الاستخلاف والتمكين في الأرض و الأمن كما وعد ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾** [الروم:١-٤] **فراهَن أبو بكر الصديق ﷺ على وقوعه ووقع كما وعد**[1] **، ومن ذلك قوله [سبحانه]**[2] **تعالى : ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ [مُحَلِّقِينَ]**[3]**﴾** [الفتح:من الآية ٢٧] **فدخلوه**[4] **كذلك ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾** [الفتح:من الآية ٢١] **يعني العجم وفارس فملكها المسلمون كما أخبر ، ومن ذلك إخباره ﷺ بغزو فارس والروم والعجم وبني حَنيفة وأصحاب مسيلمة فقاتلهم أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما ، ومن ذلك أنه وعَد المسلمين بأخْذِ أبيضِ كسْرى فأخذوه كما قدّمنا ذكره ، ومن ذلك أنه وعَد أن تَخرُجَ الظّعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت بغير جوار أحَدٍ فوقع ذلك**[5] **، ومن ذلك قوله سبحانه : ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً**[6]**﴾** [الممتحنة:من

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٩١/٤) ح٢٢٧٠ ، من طريق ابن عباس رضي الله عنهما ؛ قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "إسناده صحيح على شرط الشيخين" .

(٢) "سبحانه" زيادة من ب .

(٣) ﴿مُحَلِّقِينَ﴾ زيادة من ب .

(٤) في ب "فدخلوا" بدون الضمير .

(٥) أخرجه البخاري (١٩٧/٤) ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ح٣٥٩٥ ، من طريق عدي بن حاتم ﷺ ، بلفظ : " بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا قطع السبيل ، فقال : «يا عدي ، هل رأيت الحيرة» . قلت : لم أرها ، وقد أنبئت عليها ، قال : «فإن طالت بك الحياة ، لترين الظعينة ترتحل من الحيرة ، حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدًا إلا الله – قُلت فيما بيني وبين نفسي : فأين دعار طيء الذين قد سعروا في البلاد – ... قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ..." .

(٦) في ب زيادة "ورحمة" بعد "مودة" ، وهو خطأ .

الآية ٧] **فكان من ذلك أن تزوّج النبي ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان واستكتب أخاها معاوية وأسلم أبوه وصارت مودّة ومصاهرة ، ومن [ق٣٢/و] ذلك إخباره بالفتن الكائنة بعده وردّةِ جماعة ممن شاهده وما يجري على عمر[1] وعثمان[2] وعلي[3] والحسين[4]**

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه (٥/٩) ، في كتاب أصحاب النبي ﷺ ، باب قول النبي ﷺ «لو كنت متخذاً خليلاً» ، ح٣٦٧٥ ، من طريق أنس بن مالك ﷺ ، : أن النبي ﷺ صعد أحداً ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، فرجف بهم ، فقال : «اثبت أحد فإنما عليك نبي ، وصديق ، وشهيدان» ، وأخرج أحمد في مسنده (٩/٤٤١) ح٥٦٢٠ ، من طريق ابن عمر ﷺ قال : "رأى النبي ﷺ على عمر ثوباً أبيض ، فقال : «أجديد ثوبك أم غسيل ؟» فقال : فلا أدري ما رد عليه ، فقال النبي ﷺ : «البس جديداً ، وعش حميداً ومت شهيداً» ، قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "رجاله ثقات رجال الشيخين ، لكن أعله الأئمة الحفاظ" ، وأخرجه ابن ماجه (٢/١١٧٨) ، بنحوه في كتاب اللباس ، باب ما يقول الرجل إذا لبس جديداً ، ح٣٥٥٨ ، قال الألباني : "صحيح" . السلسلة الصحيحة (١/٦٨٧) ح٣٥٢ .

(٢) أخرج الإمام أحمد في مسنده (٤١/١٣) ح٢٤٤٦٦ ، من طريق عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله ﷻ مقمصك قميصاً ، فإن أرادك المنافقون على أن تخلعه ، فلا تخلعه لهم ولا كرامة –يقولها مرتين أو ثلاثاً–» ، وأخرجه ابن ماجه في سننه (١/٤١) ، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ، في فضل عثمان ﷺ ، ح١١٢ ، بلفظ : "قال رسول الله ﷺ يا عثمان ، إن ولاك الله هذا الأمر يوماً ، فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمصك الله ، فلا تخلعه –يقول ذلك ثلاث مرات– ..." ، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٣/١٠٦) ، كتاب معرفة الصحابة ﷺ ، في فضائل أمير المؤمنين ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، ح٤٥٤٤ ، بلفظ : " قال رسول الله ﷺ لعثمان : «إن الله مقمصك قميصاً ، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه» ، قال الألباني : "صحيح" . صحيح وضعيف الجامع الصغير (٢٨/٤٠٧) ح١٣٩٠٧ .

(٣) أخرج البزار في مسنده (٤/٢٥٤) ح١٤٢٤ ، من حديث عمار ﷺ ، : "أن النبي قال لعلي أن أشقى الأولين عاقر الناقة وأن أشقى الآخرين لمن يضربك ضربة على هذه وأومأ إلى رأسه يخضب هذه وأومأ إلى لحيته" ، قال الألباني : "الحديث صحيح ، فقد جاءت له شواهد كثيرة عن جمع من الصحابة منهم علي نفسه وعمار بن ياسر و صهيب الرومي" . السلسلة الصحيحة (٣/١٦٢) ح١٠٨٨ .

(٤) أخرج أحمد في مسنده (٢/٧٨) ح٦٤٩ ، عن علي ﷺ ، من طريق عبدالله بن نجي عن أبيه : " أنه سار مع علي و كان صاحب مطهرته ، فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين ، فنادى علي : أصبر أبا عبد الله : أصبر أبا عبد الله بشط الفرات ، قلت : وماذا ؟ قال : " دخلت على النبي ﷺ ذات يوم و عيناه تفيضان ، قلت : يا نبي الله أغضبك أحد ؟ ما شأن عينيك تفيضان ؟ قال : «بل قام قام من عندي جبريل قبل ، فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات» ..." ، قال الألباني : " هذا إسناد ضعيف ، نجي والد عبد الله لا يدرى من هو كما قال الذهبي و لم يوثقه غير ابن حبان وابنه أشهر منه ، فمن صحح هذا الإسناد فقد وهم . والحديث قال الهيثمي : رواه أحمد و أبو يعلى والبزار والطبراني و رجاله ثقات ولم ينفرد نجي بهذا . قلت : يعني أن له شواهد تقويه وهو كذلك" . السلسلة الصحيحة (٢/٢٤٥) ح١١٧١ ؛ وأخرج أحمد في مسنده (٢١/٣٠٨) ح١٣٧٩٣ ، وأبو نعيم في

وعمار بن ياسر(1) وما يُصلح الله بالحسن بين الأمّة(2) وافتتاح البلدان و الأمصار الممصرة(3)(4) كالكوفة والبصرة وبغداد على أمّته إلى غير ذلك مما يطول ذكره ويَعَزّ(5) حصرُه وأمّا ما أكنّته الصدور وأضمرته القلوب فأطلع الله تعالى عليه محمداً ﷺ وجعله من معجزاته الباهرة وشواهد رسالته الظاهرة فكثير واستيعابه خطب خطير [و](6)من ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة:من الآية ١٣] وقوله تعـــــالى : ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟

الدلائل (٢/٥٥٣) ح٤٩٢ ، والبيهقي في الدلائل (٧/٣٩٦) ح٢٨٠٦ ، من طريق أنس ﷺ ، بلفظ : "استأذن ملك المطر أن يأتي النبي ﷺ ، فأُذن له ، فقال لأم سلمة ، «احفظي علينا الباب لا يدخل أحد» ، فجاء الحسين بن علي ﷺ ، فوثب حتى دخل ، فجعل يصعد على منكب النبي ﷺ ، فقال له الملك : أتحبه ؟ قال النبي ﷺ : «نعم» ، قال : فإن أمتك تقتله ، وإن شئت أريتك المكان الذي يُقتل فيه ، قال : فضرب بيده فأراه تراباً أحمر ، فأخذت أم سلمة ذلك التراب فصرته في طرف ثوبها ، قال : فكنا نسمع يُقتل بكربلاء" ، قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "إسناده ضعيف" . انظر : هامش مسند الإمام أحمد (٢١/٣٠٨) .

(١) أخرجه البخاري (٤/٢١) ، كتاب الجهاد والسير ، باب مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله ، ح٢٨١٢ ، من طريق أبي سعيد الخدري ﷺ ، بلفظ : "كنا ننقل لبن المسجد لبنة لبنة ، وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين ، فمر به النبي ﷺ ، ومسح عن رأسه الغبار ، وقال : «ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، عمار يدعوهم إلى الله ، ويدعونه إلى النار» ، وأخرجه مسلم (٤/٢٢٣٦) ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ، ح٢٩١٦ ، من طريق أم سلمة رضي الله عنها ، بلفظ : "قال رسول الله ﷺ : «تقتل عماراً الفئة الباغية» .

(٢) أخرج البخاري (٤/٢٠٤) ، في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، من طريق أبي بكرة ﷺ ، بلفظ : "أخرج النبي ﷺ ذات يوم الحسن ، فصعد به على المنبر ، فقال : «ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» .

(٣) في ب "المحصرة" .

(٤) أخرج مسلم (٢/١٠٠٨) ، في كتاب الحج ، باب في الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار ، ح١٣٨٨ ، من طريق سفيان بن أبي زهير ، قال : "قال رسول الله ﷺ : «تُفتح الشام ، فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبُسُّون ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، ثم تفتح اليمن فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسون ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، ثم تفتح العراق ، فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسون ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» .

(٥) في نسخة بهامش أ "ويعسر" .

(٦) حرف العطف "و" زيادة من ب .

﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:من الآية ٧٦] **يعني من بعث محمد ﷺ** ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة:من الآية ٧٦] **فأعلمه الله تعالى بذلك فقال :** ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة:٧٧] **ومن ذلك قوله :** ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب:من الآية ١٨] **وذلك أنّ اليهود قالوا للمنافقين سراً يوم الخندق : على ما تقتلون أنفسكم ، هلموا إلينا ، ما ترجون من محمد ، والله ما تجدون عنده خيراً ؛ ومن ذلك قوله تعالى :** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم﴾ [محمد:من الآية ٢٥] **إلى قوله :** ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد:من الآية ٢٦] **وذلك أنهم قالوا : أن قريظة والنضير ستُطيعكم في بعض الأمر فأظهر الله تعالى إسرارهم لرسوله ﷺ ، ونظائر ذلك في القرآن كثيرة نبهنا ببعضها على ما فيها ؛ فأمّا إخبارهُ ﷺ بالغائبات من غير القرآن فكثير أيضاً كإخباره بأمر الخلافة وأنها تكون كذلك ثلاثين سنة ثم تصير مُلْكاً[١] ، وبأن عثمان سَيُقمص قميصاً ويُراد على خلعه وأوصاه أن لا يخلعه[٢] ، وأن أشقى الآخِرين سَيخضِب لحية عليّ بن أبي طالب ﷺ من رأسه[٣] ، وأن الحسين ﷺ سَيُقتل[٤] ، وأن فاطمة رضي الله عنها أول أهله به لحُوقاً[٥] ، وأخبر بخروج الخوارج[٦] ، وبأنّ عمّاراً ﷺ تقتله الفئة الباغية[٧] ، وأنه يخرج من ثقيفٍ**

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٤٨/٣٦) ح٢١٩١٩ ، من طريق سفينة ﷺ ، بلفظ : "سمعت رسول الله ﷺ يقول : «الخلافة ثلاثون عاماً ، ثم يكون بعد ذلك الملك» ..." ، قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "إسناده حسن" ، وقال الألباني : "حسن صحيح" . انظر: السلسة الصحيحة (٨٢٠/١) ح٤٥٩ .

(٢) تقدم تخريجه ، انظر : ص٤٢٢ .

(٣) تقدم تخريجه ، انظر : ص٤٢٢ .

(٤) تقدم تخريجه ، انظر : ص٤٢٢–٤٢٣ .

(٥) أخرجه مسلم (١٩٠٥/٤) ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، باب فضائل فاطمة بنت النبي رضي الله عنها ، ح٢٤٥٠ ، من طريق عائشة رضي الله عنها .

(٦) أخرج البخاري (١٦/٩) ، في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم ؛ وأخرج مسلم (٧٤٣/٢) ، في كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ، من طريق أبي سعيد الخدري ﷺ ، قال : "سمعت النبي ﷺ يقول : «يخرج في هذا الأمة –ولم يقل منها– قوم تحقرون صلاتكم مع

كذّابٌ ومُبير فخرج المختار والحجّاج[2] ، وأخبر أن أصحابه سَيَلقون بعده أثَرةً وأموراً عظاماً[3] ، وأن أمته ستفترق [ق٣٢/ظ]، وأنّ بني أمّية سيملكون[4] ، وأن بني العباس يملكون الملك[5] ، وأنه يكون مَلك[1] يحثوا المال حَثْياً لا يعدّه عَدّاً[2] ، وأنّ مُلك أمّته

صلاتهم ، يقرءون القرآن لا يُجاوز حلوقهم –أو حناجرهم- يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، فينظر الرامي إلى سهمه ، إلى نصله ، إلى رصافه ، فيتمارى في الفوقة ، هل علق بها من الدم شيء»

(١) تقدم تخريجه ، انظر : ص٤٢٣ .

(٢) أخرج الترمذي في سننه (٤٩٩/٤) ، في أبواب الفتن ، باب ما جاء في ثقيف كذاب ومبير ، ح٢٢٢٠ ، من طريق عبدالله بن عصم عن ابن عمر ﷺ ، قال : "قال رسول الله ﷺ : «في ثقيف كذاب ومبير» يُقال : الكذاب المختار بن أبي عبيد ، والمبير الحجاج بن يوسف" ، قال الترمذي : "حديث حسن غريب" .

(٣) أخرج مسلم (١٤٧٢/٣) ، في كتاب الإمارة ، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ، ح١٨٤٣ ، من طريق عبدالله بن مسعود ، قال : "قال رسول الله ﷺ : «إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها» ..." .

(٤) أخرج أبو يعلى في مسنده (٣٤٨/١١) ح٦٤٦١ ، من طريق أبي هريرة ﷺ ، " أن رسول الله ﷺ رأى في المنام كأن بني الحكم ينزون على منبره وينزلون فأصبح كالمتغيظ وقال : «مالي رأيت بني الحكم ينزون على منبري نزو القردة ؟» قال : فما رئي رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً بعد ذلك حتى مات ﷺ" ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٤/٥) : "رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح غير مصعب بن عبدالله بن الزبير ، وهو ثقة" ؛ وأخرج الترمذي (٤٤٤/٥) ، في أبواب تفسير القرآن ، باب ومن سورة ليلة القدر ، ح٣٣٥٠ ، من طريق القاسم بن فضل الحداني عن يوسف بن سعد ، قال : "قام رجل إلى الحسن بن علي ، بعد ما بايع معاوية ، فقال : سوّدت وجوه المؤمنين ، أو يا مسود وجوه المؤمنين ، فقال : لا تؤنبني رحمك الله ، فإن النبي ﷺ أُري بني أمية على منبره فساءه ذلك ، فنزلت ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر:١] يا محمد ، يعني نهراً في الجنة ، ونزلت ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر:١-٣] يملكها بنو أمية يا محمد . قال القاسم : فعددناها فإذا هي ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص" ، قال الترمذي : "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل ، وقد قيل عن القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن ، والقاسم بن الفضل الحداني هو ثقة ، وثقه يحي بن سعيد وعبدالرحمن بن مهدي ، ويوسف بن سعد رجل مجهول ولا نعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه" ، قال الألباني : "ضعيف الاسناد مضطرب ، ومتنه منكر" . ضعيف سنن الترمذي ص٤٣٦ ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، ، الطبعة الأولى ١٤١١ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ؛ وأخرجه بنحوه الطبري في تفسيره (٥٥٦/٢٤) ، والطبراني في المعجم الكبير (٨٩/٣) ح٢٧٥٥ ، والبيهقي في الدلائل (٤٤٨/٧) ح٢٨٧١ ، والحاكم في مستدركه (١٨٦/٣) ح٤٧٩٦ ، كلهم من طريق يوسف بن مازن الراسبي .

(٥) أخرج أحمد في مسنده (٣٠٥/٣) ح١٧٨٦ ، من طريق العباس ﷺ ، قال : "كنت عند النبي ﷺ ذات ليلة ، فقال : «انظر هل ترى في السماء من نجم ؟» قال : قلت : نعم ، قال : «ما ترى ؟» قال : قلت : أرى الثريا ، قال : «أما إنه يلي هذه الامة بعددها من صلبك اثنين في فتنة» ، قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ،

ينتهي إلى مشارق الأرض ومغاربها[3] ، وأن أمّته تقاتل قوماً نعالهم الشعر صغار الأعين ذلف الأنوف[4] ، وكل واحد من هذه الأمور فيه حديث صحيح أوحسن مشهور مُدَوّن في كتب الحديث والسِّيَرِ والتّاريخ وغير ذلك ، قد استقرّ في القلوب تصديقه لِتَلَقِّي الأمّة له بالقبول وتدوينهم إيّاه في دواوين الإسلام[5] نبّهنا بذكر كل نوع منه على ما وراءه ، وهذه الأمور من أقوى الأدلة وأعدل الشهود على[6] صدق ما أخبر به من أمور الآخرة وشأن البرزخ كعذاب القبر والحشر والنّشر والحساب والشفاعة والميزان والجنّة والنّار والصّراط وغير ذلك مما هو من شأن اليوم[7] الآخر ، والله تعالى الموفق .

وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي- : "إسناده ضعيف جداً" ، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٣٦٨/٣) ح٥٤١٤ ، وقال : "هذا حديث تفرد به عبيد بن أبي قرة عن الليث ، وإمامنا أبو زكريا رحمه الله لو لم يرضه لما حدث عنه بمثل هذا الحديث" ، وأخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٣٦٤/٣) ، تحقيق : عبدالملك بن دهيش ، الطبعة الأولى ١٤١٠ ، مكتبة النهضة ، مكة ، وقال في إسناده : "لا بأس به" ؛ وأخرج البزار في مسنده (٦٠/١٦) ح٩١٠٣ ، من طريق أبي هريرة ﷺ ، قال : "قال رسول الله ﷺ للعباس : «فيكم النبوة والمملكة» ، قال البزار في سنده : "محمد بن عبدالرحمن ضعيف لم يرو إلا هذا الحديث" ، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٤٦٣/٧) ح٢٨٨٥ ، وقال : "تفرد به محمد بن عبدالرحمن العامري عن سهيل ، وليس بالقوي" .

(١) في ب "الملك" بزيادة أل .

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣٤/٤) ،كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ، ح٢٩١٣ ، من طريق جابر بن عبدالله ﷺ ، بلفظ : "قال رسول الله ﷺ : «يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً لا يعده عداً» ، أما معنى الحديث فقد قال النووي في شرحه (٣٩/١٨-٤٠) : "وهذا الحثوا الذي فعله هذا الخليفة يكون لكثرة المال والغنائم والفتوحات مع سخاء نفسه" .

(٣) أخرجه مسلم (٢٢١٥/٤) ، كتاب الفتن وأشلاط الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، ح٢٨٨٩ ، من طريق ثوبان ﷺ ، قال : "قال رسول الله ﷺ : «إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها ...» .

(٤) أخرجه البخاري (٤٣/٤) ، كتاب الجهاد والسير ،باب قتال الترك ، ح٢٩٢٨ ، من طريق أبي هريرة ﷺ ، قال : "قال رسول الله ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك ، صغار الأعين ، حمر الوجوه ، ذلف الأنوف ، كأن وجوههم المجام المطرق ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر» .

(٥) في ب "إسلام" بدون أل ، وهو خطأ .

(٦) في ب "وعلى" بزيادة واو ، وهو خطأ .

(٧) في ب "يوم" بدون أل .

فإن قيل : قد أتيح لعيسى عليه السلام حواريون[1] كانوا أنصارَه وأعوانه ، قد[2] ذكرهم الله تعالى ومدحهم بذلك في قوله سبحانه عن عيسى : ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:من الآية٥٢ ، الصف :من الآية١٤] قلنا قد أعطي محمد ﷺ أنصاراً قد أشرنا إلى ذكرهم وأنهم قالوا له : واللهِ لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها[3] ، وظهر من صدقهم ونصرهم إيّاه ومنعهم مَن أرادَهُ بسوء وإجلالهم له وتوقيرهم إياه وامتثال أمره أمورٌ يطول ذكرها ولا يمكن حصرها من خلوص الطاعة وصحّة النيّة وحسن المؤازرة وبذل النفوس في نصره ومجاهدتها في إقامة دينه ، فإن الله امتحن قلوبهم للتقوى وكانوا لا يُحدّون النظر إليه إعظاماً له ، ولا يرفعون أصواتهم عنده إجلالاً له وإكراماً ، ولا يتنخم نخامة إلا ابتدروها يتمسّحون بها[4] ولا سقطت من شعره شعرة إلا تنافسوا فيها[5] حتى إن معاوية أوصى أن يدفن معه شعر من شعر رسول الله ﷺ[6] ، وشرب عبدالله بن الزُّبير محجمةً مِن دَمِهِ كان أمره أن يهريقها فأودعها جوفه[7] وكان إذا حضره من لا يوقّره ولا يعظّمه من جفاة العرب استأذنوه في ضرب عنقه [ق٣٣/و] كما لقي عروةَ بن مسعود يوم الحديبية من ابن أخيه المغيرة بن شعبة لمّا قَرَع يدَه بنعل السيف وقال له : أكفف يدك قبل أن لا ترجع إليك فرجع عروة إلى قريش فأخبرهم بما

---

(١) في ب "الحواريون" بزيادة أل .

(٢) في ب "كانوا" .

(٣) تقدم تخريجه ، انظر : ٣٦٠ .

(٤) تقدم تخريجه انظر : ص٤٠٠ .

(٥) أخرج مسلم (١٨١٢/٤) ، في كتاب الفضائل ، باب قرب النبي عليه السلام من الناس وتبركهم به ، من طريق أنس رضي الله عنه ، قال : "رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه ، وأطاف به أصحابه ، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل" .

(٦) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥) ، وابن عبدالبر في الاستيعاب (٤٤٥/١) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢١٧/٥٩ ، ٢٢٩-٢٣٠) ، وابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٣٣٣/٥) .

(٧) أخرج خبر شرب عبدالله بن الزبير دم الرسول ﷺ : الحاكم في مستدركه ، في كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم ، ذكر عبدالله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما ، ح٦٣٤٣ ، من طريق عامر بن عبدالله بن الزبير ؛ وأخرجه البزار في مسنده مختصراً (١٦٩/٦) ح٢٢١٠ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٠/٨) : "رجال البزار رجال الصحيح غير الجنيد بن القاسم وهو ثقة" .

أعجبهم من تعظيمهم له[1] ، وواسَوه بأموالهم ووَقَوْه[2] بأنفسهم وقاتلوا عنه حتى أهلَهُم و عشيراتِهم وعادَوا فيه حتى قومَه الذين خالفوه وعصوه وقد قال ﷺ : «إن لكل نبيّ حوارياً وحواري الزبير بن العوام» وكان أولَّ من سَلّ سيفاً في سبيل الله وكان في شِعْبِ المَطابخ فسمع أن النبي ﷺ قد قتل فأخذ السّيف وخرج عرياناً في يده السيف صلتاً فلقيه النبي ﷺ كِفَّةَ كِفَّةَ ، فقال : «مالك؟» ، قال : سمعت أنك قُتلت ، قال : «فما كنت صانعاً؟» ، قال : أردت أن أستعرض أهلَ مكّة ، فدعا له رسول الله ﷺ[3] .

فإن قيل : إن عيسى عليه السلام طلب الحواريون منه أن يدْعو ربَّه أن ينزل عليهم[4] مائدة من السماء تكون لهم عيداً يأكلون منها لتطمئن قلوبهم ويعلموا أنه قد صَدَقهم ويشهدوا له بذلك ، قيل : قد أعطى الله محمداً ﷺ ماهو أفضل من ذلك من غير هذه الشروط وذلك ما روى سَمُرَة بن جندب أن رسول الله ﷺ أُتي بقصعة من ثريد فَوُضِعَتْ بين يدي القوم فتعاقبوها من غدوة إلى الظهر يقوم قوم ويجلس آخرون ، فقال رجل لسمرة : أما كانت تُمدّ؟ ، قال : من أي شيء تَعجَبُ ما كانت تُمَدّ إلا من هاهنا وأشار بيده إلى السماء[5] ؛ وأصحاب محمد ﷺ لمّا أسلموا كان منهم من عُذِّبَ كبلال وصهيب وعمّارٍ وأبويه ، فعُذِّبوا أشد العذاب ولم يُزحزِحهم ذلك عن دينهم شيئاً ، وفيهم من أُسِر وقُتِل كَخُبَيْب وغيره ، ولم يتزلزل إيمانهم ولم يقترحوا على نبيّهم مثلَ هذه الاقتراحات وقصصهم معروفة وسيرهم مشهورة ؛ وأما حواريّو عيسى عليه السلام فغايتهم أن قالوا له : ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا [ق٣٣/ظ] مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ...﴾ الآية

---

(١) أخرجه البخاري (٥/٢١) ، في كتاب أصحاب النبي ﷺ ، باب مناقب الزبير بن العوام ، ح٣٧١٩ ، من طريق جابر رضي الله عنه .

(٢) في ب "وركوه" .

(٣) أخرجه أحمد بنحوه في فضائل الصحابة (٢/٧٣٣) ح١٢٦٠ ، تحقيق : د. وصي الله محمد عباس ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٤) في ب "علينا" ، وهو خطأ .

(٥) أخرجه الترمذي (٥/٥٩٣) ، بنحوه في أبواب المناقب ، باب في آيات نبوة النبي ﷺ وما قد خصه الله عز وجل به ، ح٣٦٢٥ ؛ وقال : "هذا حديث حسن صحيح" ؛ وأخرجه البيهقي بنحوه في الدلائل (٦/٢٤٨) ح٢٣٤٣ ؛ وقال : "هذا إسناد صحيح" .

[المائدة:١١٢] ، فإن قيل : كان (عيسى)[1] سياحاً جَوَّاباً جَوّالاً في البراري وسواحل البحار ، قلنا : قد أشرنا قبلُ إلى سياحة نبينا ﷺ وأمّته وأنّ منها الجهاد برّاً وبحراً وقد كان منهم ما أشرنا إليه وأضعاف ذلك ، فكانت سياحة محمد صلى الله عليه وسلم وبارك أفضل وأكمل ، ونفعها أعم وأحسن وأجمل ، لأنه حصل في سياحته فتح البلاد وقتل الكفار الذين أظهروا في الأرض الفساد حتى استنفَد عشر سنين في إقامة الدين فتابَعه مالم يُتابع نبياً قبله في أضعاف تلك المدّة ولا يقاربه ، فإن نوحاً لبث في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فما بلغ من كان معه من المؤمنين في السفينة مائة نفس[2] ، فكان محمد ﷺ في مدّة نبوّته إمّا مجاهداً وإمّا مجهّزاً جيشاً أو سريةً أو باعِثاً بَعْثاً في إقامة الدين وإعلاء الكلمة وإبلاغ الرسالة وإسماع الدعوة حتى طبّق الأرض دينُه وذكْرُه وعَمّ البسيطةَ ظُهوره وقهرُه .

فإن قيل : إن عيسى عليه [الصلاة و][3] السلام كان زاهداً في الدنيا يُقنِعه اليسيرُ منها ويجتزي بالطفيف من البلغة حتى خرج من الدنيا كفافاً فلا له ولا عليه ، قلنا : كذلك كان محمد ﷺ كان يطوي اليومين والثلاثة لايجد من الدقل[4] ما يملأ به بطنه[5]

---

(١) "عيسى" ليس في ب .

(٢) قال الثعلبي في تفسيره ص١١٢٧ : " اختلفوا في عددهم ، فقال قتادة والحكم وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي : لم يكن في السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة بنيه ، سام وحام ويافث إخوة كنعان وزوجاتهم ورحلهم فجميعهم ثمانية ... ، وقال الأعمش : كانوا سبعة : نوح وثلاث كنائن وثلاثة بنين له ، وقال ابن إسحاق : كانوا عشرة سوى نسائهم : نوح وبنوه حام وسام ويافث وستة أناس ممن كان آمن معه وأزواجهم جميعاً ، وقال مقاتل : كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة وبنيه الثلاثة ونساءهم ، فكان الجميع ثمانية وسبعين نفساً ، نصفهم رجال ونصفهم الآخر نساء ، قال ابن عباس : كان في سفينة نوح ثمانون إنساناً" ، قال الطبري : " والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله : ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:من الآية٤٠] ، يصفهم بأنهم كانوا قليلاً ولم يحُدّ عددهم بمقدار ، ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح ، فلا ينبغي أن يُتَجاوز في ذلك حدُّ الله ، إذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حدٌّ من كتاب الله ، أو أثر عن رسول الله ﷺ" . تفسير الطبري (٣٢٧/١٥) ، ولعل هذا هو سبب عدم تحديد السرمري لعددهم بمقدار معين ، وإنما ذكر أنهم دون المائة جمعاً بين الأقوال كلها .

(٣) "الصلاة و" زيادة من ب .

(٤) الدقل : هو رديء التمر ويابسه ، وما ليس له اسم خاص ، فتراه ليبسه ورداءته لا يجتمع ويكون منثوراً . النهاية في غريب الأثر (٢٩٩/٢) .

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٨٤/٤) ، كتاب الزهد والرقائق ، ح٢٢٩٧ ، من طريق النعمان بن بشير ، بلفظ : "ألستم في

ويمكث الهلال إلى الهلال إلى الهلال ثلاثة أهلّه في شهرين ما تُوقَد في بيت من بيوته نار وإنما كان يتقوّتون بالأسودين التمر والماء[1] إذا حصل وهم مع ذلك تسعة أهل أبيات ومات ودرعه مرهونة على أوساق شعير إدَّانَها قُوتاً لأهله[2] ولم يترك إلا سلاحه وبغلته ، وعيسى عليه السلام كان وحده لا ولد يجوع ولا بيت يخرب على أن الله تعالى قد كان عرض (على)[3] محمد ﷺ مفاتيح كنوز الأرض فأبى أن يقبلها وقال : «أجوع يوماً فأذكرك وأشبع يوماً فأشكرك»[4] فمحمد ﷺ أزهَدُ الأنبياء طُرّاً و أعظمهم فيه فضيلةً وفخْراً فإنه خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز بُرٍّ ثلاثة أيّام تباعاً[5] وكان يربط الحجر على بطنه من الجوع[6] ويطوي اللّيالي ما يجد ما يقتات[7] وله ثلاث عشرة امرأة يَزِدن

طعم وشراب ما شئتم ؟ لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدقل ، ما يملأ به بطنه" .

(١) أخرجه البخاري (٣/١٥٣) ، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، ح٢٥٦٧ ، وأخرجه مسلم (٤/٢٢٨٣) ، كتاب الزهد والقدر ، ح٢٩٧٢ ، من طريق عروة عن عائشة رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/١٨) ح٢١٠٩ ، من طريق ابن عباس رضي الله عنهما ؛ قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "إسناده صحيح على شرط البخاري" ؛ وأخرجه الطبراني مطولاً في المعجم الكبير (١١/٢٦٨) ح١١٧٢٣ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٢٣) : "رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله ثقات" .

(٣) "على" ليس في ب .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣٦/٥٢٨) ح٢٢١٩٠ ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/٦٠) ، في حب النبي ﷺ ، فصل في زهد النبي ﷺ وصبره على شدائد الدنيا ، ح١٣٩٤ ، من طريق أبي أمامة ، بلفظ : "عرض علي ربي أن يجعل بطحاء مكة ذهباً ، فقلت : «لا يارب ، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً ، فإذا جعت تضرعت ، وإذا شبعت حمدتك وذكرتك» ، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل (٢/٥٩٥) ح٥٤٠ ، والطبراني في المعجم الكبير (٨/٢٠٧) ح٧٨٥١ ، بلفظ : «عرض علي ربي عز وجل ؛ ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً ، فقلت : لا يا رب ولكن أشبع يوماً وأجوع ثلاثاً وإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك» ، قال الألباني : "ضعيف جداً" . ضعيف الجامع الصغير وزيادته ص٥٤٣ .

(٥) أخرج البخاري (٧/٧٥) ، في كتاب الأطعمة ، باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون ، ح ٥٤١٦ ، من طريق عائشة رضي الله عنها ، قالت : "ماشبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة ، من طعام البر ثلاث ليال تباعاً حتى قبض" .

(٦) أخرج ابن الأعرابي في معجمه (١/٣٦) ح٢١ ، تحقيق عبدالمحسن الحسيني ، الطبعة الأولى ١٤١٨ ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، من طريق أبي هريرة رضي الله عنه : "أن رسول الله كان يربط الحجر على بطنه من الغرث –الجوع–" ، قال الألباني : الحديث حسن بشواهده . انظر : السلسلة الصحيحة (٤/١٨٩) ح١٦١٥ .

(٧) أخرج الترمذي (٤/٥٨٠) ، في أبواب الزهد ، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله ، ح٢٣٦٠ ، من طريق ابن

تارة وينقُصن [ق٣٤/و] أخرى سوى من يَطْرَأ عليه من خارج[١] ، وكان يلبس الصوف وينتعل المخصوف[٢] ويفترش إهاب شاة[٣] وكانت وسادته من أدَم[٤] حشوُها ليفٌ[٥] وكان لا يدّخر شيئاً لغدٍ[٦] و[كان][٧] زهده في الدنيا وفقره معروف مشهور ، ولمّا فتح الله تعالى عليه خزائن الملوك و وطّأ له أعناق الجبابرة ومكّن له في البلاد وأعطي من غنائم العباد ، كان يقسم في اليوم الواحد ثلاثمائة ألف ويعطي الرجل المائة من الإبل[٨]

عباس رضي الله عنهما قال : "كان رسول ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء ، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير" ، قال الترمذي : "حديث حسن صحيح" .

(١) أي من منائح جيرانه من الأنصار التي كانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها ، كما تقدم تخريجه .

(٢) أخرج ابن ماجه (٢/١١١١) ، في كتاب الأطعمة ، باب خبز الشعير ، ح٣٣٤٨ ، من طريق أنس ﷺ ، قال : "لبس رسول الله ﷺ الصوف ، واحتذى المخصوف" ، قال الألباني : "ضعيف" . ضعيف ابن ماجه ص٢٧٢-٢٧٣ ؛ وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤/٧٧) ، من طريق أبي أيوب الأنصاري ، قال : "كان رسول الله يلبس الصوف ويخصف النعل ويركب الحمار ويقول من رغب عن سنتي فليس مني" ، قال الألباني : "حسن" . صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/٨٨٧) ح٤٩٤٤ .

(٣) إهاب الشاة : جلدها . انظر : النهاية (١/١٩٨) .

(٤) الأدم -بفتح الهمزة والدال- : جمع أديم وهو الجلد الذي تم دبغه . شرح النووي على مسلم (١/١٩٢) .

(٥) أخرج البخاري (٦/١٥٦) ، في كتاب تفسير القرآن ، باب ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ [التحريم:من الآية ١] ، ح٤٩١٣ ، ومسلم (٢/١١٠٨) ، في كتاب الطلاق ، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى : ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ [التحريم:من الآية ٤] ، ح١٤٧٩ ، من حديث ابن عباس الطويل عن عمر ﷺ ، وفيه : "حتى جئت فإذا رسول الله ﷺ في مشربة له يرتقى إليها بعجلة ، وغلام لرسول الله ﷺ أسود على رأس الدرجة ، فقلت له : قل : هذا عمر بن الخطاب ، فأذن لي ، قال عمر : فقصصت على رسول الله ﷺ هذا الحديث ، فلما بلغت حديث أم سلمة ، تبسم رسول الله ﷺ وإنه لعلي حصير ما بينه وبينه شيء ، وتحت رأسه وسادة من أدم ، حشوها ليف ، وإن عند رجليه قرظاً مضبوراً ، وعند رأسه أهبًا معلقةً ، فرأيت أثر الحصير في جنب رسول الله ﷺ ، فبكيت ، فقال : «ما يبكيك؟» فقلت : يا رسول الله ، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه ، وأنت رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : «أما ترضى أن تكون لهما الدنيا ولك الآخرة» ، واللفظ للبخاري .

(٦) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٤/٢٧٠) ، في كتاب التاريخ ، باب من صفته ﷺ وأخباره ، ح٦٣٥٦ ؛ والبيهقي في شعب الإيمان (٣/٥٩) ، في حب النبي ﷺ ، فصل في زهد النبي ﷺ وصبره على شدائد الدنيا ، ح١٣٩١ ؛ من حديث أنس بن مالك ﷺ ، قال الألباني : "صحيح" . صحيح الترغيب والترهيب (١/٥٥٣) ح٩٣٠ .

(٧) "كان" زيادة من ب .

(٨) أخرج البخاري (٤/٩٤) ، في كتاب فرض الخمس ، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ، ح٣١٤٧ ، ومسلم (٣/٧٣٣) ، في كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر على من قوي

والخمسين وما بين جبلين من الغنم[1] ، ويُمسي فيأتي السائل فيقول : «والذي بعثني بالحق ما أمسى في بيت من بيوت آل محمد صاع من شعيرٍ ولا تمرٍ»[2] ولم يكن لعيسى عليه السلام من[3] يطالبه بشيء لا زوجة ولا ولد ولا يحتاج إلى ما كان يحتاج إلى مثله محمد ﷺ .

فإن قيل : إن عيسى عليه السلام قد كان في حياطة وحرز من ربّه تعالى[4] أن يعدوَ عليه ظالم وأن يُنال بسوء كما قال تعالى : ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ...﴾ الآية [المائدة:من الآية ١١٠] **وأيّده بروح القدس فكان يمسي ويُصبح آمناً ساكن القلب ثابت الجأش لما كان الله يتولّاه ، قيل : قد كان لمحمد ﷺ أبلغ من ذلك ، فإن العجم والعرب انتصبت لمعاداته والجن والإنس استعدّوا لمناصبته فأيده الله بروح منه ونصره عليهم وأنزل عليه : ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾** [المائدة:من الآية ٦٧] **وأنزل عليه المعوّذات والقرآن الذي كان يقرأه فيجعل الله بينه وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ، وقصدوه بالأذى[5] عوداً على بدْءٍ ويردّ الله كيدهم في نحورهم ويحفظه من شرورهم كما أشرنا إليه من قصة أبي جهل وما أراده سُراقة في سفر الهجرة وأشباه ذلك كثير[6] ، والشياطين تدلّت عليه من رؤوس الجبال بالشعل من النار**

إيمانه ، ح١٠٥٩ ، من طريق أنس بن مالك رضي الله عنه : "أن أناساً من الأنصار ، قالوا : يوم حنين ، حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ، فطفق رسول الله ﷺ يُعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل ..." ، واللفظ لمسلم .

(١) أخرج مسلم (٤/١٨٠٦) ، في كتاب الفضائل ، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً فقال لا وكثرة عطائه ، ح٢٣١٢ ، من طريق من أنس رضي الله عنه ، قال : "ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه ، قال : فجاءه رجلٌ فأعطاه غنماً بين جبلين ، فرجع إلى قومه ، فقال : يا قوم أسلموا ، فإن محمداً يعطي عطاءً من لا يخشى الفاقة" .

(٢) أخرجه الترمذي (٣/٥١١) ، في أبواب البيوع ، باب ما جاء في الرخصة في الشراء إلى أجل ، ح١٢١٥ ، من طريق أنس رضي الله عنه ، بلفظ : " ولقد سمعته ذات يوم ، يقول : «ما أمسى في آل محمد ﷺ صاع تمر ، ولا صاع حبٍّ» ، قال الترمذي : "هذا حديث حسن صحيح" .

(٣) في ب "أن" ، وهو خطأ .

(٤) في ب تكرار "تعالى" ، وهو خطأ ظاهر .

(٥) في ب "في الأذى" .

(٦) في ب "كثيرة" بزيادة التاء المربوطة ، وهو خطأ .

فعلّمه جبرئيل ما يتعوّذ منهم ففعل فكفِيَ شرهم وطَفِئت نيرانهم[1] ، واعترض عليه شيطان في المحراب وهو يصلي فأمكنه الله تعالى منه فخنقه وأراد أن [ق٣٤/ظ] يربطه بسارية من سواري المسجد فذكر دعوة سليمان فأطلقه ولولا ذلك لأصبح مُوثَقاً يلعب به الغلمان[2] ، وهذا باب واسع لا يمكن استيفاء ما ورد فيه لكثرته على أن أعداء نبيّنا ﷺ كانوا أشدّ شكيمة[3] وأعظم عداوة ، وأكبر حقْداً ، و أكثر عَدداً و عُدَداً ، أهل جاهليّة

---

(١) أخرج أحمد في مسنده (٢٠٠/٢٤) ح١٥٤٦٠ ، من طريق جعفر الضبعي عن أبي التياح ، قال : "قال : قلت لعبد الرحمن بن خنبش التميمي ، وكان كبيراً ، أدركت رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، قال : قلت كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الشياطين ، فقال : إن الشياطين تحدرت تلك الليلة على رسول الله ﷺ من الأودية والشعاب ، وفيهم شيطان بيده شعلة نار ، يريد أن يحرق بها وجه رسول الله ﷺ ، فهبط إليه جبريل ، فقال : يا محمد قل ، قال :« وما أقول ؟ » قال : « قل : أعوذ بكلمات الله التامات ، من شر ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق ، إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن » . قال : فطفئت نار الشيطان ، وهزمهم الله تبارك وتعالى" ، وأخرجه بنحوه البيهقي في الدلائل (١٥٣/٨) ح٣٠١٩، وأبو نعيم في الدلائل (١٩١/١) ح١٣٧ ، قال الألباني : "إسناده صحيح" . انظر : السلسلة الصحيحة (٤٩٥/٢) ح٨٤٠ .

(٢) أخرج البخاري (٩٩/١) ، في كتاب الصلاة ، باب الأسير -أو الغريم- يربط في المسجد ، ح٤٦١ ، ومسلم (٣٨٤/١) ، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه والعمل القليل في الصلاة ، ح٥٤١ ، من طريق أبي هريرة ﷺ ، قال : "قال رسول الله ﷺ : «إن عفريتاً من الجن جعل يفتك علي البارحة ليقطع الصلاة ، وإن الله أمكنني منه فذعته ، فقلد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد ، حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون -أو كلكم- ثم ذكرت قول أخي سليمان : ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓ﴾ [ص:من الآية ٣٥] فرده الله خاسئًا» واللفظ لمسلم ؛ وأخرج مسلم (٣٨٥/١) ، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه والعمل القليل في الصلاة ، ح٥٤٢ ، من طريق أبي الدرداء ﷺ ، قال : " قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول : «أعوذ بالله منك» ثم قال : «ألعنك بلعنة الله» -ثلاثاً- ، وبسط يده كأنه يتناول شيئًا ، فلما فرغ من الصلاة ، قلنا : يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك ، قال : «إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي ، فقلت : أعوذ بالله منك ثلاث مرات ، ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة ، فلم يستأخر ثلاث مرات ، ثم أردت أخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة»

(٣) يقال : فلان شديد الشكيمة : أي شديد النفس ، والشكيمة فى الأصل : حديدة اللجام المعترضة فى الفم التى عليها الفأس وهى التى تمنع الفرس من جماحه فشبه بها أنفة الرجل وتصلّبه في الأمور وما يمنعه من الهوادة وترك الجد والإنكماش فقالوا : فلان شديد الشكيمة لأنه إذا اشتدت تلك الحديدة كانت عن الجماح أمنع . انظر : تاج العروس (٤٧٠/٣٢) ، الفائق في غريب الحديث (١١٤/٢) ، لمحمود الزمخشري ، تحقيق : علي البجاوي ومحمد

جهلاء حتّى رمته العرب عن قوسٍ واحدة ، حتى أهْلُه وبنو عمّه وعشيرته ، وهو مع ذلك من قوّة القلب وثبوت الجأش بالمنزلة التي لا يَجهلها من وقف على سيرته ، وتدبّر أحواله مع قومه ، بما ألقى الله في قلوب أعدائه من الرهبة والجَزَع أن يهجموا عليه ، ولقد[1] تَمالأ عليه القبائل ليقتلوه كما قال (الله)[2] تعالى مخبراً عنهم : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٠] فقد كان الله سبحانه يحفظه ويصونه ويصرف عنه من أراده بالسّوء من كفّار قريش حتى صرف عنه شتمهم وسبّهم (كما أخبر ﷺ في قوله : «ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش وسبهم)[3] ولعنهم فإنهم يشتمون مذمماً ويلعنون مذمماً وأنا محمّد»[4] ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر ، فتعاقدوا باللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى وإسافَ ونائلة : لو رأينا محمّداً قمنا إليه قيام رجل واحد ، فلم نفارقه حتى نقتله ، فدخلت فاطمة عليها السلام[5] على[6] أبيها ﷺ وهي تبكي فقالت له : إن الملأ من قومك اجتمعوا في الحجْر فتعاقدوا [على][7] أن لو رأوك قاموا إليك فقتلوك ، وقد عرف كل رجل منهم نصيبه من دمك ، فقال : «يا بُنَيَّة أدْنِي وَضُوءاً» فتوضّأ ثم دخل عليهم المسجد فلمّا رأوه قالوا هاهو هذا ، فَعَقِروا في مجالسهم ، وخفضوا رؤسهم ، ولم يقم إليه منهم رجل واحد ، فأقبل رسول

أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، لبنان .

(١) في ب "وقد" .

(٢) لفظ "الله" ليس في ب .

(٣) مابين القوسين من قوله : "كما أخبر ﷺ" إلى قوله "شتم قريش وسبهم" ليس في ب .

(٤) أخرجه البخاري (٤/١٨٥) ، بنحوه في كتاب المناقب ، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ، ح٣٥٣٣ .

(٥) قال ابن كثير في استعمال السلام على غير الأنبياء : "وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب ، أن يفرد علي رضي الله عنه ، بأن يقال : "عليه السلام"، من دون سائر الصحابة ، أو "كرم الله وجهه" ، وهذا وإن كان معناه صحيحاً ، لكن ينبغي أن يُساوى بين الصحابة في ذلك ؛ فإن هذا من باب التعظيم والتكريم ، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان بن عفان أولى بذلك منه ، رضي الله عنهم أجمعين" . تفسير ابن كثير (٦/٤٧٩) .

(٦) في ب "وعلى" بزيادة واو .

(٧) "على" زيادة من ب .

الله ﷺ حتى قام على رؤسهم فأخذ قبضة من التراب فحصَبَهُ عليهم وقال : «شاهت الوجوه» فما أصابت رجلاً منهم حصاة إلا قتله الله يوم بدر كافراً[1] ؛ وعن أنس ﷺ [ق٣٥/و] قال : "إن إبليس ما بين قدميه إلى كعبيه كذا وكذا وأنّ عرشه لعلى البحر ولو ظهر للناس لعُبد ، قال : فلما بعث الله محمداً ﷺ أتاه وهو بجَمْعٍ يكيده فانقَضَّ عليه جبرئيل الطَّيْكِلا فدفعه بمنكبه فألقاه بوادِي الأُرْدُنّ"[2] ؛ وعن ابن عباس ﷺ قال : "لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد:من الآية ١] جاءت امرأة أبي لهب إلى أبي بكر ﷺ ، وأبو بكر جالس مع النبي ﷺ ، فلما رآها أبو بكر قال : يا رسول الله إنها امرأة بذيئة فلو قمت فإني أخاف عليك أن تؤذيك ، فقال : «إنها لن تراني» ، فجاءت فقالت : يا أبا بكر هجاني صاحبك ، فقال لها أبو بكر : لا وما يقول الشعر ، قالت : إنك عندي لمصدَّق[3] وانصرفت ، فقال أبو بكر : يارسول الله وما رأتك ، قال : «إنه نزل ملك فسترني منها بجناحه»[4] ؛ وروى أبو مصعب المكي قال : أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة فسمعتهم يحدثون : أن النبي ﷺ قال : أمر الله سبحانه شجرةً ليلة الغار فنبتت في وجه النبي ﷺ ، وأمَر العنكبوت فنسجت في وجه النبي ﷺ فسترتْه ، وأمر الله حمامتين وحشيّتين فوقعتا بفم الغار ، وأقبل فتيان من قريش من كل بطن رجل بِعِصِيّهم و هراواتهم وسيوفهم حتى كانوا من النبي ﷺ قدر أربعين ذراعاً فجعل كذا بعضهم ينظر في الغار فرأى حمامتين بفم الغار فرجع إلى أصحابه فقالوا له : مالك لم[5] تنظر في الغار ، فقال : رأيت حمامتين بفم الغار فعرفت أن ليس فيه أحد ، فسمع

---

(١) أخرجه أحمد بنحوه في مسنده (٤٤٢/٥) ح٣٤٨٥ ، قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "إسناده قوي على شطر مسلم" .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٢٢٨/١) ح١٨١ ، ونقله عنه السيوطي في الخصائص الكبرى ص١٨٤ .

(٣) في ب "مصدق" بدون لام التوكيد .

(٤) أخرجه بنحوه ابن حبان في صحيحه (٤٤٠/١٤) ، في باب المعجزات ، ذكر ما ستر الله جلا وعلا صفيه ﷺ ، ح٦٥١١ ؛ وأبو يعلى في مسنده (٣٣/١) ح٢٥ ؛ والبزار في مسنده (٢١٢/١-٢١٣) ، قال الألباني : "حسن لغيره" . صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (٣٠٧/٢) ، ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ ، دار الصميعي ، الرياض .

(٥) في ب "لا" .

النبي ﷺ ما قال ، فعرف أن الله قد [تعالى][1] قد درأ[2] عنه بهما فدعا لهنّ وسَمَّتَ[3] عليهن وفرض جزاءهن وأُقْرِرن في الحرم[4] ؛ ولما ظهر الخوف من أبي بكر ﷺ على[5] النبي ﷺ قال له رسول الله ﷺ : «ما ظنّك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»[6] ولمّا لحقهم سراقة بن مالك قال أبو بكر : يا رسول الله أُدركنا ، قال له النبي[7] ﷺ : «لاتحزن إنّ الله معنا»[8] ؛ ولما قدم المدينة قالت له اليهودُ : يا محمد إنّا ذَوُو عدّة وبأس شديد فاحذر أن نقتلك ، فكان جماعة من المهاجرين والأنصار يحرسونه مُسْتلْئمين في السلاح يخافون عليه [ق٣٥/ظ] اليهودَ حتى أنزل[9] الله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:من الآية ٦٧] يعني من اليهود ، أي : أنا أمنعك منهم ، فرَدّ الحرسَ إلى منازلهم وكان يبرز وحده في سواد الليل وبالأسحار إلى البقيع و الأودية[10] ممنوعاً منهم لا يَصِلون إليه بسوء ، وكانت هذه العصمة زيادة في عزيمته وتقوية لقلوب أصحابه وتخفيفاً عنهم و تطيباً لقلوبهم وتبييناً لصدق خبره لأنه أخبر بالعصمة في المستقبل من أيامه والمستأنف من زمانه وذلك غيب لا يعلمه إلا الله ولا يخبر به عنه محتجّاً به مستميتاً إليه إلا رسول مبين يعلم أنه على بينة من ربه وبصيرة من أمره .

---

(١) "تعالى" زيادة من ب .

(٢) في ب "دفع" .

(٣) التسميت : الدعاء . النهاية (٢/٩٨٨) .

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/٤٤٣) ح١٧٨٣٧ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٢٣١) ح٥٤١٩ : "رواه الطبراني في الكبير ، ومصعب المكي والذي روى عنه لم أجد من ترجمهما ، وبقية رجاله ثقات" .

(٥) في ب "عن" .

(٦) أخرجه البخاري (٥/٤) ، كتاب أصحاب النبي ﷺ ، باب مناقب المهاجرين وفضلهم ، ح٣٦٥٣ ، وأخرجه مسلم (٤/١٨٥٤) ، بتقديم وتأخير في كتاب فضائل الصحابة ﷺ ، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ ، ح٢٣٨١.

(٧) في ب "رسول الله" .

(٨) أخرجه البخاري (٤/٢٠١) ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ح٣٦١٥ ، ومسلم (٤/٢٣٠٩) ، كتاب الزهد والرقائق ، باب في حديث الهجرة ويقال له حديث الرحل بالحاء ، ح٢٠٠٩ .

(٩) في ب "فأنزل" .

(١٠) في ب "الأروية" .

فإن قيل : إن عيسى عليه السلام رفع إلى السماء كما قال تعالى : ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران:من الآية ٥٥] ، قلنا : قد أعطى محمداً ﷺ ذلك على أكمل الوجوه فإن الله رفع محمداً ﷺ إلى فوق سبع سموات ، وإلى سدرة المنتهى ، وخرق من الحجب ما شاء الله ، ورأى من آيات[١] ربه الكبرى ولم يُتوفه ، وسأله عما يختصم فيه الملأ الأعلى فأخبره وعلّمه مالم يعلّمه غيرَه وعاد ببشرى من الله تعالى وقد أعطاه مالم يعط أحداً من النبيين الأولين والآخرين مع أن بعض أصحابه قد رفع إلى السماء فإن جعفر بن أبي طالب لما قاتل يوم مُؤتَة وقُطِعت يداه وقُتل جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة[٢] ، وعن عامر بن الطُّفَيل[٣] أنه رأى عامر بن فُهيرة[٤] يوم بئر مَعُونة[٥] حين قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر السماء بينه وبين الأرض[٦] ، ومما يدخل في هذا الباب

---

(١) في ب "الآيات" ، وهو خطأ .

(٢) أخرج الطبراني في المعجم الكبير (٢/١٠٧) ح١٤٦٨ ، (١١/٣٩٦) ح١٢١٤١ ، من طريق ابن عباس رضي الله عنهما قال : "قال رسول الله ﷺ : «رأيت جعفر بن أبي طالب ملكا يطير في الجنة ذا جناحين يطير بهما حيث يشاء مقصوصة قوادمه بالدماء» ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٧٣) ح١٥٤٩٦ : "رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما حسن ، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/١٣٤) ح١٣٦٢ : "صحيح لغيره" .

(٣) قال ابن حجر : "عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري ، الفارس المشهور ، ذكره جعفر المستغفري في الصحابة وهو غلط ، وموت عامر المذكور على الكفر اشهر عند أهل السير أن يتردد فيه" . الإصابة (٥/١٧٢) .

(٤) هو عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق ، أبو عمرو ، كان مولداً من مولدي الأزد ، أسود اللون مملوكاً للطفيل بن عبد الله بن سخبرة ، فأسلم وهو مملوك فاشتراه أبو بكر من الطفيل فأعتقه ، وأسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها إلى الإسلام ، وكان حسن الإسلام وكان يرعى الغنم في ثور ثم يروح بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر في الغار ، وكان رفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر في هجرتهما إلى المدينة وشهد بدراً وأحداً ثم قتل يوم بئر معونة سنة أربعة ، وهو ابن أربعين سنة قتله عامر بن الطفيل . انظر : الاستيعاب (١/٢٤٠) .

(٥) بئر مَعُونة –بفتح الميم وضم العين– : في أرض بني سليم فيما بين مكة والمدينة . النهاية (٤/٧٥١) .

(٦) أخرجه البخاري (٥/١٠٦) ، كتاب المغازي ، باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة وحديث عضل والقارة وعاصم بن ثابت وخبيب وأصحابه ، ح٤٠٩٣ ، من طريق هشام بن عروة عن عروة بن الزبير .

حديث حنظلة بن (أبي)[1] عامر الرّاهب[2] فإنه يوم تزوج بِجَميلَة بنت عبدالله بن أبيّ ابن سلول دخل بها بعد أن صلى الصبح وذلك يوم أُحُد ، ثم خرج يريد النبي ﷺ بأُحُد ، فأرسلت إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه قد دخل بها ، فقيل لها في ذلك ، فقالت : رأيت كأنّ السماء فُرجت له فدخل فيها ثم أطبقت فقلت : هذه [ق٣٦/و] الشهادة وعلقت بعبدالله بن حنظلة ، فلمّا قتل حنظلة قال رسول الله ﷺ : «إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض (بماء)[3] المزن في صحاف الفضّة» ، قال أبو أسيد الساعديّ[4] : فذهبنا فنظرنا فإذا رأسه يقطر ماء[5]

فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فأرسل إلى امرأته يسألها فأخبرته[6] أنه خرج وهو جنب[7] فولده يقال لهم بنو غسيل الملائكة[8] ؛ وقد طهّر الله تعالى محمّداً ﷺ من كل

---

(١) "أبي" ليس في ب .

(٢) هو حنظلة الغسيل وهو حنظلة بن أبي عامر الراهب والأنصاري الأوسي من بن عمرو بن عوف ، وأبوه أبو عامر كان يعرف بالراهب في الجاهلية ، وكانت وفاة أبي عامر الراهب عند هرقل في سنة تسع وقيل في سنة عشرة من الهجرة ، وأما حنظلة ابنة فهو المعروف بغسيل الملائكة قتل يوم أحد شهيداً قتله أبو سفيان بن حرب . الاستيعاب (١١٢/١) .

(٣) "بماء" ليس في ب .

(٤) هو مالك بن ربيعة ، وقيل : هلال بن ربيعة ، والأكثر يقولون : مالك بن ربيعة بن البدن بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج ، أبو أسيد الأنصاري الساعدي الخزرجي ، وهو مشهور بكنيته ، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، اختلف في وفاته اختلافاً متبايناً فقيل : توفي سنة ثلاثين وهذا وهم ، وقيل : بل توفي سنة ستين قاله المدايني ، وقيل توفي سنة خمس وستين ، ومات بالمدينة وهو آخر من مات من البدريين . انظر : الاستيعاب (٤٢٠/١) ، (٧/٢) .

(٥) في ب "الماء" .

(٦) في ب "فأخبرت" بدون الضمير .

(٧) ذكره الواقدي في المغازي (٢٧٣/١) ، تحقيق : مارسدن جونس ، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ ، دار الأعلمي ، بيروت ، ونقله عنه أبو نعيم في الدلائل (٤٨٥/٢-٤٨٦) ح٤١٩ ، وذكره ابن سعد في الطبقات الكبير (٢٩١/٤) ، تحقيق : علي محمد عمر ، الطبعة الأولى ٢٠٠١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ونقله عنه السيوطي في الخصائص الكبرى ص٣٦٥ ، وفي الجامع الصغير مختصراً (٢٢٦/١) ، قال الألباني : "ضعيف" . الجامع الصغير وزايادته ص٤٩٠ ح٤٨٩٧ .

(٨) أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٢٤/٧) ، من طريق أنس بن مالك ﷺ ، قال : "" افتخر الحيان من الأوس و الخزرج ، فقال الأوس : منا غسيل الملائكة حنظلة ابن الراهب ..." ، وقال : " هذا حديث حسن صحيح" .

شين ، وخصّه وجمّله بكل زين ، وقد جعل الذين اتبعوه فوق جميع الخلق منزلةً وقدراً إلى يوم القيامة كما أشرنا إليه من حديثه ﷺ (أنه قال)[1] : «لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق إلى يوم القيامة ...» الحديث[2] .

فإن قيل : عيسى عليه السلام دعا فنزلت المائدة وعليها أنواع من الطعام ، قيل : دعاء محمد ﷺ (كان)[3] أعظم نفعاً وأكثر بركة وأحسن عاقبة ، فإن المائدة كان فيها طعام مخصوص لقوم مخصوصين لم يكن عامّاً لجميع المخلوقين مع أن عاقبة نزول المائدة كان شراً على من طلبها من عيسى عليه السلام ، فإنهم عُوقبوا إذ لم يشكروا ومُسِخوا خنازير إذ عَصَوا و ادخروا ، فكانت المائدة عقوبة لهم إذ عذّبهم الله تعالى عذاباً لم يعذب به من كان قبلهم ، ثم ارتفعت هذا إن صحّ أنّها نزلت[4] ، فأما محمد ﷺ فإن أمّته لما شكَوا إليه الجدب واستئخار المطر عن إبّانِ زمانه فقالوا له : ادع اللهَ يُغيثنا وكان يخطب على المنبر يوم الجمعة فرفع يديه ودعا فما نزل حتى جاء المطر وجاش كل ميزاب فلم يزالوا يُمطَرُون إلى الجمعة الأخرى ، فقالوا : يا رسول الله تهدمت البيوت وانقطعت السبل فادع الله (تعالى)[5] يحبسها عنا فدعا فأقلعت وانجابت عن[6] المدينة انجياب الثوب وسالَ وادي قناةَ[7] شهراً ولم يجئ أحد من ناحيةٍ إلا أخبر بالجَوْد[1] ، فدعوة

---

(١) "أنه قال" ليس في ب .

(٢) تقدم تخريجه ، انظر : ٣٦٠ .

(٣) "كان" ليس في ب .

(٤) اختلف العلماء في المائدة هل نزلت أم لا ؟ قال مجاهد : ما نزلت وإنما هو ضرب مثل ضربه الله تعالى لخلقه فنهاهم عن مسألة الآيات لأنبيائه ؛ وقال الحسن : وعدهم بالإجابة فلما قال لهم : ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ [المائدة:من الآية ١١٥] استعفوا منها ، واستغفروا الله وقالوا : لا نريد هذا ؛ والذي عليه الجمهور وهو الحق نزولها لقوله تعالى : ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:من الآية ١١٥] . انظر : الجامع لأحكام القرآن (٦/٣٦٩) ، الكشف والبيان للثعلبي (٤/١٢٧) .

(٥) "تعالى" ليس في ب .

(٦) في ب "على" ، وهو خطأ .

(٧) وادي قناة : هو الوادي الذي يمر بين المدينة وأُحُد أعلاه الخَنَق ، والخنق يأخذ سيل الشُّعبة ، وسيل الشعبة : هو وادٍ يأتي من شرف نجد من جهات ضريّة ، ويأخذ كل مياه أبلى الشمالية ، ومياه حرة النقيع الشرقية ويجتمع مع أودية نخل ونجار والنُّخَيل ، والشعبة وأخرى عديدة ثم يدفع في الخَنَق ، ومنه إلى سد العاقول ، ومن العاقول في قناة ثم في

محمد ﷺ كانت نعمة ورحمة وبركة فإن المطر[2] خير الأرزاق لجميع المخلوقات بل هو أصل الأرزاق كلها وأساس النعم جميعها وقد أنزل الله تعالى [ق٣٦/ظ] على جماعة من أمّة محمّد ﷺ من السّماء طعاماً وشراباً عند حاجتهم إليه ، وبُورِك لآخرين في قليل الطعام والشراب حتى سَدّ مسدّ الكثير وهذا أمر معلوم معهود في أمّته ، وقد روى أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «لما فرغت مما أمرني الله تعالى به من أمر السموات والأرض يعني ليلة المعراج قلت : يا ربّ إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد كرّمته ، (جعلت إبراهيم)[3] خليلاً ، وموسى كليماً ، وسخرت لداود الجبال يسبحن والطير ، ولسليمان الريح والشياطين ، وأحييت لعيسى الموتى ، فما جعلت لي ، قال : أوليس قد أعطيتك[4] أفضل من ذلك كله أن لا أُذكَر إلا ذُكِرتَ معي وجَعلت صدور أمّتك أناجيل يقرؤن القرآنَ ظاهراً ولم أُعطها أمّةً ، وأنزلت عليك كلمة من كنوز عرشي لا حول ولا قوة إلا بالله»[5] وقد أشرنا إلى هذا وسيأتي حديث الإسراء فيما بعد إن شاء الله تعالى ، فقد

الغابة من إضم مجتمعاً مع العقيق وبطحان ، وهي أودية المدينة الثلاثة ؛ وذكر محمد بن الحسن المخزومي في أخبار المدينة بإسناد له أن أول من سماه وادي قناة تبع اليماني لما قدم يثرب قبل الإسلام . انظر : فتح الباري (٢/٥٠٦) ، معجم معالم الحجاز (٧/١٤٠٥) ، د. عاتق البلادي ، الطبعة الثانية ١٤٣١ ، دار مكة ، مكة .

(١) أخرج البخاري (٢/٣٢) ، في أبواب الاستسقاء ، باب من تمطر حتى يتحادر على لحيته ، ح١٠٣٣ ، ومسلم (٢/٦١٤) ، في كتاب صلاة الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء ، ح٨٩٧ ، من طريق أنس بن مالك ﷺ ، قال : "أصابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ ، فبينا رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة قام أعرابي ، فقال يا رسول الله ﷺ هلك المال ، وجاع العيال ، فادع الله لنا أن يسقينا ، قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه وما في السماء قزعة ، قال : فثار سحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأينا المطر يتحادر عن لحيته ، قال : فمطرنا يومنا ذلك ، وفي الغد ، ومن بعد الغد ، والذي يليه إلى الجمعة الأخرى ، فقام ذلك الأعرابي -أو رجل غيره- ، فقال : يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال ، فادع الله لنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه ، وقال : «اللهم حوالينا ولا علينا» ، قال : فما جعل رسول الله ﷺ يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا انفرجت ، حتى صارت المدينة في مثل الجوبة ، حتى سال الوادي وادي قناة شهراً ، فلم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود" ، واللفظ للبخاري .

(٢) في ب "الرحمة" .

(٣) "جعلت إبراهيم" ليس في ب .

(٤) في ب "أعطيتكه" .

(٥) نقله ابن كثير في تفسيره (٨/٤٣٠) والسيوطي في الدر المنثور (١٥/٤٩٩) عن أبي نعيم في دلائل النبوة ، وسقط من نسختي المطبوعة عن كتاب الدلائل ، وقال ابن كثير في البداية والنهاية في إسناده (٦/٣١٥) : "وهذا إسناد

ظهر فضل محمد ﷺ على أولى العزم من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بما تيسر من ذكر فضائلهم وفضائل محمّد ﷺ (لما)[1] قابلنا بينهما ، وأنه لم يؤتَ أحد منهم فضيلة إلا وقد أُعطي محمد ﷺ مثلها وأعظم ، و [قد][2] خُصّ بما لم ينالوا من جنسه شيئاً كما أشرنا إليه وكما ندلّ فيما بعد إن شاء الله تعالى عليه ، ونحن نذكر بمشيئة الله تعالى وعونه وحسن توفيقه مما ورد في فضل غيرهم من الأنبياء (وإن كان الفضل للمتقدم ، فإن محاسن الأنبياء)[3] ومعجزاتهم تتوق الأنفس إلى سماعها ونبيّن فضل ما أوتي محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم على نحو ما تقدم من شأن أولي العزم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فصل

مفاضلة بين ما أوتي إدريس عليه السلام وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ

قال الله تعالى : ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم:٥٧-٥٨] ولا ريب أنّ منزلة محمد ﷺ من الصّدّيقية والنبوة أعظم [ق٣٧/و] من منزلة إدريس عليه السلام ، وأمّا رفعته إلى المكان العلي فغيره من الأنبياء رفع إلى أعلى مكانة[4] كما سيأتي في ذكر المعراج والإسراء ، وأن محمّداً ﷺ علا فوق منزلة إدريس عليه السلام وفوق منزلة من هو فوقه ، فإنه رفع فوق سبع سموات وفوق سدرة المنتهى ، وطيفَ به في جنة المأوى ، بعد أن دنا من ربّه تعالى فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، ورأى من آيات ربّه الكبرى ، والحديث في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها من السّير وكتب العلم مشهور معروف فقد حصل له في الرفع البَدَني مالم يحصل لملَك مقرّب ولا نبيّ مُرسَل ، فأما رفع القدر والمنزلة فقد قال تعالى : ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [الشَّرح:٤] روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في قوله : ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [الشَّرح:٤] قال :

فيه غرابة ، ولكن أورد له شاهداً ..." .

(١) "لما" ليس في ب .

(٢) "قد" زيادة من ب .

(٣) مابين القوسين ليس في ب .

(٤) في ب "مكاناً" .

«قال لي جبريل : قال الله تعالى : إذا ذُكِرتُ ذُكِرتَ معي»(1) فرفع الله تعالى له ﷺ شأنه ، وأقام برهانه في الدنيا والآخرة بأن قرن اسمه مع اسمه في الشهادة بربوبيّته وتوحيده في مشارق الأرض ومغاربها فليس خطيبٌ ولا مصَلٍ ولا داعٍ إلا ينادي بذكره مع ذكر الله (تبارك)(2) وتعالى .

مفاضلة بين ما أوتي هود عليه السلام وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ

وأما هود عليه السلام : فقيل إن الله تعالى فضله بأن انتصر له من أعدائه بالريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرّميم ، قلنا لمحمّد ﷺ أفضل من ذلك فإن الله تعالى انتصر له من أعدائه يوم الخندق بالريح أيضاً و بالملائكة الكرام كما قال تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب:من الآية 9] ؛ روى أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما كان يوم الأحزاب انطلقت الجَنُوبُ إلى الشَّمال فقالت : انطلقي بنا ننصر محمّداً ﷺ ، فقال الشمال : إن الحُرّة لا تسري إلا بليل ، فأرسل الله عليهم الصَّبا ، فذلك قوله تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب:من الآية 9](3) ؛ وفي الصحيح عنه ﷺ [ق37/ظ] أنه قال : «نُصِرتُ بالصّبا وأُهلِكت عادٌ بالدَّبُور»(4) فإنّ يوم الخندق لمّا تألّب الأحزاب على المسلمين واشتدّ (الأمر)(5) عليهم

---

(1) أخرجه أبو يعلى في مسنده (2/522) ح1380 ، وابن حبان في صحيحه (8/175) ، في المقدمة ، ح3382 ، من طريق أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، بلفظ : «أتاني جبريل ، فقال : إن ربي وربك يقول لك : كيف رفعت ذكرك ؟ قال : الله أعلم ، قال : إذا ذكرت معي» ، قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على صحيح ابن حبان : "إسناده ضعيف" .

(2) "تبارك" ليس في ب .

(3) لم أقف على الأثر في نسختي المطبوعة عن كتاب الدلائل ، وقد عزاه أيضاً لأبي نعيم : السيوطي في الخصائص الكبرى ص387 ، وفي الدر المنثور في التفسير بالمأثور (11/737) ، تحقيق : عبدالله التركي ، الطبعة الأولى 1424 ، مركز هجر للبحوث ، القاهرة ، وعزاه لكتاب الدلائل ؛ والشوكاني في فتح القدير (4/309) وعزاه لكتاب الدلائل ؛ وابن كثير في البداية والنهاية (9/327) وعزاه أيضاً لكتاب الدلائل ، وقد أخرج الحديث أيضاً البزار بنحوه في مسنده (2/162) ح4721 ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (6/66) : "رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح" .

(4) أخرجه البخاري (5/109) ، في كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب ، ح4105 ، وأخرجه مسلم (2/617) ، في كتاب صلاة الاستسقاء ، باب في ريح الصبا والدبور ، ح900 .

(5) "الأمر" ليس في ب .

كمـا قـال الله تعـالى : ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب:من الآية ١٠] أرسـل الله علـى الأرض ريحـاً شديدة في ليلة عظيمة البرد فجعلت تَكْفَأُ قدورَهم وتَطرَحُ أبنيَتهم فكان يُسمَع في تلك الليلة أصوات كالصواعق فألقى الله تعالى في قلوبهم الوهن والخوف والجزع قال حذيفة ﷺ : وما أتت علينا ليلةٌ قط أشدّ ظلمةً[١] ولا أشدّ بَرداً ولا أشدّ[٢] ريحاً منها[٣] ، أصوات ريحها أمثال الصّواعق وهي ظلمة ، ما يرى أحدنا إصبعَه ، واختلفت كلمة المشركين ووقع التخاذل بينهم ، فقال أبو سفيان : يا معشر قريش والله ما أصبحتم بدار مقام ، والله لقد هلك الكراع والخُفُ واخلفَتْنا بنو قريظة وبَلَغَنا عنهم الذي نَكْرَهُ ولقينا مِن شدّة الريح ما ترون ما تَطمئن لنا قِدْرٌ ولا تقوم لنا نارٌ ولا يستمسك لنا بناء فارتحِلوا إنّي مرتحِل ، وكانت هذه الشدّة خاصّة على الكفار ، فإن حذيفة بن اليمان ﷺ لمّا بَعثَه النبي ﷺ لينظر له خبر القوم في الليل قال[٤] : فكنت كأنما أمشي في دِيماسٍ –يعني : حماماً– حتى رجَعْتُ[٥] .

فصل

مفاضلة بين ما أوتي صالح عليه السلام وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ

وأما صالح عليه السلام فقيل إن فضيلته في أن أخرج الله (تعالى)[٦] له ناقةً جعلها له على قومه حجّةً وآيةً ، وجعل في لبَنها البركة فكانت تشرب يوماً ماء نهرهم ويشربون يوماً لبَنها كما قال الله تعالى : ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء:١٥٥] قلنا :

(١) في ب "من ظلمة" بزيادة " من" .

(٢) في ب "شد" بدون الهمزة ، وهو خطأ .

(٣) في ب تكرار "منها" ، وهو خطأ .

(٤) في ب "فقال" بزيادة الفاء .

(٥) أخرجه بنحوه البيهقي في الدلائل (٣١/٤) ح١٣٣٥ ، وأبو نعيم في الدلائل (٥٠٠/٢) ح٤٣٢ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٨٢/١٢-٢٧٣) ، والحاكم في مستدركه (٣٣/٣) ، كتاب المغازي والسرايا ، ح٤٣٢٥ ، وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه" .

(٦) "تعالى" ليس في ب .

لمحمد ﷺ من الآيات الخوارق أعجب من هذا فإن اللبن معهود من النُّوق وإخراج الماء (من بين الأصابع أمر غير معروف فإن محمداً ﷺ كان إذا قلّ الماء عليهم دعا بالقدح ووضع أصابعه فيه فيتفجر الماء عيوناً)[1] من بين أصابعه حتى يرتوي القوم ودوابهم ويتزوّدوا وهم الجمّ الغفير والخلق الكثير حتى قيل لبعضهم : كم كنتم ، قال : لو كنا مائة ألف لكفانا[2] ، ولم يعرف هذا لنبيّ قبله وكذلك كان [ق٣٨/و] يطعمهم من الطعام اليسير فيشبعون ويتزودون ولو كانوا ألوفاً من طعام يكون قدر ما يكفي الواحد والاثنين ونحو ذلك ، وقد كان محمد ﷺ يمسح ضرع الشاة الحائل فيَدُرّ لبَنُها فيحلب منها ويبارَك فيه وأبلغ من ذلك أنه مسَح ضرع الشاة التي لم يَنْزُ عليها الفحل فدرّت لبناً كما في حديث ابن مسعود[3] وحديث أم مَعْبَد[4] وغير ذلك وفي حال طفوليته وهو عند ظئره حَليمة وما أظهر الله تعالى من البركة في درّها ودرّ شارفها و قوّتها وقوّة أتانها حتى حلبوا وشربوا ورَوُوا ورَوِيَ ولدها وناموا وما كانوا ينامون الليل من بكائه وصارت أتانها تسبق

---

(١) ما بين القوسين ليس في ب .

(٢) أخرجه البخاري (١٢٢/٥) ، كتاب المغازي ، باب غزوة الحديبية ، من طريق سالم عن جابر ﷺ ، قال : "عطش الناس يوم الحديبية ، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه ، فقال رسول الله ﷺ : «مالكم» ، قالوا : يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب إلا ما في ركوتك ، قال : فوضع النبي ﷺ يده في الركوة ، فجعل الماء يفور من بيه أصابعه كأمثال العيون ، قال : فشربنا وتوضأنا ، فقلت لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة" .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٨٢/٦) ح٣٥٩٨ ، بلفظ : "كنت أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط ، فمر بي رسول الله ﷺ وأبو بكر ، فقال: «يا غلام هل من لبن ؟» قال: قلت: نعم ، ولكني مؤتمن ، قال : «فهل من شاة لم يَنْزُ عليها الفحل؟» فأتيته بشاة ، فمسح ضرعها ، فنزل لبن فحلبه في إناء ، فشرب وسقى أبا بكر ، ثم قال للضرع : «اقلص» ، فقلص ، قال : ثم أتيته بعد هذا ، فقلت: يا رسول الله علمني من هذا القول ، قال: فمسح رأسي وقال: «يرحمك الله فإنك غليم مُعَلَّم» ، قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي- : "إسناده حسن" ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٣٦/١٥) ، ككتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رضوان الله عليهم وقد فعل ، ذكر عبدالله بن مسعود الهذلي ﷺ ، ح٧٠٦١ .

(٤) هي عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة ، أم معبد الخزاعية ، ويقال : عاتكة بنت خالد بن خليف بن منقذ . الاستيعاب (١٠٦/٢) ، أسد الغابة (١٨٠/٧) ، وقد أخرج حديث الرسول معها ابن عبدالبر في الاستيعاب (١٣٧/٢) ، من طريق حبيش بن خالد وهو أخو أم معبد ﷺ ، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل (٣٣٧/٢) ح٢٣٨ ، والبيهقي في الدلائل (٢٦٦/١) ح٢٣٥ ، والحاكم في المستدرك (١٠/٣) ح٤٢٧٤ ، وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" .

القومَ بعد ما كانت لا تلحقهم إلا مع شدة (شديدة)[1][2] فكل ذلك محض بركةٍ أظهرها الله تعالى به وأجْراها على من أجراها بسببه ولم يكن حينئذ في معرض إظهار معجزة وإقامة حجة ودعاءٍ إلى نفسه وإن كانت مما يُستشهد بها في ثاني الحال على شرفه وعظم شأنه وعلوّ مكانه وصدقه في دعواه ﷺ ؛ وأما ناقة صالح عليه السلام و عظم خلقها وبديع شكلها وتذليل الله تعالى (لها)[3] في يده فهذا شئ خُلِقَ لإبْرام أمْرٍ أراده الله تعالى لا يتم إلا على هذا الوجه وإنّما خُلقت لتطيعه وتَذِلّ وهي كانت مُعجزته الشاهدة برسالته والمصدّقة بنبوته والمعجزة الخارقة في تذليل المستصْعَبِ من الإبل المعتادِ صيالُها المعهودِ نُفورُها فإن محمداً ﷺ ذُللَّ له المُسْتَصْعَبُ من الإبل كما في حديث جابر رضي الله عنه قال : سرنا مع رسول الله ﷺ فإذا جمل نادٌّ من صاحبه حتى إذا كان بين السِماطين خرّ ساجداً لرسول الله ﷺ فقال : «مَن صاحبُ هذا الجمل» فإذا فِتْيَةٌ من الأنصار قالوا : هو لنا يا رسول الله ، قال : «فما شأنه» ، قالوا : سَنَيْنا[4] عليه مُنذ عشرين سَنة وكانت به شُحَيمة ، فأردنا أن ننحره فنقسمه بين غلماننا فانفلتَ منّا ، قال : «تبيعونه» ، قالوا : لا بل هو لك يا رسول الله ، قال : «أمّا لي فأحسنوا إليه حتى يأتي أجَلُه [ق٣٨/ظ] »[5] ؛ وفي رواية عنه قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفر ، حتى دُفعنا إلى حائطٍ من

---

(١) "شديدة" ليس في ب .

(٢) أخرج خبر الرسول ﷺ مع حليمة ابن حبان في صحيحه (٢٤٣/١٤) ح٦٣٣٥ ، من طريق عبدالله بن جعفر عن حليمة السعدية رضي الله عنها ، قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على صحيح ابن حبان : "في سنده انقطاع" ؛ وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢١٢/٢٤) ح٢٠٥٦٦ .

(٣) "لها" ليس في ب .

(٤) في هامش أ "الظاهر : سنونا" ، وهو اللفظ الذي رواه البيهقي في الدلائل (١٤٦/٦) ح٢٢٦٨ ، والمثبت قد رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٨٤/١٦) ح٣٢٤١٣ ، تحقيق : محمد عوامة ، الطبعة الأولى ١٤٢٧ ، دار القبلة .

(٥) أخرجه بنحوه من طريق أبي الزبير عن جابر : أبو نعيم في الدلائل (٣٨١/٢) ح٢٨١ ، والدارمي في سننه (١٦٧/١) ، كتاب دلائل النبوة ، باب ما أكرم الله تعالى نبيه ﷺ من إيمان الشجر والبهائم والجن ، ح١٧ ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٨٤/١٦) ح٣٢٤١٣ ، والبيهقي في الدلائل (١٤٦/٦) ح٢٢٦٨ ، قال ابن كثير في إسناد البيهقي : "وهذا إسناد جيد رجاله ثقات" . البداية والنهاية (١٥٦/٦) ، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٩٩/٧) : "رواه البيهقي في دلائل النبوة مطولاً جداً من طريق إسماعيل به ، قلت : إسماعيل سيء الحفظ ، وقد ذكر الدارقطني أنه تفرد بهذا الحديث بطوله" .

حيطان بني النجّار ، فإذا فيه جمل عظيم قَطِمٌ يعني هائجاً لا يدخل الحائط أحد إلا شدَّ عليه ، فجاء النبي ﷺ حتى أتى الحائط فدعا البعير فجاءه[1] واضعاً مَشْفِرَهُ في الأرض ، حتّى بَرَكَ بين يديه ، فقال النبي ﷺ : «هاتوا خِطاماً» ، فخطمَه ودفعه إلى أصحابه ، ثم التفت إلى الناس ، فقال : «إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله غيرَ عاصي الجنّ والإنس»[2] ؛ وعن ثعلبة بن أبي مالك[3] قال : (اشترى)[4] إنسان من بني سَلِمَة جملاً ينضح عليه فأدخله مربداً فجرَّهُ كيما يعمل ، فلم يقدر أحد أن يدخل عليه إلا تخبّطه فجاء رسولَ الله ﷺ فذكر ذلك له[5] ، فقال : «افتحوا عنه» ، فقالوا : نخشى عليك يا رسول الله ، قال : «افتحوا (عنه)[6]» ، ففتحوا فلمّا رآه الجمل خرّ ساجداً فسبّح القوم وقالوا : يا رسول الله نحن كنّا أحقّ بالسجود لك من هذه البهيمة ، قال : «لو ينبغي لشيء من الخلق أن يسجد لشيء من دون الله لانبغى[7] للمرأة أن تسجد لزوجها»[8] ؛ وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان لآل رسول الله ﷺ وحش ، فكان رسول الله ﷺ إذا خرج قام فأقبل وأدبر ، فإذا دخل النبي ﷺ رَبَض فلم يترمرم كراهية أن يُؤذِيَه[9] .

---

(١) في ب "فجعله" ، وهو خطأ .

(٢) أخرجه بنحوه من طريق الذيال بن حرملة عن جابر بن عبدالله ﷺ : أبو نعيم في الدلائل (٢/٣٨٠-٣٨١) ح٢٧٩ ، والدارمي في سننه (١/١٦٩) ، كتاب دلائل النبوة ، باب ما أكرم الله تعالى به نبيه ﷺ من إيمان الشجر به والبهائم والجن ، ح١٨ ، أحمد في مسنده (٢٢/٢٣٦) ح١٤٣٣٣ ، قال محققوا –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "صحيح لغيره ، وهذا إسناد حسن" .

(٣) قال ابن حجر : "ثعلبة بن أبي مالك القرظي ، مختلف في صحبته ، قال ابن معين : له رؤية ، وقال ابن سعد : قدم أبو مالك واسمه عبد الله بن سام من اليمن وهو من كندة فتزوج امرأة من قريظة فعرف بهم ، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين ، وقال أبو حاتم : هو تابعي وحديثه مرسل" . انظر : الإصابة (١/٤٠٧) .

(٤) "اشترى" ليس في ب .

(٥) في ب "كله" .

(٦) "عنه" ليس في ب .

(٧) في ب "لنبغى" .

(٨) أخرجه أبو نعيم بنحوه في الدلائل (٢/٣٨٢) ح٢٨٢ .

(٩) أخرجه بنحوه : أحمد في مسنده (٤١/٣٢٠) ح٢٤٨١٨ ، والطبراني في المعجم الأوسط (٦/٣٤٨) ح٦٥٩١ ، وأبو يعلى في مسنده (٧/٤١٨) ح٤٤٤١ ، قال الهيثمي : "رجال أحمد رجال الصحيح" .

فصل

مفاضلة بين ما أوتي يوشع بن نون عليه السلام وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ

وأما ردّ الشمس ليوشع بن نون عليه السلام فإنها لم تَرُدَّ بعد غروبها ولكنها وقفت بدعائه ، وذلك أنه كان في غزوٍ وأشرف على الفتح وكادت الشمس أن تغيب فخاف إن غابت أن لا يتم له أمر الفتح فدعا الله تعالى فقال : اللهم إني مأمور وإنها مأمورة فاحبسها علي شيئاً حتى يفتح لي فحبسها الله تعالى له[1] ولا ريب في إجابة دعاء الأنبياء والصالحين لا سيما في أمور الدين ، والمعجز الكبير الذي أوتيه محمد ﷺ من هذا الجنس أعظم وهو انشقاق القمر (نصْفَين لما سأله المشركون آية فأراهم القمر)[2] وقد انشقّ حتى رأوا الجبل بين الشّقتين [ق٣٩/و] فقال للنّاس[3] : «اشهدوا»[4] وجاء من كان غائباً فأخبر أنه رآه منشقاً كذلك ، فقال بعضهم : إن كان محمّد قد سَحَرنا فلم يكن سَحَرَ الناسَ كلهم[5] ، وانشقاق القمر كذلك أعظم من وقوف الشمس على حالها وهيئتها .

---

(١) أخرجه البخاري (٤/٨٦) ، كتاب فرض الخمس ، باب قول النبي ﷺ : «أحلت لكم الغنائم» ، ح٣١٢٤ ، ومسلم (٣/١٣٦٦) ، كتاب الجهاد والسير ، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة ، ح١٧٤٧ ، من طريق أبي هريرة رضي الله عنه ، بلفظ : «غزا نبي من الأنبياء ، فقال لقومه : لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة ، وهو يريد أن يبني بها ؟ ، ولما يبن ، ولا آخر قد بنى بنياناً ، ولما يرفع سقفها ، ولا آخر قد اشترى غنمًا -أو خلفات- وهو منتظر ولادها» قال : «فغزا فأدنى للقرية حين صلاة العصر ، أو قريباً من ذلك ، فقال للشمس : أنت مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علي شيئاً ، فحبست عليه حتى فتح الله عليه ...» الحديث ، واللفظ لمسلم .

(٢) ما بين القوسين ليس في ب .

(٣) في ب "الناس" ، وهو خطأ ، فالقائل هو الرسول ﷺ .

(٤) أخرجه البخاري (٤/٢٠٦) ، كتاب المناقب ، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر ، ح٣٦٣٦ ، ومسلم (٤/٢١٥٨) ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، ح٢٨٠٠ ، من طريق عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، بلفظ : "انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين ، فقال النبي ﷺ : «اشهدوا» ، واللفظ للبخاري .

(٥) أخرجه بنحوه : أحمد في مسنده (٢٧/٣١٤) ح١٦٧٤٩ ، والبيهقي في الدلائل (٢/١٥١) ح٥٧٠ ، وأخرجه الترمذي (٥/٣٩٨) ، أبواب تفسير القرآن ، باب ومن سورة القمر ، ح٣٢٨٩ ، من طريق جبير بن مطعم رضي الله عنه ، بلفظ : "انشق القمر على عهد النبي ﷺ حتى صار فرقتين : على هذا الجبل ، وعلى هذا الجبل ، فقالوا : سحرنا محمد ، فقال بعضهم : لئن كان سحرنا فما يستطيع أن يسحر الناس كلهم" ، قال الألباني : "صحيح الإسناد" . صحيح الترمذي (٣/١١٢) ح٢٦٢٢ .

فصل

مفاضلة بين ما أوتي داود عليه السلام وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ

وأما داود عليه السلام فقد قال الله تعالى في حقه : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ:١٠-١١] فمحمّد ﷺ قال الله تعالى (له)[1] : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣] فجعل الفضل الذي آتاه داود عليه الصلاة والسلام فضلاً مُرسَلاً ، وجعل الفضل الذي آتاه محمداً ﷺ فضلاً عظيماً ، وأما قوله تعالى : ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ [سبأ:من الآية ١٠] فالحَصى من جنس الجبال وكان يسبّح في يد محمّدٍ ﷺ بل وفي أيدي أصحابه رفعةً لشأنه وبياناً لبرهانه ، روى أبو نعيم وغيره عن سويد بن يزيد قال : كنت اتتبع رسول الله ﷺ في خلواته فدخلت ذات يوم المسجد فإذا هو فيه فجئت فجلست ، فبينا أنا جالس إذ جاء أبو بكر رضي الله عنه ، فقال رسول الله ﷺ : «ما جاء بك (يا أبا بكر)[2]» ، فقال : إلى الله وإلى رسوله ، فجلس (عن يمين)[3] رسول الله ﷺ ، ثم جاء عمر رضي الله عنه ، فقال : «ما جاء بك يا عمر» ، قال : إلى الله وإلى رسوله ، قال : فجلس عن شمال رسول الله ﷺ ، قال : ثم جاء عثمان ، فقال له : «ما جاء بك يا عثمان» ، فقال : إلى الله وإلى رسوله ، قال : فأخذ رسول الله ﷺ سبع حصياتٍ فسبّحن في يده حتى سمعت حنينهنّ كحنين الإبل ثم وضعهن فخَرِسْن ، ثم أخذهن فدفعهن في يدا أبي بكر رضي الله عنه ، قال : فسبّحن في يده حتى سَمِعتُ حنينَهن كحنين النّحل ثم وضعهن فخَرِسْن ، ثم أخذهن فدفعهن في يد عمر رضي الله عنه فسبحن في يده

(١) "له" ليس في ب .

(٢) "يا أبا بكر" ليس في ب .

(٣) "عن يمين" ليس في ب .

حتى سمعت حنينهن كحنين النّحل ثم وضعهن فخَرِسن[1] ؛ وعن علقمة [ق٣٩/ظ] عن عبدالله ﷺ قال : كنّا نأكل عند النبي ﷺ فنسمع تسبيح الطّعام[2] ؛ وأما تأويب الطير معه فإنه عليه الصلاة والسلام كان حسن الصّوت إذا قرأ الزبور جاوبته الجبال والطّير ، فقد كان في أصحاب محمد ﷺ من أوتي مثل ذلك ، فقد سمع النبي ﷺ ليلة قراءة أبي موسى الأشعري ﷺ فقال[3] : «لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داود»[4] ، وروى أبو عمر بن عبدالبَرّ في الاستيعاب عن أبي عثمان النهديّ أنه قال : أدركت الجاهلية فما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا مزمار أحسن من صوت أبي موسى بالقرآن وإن كان ليصلي بنا صلاة الصبح فنَودّ لو قرأ بالبقرة من حسن صوته ، قال أبو حفص فحدثت به يحيى بن سعيد فاستحسنه واستعادَنيه غير مرّة[5] ؛ فأما هو ﷺ فقد ثبت في صحيح البخاري عن البراء بن عزاب ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ يقرأ في العشاء : ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١﴾ [التين:١] فما سمعتُ أحداً أحسن صوتاً منه أو قراءة[6] ، ولمّا سمعت الجنّ قراءته (قالوا : إنا سمعنا قرآناً)[7] عجباً يهدي إلى الرشد ، وأعجب من ذلك نزول السّكينة لقراءة بعض أصحابه وهو أُسَيدُ بن حُضَير ﷺ[8] فإنه كان يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه

---

(١) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٩٣ .

(٢) أخرجه البخاري (٤/١٩٤) ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ح٣٥٧٩ ، بلفظ : "ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل" ؛ وأخرجه أبو نعيم في الدلائل (١/٥٩٢) ح٥٣٨ .

(٣) في ب "قال" بدون الفاء .

(٤) أخرجه النسائي في السنن الصغرى (٢/١٨٠) ، كتاب الافتتاح ، تزيين القرآن بالصوت ، ح١٠١٩ ؛ قال الألباني : "صحيح الإسناد" . صحيح سنن النسائي (١/٣٣٣) ، الطبعة الأولى ١٤١٩ ، مكتبة المعارف ، الرياض ، وأخرجه بنحوه البخاري (٦/١٩٥) ، كتاب فضائل القرآن ، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن ، ح٥٠٤٨ ، ومسلم (١/٥٤٦) ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ، ح٧٩٣ .

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/٢٥٩) ، (٢/٤٩) .

(٦) أخرجه البخاري (٩/١٥٨) ، كتاب التوحيد ، باب قول النبي ﷺ : «الماهر بالقرآن مع الكرام البررة» ، ح٧٥٤٦ ، بلفظ : «فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه» .

(٧) ما بين القوسين ليس في ب .

(٨) أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك الأنصاري الأشهلي ، اختلف في كنيته ، والأشهر أبو يحيى وهو يقول ابن إسحاق وغيره ، أسلم قبل سعد بن معاذ على يدي مصعب بن عمير ، وكان ممن شهد العقبة الثانية ، وهو من النقباء ليلة العقبة ، وجرح يوم أحد سبع جراحات وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انكشف الناس ،

فرس مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر منها فلمّا أصبح ذَكر ذلك للنبي ﷺ فقال : «تلك السكينة[1] نزلت للقرآن»[2] وفي رواية أخرى قال : «تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبح الناس ينظرون إليها لا تتوراى منها»[3] وكان حسن الصّوت ، فدنوّ السكينة والملائكة لسماع قراءة ابن خضير أعظم من تسمّع الجبال والطير والوحش لصوت داود عليه الصلاة والسلام ، وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون و المشركون والجن والإنس"[4] ، وقد سخّر الله تعالى لنبينا ﷺ من الوحش والبهائم [ق٤٠/و] ماهو أعظم من الطير كالذئب الذي نطق بنبوته وشهد برسالته وكالجمل الشارد الذي سجد له وانقادَ إلى طاعته[5] ؛ وروى أبو سعيد الخدريّ ﷺ قال : بينا راعٍ بالحَرَّة إذِ انتَهَز الذِّئبُ شاةً فتبعه الراعي فحال بينه وبينها ، فأقبل الذئب على الراعي فقال : يا راعي ألا تتقي اللهَ تحول بيني وبين رزق ساقه الله إليّ ، فقال الرّاعي : العَجب من ذئب مقعياً على ذنبه يكلمني بكلام الإنس ، فقال الذئبُ : ألا أخبرك بما هو أعجب من هذا ؟ رسول الله ﷺ بين الحَرَّتين يدعو الناس إلى أنباء ما قد سبق ، فَساق الرّاعي شاءَهُ حتّى أتى المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ثم دخل على النبي ﷺ فأخبره بما قال الذئب ، فخرج رسول الله ﷺ فقال للراعي : «أخبرهم بما قال الذئب» فقال رسول الله ﷺ : «صدق الراعي ، إنّ من أشراط الساعة كلامَ السّباع الإنسَ والذي نفسي بيده لا تقوم السّاعة حتى تكلّم السّباعُ الإنسَ»[6] ؛ وعن حمزة بن أبي أسيد[1] قال :

توفي أسيد بن حضير في شعبان سنة عشرين ، وقيل : سنة إحدى وعشرين . الاستيعاب (١/٣٠) .

(١) في ب "السفينة" ، وهو خطأ .

(٢) أخرجه البخاري (٦/١٨٨) ، بنحوه في كتاب فضائل القرآن ، باب فضل سورة الكهف ، ح٥٠١١ ، وأخرجه مسلم (١/٥٤٧) ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب نزول السكينة لقراءة القرآن ، ح٧٩٥ .

(٣) أخرجه البخاري (٦/١٩٠) ، بنحوه في كتاب فضائل القرآن ، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن ، ح٥٠١٨ ، وأخرجه مسلم (١/٥٤٨) ، بنحوه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة لقراءة القرآن ، ح٧٩٦ ، بلفظ : «تلك الملائكة كانت تسمع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم» .

(٤) أخرجه البخاري (٦/١٤٢) ، كتاب تفسير القرآن ، باب : ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾ [النجم:٦٢] ، ح٤٨٦٢ .

(٥) سيأتي تخريجه –إن شاء الله– في موضع لفظ الحديث .

(٦) أخرجه بنحوه : البيهقي في الدلائل (٦/١٧٤) ح٢٢٨٩ ، وأبو نعيم في الدلائل (٢/٣٧٣-٣٧٤) ح٢٧٠ ، وابن

خرج النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار إلى بقيع الغرقد ، فإذا الذئب مفترش ذراعيه قال رسول الله ﷺ : «هذا أويس يستقضي فافرِضوا له» قالوا رأيَك يا رسول الله ، قال : «لكل سائمة[2] شاة في كل عام» ، فقالوا : كثير ، «فأشار إليه أن خالِسْهم»[3] ؛ وعن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن عبدالله ﷺ قال : كنّا مع رسول الله ﷺ في سَفرٍ فدخل رجل غَيْضةً[4] فأخرج منها بيض حُمَّرة ، فجاءت الحُمَّرة تَرِفُّ على رسول الله ﷺ فقال : «أيّكم فَجَع هذه ؟» ، قال رجل : أنا أخذت بَيْضها ، فقال : «رُدَّه رحمةً لها»[5] ؛ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا أراد الحاجة أبعد المشي ، فانطلق يوماً لحاجته ، ثم توضأ ولَبِسَ أحدَ خُفيه ، ثم جاء طائر أخضر فأخذ الخُفّ الآخر ، فارتفع به ثم ألقاه فخرج منه أسود سالخ فقال رسول الله ﷺ : «هذه كرامة أكرمني الله تعالى بها» ثم قال رسول الله ﷺ [ق٤٠/ظ] : «اللهم إني أعوذ بك من شر من يمشي على رجلين ، ومن شر من يمشي على بطنه ، ومن شر من يمشي على

حبان في صحيحه (١٤/٤١٨) ، باب المعجزات ، ذكر شهادة الذئب لرسول الله ﷺ على صدق ، ح٦٤٩٤ ، والحاكم في مستدركه (٤/٥١٤) ، كتاب الفتن والملاحم ، ح٨٤٤٤ ، وقال : "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه" .

(١) هو حمزة بن أبي أسيد الساعدي المدني ، كنيته : أبو مالك ، واسم أبي أسيد مالك بن ربيعة الأنصاري ، يروي عن أبيه ، روى عنه الزهرى ، مات في زمن الوليد بن عبد الملك . الثقات لابن حبان (٤/١٦٨) .

(٢) السائمة من الماشية : الراعية . النهاية (٢/١٠٣٩) .

(٣) أخرجه البيهقي بنحوه في دلائل النبوة (٦/١٧٢) ح٢٢٨٨ .

(٤) غيضة : وهي الشجر المتلف . النهاية (٣/٧٥٥) .

(٥) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٢/٥٩٤) ح٥٣٩ ، والبيهقي في الدلائل (٦/١٦٢) ح٢٢٨١ ، وأخرجه أحمد بنحوه في مسنده (٦/٣٨٥) ح٣٨٣٥ ، وأخرجه أبو داود في سننه (٣/٥٥) ، كتاب الجهاد ، باب في كراهية حرق العدو بالنار ، ح٢٦٧٥ ، بلفظ : "كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فانطلق لحاجته فرأينا حمَّرة معها فرخان فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش ، فجاء النبي ﷺ فقال : «من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها ...» ، قال الألباني : "صحيح" . صحيح الترغيب والترهيب (٢/٥٥٣) ح٢٢٦٨ ، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤/٢٦٧) ، كتاب الذبائح ، ح٧٥٩٩ ، بلفظ : "كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ومررنا بشجرة فيها فرخا حمرة فأخذناها ، قال : فجاءت الحمرة إلى رسول الله ﷺ وهي تصيح ، فقال النبي ﷺ : «من فجع هذه بفرخيها؟» ، قال : فقلنا : نحن ، قال : «فردوها»" ، قال الحاكم : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" .

أربع»[1] ، وأعجب من هذا تسخير[2] السَبُع لغلامه سَفِينة[3] ، لمّا ضلّ مرّ به الأسد فلمّا رآه قال : أنا سَفِينة مولى رسول الله ﷺ فهَمْهَمَ الأسَدُ به ودَلّه على الطريق[4] ؛ وأما إلانة الحديد لداود عليه السلام فإنّ إلانَةَ الحديد معروفة بالنّار وقد ألان الله تعالى الحجارة لمحمد ﷺ ولا يعرف لينُ الحجارة لا بالنار ولا بغيرها وهذا أبلغ ، فإن الله تعالى ألان لمحمّد ﷺ صخرة بيت المقدس حتى صارت كهيئة العجين فخرقها بيده وربَط فيها البراق[5] ، وكذلك حجر كان في بعض شعاب مكة أصَمّ صَلدٌ استروح إليه[6] في صلاته فَلان له حتى أثّر فيه بذراعيه وساعديه[7] ، ويوم أُحُد مال برأسه إلى الجبل ليُخفي شخصه عنهم فليّن الله تعالى له الجبل حتى أدخل (فيه)[8] رأسه[1] ، وتحرّك الجبل (مرّةً)[2] تحته فقال :

---

(١) أخرجه بنحوه أبو نعيم في الدلائل (١/١٩٨) ح١٥٠ ، والطبراني في الأوسط (٩/١٢١) ح٩٣٠٤ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٢٠٣) ح٩٩٤ : "رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه سعد بن طريف ، واتهم بالوضع" .

(٢) في ب "لتسخير" بزيادة اللام .

(٣) سفينة مولى رسول الله ﷺ ، وقيل : مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ وهي أعتقته ، واختلف في اسمه فقيل : مهران ، وقيل : رومان ، وقيل : عبس ، كنيته أبو عبد الرحمن وقيل : أبو البختري ، وأبو عبدالرحمن أكثر وأشهر ، توفي سفينة في زمن الحجاج . انظر : أسد الغابة (٢/٥٠٣) ، الاستيعاب (١/٢٠٧) .

(٤) أخرج أبو نعيم في الدلائل (٢/٥٨٣-٥٨٤) ح٥٣٥ ، من طريق سفينة رضي الله عنه ، بلفظ : " ركبت سفينة في البحر فانكسرت لوح منها فطرحتني في ملتجة فيها الأسد ، فقلت : يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فطأطأ رأسه وجعل يدفعني بجنبه أو بكتفه حتى وضعني على الطريق فلما وضعني على الطريق همهم فظننت أنه يودعني" ، وأخرجه بنحوه : البيهقي في الدلائل (٦/١٧٩) ح٢٢٩٣ ، والبزار في مسنده (٩/٣٨٥) ح٣٨٣٦ ، والطبراني في المعجم الكبير (٧/٨٠) ح٦٤٤٧ ، والحاكم في مستدركه (٢/٦٧٥) ح٤٢٣٥ ، وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" .

(٥) أخرج الترمذي (٥/٣٠١) ، في أبواب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة بني إسرائيل ، ح٣١٣٢ ، من طريق بريدة بن حصيب رضي الله عنه ، بلفظ : «لما انتهينا إلى بيت المقدس قال جبريل بإصبعه ، فخرق به الحجر ، وشد به البراق» ، قال الترمذي : "هذا حديث غريب" ، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٢/٣٩٢) ، كتاب التفسير ، ومن تفسير سورة بني إسرائيل ، ح٣٣٧٠ ، وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ، وأخرجه بنحوه : ابن حبان في صحيحه (١/٢٣٥) ح٤٧ ، والبزار في مسنده (٢/١٣٩) ح٤٣٩٨ ، قال الألباني : "كنت ضعفت الحديث في بعض التعليقات القديمة ، ولما قسمت السنن الأربعة إلى قسمين (الصحيح) و(الضعيف) ، و منها (سنن الترمذي) ؛ اقتضاني إعادة النظر في بعض أحاديثه ومنها هذا ، فثبتت لي صحته" . سلسلة الأحاديث الصحيحة (٨/٥١) .

(٦) في ب "عليه" .

(٧) ذكره أبو نعيم في دلائل النبوة (٢/٥٩٥) .

(٨) "فيه" ليس في ب .

«اسكن فما عليك إلا نبيّ أو صديق أو شهيد[3]» وكان عليه هو[4] ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما[5] ، وهذا[6] وأمثاله أعجب من إلانة الحديد لداود عليه السلام ، وأعجب من هذا أنه كان إذا مشى على الصخر لان تحت أقدامه وإذا مشى على الرمل لايؤثر قدمه فيه[7] خرقاً للعادة الجارية على أنّ محمّداً ﷺ أعطي من تسخير الجبال ما لو شاء لصارت جبال مكّة معه ذهَباً وقال له مَلَكُ الجبال : إن شئت أن أُطْبِقَ عليهم الأخْشَبَينِ يعني جَبلي[8] مكّة على الكفّار فقال ﷺ : «بل أرجو أن يُخْرِجَ اللهُ من أصلابهم من يعبد الله تعالى لا يشرك به شيئاً»[9] .

---

(١) ذكره أبو نعيم في دلائل النبوة (٢/٥٩٤) .

(٢) "مرةً" ليس في ب .

(٣) في أ "شهيد أو صديق" بتقديم وتأخير .

(٤) في ب "هو عليه" بتقديم وتأخير .

(٥) أخرجه مسلم (٤/١٨٨٠) ، كتاب فضائل الصحابة ﭫ ، باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما ، ح٢٤١٧ ، من طريق أبي هريرة ﷺ ، بلفظ : "«اسكن حراء ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» ، قال أبو هريرة : "وعليه النبي ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ﭫ" .

(٦) في ب "هذا" بدون الواو .

(٧) قال الألباني في السلسلة الصحيحة (١/١٥٨) : "خصوصياته عليه السلام إنما تثبت بالنص الصحيح ، فلا تثبت بالنص الضعيف و لا بالقياس و الأهواء ، و الناس في هذه المسألة على طرفي نقيض ، فمنهم من ينكر كثيراً من خصوصياته الثابتة بالأسانيد الصحيحة ، إما لأنها غير متواترة بزعمه ، و إما لأنها غير معقولة لديه ، ومنهم من يثبت له عليه السلام ما لم يثبت مثل قولهم : إنه أول المخلوقات ، و إنه لا ظل له في الأرض و إنه إذا سار في الرمل لا تؤثر قدمه فيه ، بينما إذا داس على الصخر علم عليه ، و غير ذلك من الأباطيل ؛ و القول الوسط في ذلك أن يقال : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشر بنص القرآن و السنة و إجماع الأمة ، فلا يجوز أن يعطى له من الصفات والخصوصيات إلا ما صح به النص في الكتاب والسنة ، فإذا ثبت ذلك وجب التسليم له" .

(٨) في ب "جبل" .

(٩) أخرجه البخاري (٤/١١٥) ، كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم : آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ، ح٣٢٣١ ؛ ومسلم (٣/١٤٢٠) ، كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، ح١٧٩٥ ، من طريق عائشة رضي الله عنها ، بلفظ : «من يعبد الله وحده»

فصل

مفاضلة بين ما أوتي سليمان عليه السلام وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ

وأما ما أوتي سليمان عليه الصلاة والسلام فإنه قال : رب اغفر لي وهب لي مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ، يقول الله تعالى : ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص:٣٦-٣٩] فقد أعطي محمد ﷺ أعظم من ذلك فإنه ﷺ قال : «زُويَتْ لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإنّ ملك أمّتي سيبلغ ما زوي لي منها»[١] وقد أعطاه الله تعالى مفاتيح خزائن الأرض فأباها [وردها][٢] بحذافيرها وعرضَ له أن يجعل (له)[٣] بطحاء مكّة ذهباً فقال : «لا يا رب – ثلاثاً– [ق٤١/و] ، فإذا جُعتُ تضرّعتُ إليك وذكرتُك ، وإذا شبعتُ حمدتك وشكرتك»[٤] واختار ﷺ أن يجوع يوماً ويشبع يوماً فإذا جاع صَبر وتضرّع إلى الله ، وإذا شبع حمد الله وشكره[٥] ، وهاتان الحالتان الصبر و الشكر هما من أرفع مراتب العبادة التي يحصل بها المُلْك الكبير الذي لا ينقطع وهو ﷺ مَلِك الآخرة من بني آدم ، وفي حديث جابر ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أُتيتُ بمقاليد الدنيا على فرس أبلق» كما سيأتي ، وقد قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها : «يا عائشة لو شئتُ لسارت معي جبال الذّهب ، جاءني ملك إنّ حُجزته[٦] لَتُسَاوِي الكعبةَ ، فقال : إنّ ربّك يقرأ عليك السّلام[٧] ويقول لك : إن شئت نبيّاً عبداً وإن شئت نبيّاً مَلِكاً ، فنظر إليّ جبريل فأشار إليّ أن ضَعْ نفْسك ، فقلت : نبيّاً عبداً»[٨] والأحاديث في ذلك مشهورة كثيرة .

---

(١) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٣٧ .

(٢) مابين المعقوفتين بياض في الأصل ، وما ذكرته من ب .

(٣) "له" ليس في ب .

(٤) تقدم تخريجه ، انظر : ص٤٣٠ .

(٥) في ب "وشكر" بدون الضمير .

(٦) أصل الحجزة : موضع شد الإزار . النهاية (٣٤٤/١) .

(٧) في ب "يقرئك السلام" .

(٨) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٣١٨/٨) ح٤٩٢٠ ، وأخرجه بنحوه : أبو نعيم في الدلائل (٥٩٥/٢-٥٩٦) ح٥٤١ ، قال الألباني : "وهذا إسناد ضعيف ؛ أبو معشر ، واسمه نجيح بن عبد الرحمن السندي ؛ قال الحافظ في

فإن قيل : إن سليمان عليه السلام سُخرت له الرّيح تسير به في بلاد الله تعالى ، وكان غدوّها شهراً ورواحها شهراً ، قلنا : الذي أعطي محمّد ﷺ أعظم فإنه سار في ليلة واحدة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو مسيرة شهر ، وعرج به في ملكوت السموات مسيرة خمسين ألف سنة في أقلّ من ثُلث ليلة فدخل السموات سماءً سماءً ، ورأى عجائبها ، وطيف به في الجنّة ، وعرضت عليه النار ، وعرضت عليه أعمال أمّته ، وصلى بالأنبياء وبملائكة السموات ، وخرق من الحُجُب ما لا يعلمه إلا الله ، وأراه الله من آياته الكبرى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، وأعطاه الله تعالى خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش ، وعهد إليه أن يظْهر دينه على الأديان كلّها حتى لا يبقى في شرق ولا غرب إلا دينه ، أو يؤدّي إلى[1] أهل دينه الجزية عن يد وهم صاغرون ، وفرض عليه الصلوات الخمس ، ولقي موسى عليهما الصلاة والسلام ، وسأله مراجعة ربه تعالى في التخفيف عن أمّته مراراً ؛ هذا كله في بعض ليلةٍ فأيّما أعجب .

فإن قيل : (إنّ)[2] سليمان سُخرت له الجن وأنها كانت تعتاص عليه حتى يصفّدها كما ذكر الله تعالى : ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ [ص:٣٨] ، قيل : ما أعطي محمد ﷺ أعظم وذلك أن النّفر التسْعة[3] الذين هم أشراف الجن وعظماؤهم[4] [ق٤١/ظ] الذين وصفهم الله تعالى فقال : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ...﴾ الآية [الأحقاف:٢٩]

"التقريب" : ضعيف . نعم ؛ الحديث صحيح دون جملة الحجزة ، وبلفظ : " بل عبداً رسولاً" ، فقد جاء كذلك من حديث أبي هريرة بسند صحيح" . سلسلة الأحاديث الضعيفة (٥/٦٥) ح٢٠٤٥ .

(١) في ب "إليه" ، وهو خطأ .

(٢) "إن" ليس في ب .

(٣) اختلف أهل التأويل في مبلغ عدد النفر الذين قال الله : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الأحقاف:من الآية ٢٩] فقال ابن عباس : كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم ، وقال زر بن حبيش : بل كانوا تسعة نفر ، أحدهم زوبعة . انظر : تفسير الطبري (٢٢/١٣٤-١٣٥) .

(٤) اختلف أهل التأويل في مبلغ عدد النفر الذين قال الله : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الأحقاف:من الآية ٢٩] فقال ابن عباس : كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين ، وقال زر بن حبيش : بل كانوا تسعة نفر ، أحدهم زوبعة . انظر : تفسير الطبري (٢٢/١٣٥) .

فإنهم أتوه طائعين راغبين في دينه ، معظّمين لشأنه ، مصدّقين لرسالته ولما جاء به ، مؤمنين بنبوّته ، متّبعين لأمْره ، مستمدّين منه ، ومستمنحين له ، سائلين لهم ولدوابّهم الزّاد والعلف ، فجعل لهم كلّ عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديهم أوفر ما يكون لحماً ، وكل روثة وبعرة علف لدوابهم ، وعند ذلك نهى [النبي][1] ﷺ المسلمين أن يستنجوا بهما وقال : «إنهما طعام إخوانكم الجن»[2] ، فجعل الجن إخوان المسلمين ، ثم إن محمّداً ﷺ كان يجتمع بهم ويعلمهم ويتلو عليهم القرآن ، فلمّا سمعوه قالوا : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ ...﴾ الآيات [الجن:من الآية ١-٧] وأقبلت إليه وفودهم ليلة الجنّ المعروفةَ ألوفاً[3] مؤلّفة متبايعين له على الصوم والصلاة[4] والنصح للمسلمين ، واعتذروا إليه عن قولهم على الله سبحانه الشّطط ، فإنهم كانوا يزعمون أن لله[5] سبحانه وتعالى ولداً ، فسبحان من سخّرهم له وأذل أعناقهم بين يديه ، ولقد تمرّد عليه في بعض الأوقات عفريت ليقطع عليه صلاته (قال)[6] : «فأمكنني الله منه فذعَتُّه حتى سال لُعابُه على يدي فذكرت دعوة أخي سليمان فأطلَقتُه ولولا ذاك لأصبح مُوثَقاً يلعب به الولدان» وقد تقدم ذلك ، فهذا الغاية القصوى والدرجة العليا في التمكين والتمكن منهم والتحكّم فيهم حتى يصير العفريت الذي أُعطي من القوّة ما يحمل الجبل فَيَقلِبُه أعلاه أسفلَه ، آل حاله معه في الذل إلى

---

(١) "النبي" زيادة من ب .

(٢) أخرجه مسلم (١/٣٣٢) ، كتاب الصلاة ، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن ، ح٤٥٠ ، من علقمة عن ابن مسعود ﷺ ، بلفظ : "كنا مع رسول الله ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب ، فقلنا : استُطير او اغتيل ، قال : فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم ، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء ، قال : فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجد ، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، فقال : «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن» ، قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد ، فقال : لكم كل عظم ذُكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أو ما يكون لحماً وكل بعرة علف لدوابكم ، فقال رسول الله ﷺ : «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم» .

(٣) في أ "ألوف" بالرفع ، ويصح بتقدير محذوف ، وما أثبته من ب هو الوجه .

(٤) في ب "الصلاة والصوم" بتقديم وتأخير .

(٥) في ب لفظ "الله" الاسم ، وهو خطأ .

(٦) "قال" ليس في ب .

أن أراد أن يسلّمه إلى ولدان أهل المدينة يلعبون به فأيّ حكم أبلغ من هذا ، وتسخيرهم لسليمان عليه الصلاة والسلام كان في الأعمال الدنيوية ومحمد ﷺ كان معرضاً عنها وغاية ما كان يحتاج من العون في الجهاد وقتال المشركين فأعطاه الله تعالى أصحاباً كفاه بهم ما أراد وزيادة وأمدّه عند الحاجة بالملائكة (فقاتَلوا معه ولو أراد أن يسخّر الجن لما امتنع عليه ، فكان إمداده بالملائكة)[1] أعظم من عون الجنّ والإنس ؛ وتحصنه من [ق٤٢/و] مردة الشياطين بالأذكار التي علّمه رَبُّه تعالى إيّاها وعلّمها (هو)[2] ﷺ (أصحابَه)[3] معلوم يضيق هذا الموضع عن استقصائه ، وروى أبو نعيم عن عبدالله بن كثير بن جعفر بن أبي كثير[4] قال حدثنا كثير بن عبدالله[5] عن أبيه عن جدّه عن بلال بن الحرث[6] قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فخرج لحاجته ، وكان إذا خرج لحاجته أبعدَ فأتيته بإدواة من ماء فانطلق ، فسمعت عنده خصومةَ رِجال ولغطاً لم أسمع مثلها ، فجاء فقال : «بلال» ، فقلت : بلال ، (قال)[7] : «أمعك ماء» ، قلت : نعم ، قال : «أصبتَ» وأخَذه مني فتوضأ ، فقلت : يا رسول الله سمعت عندك خصومةً

---

(١) مابين القوسين ليس في ب .

(٢) "هو" ليس في ب .

(٣) "أصحابه" ليس في ب .

(٤) في الدلائل لأبي نعيم (٢/٥٩٧) : "عبدالله بن كثير بن حفص" ، وما ذكره السرمري هو المذكور في رواية ابن ماجه في سننه (١/١٢١) ، كتاب الطهارة وسننها ، باب التباعد للبراز في القضاء ، ح٣٣٦ ، وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب (٥/٣٢٠-٣٢١) : "عبدالله بن كثير بن جعفر بن أبي كثير الانصاري الزرقي مولاهم ، أبو عمر المديني ... روى له ابن ماجه حديثاً واحداً في الأبعاد لقضاء الحاجة ..." .

(٥) هو كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف بن زيد بن ملحة اليشكري المزني المدني ، قال الشافعي : أحد الكذابين أو أحد أركان الكذب ، وقال ابن حبان : روى عن أبيه عن جده نسخة موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب ولا الرواية إلا على جهة التعجب ، وقال ابن السكن : يروي عن أبيه عن جده أحاديث فيها نظر ، وقال الحاكم : حدث عن أبيه عن جده نسخة فيها مناكير . انظر : تهذيب التهذيب (٨/٣٧٧-٣٧٨) .

(٦) هو بلال بن الحرث المزني ، أبو عبد الرحمن ، وفد في رجب سنة خمس ، وكان معه لواء مزينة يوم الفتح ، له ثمانية أحاديث ، مات سنة ستين عن ثمانين سنة . انظر : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ص٥٣ ، للحافظ صفي الدين الخزرجي ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، ١٤١٦ ، دار البشائر ، بيروت .

(٧) "قال" ليس في ب .

ولغط رجالٍ ما سمعتُ[1] أحَدٌ من ألسنتهم ، قال : «اختصم عندي الجنّ المسلمون والجنّ المشركون ، سألوني فأسكنتُ المسلمين الجَلْسَ وأسكنت المشركين الغورَ» قال عبدالله بن كثير : قلت لكثير [بن عبدالله][2] : ما الجَلْس ، قال : القرى والجبال ، والغور : ما بين الجبال والبحار ، قال كثير : ما رأينا أحداً أصيب بالجلس إلا سلم ولا أصيب أحد بالغور إلا لم يكد يسلم[3] ؛ وعن أبي أُسَيد الخزرجي[4] أنه قطع ثمر حائطه وجعله في غُرفة له فكانت الغُول تخالفه إلى مَشربته فتَسرق ثمره[5] وتُفْسِدُ عليه ، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال : «تلك الغُول يا أبا أسيد[6] ، فاستمع لها فإذا سمعت اقتحامها – يعني : وجبتها – فقل : بسم الله أجيبي رسول الله ﷺ » فأخذها ، فقالت الغول : يا أبا أسيد اعفني أن تكلفني اذهب إلى نبي الله ﷺ وأعطيك موثقاً من الله أن لا أخالفك إلى بيتك ولا أسرق ثمرك وأدلّك على آية من كتاب الله تعالى لتقرأها على بيتك فلا يُخالَفُ إلى أهلك وتقرأ بها على إنائك فلا يُكشف غطاؤه[7] ، فأعطَتْهُ الموثق الذي رضي به منها ، فقال : والآية التي قلتِ أدلك عليها ، (قالت)[8] : هي آية الكرسي ، ثم حَلَّت استها تضرط ، فأتى النَّبي ﷺ فقصّ عليه القصّة ، قال : جئتُ ولها ولها ، فقال النبي ﷺ : «صدقت وهي كذوب»[9] ؛ وعن أبيّ بن كعب [ق٤٢/ظ] رضي الله عنه أنه كان له جُرن[10] فيه تمر ، وكان يتعاهدها فوجده ينقص فحرسَه ذات ليلة فإذا بدابّةٍ شبه الغلام المحتلم ، قال : فسلّمت فردّ السلام ، فقال : من أنتَ ، أجنّ أم إنس ، قال : لا بل

---

(١) في ب "لم أسمع" .

(٢) مابين المعقوفتين زيادة من ب .

(٣) دلائل النبوة (٢/٥٩٧-٥٩٨) ح٥٤٢ ، وأخرجه ابن ماجه مختصراً ، بلفظ : «كان إذا أراد الحاجة أبعد» .

(٤) تقدم ذكر ترجمته ، انظر : ص٤٣٨ .

(٥) في ب "ثمرته" .

(٦) في ب تكرار "تلك الغول" بعد "يا أبا أسيد" .

(٧) في ب "فلا نكشف غطاءه" .

(٨) "قالت" ليس في ب .

(٩) أخرجه الطبراني بنحوه في المعجم الكبير (١٩/٢٦٣) ح١٦٢٥٥ ، قال الهيثمي (٦/٣٢٢-٣٢٣) : "رواه الطبراني ورجاله وثقوا كلهم ، وفي بعضهم ضعف" .

(١٠) الجرن : هو موضع تجفيف التمر . النهاية (١/٧٣٨) .

جنّ ، قال : قلت : ناولني يدك ، فناولني يده ، فإذا يد كلب وشعر كلب ، فقلت : أهكذا خَلْقُ الجنّ ، قال : قد عَلِمَتِ الجنّ ما فيهم أشدُّ مني ، قلت : وما حملك على ما صنعت ، قال : بلغنا أنك رجل تحبّ الصدقة وأحببنا أن نصيب من طعامك ، قال له أبيّ : فما الذي يجيرنا منكم ، قال : آية الكرسي ، فجاء النّبيَّ ﷺ فأخبرَه بذلك ، فقال : «صَدَق الخبيث»[1] .

وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أنه كان له سَهْوة[2] له فيها طعام ، فكانت الغول تجيء فتأخذ منه ، فشكاها إلى النبي ﷺ فقال : «إذا رأيتها فقل : بسم الله ، أجيبي رسول الله» قال : فجاءت ، فقال لها فأخذها ، فقالت : إنّي لا أعود ، فأرسلها ، فجاء فقال له النبي ﷺ : «ما فعل أسيرك» ، فقال : أخذتها فقالت لا أعود فأرسلتها ، فقال : «إنها عائدة» ، فأخذتها مرتين أو ثلاثاً كل ذلك (تقول)[3] : لا أعود ، وَيجيء إلى النبي ﷺ فيقول : «ما فعل أسيرك» ، فيقول[4] : أخذتها فقالت لا أعود ، فيقول : «إنها عائدة» ، فأخذتها فقالت : أرسلني وأعلّمك شيئاً تقوله ولا يقربُك شيء آية الكرسي ، فأتى النّبيَّ ﷺ فأخبره فقال : «صَدَقَتْ وهي كذوب»[5] ، وعن أبي هريرة ﷺ قال :

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦/٢٣٩) ، بنحوه في كتاب عمل اليوم والليلة ، ذكر ما يجير من الجن والشياطين وذكر اختلاف الناقلين لخبر أبي فيه ، ح١٠٧٣٠ ، تحقيق : حسن عبدالمنعم شلبي ، الطبعة الأولى ١٤٢١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ؛ وأخرجه أبو نعيم بنحوه في الدلائل (٢/٥٩٩) ح٥٤٤ ؛ والبيهقي في الدلائل (٨/١٧٣) ح٣٠٣٤ ، والطبراني في المعجم الكبير (١/٢٠١) ح٥٤٤ ، وابن حبان في صحيحه (٣/٦٣) ، باب قراءة القرآن ، ذكر الاحتراز من الشياطين نعوذ بالله منهم بقراءة آية الكرسي ، ح٧٨٤ ؛ والحاكم في مستدركه (١/٧٤٩) ، كتاب فضائل القرآن ، أخبار في فضل سورة البقرة ، ح٢٠٦٤ ، وقال الحاكم : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ، وقال الألباني : "رواه النسائي والطبراني بإسناد جيد" . صحيح الترغيب والترهيب (١/٤١٨) ح٦٦٢ .

(٢) السهوة : بيت صغير منحدر في الأرض قليلاً شبيه بالمخْدَع والخِزانة ، وقيل : هو كالصُّفة تكون بين يدي البيت ، وقيل شبيه بالرف أو الطاق يُوضع فيه الشيء . النهاية (٢/١٠٤٧) .

(٣) "تقول" ليس في ب .

(٤) في ب "فقال" .

(٥) أخرجه أحمد بنحوه في مسنده (٣٨/٥٦٣) ح٢٣٥٩٢ ، وأبو نعيم في الدلائل (٢/٥٩٩-٦٠٠) ح٥٤٥ ، والترمذي (٥/١٥٨) ، في أبواب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ، ح٢٨٨٠ ، وقال : "هذا حديث حسن غريب" .

وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فذكر نحوه[1] ؛ وعن أبي الأسود الدّؤليّ قال : قلت لمعاذ بن جبل ﷺ أخبرني عن قصّة الشيطان ، قال : جعلني رسول الله ﷺ على تمر الصّدقة ، فكنت أدخل الغرفة فأجد في التمر نقصاً فذكرته لرسول الله ﷺ فقال : «إن الشيطان يأخذه» ، قال : ودخلت الغرفة وأسْفَقْتُ الباب عليّ فجاء سوادٌ[2] عظيم ، فغشي البابَ ثم دخل من شَقّ الباب ثم تحول في صورة فيل ، وجعل يأكل ، فشددتُ ثوبي على وسطي ، فأخذته فالتفَّت [ق٤٣/و] يداي على وسطه قال : قلت : ياعدوّ الله ما أدخلك بيتي تأكل التمر؟ ، قال : أنا شيخ كبير فقير ذو عيال وقد كانت لنا هذه الغُرفة قبل أن بُعث صاحبك فلمّا بعث خرجنا منها ونحن من جنّ نصيبين ، خَلِّ عني فإني لن أعود إليك ، وجاء جبريل ﷺ فأخبر النّبي ﷺ بخبره ، فلمّا صلّى الغداة نادى مناديه أين معاذ ؟ ، ما فعل أسيرُك ؟ فأخبرته ، فقال : «أما إنه سَيعود إليك» فجئت إلى الغرفة ليلاً وأغلقت الباب ، فجاء فجعل يأكل التمر فقبضت يدي عليه فقلت : يا عدوّ الله ، قال : إني لن أعود إليك بعد ، قال : قد قلت : إنك لا تعود ، قال : فإني أخبرك بشيء إذا قلته لم يَدخل الشيطان البيتَ ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ...﴾ إلى آخر السورة [البقرة:٢٨٤-٢٨٦][3] ؛ وروى الدّارميّ في جامعه عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال : لقي رجل[4] من أصحاب محمد ﷺ رجلاً من الجنّ ، فصارعَه فصرعه الإنسيّ ، فقال له الإنسيّ : إنّي لأراك ضَئيلاً شَحيباً[5] ، كأنّ ذُرَيِّعَتَيْك ذُرَيِّعَتا كلب ، فكذلك أنتم معشر الجن ، أم أنت من بينهم كذلك؟ ، قال : لا والله إنّي منهم لضليع ، ولكن عاوِدني الثانية

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٣/٤) ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ، ح٣٢٧٥ .

(٢) في ب "سواداء" ، وهو تصحيف .

(٣) أخرجه بنحوه أبو نعيم في الدلائل (٦٠٠/٢-٦٠١) ح٥٤٧ ، والبيهقي في الدلائل (١٧٥/٨) ح٣٠٣٥ ،

(٤) الرجل هو : عمر بن الخطاب ﷺ ، كما جاء في المعجم الكبير للطبراني (١٦٦/٩) ح٨٨٤٥ : "قال رجل من القوم : يا أبا عبدالرحمن –يقصد : عبدالله بن مسعود ﷺ– من ذاك الرجل من أصحاب النبي ﷺ ؟ قال : فعبس عبدالله وأقبل عليه ، وقال : من يكون هو إلا عمر ﷺ" .

(٥) في سنن الدارمي (٢١٢٨/٤) ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي ، ح٣٤٢٣ : "شخيتاً" ، والشخت والشخيت : النحيف الجسم الدقيقة . النهاية (١١١٥/٢) .

، فإن صرعتَني علّمتك شيئاً ينفعك ، [فعاوده فصرعه ، قال : هات علمني][1] ، قال : نعم ، قال : تقرأ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ...﴾ [البقرة:٢٥٥] ، **قال : نعم ، (قال)[2] : فإنك لا تَقرأوها في بيت إلا خرج منه الشيطان له خَبَجٌ كخَبَج الحمار ثم لا يدخله حتى يصبح ، قال الدارمي : الضئيل : الدقيق ، والشحيب : المهزول ، والضّليع : الجيّد الأضلاع ، والخبج : الريح يعني الضراط[3] ؛ وأبلغ من ذلك أن عماراً ﷺ صارع جنيّاً فصرعه عمّار ﷺ[4] ؛ وإن صح حديث قتال علي بن أبي طالب ﷺ للجنّ في بئر ذات العلم كان غاية في هذا الموضع ، وقد رواه من الحفاظ أبو الفضل ابن ناصر[5] شيخ ابن الجوزي ولكن ردّه غيره وقالوا[6] الحديث فيه موضوع فالله أعلم[7] ، والمقاتلة إنما مع العاصي ، والجنّ**

---

(١) الزيادة من سنن الدارمي (٢١٢٨/٤) ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي ، ح٣٤٢٣ .

(٢) "قال" ليس في ب .

(٣) سنن الدارمي (٢١٢٨/٤) ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي ، ح٣٤٢٣ ؛ والخبر أخرجه أيضاً الطبراني في المعجم الكبير (١٦٥/٩) ح٨٨٤٣ ، (١٦٦/٩) ح٨٨٤٥ ؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧١/٩) ح١٤٤٤٤-١٤٤٤٥ : "رواهما الطبراني بإسنادين ، ورجال الرواية رجال الصحيح إلا أن الشعبي لم يسمع من ابن مسعود ، ولكنه أدركه ، ورواة الطريق الأولى فيهم المسعودي ، وهو ثقة اختلط فبان لنا صحة رواية المسعودي برواية الشعبي" .

(٤) أخرج البيهقي في الدلائل (١٩٥/٨) ح٣٠٤٨ بإسنادين ، من طريق الحسن البصري عن عمار بن ياسر ﷺ ، بلفظ : "قد قاتلت مع رسول الله ﷺ الجن والإنس فقيل : هذا الإنس قد قاتلت . فكيف قاتلت الجن ؟ قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى بئر أستقي منها ، فلقيت الشيطان في صورته ، حتى قاتلني فصرعته ، ثم جعلت أدمي أنفه بفهر معي أو حجر فقال رسول الله ﷺ : «إن عمارا لقي الشيطان عند بئر فقاتله» فلما رجعت سألني ، فأخبرته بالأمر فقال : «ذاك شيطان» ؛ وقال : "الإسناد الأخير صحيح إلى الحسن البصري" .

(٥) هو أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي السلامي ، ولد سنة ٤٦٧ ، وكان حافظاً ، ضابطاً ، ثقة ، وكان كثير الذكر ، سريع الدمعة ، توفي سنة ٥٥٠ . انظر : مشيخة ابن الجوزي ص١٢٦-١٢٩ ، لأبي الفرج ابن الجوزي ، تحقيق : محمد محفوظ ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت .

(٦) في ب "وقال" .

(٧) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "لم يقاتل علي ولا غيره من الصحابة الجن ، ولا قاتل الجن أحد من الإنس ، لا في بئر ذات العلم ولا غيرها ، والحديث المروي في قتاله للجن موضوع مكذوب باتفاق أهل المعرفة" . مجموع الفتاوى (٤٩٢/٤) .

في هامش أ "قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام – رحمه الله تعالى ورضي عنه – :

قد جاءوه طائعين فما [ق٤٣/ظ] احتاج إلى قتالهم ، وذلك أبلغ ممن كان يستعصي على سليمان عليه الصلاة والسلام حتى يُصَفدهم ويستعملهم .

فإن قيل : إن سليمان عليه الصلاة والسّلام سخرت له الجنّ يستعملهم في أمور الدنيا فكانوا يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وكان يستعملهم و[1] يستعين بهم في أموره ويكلفهم ما أحبّ[2] ، قلنا : نعم وذلك فضيلة عظيمة ونعمة [جسيمة][3] كبيرة مما أنعم به على آل داود عليه السلام و(لكن)[4] سليمان عليه السلام طلب ذلك فإنه سأل ربَّه سبحانه وتعالى من المُلْك الذي لا يؤتاه غيره ، فكان من مقتضى ذلك الأعمال الصّعبة التي لا يقدر عليها بنو آدم فسخّر الله تعالى له الجنّ يعملونها له ، ومحمّد ﷺ لما عُرض عليه الملك وأن تجرى له بطحاء مكة وجبالها ذهباً اختار الفقر على الملك[5] لما أراد الله تعالى (له)[6] من عظم المنزلة في الآخرة ، فلم يحتج إلى عمل يُكَلف فيه الجن ، وإنما كان يحتاج إلى الجهاد ، وكان في أصحابه رضي الله عنهم كفاية ، ولمّا احتاج في بعض الأوقات إلى مزيد[7] مساعدة في الجهاد أنزل عليه الملائكة فقاتلت معه ، فكان عون محمد صلوات الله وسلامه عليه بالملائكة أعظم من عون سليمان عليه الصلاة والسلام بالجن ، وقد أشرنا إلى نحو ذلك فيما تقدم ، وأما أمور محمد ﷺ الدنيويَةُ التي احتاج فيها إلى مساعد ومعاضد فإنه لما تظاهر عليه بعض أزواجه في الغيرة أنزل الله تعالى يخوفهن من التظاهر والتواطؤ عليه فيما يسوؤه فقال تعالى : ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم:من الآية ٤] فأيّ ظهير أعظم من هذا وأيّ ناصر أقوى من هذا ،

الحديث المروي في قتال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للجن موضوع مكذوب باتفاق أهل المعرفة" .

(١) في ب "في" بدل حرف العطف ، وهو خطأ .

(٢) في ب "يحب" .

(٣) "جسيمة" زيادة من ب .

(٤) "لكن" ليس في ب .

(٥) تقدم تخريجه ، انظر : ص٤٣٠ .

(٦) "له" ليس في ب .

(٧) في ب "مزيدة" بزيادة التاء المربوطة ، وهو خطأ .

فكانت الملائكة المقرّبون أنصاره ﷺ ، وأعوانه ، يقاتلون بين يديه في الحروب كفاحاً ، ويمنعون عنه ، ويدافعون دونه ، ولمّا تواعدت قريش ليأخذوه فيقتلوه ، وقد دخل المسجد يصلّي ، فسمعوا صوتاً ما ظنّوا [ق٤٤/و] أنّه بقي بتهامة جبل إلا نتق فغشي عليهم فما عقلوا حتى قضى صلاته ، ثم رجع إلى أهله سالماً ، ثم تواعدوا عليه مرّة أخرى ، فنهضوا عليه فجاء الصَّفا والمروة حتى [التقت][1] إحداهما[2] بالأخرى ، فحالتا بينه وبينهم[3] ، ولمّا حلف أبو جهل ليطأنّ عنقه إن رآه مصلّياً فلما همّ بذلك لم يفجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه وقال : رأيت بيني وبينه خندقاً من نار وأهوالاً وأجنحة فقال رسول الله ﷺ لو دنا منّي لاختطفته الملائكة عضواً عضواً وقد تقدم ذلك .

فإن قيل : إن سليمان عليه الصلاة والسّلام كان عنده من عُلماء الكتاب مَن أتى بعرش بلقيس (قبل أن يرتدّ إليه طرفه)[4] ، قيل : لنبيّنا ﷺ أعظم منه ففي حديث الإسراء أن قريشاً لمّا كذّبته في حديثه عن بيت المقدس وكان فيهم من قد رأى المسجد قالوا : هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ ، قال : «نعم» ، قال : «فذهبت أنعت فما زلت أنعت حتى التبس علَيّ» وكان قد جاءه ليلاً ، قال : «فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وُضع دون دار عَقيل فَنَعَتُّ المسجدَ وأنا أنظر إليه» ، فقال القوم : أما النعت فوالله لقد أصاب[5] ؛ فهذا قد حُمل له بيت المقدس (في لحظة حتى وُضع بإزائه ينظر إليه ويخبرهم عنه ، وحمل بيت المقدس)[6] من مكانه إلى مكّة أعظم من حمل عرش بلقيس

---

(١) في أ ، ب "التقى" ، وما أثبته من دلائل النبوة لأبي نعيم (١/٢٠٩-٢١٠) ح١٦٠ .

(٢) في ب "إحديهما" .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/٢١٣) ح٣١٦٧ ، من طريق قيس بن حبتر ، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل (١/٢٠٩-٢١٠) ح١٦٠ ؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٢٧) ح١٣٨٧٠ : "رواه الطبراني ، ورجاله ثقات غير بنت الحكم فلم أعرفها" .

(٤) " قبل أن يرتدّ إليه طرفه" ليس في ب .

(٥) أخرجه أحمد (٥/٢٨-٢٩) ح٢٨١٩ ، والبزار في مسنده (٢/٢١٣) ح٥٣٠٥ ، والطبراني في المعجم الأوسط (٣/٥٢) ح٢٤٤٧ ، وفي المعجم الكبير (١٢/١٦٧) ح١٢٧٨٢ ، والبيهقي في الدلائل (٢/٢٥٠) ح٦٥٦ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٦٥) : "رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط ، ورجال أحمد رجال الصحيح" .

(٦) مابين القوسين ليس في ب .

إلى سليمان عليه الصلاة والسلام ، وفي حديث الإسراء أيضاً أنهم سألوه عن أشياء منها أنهم سألوه عن عيرهم قال : «مررت بها بالتّنعيم» ، قالوا : فما عِدّتها وأحمالها وهيئَتُها ، قال : «كنت في شغل عن ذلك» ، قال : «ثم مُثِّلَتْ له بعدّتها وأحمالها وهيئتها ومن فيها» ، فقال : «نعم هيئتها كذا وكذا ، وفيها فلان وفلان يقدُمها جمل أورق[1] عليه غرارتان محيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس» فأحصَوا جميع ذلك فوجَدوه كما أخبر[2] ؛ وحَمل البعير بأحمالها وما فيها أعظم [ق٤٤/ظ] من حمل عرش بلقيس ، ومن ذلك أن النّجاشي لما مات ضرب جبريل عليه السلام الجبال بجناحه فتوطأت حتى نظر النبي ﷺ إلى نعشه فصلّى عليه فيما قيل[3] ، وأعظم من ذلك كله ما في صحيح مسلم في حديثٍ ذكره عنه ﷺ أنه قال : «إنّي صُوّرت لي الجنّة والنّار ، فرأيتهما دون هذا الحائط»[4] ، (وأعظم)[5] من ذلك حمله على البراق إلى (فوق)[6] سبع سموات وإلى فوق سدرة المنتهى وخرق الحجب حتى دنا من ربّه تعالى وتقدس فكان قاب قوسين أو أدنى ، فكل ذلك أعظم من حمل عرش بلقيس من مسافة من الأرض قربت[7] أو بعدت

(١) في ب "ورق" ، قال ابن الأثير في النهاية (٥/٣٨٦) : "الأورق : الأسمر ، والورقة : السمرة ، يقال : جمل أورق وناقة ورقاء" .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤/٤٣٢) ح٢١٠٧٩ ، من طريق أم هانئ بن أبي طالب رضي الله عنها ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٧٦) : "رواه الطبراني في الكبير ، وفيه عبدالأعلى بن أبي المساور ، متروك كذاب" .

(٣) انظر : رد المحتار على الدر المختار (٢/٢٠٩) ، لابن عابدين ، الطبعة الثانية ١٤١٢ ، دار الفكر ، بيروت ؛ البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٢/٣١٥) ، لابن نجيم الحنفي ، الطبعة الأولى ١٤١٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ؛ وقد جاءت الإشارة إليه في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه الذي أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧/٣٦٩) ح٣١٠٢ ، فصل في الصلاة على الجنازة ، ذكر البيان بأن المصطفى ﷺ نعى إلى الناس النجاشي في اليوم الذي توفيه فيه، بلفظ : "أنبأنا رسول الله ﷺ أن أخاكم النجاشي توفي ، فقوموا فصلوا عليه ، فقام رسول الله ﷺ ، وصفوا خلفه ، وكبر أربعاً ، وهم لا يظنون إلا أن جنازته بين يديه" ، قال شعيب الأرنوؤط : "إسناده صحيح" .

(٤) أخرجه مسلم (٤/١٨٣٤) ، كتاب الفضائل ، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك ، ح٢٣٥٩ .

(٥) "وأعظم" ليس في ب .

(٦) "فوق" ليس في ب .

(٧) في ب "أقربت" بزيادة الهمزة .

، وعمل الملائكة مع محمد ﷺ مع إيمانهم بالله تعالى ورسوله ﷺ واليوم الآخر أعظم وأكمل من عمل الشياطين مع كفرهم بالله سبحانه وتعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام وتمرّدهم ، وما صبروا عليه من التسخير إلا تحكم سليمان عليه الصلاة والسلام فيهم ، وخوفهم من عقوبته إيّاهم ، فلما مات ولم يَعلموا بموته تَمُّوا في (العمل)[1] كما أخبر الله تعالى عنهم ، وقد كانوا يوهمون الإنسَ أنّهم يَعلمون الغيب فلبثوا معبَّدين في العمل ما شاء الله أن يلبثوا ، وسليمان عليه الصلاة والسلام مَيِّتٌ مُتوكِّئ على مِنسَأتِه ، فلمّا أكلتها الأرضة وقع ، فعلمت الإنس أن الجن كانت كاذبة في إدعائها علم الغيب ، لأنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ، وسليمان عليه السلام ميّت في تلك المدّة ، فأين تسخير هؤلاء المعاندين الكفّار المجتهدين في أذى سليمان عليه الصلاة والسلام وغيره من الإنس وانتظار غِرَّتهم كما يُذكر عن صَخرٍ المارد من الكيد والغدر لو قدر على ذلك من إسعاد الملائكة وإعانتهم ونصرهم لمحمّد ﷺ وجنده في غير موطن كيوم بدر والأحزاب وغيرهما قال الله تعالى : ﴿إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم [ق٤٥/و] مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم (بِهِۦ)[2] وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران:١٢٤-١٢٦] ، وقال (تعالى)[3]: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ (بِهِۦ قُلُوبُكُمۡ)[4] وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٩-١٠] وقال تعالى : ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى

---

(١) "العمل" ليس في ب .

(٢) "به" ليس في ب ، وهو خطأ ظاهر .

(٣) "تعالى" ليس في ب .

(٤) في ب "به قلوبكم" بتقديم وتأخير ، وهو خطأ ظاهر .

﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال:١٢] **وقد قال بعض الصحابة ﷺ : "إنّي لأتْبَعُ رجلاً من المشركين لأضرِبه إذ وقع رأسُه قبل أن يَصل إليه سيفي فعرَفتُ أنّ غيري قتله"[١] ، ولمّا أسَر أبو اليَسَر[٢] العبّاسَ ، قال له رسول الله ﷺ : «كيف أسرتَه» وكان العباس أشدّ بطشاً منه قال : لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده ، هيئته كذا وكذا ، فقال (له)[٣] رسول الله ﷺ : «لقد أعانك عليه ملَك كريم»[٤] .**

فإن قيل : إن سليمان عليه [الصلاة و][٥] السلام كان يفهم كلام الطّير كما قال تعالى عنه : ﴿عُلِّمْنَا[٦] مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل:من الآية ١٦] **وقصّة الهدهد ، ورسالته به إلى بلقيس ، وكلام النملة له ونحو هذا ، قلنا : لا شك في أنّ هذا فضل مبين ، وشرَف متين ، والفضل (بيده)[٧] تعالى يؤتيه من يشاء وهو ذو الفضل العظيم ، فقد أخبر الله تعالى أن الفضل الذي آتاه سليمانَ ﷺ مبين ،**

---

(١) أخرجه أحمد بنحوه (٣٩/١٩٥) ح٢٣٧٧٨ ، وأبو نعيم في الدلائل (٢/٤٧٢) ح٤٠٤ ، من حديث أبي داود المازني ﷺ ، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣/٤٣) ح٩٠٩ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٧/٢٧٧) ، من حديث أبي واقد الليثي ﷺ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٨٣) ح٩٩٩١ : "رواه أحمد ، وفيه رجل لم يسم" ، وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما عند مسلم (٣/١٣٨٣) ، كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم ، ح١٧٦٣ .

(٢) هو كعب بن عمرو ابن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي ، أبو اليسر ، شهد بدراً بعد العقبة ، فهو عقبي بدري ، يعد في أهل المدينة وبها كانت وفاته سنة خمس وخمسين . انظر : الاستيعاب (٢/٧٢) .

(٣) "له" ليس في ب .

(٤) أخرجه أحمد (٥/٣٣٤) ح٣٣٠٩ ، وأبو نعيم في الدلائل (٢/٤٧١-٤٧٢) ح٤٠٢ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٦/٢٨٨) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٨٦) ح١٠٠٠٦ : "رواه أحمد ، وفيه راو لم يُسم ، وبقية رجاله ثقات" .

(٥) "الصلاة و" زيادة من ب .

(٦) في أ ، ب "وعلمنا" بزيادة الواو ، وهو خطأ ظاهر .

(٧) "بيده" ليس في ب .

وأخبر أنّ ما آتى محمّد ﷺ من الفضل كان عظيماً (كما)[1] قال تعالى : ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:من الآية ١١٣] ، فكان ما أوتي سليمان عليه (الصلاة و)[2] السلام فضلاً مبيناً ، وما أوتي محمد ﷺ فضلاً عظيماً ، والعظيم أبلغ وأكمل وأفضل من المبين ، وليس منطق الطير والنملة بأعظم من منطق الذئب والغَزال والضبّ والجمل والحمار وغير ذلك ، بل ومنطق الجَماد كحنِين الجِذْع وتسليم الأحجار والأشجار [ق٤٥/ظ] وتسبيح الحصا والطعام في يده ﷺ وفي أيدي أصحابه كما تقدم ، وتكليم[3] ذراع الشاة المسمومة ، وفَهْمُ هذه (الأشياء)[4] كلامه ﷺ وفهمه كلامها كما أخبر عن الجمل أنه قال : أنّ صاحبه يُدْئِبُهُ ويجيعه، وأن الغزالة لها أولاد صغار، كما أشرنا إليه ونبّهنا عليه على أن محمداً ﷺ قد كان يفهم كلام الطير ويعرف مراده كما في الحديث أن بعض أصحابه أخذ فِراخَ حمّرة فجاءت الحمّرة فجعلت تُرَشِش على رؤوسهم فقال ﷺ : «مَن فجع هذه بِفراخها» ثم أمره بردّها[5] ، فقد روي عن معاذ بن جبل ﷺ قال : أتَى النّبيَّ ﷺ وهو بخيبر حمارٌ أسودُ فوقف بين يديه فقال : «من أنت؟» ، قال : أنا[6] عمرو بن فلان ،كنّا سبعةَ إخوة وكلّنا رَكِبَنَا الأنبياء وأنا أصغرهم ، وكنت لك فمَلكَني رجل من اليهود ، فكنت إذا[7] ذَكَرَكَ يعني بسوء كبَوت به فيُوجِعُني ضَرْباً ، وفي رواية : فكنت أعْثُرُ (به)[8] عمداً[9] ، فقال النبي ﷺ : «فأنتَ يَعْفور[10]»[11] ، وقد كلّمته ذِراعُ

---

(١) "كما" ليس في ب .

(٢) "الصلاة و" ليس في ب .

(٣) في ب "وتَكلُّم" .

(٤) "الأشياء" ليس في ب .

(٥) تقدم تخريجه ، انظر : ص٤٥١ .

(٦) في ب "أبا" ، وهو تصحيف .

(٧) في ب "إذ" .

(٨) "به" ليس في ب .

(٩) الرواية الثانية أخرجها ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤/٢٣٢) ، بلفظ : "وكنت أتعثر به عمداً" .

(١٠) قال ابن الأثير في النهاية (٣/٥١٦) : "قيل سمي يعفوراً للونه من العُفرة كما قيل في أخضر : يخضور ؛ وقيل : سمي بها تشبيهاً في عَدوه باليعفور وهو الظبي" .

(١١) أخرجه أبو نعيم بنحوه في الدلائل (٢/٣٨٦-٣٨٧) ح٢٨٨ ، قال ابن كثير في البداية والنهاية : (٦/١٢) :

الشاة المسمومة وقالت : فيَّ سَمّ فلا تأكلْني[1] ، فكلّ هذه الأمور وما يشابهها أعجب من كلام الطير والنملة ، وكان في تكليم هذه الأشياء لنبيّنا ﷺ معجزات كالتسليم عليه بالنبوة ، والشهادة له بالرسالة ، والتصديق لما[2] جاء به ، والتوسّل إليه والتشفع[3] به في الشدائد ، بخلاف كلام الطير والنملة ، فإنّ ذلك لم يكن لإظهار المعجز لسليمان عليه الصلاة والسلام ، وإنما كان شيئاً علّمه إيّاه فسمع ذلك فيفهمه[4] كما يسمع من يعرف لسان الفارسي فارسيّاً يتكلم أو يُكلّمه فيفهم ما يقول ، فهي فضيلة واحدة : وهي فهم كلامِ ذلك المتكلم ، وفهم محمّد ﷺ لتلك الأشياء كان فيه هذه الفضيلة وفيه معجزة تخبر برسالته وأمور أخرى كما تقدّم ، وإنما كان تبليغ الهدهد رسالةَ سليمان عليه الصلاة والسلام إعانة له على تبليغها ، وقد كان يمكنه إرسالها مع غير الهدهد مما سخّر الله تعالى له [ق٤٦/و] من الريح والجنّ وغير ذلك ، ومُبلّغوا رَسائل محمّد ﷺ كانوا أصحابَه الذين يتكلّمون بما لا يمكن غيرهم من التبليغ ما يمكنهم كما هو معروف في سيرته ، وأما النملة فإنما كان كلامُها لمصلحتها ومصلحة النمل ، لا لمصلحة سليمان عليه الصلاة والسلام ولا إظهاراً لمعجزته ، بل خوفاً من أن يحطمها سليمانُ وجنوده وهم لا يشعرون ، ففهّم الله تعالى سليمان عليه الصلاة والسلام كلامَها ، وهو فضيلة جليلة لكن فضيلة محمّد ﷺ أعظمُ لما قدّمناه ، وأبلغ من ذلك أن الحجر والشجر الجمادَين يكلّمان أمّةَ محمّد ﷺ ، وذلك ما روي في الصحاح وغيرها عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال : «لاتقوم السّاعة حتى يُقاتل المسلمون اليهودَ ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهوديّ من وراء الحجر والشّجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم يا عبدالله هذا يهوديّ خلفي فتعال فاقتله ، إلا[5] الغرقد فإنّه من شجر اليهود»[6] .

"هذا حديث غريب جداً" ؛ وقال في موضع آخر (٦/٣٢٢) : "وهذا الحديث فيه نكارة شديدة" .

(١) تقدم تخريجه ، انظر : ص٤١١-٤١٢ .

(٢) في ب "بما" .

(٣) في ب "والنفع" .

(٤) في ب "فيفهم" بدون الهاء .

(٥) في ب "إلى" ، وهو خطأ ظاهر .

(٦) أخرجه مسلم (٤/٢٢٣٩) ، في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل

(فصل)[1]

مفاضلة بين ما أوتي يعقوب عليه السلام وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ

فأمّا ما أوتي يعقوب عليه السلام فلا شكّ في فضله ، ولا مرية[2] في نبْله ، فهو أحدُ الكرماء الذين شهد نبيّنا ﷺ لهم بالكرم[3] ، فإنّه الكريم ابن الكريم (ابن الكريم)[4] ، وله القدم الصدق ، والعقب المبارك عليه ، فمن نسله الأسباط[5] ، ومن ذريّته الهُداة ، ومنهم مريم بنت عمران سيّدة نساء العالمين ، وجعل فيهم الحُكم والنبوّة والكتاب ؛ قلنا : نعم ، وهو حقيق بذلك وبما هو أكبر منه ، ولكن لنبينا ﷺ أعظم نصيباً ، وأرفع ذكْراً في العالمين ، وأجلّ خطراً في الأولين والآخِرين ، فإنه أفضل الخلق كما بينّا من شأنه ، وقرّرنا من برهانه ، ومن ذرّيته ابنتهُ فاطمة عليها السلام سيّدة نساء المسلمين الذين هم خير أمّة أخرجت للناس ، والحسنُ والحسين اللذان هما سيّدا شباب[6] أهل الجنة وهم أغصان شجرته وثمرة جُرثومته[7] ، والمهديّ الذي يكون في آخر الزمان يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً من أهل بيته وعترته ، فأما الأصل فإنّ [ق٤٦/ظ] محمّداً ﷺ من ولد إسماعيل بن إبراهيم ، ويعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، ولا شكّ في فضل إسماعيل على إسحاق عليهما الصلاة والسلام[8] ، ولا يضرّ محمّداً ﷺ ما بينه وبين

فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ، ح٢٩٢٢ .

(١) ما بين القوسين بياض في ب .

(٢) في ب "مزية" ، وهو خطأ ظاهر .

(٣) أخرج البخاري (١٥١/٤) ، في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف:٧] ، ح٣٣٩٠ ، من طريق ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام» .

(٤) "ابن الكريم" الثاني ليس في ب .

(٥) قال محمد الطاهر بن عاشور في تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (٣٣/٦) ، ١٩٨٤م ، الدار التونسية ، تونس : "الأسباط هم أسباط إسحاق : أي أحفاده ، وهم أبناء يعقوب ، اثنا عشر ابناً ... فأما يوسف فكان رسولاً لقومه بمصر ... وأما بقية الأسباط فكان كل منهم قائماً بدعوة شريعة إبراهيم في بنيه وقومه ، والوحي إلى هؤلاء متفاوت" .

(٦) في ب "شبّان" .

(٧) جُرثومة الشيء –بالضم– : أصله . تاج العروس (٣٩٥/٣١) .

(٨) أخرج أحمد (١٩٤/٢٨) ح١٦٩٨٧ ، والترمذي (٥٨٣/٥) ، أبواب المناقب ، باب في فضل النبي ﷺ ، ح٣٦٠٥

إسماعيل من بعد الآباء وكثرتهم وكفر من كان كافراً[1] ، كما لايضرّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام كفر أبيه ولا كفر من كان كافراً فيما بينه وبين نوح عليه الصلاة والسلام ، على أن الفضل بالآباء والأبناء ليس بالخطب الجليل ، مع أنّ لنبيّنا محمّد ﷺ فيه من الفضل ماجاء في الحديث عنه ﷺ أنّه قال : «إنّ الله تعالى قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسماً ثم جعل القسم أثلاثاً فجعلني في خيرهم» وقد تقدم الحديث في أول الكتاب ، وعنه أيضاً ﷺ أنه قال في حديث آخر : «إنّ الله اختار بني آدم ، واختار من بني آدم العرب ، واختار من العرب مضر ، واختار من مضر قريشاً ، واختار من قريش بني هاشم ، واختارني من بني هاشم فأنا خير من خيار ...»[2] الحديث .

فأما تفضيل يعقوب عليه الصلاة والسلام لكون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أولاده كثير ، فنبيّنا محمد ﷺ على ماهو عليه من الفضيلة التي استقرّت قواعدها ، وعلت أركانها ، كان خاتم النبيين لانبيّ بعده ، وكانت رسالته إلى جميع الخلق ، ودعوته قائمة إلى يوم القيامة ، فلم تحتج الأمّة بعده إلى نبيّ ، فكتابه محفوظ بحفْظ الله تعالى ، ودينه ظاهر بتأييد الله تعالى ، ودعوته قائمة إلى يوم القيامة ، وسلطانه حاكم إلى يوم الطّامّة ، وقد قال بعض أصحابه : لو كان بعده نبيّ لعاش ابنه إبراهيم[3] ، وقال : «لو كان بعدي نبيّ لكان عمر بن الخطاب»[4] ، فنبوّته ﷺ قائمة إلى يوم القيامة لم تنسخ ،

، من طريق واثلة بن الأسقع ، أن النبي ﷺ قال : «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة ...» الحديث ؛ قال الترمذي : "هذا حديث حسن صحيح" ؛ وقال الألباني في كتابه صحيح الترمذي (٣/١٨٩) ح٢٨٥٥ : "صحيح دون الإصطفاء الأول" ، والله أعلم .

(١) في هامش ب "حاشا نبينا صلى الله عليه وآله أن يكون مس أحداً ضلال أو كفر إلى آدم عليه السلام ومن أين تبين هذا بل المنقول من أهل بيته عليه السلام خلاف ذلك وأما إبراهيم فلم يكن والده آزر بل كان عمه ورباه والعرب قد يسمون العم أباً فلا تكن في مرية من ذلك فتضل وتضل فتكون من الخاسرين" .

(٢) أخرجه الطبراني بنحوه في المعجم الأوسط (٦/١٩٩) ح٦١٨٢ ، وفي المعجم الكبير (١٢/٤٥٥) ح١٣٦٨٤ ؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢١٥) ح١٣٨٢٣ : "فيه حماد بن واقد وهو ضعيف يُعتبر به ، وبقية رجاله وثقوا" .

(٣) أخرجه البخاري (٨/٤٣) ، في كتاب الأدب ، باب من سمي بأسماء الأنبياء ، ح٦١٩٤ ، من حديث ابن أبي أوفى رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٩٢) ، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم ، ح٤٤٩٥ ، من طريق عقبة بن عامر رضي الله عنه ،

بل يعمل بها العباد إلى يوم الأشهاد ، فالحاصل من هذا أن كل فضيلة في نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين من وجه من الوجوه فقد جعل الله تعالى لمحمّد ﷺ من جنسها ماهو أفضل منها ، وأكثر ، وأكبر ، وسواء كانت في [ق٤٧/و] النفس ، أو في الأصل ، أو (في)[1] النسل ، أو في المعجزة ، أو في الكتاب ، أو في الأمّة ، أو في غير ذلك من الأمور التي تتفاضل فيها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وتتباين بها درجاتهم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فإن قيل : إن يعقوب عليه الصلاة والسلام فقد ولدَه يوسف عليه الصلاة والسلام وكان يحبّه حُبّاً شديداً فقال : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨-٨٣] ، ولا يخفى ما للصابرين عند الله من المنزلة ، قيل : إن يعقوب عليه الصلاة والسلام كان له أحد عشر ولداً ذُكْراناً غير يوسف عليه السلام ، أكبرَ سنّاً منه ، نَصْبَ عينه ، يروحون ويَغدُون عليه ، وبكى على يوسف حتّى عنّفه أولاده فقالوا له : ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [يوسف:من الآية ٨٥] ، فقال : ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:من الآية ٨٦] يعني : أنه حيّ وأن الله تعالى جامع به الشّمل ، ولكن بكائي شوقاً إليه وحُزناً عليه ؛ وأمّا محمد ﷺ فلم يكن له حيّ غير ولد واحدٍ ذكرٍ وهو إبراهيم ، فمات فصبر عليه ، ولم يظهر منه جزع ، وإنما كان بكاؤه عليه ساعةَ الموت رحمةً فجمع (ﷺ بين حالتين هما من أشرف الأحوال الصّبر والرحمة ، صبر بلا قسوة ، ورحمة)[2] بلا جزع ، هذا وكان واحدَه ، وقرّة عينه ، لم يكن له ولد ذكر غيره ، فصبر على فراقه الذي لا طمع في رجوعه ، ويعقوب عليه الصلاة والسلام كان له أحد عشر ابناً غيره نصب عينه ، وكان

وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأخرجه بنحوه : أحمد (٢٨/٦٢٤) ح١٧٤٠٥ ، والترمذي (٥/٦١٩) ، بنحوه في أبواب المناقب ، ح٣٦٨٦ ، وقال : "هذا حديث حسن غريب" .

(١) "في" ليس في ب .

(٢) مابين القوسين ليس في ب .

يرجو لقاء المفقود[1] ، وقال : ﴿يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف:من الآية٨٤] ، ومحمد صبر واحتسب ولم يتأسّف بل قال : «تدمع العين ويحزن القلب ولانقول إلا ما يُرضي ربّنا»[2] .

(فصل)[3]

مفاضلة بين ما أوتي يوسف عليه السلام وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ

وأمّا يوسف الصّدّيق الكريم ﷺ الموصوف بالحسن والجمال ، والعلم والعقل والأفضال ، الذي قصّته في القرآن أحسن القصص ، وسيرته أجمل السّير ، المبتلى بأنواع من البلاء ، وصبر فيها أحسن الصبر ، وآل به صبره فيها إلى أحسن ما آل صبر على ما كان من إخوته في حقه فآل أمرهم إلى أن سجدوا [ق٤٧/ظ] له وقالوا: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف:من الآية ٩١] ، وابتُلي بكيد النّساء فآل أمره بعد سجنه سبع سنين إلى أن قالت غريمته : ﴿(ٱلْـَٰٔنَ)[4] حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف:من الآية٥١] ، وابتُلي بالسجن عند صاحب مصر فآل أمره إلى أن صار تدبير مُلْكه إليه ؛ كتب بعضهم إلى صديق له وهو في شدّة :

وراء مضيق الخوف متّسَع الأمن وأوّل مفرُوح به آخر الحزن
فلا تَيْأسنْ فالله مَلّكَ يوسفاً خزائنَهُ بعد الخلاص من السجن[5]

وقال النبي ﷺ : «لو لبثتُ في السجن ما لبث يوسف ثم دُعِيتُ لأجَبْتُ الدّاعي ولأسرعت»[1] وذلك أنّ الملك لما قال : ﴿ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ [يوسف:من الآية

(١) في ب "المفترد" .
(٢) أخرجه مسلم (١٨٠٧/٤) ، كتاب الفضائل ، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك ، ح٢٣١٥ .
(٣) ما بين القوسين بياض في ب .
(٤) "الآن" ليس في ب .
(٥) القائل : هو زيد بن محمد بن زيد العلوي ، أبو الحسن ، كان أديباً مليح الشعر ، وكان أبوه القائم بطبرستان ، أسر في الواقعة التي استشهد فيها أبوه ، مات سنة ٣١٤ . انظر : الوافي بالوفيات (٢٩/١٥) .

٥٤] ، فجاءه الرسول بذلك فقال (له)[٢] : ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:من الآية ٥٠] ، وأراد بذلك أن يتحقق الملك حقيقةَ الحال ، وبراءة ساحته ، لئلا يكون بين يديه فيَذكر[٣] من شأنه ماوقر في صدره من شيء الحقُّ خلافه ، فيشوش قلبَه ، فأراد أن يكون بين يديه على أحسن الأحوال وهذه حال حسنة جميلة ، ومرتبة جليلة نبيلة ، وقول نبينا ﷺ : «لأسرَعت إلى الداعي» أيضاً من أحسن الأحوال ، وأكمل الخلال ، ولنبينا ﷺ في هذه الأمور النصيب الأوفى ، والكأس الأروى ، فأمّا الكرم المذكور ليوسف عليه الصلاة والسلام ، فإن النبي ﷺ سُئل من أكرم الناس فقال : «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ...»[٤] الحديثَ ، وقد ثبت أن نبيّنا محمداً ﷺ كان أكرم خلق الله على الله ، فقد روى التّرمذي من حديث أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا أوّل الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشّرهم إذا يئسوا وأنا أكرم ولد آدم على ربّي ولا فخر»[٥] ، وفي رواية : «أنا أكرم الأوّلين والآخرين على الله عزّ وجل ولا فخر»[٦] وسنذكر (من ذلك)[٧] فيما بعد طرفاً صالحاً بعون الله ، ومن كرامته عليه قرن اسمه مع اسمه فلا يُذكر إلا ذُكر معه [ق٤٨/و] ، وجعل طاعته مقرونة بطاعته

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧/٤) ، في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله ﷻ : ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾ [الحِجر:٥١- ومن الآية ٥٢] ، ح٣٣٧٢ ، ومسلم (١٨٣٩/٤) ، في كتاب الفضائل ، باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ ، ح١٥٢ ، كلاهما من طريق أبي هريرة ﷺ ، بلفظ : «ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي» .

(٢) "له" ليس في ب .

(٣) في ب "منكر" ، وهو خطأ .

(٤) تقدم تخريجه ، انظر : ص٤٦٩ .

(٥) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٤٧ .

(٦) أخرجه الدارمي في السنن (١٩٤/١) ، كتاب دلائل النبوة ، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل ، ح٤٨ ، وأخرجه الترمذي (٥٨٧/٥) ، في أبواب المناقب ، ح٣٦١٦ ، من طريق ابن عباس رضي الله عنهما ، بدون قوله : «على الله ﷻ» ، قال الترمذي : "هذا حديث غريب" ؛ وقال الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح (٢٥٢/٣) ح٥٧٦٢ ، لمحمد بن عبدالله الخطيب التبريزي ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ ، المكتب الإسلامي ، بيروت : "ضعيف" .

(٧) "من ذلك" ليس في ب .

فقال تعالى : ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران:من الآية ٣٢] وقال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥] .

فأمّا الجمال والحسن فلمحمد ﷺ فيه أمْرٌ قد علا ، ومَورِدٌ قد عَذُبَ وحَلا[١] ، ولا يخفى ابنُ جَلا[٢] ، ففي حديث هند بن أبي هالة[٣] المشهور المعروف الطويلِ في صفته ﷺ قال : "كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً ، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المربوع ، وأقصر من المشذب[٤] ، عظيم الهامة ، رَجِل الشعر ، إن[٥] انفرقت عَقِيقَتُه[٦] فرَق وإلا فلا ، يُجاوز شعره شحمةَ أذنيه إذا هو وَفّره ، أزهر اللون[٧] ، واسع الجبين ، أزجّ الحواجب سوابغ في غير قرن ، بينهما عِرقٌ يُدِرُّه الغضب ، أقنى العِرنين[٨] له نور يعلوه ، يحسبه من لم يتأمّله أشمّ[٩] ، كثّ اللحية ، سهل الخدّين ، ضليع الفم ، أشنب[١٠][١١] ، مفلج الأسنان -أي :مفرق الأسنان- ، دقيق المَسْرُبَة[١٢] ،كأن عنقه جيدُ

---

(١) في ب "جلا" .

(٢) في ب "بن الجلا" بدون الهمزة ؛ وابن جلا : أي الظاهر الذي لا يخفى وكل أحد يعرفه ، يقال ذلك للرجل إذا كان على الشرف بمكان لا يخفى . انظر : تاج العروس (٣٧/٣٦٦) .

(٣) هو هند بن نباش بن زرارة التميمي ، وهو ربيب رسول الله ﷺ ، أمه خديجه بنت خويلد زوج النبي ﷺ ، قيل استشهد يوم الجمل مع علي ، وقيل عاش بعد ذلك . انظر : أسد الغابة (٥/٢٩٣ ، ٣٨٩) ، تقريب التهذيب ص٥٧٤ .

(٤) في ب "الشذب" ، والمشذب : هو الطويل البائن الطول مع نقص لحمه ، وأصله من النخلة الطويلة التي شُذّب عنها جَريدها : أي قطع وفُرّق . النهاية (٢/١١٢٤) .

(٥) في ب "إذا" .

(٦) عقيقته : أي شعره ، سُمي عقيقة تشبيهاً بشعر المولود . النهاية (٣/٥٣٣) .

(٧) الأزهر : الأبيض المستنير ، والزهر والزَّهرة : البياض النير وهو أحسن الألوان . النهاية (٢/٨٠٤) .

(٨) العِرْنين : الأنف ، وقيل رأسه . النهاية (٣/٤٤٩) .

(٩) الشَّمم : ارتفاع قصبة الأنف ، واستواء أعلاءه وإشراف الأرنبة قليلاً . النهاية (٢/١٢٢٣) .

(١٠) في ب "أشيب" .

(١١) الشنب : البياض والبريق والتحديد في الأسنان . النهاية (٢/١٢٢٦) .

(١٢) المسرُبة -بضم الراء- : ما دق من شعر الصدر سائلاً إلى الجوف . النهاية (٢/٩٠٣) .

دُمية في صفاء الفضّة ، معتدل الخلق ، بادن متماسك ، سواء البطن والصدر ، عريض الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، ضخم الكرادِيس[1] ، أنورَ المتجرِّدِ[2] ، موصول ما بين السُّرّة واللَّبّةِ[3] بشعرٍ يَجْري كالخطّ ، عارِي الثَّدْيَيْن والبَطْنِ مما سوى ذلك ، أشعر[4] الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر ، طويل الزَنْدين ، رحب الراحة ، شثنَ الكفين والقدمين[5] ، سائل الأطراف[6] ، خمصان الأخمصين[7] ، مسيح القدمين[8] يَنبُو عنهما الماء ، إذا زال زال تقلعاً[9] ، يَخْطُو تَكَفِئاً ، ويَمشي هَوْناً ، ذريع المشية إذا مشى كأنّما ينحط من صبَب ، وإذا التفت التفت جميعاً ، خافض الطرف ، نظرُه إلى الأرض أطول من نظره إلى السّماء ، جلّ[10] نظره الملاحظة ، يسوق أصحابَهُ ، يَبْدُرُ من لقي بالسّلام"[11] ؛ وفي حديث عائشة رضي الله عنها الطويل في صفته ﷺ : وكأنّ عَرَقه في

---

(١) الكراديس : هي رؤوس العظام واحدها : كردوس ، وقيل : هي ملتقى كل عظمين ضخمين كالركبتين والمرفقين والمنكبين ، أراد أنه ضخم الأعضاء" . النهاية (٤/٢٩٠) .

(٢) أنور المتجرد : أي ما جرد عنه الثياب من جسده وكُشف ، يريد أنه كان مشرق الجسد . النهاية (١/٧٢٧) .

(٣) واللبة : وسط الصدر ، والمنحر . لسان العرب (١/٧٢٩) .

(٤) في ب "شعر" بدون الهمزة .

(٥) أي أنهما يميلان إلى الغِلظ والقصر ، وقيل : هو الذي أنامله غلظ بلا قصر ، ويُحمد ذلك في الرجال لأنه أشد لقبضهم ويُذم في النساء . النهاية (٢/١٠٩٤) .

(٦) سائل الأطراف : أي ممتدها . النهاية (٢/١٠٦٠) .

(٧) قال ابن الأثير في النهاية (٢/١٥١) : "الأخمص من القدم : الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء ، والخمصان المبالغ منه : أي أن ذلك الموضع من أسفل قدميه شديد التجافي عن الأرض ، وسُئل ابن الأعرابي عنه فقال : إذا طكان الأخمص بقدر لم يرتفع جداً ولم يستو أسفل القدم جداً فهو أحسن ما يكون وإذا استوى أو ارتفع فهو مذموم ، فيكون المعنى : أن أخمصه معتدل الخمص بخلاف الأول" .

(٨) مسيح القدمين : أي ملساوان لينتان ليس فيهما تكسر ولا شقاق فإذا أصابهما الماء نبا عنهما . النهاية (٤/٦٩٩) .

(٩) أي يزول قالعاً لرجله من الأرض ؛ والمقصود قوة مشيه وأنه كان يرفع رجليه من الأرض إذا مشى رفعاً بائناً بقوة ، لا كمن يمشي اختيالاً وتنعماً ويُقارب خطاه فإن ذلك من مشي النساء ويوصفن به . انظر : النهاية (٤/١٥٧) ، لسان العرب (٨/٢٩٠) .

(١٠) في ب "أجل" بزيادة الهمزة ، وهو خطأ .

(١١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/٢٤) ، فصل في خلق رسول الله ﷺ وخلقه ، ح١٣٦٢ ، وفي الدلائل (١/٢٦٨) ح٢٣٦ ، وأخرجه أبو نعيم بنحوه في الدلائل (٢/٦٢٧-٦٢٩) ح٥٦٥ ، والترمذي في الشمائل

وجهه مثل اللّؤلؤ أطيب من المسك الأذفر – وفيه – وكان إذا امتشط بالمُشْط كأنّه حُبُكُ الرمال وكأنّه المتون[1] التي في الغُدُر إذا سَفَقَتْها الرياح ، وكان ربما جعله[2] غدَائر ، يُخرِج الأذن اليمنى [ق٤٨/ظ] من بين غديرتين يتكنّفانها ، ويُخرج الأذنَ اليسرى من بين غديرتين يتكنفانها ، ينظر من يتأمّلها من بين تلك الغدائر كأنّهما[3] تَوَقُّدُ الكواكب الدُريّة بين سواد شعره ، وكان رسول الله ﷺ أحسنَ الناس وجهاً ، وأنورَهم لوناً ،لم يصفه واصف قط إلا شبَّه وجهه بالقمر ليلة البدر ويقول : هو أحسن في أعيننا من القمر ، أزهر يتلألأ وجهُه تلألؤ القمر كما وصفه صاحبه وصدّيقه وخليفته أبو بكر ﷺ :

أمينٌ مصطفى للخير يَدْعُـــو كضوء البدر زايَلَهُ الظَّلامُ

وكما كان عمر ﷺ يُنشد قول زهير بن أبي سُلْمى :

لو كنتَ من شيء سوى بشر كنتَ المُنوَّرَ ليلةَ القَـــدر"[4]

وكان (كل)[5] من سُئل عنه ﷺ ممن رآه فإمّا يشبّهه بالشمس أو بالقمر وأحسن من ذلك ، ومنهم من يقول[6] ناعِتُه : لم أر قبله ولا بعده مثله ؛ وقد روي عن [جابر بن سمرة ﷺ][7] قال : نظرت إلى رسول الله ﷺ وعليه حُلّة حمراء ونظرت إلى القمر ليلة

المحمدية والخصائل المصطفوية (١/٣٤) ، باب ما جاء في خلق رسول الله ﷺ ، ح٨ ، تحقيق : سيد عباس الجليمي ، الطبعة الأولى ١٤١٣ ، المكتبة التجارية ، مكة ؛ والطبراني بنحوه في المعجم الكبير (٢٢/١٥٥) ح١٨٢٦٥ ؛ قال الألباني : "ضعيف" . السلسلة الصحيحة (٥/٥٢) ح٢٠٥٣ .

(١) المتون : جوانب الأرض في إشراف . لسان العرب (١٣/٣٩٨) .

(٢) في ب "يجعله" .

(٣) في ب "كأنها" وهو الوارد في دلائل البيهقي (١/٢٩٨) ، وما أثبته من أ هو الوارد في دلائل أبي نعيم (٢/٦٤٠) ح٥٦٦ .

(٤) أخرجه مطولاً أبو نعيم في الدلائل (٢/٦٣٦-٦٤٠) ح٥٦٦ ، والبيهقي في الدلائل (١/٢٩٨) .

(٥) "كل" ليس في ب .

(٦) في أ تكرار "يقول" .

(٧) في أ ، ب "جابر بن عبدالله رضي الله عنهما" ، وما أثبته من المعجم الكبير للطبراني (٢/٢٠٦) ح١٨٤٣ ، والمستدرك للحاكم (٤/٢٠٦) ، كتاب اللباس ، ح٧٣٨٣ ، وسنن الدارمي (١/٢٠٢) ، كتاب دلائل النبوة ، باب في حسن النبي ﷺ ، ح٥٨ ، وسنن الترمذي (٥/١١٨) ، في أبواب الأدب ، باب ما جاء في الرخصة في لبس الحمرة للرجال ، ح٢٨١١ .

البدر فلَهُوَ[1] أحسن في عيني من القمر[2] ؛ وسُئلَتِ الرُّبَيّع بنت مُعوذ من صفته ﷺ فقالت : لو رأيته رأيتَ الشمس طالعةً[3] ؛ وقيل لجابر بن سمرة ﷺ أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف قال : لا بل مثل الشمس والقمر[4] ، فإن قيل : إن يوسف عليه الصلاة والسّلام كان إذا مرّ بأزِقَّةِ مصرَ يتلألأ نوره على الجدران تلألؤ الشمس والماء على الجُدران ، قيل : محمّد ﷺ كان إذا مشى في الشمس لا يوجَد له ظلّ من شدّة نوره على نور الشمس[5] ، وهذا أعظم من تلألؤ نور يوسف عليه السلام على الجدران في الأزِقَة ؛ وقد روى هاشم بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : "كان النبي ﷺ (عندي)[6] جالساً وأنا [ق٤٩/و] أغزل فَبُهِتُّ انظر إليه وقد عَرِق صُدْغُه وقَذالُه ، وجعلت لا أنظر إلى شيء منه إلا حُوّل في عيني منه نوراً ، فسَكن مغزلي ، فلمّا رآني قد سكن مغزلي

---

(١) في ب "وهو" .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/٢٠٦) ح١٨٤٣ ، والحاكم في المستدرك (٤/٢٠٦) ، كتاب اللباس ، ح٧٣٨٣ ، وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ، وأخرجه الدارمي في السنن (١/٢٠٢) ، كتاب دلائل النبوة ، باب في حسن النبي ﷺ ، ح٥٨ ، كلهم بلفظ : " رأيت رسول ﷺ في ليلة أضحيان وعليه حلة حمراء قال : فجعلت أنظر إليه وإلى القمر ، فلهو أحسن في عيني من القمر" ، وأخرجه الترمذي (٥/١١٨) ، في أبواب الأدب ، باب ما جاء في الرخصة في لبس الحمرة للرجال ، ح٢٨١١ ، بلفظ : "فإذا هو عندي أحسن من القمر" .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير(١٨/١٢) ح٢٠١٥٩ ، وفي المعجم الاوسط (٤/٣٦٨-٣٦٩) ح٤٤٥٨ ، والبيهقي في الدلائل (١/٢٠٠) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/٣١٣) ، والدارمي في السنن (١/٢٠٤) ، كتاب دلائل البنوة ، باب في حسن النبي ﷺ ، ح٦١ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٨٠) ح١٤٠٣٤ : "رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله وثقوا" .

(٤) أخرجه مسلم (٤/١٨٢٣) في كتاب الفضائل ، باب شيبه ﷺ ، ح٢٣٤٤ .

(٥) قال الألباني في السلسلة الصحيحة (١/١٥٨) : "خصوصياته عليه السلام إنما تثبت بالنص الصحيح ، فلا تثبت بالنص الضعيف و لا بالقياس و الأهواء ، و الناس في هذه المسألة على طرفي نقيض ، فمنهم من ينكر كثيراً من خصوصياته الثابتة بالأسانيد الصحيحة ، إما لأنها غير متواترة بزعمه ، و إما لأنها غير معقولة لديه ، ومنهم من يثبت له عليه السلام ما لم يثبت مثل قولهم : إنه أول المخلوقات ، و إنه لا ظل له في الأرض و إنه إذا سار في الرمل لا تؤثر قدمه فيه ، بينما إذا داس على الصخر علم عليه ، و غير ذلك من الأباطيل ؛ و القول الوسط في ذلك أن يقال : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشر بنص القرآن و السنة و إجماع الأمة ، فلا يجوز أن يعطى له من الصفات والخصوصيات إلا ما صح به النص في الكتاب والسنة ، فإذا ثبت ذلك وجب التسليم له" .

(٦) "عندي" ليس في ب .

نظر إليّ وقال : «مالكِ يا عائشة؟» فقلت : واللهِ يا رسولَ اللهِ إنّكَ لأنتَ أحقُّ بقول أبي كبير ، قال : «وما قال أبو كبير» قلت : قال أبو كبير[1] :

ومُبرّإٍ من كل غُبَّرِ[2] حيضــةٍ وفسَـاد مُـرضـعةٍ[3] وداءٍ مُغيل

فإذا نظرتَ إلى أسِرَّة وجـهِـه بَرَقَتْ كَبَـرْقِ العارض المتهلّل"[4] .

وفي الجملة فيوسف عليه السلام كان من أحسن الناس ، فأما محمد ﷺ فإنّه كان أحسنَ الناس وقد روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «هبط عليّ جبريل فقال يا محمّد إن الله عز وجل يقول : كسوت حسن يوسف من نور الكرسي ، وكسوت نور وجهك من نور عرشي»[5] ؛ ولاشك أن العرش أعظم من الكرسي ونوره أعظم من نوره ، وفي حديث الإسراء من رواية مسلم في صحيحه : «فإذا يوسف وإذا هو قد أُعطي شطر الحسن»[6] فمحمّد ﷺ قد أُعطي الحسن كلّه .

---

(١) البيتان في شرح أشعار الهذليين (٣ / ١٠٧٣) من قصيدة لابي كبير الهذلي – واسمه عامر بن الحُلَيْس أحد بني سعد بن الهذليين مطلعها : أزهير هل عن شيبة من معدل أم لا سبيل إلى الشباب الاول . انظر : شرح أشعار الهذليين (١٠٦٩/٣) ، لأبي سعيد السكري ، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة .

(٢) قال السكري : "الغبر : البقية" . شرح أشعار الهذليين (١٠٧٣/٣) .

(٣) قال السكري : "وقوله فساد مرضعة : يقول لم تحمل عليه فتسقيه الغيل ، وليس به داء شديد قد أعضل" . شرح أشعار الهذليين (١٠٧٣/٣) .

(٤) أخرجه بنحوه : المزي في تهذيب الكمال (٣١٩/٢٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٦٩٣/٧) ، باب الحيض على الحمل ، ح١٥٤٢٧ ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، الطبعة الثالثة ١٤٢٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ؛ وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/٤٥-٤٦) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠٧/٣) ، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٦٦/٩-١٦٨) ح٤١٤٤ : "كذب موضوع ... قصة تولد النور من عرقه ﷺ التي لا أصل لها في شيء من أحاديث خصائصه وشمائله ﷺ ؛ حتى ولا في كتاب السيوطي (الخصائص الكبرى) الذي جمع فيه من الروايات ما صح وما لم يصح حتى الموضوعات !" .

(٥) أخرجه ابن عساكر بنحوه في تاريخ دمشق (٣٢٦/٥٣) ، قال ابن الجوزي في كتاب الموضوعات (٢٩١/١) ، تحقيق : عبدالرحمن محمد عثمان ، الطبعة الأولى ١٣٨٦ ، المكتبة السلفية ، المدينة : "هذا حديث موضوع والمتهم به أبو بكر الأشناني وكان يضع الحديث" .

(٦) أخرجه مسلم (١٤٥/١) ، في كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ، ح١٦٢ ، من طريق أنس بن مالك رضي الله عنه ، بلفظ : «فإذا أنا بيوسف ﷺ ، إذا هو قد أُعطي شطر الحسن» .

فأما علم يوسف عليه الصلاة والسلام بالتعبير للرؤيا ، فإنّ نبيّنا ﷺ كان أعلم خلق الله بها وكان من شأنه أنه إذا صلى الصبح واستقبل الناس قال : «هل رأى أحد منكم رؤيا» فيقصّها ويخبره بالجواب[1] ، وكان أوّل ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لايرى[2] رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصّبح[3] ، ورأى منامات كثيرةً فعبّرها فوقعت كما عبّرها ، كما عبَر في رؤياه السوارين من الذهب بكذّابين يخرجان بعدَه فكان كذلك خرج الأسوَدُ[4] العنسي ومسيلمة الكذّاب[5] ، وكذلك رُؤياه البقر التي رآها تُنحَرُ فكان ما عَبره بأن نفراً من أصحابه يُقتلون فكان كذلك[6] ، وهكذا رؤياه في السيف الذي هزّه في

---

(١) أخرج البخاري (٢/١٠٠) ، في كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين ، ح١٣٨٦ ، من طريق سمرة بن جندب ، قال "كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال : «من رأي منكم الليلة رؤيا» قال : فإن رأى أحد قصّضها ، فيقول : «ما شاء الله» ، فسألنا يوماً فقال : «هل رأى أحد منكم رؤيا» ..." ؛ وأخرج مسلم (١٧٧٨/٤) ، كتاب الرؤيا ، باب في تأويل الرؤيا ، ح٢٢٦٩ ، من طريق ابن عباس رضي الله عنهما : "أن رسول الله ﷺ كان مما يقول لأصحابه : «من رأى منكم رؤيا فليقصها أعبرها له» ، فجاء رجل فقال ..." .

(٢) في ب "رأى" ، وهو خطأ .

(٣) أخرج البخاري (١٧٣/٦) ، في كتاب تفسير القرآن ، باب ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضُّحى:٣] ، ح٤٩٥٣ ، ومسلم (١٣٩/١) ، في كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، ح١٦٠ ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٤) في ب "أسود" .

(٥) أخرج البخاري (٢٠٣/٤) ، في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ح٣٦٢٠ ، ومسلم (١٧٨١/٤) ، في كتاب الرؤيا ، باب رؤيا النبي ﷺ ، ح٢٢٧٤ ، من طريق أبي هريرة ﷺ : "أن رسول الله ﷺ قال : «بينما أنا نائم ، رأيت في يدي سوارين من ذهب ، فأهمني شأنهما ، فأوحي إليَّ في المنام : أن انفخهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان بعدي فكان أحدهما العنسي ، والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة» واللفظ للبخاري .

(٦) أخرج أحمد في المسند (٢٥٩/٤) ح٢٤٤٥ ، من طريق عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ، بلفظ : "وهو الذي رأى الرؤيا يوم أحد فقال : «رأيت في سيفي ذي الفقار فلَّا ، فأولته ، فلَّا يكون فيكم ، ورأيت أني مردف كبشاً ، فأولته : كبش الكتيبة ، ورأيت أني في درع حصينة ، فأولتها : المدينة ، ورأيت بقراً تُذبح ، فبقرٌ والله خير ، فبقرٌ والله خير» فكان الذي قال رسول الله ﷺ" ؛ قال الألباني : "صحيح" . صحيح الجامع الصغير (١٦١/١٣) ح٥٧٨٩ ؛ وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٥/٧) ، كتاب التعبير ، باب الرؤيا ، ح٧٦٠٠ ، من طريق جابر بن عبدالله ، بلفظ : "استشار رسول الله ﷺ الناس يوم أحد فقال : «إني رأيت فيما يرى النائم كأني لفي درع حصينة وكأن بقراً تنحر وتباع ففسرت الدرع المدينة ، والبقر نفراً والله خير ...» .

المنام فاندقّ صدره ثم هزّه فعاد كما كان عبره بهزيمة أصحابه ثم يُنصرون بعد ذلك فكان كذلك[1] ، ومن الشواهد على علمه بالتعبير العلم التامّ الكامل [ق٤٩/ظ] ما قصّه عبدالله بن سلام ﷺ (عليه)[2] ، فقال له أبو بكر الصديق ﷺ بأبي أنت دعني فأعبُرَها ، فقال : «اعبُرْها» فتكلم عليها أبو بكر ﷺ ثم قال : والله لتُخبرنّي يا رسولَ الله أصبتُ أم أخطأتُ ، فقال : «أصبتَ بعضاً وأخطأتَ بعضاً» ، فقال : والله لتخبرنّي ما الذي أصبتُ وما الذي أخطأتُ ، فقال : «لاتقسم»[3] ؛ ولولا وفور علمه لما انتقَد على أبي بكر هذا الانتقاد ، وقد كان في أمّة محمّد ﷺ مَن يَعْبُرُ الرؤيا من السلف والخلف أمور عجيبة وأحوال غريبة ليس هذا مكان شرحها لكثرتها .

فأما قوله لصاحبي[4] السجن : ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا[5] ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [يوسف:من الآية ٣٧]، فهذا لمحمّد ﷺ وأمثالُه بل لغيره من الأنبياء صلى الله عليه وعليهم وسلم ، على أن محمّداً ﷺ قد أُعطي من هذا الباب النّصيب الأوفى ، فإنّه ﷺ أخبر قريشاً بما فعلت الأرضة بكتابهم الذي كتبوا بينه وبينهم وأنّها قد لَحِسَتْ ما فيه من الجور وأبقت ما فيه من العدل والصلاح[6] ، وأخبر عمَّه العبّاسَ ﷺ بما كان دَفع إلى زوجته حين خرج من مكّة ولم يعلم به أحد إلا الله[7] ،

---

(١) أخرج البخاري (١٠٢/٥) ، في كتاب المغازي ، باب من قتل من المسلمين يوم أحد ، ح٤٠٨١ ، ومسلم (١٧٧٩/٤) ، في كتاب الرؤيا ، باب رؤيا النبي ﷺ ، ح٢٢٧٢ ، من طريق أبي موسى ﷺ ، بلفظ : "أُرى عن النبي ﷺ قال : «رأيت في رؤياي أني هززت سيفاً فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان ، فإذا هو ما جاء به الله من الفتح واجتماع المؤمنين ، ورأيت فيها بقراً والله خير ، فإذا هم المؤمنون يوم أحد» واللفظ للبخاري .

(٢) "عليه" ليس في ب .

(٣) أخرجه البخاري (٤٣/٩) ، كتاب التعبير ، باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب ، ح٧٠٤٦ ، ومسلم (١٧٧٧/٤) ، كتاب الرؤيا ، باب في تأويل الرؤيا ، ح٢٢٦٩ ، من طريق عبدالله بن عباس رضي الله عنهما .

(٤) في ب "لصاحب" .

(٥) في ب "يأتكما" .

(٦) أخرج أبو نعيم في الدلائل (٢٧٢/٢-٢٧٥) ح٢٠٥ ، من طريق عروة بن الزبير ؛ وأخرجه بنحوه البيهقي في الدلائل (٣١٣/٢-٣١٤) .

(٧) تقدم تخريجه ، انظر : ص٤١٩ .

وأخبر ممّا[1] سيكون قبل كونه بأمور عظيمة منها : إخباره بغلب الروم وأنهم سيغلبون في بضع سنين ، ومنها ظهور كذّاب ومبير[2] ، وأمور يطول ذكرها وقع بعضها والباقي سيقع لا محالة ، (كالدّجال)[3] ، ويأجوج ومأجوج ، ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ، وطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك ، وقد تقدّم من ذلك جملة ، وسيأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى أشياء أخر في أماكنها .

وأمّا عقل يوسف عليه الصلاة والسلام ، وحلْمه ، وصبره على الأذى ، وما لقي أوّلاً من إخوته ، ثم آخراً لمّا وُجد الصّاع في رحل[4] أخيه قالوا : ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ [يوسف:من الآية ٧٧]، ولمّا قدموا المرّة الأولى فعرفهم وهم له منكرون ، وهو حينئذ على خزائن الملْك ، فلم [ق٥٠/و] يَهِجْهُ ما فعلوا به ، ولم تحرّكه القدرة عليهم على الانتقام منهم ، بل قال : ﴿ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [يوسف:من الآية ٥٩] ، ثم لمّا عرفوه حين قال : ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ [يوسف:من الآية ٩٠] ، قالوا له : ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف:٩١] ، فقال هو : ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:من الآية ٩٢] ؛ وهذا غاية في الحِلْم ، فإنه عفا عنهم من قبل أن يَسألوه العفو ، وأبوهم يعقوب عليه الصلاة والسَّلامُ لمّا قالوا له : ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَنَا [ذُنُوبَنَآ][5]﴾ [يوسف:من الآية ٩٧] ، قال : ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف:من الآية ٩٨] ، قلنا هذه صفات حسنة ، وأخلاق جميلة ، وطباع كريمة ، ولمحمّد ﷺ في ذلك عجائب لا يدرك مداها ، ولا يبلغ منتهاها ، من ذلك : أن اليهود

---

(١) في ب "بما" .

(٢) تقدم تخريجه ، انظر : ص٤٢٥ .

(٣) "كالدجال" ليس في ب .

(٤) في ب "رحال" .

(٥) "ذنوبنا" زيادة من ب .

سحروه وأخبره جبريل عليه السلام بالسّحر وبمن سحرَه ولم يعاقبه[1] مع ما كان مستحقّاً للعقوبة مع مخالفته لدينه وغدره وخيانته لله سبحانه وتعالى ولرسوله ﷺ ، وكذلك اليهوديّة التي جعلت السُمّ في طعامه فإنه عفا عنهما ولم يعاقبهما[2] ، وهذا أعظم من عفو يوسف عليه الصلاة والسلام (عن إخوته)[3] ، فإنّ القرابة والرّحم قلّ أن تسمح النّفس بالعقوبة لهم ، ولا سيما مع طول المُدَد وتقادُم العهد ، فإن جمرة الغضب إذا طال الزمان تَطفئ ، وبَوادرَ الانتقام تسكن حينئذ وتخفى ، وأمّا حلم[4] محمد ﷺ عن قومه وما بالغوا معه في الأذى قولاً وفعلاً ولمّا مكّنه[5] الله تعالى منهم يوم الفتح قال : «من دخل بيته فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن» ونحو ذلك[6] ، مع شدّة ما أسلفوه من العداوة ،

---

(١) أخرج البيهقي في الدلائل (٧/٩٢) ، من طريق عائشة رضي الله عنها ، بلفظ : " فقيل : يا رسول الله ، لو قتلت اليهودي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «قد عافاني الله عز وجل ، وما وراءه من عذاب الله أشد» ، قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/٢٦٠) ح٢٧٦١ : "وهذا إسناد ضعيف جداً" ؛ وذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/١٩٦) ، تحقيق : إحسان عباس ، الطبعة الأولى ١٩٦٨م ، دار صادر ، بيروت : : أن لبيد بن الأعصم سحر النبي ﷺ حتى التبس بصره وعاده أصحابه ، ثم إن جبريل وميكائيل أخبراه ، فأخذه النبي ﷺ فاعترف فاستخرج السحر من الجب من تحت البئر ، ثم نزعه فحله ، فكُشف عن رسول الله ﷺ ، وعفا عنه" ، وأخرج ابن سعد في موضع آخر من الطبقات الكبرى (٢/١٩٩) عن عكرمة : "أن رسول الله ﷺ عفا عنه" وقال : "قال عكرمة : ثم كان يراه بعد عفوه فيعرض عنه ، قال محمد بن عمر –الواقدي– : وهذا أثبت عندنا ممن روي أنه قتله" .

(٢) قال النووي في شرح صحيح مسلم (١٤/١٧٩) : "اختلف الآثار والعلماء هل قتلها النبي ﷺ أم لا، فوقع فى صحيح مسلم أنهم قالوا : ألا نقتلها ، قال «لا» ،ومثله عن أبي هريرة وجابر ، وعن جابر من رواية أبي سلمة : أنه ﷺ قتلها ، وفى رواية ابن عباس أنه ﷺ دفعها إلى أولياء بشر بن البراء بن معرور وكان أكل منها فمات بها فقتلوها ، وقال ابن سحنون : أجمع أهل الحديث أن رسول الله ﷺ قتلها ، قال القاضي : وجه الجمع بين هذه الروايات والأقاويل أنه لم يقتلها أولاً حين اطلع على سمها وقيل له اقتلها فقال «لا» ، فلما مات بشر بن البراء من ذلك سلمها لأوليائه فقتلوها قصاصاً ، فيصح قولهم : لم يقتلها أى فى الحال ، ويصح قولهم : قتلها أي بعد ذلك ، والله أعلم" .

(٣) "عن إخوته" ليس في ب .

(٤) في ب "حكم" .

(٥) في ب "أمكنه" بزيادة الهمزة .

(٦) أخرجه مسلم (٣/١٤٠٧) ، كتاب الجهاد والسير ، باب فتح مكة ، ح١٧٨٠ ، من طريق أبي هريرة رضي الله عنه ، بلفظ : «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن ألقى السلاح فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن» .

وما أبدوه في حقّه من الأذى ، قابلهم بهذا الحلم[1] الوافر ، والإحسان العظيم ، على تقارب العهد ، والجرح طري ولم يندمل ، حتى قالت الأنصار ﷺ : أما الرجل فأدركته الرأفَة بقومه والرغبة في قريته[2] ، على أن له من العقل والحلم والأفضال مما أشرنا إليه ، وما سنذكر منه ما[3] ييسّر اللهُ تعالى بعونه ومشيئته على من آذاه ، وسبَّه ، وقصد مضرّتَه ، بل وقتله من الكفار والمنافقين واليهود وغيرهم فضلاً عن الذين آذوه من قومه وأهله وبني عمّه ما تضيق عن حصره مجلّدات[4] كثيرة ، فعفوه عن الأجانب من المشركين واليهود وغيرهم [ق٥٠/ظ] أعظم من عفوه عن أهله ، وإن كان أذاهم مُمِضّاً مُرْمِضاً كما قال طَرَفَة[5] :

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً[6] على المرء من وقع الحسام المهنَّد

وكما جرى في قصّة غَوْرَث[7] الذي جاء والنبي ﷺ نائم فاخترَط سيفه فانتبَه النبي ﷺ وغَورَث قائم على رأسه بالسيف صلتاً فقال له : مَن يمنعك منّي؟ ، فقال : «الله» ، فألقى السيف من يده فلم يؤاخذه ولم يعاقبه[8] ، وكما ذكرنا من قصّة الساحر لبيد بن الأعصم اليهودي ، واليهوديّة التي جعلت السمّ في طعامه ليأكله فيموت[9] ، وكالأعرابي الذي جاءه من خلْفه فجبذه بردائه حتّى أثّرت حاشية الرّداء في عنقه وقال أعطني من

---

(١) في ب "حكم" .

(٢) أخرجه مسلم (٣/١٤٠٧) ، كتاب الجهاد والسير ، باب فتح مكة ، ح١٧٨٠ ، من طريق أبي هريرة ﷺ ، بلفظ : "أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته ، ورغبة في قريته" .

(٣) في ب "مما" .

(٤) في ب "مجارات" .

(٥) طرفة بن العبد بن سفيان بن مالك البكري الوائلي . انظر : شرح المعلقات التسع ص٣٨ ، منسوب لأبي عمرو الشيباني ، تحقيق : عبدالمجيد همو ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت .

(٦) أشد مضاضة : أي أشد حرقة . شرح المعلقات التسع ص٧٣ .

(٧) غورث بن الحارث ، ويحتمل أن يكون هو دعثور بن الحارث الغطفاني ، فيكون أحد الاسمين لقب . انظر : الإصابة (٢/٣٨٧) ، (٥/٣٢٨-٣٢٩) .

(٨) أخرج القصة مسلم (٤/١٧٨٦) ، في كتاب الفضائل ، باب توكله على الله تعالى ، وعصمة الله تعالى له من الناس ، ح٢٢٨١ ، من طريق جابر بن عبدالله ﷺ ، وجاء التصريح باسمه وعفو النبي ﷺ عنه في الدلائل للبيهقي (٣/٤٥٦) ح١٢٧٢ ، وفي المعجم الأوسط للطبراني (٩/٥٢) ح٩١١١٢ .

(٩) تقدم تخريجه ، انظر : ص٤١١-٤١٢ .

مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك وأمر له بعطاء[1] ، وأشباه هذا مما يطول عَدُّهُ وقد قدمنا قصّته[2] مع أبي جهل حين أراد كيده والذي وضع الفرث والسّلا على ظهره وهو ساجد وغير ذلك .

وأما عصمة الله تعالى وتقدّس ليوسف عليه الصلاة والسلام من امرأة العزيز ، فإن الله تعالى رزق محمّدًا ﷺ العصمة الكاملة ، والنعمة الشاملة ، ولم يبتله بما ابتلى به يوسف عليه الصلاة والسلام حتى ضجّ إلى الله تعالى فقال : ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف:من الآية ٣٣] ، ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يوسف:٣٤] ، فأما محمد ﷺ فإن الله تعالى (مع)[3] ما أعطاه من القوّة على الجماع حتى إنه كان يدور على نسائه رضي الله عنهن في الساعة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة ، قيل لأنس : وهل كان يطيق ذلك ، قال : كنا نتحدّث أنه أعطي قوة ثلاثين يعني ثلاثين امرأة ، ويروي أنه تسّع لتسع نسوة[4] ، وقد كان يقبّل النساء وهو صائم فقيل له في ذلك ، فقال : «أنا أملككم لإرْبه[5]»[6] والمراد بالإرب العضو ، ويروى لأرَبه والمعنى لحاجته إلى النكاح[7] ، ومِلكُ الإرب والأربة التي

---

(١) أخرج البخاري بنحوه (٨/٢٤) ، في كتاب الأدب ، باب التبسم والضحك ، ح٦٠٨٨ ، ومسلم (٢/٧٣٠) ، في كتاب الزكاة ، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة ، ح١٠٥٧ ، من طريق أنس بن مالك ﷺ ، بلفظ "كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ ، وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك ثم أمر له بعطاء" واللفظ لمسلم .

(٢) في ب "قصة" .

(٣) "مع" ليس في ب .

(٤) أخرج الروايتين عن أنس ﷺ البخاري (١/٦٢) ، في كتاب الغسل ، باب إذا جامع ثم عاد ومن دار على نسائه في غسل واحد ، ح٢٦٨ .

(٥) في ب "بأرَبه" بفتح الهمزة .

(٦) أخرجه البخاري (٣/٣٠) ، في كتاب الصوم ، باب المباشرة للصائم ، ح١٩٢٧ ، ومسلم (٢/٧٧٧) في كتاب الصيام ، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته ، ح١١٠٦ ، من طريق عائشة رضي الله عنها ، بلفظ : "كان النبي ﷺ يقبل ويُباشر وهو صائم ، وكان أملككم لإربه" واللفظ للبخاري .

(٧) قال ابن الأثير في النهاية (١/٧١) : "أكثر المحدِّثين يروونه بفتح الهمزة والراء يعنون الحاجة ، وبعضهم يرويه بكسر

[ق٥١/و] أعطيها محمّد ﷺ أعظم من (ملك)[1] حالة يوسف عليه الصلاة والسلام (لهما)[2] وأكمل ، وأبلغ من ذلك أن الله تعالى عَصَم آباءَهُ من لدن عبدالله بن (عبد)[3] المطّلب إلى آدم عليه الصلاة والسلام مِن السّفاح ، فما التقى لمحمد ﷺ أبوان على سِفاح من سفاح الجاهلية[4] ولا عَهْرٍ من عَهْرها حتى ولد طيباً طاهراً منزّهاً من كل عيبٍ وريب فقد عصمه الله تعالى وهو في ظهر أبيه أن يشتمل عليه فرجان من حرام كما في حديث الخثعميّة والمُريَّة لمّا مرّ أبوه عليهما ونور النبوّة بين عينيه فكل منهما قد دَعته إلى نفسها وبذلت له مائة من الإبل على أن يقع عليها فصانه الله تعالى وحفظه من أن يُلم أبوه بحرام إكراماً له ﷺ[5] ، مع أنّ في أمّته من رُزق من الكرامة ماهي شبيهة بهذه

الهمزة وسكون الراء وله تأويلان : أَحدهما أنه الحاجه يقال فيها الأَرَبُ والإِرْبُ والإِرْبَةُ والمأْرَبَةُ ، والثاني : أرادت به العضو وعنت به من الأعضاء الذكر خاصة" .

(١) "ملك" ليس في ب .

(٢) "لهما" ليس في ب .

(٣) "عبد" ليس في ب .

(٤) أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/٤٠٢) ، وأبو نعيم في الدلائل (١/٥٧) ح١٤ ، من طريق علي بن أبي طالب ﷺ ، بلفظ : "أن النبي ﷺ قال : «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ، لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء» ، قال الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٦/٣٢٩-٣٣٤) ح١٩١٤ ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ ، المكتبة الإسلامي ، بيروت ، في تخريجه حديث : «ولدت من نكاح لا سفاح» روي من حديث علي بن أبي طالب وعبدالله بن عباس وعائشة وأبي هريرة ... وخلاصته أن الحديث من قسم الحسن لغيره" .

(٥) قال ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/٩٥-٩٧) ، في ذكر المرأة التي عرضت نفسها على عبدالله بن عبدالمطلب : " وقد أختلف علينا فيها فمنهم من يقول : كانت قتيلة بنت نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي أخت ورقة بن نوفل ، ومنهم من يقول : كانت فاطمة بنت مر الخثعمية ، -قال:- أخبرنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي قال حدثني محمد بن عبد الله بن أخي الزهري عن عروة قال وحدثنا عبيد الله بن محمد بن صفوان عن أبيه وحدثنا إسحاق بن عبيد الله عن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم قالوا جميعاً هي قتيلة بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل وكانت تنظر وتعتاف فمر بها عبد الله بن عبد المطلب فدعته يستبضع منها ولزمت طرف ثوبه فأبى وقال حتى آتيك وخرج سريعاً حتى دخل على آمنة بنت وهب فوقع عليها فحملت برسول الله ﷺ ثم رجع عبد الله بن عبد المطلب إلى المرأة فوجدها تنظره فقال : هل لك في الذي عرضت علي فقالت : لا مررت وفي وجهك نور ساطع ثم رجعت وليس فيه ذلك النور ، وقال بعضهم : قالت مررت وبين عينيك غرة مثل غرة الفرس ورجعت وليس هي في وجهك ؛ -قال:- أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن بن عباس أن المرأة التي عرضت على عبد الله بن عبد المطلب ما عرضت امرأة من بني أسد بن عبد العزى وهي أخت ورقة بن نوفل ؛ -قال :-

وقد روي عن أبي بكر الزقاق[1] أنه قال : جاورت بمكة عشر سنين فكنت أشتهي اللبن ، فغلبتني نفسي يوماً فخرجت إلى عُسْفان[2] ، واستضفت حيّاً من أحياء العرب فنظرت بعيني اليمنى إلى جارية حسناء لم أر أحسن منها فأخذت بقلبي فقلت : يا جارية قد أخذ كلّك بكلي فما فيّ لغيرك مطمع ، فقالت : تقبَح بك الدعاوى العالية وأنت في أسر شهوة لو كنت صادقاً قد ذهبت عنك شهوة اللبن ، قال : فقلعت عيني اليمنى التي نظرت (بها)[3] إليها ، فقالت لي مِثلُكَ من نظر لله ، فرَجعت إلى مكّة فطفت أسبوعاً ثم نمت فرأيت في منامي يوسفَ الصّدّيق عليه السلام فقلت : يا نبي الله أقرّ الله عينك بسلامتك مِنْ إزليخا[4] فقال لي : يا مبارك وأنت أقرّ الله (عينك)[1] بسلامتك من العسفانيّة ثم تلى

وأخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبي الفياض الخثعمي قال : مر عبد الله بن عبد المطلب بامراة من خثعم يقال لها فاطمة بنت مر وكانت من أجمل الناس وأشبه وأعفه وكانت قد قرأت الكتب وكان شباب قريش يتحدثون إليها فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقال يافتى من أنت فأخبرها قالت هل لك أن تقع علي وأعطيك مائة من الإبل فنظر إليها وقال : أما الحرام فالممات دونه   والحل لا حل فأستبينه   فكيف بالأمر الذي تنوينه ، ثم مضى إلى امرأته آمنة بنت وهب فكان معها ثم ذكر الخثعمية وجمالها وما عرضت عليه فأقبل إليها فلم ير منها من الإقبال عليه آخرا كما رآه منها أولاً فذهبت مثلاً وقالت أي شيء صنعت بعدي قال وقعت على زوجتي آمنة بنت وهب قالت : إني والله لست بصاحبة ريبة ولكني رأيت نور النبوة في وجهك فأردت أن يكون ذلك في ، وأبى الله إلا أن يجعله حيث جعله ..." ، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل (١/١٣٠) ح٧٢ : من طريق عامر بن سعد عن أبيه سعد ، بلفظ " أقبل عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله ﷺ ، وكان في بناء له ، وعليه أثر الطين والغبار ، فمر بامرأة من خثعم ، فقال عامر بن سعد ، عن أبيه في حديثه : فمر بليلى العدوية ، فلما رأته ، ورأت ما بين عينيه دعته إلى نفسها ، وقالت له : إن وقعت بي فلك مائة من الإبل ، فقال لها عبد الله بن عبد المطلب : حتى أغسل عني هذا الطين الذي علي ، وأرجع إليك ، فدخل عبد الله بن عبد المطلب على آمنة بنت وهب ، فوقع بها ، فحملت برسول الله ﷺ الطيب المبارك ، ثم رجع إلى الخثعمية ، وقال عامر : إلى ليلى العدوية ، فقال : هل لك فيما قلت ؟ قالت : لا يا عبد الله ، قال : ولم ؟ قالت : لأنك مررت بي ، وبين عينيك نور ، ثم رجعت إلي ، وقد انتزعته آمنة بنت وهب منك ، فحملت آمنة برسول الله ﷺ" .

(١) في ب "الدقاق" بالدال المهملة وهو تصحيف من الزقاق ، واسم أبي بكر : هو أحمد بن نصر ، أبو بكر الزقاق الكبير ، نسبة إلى بيع الزق وعمله ، توفي سنة ٢٩١ . انظر : طبقات الأولياء ص٩١ ، لابن الملقن ، تحقيق : نور الدين شريبه ، الطبعة الثانية ١٤١٥ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

(٢) عسفان –بضم العين وسكون السين– : بلد من مسافة ثمانين كيلاً من مكة شمالاً على طريق المدينة . المعالم الأثيرة ص١٩١ –١٩٢ .

(٣) "بها" ليس في ب .

(٤) أكثر المفسرين يذكرون اسم امرأة العزيز : (زليخا) بدون الهمزة ، وممن وقفت عليه يذكر اسمها (إزليخا) بالهمزة : ابن

عليه السلام : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦] فَصِحتُ من طيب تلاوته ، ورخامة صوته ، فانتبهت وإذا عيني المقلوعة صحيحة كما كانت[٢] ؛ على أنّ في بني إسرائيل من جرى له قريباً من هذا وليس هذا من خصائص يوسف عليه السلام وذلك ما ذكره ابن الجوزي في عيون حكاياته قال أخبرنا محمد بن أبي منصور قال أخبرنا المبارك بن عبدالجبار قال أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكي قال أخبرنا أبو الحسن عبدالله بن إبراهيم الزينبي قال حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرني أحمد بن حرب قال حدثني عبدالله بن محمد قال حدثني أبو عبدالله البلخي : أن شابّاً كان [ق٥١/ظ] في بني إسرائيل لم يُرَ شابّ قطّ أحسن منه ، وكان يبيع القِفَافَ[٣] ، وبينا هو ذات يوم يطوف بقفافه خرجت امرأة من دار ملك من ملوك[٤] بني إسرائيل فلمّا رأته رجعت مبادرة ، فقالت لابنة الملك : يا فلانة ، إني رأيت بالباب شاباً يبيع القفاف لم أر شاباً قطّ أحسن منه ، فقالت : أدخليه فخرجت إليه ، فقالت : يا فتى أدخل نشتري منك ، فدخل ، فأغلقت الباب دونه ، ثم قامت فاستقبلته بنت الملك كاشفة عن وجهها ونحرها ، فقال لها : استتري عافاك الله ، فقالت : إنّا لم ندعك لهذا إنما دعوناك لكذا -تعني : المراودة عن نفسه- ، فقال لها : اتّق الله ، قالت : إنّك إن لم تطاوعني على ما أريد أخبرت الملك أنك إنما دخلت عليّ تكابِرني عن نفسي ، فأبى ، ووعظها ، فأبت ، فقال : ضعوا لي وَضوءاً ، فقالت : أعليّ ، تعال يا جارية ضعي له وَضوءاً فوق الجوسق[٥] وهو مكان لا يستطيع أن يفرّ ، ومن الجوسق إلى الأرض أربعون ذراعاً ، فلمّا صار في أعلى الجوسق قال : اللهمّ

الجوزي في زاد المسير في علم التفسير (١٩٨/٤) ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ؛ ومقاتل بن سليمان في تفسيره (١٤٥/٢) ، تحقيق : أحمد فريد ، الطبعة الأولى ١٤٢٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(١) "عينك" ليس في ب .

(٢) ذكره السفاريني في غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ص٧٠ ، تحقيق : محمد الخالدي، الطبعة الثانية ١٤٢٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ؛ وعزاه للأزرقي في تاريخ مكة ، ولم أقف عليه في نسختي المطبوعة من كتاب الأزرقي .

(٣) القُفَّة : شبه زبيل صغير من خوص يُجتنى الرطب وتضع النساء فيه غزلهن . النهاية (١٤٣/٤) .

(٤) في ب "الملوك" بزيادة أل ، وهو خطأ .

(٥) الجوسق : القصر الصغير . المعجم الوسيط (١٤٧/١) .

إني دُعيتُ إلى معصيتك [وإني][1] أختار أن أصبِر نفسي فألقِيها في هذا الجوسق ولا أركب المعصية ثم قال : بسم الله وألقى نفسه من[2] أعلى الجوسق ، -قال :- فأهبط الله تعالى إليه ملكاً ، فأخذ بضَبْعَيْه فوقع قائماً على رجليه فلمّا صار في الأرض قال : اللهم إن شئت رزقتني رزقاً تغنيني عن بيع هذه القفاف ، فأرسل الله إليه جراداً من ذهبٍ فأخذ منه حتّى ملأ ثوبه ثم قال : (اللهم)[3] إن كان هذا رزقاً رزقتنيه في الدنيا فبارك لي فيه ، وإن كان ينقصني مما لي عندك في الآخرة فلا حاجة لي به ، قال : فنودي أن هذا الذي أعطيناك جزء من خمسة وعشرين جزءاً لِصبرك على إلقائك نفسك من هذا الجوسق ، فقال : اللهم لا حاجة لي فيما ينقصني مما لي عندك في الآخرة ، قال : فرفع[4] ؛ وعفّة محمد ﷺ أعظم من عفة يوسف عليه الصلاة والسلام ، ومحمد ﷺ أملك لأربه وإربه عن جميع الخلائق .

وأما قول يوسف عليه الصلاة والسلام للملك : ﴿ٱجْعَلْنِي[5] عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:من الآية ٥٥] ، وولاية الملك له ذلك ، وحسن تصرفه في سني الجدب ، وما أعده لها في سني الخِصب ؛ قلنا : هذا ما لا ريب فيه ولا شك يعتريه وحال محمد ﷺ في مثل ذلك أجمل ، وفضله أكمل [ق٥٢/و]، فإن يوسف عليه الصلاة والسلام قال للمَلِك : ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف:من الآية ٥٥] يعني : أرض مصر ، فإن ذلك المَلك لم يكن يملك غيرها ، وإن كانت حالة يوسف عليه السلام من النبوّة وتبليغ الرسالة وإظهار الشريعة أكبر من تدبير مملكة مصر والتصرف في خزائنها ، فإن محمداً ﷺ عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض وأن تجرى له بطحاء مكة ذهباً فأباها

---

(١) مابين المعقوفتين طمس في الأصل ، وما ذكرته من ب .

(٢) في ب "في" ، وهو خطأ .

(٣) "اللهم" ليس في ب .

(٤) وجدته في نسختي المطبوعة من عيون الحكايات بغير إسناد ، انظر عيون الحكايات لابن الجوزي : ص١٤٢-١٤٣ ، تحقيق : عبدالعزيز سيد هاشم الغزولي ، الطبعة الثانية ١٤٢٩ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ؛ وقد ذكره ابن الجوزي أيضاً في كتابه المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٨٢/٢-١٨٣) ، وفي كتابه ذم الهوى ص٢٤٩-٢٥٠ ، تحقيق : خالد عبداللطيف السبع العلمي ، الطبعة الأولى ١٤١٨ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٥) في ب زيادة "اللهم" قبل "اجعلني" ، وهو خطأ .

وقد قدّمنا هذا المعنى ؛ ثم إنّ تدبير محمد ﷺ في الجدب كان أصلح وأنفع للخلق[1] ، ومحمّد ﷺ كان إذا أجدب قومُه دعا اللهَ[2] تعالى فأنزل الغيث فعمّ البلدان [وأحياها][3] ، وأحيا أهلها[4] ، وتصرّفوا هم في معائشهم على مقتضى[5] مصالحهم واختيارهم من غير حجْرٍ ، ولا تقتير ، ولا تضييق ، وكانوا إذا أملقوا أو قلّت الأزواد سفراً وحضراً دعا بما بقي مَعَهم منها ثم دعا فيه بالبركة ثم أمرهم فأكلوا وتزوّدوا كما ذكرنا فيما مضى ، وكذلك في الماء إذا أعوزهم كما سبق ذكْره ، فهذا التدبير أكمل من تدبير يوسف عليه الصلاة والسلام ، وهذا التصرّف أنفع من تصرّف يوسف عليه الصلاة والسلام ، وهذا النفع أعمّ من نفع تدبير[6] يوسف عليه الصلاة والسلام ، لكن كان ليوسف عليه الصلاة والسلام في ذلك مزيّة أخرى : وهو أنّ الله تعالى جَبَره[7] وطيّب قلبَه بعد أن كان (في)[8] قيد الاسترقاق ، بأن أعطاه هذا التدبير الحسن ، حتى ملّكه رقاب أهل مصر بأجمعهم ، فإنه لما فوّض إليه تدبير الخزائن وأمور الناس فعل ما علّمه الله تعالى من جمع الطعام في سنبله في السّبْع السّنين المُخْصِبَة ، وحفظه حتى دخلت السنون المُجدِبة فنفد ما عند الناس من الحبوب وسَلِم ماعنده ، فباعهم أوّل سنة بالنقود حتى لم يبق بمصر دينار ولا درهم إلا قبضه ، وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس منها شيء ، وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها أجمع ، وباعهم في السَّنة الرابعة بالعبيد والإماء حتى [ق٥٢/ظ] لم يبق عبْد ولا أمة في يد أحد ، وباعهم في السَّنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى احتوى عليها ، وباعهم في السنة السادسة بأولادهم حتى استرقّهم ، وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق

---

(١) في ب "الخلق" ، وهو خطأ .

(٢) في ب زيادة "إلى" قبل لفظ "الله" ، وهو خطأ .

(٣) "وأحياها" زيادة من ب .

(٤) في ب "أهلوها" .

(٥) في ب "بمقتضى" .

(٦) في ب "يد" .

(٧) في ب "خيّره" .

(٨) "في" ليس في ب .

بمصر حرّ ولا حرّة إلا صار قِنّاً[1] له ، فتعجب الناس من ذلك[2] ، فكان ذلك جبراً لقلبه الذي انكسر حال استرقاقه ، وتطييباً لنفسه حين ملّكه رقاب جميع أهل مصر ، وهي عطيّة سنيّة، ومنّة من الله تعالى عظيمة ، والذي أُعطي محمد ﷺ من هذا الجنس أعظم وهو ما تمالأ[3] عليه المشركون من أن لا يبايعوا بني هاشم و بني المطلب ، ولا يناكحوهم ، حتى يُسلّموا إليهم رسولَ الله ﷺ ، ففعلوا ذلك ، فلمّا فعلوهُ وكتبوا الكتاب وتعاقدوا فيه على ذلك وجعلوا الكتاب في جوف الكعبة توكيداً للأمر انحاز بنو هاشم وبنو[4] المطلب إلى أبي طالب ، فدخلوا معه في شعبِه ، وخرج منهم أبو لهَب وظاهرَ المشركين فأقاموا على ذلك (ثلاث)[5] سنين وقطعوا الميرَة والمادّة عنهم ، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغوا الجهد ، ثم إنّ الله تعالى غضب لمحمّد ﷺ وسلّط الأرضة على صحيفتهم التي كتبوا فأكلت ما كان فيها من جور وظلم وبقي ما كان فيها من ذكر الله تعالى واطّلع نبيّه ﷺ على ما كان من ذلك فذكرَه رسول الله ﷺ لعمّه أبي طالب فقال أبو طالب : أحَقٌ ما تخبرني به يا ابن أخي ، قال : «نعم واللهِ» فذكر ذلك أبو طالب لإخوته وقال: والله ما كذَبني قط ، قالوا : فما ترى ، قال : أرى أن تلبسوا أحسن ثيابكم وتخرجوا إلى قريش فتذكروا ذلك لهم مِن قبل أن يبلغهم الخبر فخرجوا حتى دخلوا المسجد فقال أبو طالب : إنا قد جئنا في أمرٍ فأجيبوا[6] فيه ، قالوا : مرحباً بكم وأهلاً ، قال : إنّ ابن أخي قد أخبرني ولم يَكْذِبْني قطُّ أنّ الله تعالى سلّط على صحيفتكم الأرضة فَلَحِسَتْ كلّ ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم وبقي فيها ما ذُكِرَ بِهِ الله تعالى فإن كان ابن أخي [ق٥٣/و] صادقاً نزعتم عن سوء رأيكم وإن كان كاذباً دفعته إليكم فقتلتموه أو استحييتموه[7] إن شئتم ، قالوا : قد أنصفتنا[1] فأرسلوا إلى

---

(١) القن : الذي مُلك هو وأبواه . النهاية في غريب الأثر (١٩١/٤) .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي (٢٣٤/٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٢١٩/٩) .

(٣) في ب "وهو بمالأ" ، وهو خطأ ظاهر .

(٤) في أ "وبنوا" بزيادة الألف ، وهو خطأ .

(٥) "ثلاث" ليس في ب .

(٦) في ب "وأحسوا" .

(٧) في ب "استحيتموه" بياء واحدة .

الصحيفة فلمّا فتحوها إذا هي كما قال رسول الله ﷺ ، فسُقط في أيدي القوم ثم نكسوا على رؤوسهم ، فقال أبو طالب هل تبيّن لكم أنكم أولى بالظّلم والقطيعة ، فلم يراجعه أحد منهم ، ثم انصرفوا[2] ، وقد كان اجتماعهم على كتابة الصحيفة وتمالؤهُم بخَيْف[3] بني كنانة وهو المكان المعروف بالـمُحَصّب[4] ، فلمّا أظهر الله تعالى محمداً ﷺ على قومه ونصره عليهم ، بعد أن أخرج مِن مكّة وبذلوا الأجعال والأموال لمن أتاهم به ، فسلّمه الله تعالى منهم فلما كان يوم الفتح -فتح مكة- سلّطه الله تعالى عليهم ، فقتل من قتل ، واستبقى من استبقى ، وعفا عمّن[5] عفا ، وملّكه الله تعالى أرضهم وديارهم ، وأكسبه أموالهم وأولادهم ، ثمّ لمّا حجّ قال لأصحابه يوم النحر وهو بمنى : «نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر» يعني بذلك : المحَصَّب[6] ، فأراه الله تعالى نفسه والخلق طوع أمره[7] وتحت حكمه ، وأزمّة أمور العالم بيده في المكان ، وكذلك لمّا منعوه في عُمرة الحديبية أن يَدخل مكة ورجع هو وأصحابه سلّطه الله تعالى عليهم يوم الفتح ، ومكّنهم من رقابهم ، ودخلها عليهم عنوة ، وطاف حول الكعبة وجعل يشير إلى الأصنام التي حولها فتتساقط[8] وهو يقول : «﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ [الإسراء:من الآية ٨١] ، ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ:من الآية ٤٩]»[9] ، فكان ما أعطاه أعظم مما أعطى يوسف عليه

---

(١) في ب "أنصفنا"بدون التاء .

(٢) تقدم تخريجه ، انظر : ص٤٨٠ .

(٣) خَيْف -بفتح الأول وياء مثناة ساكنة- : ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء . المعالم الأثيرة ص١١٠ .

(٤) في ب "بالحصب" ، والمحصب -بالضم ثم الفتح وصاد مهملة مشددة- : هو موضع فيما بين مكة ومنى ، وهو إلى منى أقرب ، ويعرف اليوم بمجر الكبش ، وهو مما يلي العقبة الكبرى من جهة مكة إلى منفرج الجبلين . المعالم الأثيرة ص٢٤٠ .

(٥) في ب "من" .

(٦) أخرجه البخاري (١٤٨/٢) ، كتاب الحج ، باب نزول النبي ﷺ مكة ، ح١٥٩٠ ، ومسلم (٩٥٢/٢) ، كتاب الحج ، باب استحباب طواف الإفاضة يوم النحر ، ح١٣١٤ ، من طريق أبي هريرة ﷺ .

(٧) في ب "أميره" .

(٨) في ب "فتساقط" بتاء واحدة .

(٩) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٤٢ .

الصلاة والسلام من ملك مصر ، وتسلّطه على المشركين أكمل من تسلط يوسف على أهل مصر ، وقد كان محمد ﷺ تأتيه الأموال العظيمة من الفتوح فيقسمها بين الناس فما يقوم وقد بقي عنده منها شيء ، ولمّا غنم أموال هوازن وسَبى ذراريهم أمَتُّوا إليه بالرضاع فيهم فقال : «ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو لله ولكم» ، فقالت الأنصار : ما (كان)[1] لنا فالله ولرسوله ﷺ ، فردّ عليهم جميع سبيهم[2] ، فذُكر أنّ الذي أطلقه لهم قُوّم بخمس مائة ألف ألف درهم ، وكان عطاؤه ﷺ عطاء من لا يخاف الفقر [ق٥٣/ظ] ولا يخشى الفاقة[3] ، كان يَقسم فيعطي الرجل المائةَ من الإبل والمائةَ من الغنم وأعطى مرّة غنماً بين جبلين[4] ، حتى استغنى أصحابه ، وتموّلوا حتّى صاروا أغنياء ، ومنهم من صار ملكاً كمعاوية ، وأمراء كغيره مما هو مشهور في كتب سيرهم وأخبارهم ، فكان حال الخلق في أيام محمد ﷺ أحسن وأطيب من حال الناس في زمان يوسف عليه الصلاة والسلام ، وكان عتق محمد ﷺ لهوازن ومنّه عليهم بذلك بعد تملّكهم أعظم من تملّك يوسف عليه الصلاة والسلام أهل مصر ، ولا ريب أنّ المعتق بعد التملّك أعظم درجة من المتملّك بغير عتق .

فإن قيل : إن يوسف عليه الصلاة والسّلام لمّا رادوته امرأة العزيز عن نفسه وغلّقت الأبواب وقالت : هيت لك ، (قال)[5] : معاذ الله ، فاستعصم عليه السلام عن إجابتها إلى ما أرادت فهدّدتْه بالسجن دعا ربّه سبحانه فقال : ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ

---

(١) "كان" ليس في ب .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (٣٩٤/١) ح٦٦١ ، تحقيق : محمد شكور ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، وفي المعجم الأوسط (٤٥/٥) ح٤٦٣٠ ، وفي المعجم الكبير (٢٦٩/٥-) ح٥٣١٠ ، من طريق زهير بن صرد الجشمي ، وأخرجه مطولاً : الطبراني في المعجم الكبير (٢٧٠/٥) ح٥٣١١ ، وأحمد (٦١٢/١١-٦١٣) ح٧٠٣٧ ، والنسائي (٢٦٢/٦) ، كتاب الهبة ، ح٣٦٨٨ ، والبيهقي في الدلائل (١٩٤/٥) ، من طريق عبدالله بن عمرو رضي الله عنه ، قال الألباني في صحيح سنن النسائي ص٥٧٠ : "حسن" .

(٣) أخرج مسلم (١٨٠٦/٤) ، في كتاب الفضائل ، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه ، ح٢٣١٢ ، من حديث أنس رضي الله عنه ، بلفظ : "ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه ، قال : فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين ، فرجع إلى قومه ، فقال : يا قوم أسلموا فإن محمداً يُعطي عطاءً لا يخشى الفاقة" .

(٤) تقدم في الحديث السابق .

(٥) "قال" ليس في ب .

﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف:من الآية ٣٣-٣٤] ، ولا شكّ أنه لو دعا بالسلامة من السجن أيضاً لسلّمه الله تعالى منه ، ولكن كان في ضمن سجْنه[1] حِكَمٌ أظهرها الله سبحانه من براءة ساحته حتى أقرّت المرأة بأنها (هي التي)[2] راودته عن نفسه وأنه من الصادقين ، وغير ذلك من الحكم التي لبسطها مكان آخر ؛ قلنا : قد استجاب الله تعالى دعاء من هو دون يوسف عليه الصلاة والسلام في النبوّة ، بل قد استجاب لكثير[3] من صالحي عباده ، وما أوتِيَهُ محمّد ﷺ من ذلك مشهور معروف من إجابة[4] دعائه ونجاته من كيد مَن أراده بسوء ، كما دعا على الملأ من قريش الذين قتلهم الله تعالى على يديه يوم بدر[5] وكثير من أمثال ذلك مما يطول الكتاب جدّاً بذكره .

فإن قيل : إن يوسف عليه الصلاة والسلام قاسى مرارة الفرقة وامتُحِن بالغربة عن أبيه وأهله ووطنه ، قيل : الذي قاسى محمد ﷺ من فراق بلدهِ الحرام والمشاعر العظام ووطنه ومسقط رأسه أعظم من ذلك ، فقد أُلجئ إلى مفارقة حَرَم الله الآمن ، فخرج متلفتاً إلى البيت وقال [ق٥٤/و] وهو حزين مستعبر : «والله إنّي لأعلم أنك أحبّ البقاع إلى الله ولولا أني أخرجت منكِ ما خرجت»[6] ، ولما ورد المدينة كانت وبيئةً فوُعك أصحابُه ﷺ فقال : «اللهم العن فلاناً (و)[7] فلاناً كما أخرجونا من مكة»[8] ، وأراهُ الله

---

(١) في ب "السجن" .

(٢) "هي التي" ليس في ب .

(٣) في ب "أكثر" .

(٤) في ب "إجابته" .

(٥) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٣٣ .

(٦) أخرجه الترمذي (٥/٧٢٢) ، أبواب المناقب ، باب في فضل مكة ، ح٣٩٢٥ ، من طريق عبدالله بن عدي ﷺ ، بلفظ : «والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت» ، قال الترمذي : "هذا حديث حسن صحيح غريب" ، وأخرجه بنحوه البيهقي في الدلائل (٢/٥١٧) .

(٧) "و" ليس في ب .

(٨) أخرجه البخاري (٣/٢٣) ، كتاب فضائل المدينة ، باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة ، ح١٨٨٩ ، من طريق عائشة رضي الله عنها ، بلفظ : «اللهم العن شيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء ...»

تعالى رؤيا أزال بها حزنه تُوازي رؤيا يوسف في التأويل ، حقق الله تعالى وقوعها كما قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:٢٧] ، وكان قد لقي من قومه وعشيرته أشد مما لقي يوسف عليه السلام من إخوته كما ذكرنا من تمالُؤ قريش عليه وعلى بني عمّه ، فكانت العاقبة والعافية في ذلك كلّه لمحمّد ﷺ ، وردّ كيد الكفار في نحورهم ، ونصره عليهم ، وأُديل عليهم ، حتى دخلوا في دينه طوعاً وكرهاً ، وشفا الله تعالى صدره منهم وأظهره عليهم .

فإن قيل : إن يوسف عليه السلام دعا ربّه بالموت شوقاً إلى لقائه ، قيل : فمحمد ﷺ لما حضر أجله خُيّر بين الحياة والموت فاختار لقاء ربّه تعالى (و)[1]جعل يقول : «الرفيق الأعلى ، الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يَدُه ﷺ[2] .

(فصل)[3]

مفاضلة بين ما أوتي يحيى عليه السلام وبين ما أوتي نبينا محمد ﷺ

فإن قيل : إن يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسّلام أوتي الحكم صبيّاً ، وكان يبكي من غير ذنب ، ويواصل الصّوم ، قيل : ما أعطي محمّد ﷺ أفضل ، فإن يحيى عليه السلام وُلد في حجر الصالحين والأنبياء عليهم السلام [و][4] لم يعرف غير عبادة الله تعالى وتوحيده ، ومحمد ﷺ تَربّى في مكّة بين قوم جاهليّة أصحاب أصنام وأوثان لا يعرفون[5] عبادة الله تعالى فأُعطي الإيمان وعُصم من عبادة الأوثان ومداخلة أهل الشرك والضلال ، فلم يعكف معهم على صنم ، ولا دخل بينهم على وثن ، وليس عجيباً نسك من رَبِيَ في حجر النبوة وتردد بين الصالحين ونشأ بين العباد المجتهدين وقد كان أبواه بالمنزلة الرفيعة من العبادة فاعتاد من صغره على الخير كما قيل :

---

(١) "و" ليس في ب .

(٢) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٩٥ .

(٣) ما بين القوسين بياض في ب .

(٤) "و" زيادة من ب .

(٥) في ب "ما يعرفون" .

يَنشَأ الصغير على ما كان والده[1] إن العروق عَليها يَنبُت الشّجر

وقال محمد ﷺ [ق٤٥/ظ]: «المرء على دين خليله فانظر من يخالل»[2] ولكن العجب من محمد ﷺ (الذي)[3] نشأ بين أهل[4] الكفر ، وتربّى بين عبدة الأوثان ، ونشأ عِندَ جاهلية جهلاء ، لا يرون ديناً غير عبادة الأصنام ، ولا يعرفون غير ذلك ، فغلبت العناية الإلهيّة والتّربية الربانيّة على تأثير الجليس السّوء في المجالس ، حتى غلبت رائحة مسك الجليس الصّالح على شرر نافح كير الكفر فأطفأه ، وطفا نورُ الإيمان ورَسا ، وطَفِئَ جَمْر الشرك ورسَب ، فكان إذا مرّ بمكان فيه شيء من أوثانهم أعرض وعرج[5] عنه ، وأُلهِمَ من صغره التوحيدَ وبُغضَ الأصنام وما كان عليه المشركون[6] ؛ فهذا أعظم من حال يحيى عليه الصلاة والسلام ، فإنه نشأ بين أبويه يتأدّب بأدبهما ، ويأخذ عبادة ربّه عنهما ، ولم يكن له جليس إلا أهلُ الزّهد والعبادة ، (و)[7] فرق عظيم بين من أوتي الحكمة وهو في حجر النّبوّة وكنف أهل العلم والدّين وبين من أوتيها وهو بين أهلِ[8] الكفر والإشراك وعدم من يوحّدُ الله تعالى ويعبده .

فإن قيل : فقد أثنى الله على يحيى عليه السلام بقوله : ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران:من الآية ٣٩] والحصور الذي لا يأتي النّساء ، قيل : إنّ يحيى عليه السلام كان منفرداً بمراعاة شأنه ، وكان محمد ﷺ رسولاً إلى الخلق كافّة ليَقُودَهم وَيَحُوشَهُم إلى الله ﷻ قولاً وفعلاً ، فأظهر الله تعالى به الأحوال المختلفة ، والمقامات العالية المتفاوتة في متصرّفاته ، ليقتدي كل الخلق بأفعاله ويتشبّه بأوصافه ، فاقتدى به الصّدّيقون في حالاتهم ،

---

(١) في ب "ولده" ، وهو خطأ ظاهر .

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٤/١٢) ح٨٨٩٠ ، من طريق أبي هريرة ﷺ ، بلفظ : «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» ، وأخرجه بنحوه أبو داود (٢٥٩/٤) ، في كتاب الأدب ، باب من يؤمر أن يجالس ، ح٤٨٣٣ ، والترمذي (٥٨٩/٤) ، أبواب الزهد ، ح٢٣٧٨ ، وقال : "هذا حديث حسن غريب" .

(٣) "الذي" ليس في ب .

(٤) في ب "في حجر" .

(٥) في ب "وعوج" .

(٦) تقدم تخريج الأحاديث في حال النبي ﷺ قبل البعثة من تجنبه الشرك وبغض الأصنام ، انظر : ص٣٦٨-٣٦٩ .

(٧) "و" ليس في ب .

(٨) في ب "في حجر" .

والشهداء في مراتبهم ، والصالحون في أحوالهم ، ليأخذ العالي والداني والمتوسط من سيرته قسطاً وحظّاً ، والنكاح من أعظم حظوظ النفس وأبلغ الشهوات ، فلهذا أمره الله تعالى بالنكاح وأوجبه عليه لما جبل عليه النفوس وطبعها عليه ، ليتحصَّنُوا به من السِّفاح ، ولما كان المقصود من النكاح التناسل قال ﷺ : «تناكحوا تكثروا فإنّي مُكاثر بكم الأمم[1]»[2] واجتمع عنده في وقت تسع نسوة وكان يطوف عليهن في الليلة الواحدة[3] هذا مع توفّره على العبادة التي حَيّرت الخلق ، فإنه كان يصلي حتى تورّم[4] قدماه ويقوم [ق٥٥/و] الليلَ كلّه بالآية يردّدها يناجي بها ربَّه سبحانه : ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨] ويواصل في الصوم الأيام والليالي ويقول : «وأيّكم مثلي إني أبيت يطعمني ربّي ويسقيني»[5] على أنه قال : «من استطاع منكم الباءة فليتزوج فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[6] فكان يبالغ في الصيام حتى يواصل فيه ومع ذلك فهذا شأنه في القوة على الجماع كما أشرنا[7] إليه ، ولما

---

(١) في هامش أ "وروى ابن الجوزي بإسناده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «فضلت على الناس بأربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وشدة البطش» وسيأتي في موضعه" .

(٢) أخرجه أبو داود (٢/٢٢٠) ، كتاب النكاح ، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء ، ح٢٠٥٠ ، والحاكم (٢/١٧٦) ، كتاب النكاح ، ح٢٦٨٥ ، من طريق معقل بن يسار ، بلفظ : «تزوجوا الودود الولود فأني مكاثر بكم الأمم» ، قال الحاكم : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة" ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٩/٣٢٨) ، كتاب النكاح ، ح٤٠٢٨ ، من طريق أنس بن مالك ﷺ ، قال الألباني في آداب الزفاف في السنة المطهرة ص٦٠ ، ١٤٠٩ ، المكتب الإسلامي ، بيروت : "حديث صحيح" .

(٣) تقدم تخريج الأحاديث الواردة فيه ، انظر : ص٤٨٤ .

(٤) في أ "ترم" .

(٥) أخرجه مسلم (٢/٧٧٤) ، في كتاب الصيام ، باب النهي عن الوصال في الصوم ، ح١١٠٣ ، من طريق أبي هريرة ﷺ .

(٦) أخرجه البخاري (٧/٣) ، في كتاب النكاح ، باب قول النبي ﷺ : «من استطاع منكم الباءة فليتزوج ...» ، ح٥٠٦٥ ، من طريق عبدالله بن مسعود ﷺ ، بلفظ : «ومن لم يستطع» بالواو .

(٧) في ب "أشرت" .

سئلت عائشة رضي الله عنها عن عمله في بيته فقالت : وأيّكم يطيق ما كان [1]رسول الله ﷺ يطيق ، كان عمله ديمةً ﷺ[2] ، (والله أعلم)[3] .

(فصل)[4]

المنهج في المفاضلة بين النبي ﷺ وبين غيره من الأنبياء عليهم السلام

ولم نورد ما أوردناه غضّاً على أحد من أنبياء الله صلى الله عليهم وسلم ، ولا تنقصاً بأحد منهم ، ونعوذ بالله تعالى من ذلك ، ومن خطوره بالبال أيضاً ، ولكن رأينا الله سبحانه قد فضّل بعض النبيّين على بعض ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ، ووقع إلينا من أخبارهم وأحوالهم ما وقع ، تبيّن لنا فضل نبيّنا محمد ﷺ (عليهم)[5] ، وعرفنا من فضل بعضهم على بعض ما أشرنا إليه في هذا الكتاب ، مع أن كلّهم كان عند الله وجيهاً ، وكان كل منهم (نبيّاً)[6] نبيهاً صلى الله عليهم وبارك وسلم ؛ وأمّا ما جاء من قوله ﷺ : «لا تفضّلوني على يونس بن[7] متى»[8] ومن قوله : «لا تفضّلوا بين أنبياء الله»[9] فإن ذلك وقع منه ﷺ في قضايا معيّنة كان مضمونها تفضيله والازراء على غيره فغضب لذلك

---

(١) في ب زيادة "يفعله" قبل "رسول الله" .

(٢) أخرجه البخاري (٣/٤٢) ، بتقديم وتأخير في كتاب الصوم ، باب هل يخص شيئاً من الأيام ، ح١٩٨٧ .

(٣) "والله أعلم" ليس في ب .

(٤) ما بين القوسين بياض في ب .

(٥) "عليهم" ليس في ب .

(٦) "نبيّاً" ليس في ب .

(٧) في ب "ابن" بزيادة الهمزة .

(٨) قال الشيخ الألباني في تخريج شرح العقيدة الطحاوية ، الطبعة الأولى ١٤٢٦ ، دار السلام : "لا أعرف له أصلاً بهذا اللفظ" ؛ والصحيح هو الرواية التي أخرجها البخاري (٤/١٥٣) ، في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾ [طه:٩] ، ح٣٣٩٥ ، ومسلم (٤/١٨٤٦) ، في كتاب الفضائل ، باب في ذكر يونس عليه السلام وقول النبي ﷺ : «لا ينبغي لعبد أنا خير من يونس بن متى» ، ح٢٣٧٦ ، من طريق أبي هريرة رضي الله عنه ، بلفظ : لا ينبغي لعبد أن يقول : «أنا خير من يونس بن متى» .

(٩) أخرجه البخاري (٤/١٥٩) ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:١٣٩] ، ح٣٤١٤ ، ومسلم (٤/١٨٤٣) ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل موسى ﷺ ، ح٢٣٧٣ .

ونهى عن التفضيل على هذا الوجه وقد صحّ عنه ﷺ أنه قال : «أنا سيد ولد آدم ولا فخر بيدي لواء الحمد يوم القيامة آدم فمن بعده تحت لوائي ولا فخر»[1] .

(فصل)[2]

فضائل النبي ﷺ على سائر الأنبياء عليهم السلام

فأمّا[3] فضله ﷺ على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فمن ذلك ما روى البخاري من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ قال : «أُعطيتُ خمساً لم يُعطَهُن أحد قبلي : نُصرت بالرعب مسيرة شهر [ق٥٥/ظ] ، وجُعلَتْ لي الأرضُ مسجداً وطَهُوراً فأيّما رجلٍ من أُمّتي أدركَتْه الصّلاة فليُصلّ ، وأُحِلَّتْ لي الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلي ، وأُعطِيتُ الشّفاعةَ ، وكان النّبيّ يُبعث إلى قومه خاصّةً وبُعِثتُ إلى النّاس عامّة»[4] ، وروى أيضاً عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال : «بُعِثتُ بجوامع الكَلِم ، ونُصِرتُ بالرعب ، وبينا أنا نائمٌ رَأيتُني أُتيتُ بمفاتيح خزائن الأرض فَوُضِعَت في يدي»[5] والحديثان في الصحيحين وغيرهما ؛ وفي مسند الإمام أحمد وغيره عن أبي ذرّ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «أُعطيتُ خمساً لم يُعطَهنّ أحد قبلي : بُعثتُ إلى الأحمر والأسود ، وجُعلَتْ لي الأرض طَهُوراً ومسجداً ، وأحلّت لي الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلي ، ونُصِرتُ بالرّعب فيُرعَب العدوّ وهو منّي على مسيرة شهر ، وقيل لي : سل تعطه فاختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمّتي فهي نائلة منكم إن شاء الله من لم يشرك بالله شيئاً»[6] وروى أيضاً من حديث أبي موسى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «أُعطيتُ خمساً لم

(١) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٢٧ .

(٢) ما بين القوسين بياض في ب .

(٣) في ب "أما" بدون الفاء .

(٤) أخرجه البخاري (١/٧٤) ، كتاب التيمم ، ح٣٣٥ ، وأخرجه مسلم (١/٣٧٠) ، بتقديم وتأخير في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، ح٥٢١ .

(٥) أخرجه البخاري (٩/٣٦) ، كتاب التعبير ، باب المفاتيح في اليد ، ح٧٠١٣ ، ومسلم (١/٣٧١) ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، ح٥٢٣ ، واللفظ للبخاري .

(٦) مسند الإمام أحمد (٣٥/٢٤٢-٢٤٣) ح٢١٣١٤ ، قال الألباني : "أخرجه أحمد بإسناد صحيح" . انظر : إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (١/٣١٧) ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ ، المكتب الإسلامية ، بيروت .

يُعطَهُنَّ نبيّ قبلي ...» وذكر نحوه[1] ، ورُوي من حديث أبي أمامة ﷺ عنه[2] ﷺ قال : «فُضّلتُ بأربع ...» فذكر بمعناه غير أنه لم يذكر الشّفاعة[3] ، وروى أيضاً من حديث علي بن أبي طالب ﷺ قال : «أُعْطِيتُ ما لم يُعطَ أحد من الأنبياء» فقلنا : يا رسول الله ما هو ، قال : «نُصِرتُ بالرّعب وأُعطيتُ مفاتيح[4] الأرض وسُمّيت أحمد وجُعل التّرابُ لي طَهوراً وجُعلت أُمّتي خيرَ الأمم»[5] ، وروى أيضاً عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه فذكر قصّةً قال : وقال لهم يعني النبي ﷺ : «لقد أُعطِيتُ الليلة خمساً ، ما أُعطيهن أحد قبلي : أمّا أنا فَأُرسِلتُ إلى الناس كلّهم عامّةً ، وكان مَن قبلي إنّما يُرسَل إلى قومه ، ونُصِرتُ على العدوّ بالرّعب ، ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر لَمُلِئُوا[6] منّي رُعباً ، وأُحِلَّت لي الغنائم آكُلُها ، وكان من قبلي يُعَظمون أكْلَها ، كانوا يُحرقونَها ، وجُعِلَتْ لي الأرضُ مساجد وطَهُوراً[7] ، أينما أدركَتْني الصلاة تَمسَّحت وصلّيتُ [ق٥٦/و] ، وكان من قبلي يُعَظِّمون ذلك ، إنما كانوا يصلّون في كنائسهم وبِيَعهم ، والخامسة هي ما(هي)[8] ، قيل لي : سل فإن كلّ نبيّ قد سأل ، فأخّرت مسألتي إلى يوم القيامة ، فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله»[9] ، وروى أيضاً أن عمر بن الخطاب ﷺ أتى النّبيَّ ﷺ بكتابٍ أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبي ﷺ فغضب وقال : «أمُتَهَوِّكون[10] فيها يا ابن الخطّاب ، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣٢/٥١٢-٥١٣) ح١٩٧٣٥ ؛ قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "صحيح لغيره" .

(٢) في ب "أنه" .

(٣) أخرجه أحمد (٣٦/٥٤٣) ح٢٢٢٠٩ ، قال الألباني في إرواء الغليل (١/٣١٦) : "إسناده صحيح" .

(٤) في ب "بمفاتيح" ، وهو خطأ .

(٥) مسند الإمام أحمد (٢/١٥٦) ح٧٦٢ ، قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "إسناده حسن" .

(٦) في ب "مُلِئوا" بدون اللام .

(٧) في ب "وطهور" بدون ألف التنوين .

(٨) "هي" ليس في ب .

(٩) مسند الإمام أحمد (١١/٦٣٩) ح٧٠٦٨ ؛ قال الألباني في إرواء الغليل (١/٣١٧) : "أخرجه أحمد بسند حسن" .

(١٠) قال ابن الأثير : "التهوك كالتهور : وهو الوقوع في الأمر بغير روية ، والمتهوك : الذي يقع في كل أمر ، وقيل : هو

نقيّة ، لا تسألوهم عن شيء فيُخبرون بحقّ فتكذّبونه ، أو بباطل[1] فتصدّقونه ، والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حيّاً ما وسعه إلا أن يَتّبعني»[2] وروى مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «لو بَدا لكم موسى فاتبعتموه ثم تركتموني لضللتم عن سواء السبيل ، ولو كان موسى حيّاً ثم أدركني في نبوّتي لاتّبعني»[3] وروى مسلم من حديث حذيفة ﷺ قال رسول الله ﷺ : «(فُضلنا)[4] على الناس بثلاث : جُعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجُعلت لنا الأرض كلها مسجداً ، وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء»[5] ، وروى أيضاً من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ (قال)[6] : «فضّلت على الأنبياء بستّ : أُعطيتُ جوامع الكَلِم ، ونُصِرتُ بالرّعب ، وأحلّت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأُرسِلتُ إلى الخلق كافّةً ، وخُتم بي النبيون»[7] ، وعنه[8] أيضاً عنه ﷺ قال : «(و)[9] جُعلت لي الأرض طيّبة طهوراً فأيما رجل أدركته الصلاة صلّى حيث كان»[10] وفي حديث حذيفة ﷺ : «وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وأوتيت هؤلاء الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعط منه أحد قبلي ولا يعطى منه أحد بعدي»[11] ، وروى

التحير" . النهاية (٥/٦٦٠) .

(١) في ب "أفباطل" .

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٣/٣٤٩) ح١٥١٥٦ ؛ قال الألباني في إرواء الغليل (٦/٣٤) : "هذا سند فيه ضعف" .

(٣) أخرجه الدارمي بنحوه في سننه (١/٤٠٣) ، كتاب العلم ، باب ما يتقى من تفسير حديث النبي ﷺ وقول غيره عند قوله ﷺ ، ح٤٤٩ ؛ قال الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح (١/٤٢) ح١٩٤ : "حسن" .

(٤) "فضلنا" ليس في ب .

(٥) صحيح مسلم (١/٣٧١) ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، ح٥٢٢ .

(٦) "قال" ليس في ب .

(٧) صحيح مسلم (١/٣٧١) ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، ح٥٢٣ .

(٨) إن كان الضمير في (عنه) عائد إلى الإمام مسلم فصحيح ، وإن كان عائد إلى أبي هريرة ﷺ فخطأ ، فالرواية مخرجة من طريق جابر بن عبدالله ﷺ كما سيأتي ، ولم أقف على من خرجها بهذا اللفظ من طريق أبي هريرة ﷺ .

(٩) "و" ليس في ب .

(١٠) أخرجها مسلم (١/٣٧٠) ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، ح٥٢١ ، من طريق جابر بن عبدالله ﷺ ، بزيادة : «ومسجداً» بعد «طيبة وطهوراً» .

(١١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٧/٢٦٠) ، كتاب فضائل القرآن ، ح٧٩٦٨ ، وأخرجه بنحوه ابن حبان في

أيضاً من حديث أبيّ بن كعب ﷺ فذكر قصّة الذي دخل المسجد وقرأ القراءة[1] التي أنكرها ، وحمله إلى النبي ﷺ ، وذكر قوله : «أُرسِلَ إليّ أن اقرأ القرآن على حرف ، فرددت [ق٥٦/ظ] إليه أن هوّن على أمّتي –فذكرت ثلاث مرّات– قال : فردّ إليّ الثالثةَ اقرأه على سبعة أحرف ، ولك بكل ردّة رددتكها[2] مسألة تسألنيها ، فقلت : اللهم اغفر لأمّتي ، اللهم اغفر لأمّتي ، وأخرّتُ الثالثةَ ليوم يَرغب إليّ الخلق كلّهم حتى إبراهيم صلوات الله عليه»[3] ، وعن أبي أمامة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنّه قال : «إن الله فضّلني على الأنبياء ، وفضّل أمّتي على الأمم ، وأرسلني إلى الناس كافّة ، ونُصِرتُ بالرُّعب يسير بين يديّ قذفَهُ في قلوب أعدائي ، وجعل لي الأرض كلها مسجداً وطَهوراً فأيّما عبد أدركته الصلاة فعنده مسجده وطَهوره وأحلّت لي الغنائم»[4] ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ : «أُعطيتُ خمساً لم يُعطَهن أحد قبلي من الأنبياء : جُعِلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، ولم يكن نبي من الأنبياء –يعني :– يصلي حتى يبلغ محرابه ، ونُصرت بالرعب مسيرة شهر يكون بيني وبين المشركين مسيرةُ شهرٍ يقذف[5] الله الرّعب في قلوبهم ، وكان النبي[6] يبعث خاصّة إلى قومه وبعثت إلى الجنّ والإنس ، وكانت الأنبياء يعزلون الخمس فتجيء النار فتأكله ، وأمرت أن أقسمه في فقراء أمّتي ، ولم يبق

صحيحه (١٤/٣١٠) ، كتاب التاريخ ، باب من صفته ﷺ وأخباره ، ح٦٤٠٠ ، وأحمد (٣٨/٢٨٧) ح٢٣٢٥١ ، قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٥٦) ح١٤٨٢ : "وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم" .

(١) في ب "وقراءة القرآن" .

(٢) في ب "لكل رد مددتكها" .

(٣) صحيح مسلم (١/٥٦١) ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب بيان أن القرآن على بعة أحرف وبيان معناه ، ح٨٢٠ .

(٤) أخرجه أحمد (٣٦/٤١٥) ح٢٢١٣٧ ، والبيهقي في سننه (١/٣٤٠) ، باب التيمم بعد دخول وقت الصلاة ، ح١٠٥٩ ، بلفظ : «إن الله ﷻ قد فضلني على الأنبياء –أو قال : أمتي على الأمم– بأربع : أرسلني إلى الناس كافة ، وجعل الأرض كلها لي ولأمتي طهوراً ومسجداً فأينما أدركت الرجل من أمتي الصلاة فعنده مسجده وعند طهوره ، ونصرت بالرعب يسير بين يدي مسير شهر يُقذف في قلوب أعدائي ، وأحلت لي الغنائم» واللفظ للبيهقي ، وروى الترمذي بعضه (٤/١٢٣) ، باب ما جاء في الغنيمة ، ح١٥٥٣ ، وقال : "حديث أبي أمامة حسن صحيح" .

(٥) في أ "فيقذف" بزيادة الفاء .

(٦) في ب زيادة "ﷺ" بعد "النبي" ، ولم أقف عليها في رواية الحديث .

نبيّ إلا قد أعطي سؤله وأخّرت أنا شفاعتي لأمّتي»[1] ، فإن اعترض معترض بأن سليمان عليه السلام كان له سراري ، والسراري والعبيد أثر الغنيمة ، فكيف يقول محمد ﷺ : «أحلت لي الغنائم ولم تُحَلّ لأحد قبلي» قال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي : "إن الأنبياء كانوا إذا جاهَدُوا وقدّموا الغنيمة التي هي أمتعة وأطعمة وأموال نزلت نار فأكلتها كلّها : حصّة ذلك النبي وسهام الأمّة ، كما في حديث أبي هريرة الذي في الصحيحين عنه ﷺ قال : «غزا نبيّ من الأنبياء فجمعوا الغنائم ، فأقبلت النّار لتأكله فأبت أن تَطعمه فقال النّبيّ : فيكم غلول ، فأخرجوا مثل رأس بقرة ذهباً فوضعوه في المال ، فأقبلت النار فأكلَتْه ، فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا ، ذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فطيّبها [ق٥٧/و] لنا» فأما العبيد والإماء والحيوانات فإنها تكون ملكاً للغانمين دون الأنبياء عليهم الصلاة السلام ، فلا يجوز للأنبياء عليهم السلام أخذ شيء منها بسبب الغنيمة بل بالابتياع و[2] الهدية ونحو ذلك ، ومن هذا تسرّي سليمان عليه الصلاة والسلام ، وكذلك تسري إبراهيم عليه الصلاة والسّلام بهاجر أم إسماعيل عليه السلام لم يكن ملكه لها من جهة الغنيمة وإنما وصلت إليه من الهبة ، ومحمد ﷺ كان[3] يجوز له ذلك فيأخذ (الخمس و)[4] الصفي[5] ويتصرف فيه ، وذلك من خصائصه دون الأنبياء صلى الله عليه وعليهم وسلم ؛

---

(١) أخرجه البيهقي بنحوه في سننه (٢/٦٠٧) ، باب أينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد وفي ذلك دلالة على أن أصل الأرض على الطهارة ما لم تعلم نجاسة ، ح٤٢٦٦ ، والبزار في مسنده (٢/١٦٦) ح٤٧٧٦ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٥٨) ح١٣٩٤٧ : "رواه البزار ، وفيه من لم أعرفهم" .

(٢) في أ "و" ، وما أثبته هو المذكور في الوفا بأحوال المصطفى (١/٣٦٨) ، لأبي الفرج بن الجوزي ، تحقيق : مصطفى عبدالواحد ، الطبعة الأولى ١٣٨٦ ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

(٣) في ب "وكان" بزيادة الواو ، وهو خطأ .

(٤) "الخمس و" ليس في ب .

(٥) في الوفا لابن الجوزي (١/٣٨٦) "الفيء" ؛ والصفي : هو ما يختاره ﷺ قبل القسمة من الغنيمة كجارية وسيف ودرع ومنه صفية أم المؤمنين رضي الله عنها . انظر : كشاف القناع عن متن الإقناع (١١/١٩٧) ، لمنصور البهوتي ، تحقيق : لجنة بإشراف : عبدالعزيز بن قاسم ، ١٤٣٠ ، وزارة العدل ، الرياض .

(قال)[1] : فإن قيل : فالعبيد والإماء غنيمة أيضاً ؟ قلنا : نعم ، لكن ذلك حرّم على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأحل لنبيّنا ﷺ خاصّة من بينهم"[2] .

فحكم العبيد والإماء والحيوان غير حكم الصامت من الأموال فإن الأموال غير ذوات الأرواح كانت تحرق والحيوان لا يحق تحريقه فهذا شيء ، وذاك شيء آخر .

وقد أعطي هو ﷺ وأمّته الجمعة ولم يعطها من قبله[3] ، وخواصه وخواصّ أمته كثيرة كما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى ، وروى البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون لم ذلك ؟ يجمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد ، وتدنو الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ، فيقول بعضهم لبعض : ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ﷻ ؟ فيقولون : آدم - فذكر حديث الشفاعة وتدافع الأنبياء عليهم السلام أمرها وكلٌّ يقول : (لست)[4] لها - حتى يأتوني فأقول : أنا لها»[5] والحديث مشهور معروف في الصحاح وغيرها ، ففي هذا الحديث احتياج الخلق كلّهم إليه يوم القيامة ، وتقدمه على جميع الأنبياء ﷺ ، وأنه إذا قام يشفع فيقال[6] (له)[7] : «سل تعط ، واشفع تشفع» ، وليست هذه الرتبة لغيره ، وروى الترمذي من حديث أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا أوّل الناس خروجاً إذا بُعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشّرهم إذا يَئسوا وأنا أكرم ولد على آدم على ربّي ولا فخر [ق٥٧/ظ] »[8] وفي روايةٍ له أنه قال : «أنا أكرم الأوّلين والآخرين على الله ﷻ ولا فخر» وقد تقدم ، وروى الدارمي عن أنس ﷺ أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا

---

(١) "قال" ليس في ب .

(٢) الوفا بأحوال المصطفى (١/٣٦٧-٣٦٨) .

(٣) أخرج مسلم (٢/٥٨٦) ، في كتاب الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، من طريق حذيفة ﷺ ، قال : "قال رسول الله ﷺ : «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا ، فكان لليهود يوم السبت ، وكان للنصارى يوم الأحد ، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة ...» .

(٤) "لست" ليس في ب .

(٥) تقدم تخريجه ، انظر : ص٤٠٦ .

(٦) في ب "فيقول" ، وهو خطأ .

(٧) "له" ليس في ب .

(٨) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٤٧ .

أوّلهم خروجاً ، وأنا قائدهم إذا وفدوا ، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ، وأنا مستشفعهم إذا حبسوا ، وأنا مبشّرهم إذا يئسُوا ، والمفاتيح يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربّي ، يطوف عليّ ألف خادم كأنهم بيض مكنون ، أو لؤلؤ منثور»[1] ، وروى أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه ، فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون ، فتسمّع حديثهم ، [فإذا بعضهم][2] يقول : عجباً أن الله اتخذ من خلقه خليلاً فإبراهيم خليله ، وقال آخر : ماذا بأعجب من أن كلم موسى تكليماً ، وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحهُ ، وقال آخر : (وآدم)[3] اصطفاه الله ، (فخرج)[4] عليهم فسَلّم وقال : «قد سمعت كلامكم وعجبَكم أنّ إبراهيم خليل الله وهو كذلك ، وموسى نجيّه وهو كذلك ، وعيسى روحه وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله تعالى وهو كذلك ، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ، تحته آدم فمن دونه ولا فخر ، وأنا أوّل شافع وأول مشفّع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أوّل من يحرّك غلق الجنّة ولا فخر ، فيفتح الله فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر»[5] ، وعن حذيفة ﷺ قال : قال أصحاب رسول الله ﷺ : إبراهيم خليل الله ، وموسى كلّمه الله تكليماً ، وعيسى كلمة الله وروحه ، فما أُعطيتَ يا رسول الله ؟ قال : «ولد آدم كلهم تحت رايتي ، وأنا أوّل من يفتح له باب الجنّة»[6] ، وروى أبو نعيم عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «قلت : يا رب

---

(١) سنن الدارمي (١/١٩٦) ، كتاب دلائل النبوة ، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل ، ح٤٩ ، قال الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح (٣/٢٥٣) ح٥٧٦٥ : "ضعيف" .

(٢) في أ "قال : أبعضكم" ، وفي ب "وقال : أبعضكم " بزيادة الواو ، وما أثبته من سنن الدارمي (١/١٩٤) ، كتاب دلائل النبوة ، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل ، ح٤٨ ، وهو الصواب .

(٣) "وآدم" ليس في ب .

(٤) "فخرج" ليس في ب .

(٥) سنن الدارمي (١/١٩٤) ، بنحوه في كتاب دلائل النبوة ، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل ، ح٤٨ ؛ وأخرجه الترمذي (٥/٥٨٧) ، في أبواب المناقب ، ح٣٦١٦ ، وقال : "هذا حديث غريب" ، وقال الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح (٣/٢٥٢) ح٥٧٦٢ : "ضعيف" .

(٦) أخرجه ابن عساكر في معجم الشيوخ (١/٢٨٠) ، تحقيق : د.وفاء تقي الدين ، الطبعة الأولى ١٤٢١ ، دار البشائر ، دمشق ، وأخرجه أبو عبدالله الدقاق في معجم مشايخ أبي عبدالله محمد بن عبدالواحد بن محمد الدقاق ص٢٩

، إنه لم يكن نبيّ إلا وقد أكرمتَه ، فجعلت إبراهيم خليلاً ، وموسى كليماً ، وسخّرت لداود الجبال ، و لسليمان الريح والشياطين ، وأحييت لعيسى الموتى ، فما جعلتَ لي ؟ قال : أوليس (قد)[1] أعطيتك (أفضل)[2] من ذلك كله ، أن لا أُذكَر إلا ذُكِرتَ معي ، وجعلت صدور أمّتك أناجيل يقرأون القرآن ظاهراً [ق٥٨/و] ولم أعطها أمّةً»[3] ، وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «لما أسري بي إلى السّماء قلت : يا رب اتخذت إبراهيم خليلاً ، وكلمت موسى تكليماً ، ورفعت إدريس مكاناً علياً ، وأتيت داود زبوراً ، وأعطيت سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فماذا لي يارب ؟ ، فقال : يا محمد اتخذتك خليلاً كما اتخذت إبراهيم خليلاً ، وكلمتك كما كلمت موسى ، وأعطيتك فاتحة الكتاب وخاتمة سورة البقرة ولم أعطها نبيّاً قبلك ، وأرسلتك إلى أهل الأرض أولهم وآخرهم وإنسهم وجنّهم ولم أرسل إلى جماعتهم نبياً قبلك ، وجَعلتُ الأرض لك ولأمّتك مساجد وطهوراً ، وأطعمت أمّتك الفيءَ ولم أُحلّه لأمّة قبلها ، ونصرتك بالرعب حتى إن عدوّك لَيُرعَب منك ، وأنزلت عليك سيّد الكتب كلّها قرآناً عربيّاً ، ورفعت لك ذكْرك حتّى لا أُذكَر إلا ذكرت معي»[4] ، وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «(إن الله اختارني على جميع العالمين من النبيين والمرسلين»[5] ،

، تحقيق : الشريف حاتم العوني ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م ، مكتبة الرشد ، الرياض ؛ قال ابن عساكر في المعجم : "هذا حديث حسن" .

(١) "قد" ليس في ب .

(٢) "أفضل" ليس في ب .

(٣) تقدم تخريجه ، انظر : ص٤٤٠-٤٤١ .

(٤) أخرجه ابن الجوزي بنحوه في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (١٨٣/١) ، تحقيق : خليل الميس ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ؛ وأخرجه الخطيب البغدادي في المتفق والمفترق (١٧٦٢/٣) ح١١٤٤ ، تحقيق : د. محمد صادق الحامدي ، الطبعة الأولى ١٤١٧ ، دار القادري ، دمشق ، بلفظ : «...وأعطيتك فاتحة الكتاب وفاتحة سورة البقرة ...» ؛ قال ابن الجوزي في العلل المتناهية (١٨٣/١) : "هذا حديث لا يصح" .

(٥) أخرجه أبو نعيم في فضائل الخلفاء الراشدين وغيرهم ص١٧٣ ح٢٢٨ ، تحقيق : صالح العقيل ، الطبعة الأولى ١٤١٧ ، دار البخاري ، المدينة ، بلفظ : «إن الله عز وجل اختارني على الأنبياء ...» ؛ وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣٦/٤٤) ، بلفظ : «إن الله تبارك وتعالى اختارني على جميع العالمين إلا النبين والمرسلين» .

وعنه أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ[1] : «إن الله ﷻ أعطى موسى الكلام ، وأعطاني الرؤية ، وفضلني بالمقام المحمود والحوض المورود»[2] ، وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال : "ما خلق الله تعالى خلقاً ولا برأه أحبّ إليه من محمّد ﷺ"[3] ؛ ومن أنعم النظر في معجزات الأنبياء ، وتدبّر معجزات نبيّنا ﷺ ، (وجد معجزات نبيّنا ﷺ)[4] أضعاف ذلك ، مع مقابلة كل معجزة بما هو مثلها ، أو فوقها ، ووجد لنبينا ﷺ غير ذلك مما تفرّد به ، ووجد كرامات الأولياء من أمّته أعظم ، وأكثر ، وأبلغ من كرامات الأولياء من أمم الأنبياء قبله .

فإن قيل : كيف قال محمد ﷺ : «بُعِثتُ إلى الخلق كافة»[5] ومعلوم أن موسى عليه الصلاة والسلام لما بُعث إلى بني إسرائيل لو جاءه غيرهم[6] من الأمم يسألونه تبليغ ما جاء به عن الله تعالى لم يجز له كتمه ، بل كان يجب عليه إظهار ذلك لهم؟ ، ثم قد أهلك الله تعالى في زمن نوح ﷺ الخلق وما كان ذلك إلا لعموم رسالته؟ ، فقد أجاب عن هذا أبو الوفاء ابن عقيل[7][ق٥٨/ظ] فقال : إن شريعة نبينا ﷺ جاءت ناسخة لكل شريعة قبلها ، وقد كان يجتمع في العصر الواحد نبيّان و ثلاثة يدعو كل واحد إلى شريعة تخصّه ، ولا يدعو غيره من الأنبياء إليها ولا ينسخها ، بخلاف نبينا ﷺ فإنه دعا الكل

---

(١) ما بين القوسين ليس في ب .

(٢) أخرجه ابن الجوزي في كتاب الموضوعات (١/٢٩٠) ، وقال : "هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ" .

(٣) أخرجه البيهقي بنحوه في الدلائل (٥/٤٨٧) .

(٤) "وجد معجزات نبيّنا ﷺ" ليس في ب .

(٥) أخرجه مسلم (١/٣٧١) ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، ح٥٢٣ ، من طريق أبي هريرة ﷺ ، بلفظ : «وأرسلت إلى الخلق كافة» .

(٦) في ب "غيره" بالافراد ، وهو خطأ .

(٧) هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، أبو الوفاء ، يعرف بابن عقيل : عالم العراق وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته ، كان قوي الحجة ، اشتغل بمذهب المعتزلة في حداثته ، وكان يعظم الحلاج ، فأراد الحنابلة قتله ، ثم أظهر التوبة حتى تمكن من الظهور له تصانيف أعظمها " كتاب الفنون" ، توفي سنة ٥١٣ . انظر : الأعلام (٤/٣١٣) ؛ قال الذهبي : " رأيت شيخنا وغيره من علماء السنة والأثر يحطون على ابن عقيل لما تورط فيه من تأويل الجهمية ، وتحريف النصوص ، نسأل الله الستر والسلامة" . تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (٣٥/٣٥٣) ، لشمس الدين الذهبي ، تحقيق : د. عمر عبدالسلام تدمري ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

ونسخ الكل وقال : «لو كان موسى حَيّاً ما وسعه إلا اتباعي»[1] وما كان يمكن عيسى ﷺ أن يقول هذا في حق موسى ﷺ ، وأما نوح عليه الصلاة والسلام فإنه لم يكن في زمنه نبي يدعو إلى شريعته[2] ، وقد أشرنا إلى هذا فيما تقدم .

قلت : ولو قيل : إن كل نبي من الأنبياء المبعوثين إلى أممهم خاصّة أن تخصيصهم هذا (هو)[3] أنهم لا يدعون غير من أرسلوا إليه ، فإن طَرَى على أحد منهم طار من غير أمته واستفتاه فإنما يُفتيه بشريعته لا شريعة المستفتى فإن هذا لا مانع منه ، وإذا عمل هذا المستفتي بما أفتاه هذا المفتي لم يكن ضالّاً ولا معاقباً بمتابعة هذا النبي الآخر ، فإن أصل دين الأنبياء جميعهم شيء واحد ، فالأميّ إذا قلّد العالم في شيء جاز فكيف بتقليد النبي المعصوم عند الحاجة ؛ وقريب من هذا المعنى في هذه الأمّة المحمّديّة الجامعة لكل خير ، المعصومة من الاجتماع على ضلالة ، لو سأل حنبليُّها شافعيَّها أو مالكيُّها حنفيَّها ونحو ذلك عن أمرٍ فأفتاه ذلك العالم بما هو مذهبه فعمل السائل بقوله لم يأثم ولم يكن ضالّاً بسؤال من ليس على مذهبه مع اتفاق أصل الدين ، ومع ذلك لا يجوز لهذا المفتي أن يَدعُوَ الناسَ إلى مذهبه ومفارقة مذاهبهم ونحو ذلك مثلاً إذا سكن رجل من بغداد في مصرَ أو غيرها واحتاج إلى شيء من الأمور الشرعيّة كالعقود والفسوخ وإقامة الحدود ونحو ذلك فإنه يكون تحت حكم قضاتها وولاتها يقضون فيما يوافق مذاهبهم و(إن)[4] كانت خلاف مذهبه ويلزمه قبول ذلك والتزامه ، ولا يتوقف الحال على أن ينهى[5] ذلك إلى حكام[6] بلده لأن أصل الدين واحد والملّة واحدة والخلاف في

---

(١) تقدم تخريجه ، انظر : ص٤٠٤ .

(٢) السؤال وجواب ابن عقيل عنه ذكره ابن الجوزي بمثله في الوفا بأحوال المصطفى (١/٣٧١-٣٧٢) ، وذكره مطولاً في كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/٤١ ، ٤٣) ح١٢٩٩ ، تحقيق : علي حسين النواب ، دار الوطن ، الرياض .

(٣) "هو" ليس في ب .

(٤) "إن" ليس في ب .

(٥) الإنهاء : هو تبليغ القاضي حكمه أو ما حصل عنده مما هو دونه كسماع الدعوى لقاضٍ آخر لأجل أن يُتمَّه . حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٤/١٥٩) ، لمحمد عرفه الدسوقي ، تحقيق : محمد عليش ، دار الفكر ، بيروت .

(٦) في ب "أحكام" بزيادة الهمزة .

فروع الشريعة غير ضارّ ، فهكذا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما في الحديث : «الأنبياء إخوة أولاد علّات أمهاتهم شتّى ودينهم واحد»(1) ، فأمّا [ق٥٩/و] وشريعة محمد ﷺ ناسخة لما قبلها من الشرائع فلا يمكن (هذا)(2) ، والله أعلم .

ومن خصائص محمّد ﷺ أن كل معجزة لنبيّ فلَهُ من جنسِهَا مِثلُها وأعظم وأتم وأكمل ، وكل كرامة لوليّ من الأمم السالفة فلأولياء أمّته مثلها(3) وأعظم وأتمّ وأكمل كما قد أشرنا إليه ، على أن كل معجزة لنبي من الأنبياء فهي له ، لأن الله تعالى أخذ عليهم الميثاق لئن جاءهم ليؤمننّ به ولينصرنّه ، فكان(4) إيمانهم به ودعوتهم لأممهم إلى الإيمان به إن أدركوه معجزةً له خصيصةً به ، فإنهم لما التزموا الميثاق بالإيمان به وبالإتباع له وأوصَوا بذلك اتباعهم صارت المعجزة والفضيلة له عليهم ، فمهما أظهر الله تعالى على أيديهم من(5) الخوارق فهو بواسطة الإيمان (به)(6) واتباعِه ، كما أن كل كرامة لوليّ من أمّة من الأمم هي مضافة إلى معجزاتِ مَتبوعِهِ من الأنبياء كما أشرنا إليه ، فإن الكرامات(7) لا تحصل إلا بمتابعة الرسل صلى الله عليهم وسلم ، وتصديقهم ، والتزام طريقتهم .

فصل

وأمّا الخصائص التي اختصّ بها محمد ﷺ دون غيره ، فإنه خصّ بواجبات ومحظورات ومباحات وتكرُّمات ، فالواجبات : السواك ، والوتر ، والأضحيّة ، وركعتا

---

(1) أخرجه البخاري (٤/١٦٧) ، بنحوه في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله : ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم:من الآية ١٦] ، ح٣٤٤٣ .

(2) "هذا" ليس في ب .

(3) في ب "مثل ذلك" .

(4) في ب زيادة "قال" قبل "فكان" .

(5) في ب "و" ، وهو خطأ .

(6) "به" ليس في ب .

(7) في ب "الكرامة" .

الفجر ، وفي قيام الّليل خلاف ؛ وأما المحظورات : فالرَّمْزُ بالعين[1] ، وأكل الصّدقة المفروضة ، والتزوّج بالإماء ، وخَلْعُ لأَمَة الحرب إذا لبسها حتى يلقى العدو ، فأما قول الشعر والكهانة فقد يُعَدّ في المحظورات وإنّما مُنع من ذلك لا أنّه حُرّم عليه ، وأما المباحات : فمنها الوصال في الصوم وقد مَنع منه غيرَه ، وأخْذُ (الماء)[2] من العطشان ، وجعله أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وخُمسُ الخمس ، والصفيّ من المغنم ، والتزوّجُ بأيّ عددٍ شاء ، والنكاح بغير مهر ولا وليّ وبلفظ الهبة ، وأمّا التكرمات : فتحريم أزواجه على غيره في الدنيا ، وجعلهنّ[3] أزواجه في الجنة ، وبعث إلى الخلق كافّةً ، ولا نبيَّ بعده ، وخُلِدت شريعته فلم تنسخ ، وجعل مَعجِزه باقياً يُتَصفّح إلى يوم القيامة ويُتحدّى [ق٥٩/ظ] به ، ذكر هذا الفصل ابن الجوزي رحمه الله تعالى[4] ، وروى بإسناده عن جابر ﷺ قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : «أُتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبلق[5] عليه قطيفة من سندس»[6] ، ومن خصائصه ﷺ التي أكرم بها أن صلاته قاعداً ليست كصلاة غيره قاعداً لما روى مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو ﷺ قال : حُدِّثتُ يا رسولَ الله أنك قلت : صلاة الرجل يعني قاعداً على مثل نصف الصلاة وأنت تصلي قاعداً ، قال : «أجل ، ولكنّي لستُ كأحدٍ منكم»[7] .

---

(١) وهي : خائنة الأعين . انظر : كتاب المجموع شرح المهذب للشيرازي (١٧/٢١٨) ، لمحمد نجيب المطيعي ، مكتبة الإرشاد ، جدة .

(٢) "الماء" ليس في ب .

(٣) في الوفا لابن الجوزي (١/٣٧٣) : "وجعل" .

(٤) الوفا بأحوال المصطفى (١/٣٧٢-٣٧٣) .

(٥) أبلق : أي لونه مختلط ببياض وسواد . التيسير بشرح الجامع الصغير (١/٦٤) ، لزين الدين المناوي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨ ، مكتبة الإمام الشافعي ، الرياض .

(٦) أخرجه في العلل المتناهية (١/١٧٩) ، وقال : هذا حديث لا يصح" .

(٧) أخرجه مسلم (١/٥٠٧) ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب جواز النافلة قائماً وقاعداً ، وفعل بعض الركعة قائماً وبعضها قاعداً ، ح٧٣٥ .

فصل

خصيصة النبي ﷺ في فضل الصلاة عليه

ومن خصائص محمد ﷺ أيضاً تضاعُف الصلاة على من صلى عليه ﷺ روى الإمام أحمد ومسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «من صلّى عليّ واحدة صلى الله عليه عشراً»[1] ، وروى أحمد من حديث أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحطّ عنه عشر خطيئات»[2] ، وروى أيضاً من حديث أبيّ بن كعب ﷺ قال : قال رجل : يا رسول الله إن جعلت صلاتي كلها عليك ، قال : «إذا يكفيك الله (تبارك و)[3] تعالى ما همك من دنياك وآخرتك»[4] ، ورَوى أيضاً عن عبدالله بن [أبي][5] طلحة[6] عن أبيه[7] أنّ رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والسّرور في وجهه فقال : «إنه أتاني الملك فقال : يا محمد ، أما يُرضيك أن ربّك ﷻ يقول : إنه لا يصلي عليك أحد من أمّتك إلا صليت عليه عشراً ، ولا يسلم عليك أحد من أمّتك[8] إلا سلّمت عليه عشراً ، قال : بلى»[1] ، ورَوى

---

(١) مسند الإمام أحمد (١٤/٤٤٤) ح٨٨٥٤ ، صحيح مسلم (١/٣٠٦) ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ، ح٤٠٨ .

(٢) مسند الإمام أحمد (١٩/٥٧) ح١١٩٩٨ ، قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن" .

(٣) "تبارك و" ليس في ب .

(٤) مسند الإمام أحمد (٣٥/١٦٦-١٦٧) ح٢١٢٤٢ ، قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "حديث حسن" .

(٥) في أ ، ب "عبدالله بن طلحة" بدون "أبي" ، وما أثبته من مسند الإمام أحمد (٢٦/٢٨٣) ح١٦٣٦٣ ، وهو الصواب كما سيأتي في الحاشية التالية .

(٦) هو عبدالله بن أبي طلحة واسمه زيد بن سهل الانصاري النجاري المدني ،حنكه النبي ﷺ لما ولد ، يروي عن أبيه وأخيه أنس ، قال محمد بن سعد : كان ثقة قليل الحديث وذكره ابن حبان في الثقات ، توفي سنة أربع وثمانين . انظر : تهذيب التهذيب (٥/٢٣٦) .

(٧) هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام ، أبو طلحة الأنصاري الخزرجي النجاري عقبي بدري ، وهو مشهور بكنيته ، وهو الذي حفر قبر رسول الله ﷺ ولحده ، وكان يسرد الصوم بعد رسول الله ﷺ ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح ، وقال النبي ﷺ : «صوت أبي طلحة في الجيش خير فئة» ، توفي سنة إحدى وخمسين . انظر : أسد الغابة (٢/٣٦١) .

(٨) في ب "من أمتك أحد" بتقديم وتأخير ، وما أثبته من أ هو الوارد في مسند الإمام أحمد .

أيضاً عن عبدالله بن عامر بن ربيعة[2] عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من صلى عليّ صلاةً لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى عليّ ، فليُقل عبدٌ من ذلك[3] أو ليكثر»[4] ، وروى أيضاً عن عبدالرحمن بن عوف ﷺ قال : خرج رسول الله ﷺ ، فتوجّه نحو صَدَقته فدخل ، فاستقبل القبلة فخرّ ساجداً ، فأطال السجود حتّى ظننت [ق ٦٠/و] أنّ الله ﷻ قد قبض نفسه ، فدنوت منه ، ثم جلست فرفع رأسه ، فقال : «من هذا ؟» قلت : عبدالرحمن ، فقال : «ما شأنك» ، قلت : يا رسول الله سجدت سجدةً خَشيتُ أن يكون الله ﷻ قد قبض نفسك فيها ، فقال : «إن جبريل أتاني فبشّرني فقال : إن الله ﷻ يقول لك : من صلى عليك[5] صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه فسجدت لله شكراً»[6] ؛ وروى أيضاً عن أبي طلحة الأنصاري ﷺ قال : أصبح رسول الله ﷺ يوماً طيّب النّفس يُرى في وجهه البشر ، فقالوا : يا رسول الله أصبحت اليوم طيب النفس ، يُرى في وجهك البشر ، فقال : «أجل أتاني آت من ربّي ﷻ فقال[7] : من صلّى عليك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وردَّ عليه مثلها»[8] ، وفي رواية أخرى نحوه وقال فيها

---

(١) مسن الإمام أحمد (٢٦/٢٨٣) ح١٦٣٦٣ ، قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "حسن لغيره ، وهذا إسناد ضعيف" .

(٢) هو عبدالله بن عامر بن ربيعة العنزي ، أبو محمد المدني ، ولد في عهد النبي ﷺ ، قال الواقدي : وكان عبدالله ثقة قليل الحديث ، وقال أبو زرعة : مدني أدرك النبي ﷺ وهو ثقة ، وقال العجلي : مدني تابعي ثقة من كبار التابعين ، وقال أبو حاتم : رأي النبي ﷺ لما دخل على أمه وهو صغير ، مات سنة ٨٥ . انظر : تهذيب التهذيب (٥/٢٣٧) .

(٣) في ب "لذلك" ، ما أثبته من أ هو الوارد في مسند الإمام أحمد .

(٤) مسند الإمام أحمد (٢٤/٤٥١) ح١٥٦٨٠ ، قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "حديث حسن" .

(٥) في ب زيادة "مرة" بعد "عليك" ولم ترد في رواية المسند .

(٦) مسند الإمام أحمد (٣/٢٠١) ح١٦٦٤ ، قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "حسن لغيره" .

(٧) في ب "قال" بدون الفاء ، وما أثبته من أ هو الوارد في مسند الإمام أحمد .

(٨) مسند الإمام أحمد (٢٦/٢٧٢) ح١٦٣٥٠ ، قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "إسناده ضعيف" .

: «أنه ليس أحد من أمّتك يصلي عليك صلاة إلا صلّى الله وملائكته عليه[1] عشراً»[2] ، وفي رواية عنه أخرى قال : دخلت على رسول الله ﷺ ذات يوم فلم أره قطّ أشدّ فرحاً ولا أطيب نفساً منه يومئذ فقلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمّي ، إنّي لم أرك قطّ أشدّ فرحاً و(لا)[3] أطيب[4] نفساً منك اليوم ، قال : «يا أبا طلحة وما يمنعني أن لا أكون[5] كذلك وإنما فارقني جبريل آنفاً فقال : لي يا محمّد إنّ ربك بعثني إليك وهو يقول : إنه ليس أحد من أمتك يصلي عليك صلاة إلا رد الله ﷻ مثل[6] صلاته عليك ، وإلا كتب له بها عشر حسنات وحط عنه[7] عشر سيئات ورفعت له عشر درجات ، ولا يكون لصلاته منتهى دون العرش لا تمرّ بملك إلا قال : صلّوا على قائلها كما صلّى على محمد ﷺ»[8] ، وفي رواية أخرى قال : دخلت على النبي ﷺ وأساريرُ وجهه تبرق فقلت : يا رسول الله ما رأيت أطيب نفساً ولا أظهر بشراً منك يومنا هذا فقال[9] : «ومالي لا تطيب نفسي ويَظهر بشري وإنما فارقني جبريل الساعة فقال : يا محمد من صلّى عليك من أمتك صلاة كتب الله (له)[10] بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفعه عشر درجات وقال له الملك : مثل ما قال [ق٦٠/ظ]، قلت[11] : يا جبريل وما ذاك الملك ؟ قال : إن الله ﷻ وكل بك ملكاً من لَدُن خلقك إلى أن يبعثك لا يصلي عليك أحد إلا

---

(١) في ب "عليه وملائكته" بتقديم وتأخير .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥/١٠٠) ح٤٧٢٣ .

(٣) "لا" ليس في ب .

(٤) في ب "أطبت" ، وما أثبته من أ هو الوارد في الخبر .

(٥) في ب "لكون" ، وهو خطأ .

(٦) في ب زيادة "هذا" بعد "مثل" .

(٧) في ب "بها" .

(٨) أخرجه الخطيب الغدادي في تاريخ بغداد (٨/٥٧٠) ، وقال : تفرد بروايته أبو الجنيد ، قال يحيى بن معين : أبو الجنيد الضرير ليس بثقة .

(٩) في ب "قال" بدون الفاء .

(١٠) "له" ليس في ب .

(١١) في أ "فقلت" بزيادة الفاء ، وما أثبته من ب بدون الفاء هو الوارد الرواية كما سيأتي تخريجها .

قال وأنت صلى الله عليك»[1] ، وعن أبي بكر الصديق ﷺ قال : "الصّلاة على النبي ﷺ أمْحَقُ للخطايا من الماء للنّار ، والسلام على النبي ﷺ أفضل من عتق الرقاب ، وحبّ رسول الله ﷺ أفضل من ضرب السيف في سبيل الله"[2] أو كما قال ، وعن عليّ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «من صلّى عليّ صلاة صلى الله (عليه)[3] بها عشر صلوات ، واستَبَق ملكاه أيّهما يُبلِغ رُوحي منه السَّلامَ»[4] ، وعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : «إن لله تعالى ملائكةً سيّاحين في الأرض يبلّغوني عن أمّتي السّلام»[5] ، وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «من صلى عليّ عند قبري وكّل الله بها ملكاً يبلغني ، وكُفي أمر دنياه وآخرته ، وكنت له يوم القيامة شهيداً أو شفيعاً»[6] ، وعن عمار بن ياسر ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله أعطى ملكاً من الملائكة أسماع الخلائق فهو قائم على قبري إلى يوم القيامة لا يصلي عليّ أحد إلا سمّاه باسمه واسم أبيه وقال : يا أحمد صلّى عليك فلان بن فلان وتكفّل لي الربّ ﷻ أن أردّ عليه بكل

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥/١٠٠) ح٤٧٢٤ ، قال الألباني : "موضوع" . ضعيف الترغيب والترهيب (١/٥١٢) ح١٠٣١ .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (٨/٣٩) .

(٣) "عليه" ليس في ب .

(٤) أخرجه أبي خالد الواسطي في المسند المنسوب للإمام زيد بن علي بن الحسين – الموسوم بمسند الإمام زيد ، ويسمى : المجموع الفقهي – ص١٣٧ ، جمعه : عبدالعزيز بن إسحاق البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ؛ قال الإمام الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٣/١١٦) : "واعلم أن هذا المسند –يقصد : مسند الإمام زيد– حاله عندنا كحال مسند الربيع بن حبيب أو أسوأ ، فإنه من رواية عمرو بن خالد أبي خالد الواسطي عن الإمام زيد ، والواسطي هذا اتفق أئمتنا على أنه كذاب وضاع" .

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٤٥٦) ، كتاب التفسير ، ح٣٥٧٦ ، وأخرجه بنحوه أحمد (٦/١٨٣) ح٣٦٦٦ ، والنسائي في السنن الكبرى (٩/٣١) ، كتاب العمل والليلة ، ح٩٨١١ ، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/٢١٩) ح١٠٥٢٨ ، (١٠/٢٢٠) ح١٠٥٥١ ، ح١٠٥٥٢ ؛ قال الحاكم : "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" .

(٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/١٤٠) ح١٤٨١ ، وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (٤/٤٦٨) ، بلفظ : «من صلى عليَّ عند قبري سمعته ، ومن صلى علي نائياً وكل بها ملك يبلغني ، وكفي بها أمر دنياه وآخرته وكنت له شهيداً وشفيعاً» ، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١/٣٦٦) ح٢٠٣ : "موضوع بهذا التمام" .

صلاة عليه عشراً»[1] ﷺ ، وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : «مامن أحد يسلّم عليَّ[2] إلا ردّ الله إليّ روحي حتى أردّ عليه السلام»[3] ، وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما عن (أبيه ﷺ أن)[4] النبي ﷺ قال : «البخيل من ذُكرتُ عنده فلم يصل عليّ»[5] ﷺ ، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ (قال)[6] : «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة[7] ، فإن شاء عذّبهم وإن شاء غفر لهم»[8] ، وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ [ق٦١/و]: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ»[9] ، وروى تمام[10] في فوائده عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : «إذا كان يوم الخميس بعث الله ﷻ ملائكة معهم صحف من فضة وأقلام من

---

(١) أخرجه أبي القاسم بدر بن الهيثم القاضي كما في جمهرة الأجزاء الحديثية ، اعتناء وتخريج : محمد زياد عمر تكلة ، الطبعة الأولى ١٤٢١ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ؛ وأخرجه البزار (٢٥٤/٤-٢٥٥) ح١٤٢٥ ، بلفظ : «إن الله وكل بقبري ملكا أعطاه أسماع الخلائق فلا يصلي علي أحد إلى يوم القيامة إلا أبلغني باسمه واسم أبيه هذا فلان بن فلان قد صلى عليك» .

(٢) في أ ، ب "عليه" ، وفي هامش أ "الظاهر : عليَّ" وهو اللفظ الوارد في الحديث .

(٣) أخرجه أحمد (٤٧٧/١٦) ح١٠٨١٥ ، وأبو داود (٢١٨/٢) ، كتاب المناسك ، باب زيارة القبور ، ح٢٠٤١ ، قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٣/٢) : "حسن" .

(٤) مابين القوسين ليس في ب .

(٥) أخرجه أحمد (٢٥٧/٣-٢٥٨) ح١٧٣٦ ، والنسائي في السنن الكبرى (٢٩١/٧) ح٨٠٤٦ ، والترمذي (٥٥١/٥) ح٣٥٤٦ ، وقال : "هذا حديث حسن صحيح غريب" ، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٧٣٤/١) ح٢٠١٥ ، وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه" ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١٨٩/٣) ح٩٠٩ .

(٦) "قال" ليس في ب .

(٧) ترة : يعني حسرة وندامة . سنن الترمذي (٤٦١/٥) .

(٨) أخرجه الترمذي (٤٦١/٥) ، باب في القوم يجلسون ولا يذكرون الله ، ح٣٣٨٠ ، وقال : "هذا حديث حسن" ، وقال الألباني في صحيح الترمذي (٣٨٨/٣) ح٣٣٨٠ : "صحيح" .

(٩) أخرجه أحمد (٤٢١/١٢) ح٧٥٤١ ، والترمذي (٥٥٠/٥) ح٣٥٤٥ ، وقال : "هذا حديث حسن غريب" ، وقال الألباني في إرواء الغليل (٣٦/١) : "صحيح" .

(١٠) هو تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر ، أبو القاسم البجلي الرازي ثم الدمشقي ، من حفاظ الحديث ، مغربي الأصل ، كان محدث دمشق في عصره ، توفي سنة ٤١٤ . الأعلام (٨٧/٣) .

ذهب يكتبون يوم الخميس وليلة الجمعة أكثرَ الناس صلاة على محمّد ﷺ»[1] ؛ والأحاديث في ذكر الصلاة عليه كثيرة جدّاً ، وفيها مصنفات ، وفوقِ ذلك صلاة الله تعالى عليه وملائكته وأمرُه للمؤمنين أن يصلوا عليه ويسلموا تسليماً كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦] ، وسنذكر فصلاً آخر إن[2] شاء الله تعالى في كيفية الصلاة عليه وغير ذلك .

فصل

ومن خصائصه ﷺ رُقِيُّهُ إلى فوق سبع سموات ، ثم إلى سدرة المنتهى ، وفوق ذلك كما سيأتي إن شاء الله تعالى ، ومنها أنّ الله تعالى قرّبه إليه حتى كان بينه وبينه كقاب قوسين أو أدنى «قال : يا حبيبي محمّد ، قلت : لبيك يا ربّ ، قال : هل غَمُّك أن جعلتك آخر النّبيّين ، قلت : يا ربّ لا ، قال : حبيبي هل غَم أمتك أن جعلتهم آخر الأمم ، قلت : لا يا رب ، قال : أبلغ أمتك عني السلام وأخبرهم أني جعلتهم آخر الأمم لأفضح الأمم عندهم ولا أفضَحهم عند الأمم» رواه ابن الجوزي في الوفا عن هشيم عن حميد عن أنس ﷺ[3] ، ومنها أنه تعرض عليه أعمال أمّته فيحمد الله تعالى على صالحها[4] ويشفع في سيّئها[5] ، ومنها أنه ﷺ كان يرى مِن خلفه كما يَرى قدّامَه[1] ،

(١) أخرجه تمام بن محمد في الفوائد (٢/١٠٦) ح١٢٦٦ ، تحقيق : حمدي عبدالمجيد السلفي ، الطبعة الأولى ١٤١٢ ، مكتبة الرشد ، الرياض .

(٢) في ب زيادة "في" قبل "إن" ، وهو خطأ .

(٣) ذكره في الوفا (١/٣٧٧) من غير إسناد ، وأخرجه مسنداً من طريق هشيم عن حميد عن أنس في العلل المتناهية (١/١٨٢) ح٢٨١ ، وقال : "هذا حديث لا يصح" .

(٤) في ب "صالحيها" .

(٥) عرض الأعمال عليه ﷺ في الدنيا ، فقد ثبت أن ذلك وقع في حياته ، روى مسلم (١/٣٩٠) ، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها ، ح٥٥٣ ، من طريق أبي ذر ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : «عرضت علي أعمال أمتي حسنها وسيئها ، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق ، ووجدت في مساوئ أعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن» ؛ وأما عرض الأعمال عليه بعد موته ، فلم أقف على الأدلة ما يثبته ، سوى ما أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/١٩٤) ، من طريق بكر بن عبد الله المزني ، قال : قال رسول الله ﷺ : «حياتي خير لكم ، تُحدثون ويحدث لكم ، فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً

ومنها أنه كان يرى في الظلمة كما يرى في الضّوء(٢) ، ومنها أنه كان إذا مشى في الشمس لم يكن له ظلّ لشدّة نوره وقد سبق ذلك ، ومنها تسليم الحجر والشجر عليه(٣) ، ومنها نبع الماء من بين أصابعه(٤) ، ومنها حِنّة الجذع اليابس إليه(٥) ، ومنها أنه أوتي جوامع الكلم(٦) وفواتحه(٧) وخواتمه(٨) واختُصرت له الحكمة اختصاراً(٩) ، فكان أفصح الخلق ،

لكم ، تُعرض علي أعمالكم ، فإذا رأيت خيراً حمدت الله ، وإذا رأيت شراً استغفرت الله لكم» ، بل وردت أدلة ترد هذا ، فمن ذلك : ما أخرجه البخاري (٩/٤٦) ، في كتاب الفتن ، باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال:من الآية ٢٥] ، ح٧٠٤٩ ، من طريق عبدالله بن مسعود ﷺ ، قال : قال النبي ﷺ : «أنا فرطكم على الحوض ، ليرفعن إليَّ رجال منكم ، حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني ، فأقول : أي رب أصحابي ، يقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك» ، فقوله : «لا تدري ما أحدثوا بعدك» يدل على أن أعمال أمته لم تعرض عليه ، والله أعلم .

(١) أخرجه البخاري (١/٩١) ، في كتاب الصلاة ، باب عظة الإمام الناس في إتمام الصلاة وذكر القبلة ، ح٤٨ ، من طريق أبي هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : «هل ترون قبلتي ها هنا ، فوالله ما يخفى عليَّ خشوعكم ولا ركوعكم ، إني لأراكم من وراء ظهري» ، وأخرجه أحمد (١٤/٤٩٦-٤٩٧) ح٨٩٢٦ بلفظ : "أن النبي ﷺ قال للناس : «أحسنوا صلاتكم فإني أراكم من خلفي كما أراكم من أمامي» ، وأخرجه أبو نعيم بنحوه في الدلائل (٢/٤٣٩) ح٣٥٤ .

(٢) أخرج ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/١٧٣) ح٢٦٦ ، وتمام في فوائده (٢/١٣٣) ح١٣٤٥ ، من حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : "كان رسول الله ﷺ يرى في الظلمة كما يرى في الضوء" ، قال ابن الجوزي : "هذا حديث لا يصح" ، قال الألباني قي سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١/٥١٥) ح٣٤١ : "موضوع" .

(٣) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٧٤.

(٤) تقدم تخريجه ، انظر : ص٤٤٤ .

(٥) تقدم تخريجه ، ص٣٧٢-٣٧٣ .

(٦) قال النووي : "أي إيجاز اللفظ مع تناوله المعاني الكثيرة جداً" . شرح النووي على مسلم (١٣/١٧٠) .

(٧) أي كل ما يتوصل به إلى استخراج المغلقات التي يتعذر الوصول إليها . التيسير بشرح الجامع الصغير (١/٧٣٢) ، زين الدين المناوي ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨ ، مكتبة الإمام الشافعي ، الرياض .

(٨) قال النووي : "أي كان يختم على المعاني الكثيرة التي تضمنها اللفظ اليسير فلا يخرج منها شيء طالبه ومستنبطه لعذوبة لفظه وجزالته" . شرح النووي على مسلم (١٣/١٧٠) .

(٩) أخرج مسلم (١/٣٧٢) ، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، ح٥٢٣ ، من طريق أبي هريرة ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : «نصرت بالرعب على العدو ، وأوتيت جوامع الكلم ...» ؛ وأخرج مسلم (٣/١٥٨٦) ، في كتاب الأشربة ، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام ، ح٢٠٠١ ، من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ ، قال "وكان رسول الله ﷺ قد أعطي جوامع الكلم بخواتمه" ؛ أخرج البيهقي في الشعب (٧/١٧١) ح٤٨٣٧ ، وعبدالرزاق في مصنفه ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، من طريق أبي

وأبلغهم ، وأعظمهم بياناً ، وقيل له : ما بالك أفصحَنا ولم تخرج من بين أظهرنا؟ فقال[1] : «إنّ لغة إسماعيل كانت قدْ نُسيت فأتاني جبريل فعَلّمنيها [ق٦١/ظ] »[2] ، ومنها أنّ أمّته أكثر الأمم يوم القيامة[3] ، ومنها أنهم يكونون نصف[4] أهل الجنة[5] ، ومنها أنه أكثر الناس تبعاً يوم القيامة[6] ، ومنها أنه أول الناس خروجاً إذا بُعثوا ، وأنه خطيبهم إذا وَفَدُوا ، وأنه مبشّرهم إذا يئسوا ، لواء الحمد بيده ، وهو أكرم الخلق على ربّه ﷺ وقد تقدم الحديث في ذلك وهو حديث حسن رواه الترمذيّ ؛ ومنها أنه قد وعده رَبُّه أنه سَيُرضِيه من أمّته ولا يَسُوؤه ، ومنها شفاعاته في الآخرة فإن له ﷺ عدّة شفاعات : الأولى الشفاعة في عموم الخلق ليحاسَبُوا ويُراحُوا من الموقف كما سبق ، وشفاعَةٌ في أهل الكبائر من أمّته ، وشفاعة لمن في قلبه مثقال ذرّة من إيمان إلى ما دون ذلك من الشفاعات الخاصّة والمشتركة هو وغيره فيها[7] كما أشرنا إليه وكما يأتي إن شاء الله تعالى ، ومنها أن الجنّة محرمة على الخلق حتى يدخلها هو ﷺ ، وعلى الأمم حتى

قلابة ، أن عمر بن الخطاب مر برجل يقرأ كتاباً سمعه ساعة فاستحسنه فقال للرجل : أتكتب من هذا الكتاب قال : نعم ، فاشترى أديماً لنفسه ثم جاء به إليه فنسخه في بطنه وظهره ، ثم أتى به النبي ﷺ فجعل يقرأه عليه وجعل وجه رسول الله ﷺ يتلون فضرب رجل من الأنصار بيده الكتاب وقال : ثكلتك أمك يا بن الخطاب ألا ترى إلى وجه رسول الله ﷺ منذ اليوم وأنت تقرأ هذا الكتاب فقال النبي ﷺ عند ذلك : «إنما بعثت فاتحاً وخاتماً ، وأعطيت جوامع الكلم وفواتحه ، واختصر لي الحديث اختصاراً ، فلا يهلكنكم المتهوكون» ، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣٩٢/٦) ح٢٨٦٤ : "ضعيف" .

(١) في ب "فكان" ، وهو خطأ .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٤/٤) ، من طريق بريدة بن الحصيب ﷺ ، بلفظ : " قال سمعت عمر يقول : يا رسول الله ما لك أفصحنا وإنك لم تخرج من بين أظهرنا ، قال : «إن لغة إسماعيل درست فأتاني بها جبريل فحفظتها» ، قال ابن عساكر : "هذا حديث غريب له علة عجيبة" ، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٦٧٩/١) ح٤٦٥ : "ضعيف" .

(٣) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٢٧ .

(٤) في هامش أ "ثلثي" .

(٥) أخرج البخاري (١١٠/٨) ، في كتاب الرقاق ، باب كيف الحشر ، ح٦٥٢٨ ، ومسلم (٢٠٠/١) ، في كتاب الإيمان ، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة ، ح٢٢١ ، من طريق عبدالله بن مسعود ، بلفظ : «والذي نفس محمد بيده ، إني لأرجوا أن تكونوا نصف أهل الجنة» واللفظ للبخاري .

(٦) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٢٧ .

(٧) تقدم الحديث عن الشفاعة في مطلب الشفاعة ، انظر : ص٢٠٩-٢١٢ .

تدخلها أمّته[١] ، ومنها المقام المحمود (الّذي يغبطه به الأوّلون والآخرون يوم القيامة وجاء في تفسير المقام المحمود)[٢] : أنه الشفاعة ، وجاء أنه يجلسه ربّه سبحانه معه على العرش وصنف فيه الإمام أبو بكر المروذي[٣] كتاباً وساق ماعنده (في ذلك)[٤] من الأخبار والآثار[٥] ، ومنها الوسيلة وهي درجة[٦] في الجنة لا ينبغي أن (تكون)[٧] إلا لعبد من عباد الله وكان ﷺ يرجوها[٨] وإذا كانت لا ينبغي إلا لرجل واحد من عباد الله فمن عساه يصلح لها غيره ﷺ ، ومنها أن الله تعالى جعل سبَّه ﷺ ولعْنه لمن ليس لذلك أهلاً زكاةً وأجراً وعافية ومغفرة وقربة إليه يوم القيامة[٩] ، ومنها أن الكذب عليه صلى الله

---

(١) أخرج ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٤/١٢٩) ، تحقيق : يحي مختار غزاوي ، ١٤٠٨ ، دار الفكر ، بيروت ، من طريق عمر بن الخطاب ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : «إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي» وأخرجه ابن أبي حاتم في العلل ، تحقيق : فريق من الباحثين بإشراف : د.سعد الحميد و د.خالد الجريسي ، الطبعة الأولى ١٤٢٧ ، مطابع الحميضي، بلفظ : «إن الجنة حرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي» ، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٥/٣٥٤) ح٢٣٢٩ : "منكر" .

(٢) ما بين القوسين ليس في ب .

(٣) هو أحمد بن محمد بن الحجاج ، أبو بكر المروذي ، عالم بالفقه والحديث ، كان أجل أصحاب الإمام أحمد، خصيصا بخدمته، يأنس به الإمام ويقول له: كل ما قلت فهو على لساني وأنا قلته ! وروى عنه مسائل كثيرة ، ووصف بأنه كثير التصانيف ، نسبته إلى مرو الروذ من خراسان ، ووفاته ببغداد سنة ٢٧٥ . الأعلام (١/٢٠٥) .

(٤) "في ذلك" ليس في ب .

(٥) اسم كتابه (المقام المحمود) ، قال أبو بكر الخلال في السنة (١/٢١٧) ، تحقيق : د. عطية الزهراني ، الطبعة الأولى ١٤١٠ ، دار الراية ، الرياض : " قرأ علينا أبو بكر المروذي (كتاب المقام المحمود) مرة واحدة في مسجد الجامع ..." .

(٦) في ب "الدرجة" بزيادة "أل" .

(٧) "تكون" ليس في ب .

(٨) أخرج مسلم (١/٢٨٨) ، في كتاب الصلاة ، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل له الوسيلة ، ح٣٨٤ ، من طريق عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ ، أنه سمع النبي ﷺ يقول : «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا لي ، فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباده الله ، وأرجوا أن أكون أنا هو ...» .

(٩) أخرج مسلم (٤/٢٠٠٨) ، في كتاب الصلة والآداب ، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجراً ورحمة ، ح٢٦٠١ ، من طريق أبي هريرة ﷺ ، أن النبي ﷺ قال : «اللهم إني أتخذ عندك لن تخلفنيه ، فإنما أنا بشر ، فأي المؤمنين آذيته شتمته ، لعنته ، جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك

[عليه وسلم][1] ليس كالكذب على غيره وأنه ﷺ قال : «من كذَب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النّار»[2] ولم نعلم حديثاً عنه ﷺ رواه أكثر مما روي [هذا الحديث][3] فإنه رواه عنه ﷺ من الصحابة ﷺ ما [يزيد على][4] ثمانين نفساً منهم العشرة المشهود لهم[5] بالجنّة ولا يُعلم حديث رواه عنه العشرة المذكورة غيره.

فصل

خصائص النبي ﷺ في ميلاده

ومن خصائصه ﷺ أنّه لما ولد فخرج من بطن أمّه [ق٦٢/و] وقع ﷺ على الأرض ساجداً ورفع يده إلى السّماء كالمتضرّع المبتهل[6] ، ومنها عجائب كانتْ ليلة ميلاده رأتها أمّه رأت ثلاثة أعلام مضروبات منها علم بالمشرق ، وعلم بالمغرب ، وعلم على ظهر الكعبة قالت : بينا أنا أتعجب من ذلك إذا بثلاثة نفر ظننت أن الشمس تطلع[7] من خلال وجوههم في يد الواحد منهم إبريق من فضة وفي الإبريق ريح كريح المسك ، وفي يد الثاني طست من زمرذ خضراء لها أربع نواحي وعلى كل ناحية من نواحيها لؤلؤة بيضاء ، وإذا قائل يَقول : هذه الدنيا شرقها وغربها وبرّها وبحرها فاقبض يا حبيب الله على أيّ ناحية شئت منها قالت : فنظرت فإذا هو قابض على وسطها فسمعت قائلاً يقول : قبض على الكعبة ورب الكعبة أما إن الله تعالى قد جعلها لك قبلة ومسكناً ،

يوم القيامة» .

(١) مابين المعقوفتين طمس في الأصل ، وما ذكرته من ب .

(٢) أخرجه البخاري (٢/٨٠) ، كتاب الجنائز ، باب ما يكره من النياحة على الميت ، ح١٢٩١ ، ومسلم (١/١٠) ، في المقدمة ، باب التحذير من الكذب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ح٣ .

(٣) مابين المعقوفتين طمس في الأصل ، وما ذكرته من ب .

(٤) مابين المعقوفتين طمس في الأصل ، وما ذكرته من ب .

(٥) في ب "له" بالافراد .

(٦) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٢/٦١٠-٦١٢) ح٥٥٥ ، في أثر ابن عباس الطويل ، قال السيوطي في الخصائص الكبرى (١/٨٣) بعد أن ذكر أثراً آخر عن ابن عباس : "هذا الأثر والأثران قبله فيها نكارة شديدة ولم أورد في كتابي هذا أشد نكارة منها ولم تكن نفسي لتطيب بإيرادها لكني تبعت الحافظ أبا نعيم في ذلك" .

(٧) في ب "طالعة" .

ورأيت على (يد)[1] الثالث حريرة بيضاء قد طُويت طيّاً شديداً فنشرها فأخرج منها خاتماً تحارُ أبصار الناظرين دونه فأخذه صاحبُ الطست وأنا أنظر إليه فغسله بماء الإبريق سبع مرّات ثم ختم بالخاتم بين كتفيه ختماً واحداً ولفه في الحريرة واستدار عليه بخيط من المسك الأذفر ثم حمله فأدخله بين أجنحته ساعة قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان ذلك رضوان خازن الجنان قالت وقرأ في أذنه كلاماً كثيراً لم[2] أفهمه وقبّل بين عينيه وقال له أبشر : يا محمّد فما بقي لنبيّ عِلم إلا وقد أُعطِيتَهُ وأنت أكثرهم علماً وأشجعهم قلباً معك مفاتيح النّصر وقد أُعطِيتَ الأمن من الخوف والرّعب ولا يسمع أحد بذكْرك إلا وَجِلَ قلبُه وخفق ولو لم يَرَك يا حبيب الله[3] ؛ ومنها : ما ذكر عبدالمطّلب أنّه كان عند الكعبة ليلة ولادة النبي ﷺ قال : لما انتصف الليل إذا أنا بالبيت الحرام قد مال بجوانِبه الأربعة فخر ساجداً في مَقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام كالرّجل الساجد ، ثم استوى قائماً وأنا أسمع له تكبيراً عجيباً ينادي : الله أكبر ربّ محمّد المصطفى الآن قد طهّرني (ربّي)[4] من أنجاس المشركين وحميّة الجاهلية ، ونظرت إلى الأصنام كلّها تنتفض كما ينتفض الثّوبُ [ق٦٢/ظ] ، ونظرت إلى الصنم الأعظم هُبَل قد أكبّ على وجهه ، وسمعتُ منادياً ينادي : ألا إنّ آمنة ولدتْ محمّداً ﷺ وقد سَكبت عليه سحائبُ الرحمة هذا طست من الفردوس قد أنزل ليُغسل فيه[5] ؛ ومنها أنّ مهده ﷺ كان يُحرك بتحريك الملائكة[6] ، (كانت الملائكة)[7] تحرّكه وتطوف به تبرُّكاً به ﷺ ، وقال له العباس عمّه : دعاني إلى الدخول في دينك أمارات نبوّتك رأيتك في المهد تناغي القمرَ وتشير إليه بأصابعك فحَيثُ أشرتَ إليه مال فقال ﷺ : «كنت أحدّثه ويحدّثني ويُلهيني عن البكاء

---

(١) "يد" ليس في ب .

(٢) في ب زيادة "و" قبل "لم" .

(٣) نقله السيوطي في الخصائص الكبرى (١/٨٤) عن الحافظ أبي زكريا يحيى بن عائذ في مولده ؛ ونقله المقريزي في إمتاع الأسماع (٤/٤٧-٥١) عن أبي نعيم ، وقال "هكذا أورد الحافظ أبو نعيم هذا الحديث ، وأن الوضع يلوح عليه" .

(٤) "ربي" ليس في ب .

(٥) نقله شهاب الدين النويري في نهاية الأرب في فنون الأدب (١٦/٥٠-٥١) ، تحقيق : مفيد قميحة وجماعة ، الطبعة الأولى ١٤٢٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، عن القرطبي .

(٦) نقله السيوطي في الخصائص الكبرى (١/٩٢) عن ابن سبع في الخصائص –واسم كتابه : شفاء الصدور– .

(٧) "كانت الملائكة" ليس في ب .

وأسمع وَجْبَتَهُ[1] حين يسجد تحت العرش»[2] ، وكان أوّل كلام تكلّم به أن قال : الله أكبر الله أكبر الحمد لله رب العالمين[3] ، ومنها أنّ حليمة التي أرضعته قالت : أرضعته تحت شجرة يابسة فتعلَّق ببعض الشجرة فاخضرّت لمسّه إيّاها[4] ، ومنها : أنّ[5] ليلة ولد أصبحت أصنام الدّنيا منكوسةً ، وأصبح عرش إبليس عَدوِّ الله منكوساً والملك المأمور به قد جعله في بطن البحار أربعين يوماً فانفلت منها أسوَدَ محترقاً هارباً ولم يبق كاهن في قريش ولا قبيلة من قبائل العرب إلا احتجب عن صاحبه ، وانتزع عِلم الكهنة ولم يبق سريرٌ لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً والملك مخرساً لا ينطق يومه ذلك ومرّت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات ، وكذلك أهل البحار بشّر بعضهم بعضاً به وكان في كل شهر من شهوره نداء في الأرض ونداء في السّماء : أنْ أبْشروا فقد آن لأبي القاسم ﷺ[6] أن يخرج إلى الأرض المباركة مباركاً[7] ، ومنها أنه لما وُلد ارتجس إيوان كسرى وسقط منه أربع عشرة شرافة وغاضت بُحَيرة ساوة وانقطع تلك الليلةَ الماءُ

---

(١) الوجبة : صوت السقوط . النهاية في غريب الأثر (٥/٣٣١) .

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/٤١) ، وقال : "تفرد به هذا الحلبي بإسناده ، وهو مجهول" ، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٠/٤٦٦) ح٤٨٦٣ : "موضوع" .

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل (١/١٣٩-١٤٠) ، من طريق ابن عباس رضي الله عنه ، بلفظ : " كانت حليمة بنت أبي ذؤيب التي أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم ، تحدث أنها لما فطمت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تكلم ، قالت : سمعته يقول كلاما عجيباً سمعته يقول : الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً" ؛ ونقله السيوطي في الخصائص الكبرى (١/٩٢) عن ابن سبع في الخصائص بدون الجملة الثالثة .

(٤) لم أقف على خبر لمس النبي للشجرة وهو رضيع واخضرارها في كتب أهل السنة ، وإنما يرويه الرافضة.

(٥) في ب "أنها" .

(٦) في ب زيادة "محفوظاً من الشيطان بل" بعد "ﷺ" .

(٧) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٢/٦١٠-٦١٢) ح٥٥٥ ، ونقله شهاب الدين النويري في نهاية الأرب في فنون الأدب (١٦/٤٥-٤٦) عن القرطبي في كتاب الأعلام ، من طريق ابن عباس رضي الله عنه ، سوى قوله : " وأصبحت يومئذ أصنام الدنيا كلها منكوسةً مضغوطة فيها شياطينها وأصبح عرش إبليس عدو الله منكوساً" فقد نقله النويري من طريق كعب الأحبار رضي الله عنه ، قال السيوطي في الخصائص الكبرى (١/٨٣) بعد أن ذكر أثراً آخر عن ابن عباس : "هذا الأثر والأثران قبله فيها نكارة شديدة ولم أورد في كتابي هذا أشد نكارة منها ولم تكن نفسي لتطيب بإيرادها لكني تبعت الحافظ أبا نعيم في ذلك" .

فلم يجر في بُحَيرة طبريّة وخمَدت النيران المعبودة في الأرض ولم تخمد قبل ذلك بألف عام[1] .

فصل

ومن خصائصه ﷺ التي اختصّ بها دون الأمّة أنه لم يكن يحتلم قط لأن[2] الاحتلام من تلعب الشيطان وكان ﷺ محفوظاً من الشيطان [ق٦٣/و] بل كان الشيطان يهرب منه[3] ، ومنها أن شيطانه كان كافراً فأعانه الله تعالى عليه حتى أسلم فلا يأمره إلا بخير[4] ، ومنها أنه كان لاتعلوه ذُبابة قطّ[5] وأن القمل لم يكن يُؤذيه[6] ، ومنها أنه (كان)[7] إذا

---

(١) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٤٤ .

(٢) في ب "أن" بدون اللام .

(٣) قال القرطبي معلقاً على حديث عائشة رضي الله عنها : "كان يصبح جنباً من غير احتلام ثم يصوم ذلك اليوم" : "في هذا فائدتان إحداهما أنه كان يجامع في رمضان ويؤخر الغسل إلى بعد طلوع الفجر بياناً للجواز ، والثاني : أن ذلك كان من جماع لا من احتلام لأنه كان لا يحتلم إذ الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه ، وقال غيره : في قولها : (من غير احتلام) إشارة إلى جواز الاحتلام عليه وإلا لما كان للاستثناء معنى ، ورد بأن الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه ، وأجيب بأن الاحتلام يطلق على الإنزال وقد وقع الإنزال بغير رؤية شيء في المنام" فتح الباري (١٤٤/٤) .

(٤) أخرج مسلم (٢١٦٧/٤) ، في كتاب صفة اقيامة والجنة والنار ، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً ، ح٢٨١٤ ، من طريق عبدالله بن مسعود ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن» ، قالوا : وإياك يا رسول الله ، قال : «وإياي ، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير»

(٥) ذكره القاضي عياض في الشفا (٣٦٨/١) ، ونقله السيوطي في الخصائص الكبرى (١١٧/١) عن العَزَفِيّ في مولده ، ونقله أيضاً عن ابن سبع في الخصائص بلفظ : "أنه لم يقع على ثيابه ذباب قط" .

(٦) نقله المقريزي في إمتاع الأسماع (٣٣٤/١٠) ، والسيوطي في الخصائص الكبرى (١١٧/١) عن ابن سبع في كتاب شفاء الصدر ؛ قال السيوطي في الشمائل الشريفة (٣٤٥/١) ، تحقيق : حسن بن عبيد باحبيشي ، دار طائر العلم ، عند تعليقه على حديث عائشة : "كان يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه" : "من لازم التفلي وجود شيء يؤذي في الجملة كبرغوث وقمل فدعوى أنه لم يكن القمل يؤذيه ولا الذباب يعلوه دفعت بذلك وبعدم الثبوت" .

(٧) "كان" ليس في ب .

جلس بين الجلوس كان كتفه أعلى من جميعهم[1] وإذا مشى بين الطوال طالَهُم فإذا فارقهم نُسبوا إلى الطول ونُسِب هو ﷺ إلى الربعة[2] ، ومنها أنّ الأرض كانت تبتلع بولَه وغائطه وتفوح منه رائحة طيّبة كالمسك وتبقى تلك الرائحة بعد ارتحاله[3] ، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : يا رسول الله إنك تدخل الخلاء فإذا خرجتَ دخلتُ في أثرك فلا أرى شيئاً إلا أنّي أجد رائحة المسك فقال : «إنا معشر الأنبياء بنيَتْ أجسادنا على أرواح الجنّة فما خرج منّا من شيء ابتلعته الأرض» ، ومنها ما روى بعض الصحابة أنه صحبه في سَفر قال فلما أراد قضاء حاجته تأمَّلتُهُ وقد أبعد فدخل مكاناً فقضى حاجته فدخلت الموضع الذي خرج منه فلم أجد شيئاً ولا أثر غائطٍ ولا بول ورأيت في ذلك الموضع ثلاثة أحجار كان استنجى بها فأخذتها فإذا بها يفوح منها ريح المسك وكنت إذا جئت يوم الجمعة المسجدَ أخذتهن في كمّي فتَغلب رائحتهن روائح من تطيّب وتعطّر[4] ، ومنها ما روت أمّ أيمن رضي الله عنها قالت : قام رسول الله ﷺ إلى فخّارَةٍ في البيت فبال فيها ثم قمت من اللّيل وأنا عطشى فأتيت الفخارة فشربت ما فيها فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فضحك وقال : «أما إنّكِ لن يَشتكي بطنكِ بعد يومك هذا»[5] ، وروى عبدالرزاق عن ابن جريج قال أُخبرت أن النبي ﷺ كان يبول في قدح من عَيْدان ثم يوضع تحت سريره قال : فبال فَوُضِع تحت سريره فجاء فأراده فإذا القدح ليس فيه شيء فقال لامرأةٍ يقال لها بركة كانت تخدمه : «أين البول الذي كان في القدح» قالت[6] : شربته فقال : «صحّة يا أم يوسف»[1] وكانت تكنى أمّ يوسف فما

---

(١) نقله السيوطي في الخصائص الكبرى ص١١٧ ، عن ابن سبع في الخصائص .

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (١/٢٩٨) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/٣٥٦) عن عائشة رضي الله عنها .

(٣) ذكر طرقه وقوّاه السيوطي في الخصائص الكبرى ص١٢٠-١٢١ .

(٤) نقله الزرقاني في شرحه على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٥/٥٤٢) ، الطبعة الأولى ١٤١٧ ، دار الكتب العليمة ، بيروت ، عن ابن سبع في كتابه الشفا ، وذكره علي القاري في شرح الشفا (١/١٧٠) ، الطبعة الأولى ١٤٢١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٥) أخرجه بنحوه الحاكم في المستدرك (٤/٧٠) ح٦٩١٢ ، وأبو نعيم في الدلائل (٢/٤٤٤) ح٣٦٥ ، والطبراني في المعجم الكبير (٢٥/٨٩) ح٢١٣٤٧ ؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٧١) : "رواه الطبراني ، وفيه أبو مالك النخعي وهو ضعيف" .

(٦) في ب "فقالت" بزيادة الفاء .

مرضت قط حتى كان مرضها الذي[2] ماتت فيه[3] ، قيل : إنّ بركة هذه كانت لأم حبيبة جاءت معها [ق٦٣/ظ] من أرض الحبشة و [كانت][4] أمّ أيمن تسمّى بركة أيضاً ورثها عن أبيه[5] والله أعلم ، ومنها أنّ[6] مالك بن سنان[7] شرب دمَه يوم أحُد ومصّه إياه فقال : «لن تصيبه النار»[8] ، وكذلك شرب عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما دم حجامته فقال له : «ويل لك من الناس وويل لهم منك»[9] وفي رواية أخرى أنه قال : «أما إنه لا تصيبه النار – أو[10]– لا تمسّه النار»[11] قال الشعبي فقيل لابن الزبير رضي الله عنهما : كيف وجدت طعم الدّم فقال : أمّا الطعم فطعم[12] العسل وأما الرائحة فرائحة المسك[13] ، وتسويغه ذلك لهم وأنه لم يأمرهم بغسل أفواههم منه دليل على طهارة هذه الأشياء منه[14] ﷺ ، وشاهدٌ أنه لم يكن منه (شيء)[1] يُكره ، ولا شيءَ غيرَ طيّبٍ ﷺ ، ويجاب

---

(١) سقط من نسختي المطبوعة من مصنف عبدالرازق ، وقد نقله أيضاً عن عبدالرزاق ابن حجر كما في التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير (١/١٧١) ، الطبعة الأولى ١٤١٩ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ؛ قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٣/٣٢٩) ح١١٨٢ : "ضعيف" .

(٢) في ب زيادة "كانت" بعد "الذي" .

(٣) في ب "فيها" .

(٤) "كانت" زيادة من ب .

(٥) نقل ابن حجر هذا القول عن ابن السكن . انظر : الإصابة (٨/١٧٢) .

(٦) في ب "أنها" ، وهو خطأ ظاهر .

(٧) هو مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد –والد أبي سعيد الخدري– ، قتل يوم أحد شهيداً قتله عراب بن سفيان الكناني ، روى أبو سعيد الخدري قال : أصيب وجه رسول ﷺ فاستقبله مالك بن سنان – يعني أباه – فمسح الدم عن رسول الله ﷺ ثم ازدرده فقال رسول الله ﷺ : «من أحب أن ينظر إلى من خالط دمه دمي فلينظر إلى مالك بن سنان» . انظر : أسد الغابة (٥/٢٤) .

(٨) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٩٤٧) ح٩٠٩٨ ، بلفظ : «خالط دمي دمه لا تمسه النار» ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٧٠) : "رواه الطبراني في الأوسط ولم أر في إسناده من أجمع على ضعفه" .

(٩) أخرجه بنحوه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٨/١٦٢-١٦٣) ، وأبو نعيم في الحلية (١/٣٢٩-٣٣٠) .

(١٠) في ب "و" .

(١١) نقله الملا علي القاري في شرح الشفا (١/١٧٠) عن الشعبي .

(١٢) في ب "طعم" بدون الفاء .

(١٣) ذكره الملا علي القاري في شرح الشفا (١/١٧٠) .

(١٤) في ب "منهم" ، وهو خطأ .

عن قول من احتج بأنه كان يستجمر ويستنجي من ذلك بأن المنيّ كان يُغسَل من ثوبه وليس ينجس والله أعلم .

فصل

خصيصة النبي ﷺ في طيب ريحه

في طيب ريحه ﷺ كان ﷺ يمجّ في القدح أو الكوز أو الدَّلو أو البئر فيجدون لذلك ريحاً أطيب من المسك ، وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : ماشَمِمْتُ عنبراً قط ، ولا مسكاً ، ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ[٢] ، وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه ﷺ مسح خدَّه قال : فوجدت ليده برداً وريحاً[٣] كأنما أخرجها من جُؤنة[٤] عَطّار[٥] ، وقال غيره : مسها بطيب أولم يمسّها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ، ويضع يده على رأس الصبي فيُعرَف من بين الصبيان بريحها[٦] ، ومنها أنه ﷺ نام في دار أنس بن مالك رضي الله عنه فعرق فجاءت أُمُّه بقارورة تجمع فيها عَرَقَه فسألها (عن)[٧] ذلك فقالت : نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطّيب[٨] ، وكانت تلتقط عرقه فتخلط به مسكاً لها في قارورة ثم[٩] تجعله للشفاء وقال جابر رضي الله عنه : لم يكن النبي ﷺ يمرّ في طريق فيتبعه أحدٌ إلا عرف أنه سلكه من طيبه[١٠] .

---

(١) "شيء" ليس في ب .

(٢) أخرجه مسلم (١٨١٤/٤) ، في كتاب الفضائل ، باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه والتبرك بمسحه ، ح٢٣٣٠.

(٣) في ب "ريحاً وبرداً" بتقديم وتأخير .

(٤) الجونة بالضم : التي يُعد فيها الطيب ويُحرز . النهاية (٨٤٣/١) .

(٥) أخرجه مسلم (١٨١٤/٤) ، كتاب الفضائل ، باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه والتبرك بمسحه ، ح٢٣٢٩ .

(٦) ذكره القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٨٧/١) ، تحقيق : علي البجاوي ، ١٤٠٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٧) "عن" ليس في ب .

(٨) أخرجه مسلم (١٨١٥/٤) ، كتاب الفضائل ، باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به ، ح٢٣٣١ .

(٩) في ب "لم" ، وهو خطأ .

(١٠) ذكره البخاري في التاريخ الكبير (٤٠٠/١) ، طبع تحت مراقبة : محمد عبدالمعيد خان ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد .

فصل

ومن خصائصه أنه لم يكن أحَدٌ يَغلِبه بالقوّة ، ومنها أنه (كان)[1] إذا لم يجد الماء مَدّ أصابعه فيتَفَجّر الماء من بينها حتى يقضي [ق٦٤/و] طُهُوره وقد أشرنا إلى ذلك ، ومنها أن السحاب كانت تظله وكان في بعض المغازي مع أصحابه فكان إذا وقعت عليه الشمس جاءت سحابة فأظلّته[2] تدور معه كيف دار إلى آخر النهار ثم تزول فتعود اليوم الثاني ، ومنها أن الأرض كانت تطوى له فيُسرِع أصحابه خلفه حتى تتقطع نعالهم وتسقط أرديتهم وهو ﷺ غير مُكترث[3] ، ومنها أنه كان إذا مسّ شيئاً لم تضرّ النارُ ذلك الشيء كما روى عَبّادُ بن عبدالصمد[4] قال : أتينا أنس بن مالك نسلّم عليه فدعا لنا بالمائدة فتغدّينا عنده ثم قال يا جارية هاتي المنديل فأُتي بمنديل فقال : يا جاريةُ اسجُرِي التَنّور قالت : وما اسجُرِيه؟ قال : أوقدِيه فأوقدَته ثم أُتي بالمنديل فطُرح فيه فخرج أبيض كأنه اللبن الحليب قلت : ما هذا يا أبا حمزة قال : هذا منديل كان يمسح النبي ﷺ به وجهه فإذا اتّسَخ به صنعنا به هكذا لأن النار لا تأكل شيئاً مرّ على وجه الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه[5] ، قال : فمسحنا به وجوهنا فله من هذه الفضيلة الشركة والنصيب الوافر ، ومنها أن السّماء لم تكن تُحرَس ولا يُرمى منها بالشّهب قبل محمد ﷺ وكانت الشياطين تقعد منها مقاعد للسمع[6] فلما بُعث ﷺ حُرِست ورميت بالشّهب قال الله تعالى مخبراً عنهم : ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ

---

(١) "كان" ليس في ب .

(٢) في ب "بظلته" .

(٣) أخرج أحمد (١٤/٢٥٨) ح٨٦٠٤ ، والترمذي (٥/٦٠٤) ح٣٦٤٨ ، من حديث أبي هريرة ﷺ ، بلفظ : "وما رأيت أحداً أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ ، كأنما الأرض تطوى له ، إنا لنجهد أنفسنا ، وإنه لغير مكترث" ؛ قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "حديث حسن" .

(٤) عباد بن عبد الصمد أبو معمر البصري ، قال البخاري : منكر الحديث وقال الرازي : ضعيف ، يروي عن أنس نسخة عامتها مناكير ، وعامة ما يروي في فضائل علي ، وهو غال في التشيع . انظر : الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي ، تحقيق : عبدالله القاضي ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ؛ والكامل (٤/٣٤٢) .

(٥) أخرجه بنحوه الخطيب البغدادي في تاريخه (١٠/٢٩٠) من طريق دينار مولى أنس ﷺ .

(٦) في ب "السمع" .

﴿يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا﴾ [الجن:٩] ومنها أن الدجال والطاعون لا يدخلان المدينة ببركته ﷺ كما في الصّحاح[1] وغيرها .

فصل

خصيصة النبي ﷺ في أسمائه

ومن خصائصه ﷺ في أسمائه فمنها ما في حديث حذيفة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا محمَّدٌ وأنا أحمد وأنا نبيّ الرحمة[2] وأنا نبيّ التّوبة وأنا نبيّ الملحمة[3] وأنا المُقَفِّي وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي»[4] وفي حديث جبير بن مُطعِم ﷺ : «وأنا الماحي[5] الذي يُمحى[6] بي الكفر وأنا العاقب[7] : الذي ليس بعدي نبيٌّ [ق٦٤/ظ] »[8] ، وفي حديث أبي الطُفَيل : «وأنا الفاتح والخاتم»[9] ، وفي حديث عليّ

(١) أخرج البخاري (٢٢/٣) ، كتاب فضائل المدينة ، ح١٨٨٠ ، ومسلم (١٠٠٥/٢) ، كتاب الحج ، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال فيها ، ح١٣٧٩ ، من طريق أبي هريرة ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : «على أنقاب المدينة ملائكة ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال» .

(٢) في هامش أ "أرسله الله تعالى رحمة للعالمين فرحم به أهل الأرض كلهم مؤمنهم وكافرهم أما المؤمنون فنالوا النصيب الأوفر من الرحمة وأما الكفار فأهل الكتاب منهم عاشوا في ظله وتحت حبله وعهده وأما من قتله منهم هو وأمته فإنهم عجلوا به إلى النار وأراحوه من الحياة الطويلة التي لا يزداد بها إلا شدة العذاب في الآخرة" .

(٣) في هامش أ "بعث ﷺ بجهاد الكفار فلم يجاهد نبي وأمته قط ما جاهد رسول الله ﷺ وأمّته والملاحم الكبار التي وقعت ويقع بين أمته وبين الكفار لم يعهد مثلها قبله فهو نبي الملحمة ﷺ" .

(٤) أخرجه أحمد بنحوه (٤٣٦/٣٨) ح٢٣٤٤٥ ، قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "صحيح لغيره" .

(٥) في هامش أ "لم يمح الكفر بأحد من الخلق ما محي بالنبي ﷺ فإنه بعث وأهل الأرض كفار فمحى الله سبحانه برسوله ﷺ الكفر حتى ظهر دين الله على كل دين فبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار" .

(٦) في ب "يمحي" .

(٧) في هامش أ "أي جاء عقب الأنبياء فليس بعده نبي فإن العاقب هو الآخر فهو بمنزلة الخاتم ولهذا سمي العاقب على الإطلاق أي عقب الأنبياء" .

(٨) أخرجه أحمد (٢٩٣/٢٧) ح١٦٧٣٤ ، قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "إسناده صحيح على شرط الشيخين" ، وأخرجه مسلم (١٨٢٨/٤) ، بنحوه في كتاب الفضائل ، باب في أسمائه ﷺ ، ح٢٣٥٤ .

(٩) ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (٣٣/١) ، وقال في إسناده : "واه" .

: أنّه بشير ونذير وأنّه أمين وأنه مأمون وأنه رسول وأنه سراج وأنه منير ، وهذه الأسماء في القرآن .

فصل

ومن خصائصه ﷺ الإسراء ، والرؤية في أحد قولي العلماء ، والدنوُّ ، والصلاة بالأنبياء والملائكة ، والشهادة بين الأنبياء والأمم ، ومنها أن الله يعطيه حتى يَرضى ، ومنها أنه رحمة للعالمين ، ومنها ما خصّه به في الآخرة من الشفاعة والحوض (و)[1] الكوثر وسماع القول وإتمام النعمة كما سيأتي ، ومنها العفو عما تقدّم وتأخّر ، ومنها شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذّكر وعزّة النصر ونزول السكينة والتأييد بالملائكة وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع[2] المثاني والقرآن العظيم وتزكية الأمّة وصلاة الله تعالى والملائكةِ عليه والحكم (بين الناس)[3] بما أراه الله تعالى والقَسَم باسمه[4] وإجابة دعوته وتكليم الجمادات وانشقاق القمر وردّ الشمس إن صحّ[5] ، والنّصر بالرعب وتسبيح

(١) "و" ليس في ب .

(٢) في ب "سبع" .

(٣) "بين الناس" ليس في ب .

(٤) قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر:٧٢] : "قال المفسرون بأجمعهم : أقسم الله هنا بحياة محمد ﷺ تشريفًا له ، أن قومه من قريش في سكرتهم يعمهون وفي حيرتهم يترددون . قالوا : روي عن ابن عباس أنه قال : "ما خلق الله وما ذرأ ولا برأ نفسا أكرم عليه من محمد ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره" . وهذا كلام صحيح ، ولا أدري ما الذي أخرجهم عن ذكر لوط إلى ذكر محمد ، وما الذي يمنع أن يقسم الله بحياة لوط ، ويبلغ به من التشريف ما شاء ؛ فكل ما يعطي الله للوط من فضل ويؤتيه من شرف فلمحمد ضعفاه ؛ لأنه أكرم على الله منه ، أولا تراه قد أعطى لإبراهيم الخلة ، ولموسى التكليم ، وأعطى ذلك لمحمد ، فإذا أقسم الله بحياة لوط فحياة محمد أرفع ، ولا يخرج من كلام إلى كلام آخر غيره لم يجر له ذكر لغير ضرورة" .

(٥) قال الشيخ الألباني –رحمه الله– في تعليقه على حديث «اللهم إن عبدك علياً احتبس نفسه على نبيك ، فرد عليه شرقها» وفي رواية : «اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس ، قالت أسماء ، فرأيتها غربت ، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت» : "ابن تيمية رحمه الله لم يحكم على الحديث بالوضع من جهة إسناده ، وإنما من جهة متنه ، أما الإسناد ، فقد اقتصر على تضعيفه ، فإنه ساقه من حديث أسماء وعلي بن أبي طالب وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة ، ثم بين الضعف الذي في أسانيدها ، وكلها تدور على رجال لا يعرفون بعدالة ولا ضبط ، وفي بعضها من هو متروك منكر الحديث جداً ، وأما حكمه على الحديث بالوضع متناً ، فقد ذكر في ذلك كلاماً

متيناً جداً ، لا يسع من وقف عليه ، إلا أن يجزم بوضعه ، وأرى أنه لابد من نقله ولو ملخصاً ليكون القارئ على بينة من الأمر فقال رحمه الله : وحديث رد الشمس لعلي ، قد ذكره طائفة كالطحاوي والقاضي عياض وغيرهما ، وعدوا ذلك من معجزات النبي ﷺ ، لكن المحققون من أهل العلم والمعرفة بالحديث ، يعلمون أن هذا الحديث كذب موضوع ، كما ذكره ابن الجوزي في الموضوعات -ثم ذكر حديث الصحيحين في حديث الشمس لنبي من الأنبياء ، وهو يوشع بن نون ، كما في رواية لأحمد والطحاوي بسند جيد كما بينته في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٢٠٢) ثم قال:- فإن قيل : فهذه الأمة أفضل من بني إسرائيل ، فإذا كانت قد ردت ليوشع فما المانع أن ترد لفضلاء هذه الأمة ؟ فيقال : يوشع لم ترد له الشمس ، ولكن تأخر غروبها وطول له النهار وهذا قد لا يظهر للناس ، فإن طول النهار وقصره لا يدرك ، ونحن إنما علمنا وقوفها ليوشع بخبر النبي ﷺ ، وأيضاً لا مانع من طول ذلك ، ولوشاء الله لفعل ذلك ، لكن يوشع كان محتاجاً إلى ذلك لأن القتال كان محرماً عليه بعد غروب الشمس ، لأجل ما حرم الله عليهم من العمل ليلة السبت ويوم السبت ، وأما أمة محمد فلا حاجة لهم إلى ذلك ولا منفعة لهم فيه ، فإن الذي فاتته العصر إن كان مفرطاً لم يسقط ذنبه إلا التوبة ، ومع التوبة لا يحتاج إلى رد ، وإن لم يكن مفرطاً كالنائم والناسي فلا ملام عليه في الصلاة بعد الغروب ، وأيضاً فبنفس غروب الشمس خرج الوقت المضروب للصلاة ، فالمصلي بعد ذلك لا يكون مصلياً في الوقت الشرعي ولو عادت الشمس ، وقول الله تعالى ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه:من الآية ١٣٠] يتناول الغروب المعروف ، فعلى العبد أن يصلي قبل هذا الغروب وإن طلعت ثم غربت ، والأحكام المتعلقة بغروب الشمس حصلت بذلك الغروب ، فالصائم يفطر ولو عادت بعد ذلك لم يبطل صومه ، مع أن هذه الصورة لا تقع لأحد ، ولا وقعت لأحد ، فتقديرها تقدير ما لا وجود له ؛ وأيضاً فالنبي ﷺ فاتته صلاة العصر يوم الخندق ، فصلاها قضاء هو وكثير من أصحابه ، ولم يسأل الله رد الشمس ، وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال لأصحابه ، بعد ذلك لما أرسلهم إلى بني قريظة «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» ، فلما أدركتهم الصلاة في الطريق ، قال بعضهم : لم يرد من تفويت الصلاة ، فصلوا في الطريق ، فقالت طائفة : لا نصلي إلا في بني قريظة ، فلم يعنف واحدة من الطائفتين ، فهؤلاء الذين كانوا مع النبي ﷺ صلوا العصر بعد غروب الشمس وليس علي بأفضل من النبي ﷺ ، فإذا صلاها هو وأصحابه معه بعد الغروب ، فعلي وأصحابه أولى بذلك ، فإن كانت الصلاة بعد الغروب لا تجزي أو ناقصة تحتاج إلى رد الشمس كان رسول الله ﷺ أولى برد الشمس ، وإن كانت كاملة مجزئة فلا حاجة إلى ردها ، وأيضاً فمثل هذه القضية من الأمور العظام الخارجة عن العادة التي تتوفر الهمم والدواعي على نقلها ، فإذا لم ينقلها إلا الواحد والاثنان ، علم كذبهم في ذلك . وانشقاق القمر كان بالليل وقت نوم الناس ، ومع هذا فقد رواه الصحابة من غير وجه ، وأخرجوه في الصحاح والسنن والمسانيد من غير وجه ، ونزل به القرآن ، فكيف ترد الشمس التي تكون بالنهار ، ولا يشتهر ذلك ، ولا ينقله أهل العلم نقل مثله ؟ ! ولا يعرف قط أن الشمس رجعت بعد غروبها ، وإن كان كثير من الفلاسفة والطبيعين وبعض أهل الكلام ينكر انشقاق القمر وما يشبه ذلك ، فليس الكلام في هذا المقام ، لكن الغرض أن هذا من أعظم خوارق العادات في الفلك ، وكثير من الناس ينكر إمكانه ، فلو وقع لكان ظهوره ونقله أعظم من ظهور ما دونه ونقله ، فكيف يقبل وحديثه ليس له إسناد مشهور ، فإن هذا يوجب العلم اليقيني بأنه كذب لم يقع . وإن كانت الشمس احتجبت بغيم ثم ارتفع سحابها ، فهذا من الأمور المعتادة ، ولعلهم ظنوا أنها غربت ثم كشف الغمام عنها ، وهذا إن كان قد وقع ففيه أن الله بين له بقاء الوقت حتى يصلي فيه ،

ومثل هذا يجري لكثير من الناس -ثم قال ابن تيمية رحمه الله تعالى:- ثم تفويت الصلاة بمثل هذا إما أن يكون جائزاً ، وإما أن لا يكون ، فإن كان جائزاً لم يكن على علي ﷺ إثم إذا صلى العصر بعد الغروب ، وليس علي أفضل من النبي ﷺ ، وقد نام صلى الله عليه وسلم ومعه علي وسائر الصحابة عن الفجر حتى طلعت الشمس ، ولم ترجع لهم إلى الشرق . وإن كان التفويت محرماً فتفويت العصر من الكبائر ، وقال النبي ﷺ : «من فاته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله» . وعلي كان يعلم أنها الوسطى وهي صلاة العصر ، وهو قد روى عن النبي ﷺ في الصحيحين أنه قال : «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر حتى غربت الشمس ملأ الله أجوافهم وبيوتهم ناراً» ؛ وهذا كان في الخندق ، وهذه القصة كانت في خيبر كما في بعض الروايات ، وخيبر بعد الخندق ، فعلي أجل قدراً من أن يفعل مثل هذه الكبيرة ويقره عليها جبريل ورسول الله ، ومن فعل هذا كان من مثالبه لا من مناقبه ، وقد نزه الله علياً عن ذلك ثم فاتت لم يسقط الإثم عنه بعود الشمس . وأيضاً فإذا كانت هذه القصة في خيبر في البرية قدام العسكر ، والمسلمون أكثر من ألف وأربعمائة ، كان هذا مما يراه العسكر ويشاهدونه ، ومثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله ، فيمتنع أن ينفرد بنقله الواحد والاثنان ، فلو نقله الصحابة لنقله منهم أهل العلم ، كما نقلوا أمثاله ، لم ينقله المجهولون الذين لا يعرف ضبطهم وعدالتهم ، وليس في جميع أسانيد هذا الحديث إسناد واحد يثبت ، تعلم عدالة ناقليه وضبطهم ، ولا يعلم اتصال إسناده ، وقد قال النبي ﷺ عام خيبر : «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله» ، فنقل ذلك غير واحد من الصحابة وأحاديثهم في الصحاح والسنن والمسانيد ، وهذا الحديث ليس في شيء من كتب الحديث المعتمدة ، ولا رواه أهل الحديث ولا أهل السنن ولا المسانيد ، بل اتفقوا على تركه ، والإعراض عنه ، فكيف في شيء من كتب الحديث المعتمدة ؛ -قال :- وهذا مما يوجب القطع بأن هذا من الكذب المختلق - قال:- وقد صنف جماعة من علماء الحديث في فضائل علي كالإمام أحمد وأبي نعيم والترمذي والنسائي وأبي عمر بن عبد البر ، وذكروا فيها أحاديث كثيرة ضعيفة ، ولم يذكروا هذا ! لأن الكذب ظاهر عليه بخلاف غيره -ثم ختم شيخ الإسلام بحثه القيم بقوله:- وسائر علماء المسلمين يودون أن يكون مثل هذا صحيحاً لما فيه من معجزات النبي ﷺ : وفضيلة علي عند الذين يحبونه ويتولونه ، ولكنهم لا يستجيزون التصديق بالكذب فردوه ديانة ، والله أعلم .

وقد مال إلى ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الحديث تلميذاه الحافظان الكبيران ابن كثير والذهبي ، فقال الأول منهما بعد أن ساق حديث حبس الشمس ليوشع عليه السلام من تاريخه : " وفيه أن هذا كان من خصائص يوشع عليه السلام ، فيدل على ضعف الحديث الذي رويناه أن الشمس رجعت حتى صلى علي بن أبي طالب صلاة العصر ، بعد ما فاتته بسبب نوم النبي ﷺ على ركبته ، فسأل رسول الله ﷺ أن يردها عليه حتى يصلي العصر فرجعت ، وقد صححه أحمد بن صالح المصري ، ولكنه منكر ليس في شيء من الصحاح والحسان ، وهو مما تتوفر الدواعي على نقله ، وتفردت بنقله امرأة من أهل البيت مجهولة لا يعرف حالها . والله أعلم .

وقال الذهبي في تلخيص الموضوعات : أسانيد حديث رد الشمس لعلي ساقطة ليست بصحيحة ، واعترض بما صح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « أن الشمس لم تحبس إلا ليوشع بن نون ، ليالي سار إلى بيت المقدس» . وقال شيعي : إنما نفى عليه السلام وقوفها ، وحديثنا فيه الطلوع بعد المغيب فلا تضاد بينهما ؛ قلت : لوردت لعلي لكان ردها يوم الخندق للنبي ﷺ أولى ، فإنه حزن وتألم ودعا على المشركين لذلك . ثم نقول : لوردت لعلي لكان بمجرد دعاء النبي ﷺ ولكن لما غابت خرج وقت العصر ودخل وقت المغرب ، وأفطر الصائمون ، وصلى المسلمون

الحصى في يده وتسبيح الطعام وهو يؤكل بحضرته كما تقدم ذكره ، وفيما خصّ به دون أمّته التخيير لنسائه وصلاة الليل كما ذكرنا ، ولم يكن له إذا سمع منكراً تركه حتى يغيّر وليس له أن يكتب ولا يقول الشّعر وأنه كان عليه دَينُ مَن يموت من أمته إذا لم يكن ترك وفاء ولم يكن لأحد تغيير ما حماه من حمىً وأحل له القتال بمكة[1] ولم يحل[2] لأحد قبله ولا يحل لأحد بعده ، ومما خص ﷺ به أنّ حدّ من سبّه أو هجاه القتل وأن من سبّه هو أو لعَنَهُ ممن ليس أهلاً لذلك أن يكون سَبُّه له ولعْنُه إياه رحمةً وقربةً[3] وأن

المغرب ، فلو ردت الشمس للزم تخبيط الأمة في صومها وصلاتها ، ولم يكن في ردها فائدة لعلي ، إذ رجوعها لا يعيد العصر أداء ، ثم هذه الحادثة العظيمة لو وقعت لاشتهرت وتوفرت الهمم والدواعي على نقلها . إذ هي في نقض العادات جارية مجرى طوفان نوح ، وانشقاق القمر " . هذا كله كلام الذهبي نقلته من " تنزيه الشريعة " لابن عراق وهو كلام قوي سبق جله في كلام ابن تيمية ، وقد حاول المذكور رده من بعض الوجوه فلم يفلح ، ولو أردنا أن ننقل كلامه في ذلك مع التعقيب عليه لطال المقال جدا ، ولكن نقدم إليك مثالاً واحداً من كلامه مما يدل على باقيه ، قال : وقوله : ورجوعها لا يعيد العصر أداء ، جوابه : إن في تذكرة القرطبي ما يقتضي أنها وقعت أداء ، قال رحمه الله : فلو لم يكن رجوع الشمس نافعاً ، وأنه لا يتجدد الوقت لما ردها عليه الصلاة والسلام ، والجواب على هذا من وجوه : أولاً : أن يقال : أثبت العرش ثم انقش .

ثانياً : لوكان الرجوع نافعاً ويتجدد الوقت به لكان رسول الله ﷺ أحق وأولى به في غزوة الخندق ، لاسيما ومعه علي ﷺ وسائر أصحابه ﷺ كما تقدم عن ابن تيمية رحمه الله تعالى .

ثالثاً : هب أن في ذلك نفعاً ، ولكنه على كل حال هو نفع كمال - وليس ضرورياً ، بدليل عدم رجوع الشمس له ﷺ في الغزوة المذكورة ، فإذا كان كذلك فما قيمة هذا النفع تجاه ذلك الضرر الكبير الذي يصيب المسلمين بسبب تخبيطهم في صلاتهم ووصومهم كما سبق عن الذهبي ؟! .

وجملة القول : أن العقل إذا تأمل فيما سبق من كلام هؤلاء الحفاظ على هذا الحديث من جهة متنه ، وعلم قبل ذلك أنه ليس له إسناد يحتج به ، تيقن أن الحديث كذب موضوع لا أصل له" . انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٢/٣٩٥-٤٠١) .

وقال الشيخ الألباني في تعليقه على حديث «أمر ﷺ الشمس أن تتأخر ساعة من النهار ، فتأخرت ساعة من النهار» : "ضعيف ـثم قال:- تنبيه : قد جاءت أحاديث وآثار في رد الشمس لطائفة من الأنبياء ، ولا يصح من ذلك شيء إلا ما في الصحيحين وغيرهما أن الشمس حبست ليوشع ﷺ" . انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٢/٤٠١-٤٠٢) .

(١) في هامش أ "أي ساعة واحدة من يوم واحد" .

(٢) في ب "يكن" .

(٣) تقدم تخريجه ، انظر : ص٥١٨-٥١٩ .

الأنساب كلها منقطعةٌ إلا نسبه وأُوجِبَ على المصلي أن يجيبه إذا دعاه وأبيح له الحكم لنفسه وقبول الشهادة ممن شهد له بقوله لقضيّة خزيمة[1] .

فصل

خصائص النبي ﷺ في صفاته الخَلقية والخُلقية

واختص بأن جمع فيه معاني وصفات لم تجتمع في غيره من جمال صورته ، وتناسب أعضائه في حسنها وصحّتها واعتدال أشكالها ، ونظافة جسمه ، ونزاهته [ق٦٥/و] عن الأدناس والأقذار ، ووفور عقله ، وذكائه ، ودقّة فطنته ، وقوّة حواسّه ، وفصاحة لسانه ، واعتدال حركاته ، وحسن شمائله ، ومعاملته للخليقة على اختلاف طبقاتهم[2] وتباين غَرَائزهم بما يلائم أحوالهم ، وتدبير بواطنهم وظواهرهم بما يُصلح شؤونهم ، وسياسة الخاصة والعامّة بما فيه انتظام حال دينهم ودنياهم ، يُعاملهم في كل ذلك ببدائع سيرته ، وسعة حلمه ، وكثرة تواضعه ، وجودة شمائله ، وهذه أمور مبسوطة في أمهات الكتب المصنّفة في شمائله وبيان فضله وفضائله .

فصل

خصائص النبي ﷺ في ليلة الإسراء به

ومن خصائصه الكبار ما قدّمنا الإشارة إليه في ليلة الإسراء به ﷺ قولُه سبحانه وتعالى : ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء:من الآية ١] فمن مقدمات الإسراء ما أخرجه البخاري

---

(١) لما وقعت قضية الأعرابي مع رسول الله ﷺ ، وشهد خزيمة بن ثابت رضي الله عنه لرسول الله ﷺ ، جعل النبي ﷺ شهادته له بالدرع بشهادة رجلين ، وحكم بها ، مع أن الله تعالى فرض علينا في الحقوق المالية وما في حكمها شهادة الرجلين من الرجال أو عن كل رجل امرأتان ، فقبل النبي ﷺ شهادة رجل واحد؛ لكنها في قضية معينة ، وهي قضية خزيمة بن ثابت وقال له : «بم تشهد ؟ فقال : بتصديقك يا رسول الله ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شهادة خزيمة بشهادة رجلين» . سنن أبي داود (٣٠٨/٣) ، في كتاب الأقضية ، باب إذا علم الحاكم صدق الشاهد الواحد يجوز له أن يحكم به ، ح٣٦٠٧ ، قال الألباني : "صحيح" .

(٢) في ب ونسخة بهامش أ "طبائعهم" .

ومسلم في صحيحيهما[1] من حديث مالك بن صعصعة قال : قال النبي ﷺ : (بينا)[2] أنا عند البيت – أو قال : في الحطيم[3][4] – بين النائم[5] واليقظان[6] جاءني ثلاثة نفر وذلك قبل أن يوحى إليّ فقال أوّلهم : أيّهم هو ، قال أوسطهم : هو خيرهم ، فقال آخرهم : خذوا خيرهم ، فكان تلك الليلة ، فلم يَرَهم حتى أتوه ليلةً أخرى فيما يرى قلبُه وتنام عينُه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء عليهم السلام تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ، فلم يكلّموه حتى احتملوه ، فوضَعوه عند زمزم ، فتولّاه منهم جبريل ، فشقّ من نحره إلى اللبّة ، وقال قتادة : فشق من النحر إلى مراق[7] البطن[8] فاستخرج قلبي[9] ، زاد مسلم : فشق عن قلبي فاستخرج القلب فاستخرج منه علقه فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله[10] ، قال البخاري : بماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ، ثم أتي بطست من ذهب ممتلئ إيماناً وحكمة ، فحشى به صدْرَه ولغاديده –يعني : عروق حلقه– ثم أطبقه[11] ثم أُتِيتُ بدابة فوق الحمار ودون البغل أبيض يضع حافرة عند منتهى طرفه فحملت عليه[12]

---

(1) الخبر مجموعاً من أحاديث شتى كما سيأتي تخريجهم .

(2) "بينا" ليس في ب .

(3) في ب "الحطين" .

(4) أخرج الرواية البخاري (٥/٥٢) ، في كتاب مناقب الأنصار ، باب المعراج ، ح٣٨٨٧ .

(5) في ب زيادة "النائم" ثانية ، وهو خطأ .

(6) أخرجه البخاري (٤/١٠٩) ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، ح٣٢٠٧ ؛ ومسلم (١/١٤٩) ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ، ح١٦٤ .

(7) مراق البطن –بفتح الميم وتخفيف الراء وتشديد القاف– : هو ما سفل من البطن ورق من جلده وأصله مراقق وسميت بذلك لأنها موضع رقة الجلد .

(8) في ب "النّطن" ، وهو خطأ ظاهر .

(9) أخرجه البخاري (٤/١٠٩) ، بنحوه في كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، ح٣٢٠٧ ، ومسلم (١/١٥١) ، في كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ، ح١٦٤ .

(10) أخرجه مسلم (١/١٤٧) ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ، ح١٦٢ .

(11) أخرجه البخاري (٩/١٤٩) ، كتاب التوحيد ، باب قوله ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:من الآية ١٦٤] ، ح٧٥١٧ .

(12) أخرجه البخاري (٥/٥٢) ، في كتاب مناقب الأنصار ، باب المعراج ، ح٣٨٨٧ ؛ ومسلم وسيأتي تخريجه في في

، زاد مسلم قال : «فركبته حتى أتيت باب المقدس قال فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء – قال : – ثم دخلت المسجد وصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل [ق٦٥/ظ] بإناء من خمرٍ وإناء من لبن فأخذت اللبن فقال جبريل : أخذت الفطرة[١] ، قال البخاري : فانطلق بي جبريل حتى أتى السّماء الدنيا فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء ففتح[٢] ، فلما علونا السّماء إذا[٣] رجل عن يمينه أسودة ، وعن شماله أسودة ، فإذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى ، فقال : مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح ، فقلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك آدم فسلّم عليه ، فسلّمت عليه فردّ علي السّلام وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، وأهل الشمال منهم أهل النار ، فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى –قال :– ثم عَرج بي (جبريل)[٤] حتى أتى[٥] السّماء الثانية فاستفتح ، قيل : من هذا ، قال : جبريل ، قيل : ومن معك ، قال : محمد ، قيل : وقد أرسل (إليه)[٦] ، قال : نعم ، قيل : مرحباً به فنعم المجيء جاء ففُتح لنا[٧] ، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى ابنا الخالة ، قال : هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما ، فسلمت عليهما ثم قالا مرحباً بالأخ الصّالح و النبي الصالح[٨] ، زاد مسلم :

الحاشية التالية .

(١) الزيادة أخرجها مسلم (١/١٤٥) ، في كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات .

(٢) أخرجه البخاري (٥/٥٢) ، في كتاب مناقب الأنصار ، باب المعراج ، ح٣٨٨٧ .

(٣) في ب "فإذا" .

(٤) "جبريل" ليس في ب .

(٥) في ب "ثم عرج بي إلى" .

(٦) "إليه" ليس في ب .

(٧) أخرجه البخاري (٤/١٣٥) ، بنحوه في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ذكر إدريس عليه السلام ، ح٣٣٤٢ ، ومسلم (١/١٤٨) ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ، ح١٦٣ .

(٨) أخرجه البخاري (٤/١٦٣) ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم:٢] ، ح٣٤٣٠ .

فَنعتَ عيسى فإذا هو ربعة أحمَرُ كأنه خرج من ديماس - يعني : حماماً -[1] ، فإذا أقربُ من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود[2] ، قال البخاري : ثم صعد بي إلى السّماء الثالثة فاستفتح فقيل : من هذا ، قال : جبريل ، قيل : ومن معك ، قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ، قال : نعم ، قال : مرحباً به ولنعم المجيء جاء ففتح لنا ، فلمّا خلصت فإذا يوسف[3] ، زاد مسلم : وإذا هو قد أعطي شطرَ الحسن[4] ، قال البخاري : «هذا يوسف فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فردّ السلام ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل[5] : من هذا ، قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ، ولنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فإذا أنا بإدريس ، قال : هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فردّ ثم قال[6] : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح ، قيل[7] : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فإذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، فقال مرحباً بالأخ الصالح والنّبيّ [ق٦٦/و] الصّالح ، ثم صعد حتى أتى السّماء السادسة فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمّد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ، فلمّا خلصت فإذا موسى[8] ، زاد مسلم : رجل ضرب جعد رجل الرّأس كأنّه من رجال

---

(١) أخرجه مسلم (١/١٥٤) ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ، ح١٦٨ .

(٢)أخرجه مسلم (١/١٥٣) ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ، ح١٦٨ .

(٣) أخرجه البخاري (٥/٥٢) ، في كتاب مناقب الأنصار ، باب المعراج ، ح٣٨٨٧ .

(٤) أخرجه مسلم (١/١٤٥) ، في كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ، ح١٦٢ .

(٥) في ب "فقيل" .

(٦) في ب "فقال" .

(٧) في ب "فقيل" .

(٨) أخرجه البخاري (٥/٥٢) ، في كتاب مناقب الأنصار ، باب المعراج ، ح٣٨٨٧ .

شنوءة[1][2] ، قال البخاري : فسلّم عليه ، فسلّمت عليه ، فرَدّ السلام ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنّبيّ الصالح ، فلمّا[3] جاوزت بكى ، قيل : ما يبكيك ؟ قال : أبكي أنّ غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمّته أكثر ممن يدخلها من أمّتي ، ثم صَعد بي إلى السّماء السابعة فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمّد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فإذا إبراهيم[4] ، زاد مسلم : أقربُ من رأيتُ به شبهاً صاحبكم -يعني : نفسه-[5] ، قال البخاري : قال : هذا أبوك إبراهيم فسلّم عليه ، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ، ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح[6] ، وفي حديث أنسٍ : إبراهيمُ في السماء السادسة وموسى في (السماء)[7] السابعة بفضل كلام الله ثم عَلا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله تعالى ، فقال موسى : لم أظُنّ أن يُرفَع عليّ أحدٌ ، قال النبي ﷺ : ثم رُفِعَتْ لي سدرة المنتهى[8] ، زاد مسلم : فلمّا غشيها من أمر الله ما غشى تغيّرتْ حتى حتى لا يستطيع أحدٌ أن ينعتها من حسنها[9] ، قال البخاري : «فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وَإذا ورقها مثْل آذان الفِيَلة ، قال : هذه سدرة المنتهى ، وإذا في أصلها أربعة أنهار : نهران باطنان ونهران ظاهران ، فقلت : ماهذا يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان :

---

(١) شنوءة -بفتح المعجمة وضم النون وبعد الواو همزة مفتوحة ، وقيل : بفتح النون بعدها همزة مكسورة بلا واو ، وشنوءة هو عبد الله بن كعب بن مالك بن نضر بن الأزد وسمي شنوءة لشنآن كان بينه وبين قومه . فتح الباري (٩٢/٤) .

(٢) أخرجه مسلم (١٥٦/١) ، في كتاب الإيمان ، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال ، ح١٧٢ .

(٣) في ب زيادة "ثم" بعد "فلما" .

(٤) أخرجه البخاري (٥٢/٥) ، في كتاب مناقب الأنصار ، باب المعراج ، ح٣٨٨٧ .

(٥) أخرجه مسلم (١٥٦/١) ، في كتاب الإيمان ، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال ، ح١٧٢ .

(٦) أخرجه البخاري (٥٢/٥) ، في كتاب مناقب الأنصار ، باب المعراج ، ح٣٨٨٧ .

(٧) "السماء" ليس في ب .

(٨) أخرجه البخاري (١٤٩/٩) ، في كتاب التوحيد ، باب قوله : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:من الآية ١٦٤] ، ح٧٥١٧ .

(٩) أخرجه مسلم (١٤٥/١) ، في كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ، ح١٦٢

فنهران في الجنة ، وأما الظاهران : فالنيل والفرات[1] ، ثم رُفع لي البيت المعمور ، فسألت جبريل عليه السلام فقال : هذا البيت المعمور يُصَلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا لم يَعُودوا إليه آخر ما عليهم[2] ، ثم أُتِيت بإناء من خمْرٍ ، وإناء من لَبَنٍ ، وإناء من عَسَلٍ ، فأخذت اللّبن ، فقال : هذه الفطرة أنت عليها وأُمَّتُكَ ولو أخذْتَ الخمْر لغوَتْ أُمَّتُك[3] ، زاد البخاري : إناء العَسَل[4] وأنه ﷺ أُعطي هذه الأواني الثلاثة بعد أن صَعد إلى سدرة المنتهى ، وقد تقدم لمسلم : أنه أُعطي الخمر واللبن [ق٦٦/ظ] وهو في بيت المقدس قبل أن يُعرَج به إلى السّماء[5] ، فالله أعلم أيّ ذلك كان ولعلّه من قول الراوي قَدّم وأخّر ، قلت : ولو قيل : إن الواقعة ثنتان وأنه أُعطي ذلك في بيت المقدس مرّة وعند البيت المعمور أخرى لا سيّما ورواية البخاريّ فيها زيادة : «إناء العسل» والله أعلم ، قال البخاريّ : ودَنا الجبّار فقربني حتّى كان قابَ قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أحوى[6] ، قال ابن عباس : ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسْمَعُ فيه صريف الأقلام[7] ، زاد غيره : وانقطع عنّي زَجَلُ المسبِّحِين وخُيّل إليّ أنّه مات مَن تحت العرش ورأيتُني كالقنديل المعلّق في الهواء[8] ؛ ثمّ فُرِضتْ عليّ الصلاة خمسين صلاةً كلّ يوم وليلة ، فرجَعتُ فمررت على موسى ، فقال : بم أُمِرتَ ؟ فقلت : بخمسين صلاةً كلّ يوم وليلة ، قال : فإن أمّتك لا تستطيع خمسين صلاةً كلّ يوم وليلةٍ ، وإنّي

---

(١) أخرجه البخاري (٥/٥٢) ، في كتاب مناقب الأنصار ، باب المعراج ، ح٣٨٨٧ .

(٢) أخرجه البخاري (٤/١٠٩) ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، ح٣٢٠٧ .

(٣) أخرجه مسلم (١/١٥٤) ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ، ح١٦٨ .

(٤) أخرجه البخاري (٥/٥٢) ، في كتاب مناقب الأنصار ، باب المعراج ، ح٣٨٨٧ .

(٥) أخرجه مسلم (١/١٤٥) ، في كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ، ح١٦٢ .

(٦) أخرجه البخاري (٩/١٤٩) ، بنحوه في كتاب التوحيد ، باب ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء:من الآية ١٦٤] ، ح٧٥١٧ .

(٧) أخرجه البخاري (٤/١٣٥) ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ذكر إدريس عليه السلام ، ح٣٣٤٢ ، ومسلم (١/١٤٨) ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ، ح١٦٣ .

(٨) ذكرها بنحوها عبدالرحمن الصفوري في نزهة المجالس ومنتخب النفائس (٢/١١٥) ، ١٢٨٣ ، المطبعة الكاستلية ، مصر .

والله قد جرَّبتُ الناسَ قبلك ، وعالجتُ بني إسرائيل أشدَّ المعالجة ، (فارجع إلى ربّك فسله التخفيف لأمّتك)[1] فرجَعتُ فوضع عني عشراً ، فرَجعت إلى موسى فقال مثلَه ، فرجَعْتُ فوَضع عنّي عشراً ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عني عشراً ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فأُمرت بعشر صلوات كلّ يوم وليلة ، فرجعت إلى موسى فقال : بما أُمِرتَ ، فقلت : بعشر صلوات فقال مثله ، فرجعت فأُمِرتُ بخمس صلواتٍ ، فرجعتُ إلى موسى فقال : بما أُمِرتَ ؟ قلت : بخمس صلوات كل يوم وليلة ، قال : إن أمّتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وليلة ، وإنّي قد جرّبت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشدّ المعالجة[2] على أدنى منها فضيّعوها وتركوا وأمّتك أضعف أجساداً وقلوباً وأبداناً وأسماعاً وأبصاراً فارجع فليخفّف عنك ربّك ، كل ذلك يلتفت النبيّ ﷺ إلى جبريل ليشير[3] عليه فلا يَكره ذلك جبريل ، فرفعه جبريل عند الخامسة فقال : يا ربّ إن أمّتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفّف عنهم ، فقال الجبّار : يا محمّد ، قال : لبيك وسعديك ، قال : لا يبدّل القول لديّ ، كما فرضته عليك في أُمِّ [ق٦٧/و] الكتاب ، فكل حسنة بعشر أمثالها ، فهي خمسون في أم الكتاب ، وهي خمس عليك[4] ، زاد مسلم : قال : يا محمّد إنها خمس صلوات كل يوم وليلة ، لكل صلاة عشر ، فذلك خمسون صلاة ، ومن هَمَّ بحسنة فلم[5] يعملها كتبت له حسنة ، وإن عملها كتبت له عشراً ، ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه ، فإن عملها كُتِبَت سيّئةً واحدةً[6] ، قال البخاري : فرجع إلى موسى فقال : كيف فَعلت ؟ قال : خَفَّف عنّا ، أعطانا بكُلّ حسنة عشْرَ أمْثالها ، فقال : موسى عليه السلام : قد والله راودت

---

(١) ما بين القوسين ليس في ب .

(٢) أخرجه البخاري (٥/٥٢) ، في كتاب مناقب الأنصار ، باب المعراج ، ح٣٨٨٧ .

(٣) في ب "أشير" وهو خطأ .

(٤) أخرجه البخاري (٩/١٤٩) ، بنحوه في كتاب التوحيد ، باب ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:من الآية ١٦٤] ، ح٧٥١٧ .

(٥) في ب "ولم" .

(٦) أخرجه مسلم (١/١٤٥) ، في كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ، ح١٦٢.

بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه ، ارجع إلى ربّك فليخفّف عنك[1] ، قال : قد سألت ربّي حتّى استحييت ، ولكنّي أرضى وأسلّم ، فلمّا جاوزت ناداني منادٍ : أمضيتُ فريضتي ، وخفّفت عن عبادي فاهبط بسم الله[2] ، قال مسلم : وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي وإذا عيسى قائم يصلي وإذا إبراهيم قائم يصلي فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل : (يا)[3] محمّد هذا مالك خَازن النار فسلم عليه فالتَفتُّ إليه فبدأني بالسلام[4] ، وفي رواية : ثم أخذ جبريل بيدي فأهبطني إلى الأرض فأراني عجائب الأرضين ومكامنها وما خلق الله تعالى فيها ثم ردّني (إلى مكة)[5] قبل طلوع الفجر ، فلما أصبحت حدّثتُ قريشاً بما رأيتُ بعيني فكذّبوا ثم قال بعضهم اتركوه حتى نسأله عن آية فإنّ لنا رُكباناً بالشام فتسأله عنها فقالوا : أخبرنا يا محمّد عن عِيرنا فهي أهمّ إلينا هل لقيتَ منها من شيء ، قال : نعم مررت على عير بني فلان وهي في الرّوحاء[6] وقد أضَلُّوا بَعِيراً لهم وهم في طلبه وفي رحلهم قدح من ماء فأخذته وقد عطشت فشربته ثم وضعْته كما كان فسلوهم هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا ، فقال : هذه آية ، قال : (و)[7] مررت بعِيرِ بني فلانٍ وفلانٌ وفلانٌ راكبان على قَعُودٍ لهما بذي مَرٍّ فنفَر بكرهما منّي فرَمى بفلان فانكسرت يده فسَلوه عن ذلك ، فقال : هذه آية ، فقالوا : أخبرنا عن عِيرِنا متى تجيء؟ ، فقال : مررت بها في التنعيم ، قالوا : فما عدتها وأحمالها وهيئتها؟ فمُثّلتْ له بمكانها بعدتها وأحمالها وهيئتها ومن

---

(١) أخرجه البخاري (٩/١٤٩) ، بنحوه في كتاب التوحيد ، باب ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء:من الآية ١٦٤] ، ح٧٥١٧ .

(٢) أخرجه البخاري (٥/٥٢) ، بنحوه في كتاب مناقب الأنصار ، باب المعراج ، ح٣٨٨٧ .

(٣) "يا" ليس في ب .

(٤) أخرجه مسلم (١/١٥٦) ، بنحوه في كتاب الإيمان ، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال ، ح١٧٢ .

(٥) "إلى مكة" ليس في ب .

(٦) قرية صغيرة على مسافة ٧٣ كيلاً من المدينة على طريق مكة ، ظلت محطة للجمال ، فلما جاءت السيارات تأخرت وقل نزلها ، والموجود بها اليوم مقهيان ، وليس بها زرع ، وسميت الروحاء لانفتاحها ورواحها ، وأول من سماها بالروحاء هو تُبّع لما رجع من قتال أهل المدينة يريد مكة فنزل بالروحاء وأقام بها وأراح فسماها بذلك . انظر : معجم معالم الحجاز (٤/٧١٨-٧١٩) ، المعالم الأثيرة ص١٣١ .

(٧) "و" ليس في ب .

فيها [ق٦٧/ظ] ، فقالوا له : صفها لنا ، فقال لهم : صفتها كذا وعدتها كذا وفيها فلان يقود جملاً أورق عليه غرارتان محيطتان يَطْلُعُ عليكم عند طلوع الشمس ، قالوا : هذه آية وتبادروا الخروج نحو الثنيّة وهم يقولون : والله لقد قصّ محمّد شيئاً وبَيَّنَه حتى أتوا كَداء[1][2] فجلسوا عليه ينظرون[3] إلى الشمس إذ[4] قال قائل منهم : هذه واللهِ الشمسُ قد طلعت وقال قائل منهم : هذه واللهِ الإبلُ قد طلعت يَقدمُها بَعِيرٌ أورق عليه غرارتان محيطتان فيها فلان وفلان كما قال لهم رسول الله ﷺ (ثم)[5] امتحنوا بعد ذلك ما قيل لهم عن عير بني فلان فوجدوا ذلك كما أخبرهم فما آمنوا ولا أفلحوا[6] ، وقد كان أبو بكر الصّدّيق ﷺ قد سافر إلى بيت المقدس وعرف ما فيه مع من[7] عرف ذلك فذهبوا إليه وقالوا له : إن صاحبك يقول : إنه ذهب إلى بيت المقدس في ليلة ورجع[8] ، قال : أو قال ذلك ، قالوا : نعم ، قال : فأشهد إن قال ذلك فقد صدق ، قالوا : أتصدّقه في أنه ذهَب إلى بيت المقدس في ليلة ثم رجع ، قال : نعم أُصدّقه فيما هو أبعد من ذلك في خبر السماء غدواً وعشياً فسمّي بذلك الصديق[9] ، ثم ذهب أبو بكر معهم إليه ، فقالوا له : أخبرنا ما كان عن يمينك حين دخلته وما كان عن يسارك وما استقبلك فأخبرهم بذلك ، فقال أبو بكر الصّدّيق : صَدَقْتَ ؛ وفي صحيح مسلم قال : «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي ، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم

---

(١) في ب "كذا" .

(٢) كداء –بالفتح والمد– : "هي التي دخل فيها المسلمون يوم الفتح. قال حسان :

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء

وهو ما يعرف اليوم «ريع الحجون» ، يدخل طريقه بين مقبرتي المعلاة، ويفضي من الجهة الأخرى ، إلى حيّ العتيبة وجرول . انظر : المعالم الأثيرة ص٢٣٠-٢٣١ .

(٣) في ب "ينتظرون" .

(٤) في ب "فإذا" .

(٥) "ثم" ليس في ب .

(٦) تقدم تخريجه ، انظر : ص٤٦٤ .

(٧) في ب "ما فيه ممن" .

(٨) في ب "المقدس ورجع أفي ليلة" .

(٩) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/٢٤٦) ح٦٥٢ .

أُثبتها ، فكربت كربةً ما كُرِبتُ مثلها[1] قط - قال : - فرفعه الله تعالى إليّ انظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به»[2] ، وحديثُ الإسراء مخرَّج في الصحاح وغيرها بطرق وعبارات متنوعة ، وفيه من المعجزات والأمور التي اختصّ بها محمد ﷺ دون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما تكلّ الألسنة عن وصفه وشرحه ، وقد رواه الإمام أبو إسحاق الثّعلبي في تفسيره وساق طرقه ولخّص المتن تلخيصاً حسناً أدخل حديث بعض الرواة في بعض قال : "قالوا : قال رسول الله ﷺ [ق٦٨/و] : لما كانت ليلة أسري بي وأنا بمكة بين النائم واليقظان ، جاءني جبريل عليه السلام فقال : يا محمد قم فقمت ، فإذا جبريل ومعه ميكائيل عليهما السلام ، فقال جبريل لميكائيل : ائتني بطست من ماء زمزم لكيما أطهرَ قلبَه وأشرَح صدره - قال : - فشق بطني فغسله ثلاث مرات ، واختلف إليه ميكائيل بثلاث طساس من ماء زمزم ، فشرح صدري ونزع ما كان (فيه)[3] من غلّ وملأه علماً وحلماً وإيماناً وختم بين كتفيَّ بخاتم النبوة ، ثم أخذ جبريل بيدي حتى انتهى بي إلى سقاية زمزم ، فقال لملك : ائتني بتور[4] من ماء زمزم ومن ماء الكوثر ، فقال : توضّأ ، فتوضّأت ، ثم قال لي : انطلق يا محمد ، قلت : إلى أين ؟ قال : إلى ربك وإلى رب كل شيء ، فأخذ بيدي وأخرجني من المسجد فإذا أنا بالبراق دابّة فوق الحمار ودون البغل خدّه كخدّ الإنسان وذَنَبُه كَذنب البعير وعُرفه[5] كعرف الفرس وقوائمُه كقوائم الإبل وأظلافه كأظلاف البقر صدره كأنه ياقوتة[6] حمراء وظهره كأنّه درّة بيضاء عليه رحل من رحائل الجنة ، وله جناحان في فخذيه يَمرُّ مثل البرق خطوه منتهى طَرْفه فقال لي : اركب ، وهي دابّة إبراهيم عليه الصلاة والسلام التي كان يزور عليها البيت الحرام - قال : - فلما وضعت يدي عليه تشامسَ واستصعَب علي ، فقال جبريل : مَه يا براق ، فقال البراق : يا جبريل مسّ صُفراً ، فقال جبريل : يا محمد هل مسست صفراً ، قال : لا

---

(١) في ب "ماكربتها" .

(٢) صحيح مسلم (١/١٥٦) ، كتاب الإيمان ، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال ، ح١٧٢ .

(٣) "فيه" ليس في ب .

(٤) التور : إناء معروف تذكره العرب تشرب فيه . لسان العرب (٤/٩٦) .

(٥) في ب "وعرف" بدون الهاء .

(٦) في ب "ياقوت" بدون التاء المربوطة .

والله إلا[1] أني مررت يوماً على يساف ونائلة فمسحت يدي على رؤوسهما وقلت : إن قوماً يعبدونكما من دون الله لفي ضلال [مبين][2] ، فقال جبريل : يا براق أما تستحيي فوالله ما ركبك منذ كنت قط نبيّ أكرم على الله ﷺ من محمد – قال : – فارتعش البراق وانصبّ عرقاً حياء مني ، ثم خفض لي حتى لزق بالأرض ، فركبته واستويت عليه فامرّ بي جبريل عليه السلام نحو المسجد الأقصى يخطُو البراقُ مدَّ البصر وجبريل عليه السلام إلى جنبي لا يفوتني ولا أفوته ، فبينا أنا في مسيري إذ أتاني نداء عن يميني فقال : يا محمد على رسلك اسألك يقولها ثلاثاً فلم أثْوِ عليه فجازوته [ق٦٨/ظ] ، ثم أتاني نداء عَنْ يساري فقال : يا محمد على رسلك أسألك يقولها ثلاثاً فلم أثو عليه ثم مضيت حتى جاوزته ، فإذا أنا بامرأة عجوز رفعتْ لي عليها من كل زينة وبهجة تقول[3] : يا محمد إليّ ، فلم التفت إليها ، فلما جاوزتها قلت : يا جبريل من هذا الذي ناداني عن يميني ؟ قال : داعية اليهود والذي نفسي بيده لو أجبته لتهودت أمتك من بعدك ، والذي ناداك عن يسارك داعية النصارى ، والذي نفسي بيده لو أجبته لتنصرت أمّتك من بعدك ، وأما التي رفعت لك بهجتها وزينتها فهي الدنيا لو لوَيتَ عليها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة ، ثم أُتيتُ بإناءين : أحدهما لبن والآخر خمر ، فقيل لي : اشرب أيّهما شئت ، فأخذت اللبن فشربته ، فقال جبريل : أصبت الفطرة أنت وأمّتك ، أما إنك لو أخذت الخمر لغوت أمتك من بعدك – قال : – ثم سار رسول الله ﷺ وسار جبريل معه فأتى على قوم يزرَعُون ويحصدون في يوم واحد ، كلّما حصدوا عاد كما كان ، فقال النبي ﷺ لجبريل : من هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تُضاعَف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ، (قال)[4] : ثم أتى على قوم تُرضَخُ رؤوسُهم بالصخر كلّما رضخت عادت كما كانت لا يُفتر عنهم من ذلك شيئاً ، قال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين تثاقل رؤوسُهم عن الصّلاة المكتوبة ، ثم

---

(١) في ب "قال : والله لا" ، وما أثبته من أ هو الصواب .

(٢) "مبين" زيادة من ب .

(٣) في ب "فقال لي" ، وهو خطأ .

(٤) "قال" ليس في ب .

أتى على قوم أقْبَالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما يسرح الأنعامُ إلى الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها ، فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ فقال[1] : هؤلاء الذين لا يؤدّون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلاّم للعبيد ، ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم في قِدرٍ نضيجٌ طيبٌ ولحم آخر خبيثٌ ، فجعلوا يأكلون الخبيث ويَدَعون النّضيج الطيب ، قال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة حلالاً طيباً فيأتي امرأةً خبيثةً ويبيت معها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من [ق٦٩/و] عند زوجها حلالاً طيّباً فتأتي الرجلَ الخبيث فتبيت معه حتى تصبح ، ثم أتى على خشبة في الطريق لا يمُرُّ بها ثوب إلا شقته ولا شيء آخر إلا فتّته ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا مَثَلُ أُمّتك[2] يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا : ﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ ... ﴾ الآية [الأعراف: ٨٦] ثم أتى على رجل قد جَمَع حُزمةً عظيمةً لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها ، قال[3] : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك عليه أماناتُ الناس لا يقدر على أدائها وهو يَزيدُ عليها ، ثم أتى على قوم تُقرَضُ السِنَتُهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلّما قُرِضَتْ عادَتْ كما كانت ، قال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء الفتنة ، ثم أتى على جُحْرٍ صغير يخرج منه ثور عظيم فجعَل الثور يريد أن يرجع من حَيثُ خرج فلا[4] يستطيع ، قال : ما هذا ؟ قال : هذا الرجل من أمّتك يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها ، قال : ثم أتى على وادٍ فوجدَ ريحاً باردةً طيّبةً وصوتاً ، قال : ما هذه الريح الطّيّبة وما هذا الصوت ؟ قال[5] : هذا صوت الجنة ، تقول : ربّ ائتني بما وعدتني فقد كثر غُرَفي واستبرقي وحريري وسندسي وعبقري[6] ولؤلؤي ومرجاني وفضّتي وأكوابي وصحافي وأباريقي

---

(١) في أ "قال" بدون الفاء .

(٢) في ب "هذه أمتك" ، وما أثبته من أ هو الوارد في تفسير الثعلبي (٦/٥٧) .

(٣) في ب "فقال" بزيادة الفاء .

(٤) في ب "لا" بدون الفاء .

(٥) في ب "فقال" بزيادة الفاء .

(٦) في ب "عنبري" .

وفواكهي وعسلي ولَبَني وخمري ومائي ، فآتني بما وعدتني ، فقال : لكِ كلّ مؤمن ومؤمنةٍ من آمن بي وبرسلي وعمل صالحاً ولم يشرك بي ولم يتخذ من دوني أنداداً ومن خشيَني فهو آمن ، ومن سألني أعطيته ، ومن أقرضني جزيته ، ومن توكّل عليّ كفيته ، إنّي أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد ، قد أفلح المؤمنون تبارك الله أحسن الخالقين ، قالت : قد رضيتُ – قال : – ثم أتى على وادٍ فسمع صوتاً منكراً ووجد ريحاً منتنه ، فقال : ماهذا يا جبريل ؟ قال : هذا صوت جهنم تقول : ربّ ائتِني بما وعدتني فقد كَثرَتْ سلاسلي وأغلالي وسعيري وضريعي وحَمِيني وغساقي وعذابي ، وقد بَعُد قعري واشتدّ حرّي [ق٦٩/ظ] فآتني ما وعدتني ، قال : لكَ كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكلّ خبيث وخبيثةٍ وكل جبّار لايؤمن بيوم الحساب ، قالت : قد رضيت ؛ ثم سار ومعه جبريل ، فقال له جبريل : انزل فصَلِّ ، قال : فنزلت وصلّيت ، فقال : أتدري أين صليتَ ؟ ، صليت[1] بطيبة وإليه المُهَاجَرُ إن شاء الله ، ثم قال : انزل فصل ، (قال : فنزلت فصليت)[2] ، قال : أتدري أين صليتَ ؟ صلّيتَ بطور سيناء حيث كلّم الله موسى ، ثم قال : انزل فصل ، فنزلت فصليت ، قال : أتدري أين صليت ؟ صليتَ ببيت لحم حيث وُلد عيسى ، قال : ثم مضينا حتى أتينا بيت المقدس فلما انتهينا إليه إذا أنا بملائكة قد نزلوا من السماء يتلقونني بالبشارة والكرامة من عند رب العزة يقولون لي : السلام عليك يا أول (و)[3] يا آخر (و)[4] يا حاشر ، قلت : يا جبريل ما تحيّتهم إياي ؟ قال : إنك أول من تنشَقُ عنه الأرض وعن أمتك ، وأول شافع وأول مشفع ، وأنك آخر الأنبياء ، وأن الحشر بك وبأمتك -يعني : حشر القيامة- ، ثم جاوزناهم حتى انتهينا إلى باب المسجد ، فأنزلني جبريل وربط البراق بالحلقة التي كانت يربط بها الأنبياء عليهم السلام بخطام من حرير الجنة ، فلما دخلت الباب إذا أنا بالأنبياء والمرسلين . وفي حديث أبي العالية : أرواح الأنبياء الذين بعثهم الله قبلي من لَدُن إدريس ونوح إلى

---

(١) في ب زيادة "قال" قبل "صليت" .

(٢) مابين القوسين ليس في ب .

(٣) "و" ليس في ب .

(٤) "و" ليس في ب .

عيسى قد جمعهم الله ﷻ ، فسلموا عليّ وحيّوني بمثل تحيّة الملائكة ، قلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : إخوتك الأنبياءُ [و][1] زَعمت قريش أنّ لله شريكاً ، واليهود والنصارى أن لله تعالى ولداً ، سل هؤلاء المرسلين هل كان لله شريك ؟ فذلك قوله[2] ﷻ ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزُّخـــرُف: ٤٥] فأقرّوا بالربوبية لله ﷻ ، ثم جمعهم والملائكة صُفوفاً فقدّمني وأمرني أن أصلي بهم ، فصليت بهم ركعتين ، ثم إن الأنبياء أثنَوا على ربّهم ، فقال إبراهيم : الحمد لله الذي اتخذني خليلاً وأعطاني ملكاً عظيماً وجعلني [ق٧٠/و] أُمة قانتاً يؤتم بي وأنقذني من النار وجعلها عليّ برداً وسلاماً ، ثم إن موسى عليه الصلاة والسلام أثنى على ربّه فقال : الحمد لله رب العالمين الذي كلمني تكليماً وجعل هلاك فرعون على يدي ونجّى بني إسرائيل على يدي ، وجعل من أمّتي قوماً يهدون بالحق وبه يعدلون ؛ ثم إنّ داود عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي جعل لي ملكاً عظيماً وعلّمني الزبور وألَانَ (لي)[3] الحديد وسخّر لي الجبال يسبّحن والطير وأعطاني الحكمة وفصل الخطاب ، ثم إن سليمان أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي سخّر لي الرياح وسخر لي جنود الشياطين يعملون لي ما شئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، وعلمني منطق الطير وآتاني من كل شيء فضلاً وآتاني ملكاً عظيماً لا ينبغي لأحد من بعدي وجعل ملكي مُلكاً طيباً ليس عليّ فيه حساب ؛ ثم إن عيسى عليه السلام أثنى على ربه سبحانه فقال : الحمد لله رب العالمين الذي جعلني كلمة منه وجعل مثلي مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وجعلني أبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله ورفعني وطهرني وأعاذني وأمّي من الشيطان ولم يكن للشيطان علينا سبيل ؛ ثم إن محمّداً ﷺ قال : كلكم قد أثنى على ربّه وإنّي مُثن على ربّي فقال :

(١) "و" زيادة من ب .

(٢) في ب "قول الله" .

(٣) "لي" ليس في ب .

الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافةً للناس[1] بشيراً ونذيراً وأنزل عليّ الفرقان فيه تبيان كلّ شيء وجعل أمّتي خير أمّة أخرجت للناس وجعل أمّتي أمّة وسطاً وجعل أمّتي هم الأولون والآخرون وشرح لي صدري ووضع عنّي وزري ورفع لي ذكْري وجعلني فاتحاً وخاتماً ، فقال إبراهيم عليه السلام : بهذا فَضَلَكُم محمّد ؛ ثم أتى بآنيةٍ ثلاثة مغطاة أفواهها : إناء فيه ماء ، فقال له : اشرب فشرب منه يسيراً ، ثم دفع إليه إناء آخر فيه لبن ، فقيل له : اشرب فشرب منه حتى روي ، ثم دُفع إليه إناء آخر [ق٧٠/ظ] فيه (خمر)[2] ، فقيل له : اشرب ، فقال : لا أُريده قد رَويتُ ، فقال له جبريل : قد أصبتَ أما إنها سَتُحرَّمُ على أمّتك ، ولو شربت منها لم يتبعك من أمّتك إلا قليل[3] ، ولو رويت من الماء لَغَرِقتَ وغَرِقت أمّتك ، ثم أخذ جبريل بيدي فانطلق بي إلى الصخرة فصعد عليها فإذا معراج إلى السّماء لم أرَ مثله حسناً وجمالاً لم ينظر الناظرون إلى شيء قط أحسن منه ، ومنه تعرج الملائكة ، أصله على صخرة بيت المقدس ورأسه ملتصق بالسّماء إحدى عارضتيه ياقوتة حمراء والأخرى زبرجدة خضراء درجة من ذهب ودرجة من زمرد مكلّل بالدرّ والياقوت وهو المعراج الذي يَبدُو منه ملك الموت لقبض الأرواح إذا رأيتم ميّتكم شخص بصره فتنقطع عنه المعرفة إذا عاينه لِحُسنه[4] ، فاحتملني جبريل حتى وضعني على جناحه ثم ارتفع بي إلى السّماء الدنيا من ذلك المعراج ، فقرع الباب ، فقيل : مَن (ذا)[5] ؟ قال : أنا جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قال : (أقد)[6] بعث محمّد ؟ قال : نعم ، قالوا : مرحباً به حيَّاه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ففتح الباب فدخلنا[7] ، قال : ثم مررت بملك نصف جسده مما يلي رأسَه نار والنصف الآخر ثلج وما بينهما رَتْقٌ فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج

---

(١) في ب "الناس" ، وهو خطأ .

(٢) "خمر" ليس في ب .

(٣) في ب "قليلاً" .

(٤) في ب "بحسنه" .

(٥) "ذا" ليس في ب .

(٦) "أقد" ليس في ب .

(٧) في ب "قدخلنا" ، وهو خطأ .

يطفئ النّار وهو قائم ينادي بصوت له حسن رفيع يقول : اللهمّ مُؤلِّفَ بَيْن الثلج والنار ألّف بين قلوب عبادك المؤمنين ، فقلت : يا جبريل من هذا ؟ قال : ملك من الملائكة يقال له حَبِيب وكله الله ﷻ بأكناف السموات وأطراف الأرضين ما أنصَحَه لأهل الأرض (هذا)[1] قوله منذ خلق ، قال : ثم مررت بملك آخر جالس على كرسي قد جُمِعَ له الدنيا بين ركبتيه وفي يديه لوح مكتوب من نور ينظر فيه لا يلتفت يميناً وشمالاً ينظر فيه كهيئة الحزين ، فقلت : من هذا يا جبريل ؟ وما مررت بملك أنا أشدّ خوفاً منه مني من هذا ، قال : وما يمنعك كلنا بمنزلتك هذا ملك الموت دائبٌ في قبض الأرواح وهو من أشد الملائكة [ق٧١/و] عملاً وأدأبهِم ، قلت : يا جبريل كل من مات ينظر [فيه][2] إلى هذا ؟ قال : نعم ، قلت : كفى بالموت طامةً ، فقال : يا محمّد ما بعد الموت أطمّ وأعظم ، قلت : يا جبريل ادنني من ملك الموت أُسَلِّم عليه وأسأله ، فأدناني منه فسلمت عليه فأومئ إلي ، فقال له جبريل : هذا محمد نبيّ الرحمة ورسول العرب فرحّب بي و حيّاني وأحسن بشارتي وإكرامي ، وقال : أبشر يا محمد فإني أرى الخير كله في أمتك ، فقلت : الحمد لله المنّان بالنعم ، ما هذا اللوح الذي بين يديك ؟ (قال)[3] : مكتوب فيه آجال الخلائق ، قلت : فأين أسماء من قبضت أرواحهم في الدهور الخالية ؟ قال : تلك الأرواح في لوح آخر قد أعلمت عليها ، وكذلك أصنع بكل ذي روح إذا قبضتُ روحَه حَلَّقتُ [عليها][4] ، فقلت : يا ملك الموت سبحان الله كيف تقدر على قبض أرواح جميع أهل الأرض وأنت في مكانك هذا لا تبرح ؟ قال : ألا ترى أن الدنيا كلها بين ركبتيَّ وجميع الخلائق بين عينيّ ويداي تبلغان المشرق والمغرب وخلفهما ، فإذا نفدَ أجل عبد من عباد الله نظرت إليه وإلى أعواني فإذا نظر[5] أعواني من الملائكة أني نظرت إليه عرفوا أنه مقبوض فعمدوا إليه يعالجون نزع روحه فإذا بلغ الروحُ الحلقومَ علمتُ ذلك ولا يخفى عليَّ شيء من أمري ، (مَددت يدي إليه فقبضتُه فلا يَلِي

---

(١) "هذا" ليس في ب .

(٢) "فيه" زيادة من ب .

(٣) "قال" ليس في ب .

(٤) مابين المعقوفتين طمس في الأصل ، وما ذكرته من ب .

(٥) في ب "نظرت" .

قبضَه غيري ، فذلك أمري)[1] وأمر ذوي الأرواح من عباد الله ، قال : فأبكاني حديثُه وأنا عنده ، ثم جاوزنا فمررنا بملك آخر ما رأيت من الملائكة خلقاً مثله عابس كالح الوجه كريه المنظر شديد البطش ظاهر الغضب ، فلما نظرت إليه رُعبت منه[2] جدّاً ، فقلت[3] : يا جبريل من هذا ؟ فإنّي[4] رُعبت [منه رعباً][5] شديداً قال : فلا تعجب أن تُرعَب منه كلُّنا بمنزلتك في الرُّعب منه ، هذا مالك خازن جهنم لم يتبسَّم قط ولم يزل منذ ولّاه الله جهنَّم يزداد كلَّ يوم غضباً وغيظاً على أعداء الله تعالى وأهل معصيته [لينتقم منهم][6] ، (قلت)[7] : ادنني منه ، فأدناني منه فسلم عليه جبريل فلم يرفع رأسه فقال جبريل : يا ملك هذا محمّد رسول [العرب][8][ق ٧١/ظ] فنظر إليَّ وحيّاني وبشّرني بالخير ، فقلت : مُذ كَم أنت وَاقِدٌ على جهنم ؟ فقال : منذ خُلقتُ حتى الآن وكذلك حتى تقوم الساعة ، قلت : يا جبريل مُره فليُرني طريقاً من النار فأمره ففعَل فخرج منه لهبٌ ساطع أسوَد معه دخان كدر مُظلم امتلأ منه الآفاق فرأيت هولاً عظيماً وأمراً فظيعاً أعجز عن صفته لكم فغشي عليَّ وكاد يذهب نفسي ، فضمّني جبريل إليه وأمره أن يَرُدّ النارَ فردّها ، فجاوزناها فمررنا بملائكة كثيرة لا يحصِي عدتَهم إلا اللهُ ﷻ الملك الواحد منهم له وجوه بين كتفيه ووجوه في صدره في كل وَجهٍ أفواهٌ وَألسن ، فهو يحمد الله ويسبّحه بتلك الألسن ، ورأيت من أجسامهم وخِلَقهم وعبادتهم أمراً عظيماً ، ثم جاوزنا فإذا برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شيء كما ينقص من خليقة[9] الناس عن يمينه باب تخرج منه ريح طيّبة وعن شماله باب تخرج منه ريح خبيثة إذا نظر إلى الباب الذي عن

---

(١) ما بين القوسين ليس في ب .

(٢) في ب "فيه" ، وهو خطأ .

(٣) في أ "قلت" بدون الفاء .

(٤) في ب "فإنه" .

(٥) مابين المعقوفتين طمس في الأصل ، وما ذكرته من ب .

(٦) مابين المعقوفتين طمس في الأصل ، وما ذكرته من ب .

(٧) "قلت" ليس في ب .

(٨) مابين المعقوفتين طمس في الأصل ، وما ذكرته من ب .

(٩) في ب "خليتة" .

يمينه ضحك واستبشر وإذا نظر إلى الباب (الذي)[1] عن شماله بكى وحزن ، فقلت : يا جبريل من هذا وما هذان البابان ؟ قال : هذا أبوك آدم وهذا الباب عن يمينه باب الجنة إذا نظر إلى من يدخل من ذريّته الجنة ضحك واستبشر ، والباب الذي عن شماله باب جهنم إذا نظر إلى من يدخل من ذريّته جهنم بكى وحزن ، قال : ثم صعدنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد أرسل إليه ، قال : نعم ، قالوا : حيّاه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء فدخلنا فإذا بشابين ، فقلت : يا جبريل من هذان [الشابّان ؟ قال :][2] عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا الخالة ، قال : ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح فقالوا : من هذا ؟ قال : هذا جبريل ، قيل[3] : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد أرسل إلى محمد[4] ، قال : نعم ، قالوا : حيّاه الله من أخٍ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، فدخلنا فإذا برجل قد فُضّل على الناس بالحسن كما فضل القمر ليلة البدر على سائر [ق٧٢/و] الكواكب ، قلت : مَن هذا يا جبريل ، قال : هذا أخوك يوسف ، قال : ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فاستفتح ، قالوا : مَن هذا ؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد أرسل محمد ؟ قال : نعم ، قالوا : حيّاه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، فدخلنا فإذا برجل فقلت : من هذا يا جبريل ، قال : هذا إدريس رفعه الله مكاناً عليّاً وهو مسند ظهره[5] إلى دواوين الخلائق التي فيها أمورهم ، قال : ثم صعد بي إلى السّماء الخامسة فاستفتح قالوا : من هذا ؟ قال : هذا جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد أرسل محمّد ، قال : نعم ، قالوا : حيّاه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، قال : ثم دخلنا فإذا برجل جالس وحوله قوم يَقُصُّ عليهم ، قلت : يا جبريل من هذا ؟ ومن هؤلاء الذين حوله ؟ قال :

---

(١) "الذي" ليس في ب .

(٢) مابين المعقوفتين طمس في الأصل ، وما ذكرته من ب .

(٣) في أ "قال" .

(٤) في ب "إليه" .

(٥) في ب " وهو مسنده" .

هذا هارون المُحَبّبُ في قومه وهؤلاء الذين حوله بنو إسرائيل ، قال : ثم صعدنا إلى السماء السادسة فاستفتح ، فقالوا : مَن هذا ؟ قال : جبريل[١] ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد أرسل محمد ؟ قال : نعم ، قالوا : حيّاه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، ثم دخلنا فإذا برجل جالس فجاوزناه فبكى الرجل فقلت : يا جبريل من هذا ؟ قال : هذا موسى ، قلت : فما له يبكي ؟ قال : قال : يزعم بنو إسرائيل أني أكرم بني آدم على الله ، وهذا برجل من بني آدم [و][٢] قد خَلَفني في دنياه وأنا في آخرتي فلو أنه بنفسه لم أبال ولكن مع كلّ نبيّ أمّته ، قال : ثم صعد بي إلى السّماء السابعة فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، فقيل[٣]: ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا[٤] : وقد أرسل محمد ؟ قال : نعم ، قالوا : حيّاه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، ثم دخلنا فإذا برجل أشمط جالس على كرسي عند باب الجنّة وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس ، وقوم في ألوانهم شيء فقام الذين في ألوانهم شيء فدخلوا نهراً فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص ألوانهم [ق٧٢/ظ] وصارت مثل ألوان أصحابهم فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم ، فقلت : يا جبريل من هذا الأشمط ومن هؤلاء وما هذه الأنهار ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم أول من شمط[٥] على (الأرض)[٦] ، وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم ، وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فقوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً فتابوا فتاب الله عليهم ، وأمّا الأنهار الثلاثة : فأدناها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث سقاهم ربّهم شراباً طهوراً ، قال : وإذا إبراهيم مستندٌ إلى بيت فسألت جبريل ، فقال : هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم ، قال : فأتى بي جبريل حتى انتهينا إلى سدرة المنتهى فإذا أنا بشجرة لها

---

(١) في أ "هذا جبريل" .

(٢) "و" زيادة من ب .

(٣) في ب "قيل" بدون الفاء .

(٤) في ب "قيل" .

(٥) في ب "أشمط" ، والشمط : الشيب . النهاية في غريب الأثر (١٢١٩/٢) .

(٦) "الأرض" ليس في ب .

أوراق الواحدة منها مغطيَة للدنيا بما فيها وإذا نبقها مثل قلال هجر يخرج من أصلها أربعة أنهار : نهران ظاهران ونهران باطنان ، فسألت عنها جبريل فقال : أما الباطنان : ففي الجنة ، وأما الظاهران : فالنّيل والفرات ، ويخرج أيضاً من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من خمر لذّة للشاربين وأنهار من عسل مصفّى وهي[1] على حد السماء السابعة مما يلي الجنة وعروقها[2] وأغصانها تحت الكرسيّ ، قال رسول الله ﷺ : انتهيت إلى سدرة المنتهى وأنا أعرف أنّها سدرة [المنتهى][3] أعرف ورقها وثمرها فغشيها من نور الله تعالى ما غشيها[4] ، [وغيشتها][5] الملائكة كأنّهم جراد من ذهب من خشية الله ، فلمّا غشيها ما غشيها[6] تحولت حتى ما يستطيع أحد ينعَتُها ، قال : وفيها ملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله ﷻ ، ومقام جبريل في وسطها فلما انتهيت إليها قال لي جبريل : تقدم ، فقلت : يا جبريل تقدم ، قال : بل تقدم يا محمد فإنك أكرم على الله منّي ، فتقدمت وجبريل على أثري حتى انتهى بي إلى حجاب[7] فراش الذهب فحرك [الحجاب][8] ، فقيل : من ذا ؟ قال : أنا جبريل ومعي محمد ، قال الملك : الله أكبر فأخرج يدَه من تحت الحجاب فاحتملني وتخلف جبريل ، فقلت له : إلى أين ؟ قال : يا محمد وما منّا إلا له مقام معلوم ، إن هذا منتهى الخلائق وإنما أّذن لي في الدنو من الحجاب لاحترامك و [ق٧٣/و] إجلالك ، قال : فانطلق بي الملك في أسرع من طرفة عين إلى حجاب اللؤلؤ فحرك الحجاب ، فقال الملك من وراء الحجاب : مَن هذا ؟ قال : أنا صاحب فراش الذهب وهذا محمد رسول العرب معي ، فقال الملك : الله أكبر فأخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني حتى وضعني بين يديه فلم أزل[9] كذلك[1] من

---

(١) في ب "وهو" .

(٢) في ب "وأعروقها" .

(٣) "سدرة" زيادة من ب .

(٤) في ب "أما غشي" .

(٥) ما أثبته من تفسير الثعلبي (٦/٦٣) .

(٦) في ب " ما غشي" .

(٧) في ب "الحجاب" .

(٨) ما أثبته من تفسير الثعلبي (٦/٦٣).

(٩) في ب "يزل" .

حجاب إلى حجاب حتى جاوزوا بي سبعين حجاباً غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام وما بين الحجاب إلى الحجاب مسيرة خمسمائة عام ، ثم دلّى لي رَفرَفٌ أخضر يغلب ضوءه ضوءَ الشمس فالتمع بصري ووُضِعتُ على ذلك الرفرف (ثم)[2] احتملني حتى وَصَل بي إلى العرش ، فلما رأيت العرشَ اتضع أمْرُ كل شيء عند العرش ، فقرّبني الله ﷻ إلى سَنَدِ العرش وتدلّى قطرة من العرش فوقعت على لساني ، فما ذاق الذائقون شيئاً أحلى منها ، فأنبأني الله ﷻ بها نبأ الأولين والآخرين وأطلق الله لساني بعد ما كَلَّ (من)[3] هيبة الرحمن ، فقلت : التحيات لله والصلوات [و][4] الطيبات ، فقال الله جل ثناؤه : سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، فقلت : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فقال الله ﷻ : يا محمد هل تعلم فيم اختصم[5] الملأ الأعلى ؟ فقلت : أنت أعلم يا رب بذلك وبكل شيء وأنت علام الغيوب ، قال : اختلفوا في الدرجات والحسنات ، فهل تدري يا محمد ما الدرجات وما الحسنات ؟ قلت : أنت أعلم يا رب ، قال : الدرجات إسباغ الوضوء في المكروهات والمشي على الأقدام إلى الجماعات وانتظار الصلوات بعد الصلوات والحسنات إفشام السلام وإطعام الطعام والتهجد بالليل والناس نيام ثم قال لي : يا محمد آمن الرسول ، قلت : نعم أي ربّ ، قال : ومَن ، قلت : والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله كما فرّقَتِ اليهود والنصارى ، فقال : ماذا قالوا ، قلت : قالوا : سمعنا قولك وأطعنا أمرَك ، قال : صدقت فسَل تُعط ، قال : فقلت : غفرانك ربنا وإليك المصير ، قال : قد غفرت لك ولأمتك ، سل تعط ، قلت : ربنا لا تؤخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، قال : قد رفعت [ق٧٣/ظ] الخطأَ والنسيان عنك وعن أمّتك وما استكرهوا عليه ، قلت : ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملتَه على الذين من قبلنا -يعني : اليهود- قال : لك ذلك ولأمّتك ،

---

(١) في ب زيادة "حتى" بعد "كذلك" ، وهو خطأ .

(٢) "ثم" ليس في ب .

(٣) "من" ليس في ب .

(٤) "و" زيادة من ب .

(٥) في ب "يختصم" .

قلت : ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، قال : قد فعلت ذلك بك وبأمّتك ، [ثم][1] قلت : ربّنا اعف عنّا من الخسف واغفر لنا من القذف وارحمنا من المسخ أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ، قال : قد فعلت ذلك بك وبأمّتك ، ثم قيل لي : سل ، فقلت : يا ربّ اتّخذت إبراهيم خليلاً ، وكلّمت موسى تكليماً ، ورفعت إدريس مكاناً عليّاً ، وآتيتَ سليمان مُلكاً عظيماً ، وآتيت داود زبوراً ، فما لي يا ربّ ؟ فقال لي ربّي ﷻ : (يا محمد)[2] اتخذتك حبيباً كما اتخذت إبراهيم خليلاً ، وكلّمتك كما كلّمت موسى (تكليماً)[3] ، وأعطيتك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة وكانا من كنوز عرشي ولم أعطها نبيّاً قبلك ، وأرسلتك إلى أهل الأرض جميعاً أبيضهم وأسودهم[4] (و)[5] إنسهم وجنّهم ولم أرسل إلى جماعتهم نبيّاً قبلك ، وجعلت الأرض كلّها برّها وبحرها طهوراً[6] (وَ)[7] مسجداً لك ولأُمّتك ، وأطعمتُ أمّتك الفيءَ ولم أطعمه أُمّة قبلهم ، ونصرتك بالرعب على عدوّك مسيرة شهر ، وأنزلت عليك سيّد الكتب كلها ومهيمناً عليها قرآناً فرقناه ، ورفعت لك ذكْرك حتى تُذكَر كلّما ذُكِرْتُ من شرائع ديني ، وأعطيتك مكان التوراة المثاني ومكان الإنجيل المئين ومكان الزبور الخواتيم وفضلتك بالمفصّل ، وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ، وجعلت أمّتك خير أُمّةٍ أُخرجت للناس وجعلتهم أمّة وسطاً وجعلتهم الأوّلين وهم الآخرون فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ، ثم أفضى (إليّ)[8] بعدها أموراً لم يؤذن لي أن أخبركم بها ، ثم فُرِضت عليّ وعلى أمّتي في كل يوم وليلة خمسون صلاةً فلما عهد إليّ بعهده وتركني عنده ما شاء

---

(١) "ثم" زيادة من ب .

(٢) "يا محمد" ليس في ب .

(٣) "تكليماً" ليس في ب .

(٤) في أ "أسودهم وأبيضهم" بتقديم وتأخير ، وما أثبته من ب ونسخة بهامش أ وهو الوارد في تفسير الثعلبي (٦/٦٤) .

(٥) "و" ليس في ب .

(٦) في ب "طوراً" .

(٧) "و" ليس في ب .

(٨) "إلي" ليس في ب .

قال (لي)[1] : ارجع إلى قومك[2] فبلّغهم عنّي ، فحَمَلني الرفرفُ (الأخضرُ)[3] الذي كنت (عليه)[4] يخفضني ويرفعني حتّى أهوى بي إلى السدرة المنتهى فإذا أنا بجبريل أُبصره خلفي بقلبي كما أبصره (بعيني)[5] أمامي ، فقال لي جبريل : أبشِر يا محمّد فإنّك خير خلق الله وصفوته من النبيّين [ق٧٤/و] حيّاك الله بما لم يُحَيّ به أحداً من خلقه لا ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسَلاً ولقد بلّغك مكاناً لم يَصِل إليه أحد من أهل السموات والأرض فهنأك[6] الله كرامته وما حَباك (به)[7] من المنزلة الأثيرة والكرامة الفائقة فخذ ذلك بشكْر[8] فإن الله (منعم)[9] يحبّ الشاكرين ، فحمدتُ الله تعالى على ذلك ، ثم قال لي جبريل : انطلق يا محمد إلى الجنة حتى أُريك ما لك فيها فتزداد بذلك في الدنيا زهادة إلى زهادتك وفي الآخرة رغبة إلى رغبتك فسرنا نهوي منفضّين أسرع من السّهم والرّيح حتى وصلنا[10] بإذن الله تعالى إلى الجنة فهدَأت نفسي وثاب إليّ فؤادي وأنشأتُ اسأل جبريل عما كنتُ رأيت في عليّين[11] من البحور والنار والنور وغيرها ، فقال : سبحان الله تلك سرادقات عرش[12] رب العزة التي أحاطت بعرشه فهي سترة للخلائق من نور الحجب ونور العرش ، لولا ذلك لأحرق نورُ العرش ونور الحجب مَن تحت العرش من خلق الله وما لم تره أكثر وأعجب ، قلت : سبحان الله العظيم ما أكثر عجائب خلقه ، قلت : ومَن الملائكة الذين رأيتهم في تلك البحور الصفوف بعد الصفوف كأنهم بنيان

---

(١) "لي" ليس في ب .

(٢) في ب "أمتك" .

(٣) "الأخضر" ليس في ب .

(٤) "عليه" ليس في ب .

(٥) "بعيني" ليس في ب .

(٦) في ب "فهيأك" .

(٧) "به" ليس في ب .

(٨) في ب "يشكر" ، وهو خطأ .

(٩) "منعم" ليس في ب .

(١٠) في ب "دخلنا" .

(١١) في ب "العليين" .

(١٢) في ب "عرشه" بزيادة الهاء .

مرصوص ؟ قال : يا رسول الله هم الروحانيون الذين يقول الله ﷻ : ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗا﴾ [النبأ:من الآية ٣٨] (و)[1] منهم الروح الأعظم ثم إسرافيل بعد ذلك ، قلت : يا جبريل فمن الصف الواحد الذين في البحر الأعلى فوق الصفوف كلها قد أحاطوا بالعرش ؟ قال : هم الكروبيون أشراف الملائكة وعظماؤهم وما يجترئ أحد من الملائكة أن ينظر إلى ملك من الكروبيين وهم أعظم شأناً من أن أطيق[2] صفتهم لك[3] وكفى بما رأيت منهم ، ثم طاف بي جبريل في الجنة بإذن الله تعالى فما تَرَكَ فيها مكاناً إلا رأيته وأخبرني عنه فرأيت القصور من الدرّ والياقوت والزبرجد ورأيت الأشجار من الذهب الأحمر ، قضبانهن اللؤلؤ ، عروقهن الفضة راسخة في المسك ، فَلَأنا أعرف بكل درجة وقصر وبيت وغرفة وخيمة وثمر في الجنة مِني بما في مسجدي هذا ، ورأيت نهراً يخرج من أصله (ماء)[4] [ق٧٤/ظ] أشد بياضاً من اللبن وأحلى[5] من العسل[6] على رضراض[7] دُرٍّ وياقوت ومسك أذفر ، فقال جبريلُ : هذا الكوثر الذي أعطاك الله ﷻ وهُوَ التسنيم يخرج من تحت العرش إلى دُورهم وقصُورهم[8] وبيُوتهم وغُرَفهم يَمزُجُون بها أشربتهم من العَسَل واللّبن والخمر وذلك قوله : ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا﴾ [الإنسان:٦] ثم انطلقَ بي يطوف في الجنة حتى انتهينا إلى شجرة لم أر في الجنة مثلها فلما وقفتُ تحتها رفعتُ رأسي فإذا أنا لا أرى شيئاً من خلق ربي ﷻ غيرها لعظمها وتفرق أغْصَانها ووجدتُ فيها ريحاً طيبةً لم أشمّ في الجنة ريحاً أطيبَ منها فقلّبتُ بَصري فيها فإذا ورقها حُلَلٌ طرائف من ثياب الجنة من بين أبيض وأحمر وأصفر وأخضر

---

(١) "و" ليس في ب .

(٢) في ب "أطنق" ، وهو خطأ ظاهر .

(٣) في ب "كل" ، وهو خطأ ظاهر .

(٤) "ماء" ليس في ب .

(٥) في أ "وأحل" ، وهو خطأ .

(٦) في أ "العسلى" .

(٧) الرضراض : الحصى الصغار . النهاية (٥٥٧/٢) .

(٨) في ب "دور قصورهم" .

وثمار أمثال القلال العظام من كل ثمرة خلق الله سبحانه [ﷻ][1] في السموات والأرضين من ألوان شتى وطُعُم شتى وريح شتى ، فعجبت من تلك الشجرة وما رأيت من حسنها ، قلت : يا جبريل ما هذه الشجرة ؟ قال : هذه التي ذكر الله ﷻ ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرعد:من الآية ٢٩] ولكثير من أمتكَ ورهطك في ظلها حسن مقيل ونعيم طويل ، ورأيت في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سَمعت ولا خطر على قلب بشرٍ كل ذلك مفروغٌ عنه مُعَدّ وإنما تُنتَظَر[2] به صاحبه من أولياء الله ﷻ فتعاظمني الذي رأيتُ وقلت : لمثل هذا فليعمل العاملون ، ثم عرض عليَّ النارَ حتى نظرت إلى أغلالها وسلاسلها[3] وحياتها وعقاربها وغساقها ويحمومها ، فنظرتُ فإذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الإبل وقد وكل من يأخذ بمشافرهم ، ثم يجعل في أفواههم صخراً من نار يخرج من أسافلهم ، قلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، ثم انطلقت فإذا أنا بنفرٍ لهم بُطُونٌ كأنها البيوت [ق٧٥/و] وهم على سابلة آل فرعون فإذا مرَّ بهم آل فرعونَ ثارُوا فيسيل بأحدهم بطنه فيقع فيتوطأهم آل فرعون بأرجلهم وهم يُعرَضون على النار غُدواً وعشياً ، قلت : مَن هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكَلَةُ الربا فمثلهم كمثل الذي يتخبطه الشّيطان من المسّ ، ثم انطلقت فإذا أنا بنساء معلقاتٍ بِثُدِيّهن مُنَكَّسَاتٍ أرجُلهُن قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هُن اللاتي يزنينَ ويَقتُلن أوْلادهنّ ، ثم أخرجني من الجنة فمررنا بالسموات منحدرين من سماء إلى سماء حتى أتيت على موسى فقال لي : ماذا فرض الله عليك وعلى أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة ، فقال موسى : أنا أعلم بالناس منك وإني بَلَوت بني إسرائيل وعاجلتهم أشدَّ المعاجلة وإن أمّتك أضعفُ الأمم فارجع إلى ربك فسله[4] التخفيف لأمتك فإن أمتك لن[5] تُطيق ذلك ، قال : فرجَعتُ إلى ربي ، وفي بعض الأخبار : فرجعت فأتيت

---

(١) "ﷻ" زيادة من ب .

(٢) في ب "تنتظم" .

(٣) في ب "وسلاسالها" .

(٤) في ب "فسأله" .

(٥) في ب "لما" .

[إلى][1] سدرة المنتهى فَخَررتُ ساجداً ، قلت : يا رب فرضتَ عليَّ وعلى أمتي خمسين صَلاة ولن أستطيع أن أقوم بها أنا ولا أمتي فَخفَّفَ عني عشرًا ، فرجعتُ إلى موسى فسألني ، فقلت : خفف عني عشرًا ، قال : ارجع إلى ربك فسله[2] التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم (وإني)[3] قد لقيت من بني إسرائيل شدةً ، قال : فرجعت فرده إلى ثلاثين ، قال : فما زلت بين ربّي وبين موسى حتى جعلها خمس صلوات ، فأتيت موسى فقال : ارجع إلى ربك فسله التخفيف ، فقلت : إني قد رجعتُ إلى ربي حتى استحييت وما أنا براجع إليه ، قال : فنوديتُ : إني يوم خلقتُ السمواتِ والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة ولا يُبدّل القول لديَّ ، فخمْسَةٌ بخمسين فقم بها أنت وأمتك ، إني قد أمضيتُ فريضتي وخففتُ عن عبادي وأجزي بالحسنة[4] عشر أمثالها لكل صلاة عشر صَلوات ، قال : فرضي محمد كل الرضى فكان موسى من أشدهم عليه حين [ق٧٥/ظ] مرَّ به وخَيْرِهم لَهُ حين رَجَع إليه ؛ ثم انصرفتُ مع صاحبي وأخي جبريل لا يفوتني ولا أفوتُه حتى انصرفَ بي إلى مضجعي وكانَ كل ذلك في ليلة واحدة من لياليكم هذه فأنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وبيَدي لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وإليَّ مفاتيح الجنة يوم القيامة ولا فخر ، وأنا مقبوض عن قريب بعد الذي رأيت من آيات ربي الكبرى ما رأيت وقد أحببت اللحوقَ بربي ﷻ ولقاء من رأيت من إخواني وما رأيت من ثواب الله ﷻ لأوليائه وما عند الله خير وأبقى ، قالوا : فلما رجع رسول الله ﷺ ليلة أسري به فكان بذي طوى قال : يا جبريل إن قومي لا يصدّقونني[5] ، قال : يُصَدّقك أبو بكر وهو الصديق ؛ قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما : قال رسول الله ﷺ : «لما كانت ليلة أسري بي وأصبحت بمكة فُظِعْتُ بأمري وعرفت أنّ الناس مُكَذِّبِيَّ» قال : فقعد رسول الله ﷺ مُعتزلاً حزيناً فمرَّ به أبو جهل عَدُوّ اللهِ فأتاهُ فجلس إليه كالمستهزِئ

---

(١) "إلى" زيادة من ب .

(٢) في ب "فسأل" .

(٣) "وإني" ليس في ب .

(٤) في ب "بالأمثلة" .

(٥) في ب "لا يصدقوني" .

: هل استفدتَ من شيء ؟ قال : نعم ، إني أسري بي [الليلة ، قال لي : أين ؟][1] ، قال : إلى [بيت المقدس قال][2] : ثم أصبحت [بين ظهرانينا ، قال : نعم][3] ، قال : أتُحَدِّثُ قومَكَ ما حدثتني ، قال : نعم ، قال أبو جهل : يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا ، قال : فانتفَضت المجالس فجاءوا حتى جلسُوا إليهما ، قال : حدث قومك ما حدثتني[4] ، قال : نعم ، إني أسري بي الليلة ، قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس ، قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ، قال : نعم ، قال : فمن بين مُصَفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً للكذب وارتد ناس[5] ممن كان آمن به وصَدّقه ، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر ، فقالوا : هل لك في صاحبك يزعم أنه[6] أسري به الليلة إلى بيت المقدس ، قال : أو قد قال (ذلك)[7] ؟ قالوا : نعم ، قال : لئن كان قال ذلك لقد[8] صَدَق ، قالوا : وتصدقه أنه ذهب إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟! [ق٧٦/و] قال : نعم إنّي لأصدقه بما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء في غَدْوة أو رَوْحة ، فلذلك سُمّي أبو بكر الصديق ؛ قال : وفي القوم من قد سافر هناك ومن قد أتى المسجد ، فقالوا : هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد ؟ قال : نعم ، قال : فذهبت أنعت ، فما زلت أنعتُ حتى التبسَ عليَّ ، قال : فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وُضع دُون دار عَقِيل فنَعتُّ المسجد وأنا أنظر إليه ، فقال[9] القوم : أما النَّعتُ لقد أصاب ، ثم قالوا : يا محمد فأخبرنا[11] عن عيرنا فهي أهم إلينا من قولك ، هل

---

(١) مابين المعقوفتين لم يظهر في تصوير نسخة الأصل التي بين يدي ، وما ذكرته من ب .

(٢) مابين المعقوفتين لم يظهر في تصوير نسخة الأصل التي بين يدي ، وما ذكرته من ب .

(٣) مابين المعقوفتين لم يظهر في تصوير نسخة الأصل التي بين يدي ، وما ذكرته من ب .

(٤) في أ "ما حدثني" .

(٥) في ب "الناس" .

(٦) في ب "أنه يزعم" بتقديم وتأخير .

(٧) "ذلك" ليس في ب .

(٨) في ب "لئن" ، وهو خطأ ظاهر .

(٩) في ب "قال" بدون الفاء .

(١٠) "فوالله" ليس في ب .

(١١) في ب "أخبرنا" بدون الفاء .

لقيتَ منها شيئاً ؟ قال : نعم مررت على عير بني فلان وهم بالروحاء وقد أضلوا بعيراً لهم وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت فأخذته فشربته[1] ثم وضعته كما كان فسَلوهم[2] هل وجدوا الماء في القدح حين رجعُوا إليه ، قالوا : هذه آية ، قال : ومَرَرت بعير بَنِي فلانٍ وفلانٌ وفلانٌ راكبان قَعُوداً لهما بذي مَرّ ، فَنفَر بكرُهما مِنّي فرمى بفلان فانكسرت يدُه فسلوهما عن ذلك ، قالوا : وهذه آية ، قالوا : [و][3] أخبرنا عن عيرنا نحن ؟ قال : مررتُ بها بالتنعيم ، قالوا : فما عدتها وأحمالها وهيئتها ؟ قال : كنت في شغل عن ذلك ، قال : ثم مُثِّلَتْ له مكانه بالجزوّرة بِعدّتها وأحمالها وهيئتها ومَن فيها ، فقال : نعم هيئتُها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمُها جمل أورق عليه غرارتان مُحيطتان تَطْلع[4] عليكم عند طلوع الشمس ، قالوا : وهذه آية ، ثم خرجوا[5] يشدّون نحو الثنيّة وهم يقولون : والله لقد قَصَّ محمد شيئاً وبيّنه حتى أتوا كَداء[6] فجلسوا عليه فجعلوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذّبُونه ، إذ قال قائل منهم : والله هذه الشمس قد طلعت ، وقال الآخر : وهذه والله الإبل قد طلعت يقدمها بعير أورق فيها فلان وفلان كما قال لهم ، فلم يؤمنوا ولم يُفلحوا وقالوا : ما سمعنا بمثل هذا قط إن هذا إلا سِحرٌ مبين"[7] .

---

(١) في ب "فشربت" بدون الهاء .

(٢) في ب "فسألوهم" .

(٣) "و" زيادة من ب .

(٤) في ب "مطلع" .

(٥) في ب زيادة "من" بعد "خرجوا" ، وهو خطأ .

(٦) تقدم التعليق عليه ، انظر : ص٥٤٠ .

(٧) تفسير الثعلبي (٦/٥٦-٦٨) .

فصل

الحكمة من ابتداء الخبر بالإسراء قبل المعراج

فإن قيل : إنما قال الله تعالى [ق٧٦/ظ]: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء:من الآية ١] فلم قلتم أنه [تعالى](١) أسرى به إلى السماء ، فالجواب أن يقال : إنه إنما قال : ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء:من الآية ١] لأن ابتداءَ أمر المعراج كان المسرى ، والإعراج كان بعد الإسراء وقد أخبر الرسول ﷺ عنهما وهو الصادق المصدوق ، والحكمة فيه –والله أعلم– أنه لو أخبر ابتداءاً بعروجه إلى السماء لاشتد إنكارهم وعظم ذلك في قلوبهم ولم يصدقوه في إخباره عن بيت المقدس أيضاً ، فلما أخبرهم ببيت المقدس بدءاً(٢) وأقام البراهين على صدقه ، وأخبرهم من شأنه بما لا يتمكن كثير ممن قد رآه مراراً كثيرةً أن يخبر به ، وأخبرهم عن عِيرهم وعِير غيرهم ، وأقام البراهين على ذلك ، والتزم لهم أنّ عيرهم تخرج(٣) عليهم مع طلوع الشمس لم يَبق لتكذيبه وجه ، فلما تمكن ذلك في قلوبهم ، وبان لهم صدقه ، وقامت الحجة عليهم فيه فأخبر بعروجه إلى السماء العليا وسدرة المنتهى حتى دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى وأنه رأى من آيات ربه الكبرى ، فلزمهم تصديقه فيما أخبر في ضمن ذلك مما ليس لهم به إلمام ولا تدركه الظنون ولا تحيط به الأوهام ؛ وجواب آخر : وهو أنه لو أخبرهم أولاً عن السماءِ لم يكن لهم بشيء من أمرها علم فيخبرهم به استندوا إلى علم ما قد علموه ، فأخبرهم أولاً ببيت المقدس الذي قد أحاطوا (من علمه بما أحاطوا)(٤) به فوجدوا ما أخبرهم على وفق ما عندهم من ذلك(٥) فثبت في قلوبهم ، ثم أخبرهم بما لم يحيطوا بعلمه لا نفياً ولا إثباتاً فلم يعظم عليهم(٦) تصديقُه فصدقوه ؛ وجواب آخر : وهو

(١) "تعالى" زيادة من ب .

(٢) في ب "بداءاً" .

(٣) في ب "غيرهم يخرج" وهو خطأ .

(٤) ما بين المعقوفتين ليس في ب .

(٥) في ب "ذاك" .

(٦) في ب "عليه" ، وهو خطأ .

والبرهان في الحال على صدقه وصحة رؤيته ، وقد أخبر الله بأمر السماء في آية النجم وأقسم على صدقه بأنه ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم:٢-٣] ؛ وجواب آخر [ق٧٧/و] : وهو أن الأمور يتوصل إلى علمها بالأسهل فالأسهل شيئاً فشيئاً ، فلما كان الإسراء إلى بيت المقدس أسهل من الإسراء إلى السماء أخبرهم به ، فلما استقر عندهم أخبرهم بالمعراج فكان أسهل للقبول[1] والتصديق ، والله أعلم .

فصل

الفوائد في حديث الإسراء والمعراج

وفي حديث الإسراء والمعراج فوائد جليلة ، وإشارات نبيلة ، منها : أن الله تعالى سيّره في الأرض ليستأنس ثم دَرّجَهُ إلى الصعود إلى السماء فهو نظير قوله : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه:١٧] فلما أَنِسَ بالخطاب حمّله الرسالة ، ومنها : أن الأنبياء جُمِعُوا له هنالك فصلى[2] بهم فبان فضله بالتقدم عليهم في دار التكليف وكان ائتمامهم به مشيراً إلى نسخ شرائعهم بشريعته ، ولهذا إذا نزل عيسى عليه السلام صلى خلف المهدي من أمة محمد ، وقال : إمامكم منكم[3] ، ومنها : أنه مرّ بالنواحي التي كلم الله ﷻ عندها موسى ثم صعد فكُلّم في السماء ليظهر التفاوت بينهما في الفضل ؛ ومنها : أن ترتيب الأنبياء في السموات مناسب لأحوالهم فآدم في السماء الدنيا لأنه يُعرض عليه المؤمنون والكفار من ذريته أعني الأرواح ولا يمكن صعود أرواح الكفار إلى السماء قال الله تعالى : ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف:من الآية ٤٠] ، وعيسى عليه السلام في السماء الثانية لأنه لم يكن مستقراً بل جلوسُه هناك ينتظر النزول فكان أقربَ إلى الأرض ، وإبراهيم فهو مناسب لحاله لأنه في السماء السابعة وهو أعظم الأنبياء وأفضلهم بعد

---

(١) في ب "بالقبول" .

(٢) في ب "فصل" .

(٣) أخرج البخاري (١٦٨/٤) ، في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب نزول عيسى ابن مريم عليه السلام ، ح٣٤٤٩ ، ومسلم (١٣٦/١) ، في كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ ، ح١٥٥ ، من طريق أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول ﷺ : «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم» .

، وإبراهيم فهو مناسب لحاله لأنه في السماء السابعة وهو أعظم الأنبياء وأفضلهم بعد محمّد ، وموسى في السماء السادسة لأنه أفضلهم بعد إبراهيم ، و(في)[1] روايَة أنه كان في السماء السابعة وهي غلط (والله أعلم)[2] ، وكذلك قوله عن إدريس أنه قال : «مرحباً بالأخ الصالح»[3] قد يكون غلطاً من الراوي لأنه أب بلا شك لأن النبي ﷺ من ذرّية نوح ونوح من ذرية إدريس قاله شيخ الإسلام ابن تيمية قال : ولا يتنبّه لمثل هذا إلا النحرير ؛ قلت : وقد وقع لي في هذا محمل لا بأسَ به يُقرُّ[4] الروايةَ الصحيحة على ماهي علَيه ويبين عذر إدريس إذ لم يقل : والابن الصالح ، وذلك أن ما ظهر من عظم شأن محمد [ق٧٧/ظ] ﷺ في هذا المقام أجل من منزلة الأبوة فكيف بمنزلة البنوة فلم يتهجّم لما رأى من علوّ الرتبة أن يجعل نفسه أباً له فيكون أرفع منه ولا سيما (و)[5] لم يَذكرُ له جبريل ما ذكر لآدم و لإبراهيم[6] من قوله : «هذا أبوك آدم فسلم عليه»[7] ، «هذا أبوك إبراهيم فسلّم عليه»[8] ، فإنه لما أنَّسَ آدم بأن قال لمحمد : «هذا أبوك آدم فسلم عليه» حَسُن أن يقول له آدم : «مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح» وكذلك لما قال له : «هذا أبوك إبراهيم فسلّم عليه» حَسُن أن يقول له إبراهيم : «مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح» فأما إدريس فقال له عنه : «هذا إدريس فسلم عليه» ولم يقل له : هذا أبوك إدريس ، فلم يحسن التهجم عليه بمزيّة الأبوة مع ما هنالك من علوِّ الدَّرجة وعظيم المنزلة وما أكرم به من القرب ، فلم يجد إدريس ما يُمِتُّ به مِمّا لا عَتبَ فيه إلا الأخوّة في النبوة التي رُفع بها مكاناً علياً فقال ما يناسِبُ حالَه : «مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح» ، وقد قال النبي ﷺ : «الأنبياء إخوة أولاد علّاتٍ دينهم واحد وأمهاتهم

---

(١) "في" ليس في ب .

(٢) "والله أعلم" ليس في ب .

(٣) أخرجه البخاري (٥/٥٢) ، كتاب مناقب الأنصار ، باب المعراج ، ح٣٨٨٧ .

(٤) في ب "بقرار" .

(٥) "و" ليس في ب .

(٦) في ب "إبراهيم" .

(٧) تقدم تخريجه ، انظر : ص٥٣٤ .

(٨) تقدم تخريجه ، انظر : ص٥٣٦ .

شتى»[1] على أن الله تعالى قال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖ [وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ][2]﴾ [آل عمران:٣٣-٣٤] (فبعض الأنبياء من نسل بعض)[3] وقد سماهم النبي ﷺ إخوةً ، فيكون قول إدريس «الأخ الصالح» من هذا القبيل ، ولا يَضُرّ قول إدريس بالأخ الصالح ، فالأخوّة في الدين والنبوة صادقة عليهما ، كما أن النبوة والأخوّة صادقة عليه وعلى إبراهيم عليهما [الصلاة و][4] السلام ، وكما لم يَضُرّ سارة عليها[5] السلام حين أوصاها إبراهيم عليه السلام أن تقول للجبّار الذي دَعاها أن تقول[6] : «إنه أخي»[7] ، وهي زوجته فالأخوّة صادقة عليهما بالإيمان كما قال إبراهيم : فإني لا أعلم على وجه الأرض مؤمناً غيري وغيرك ، لكن قصّة سارة كانت من باب المعاريض وقصّة إدريس من باب الأدب والله أعلم ، إذ كان ذلك المقام لا يقتضي غيره لما رأى من عظم العناية[8] الإلهيّة والوِلاية الربانية وهذا تأويل لا بأسَ به إن شاء الله تعالى ، وإن جعلنا رَدّ السلام والترحيب بلفظ الأخوّة [ق٧٨/و] والخلافة من خزنة السموات لم يبق إشكال فإن في سياق حديث الثعلبي أن كل باب يُفتح لهم يقال له : «حياه (الله)[9] من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٧/٤) ، بنحوه في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله : ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ [مريم:من الآية ١٦] ، ح٣٤٤٣ ، ومسلم (١٨٣٧/٤) ، في كتاب الفضائل ، باب فضائل عيسى عليه السلام ، ح٢٣٦٥ .

(٢)﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ زيادة من ب .

(٣) ما بين القوسين ليس في ب .

(٤) "الصلاة و" زيادة من ب .

(٥) في ب "عليهما" .

(٦) في ب تكرار الجملة السابقة "أن تقول للجبار الذي دعاها" .

(٧) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٨٢/٤) ح٢٧٩٠ ، تحقيق : حمدي السلفي ، الطبعة الأولى ١٤١٦ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٨) في ب "عناية" .

(٩) لفظ "الله" ليس في ب .

ونعم المجيء جاء»[1] لكن الروايات الأخرى لا تساعد على هذا المعنى وكذلك يَردُ قولُ[2] آدم وإبراهيم : «مرحباً بالابن الصالح» والله تعالى أعلم ؛ وفي هذا السياق لطيفة أخرى : وهي قول خَزَنة أبواب السموات : «حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة» فإنه مشعر بالاعتذار[3] عن قولهم[4] حين قال الله : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:من الآية ٣٠] فلمّا رأوا سيّدَ الخُلفاء على تلك المنزلة وشاهَدُوا ماشاهدوا له من الكرامات قالوا : «حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاءَ» فكان ذلك تَنَصُّلاً منهم مما سَبَق من شهادتهم على ما (لم)[5] يعلموا عاقبته ، وشهادةً محققة عن عيان وعلمٍ لِما شاهدوا (من)[6] حاله ﷺ ، ومِن فَوائد حديث الإسراء : أنه كان يقظة لا مناماً كما قاله من قاله ، وأنه كان بروحه وبجسده جميعاً ، لأنه لو كان مناماً لم ينكره المشركون ولا[7] ارتدّ أحد من العرب الذين كانوا أسلموا ، فإن الإنسان يرى في منامه أشياء ويحدث بها تكون غايةً في البُعد عن شأن اليقظة فلا ينكرها عليه منكر ، ولو كان عند وصوله إلى المسجد الأقصى قد نام لأخبر بذلك كما أخبر عن ما[8] رأى من العجائب ، وقد زيّف الحفاظ وغلطوا الرواية التي وقعت عند البخاري التي ذكر في آخرها «فاستيقظ فإذا هو في مسجد الحرام»[9] وبينوا وجه الغلط وهذه[10] الرواية هي من كلام أنَسٍ نفسه لا من روايته

---

(١) تقدم تخريجه ، انظر : ص٥٤١-٥٥٩.

(٢) في ب "فعل" .

(٣) في ب "عن الاعتذار" .

(٤) في ب "بقولهم" .

(٥) "لم" ليس في ب .

(٦) "من" ليس في ب .

(٧) في ب "ولم" .

(٨) في ب "عما" بالوصل .

(٩) أخرجه البخاري (١٤٩/٩) ، كتاب التوحيد ، باب قوله : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:من الآية ١٦٤] ، ح٧٥١٧ ، بلفظ : «واستيقظ وهو في مسجد الحرام» .

عن النبي ﷺ ولا عن غيره ، والروايات التي في حديث الإسراء عن أنس نفسه عند البخاريّ وعند مسلم في بعض ألفاظها مَقالٌ قد تكلموا على الغلط فيها ، وتكلف[2] بعض الناس لأصل هذه الرواية أن الإسراء كان مراراً وذلك أيضاً غلط ، وكذا[3] من ادّعى أن المعراج كان قبل النبوة [ق٧٨/ظ] وإنما كان بعد الرسالة بمكة ، ومن فوائده في عرض الخمر واللّبن عليه ليلتئذ ، واختياره اللبن ، وقول جبريل له أصبت الفطرة ، فالفطرة فطرة الإسلام وهي التي فطر الله عليها الناس كما قال تعالى : ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ[4] ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:من الآية ٣٠] ، وتسمية اللبن بالفطرة لمناسَبة وقعت فيه وهي: أنه أول ما يقع في جوف المولود وأول ما يتغذى به فكان بفطوره عليه أولاً مناسباً لتسميته بفطرة الإسلام ، وأما الخمر فإنها لما كانت تفسدُ العقل وتغيّر الفطرة تركَها لأنّها تُغوي كما قال في الحديث : «لو أخذت الخمر لغوت[5] أمتك» ، ومنها : فرض الصلاة خمسين أولاً ثم ردت إلى خمسٍ فيه حُجَّة لمن يُجوّز النسخ قبل التمكين من الفعل ، فإن الله تعالى فرضها خمسين ثم نسخها إلى خمس قبل أن يُمكنهم من العمل ، ومنها : مراجعة موسى دون إبراهيم لأنه كان له شريعة بأحكام التوراة كما قال : ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [آل عمران:من الآية ٦٥] ورأى موسى من بني إسرائيل ما أخبر به حيث خبَرهم وجَرَّبهم وعالجهم أشد المعالجة وقد كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام إمام الملة وموسى إمام الشريعة ، ومنها : أن في قوله عليه الصلاة والسلام : «فرجعتُ إلى ربي» ، وقول موسى : «فارجع إلى ربك» ، وقوله : «فلم أزل أتردد بين موسى وبين ربي» حجة قاطعة على إثبات علوّ الربّ سبحانه [وتعالى][6] على خلقه وأنه يصعد إليه الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وأن الملائكة تعرج إليه وتنزل

---

(١) في ب "وهذه" .

(٢) في ب "وتكلم" .

(٣) في ب "وكذلك" .

(٤) في ب زيادة لفظ "الله" ، وهو خطأ .

(٥) في أ "غوت" بدون اللام .

(٦) "وتعالى" زيادة من ب .

من عنده ، ومنها : [أنه][(1)] في تردّده بين ربه وبين موسى فيقول : «فحَطّ عني عشراً ... ثم عشراً ... ثم عشراً»[(2)] وكذلك هو في الصحيحين من حديث أنس بن مالك من رواية شريك عنه ، وفي رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أنه قال : «فحَطّ عني خَمساً»[(3)] وهو في أفراد مسلم والأوّل أصح لأنه المتفق عليه عن أنس عن مالك بن صعصعة ومن حديث أنس نفسِه أيضاً «عشراً عشراً» فرواية الحط خمساً غلط من الراوي والله أعلم ، وقد يُقالُ لفظ حديث أنسٍ لا يقتضي أن التردد كان كله بخمس خمس وإنما فيه أنه [ق٧٩/و] قال بعد حط الخمس أنه قال : «فلم أزل ارجع بين ربي وبين موسى[(4)] حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات ...» الحديث ، وليس في هذا ما يدل على أن [هذا][(5)] التردد كان بخمس خمس[(6)] ، ولا يمنع أن التردد كان قبل الخمس بعشر عشر ثم بالخمس والله أعلم ، ومنها : الخبر عن شرح صدره في بعض أحاديث الإسراء ، وقد قيل في قوله : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشَّرح:١] هو هذا الشرح في هذه الأحاديث وقيل : بل هو الشرح المعنوي كقوله تعالى عن موسى : ﴿اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه:من الآية ٢٥] وكقوله : ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام:من الآية ١٢٥] وشرح صدره ﷺ كان مرتين وقيل : ثلاثاً : مرّة هذه أعني المعنوي ، ومرة هو مع الغلمان كما ذكره مسلم في حديثه وبيّن فيه أنه أخرَج منه علقة فألقاها وقال : «هذا حظ الشيطان منك»[(7)] ، والعلقة قطعةُ دم تكون في تجويف القلب وتسمّى السُويداء ، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، ومن القلب تَجري الحياةُ في البدن وهي التي يقول لها[(8)] الأطباء : الروح والقوة والشهوة ، والحياة تنبعث من

---

(١) "أنه" زيادة من ب .

(٢) تقدم تخريجه ، انظر : ص٥٣٨ .

(٣) أخرجه مسلم (١/١٤٥)، في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، ح١٦٢.

(٤) في ب "بين موسى وبين ربي" بتقديم وتأخير .

(٥) "هذا" زيادة من ب .

(٦) في ب "بخمس" .

(٧) تقدم تخريجه ، انظر : ص٥٣٣ .

(٨) في ب "أنها" .

القلب ، ولهذا كان القلب ملك البدن وكان إذا صلح صلح الجسد كله (وإذا فسد فسد الجسد كله)[1] ، والقلب ما دامت فيه تلك العَلقَة يدخل الشيطان فيه فهي بَيْتُه منها يتصرف بالوسوسة ، فأُخرِجت من النبي ﷺ وغُسل مكانها فلم يبق للشيطان عليه سبيل أصلاً ، ولا بقي له بيت يدخل فيه ولا مسكن وكان يقول ﷺ : «ما من أحد إلا وقد وكل به قرينه ، قالوا : وأنتَ يا رسول الله ، قال : وأنا لكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير» وليس المراد أسلمُ أنا بل أسلمَ هو من الاستسلام لا من إيمان لأنه قال : «فلا يأمرني إلا بخير»[2] لأنه[3] انقاد وانطاعَ فبقي لا يأمره إلا بما يناسبُ حاله [ق٧٩/ظ] من الخير ﷺ ، ومنها قوله عليه الصلاة والسلام : «ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام»[4] المستوى : المكان العالي ، وصريف الأقلام : صوتها على اللوح المحفوظ ، وقوله : «سِدرة المنتهى» سميت سدرة[5] المنتهى لأن[6] إليها ينتهي ما ينزل من فوقها وإليها ينتهي ما يصعد من تحتها ؛ تنبيهٌ لطيف في حديث المعراج أيضاً : وهو قوله عن عيسى ويحيى «وهما ابنا خالةٍ» قال ابن السكيت[7] : يقال : هما ابنا خالة ولا يقال : هما ابنا خال ، ويقال : هما ابنا عم ولا يقال : هما[8] ابنا عمّة[9] ، قلت : وعليه في هذا الكلام شيء ، وقد اغترّ بأن غالب ما يقع أن ابني العمة وابني الخال غير متفق

---

(١) ما بين القوسين ليس في ب .

(٢) تقدم تخريجه ، انظر : ص٥٢٢ .

(٣) في ب "أنه" .

(٤) تقدم تخريجه ، انظر : ٥٣٧ .

(٥) في ب "صدرة" .

(٦) في ب "لأنها" .

(٧) يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف ، ابن السكيت ، إمام في اللغة والادب ، ولد سنة ١٨٦ ، أصله من خوزستان (بين البصرة وفارس) تعلم ببغداد. واتصل بالمتوكل العباسي، فعهد إليه بتأديب أولاده ، وجعله في عداد ندمائه ، ثم قتله ، لسبب مجهول ، قيل : سأله عن ابنيه المعتز والمؤيد : أهما أحب إليه أم الحسن والحسين ؟ فقال ابن السكيت : والله إن قنبرا خادم علي خير منك ومن ابنيك ! فأمر الأتراك فداسوا بطنه ، أو سلوا لسانه ، وحمل إلى داره فمات ببغداد سنة ٢٠٥ . انظر : الأعلام للزركلي (٨/١٩٥) .

(٨) في ب "لهما" .

(٩) شرح النووي على مسلم (٢/٢١٣) .

وأن ابني[1] العم وابني الخالة لازم الوقوع لكن وقوع الأوّل غير ممتنع ، بل وقوعه ممكن (واقع)[2] كثيراً وصورتُه : أن يتزوّج رجلان كل[3] منهما بأخت الآخر فيولد لكل منهما ولدٌ ، فلا ريب أن ولدكل منهما ابن عَمّةِ الآخر وابن خالة أيضاً ، (ثم)[4] هُما ابنا خال وابنا عمةٍ كما ترى .

فصل

الخلاف في مسألة رؤية النبي ﷺ ليلة المعراج

واختلف السلف والخلف ﷺ في رؤية محمد ﷺ ربَّه تعالى ليلة المعراج فممن أثبتها[5] ابن عباس رضي الله عنهما ، وممن نفاها[6] عائشة رضي الله عنها ، وقال قوم : رآه بقلبه ، وكل منهم احتج لما قال بحجة ، فابن عباس روى فيها حديثاً عن النبي ﷺ أنه قال : «رأيت ربي»[7] ، وعائشة قالت : ثلاثٌ م[8] تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفِرية –فذكرت منها :– من زَعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية[9] ، وقال بعض[10] [من][11] نفاةُ الرؤية : أن الله تعالى امتنّ على محمدٍ ﷺ

---

(١) في ب "ابن" .

(٢) "واقع" ليس في ب .

(٣) في ب "كمل" ، وهو خطأ .

(٤) في ب "فهما" .

(٥) في ب "فمن إثباتها" .

(٦) في ب "فمن أنفاها" .

(٧) أخرجه أحمد (٣٥١/٤) ح٢٥٨٠ ، قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "صحيح موقوفاً ، وهذا إسناده رجاله رجال الصحيح" .

(٨) في ب "ممن" بالوصل .

(٩) أخرجه مسلم (١٥٩/١) ، كتاب الإيمان ، باب معنى قول الله ﷻ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم:١٣] وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء ، ح١٧٧ .

(١٠) في ب "بعضهم" .

(١١) "من" زيادة من ب .

بأن أراهُ[1] من آياته الكبرى ليلة المعراج ولا يُمتنّ بالأدنى مع وجود الأعلى فإن رؤية الله تعالى أعلى النعم وأكبر المنح وأعظم المطالب [2]كما في صحيح مسلم عن صهيب قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا دخل أهل الجنة الجنة ، نودوا : يا أهل الجنة إنّ لكم عند الله موعداً لم تروه – (قال :)[3] – فيقولون [ق٨٠/و] ماهو ؟ ألم يبيض وجوهنا ؟ ويزحزحنا عن النار ؟ ويدخلنا الجنّة –قال :– فيكشف الحجاب[4] فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحبّ إليهم مما هم فيه –يعني : النظر إليه– ثم قرأ : ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس:من الآية ٢٦]»[5] وأخرج مسلم أيضاً من حديث صهيب قال : «قرأ رسول الله ﷺ ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس:من الآية ٢٦] قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون : ماهو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله [تعالى][6] فما شيء أُعطُوه أحبَّ إليهم من النظر إليه وهي الزيادة»[7] ، فإذا كانت الرؤية أعظم المطالب و[8] قد أُعطِيَهَا محمَّد ﷺ فكيف يمتنّ عليه برُؤية جبريل وغيره من الملائكة والجنة والنار وما في ملكوت السموات والأرض الذي جميعه في جانب[9] النظر إلى الله [تعالى][10] العظيم أدنى من الخردلة الملقاة في أرضٍ فلاة ، بل وذلك كلّه عند الكرسي كخردلة ملقاة

---

(١) في ب "رآه" .

(٢) في ب "أكبر المطالب وأعظم المنح" بتقديم المطالب وتأخير المنح .

(٣) "قال" ليس في ب .

(٤) في ب زيادة "فيقولون" بعد "الحجاب" .

(٥) أخرجه مسلم (١٦٣/١) ، بنحوه في كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ، ح١٨١ .

(٦) "تعالى" زيادة من ب .

(٧) أخرجه مسلم (١٦٣/١) ، بنحوه في كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ، ح١٨١.

(٨) في ب "أو" .

(٩) في ب "جنب" .

(١٠) "تعالى" زيادة من ب .

بأرضٍ فلاة ، بل ذلك كله والكرسي [كله][1] كخردلة ملقاة بأرضٍ فلاة عند عرش الرحمن سبحانه ، فكيف برؤية ربّ العرش العظيم الذي لا نسبة للعرش والكرسي وسائر خلقه إليه سبحانه وتعالى ، قال : فلو كان رآه وهذا شأن رؤيته لم يمتن عليه برؤية ما سواه وكل ما سواه ليس له نسبة إلى عظمته ولكان قال : لقد رأى ربَّهُ الأعظَمُ والله تعالى أعلم .

فأما في الآخرة فلا شك أن له من الرؤية النصيب الأوفر ، والحظ الأعظم ، كما له من الدرجات في الجنة أعلاها ، ومن مناصب الآخرة أجلها وأسماها ، ومن كراماتها غاية منتاها ، وفوائد حديث المعراج عظيمة يضيق [ق٨٠/ظ] الوقت عن استيفائها ، ويتعذر أو يتعسر الوصل إلى استقصائها ، وقد رَوى حديث الإسراء والمعراج عن رسول الله ﷺ جماعَةٌ من الصحابة منهم علي وابن مسعود وأبيّ وحذيفة وأبو سعيد وجابر وأبو هريرة وابن عباس وأم هانئ ﷺ ، وهو مخرج في الصحيحين ، رواه البخاري في أربعة مواضع من صحيحه (ورواه مسلم)[2] بعدة طرق في صحيحه ، وغيرهما ، وهو من أعظم معجزاته ﷺ .

فصل جامع لمقاصد الكتاب

كل معجزة وفضيلة ومنقبة حصلت للأنبياء فبكمال نبوّتهم ، وكمال نبوتهم كان بالإيمان بمحمد ﷺ ، والإقرار برسالته ، والعزم على نصره لو[3] خرج وهم أحياء ، وبذلك أخذ الله عليهم [الميثاق و][4] العهد في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ

(١) "كله" زيادة من ب .

(٢) "ورواه مسلم" ليس في ب .

(٣) في ب "ولو" بزيادة الواو .

(٤) "الميثاق" زيادة من ب .

بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ (وَأَخَذۡتُمۡ)[1] عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١] ، وكذلك كل كرامة وفضيلة (ومنقبة)[2] حصلت لأحد من الأمة إنما حصلت له بالإيمان بمحمد ﷺ ، ومتابعته[3] ، والأخذ بهديه ، فلولا الإيمان بمحمد وبرسالته لم تتم[4] معجزة لنبي ولا (كرامة)[5] لأحد من الأمة ، فعلى هذا معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء كلها معجزات له وكرامات مُضافة إليه ، زائدة في مناقبه وفضائله ﷺ .

فصل

خصائص النبي ﷺ في وفاته

فيما خصه الله به (في)[6] وفاته ﷺ من ذلك أن الله جعل له علامةً يَعرف بها قرب أجله وهو قوله تعالى : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ [النصر: ١] [و][7] روى ابن عباسٍ قال : لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ [النصر: ١] دعا رسول الله ﷺ فاطمة رضي الله عنها فقال : «إني قد نُعِيَتْ إليّ نَفْسي ...» الحديث[8] ، يعني قوله : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ [النصر: ١] أي فتح مكة ﴿ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴾ [النصر: ٢] يعني فذلك علامة قرب أجلك ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ٣] فكان ﷺ يُكثر التسبيح

---

(١) ﴿وَأَخَذۡتُمۡ ﴾ ليس في ب .

(٢) "ومنقبة" ليس في ب .

(٣) في ب "بمتابعته" .

(٤) في ب "لم تقم" .

(٥) "كرامة" ليس في ب .

(٦) "في" ليس في ب .

(٧) "و" زيادة من ب .

(٨) أخرجه البيهقي في الدلائل (٧/١٦٧) .

والاستغفار [ق٨١/و] ويقول : «أمرت إذا نُصرت وفتح الله علي أن أسبّح[1] بحمد ربي واستغفره»[2] فكان يكثر أن يقول : «سبحانك اللهم وبحمدك ، استغفرك اللهم وأتوب إليك» يتأول القرآن[3] ، ومن ذلك : أن جبريل كان يعارضه القرآن كل عام مرة فلما كان[4] العام الذي توفي فيه عارضه مرتين فقال : «ما أُراه إلا قد حضر أجلي» وأسرّ ذلك إلى فاطمة رضي الله عنها[5] ، فكان يعتكف في كل عام عشراً فاعتكف عشرين في العام الذي قُبض فيه[6] ، ومن ذلك : ما رَوَى أبو سَعيد قال : خطبَ رسول الله ﷺ الناس فقال : «إن الله تعالى خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ذلك العبدُ ما عند الله ﷻ» ، فبكى أبو بكر ﷺ ، فعجبنا من بكائه أن خَبَّر رسولُ الله ﷺ عن عبد خير ، فكان رسول الله ﷺ المخيّر وكان[7] أبو بكر أعلمنا به[8] ؛ ومن ذلك أن ملك الموت استأذن عليه فيما روى جعفر بن محمد عن أبيه في حديث قال فيه : «لما بقي من أجل رسول الله ﷺ ثلاث نزل عليه جبريل فقال : يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك ، وتفضيلاً لك ، وخاصةً لك يسألك عما هو أعلم به منك يقول : كيف تجدك ؟ قال : أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباً ، فلما كان اليوم الثاني هبط إليه جبريل ، فقال : يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك ، وتفضيلاً لك ، وخاصةً لك ، يسألك عما هو أعلم به منك يقول كيف تجدك ؟ فقال[9] : أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني مكروباً ، فلما كان اليوم الثالث نزل جبريل وهبط معَهُ ملك يقال له : إسماعيل ، يسكن الهواء ،

---

(١) في ب "فسبح" .

(٢) أخرجه أحمد (٤٠/٧٦) ح٢٤٠٦٥ .

(٣) أخرجه مسلم (١/٣٥٠) ، كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ، ح٤٨٤ ، بلفظ : «سبحانك الله ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي»

(٤) في ب "ن" وسقط "كا" .

(٥) أخرجه البخاري (٤/٢٠٣) ، بنحوه في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ح٣٦٢٣ .

(٦) أخرجه البخاري (٣/٥١) ، في كتاب الاعتكاف ، باب الاعتكاف في العشر الأوسط من رمضان ، ح٢٠٤٤ .

(٧) في ب "فكان" .

(٨) أخرجه البخاري (٥/٤) ، كتاب أصحاب النبي ﷺ ، باب قول النبي ﷺ : «سدوا الأبواب ، إلا باب أبي بكر» ، ح٣٦٥٤ .

(٩) في ب "قال" بدون الفاء .

لم يصعد إلى السماء قط ولم يهبط إلى الأرض منذ كانت الأرض ، فهو على سبعين ألف ملك ليس منهم ملك إلا على سبعين ألف ملك ، فسبقهم جبريل فقال : يا أحمد إن الله تعالى أرسلني إليك إكرماً لك وتفضيلاً لك وخاصة لك يسألك عما هو أعلم به (منك)[1] يقول لك : كيف تجدك ؟ قال : أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباً ، ثم استأذن ملك الموت فقال جبريل : هذا ملك الموت [ق٨١/ظ] يستأذن عليك ولم يستأذن على آدمي كان قبلك ولا يستأذن على آدمي[2] بعدك ، قال : ائذن له ، فدخل ملك الموت فوقف بين يدي رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله يا أحمد إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك في كل ما[3] تأمرني إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتُها وإن أمرتني أن أتركها تركتها قال : وتفعل يا ملك الموت ؟ قال : بذلك أُمِرتُ أن أطيعك في (كل)[4] ما أمرتني ، فقال جبريل : يا أحمد إن الله تعالى قد اشتاق إليك ، قال : فامضِ يا ملك الموت لما[5] أمرت به ، فقال جبريل عليه السلام : يا رسول الله هذا آخر مَوَاطِئي الأرضَ إنما كنتَ حاجتي من الدنيا ، فتوفي رسول الله ﷺ»[6] ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يعوّذ بهذه الكلمات : «أذهب البأس ، رب الناس ، اشف وأنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاءً لا يغادر سقماً» قالت : فلما ثَقُل رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه أخذت بيده ، فجعلت امسحه بها وأقولها ، فنزع يده مني ثم قال : «رب اغفر لي وألحقني بالرفيق الأعلى» فكان هذا آخر ما سمعت من كلامه أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما[7] ؛ وعنها أيضاً قالت

---

(١) "منك" ليس في ب .

(٢) في ب زيادة "كان" بعد "آدمي" .

(٣) في أ "كلما" بالوصل .

(٤) "كل" ليس في ب .

(٥) في ب "بما" .

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/١٢٩) ح٢٨٩١ ، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١١/٦٤١-٦٤٢) ح٥٣٨٤ : "موضوع" .

(٧) أخرجه مختصراً البخاري (٧/١٢١) ، كتاب المرضى ، باب تمني المريض الموت ، ح٥٦٧٤ ، ومسلم (٤/١٨٩٣) ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها ، ح٢٤٤٤ ، وأخرجه بنحوه ابن ماجه (١/٥١٧) ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ ، ح١٦١٩ .

: قُبض رسول الله ﷺ ورأسه بين سحري ونحري ، فلما خرجت نفسُه ﷺ لم أجد ريحاً قط أطيب منها(١) ؛ ومنها : أنه لما مات اختلفوا فيه فقالوا : والله ما ندري كيف نصنع أنُجرِّد رسول الله ﷺ كما نجرّد موتانا ؟ أم نغسله وعليه ثيابُه ؟ فلما اختلفوا أرسل الله عليهم السِّنَةَ(٢) حتى والله ما من القوم رجل إلا ذَقَنُه في صدره نائماً ، ثم كلمهم من ناحية البيت لا يدرون ماهو ، فقال : اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه ، فثَارُوا إليه فغسَلوه وهو في قميصه ، يُفاض عليه الماء والسدر ويَدْلُكُه الرجال بالقميص(٣) ؛ ومنها : ما روى الدارمي من حديث [أبي](٤) الجوزاء(٥) أوس بن عبدالله قال : [قد](٦) قَحِطَ أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها فقالت : انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا [ق٨٢/و] منه كُوًى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ، ففعلوا فمطروا حتى نبت العُشبُ وسَمِنت الإبل حتى تفتَّقَتْ من الشَّحْم فسُمي عامَ الفتق(٧) .

---

(١) أخرجه أحمد (٣٩١/٤١) ح٢٤٩٠٥ ، والبيهقي في الدلائل (٢١٣/٧) ، قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "إسناده صحيح على شرط الشيخين" .

(٢) في ب "البيتة" .

(٣) أخرجه أبو داود (١٩٦/٣) ، كتاب الجنائز ، باب في ستر الميت عند غسله ، ح٣١٤١ ؛ وأحمد (٣٣١/٤٣-٣٣٢) ح٢٦٣٠٦ ؛ والبيهقي في الدلائل (٢٤٢/٧) ؛ قال الألباني : "صحيح" . تلخيص أحكام الجنائز ص٢٩ ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثالثة ١٤١٠ ، مكتبة المعارف ، الرياض .

(٤) في أ ، ب "ابن" ، وما أثبته من سنن الدارمي (٢٢٧/١) ، وكما سيأتي في ترجمته .

(٥) هو أوس بن عبدالله الربعي ، أبو الجوزاء البصري من ربعة الأزد ، روى عن أبي هريرة وعائشة وابن عباس وعبد الله بن عمرو وصفوان بن عسال وعنه بديل بن ميسرة وأبو أشهب وعمرو بن مالك وقتادة وغيرهم ، حكى البخاري عن يحيى بن سعيد أنه قتل في الجماجم سنة ٨٣ . انظر : تهذيب التهذيب (٣٣٥/١-٣٣٦) .

(٦) "قد" زيادة من ب .

(٧) أخرجه الدارمي في سننه (٢٢٧/١) ، كتاب دلائل النبوة ، باب ما أكرم الله تعالى ﷺ بعد موته ، ح٩٣ ، قال العلامة الألباني في التوسل أنواعه وأحكامه ص٩٠ : "وهذا سند ضعيف لا تقوم به حجة لأمور ثلاثة : ... –ثم ذكر هذه الأمور فلتراجع هناك–" ؛ وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تلخيص كتاب الاستغاثة –الرد على البكري– (١٦٣/١-١٦٦) ، تحقيق : محمد على عجال ، الطبعة الأولى ١٤١٧ ، مكتبة الغرباء ، المدينة : "وما روي عن عائشة رضي الله عنها من فتح الكوة من قبره إلى السماء لينزل المطر فليس بصحيح ولا يثبت إسناده ، وإنما نقل ذلك من هو معروف بالكذب ، ومما يبين كذب هذا أنه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كوة ، بل كان بعضه باقياً كما كان على عهد النبي ﷺ بعضه مسقوف وبعضه مكشوف وكانت الشمس تنزل فيه كما ثبت في الصحيحين عن عائشة أن النبي ﷺ :كان يصلي العصر والشمس في حجرتها لم يظهر الفيء بعد ولم تزل الحجرة

فصل

فيما خصه الله تعالى به في الآخرة من ذلك ما صح وثبت عنه أنه قال : «أنا سيّد ولد آدم ولا فخر»[1] وأنه قال : «أنا أول شافعٍ وأول مشفع»[2] ، وأنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة[3] ، وأنه أول من يأتي المحشر ، وأنه قال : «آدم ومن دونه تحت

خصائص النبي ﷺ في الآخرة

كذلك حتى زاد الوليد بن عبد الملك في المسجد في إمارته لما زاد الحجر في مسجد الرسول ﷺ وكان نائبه على المدينة ابن عمه عمر بن عبد العزيز وكانت حجر أزواج النبي ﷺ شرقي المسجد و قبليه فأمره أن يشتريها من ملاكها ورثة أزواج النبي ﷺ فاشتراها وأدخلها في المسجد فزاد في قبلي المسجد وشرقيه ومن حينئذ دخلت الحجرة النبوية في المسجد وإلا فهي قبل ذلك كانت خارجة عن المسجد في حياة النبي ﷺ وبعد موته ثم إنه بنى حول حجرة عائشة التي فيها القبر جدار عال وبعد ذلك جعلت الكوة لينزل منها من ينزل إذا احتيج إلى ذلك لأجل كنس أو تنظيف ، وأما وجود الكوة في حياة عائشة فكذب بين ولو صح ذلك لكان حجة و دليلاً على أن القوم لم يكونوا يقسمون على الله بمخلوق ولا يتوسلون في دعائهم بميت ولا يسألون الله به وإنما فتحوا على القبر لتنزل الرحمة عليه ولم يكن هناك دعاء يقسمون به عليه فأين هذا من هذا والمخلوق إنما ينفع المخلوق بدعائه أو بعمله فإن الله تعالى يحب أن نتوسل إليه بالإيمان والعمل والصلاة والسلام على نبيه ﷺ ومحبته وطاعته وموالاته فهذه الأمور التي يحب الله أن نتوسل بها إليه وإن أريد أن نتوسل إليه بما تحب ذاته وإن لم يكن هناك ما يحب الله أن نتوسل به من الإيمان و العمل الصالح فهذا باطل عقلاً و شرعاً ، أما عقلاً : فلأنه ليس في كون الشخص المعين محبوباً له ما يوجب كون حاجتي تقضي بالتوسل بذاته إذا لم يكن مني ولا منه سبب تقضي به حاجتي فإن كان منه دعاء لي أو كان مني إيمان به وطاعة له فلا ريب أن هذه وسيلة وأما نفس ذاته المحبوبة فأي وسيلة لي فيها إذا لم يحصل لي السبب الذي أمرت به فيها و لهذا لو توسل به من كفر به مع محبته له لم ينفعه والمؤمن به ينفعه الإيمان به وهو أعظم الوسائل فتبين أن الوسيلة بين العباد وبين ربهم ﷻ الإيمان بالرسل وطاعتهم ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً ، وأما الشرع فيقال العبادات كلها مبناها على الإتباع لا على الابتداع فليس لأحد أن يشرع من الدين ما لم يأذن به الله فليس لأحد أن يصلى إلى قبره ويقول هو أحق بالصلاة إليه من الكعبة ، وقد ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال : «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها» ..." وليراجع أيضاً مطلب : منهج جمال الدين السرمري في تقرير توحيد الألوهية ، فقرة : التوسل الممنوع .

(١) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٤٧ .

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨٢/٤) ، بنحوه في كتاب الفضائل ، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ، ح٢٢٧٨ .

(٣) أخرجه البخاري (١٢١/٣) ، كتاب الخصومات ، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود ، ح٢٤١٢ .

لوائي يوم القيامة»[1] ، وأنه أكرم بني آدم على ربه[2] ، وأنه صاحب المقام المحمُود[3] ، وأن لواء الحمد بيده يوم القيامة يقوم على يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيره[4] ، ومن ذلك : أن اسمه مكتوب على العرش مع اسمِ ربّه تبارك وتعالى لا إله إلا الله محمد رسول الله[5] [ﷺ][6] ، ومن ذلك : الشفاعة العامة العُظمى التي يتخلف عنها إبراهيم الخليل وموسى الكليم فمن دونهما من الأنبياء ويُحْجِمُونَ عنها وكلٌ يقول : نفسي نفسي ، وذلك ما روى الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وغيرهم من حديث أبي هريرة قال : أن رسول الله ﷺ أتى بلحم فرُفعَ إليه الذِراع وكانت تعجبه فنهسَ منها نهسة ، ثم قال : «أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرونَ لِمَ ذاك ؟ يجمع الله ﷻ الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمسُ ، فيبلغ الناسَ من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول بعض الناس لبعضٍ : ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ﷻ ؟ فيقول بعضُ الناس لبعض : أبوكم آدم ، فيأتون آدم ، فيقولون : يا آدمُ أنت أبو البشر ، خلقك الله تعالى بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، فاشفع لنا إلى ربك ﷻ ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحاً ﷺ [ق٨٢/ظ] فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك الله ﷻ عبداً شكوراً ، فاشفع لنا إلى ربّك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا[7] ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول نوح : إن

---

(١) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٢٧ .

(٢) تقدم تخريجه ، انظر : ص٣٤٧ .

(٣) تقدم تخريجه ، انظر : ٥٠٦ ؛ وانظر القول في تفسيرها : ص٥١٨ .

(٤) أخرجه الترمذي (٥/٥٨٦) ح٣٦١١ ، قال الألباني في ضعيف سنن الترمذي (١/٤٨٢) ح٧٤٢ : "ضعيف" .

(٥) ذكره ابن تيمية في منهاج السنة (٧/١٣٧) ، وقال : "إن هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث" . منهاج السنة (٧/١٣٩) .

(٦) "ﷺ" زيادة من ب .

(٧) في ب "إلى" ، وهو خطأ ظاهر .

ربّي قد غضب اليوم غضباً [شديداً][1] لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه كانت لي دعوة على قومي ، نفسي نفسي ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى إبراهيم ، فيأتون إبراهيم عليه السلام ، فيقولون : يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، أما ترى ما نحن عليه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم إبراهيم عليه السلام : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، فذكر كذباته ، نفسي نفسي ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى عليه السلام ، فيقولون : يا موسى أنت رسول الله تعالى ، اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ألا[2] ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى : إن رَبّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها ، نفسي نفسي ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسى ، فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمتُهُ ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد ، فاشفع لنا إلى ربك عز وجل ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر له ذنباً ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمّد ﷺ ، فيأتوني[3] ، فيقولون : يا محمّد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فاشفع لنا إلى [ق٨٣/و] ربك عز وجل ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأقوم فآتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي عز وجل ، ثم يفتح الله تعالى علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبل ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، سَل تعطه ، اشفع تشفع ، فأقول : أمتي أمتي يا رب ، أمتي أمتي يا رب ، أمتي أمتي يا رب ، أمتي أمتي يا رب ، فيقال : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب

---

(١) "شديداً" زيادة من ب .

(٢) في ب "إلى" ، وهو خطأ ظاهر .

(٣) في ب "فيأتون" بدون الياء .

، ثم قال : والذي نفسُ محمد بيده لما بين المصراعيْن[1] من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر[2] أو كما بين مكة وبصرى[3]»[4] ، وفي رواية أخرى : «حتى يأتوني فإذا جاءوني انطلقت حتى آتي الفحْصَ فأخِرّ قدام العرش لربي ساجداً ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحدٍ قبلي حتى يبعث الله إليّ ملكاً فيأخذ بعضدي فيرفعني» فقال أبو هريرة : قلت يا رسول الله وما الفحص ، قال : «قدام العرش»[5] ، «فيقول (لي)[6] إذا رفعني الملك : ما شأنك يا محمد وهو أعلم ، فأقول : يا رب وعدتني الشفاعة فشفِّعني في خلقك فأقض بينهم ، فيقول الله تعالى : قد شفعتك ، أنا آتيكم فأقضي بينكم – قال رسول الله ﷺ : – فأرجع فأقف مع الناس»[7] ، وفي رواية أخرى : «فيقول عيسى بن مريم ﷺ : عليكم بمحمد ﷺ فيأتوني ولي عند الله ثلاث شفاعات وعدنيهن ، فأنطلق حتى آتي باب الجنة فآخذ بحلقة الباب فأستفتح فيفتح لي فأُحيَّا ويُرَحّبُ بي ، فإذا دخلت ونظرت إلى ربي ﷻ على عرشه خررت له ساجداً فأسجد ما شاء الله أن أسجد ويأذن لي في محامده وتمجيده وحسن الثناء عليه ما لم يأذن به[8] لأحد من خلقه حتى يقول : ارفع رأسك (يا محمد)[9] اشفع تشفع وسل

---

(١) المصراعان -بكسر الميم- : جانبا الباب . شرح النووي على مسلم (٣/٦٩) .

(٢) هجر -بفتح الهاء والجيم- : قال محمد بن محمد حسن شراب : "عند ياقوت : هجر : مدينة ، وهي قاعدة البحرين .. أقول : وليست من البحرين المعروفة الآن سياسياً ، في داخل الخليج العربي ، ولكن البحرين كانت تطلق على المنطقة الشرقية من السعودية وقاعدتها هجر : وهي الأحساء" . المعالم الأثيرة ص٢٩٣ .

(٣) بُصرى -فبضم الباء- :كانت كبرى مدن حوران ، وهي معروفة اليوم في أراضي الجمهورية السورية ، وبها آثار . انظر : شرح النووي على مسلم (٣/٦٩) ، المعالم الأثيرة ص٤٩ .

(٤) أخرجه البخاري (٦/٨٤) ، كتاب تفسير القرآن ، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣] ، ح٤٧١٢ ؛ ومسلم (١/١٨٤) ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، ح١٩٤ ؛ والترمذي (٤/٦٢٢) ح٢٤٣٤ .

(٥) قال ابن الأثير في النهاية (٣/٧٩١) : "هكذا فُسّر في الحديث ولعله من الفحص : البسط والكشف" .

(٦) "لي" ليس في ب .

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/٢٦٦-٢٦٧) .

(٨) في ب "ربي" .

(٩) "يا محمد" ليس في ب .

تعطه – قال : – فأرفع رأسي فإذا نظرت إلى ربّي خررت[1] له ساجداً قال : فأفعل مثل ما فعلت في السجدة الأولى ثم يقول : ارفع رأسك يا محمد اشفع تشفع وسل تعطه[2] [ق٨٣/ظ]، فأفعل ذلك ثلاث مرات ، فيقول : ما شأنك يا محمد ، وهو أعلم ، فأقول : أي رب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة ، فيقول : قد شفعتك قد أذنت لهم في دخول الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بمنازلكم وأزواجكم منكم في الجنة إذا دخلتموها ثم أشفع فأقول[3] : أي رب فمن وقع في النار من أمتي ، فيقول : اذهبوا فمن عرفتم صورته فأخرجوه من النار ، فيخرج أولئك حتى لا يبقى أحد ثم يأذن في الشفاعة فلا يبقى نبي ولا شهيد ولا مؤمن إلا اللعّان فإنه لا يكتب شهيداً ولا يؤذن له في الشفاعة»[4] ، فهؤلاء أكابر الأنبياء الذين هم أولو العزم من الرسل نَكَلُوا عن الشفاعة واعتَذَروا وكل يقول : نفسي ، ومحمد ﷺ انتدب لها وقام ذلك المقام وقال : أنا لها وشفع وشُفعَ .

فإن قيل : عذر من لم يقم بها منهم ما ذكر من ذنبه ومحمد عرف أن أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قلنا[5] : ليس العلة في تأخّرهم ذلك وإنما هو لأن محمداً ﷺ كان مختصاً بها ، ألا ترى أن عيسى عليه السلام لما نُدب إليها امتنع ولم يذكر لنفسه ذنباً ، فدل ذلك على عظم منزلة محمد ﷺ واختصاصه وحده بالشفاعة ، ومن كبار خصائصه ﷺ ما قاله عبدالله بن سلام قال : إذا كان يوم القيامة جاء نبيكم ﷺ فيقعد بين يدي الله عز وجل على كرسيّه[6] ، وعن مجاهد في قوله تعالى : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:من الآية ٧٩] قال : يُقعده على العرش ، قال أبو بكر

---

(١) في ب "فخررت" بزيادة الفاء .

(٢) في أ "تعط" بدون الهاء .

(٣) في ب "فيقول" .

(٤) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١/٨٤) ح١٠ ، تحقيق : د. عبدالغفور البلوشي ، الطبعة الأولى ١٤١٢ ، مكتبة الإيمان ، المدينة .

(٥) في ب "قلت" .

(٦) أخرجه الخلال في السنة (١/٢١١) .

محمد بن الحسين الآجريّ[1] : حديث مجاهد في فضيلة النبي ﷺ تفسيره لهذه الآية أنه يقعده على العرش تلقاها الشيوخ من أهل العلم والنقل بحديث رسول الله ﷺ وقبلوها أحسن قبول ولم ينكروها[2] ، وصنف في ذلك الإمام أبو بكر (أحمد)[3] بن محمد بن الحجاج المروذي[4] رحمه الله كتاباً[5] سمعناه [ق٨٤/و] ببغداد على بعض شيوخنا ذكر فيه ما وقع إليه من الأحاديث المتضمنة لذلك ، ومنها ما رواه أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا أولهم خروجاً (من الأرض)[6] إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وَافدوا وأنا خطيبُهم إذا أنصَتوا وأنا مُستَشفَعُهم[7] ، إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا يئسوا ، الكرامَةُ والمنائحُ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي يطوف عليّ خدّام كأنهنّ بَيْضٌ مكنون أو[8] لؤلؤٌ منثور»[9] ، ومنها في حديث ابن عباس قال فيه : ثم يقال[10] : «يا محمد استَبِقْ إلى الجنة بأمّتك فأستفتح الباب فيقال : من أنت ، فأقول : أنا محمد بن عبدالله ، فيقول : بك أُمِرتُ لا أفتح لأحد قبلك فإن الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك»[11] وذكر أبو الربيع السِبتِي سليمان بن سَبُعٍ[12] في كتابه

---

(١) هو محمد بن الحسين بن عبد الله ، أبو بكر الآجري ، فقيه شافعي محدث ، نسبته إلى آجر من قرى بغداد ، ولد فيها ، وحدث ببغداد ، قبل سنة ٣٣٠ ثم انتقل إلى مكة ، وتوفي فيها سنة ٣٦٠ . انظر : الأعلام (٦/٩٧) .

(٢) انظر : الشريعة للأجري (٤/١٦١٢-١٦١٣) .

(٣) "أحمد" ليس في ب .

(٤) تقدم ترجمته ، انظر : ص٥١٨ .

(٥) واسمه : (المقام المحمود) وقد تقدم التعليق عليه ، انظر : ص٥١٨ .

(٦) "من الأرض" ليس في ب .

(٧) في ب "مشفعهم" .

(٨) في ب "و" .

(٩) تقدم تخريجه ، انظر : ص٥٠٤ .

(١٠) في ب "يقول" .

(١١) ذكره الدليمي في الفردوس بمأثور الخطاب (١/٣٣) ، تحقيق : السعيد بن بسيوني زغلول ، ١٤٠٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(١٢) هو أبو الربيع سليمان بن سبع –بإسكان الباء وضمها– العجميسي أو العجيسي ، ويلقب بالخطيب ، ولد بسبتة ، وبها نشأ وتعلم ، ولم أقف على من ترجم له ترجمة مستوفية فذكر ولادته ووفاته وشيوخه وتلاميذه ، ويشير ابن الأبار في كتابه التكملة – وهو يتحدث عن ترجمة أبي عبد الله محمد بن حسين بن عطية ، المعروف بابن الغازي–

خصائص محمد ﷺ[1] قال : ورد حديثُ الشفاعة من طرق كثيرة ، وفي كل طريق منها فائدة لم يتضمنها الطريق الأخرى ، وهي مشتملة على أزيد من ثلاثين فضيلة ، وذكر منها : المقام المحمود ، ولواء الحمد بيده ، تحته آدم فمن دونه ، وأنه[2] أول من يؤذن له في الكلام فيتكلم – يعني : قوله : ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ:من الآية ٣٨] **وقوله : ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾** [طه:١٠٩] **– وهو أول شفيع فيَشفَع ، وأول من تنشق عنه الأرض ، وأول من يكسى من حُلل الجنة ، وأول من يركب البراق ، وأول من يقرع باب الجنة فيفتح له ، و[3] أول من ينظر إلى رب العالمين ، واختصاصه بالسجود لرب العزة أمام العرش وبديع ما يفتح الله عليه من تحميد ربه في سجوده والثناء عليه بما لم يفتحه على أحد قبله ولا بعده ، وقد تقدم أشياء من ذلك ، ومنها قول الله سبحانه : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع مرة بعد مرة في تكرار الشفاعة ، ومنها : أن الأنبياء يؤتون**

إلى أنه روى عن جده لأمه سليمان بن سبع الخطيب ، كما أخذ عن جماعة من شيوخ الأندلس والعدوة وأنه توفي في بضع وتسعين وخمسمائة .

ويمكن أن نستخلص من هذا النص ما يلي :

أن ابن سبع عمر طويلاً حتى ألحق الأحفاد بالأجداد ، فهو قد عاش النصف الأخير من المائة الخامسة للهجرة ، وأوائل السادسة ، وإذا كان حفيده وتلميذه ابن الغازي قد ولد في حدود أوائل المائة السادسة ، وتوفي في بضع وتسعين منها ، أو على الأصح سنة ٥٩١ ، فلا يجوز أن يسمع من جده ابن سبع إلا بعد أن تصل سنه ١٦ على الأقل ، فإذا أضفنا إلى ذلك ما يذكره ابن سبع نفسه في مقدمة كتابه (شفاء الصدور) من أنه قضى في جمعه قرابة ثلاثين سنة أو تزيد ، والشأن أن لا يتصدى العلماء للتأليف ، إلا بعد أن تصل أعمارهم نحو الأربعين ؛ فيجوز لنا أن نزعم بأن ابن سبع ، ولد في حدود ٤٤٠ هـ ، وتوفي في نحو ٥٢٠ هـ ، وقد عاش نيفاً وثمانين سنة ؛ ويذكر الأنصاري في اختصار الأخبار أنه دفن في الربض الأسفل من سبتة – بصحن جامع التبانين – حيث تقام الجمعة ، وربما كان خطيباً هناك . انظر : أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه : أبو الربيع سليمان ابن سبع السبتي -١- ، سعيد أحمد عراب ، مجلة دعوة الحق – العدد ٢٠٠ ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية .

(١) اسم كتابه (شفاء الصدور في أعلام نبوة الرسول وخصائصه) . انظر : المصدر السابق .

(٢) في ب "ولأنه" .

(٣) في ب "في" ، وهو خطأ .

فيُسألون[1] أن يشفع لهم إلى ربهم ليريحهم من غمهم وعرقهم وطول وقوفهم في المحشر فيجاب إلى ذلك ، وقد تبرَّأ منها كل نبي وأحال بها على غيره حتى تصل إليه [ق٨٤/ظ] فيقول : «أنا لها»[2] ، ومنها : شفاعته فيمن لا حساب عليه كما في الحديث يقول له : «يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن ثم هم شركاء الناس فيما سوى ذلك»[3] ، ومنها : شفاعته فيمن أدخل النار مرة بعد مرة ، ثم يشفع فيمن عرفت صورته ، ثم فيمن كان في قلبه مثقال دينار من الإيمان ، ومثقال ثلثي دينار ، ومثقال نصف دينار ، ومثقال[4] ثلث دينار ، وقيراط[5] ودانق[6] وشعيرة وحبة وخردلة وبعوضة وذرة وأدنى أدنى (أدنى)[7] حبة خردل من الإيمان إلى غير ذلك ، وكل ذلك يُجاب ويشفّع فيخرجهم من النار ويدخلهم الجنة ، فجملة الشفاعة خمسة مقامات : المقام الأول : في أهل الموقف لفصل القضاء وهي الشفاعة العظمى وهي من خصائصه ﷺ ، والمقام الثاني : في من يدخل الجنة بغير حساب وهي من خصائصه أيضاً ﷺ ، [و][8] المقام الثالث : فيمن يخرج من النّار وابتداؤها له ﷺ فإنه أول شافع وأول مشفع كما سَبَق ، المقام الرابع : فيمن يدخل الجنة واختصاصه منها أنه لا يدخل

---

(١) في ب "يأتونه فيسألونه" بزيادة الهاء ، وهو خطأ .

(٢) تقدم تخريجه ، انظر : ص٤٠٦ .

(٣) تقدم تخريجه ، انظر : ٥٧٧-٥٧٨ .

(٤) في ب "مقدار" .

(٥) القيراط : جزء من أجزاء الدينار وهو نصف عُشْره في أكثر البلاد ، وأهل الشام يجعلونه جُزءًا من أربعة وعشرين ، ونظراً إلى أن أكثر أهل العلم يعتبرون القيراط نصف عشر الدينار فجرى الأخذ بذلك ، وذكر الدكتور محمد الخاروف في تحقيقه لكتاب ابن رفعه أن وزن الدينار = ٤,٢٥ جراماً ، فيكون وزن القيراط = ٠,٢١٢٥ جرام من الذهب . انظر : النهاية (٤/٦٤) ، مجلة البحوث الإسلامية — العدد ٥٩ ، ص١٩٢ ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ، المملكة العربية السعودية .

(٦) الدانق —بفتح النون وكسرها— معرَّب من الأوزان ، وهو سدس الدينار والدرهم ، ويكون وزنه في المقادير المعاصرة =٠,٧٠٨ جراماً من الذهب . انظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/٢٠١) ، لسان العرب (١٠/١٠٥) ، مجلة البحوث الإسلامية —العدد ٣٩ ، ص٢٨٠ ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ، المملكة العربية السعودية .

(٧) "أدنى" الثالث ليس في ب .

(٨) "و" زيادة من ب .

الجنة أحد بالشفاعة أكثر ممن يدخلها بشفاعته ، المقام الخامس : شفاعته في قوم لرفع درجاتهم من الجنة ، ومن خصائصه ﷺ أنه أعظم الخلق ثواباً ، وذلك أنه أكثر الأنبياء تابعاً واهتدى به من الخلق أكثر ممن اهتدى بغيره من الأنبياء ، فإن أمته ثلثا أهل الجنة كما في الحديث أن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً منها هذه الأمة ثمانون صفاً[1] ، فله أجره المختصّ به ويضاف إليه مثل أجر من تبعه كما في الحديث الصحيح : من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من تبعه[2] ، فهو أعظم الأنبياء أجراً وأكثرهم تابعاً وأوفرهم ثواباً ﷺ ، وموضوع هذا الكتاب أنه لم يكن لنبي من الأنبياء معجزة أو فضيلة إلا ولمحمد [ق٨٥/و] ﷺ من جنسها ما هو أكمل منها أو مثلها ، وأنه اختص بأشياء لم يشركه فيها غيره كما قد ذكرناه[3] في أماكنه والله يختص بفضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فصل

المنهج في ذكر الأحاديث الضعيفة في الكتاب

كُلُما في هذا الكتاب من حديث فيه ضعف أو وهن فالعمدة إنما[4] (هي)[5] على ما ثبت من جنسه من آيةٍ أو خبر ، وإنما ذكرناه[6] لما عساه يكون فيه من فائدة إما توضيح معنى أو زيادة بيان كما يذكره أهل الحديث من الشواهد والمُتابَعات ، أو كما يقول الفقهاء في مثله : هذا سند الدليل ، على أنّا لو أتينا بكل ما ورد في خصائصه وفضائله ﷺ من ذلك لاجتمع عنه مجلدات لكن نبهنا بهذا القدر على ما وراءهُ ، والله أعلم .

---

(١) أخرجه أحمد (٣٤٩/٧) ح٤٣٢٨ ، قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "حديث صحيح لغيره" .

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٥٩/٤) ، بنحوه في كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ، ح١٠١٧ .

(٣) في ب "ذكرنا" بدون الهاء .

(٤) في ب "لهما" .

(٥) "هي" ليس في ب .

(٦) في ب "ذكرنا" بدون الهاء .

فصل

صفة الصلاة على النبي ﷺ وفضلها

وقد قدّمنا فصلاً لطيفاً في ذكر الصلاة عليه وفضلها ، ونذكر هاهنا طرفاً آخر[1] نختم به الكتاب ليكون مشحوناً بذكر الصلاة عليه ﷺ ، فقد روي عنه أنه قال : «لا تجعلوني كقدح الراكب – يعني : آخر الكلام – ولكن في أوله وأوسطه وآخره»[2] أو[3] كما جاء ، فمن ذلك ما رَوَى عامر بن ربيعة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي فليقلّ عبد من ذلك أو ليكثر»[4] .

فأما صفة الصلاة عليه ﷺ ففيها عدة أحاديث بصفات متنوعة منها ما روى ابن أبي ليلى قال : لقيني كعبُ بن عجرة فقال : ألا أهدي لك هدية ، خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا : يا رسول الله قد علمنا كيف السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ قال : «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على (آل)[5] إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على (آل)[6] إبراهيم إنك حميد مجيد» أخرجاه في الصحيحين على هذا اللفظ[7] ، وعن كعب بن عجرة أيضاً قال : لما نزلت : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب:من الآية ٥٦] قلنا : «يا رسول الله قد علمنا كيف السلام عليك فكيف الصلاة [ق٨٥/ظ] عليك ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل

---

(١) في ب "أطرافاً أخر" .

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٢/٢١٥) ح٣١١٧ ، والبيهقي في الشعب (٣/١٣٧) ح١٤٧٦ ، قال الألباني: "منكر" . انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٢/٦٢١) ح٥٧٨٣ .

(٣) في ب "و" .

(٤) أخرجه أحمد (٢٤/٤٥١) ح١٥٦٨٠ ، قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "حديث حسن" .

(٥) "آل" ليس في ب .

(٦) "آل" ليس في ب .

(٧) صحيح البخاري (٨/٧٧) ، كتاب الدعوات ، باب الصلاة على النبي ﷺ ، ح٦٣٥٧ ؛ صحيح مسلم (١/٣٠٥) ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ، ح٤٠٦ .

إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد»[1] ، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : «من سَرّهُ أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهلَ البيت فليقل : اللهم صَل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذرّيته وأهل بيته كما صليتَ على إبراهيم إنك حميد مجيد» رواه أبو داود[2] ؛ وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : «من قال : جزى الله محمداً نبينا ما هو أهله أتعبَ سبعين كاتباً ألف صباح ، وما صَلى عليّ أحد إلا صلى عليه سبعون ألف ملك ، ومن صلى عليّ في كل يوم مائة مرة قضيت له مائةُ حاجة منها ثلاثون للدنيا وسائرها للآخرة ، وما من مسلم صلى علي إلا رَدّ الله علي روحي حتى أرُد عليه السلام ، ومن صلى علي عشراً في أول النهار وعشراً في آخره نالته شفاعتي يوم القيامة»[3] ، وعن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له : «أكثر من الصلاة عليّ إذا مت» قال علي : فقلت[4] يا رسول الله وهل تبلغك الصلاة منا عليك بعد أن صرت رميماً ، قال : «إن الله حرم لحوم الأنبياء على الأرض أن تأكلها وأنا أكرم على الله أن يُسلطها علي ، وإن الله ﷻ قد وكل بقبري ملكاً اسمه صَلْ صائل وهو في صورة الديك مَثْنِيٌ عُنقُه تحت العرش ومَخَالِيبُه في تخوم الأرض السابعة له ثلاثة أجنحة جناح بالمشرق وجناح بالمغرب وجناح يُرَفْرِفُ به على قبري فإذا صلى عليّ العبدُ حيث كان بلّغها إليّ» وفي لفظ آخر قال : «فإذا قال العبد : اللهم صل على محمد – إلى قوله : – حميد مجيد التَقَطَها مِن فيه كما يلتَقِطُ الطَيرُ الحَبَّ ثم يقول [ق٨٦/و] : يا محمد إن فلان بن فلان من موضع كذا وكذا صلى عليك ويقرئك السلام ثم يكتبها في رق من نور بالمسك الأذفر الأبيض ويضعها عند رأسي حتى أشفع له بها يوم القيامة ويرفع له

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٣/٤٨٥) ح١٥٦١١ .

(٢) سنن أبي داود (١/٢٥٨) ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ، ح٩٨٢ ، قال الألباني : ضعيف" . ضعيف سنن أبي داود ص٧٨ ، محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الأولى ١٤١٩ ، مكتبة المعارف ، الرياض .

(٣) أخرج الجملة الأولى منه الطبراني في المعجم الكبير (١١/٢٠٦) ح١١٥٣٤ ، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٣/١٩٢) ح١٠٧٧ : "ضعيف جداً" .

(٤) في ب "فقل" .

عشرون ألف درجة ويكتب له عشرون ألف حسنة ويمحو عنه عشرون ألف سيئة ويغرس له عشرون ألف شجرة على شاطئ الكوثر» وفي الحديث طُولٌ ذكَره أبو الربيع سليمان بن سبع السبتي في كتاب الخصائص له والله أعلم بحال هذا الحديث ، وفي كتابه هذا أحاديث فيها ما فيها ، وفضيلة نبينا ﷺ لا شك فيها وخصائصه لا مِرية يَعترِيها ، وعن عمار بن ياسر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله ﷻ أعطاني مَلَكاً يقوم على قبري إذا أنا مت فلا يصلي عليّ عبد إلا قال لي : يا محمد فلان بن فلان يصلي عليك باسمه واسم أبيه فيصلي الله عليه مكانها عشراً»(1) ، وفي حديث آخر أنه قال : «إن لله تعالى ملكاً أعطاه سمع العباد فليس من عبد يصلي عليّ صلاة إلا صلّى الله عليه عشر أمثالها(2)»(3) ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر سمعنا رسول الله ﷺ يقول مراراً : «من صلّى عليّ واحدة صلى الله عليه عشراً ومن صلى علي عشراً صلى الله عليه مائةً [مرة](4) ، ومن صلى علي مائة صلى الله عليه ألفاً ، ومن صلى علي ألفاً زاحمت كتفه كتفي على باب الجنة»(5) ، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : «صلوا عليّ فإن تلك زكاة لَكُم وسَلوا لي الوسيلة» قالوا : وما الوسيلة يا رسول الله ، قال : «أعلى درجة في الجنة لا يدخلها إلا رجلٌ واحدٌ وأنا أرجو أن أكون ذلك الرجل»(6) ، وعنه أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال : «من صلى [ق٨٦/ظ] علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب»(7) ، وعن عمر بن الخطاب ﷺ

---

(١) نقله الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٦٢) ح١٧٢٩٢ عن الطبراني ، قال الألباني : "حسن" . السلسلة الصحيحة (٤/١٠٤) ح١٥٣٠ .

(٢) في ب "إلا صلى الله عليه عشراً" .

(٣) نقله السيوطي بنحوه عن الطبراني في المعجم الكبير ، وقال الألباني : "حسن" . انظر : صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/٤٣٤-٤٣٥) ح٢١٧٦ .

(٤) "مرة" زيادة من ب .

(٥) ذكره السخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ص١١٥ ، دار الريان للتراث ، الجيزة ، وقال : "ذكره صاحب الدر لمنظم لكني لم أقف على أصله إلى الآن وأحسبه موضوعاً والله أعلم" .

(٦) أخرجه البزار (١٦/٢١٨-٢١٩) ح٩٣٧٠ .

(٧) ذكره السخاوي في القول البديع ص٢٤٨ ، وقال : " رواه الطبراني في الأوسط والخطيب في شرف أصحاب الحديث وابن بشكوال وأبو الشيخ في الثواب والمستغفري في الدعوات والتيمي في الترغيب بسند ضعيف وأورده ابن الجوزي

عن النبي ﷺ أنه قال : «أكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الأغر فإن صلاتكم تعرض علي فأدعو واستغفر لكم»[1] يعني : ليلة الجمعة ويوم الجمعة ؛ وعنه ﷺ أنه قال : «الصلاة عليّ نور يوم القيامة على الصراط ، فمن صلى علي يوم جمعة ثمانين مرة غُفرت ذنوبه»[2] ، وروى البزار عن [رويفع][3] بن ثابت قال : قال رسول الله ﷺ : «من صلى على محمدٍ وقال : اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة ، وجبت له شفاعتي» ، وعنه أنه قال : «من الجفاء أن أُذكَر عند الرجل ولا يصلي عليّ»[4] ، وعن أبي هريرة ﷺ عنه قال : «من صلى علي عند قبري سمعته ، ومن صلى علي نائياً بُلِّغتُه»[5] ، وعن علي بن أبي طالب ﷺ عن النبي ﷺ قال : «ما من دعاء إلا بينه وبين الله حجاب حتى يصلي على محمد ﷺ ، فإذا صلّى على محمد ﷺ انخرق الحجاب واستجيب له ، وإذا لم يُصَل على محمد ﷺ رَجَع الدعاء»[6] ، وعن أنس بن مالك ﷺ يعني عن النبي ﷺ : «إن أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم صلاةً عليّ في الدنيا»[7] ، وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «صلاتكم علي مُحرِزَةٌ لدعائكم ومرضاة لربكم وزكاة لأبدانكم»[8] ، وعنه ﷺ أنه قال : «من نَسِي

في الموضوعات وقال ابن كثير أنه لا يصح" .

(١) ذكره السخاوي في القول البديع ص١٦٤ وعزاه إلى ابن بشكوال ، وقال عن سنده : "ضعيف" .

(٢) أخرجه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٤٠٨/٢) ح٣٨١٣ ، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٢٧٤/٨) ح٣٨٠٤ : "ضعيف" .

(٣) في أ ، ب "ربيع بن ثابت" ، وما أثبته من مسند البزار (٢٩٩/٦) .

(٤) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٢١٧/٢) ح٣١٢١ ، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٢٢/١٠) ح٤٥١٦ : "ضعيف" .

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٤٠/٣) ح١٤٨١ ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "وهذا إنما يرويه محمد بن مروان السدي عن الأعمش ، وهو كذاب بالاتفاق ، وهذا الحديث موضوع على الأعمش بإجماعهم" . مجموع الفتاوى (٢٤١/٢٧) .

(٦) ذكره المقريزي في إمتاع الأسماع (٥٤/١١) ، والسخاوي في القول البديع ص٢٢٣ .

(٧) ذكره ابن الجوزي في بستان الواعظين ورياض السامعين ، تحقيق : أيمن البحيري ، الطبعة الثانية ١٤١٩ ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .

(٨) ذكره السخاوي بنحوه في القول البديع ص١٣٣ .

الصلاة عليّ نُسّي طريق الجنة»[1] ، وقال : «إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة وما جلس قوم مجلساً لا يصلون فيه علي إلا كان عليهم ترة يوم القيامة إن شاء عفا عنهم وإن شاء أخذهم»[2] ، وعنه ﷺ قال : «ما جلس قوم مجلساً [ق٨٧/و] فتفرقوا على غير الصلاة علي إلا تفرقوا عن أنتن من جيفة حمار»[3] ، وعنه أنه قال : «أكثركم صلاة علي أقربكم مني غداً»[4] ، وفي حديث آخر أنه قال : «لا يجلس قوم مجلساً لا يصلون فيه على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب»[5] ، وعن أبي بن كعب قال : كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربُع الليل قال : «أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه» قال أبي : يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي ، قال : «ما شئت» قال : الربع ، قال : «ما شئت وإن زدتَ فهو خير» قال : النصف ، قال : «ما شئت وإن زدت فهو خير» قال : الثلثين ، قال : «ما شئت وإن زدتَ فهو خير» قال : يا رسول الله فأجعل صلاتي كلها لك ، قال : «إذاً تُكْفَى هَمك ويغفر لك ذنبك»[6] ، وفي حديث أبي بكر ﷺ عنه ﷺ أنه قال : «من صلى علي كنت شفيعه يوم القيامة»[7] ، وروي أنه إذا كان يوم

---

(١) أخرجه ابن الأعرابي في معجمه (١/٢٠٠) ح٣٥٥ ، تحقيق وتخريج : عبدالمحسن الحسيني ، الطبعة الأولى ١٤١٨ ، دار ابن الجوزي ، الدمام ؛ وأخرجه بنحوه ابن ماجه (١/٢٩٤) ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب الصلاة على النبي ﷺ ، ح٩٠٨ ، قال الألباني : "حسن صحيح" . صحيح سنن ابن ماجه (١/٢٧٣) ح٧٩٤ .

(٢) أخرجه الترمذي بنحوه (٥/٤٦١) ح٣٣٨٠ ، وأحمد (١٦/١٩٣-١٩٤) ح١٠٢٧٧ ، قال الألباني : "صحيح" . صحيح سنن الترمذي (٣/٣٨٨) .

(٣) أخرجه البيهقي بنحوه في الشعب (٣/١٣٣) ح١٤٦٩ ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزاه إلى الطيالسي ، والبيهقي في الشعب ، والضياء –أي: ضياء الدين المقدسي في المختارة– ، من طريق جابر ﷺ ، قال الألباني : "صحيح" . انظر : صحيح الجامع الصغير (٢/٩٦٧) ح٥٥٠٦ .

(٤) أخرجه بنحوه البيهقي في الشعب (٤/٤٣٥) ح٢٧٧٣ ، وابن عساكر في تاريخه (٥٤/٣٠١) من طريق أنس ﷺ .

(٥) أخرجه أحمد بنحوه (١٦/٤٣) ح٩٩٦٤ من طريق أبي هريرة ﷺ ، قال محققوا المسند –شعيب الأرنؤوط ، عادل المرشد ، وآخرون ، بإشراف : د . عبدالله التركي– : "إسناده صحيح على شرط الشيخين" .

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٤٥٧) ح٣٥٧٨ ، وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ، والبيهقي في الشعب (٣/٨٤-٨٥) ح١٤١٨ ، وأخرجه الترمذي (٤/٦٣٦) ح٢٤٥٧ ، بلفظ : "كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام ... الحديث" ، وقال : "هذا حديث حسن".

(٧) أخرجه قاضي المارستان في أحاديث الشيوخ الثقات (٣/١١٩١) ح٥٨٩ ، تحقيق : الشريف حاتم بن عارف العوني

القيامة وضعت حسنات المؤمن وسيئاته فتنزل صُحفٌ من عند الله ﷻ بيضٌ على حسناته فترجُح حسناته على سيئاته فيقول الربّ ﷻ: هذه صلاتك على نبيّي ثقّلتُ بها ميزانك وجعلتها لك ذخيرة وقربة ؛ وحكي عن الشبلي[١] أنه قال : مات رجل من جيراني فرأيته في المنام فسألته عن حاله ، فقال : يا شبلي مرّت بي أهوال عظيمة وذلك أنه ارتج عليّ عندَ السُؤال فقلت في نفسي : من أين أُتي عليَّ ، ألم أمُتْ على الإسلام ، فنوديت هذه عثرةُ إهمالِك للسائل في الدنيا ، فلما همّ بي الملكان حال بيني وبينهما رجل جميل الشخص طيب الرائحة فذكّرني (حجتي)[٢] فذكرتها فقلتُ : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا شخص خلقت من كثرة صلاتك على محمد[٣] ﷺ وأُمرت أن أنصُرك في كل كرب[٤] ؛ وروي عن سفيان الثوري قال : خرجت حاجاً إلى بيت (الله)[٥] الحرام فبينا أنا أطوف إذا[٦] أنا بشاب متعلق بأستار الكعبة فقال : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ، فأكثر في ذلك ، قال (سفيان)[٧] : فما زلت أطوف حول البيت لا أسمع منه إلا الصلاة [ق٨٧/ظ] على محمد ﷺ حتى قضيت أسبُوعاً من الطواف فقلت : أيها الشاب اعلم رحمك الله أن هذا بيت الله وحرمه وأمنُه وقد أمر الله تعالى بمناسكه[٨] وأنا اليوم لم أفْتُرْ مِنَ الطواف ولم أسمع منك غير الصلاة على محمد ﷺ فأخبرني بقصتك فرفع الشاب بصره إليّ وقال : من أنت أيها الشيخ ؟ فقلت : أنا سفيان بن سعيد الثوري

، الطبعة الأولى ١٤٢٢ ، دار عالم الفوائد .

(١) هو دلف بن جحدر الشبلي ، ناسك ، كان في مبدأ أمره والياً في دنباوند ، وولي الحجابة للموفق العباسي ، وكان أبوه حاجب الحجاب ، ثم ترك الولاية وعكف على العبادة ، فاشتهر بالصلاح ، له شعر سلك به مسالك المتصوفة ، أصله من خراسان ، ونسبته إلى قرية (شبلة) من قرى ما وراء النهر ، ومولده بسر من رأى ، ووفاته ببغداد ، اشتهر بكنيته ، واختلف في اسمه ونسبه ، ولد سنة سنة ٢٤٧ وتوفي سنة ٣٣٤ . انظر : الأعلام (٢/٣٤١) .

(٢) "حجتي" ليس في ب .

(٣) في ب "النبي" .

(٤) ذكره السخاوي في القول البديع ص١٢٧ وعزاه إلى ابن بشكوال .

(٥) لفظ "الله" ليس في ب .

(٦) في ب "فإذا" بزيادة الفاء .

(٧) "سفيان" ليس في ب .

(٨) في ب "لمناسكه" .

، فقال الشابُ : لولا أنك من عظماء علماء أمة محمد ﷺ ما أخبرتك ، وإنها لفضيلة[1] خصّني الله بها ، أخبرك يا سفيان أني كنتُ مع أبي في حياته ، فخرجنا إلى بيت الله الحرام فبينا نحن في بعض المنازل إذ[2] مرض أبي فمات وكان ذا بَهاء ونورٍ فلم يلبث أن اسوَدَّ وجهُه وأزرَقت[3] عيناه وصار رأسه رأس حمارٍ فبقيت باهتاً حيران متعجباً أُفكر في حالِه فأقول كيف أكفنه وأدفنه في هذه الحال ؟! إذ غلبتني عيناي فنمت فبينا أنا في نومي إذا بشاب قد دَخَل عليَّ بابَ البيت لا بالطويل ولا بالقصير كث اللحية سَبط الشعر واضح الجبين رَقيق الغرتين أبيض الثياب طيب الرائحة فجلس عند رأس أبي وكشف الغطاء عن وجهه وأمدّ يده اليُمنى على رأسه ووجهه وعينيه ، فأذهب الله السواد والزرقة وعاد كما كان ورجع إلى حاله ، ثم قام الشابُ ليخرج فضربت بيدي عليه وقلت : من أنت ؟ قد مَن الله عليّ وعلى أبي بك اليوم ، فقال الشاب : أنا سيد ولد آدم ولا فخر أنا محمد بن عبدالله ، يا شاب إن أباك كان بينه وبين الله سرٌ استحق تعجيل العقوبة في دار الدنيا والعذاب في الآخرة ولكن والدك كان لا يفتر في قيامه وقعوده وطعامه وشرابه في ليله ونهاره من الصلاة عليَّ فلما نزلت ملائكة العذاب وكان من أمره ما صار تسارعت إليَّ ملائكة الرحمة الموكلون بي وقالوا : يا محمد إن فلان بن فلان قد نزلت به ملائكة العذاب فعساك أن تشفع له إلى ربّك فاستشفعت فيه فشفعني فيه ربّي بفضله وكرمه ، أفتلومني يا سفيان في إكثار الصلاة عليه وعلى أهل بيته في جميع المواطن ؟! قال سفيان [ق٨٨/و] : لا والله لا أَلُومُك وإنها لفضيلة خصّك الله بها وإنّي بعد هذا لفاعلٌ مثل ما فعلت ؛ وحكي عن القواريري قال : كان لنا جار ورّاق فمات فرؤي في المنام فقيل له : ما فعل الله بك قال : قد غفر لي ، فقيل : بماذا ، قال : كنت إذا كتبت ذكر رسول الله ﷺ في الحديث كتبتُ : ﷺ[4] ، وحكي عن محمد بن أبي سليمان قال : رأيت أبي في النوم فقلت : يا أبت ما فعل الله بك ، قال : غفر لي ، فقلت :

(١) في ب "الفضيلة" .

(٢) في ب "إذا" بزيادة الألف ، وهو خطأ .

(٣) في ب "وأن رقت" .

(٤) ذكره ابن بشكوال في القربة إلى ربّ العالمين بالصلاة على النبي ﷺ سيد المرسلين ص١٢١ ، تحقيق : حسين محمد علي شكري ، الطبعة الأولى ٢٠١٠ ، دار الكتب العلمية .

بماذا ، قال : بكتابتي الصلاة على النبي ﷺ في كل حديثٍ[1] ؛ ويحكى عن عبدالله بن عبدالحكم قال : رأيت الشافعي رحمه الله في النوم فقلتُ له : ما فعل الله بك ؟ قال : رحمني وغفر لي وزُفَّتْ إليّ الجنة كما تُزَف العروس ، فقلت : بما بلغتُ هذه الحال ؟ فقال لي قائل : بقولك بما في كتاب الرسالة من الصلاة على نبيه محمد ﷺ ، فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : قال لي : وصلى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عنهُ الغافلون ، فلما أصبحت نظرت إلى الرسالة فوجدت الأمر كذلك[2] ، وحكى المروزي قال : كنتُ أنا وأبي نتقابل بالليل[3] ... الحديث فرؤي في الموضع الذي كنا نتقابل فيه عمودَ نور بلغ عنان السماء ، فقيل : ما هذا النور ؟ فقيل : صلاتهما[4] على رسول الله ﷺ إذا تقابلا[5] ، ويحكى أن خلفاً صاحب الخلقاني قال : كان لي صَديق يطلب الحديث فتوفي فرأيته في منامي عليه ثيابٌ خُضر يَرْفُل فيها ، فقلت له : أليس كنتَ يا فلان صَدِيقاً لي وطلبَت (معي)[6] الحديث ؟ قال : بلى ، قلت : بم نلتَ هذا ؟ قال : لم يكن يَمُرُّ بي حديثٌ فيه ذِكر النبي ﷺ إلا قلت فيه : ﷺ ، فكافأني ربي بهذا[7] ؛ والأحاديثُ والآثار والحكايات والأشعار في الصلاة على النبي ﷺ كثيرة في كتب الحديث وكتب الفضائل والسير والرقائق والزهد وغيرها ، مشحونةٌ من ذلك بما لا يكاد ينحصر ، وحقوقه ﷺ [ق٨٨/ظ] عظيمة ، وخصائصه جسيمة ، ومعجزاته كبيرة ، وفضائله كثيرة .

---

(١) ذكره ابن بشكوال في القربة ص١٢٢ .

(٢) ذكره ابن بشكوال في القربة ص١٢٩ .

(٣) في ب "في الليل" .

(٤) في ب "صلاتها" .

(٥) ذكره ابن بشكوال في القربة ص١٢٢ .

(٦) "معي" ليس في ب .

(٧) ذكره ابن بشكوال في القربة ص١٢١ .

(فصل)[1]

خصيصة النبي ﷺ عند ذكر اسمه والصلاة عليه

ومن خصائصه ﷺ في ذكر اسمه والصلاة عليه من ذلك أن الرِّجل إذا خَدِرت فذُكر اسمه زال خدَرها رَوى الهيثم بن حَنَشٍ قال : كنا عند ابن عمر رضي الله عنهما فخدرت رجله ، فقال له رَجُلٌ : اذكر أحبّ الناس إليك ، فقال : يا محمد ، فكأنما نُشِطَ مِن عقال[2] ، وعن مجاهد قال : خدرت رِجْلُ رَجُل عند ابن عباس ، فقال : اذكر أحب الناس إليك ، فقال : محمد ﷺ ، فذهب خَدَرهُ[3] ، وذكر[4] بعض شيوخنا أن من صلى على محمد ﷺ عند أول عَضّةٍ يأكلُها من الفجل لم تخرج منه له في الجُشاء ريح كريهة وجرّبنا نحنُ ذلك مراراً فوجدناه كذلك .

---

(١) ما بين القوسين بياض في ب .

(٢) أخرجه ابن السني في كتاب عمل اليوم والليلة ص٨٩ ح١٧٠ ، تحقيق : بشير محمد عيون ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ ، مكتبة المؤيد ، الطائف ؛ قال الألباني : "ضعيف" . انظر : الكلم الطيب ص١٧٣ ح٢٣٦ ، لابن تيمية ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ ، مكتبة المعارف ، الرياض .

(٣) أخرجه ابن السني في كتاب عمل اليوم والليلة ص٨٨-٨٩ ح١٦٩ ، ، قال الألباني في تحقيق الكلم الطيب ص١٧٤ ح٢٣٧ : "موضوع ، أخرجه ابن السني ، فيه غياث بن إبراهيم ، قال ابن معين : كذاب خبيث ، ولذلك فإني استقبحت إيراد المؤلف إياه ، ولكنه جرى على سنن من قبله من المؤلفين في الأوراد كالإمام النووي رحمه الله تعالى ، ثم تتابع المؤلفون على ذلك كابن القيم وابن الجزري وصديق حسن خان وغيرهم ، بل لم أستحسن إيرادهم للأثر الذي قبله ، وإن كان سنده أحسن حالاً من هذا ، لأنه موقوف ، ولا هو في حكم المرفوع لما يأتي ، فلا يحتج به لو صح ، ولا سيما وبعض المبتدعة يستدلون به على جواز الاستغاثة بغير الله تبارك وتعالى ! ولقد قارب الصواب الإمام الشوكاني حين قال في تحفة الذاكرين : وليس في هذا ما يفيد أن لذلك حكم الرفع ، فقد يكون مرجع مثل هذا التجريب –ثم قال:– والمحبوب الأعظم لكل مسلم هو رسول الله ﷺ ، فينبغي ذكره كما ورد ما يفيد ذلك في كتاب الله سبحانه مثل قوله : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١] ، وكما في حديث : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين» ، قلت : لا ريب أن رسول الله ﷺ هو المحبوب الأعظم لكل مسلم ، لكن هل شرع الله لنا أن نذكره أو نناديه عند الخدر حتى يكون فعل ذلك دليلاً على حبه تعالى ؟ إن قيل : نعم ، فأين الدليل ؟! وإن قيل : لا ، فما ذكره الشوكاني من الآية والحديث حجة عليه لا له ، والله المستعان" .

(٤) في أ "فذكر" .

(فصل)[1]

فضل النبي ﷺ على غيره في الأجر

محمد ﷺ أعظم الخلق أجراً ، وذلك أنه أكثر الأنبياء تبعاً فإن من الأنبياء من لا يتبَعه إلا الرجل و [إلا][2] الرجلان كما في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : «عُرِضَت علي الأمم فرأيتُ النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحد ، إذ رفع لي سواد عظيم فقلت : هذه أمتي ، فقيل : هذا موسى (عليه السلام وقومُه)[3] ، ولكن انظر إلى الأفق فإذا سَواد عظيم ، ثم قيل لي : انظر إلى (هذا)[4] الجانب الآخر فإذا سواد عظيم ، فقيل : هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» ثم نهض النبي ﷺ فدخل منزله فخاض القوم في ذلك فقالوا : مَن هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذابٍ ، فقال بعضهم : لعلهم الذين صحبوا النبي ﷺ ، وقال بعضهم : لعلهم الذين وُلِدُوا في الإسلام ولم يُشركوا بالله شيئاً قط ، وذكروا أشياء ، فخرج النبي ﷺ فقال : «ماهذا الذي كنتم تخوضون فيه ؟» فأخبروه ، فقال : «هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ....» الحديث[5] ، وعن المختار بن فلفل عن أنس قال : قال رسول الله [ق٨٩/و] ﷺ : «يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل ويجيء النبي ومعه الرجلان ، وأنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة»[6] ، وبحَسَبِ ما يكون له من الأتباع يكون له من الأجر مضافاً إلى أجره المختص به لأنه ﷺ قال : «من دَعا إلى هُدًى فله أجره وأجر من تبعه من غير أن ينقص من أجر من تبعه شيء»[7] ، وله مثل أجر الأنبياء قبله لأن الله تعالى

---

(١) ما بين القوسين بياض في ب .

(٢) "إلا" زيادة من ب .

(٣) ما بين القوسين ليس في ب .

(٤) "هذا" ليس في ب .

(٥) أخرجه البخاري (١٢٦/٧) ، في كتاب الطب ، باب من اكتوى أو كوى غيره من لم يكتو ، ح٥٧٠٥ ؛ ومسلم (١٩٩/١) ، في كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، ح٢٢٠ .

(٦) أخرج الشطر الثاني منه مسلم (١٨٨/١) ، في كتاب الإيمان ، باب في قول النبي ﷺ : «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً» ، ح١٩٦ .

(٧) أخرجه مسلم (٢٠٦٠/٤) ، في كتاب العلم ، باب من سن حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ،

أخذ عليهم العهد لأن بُعث وهم أحياء ليَتبِعُنَّه ، فهو أعظم الأنبياء أجراً ، وأكبرهم قدراً ، وأحسنهم في الخلائق ذكراً ، وأعلاهم في الدنيا والآخرة فخراً ، وأمته أكثر الأمم يوم القيامة فإنهم ثُلثا أهل الجنة ، وله مثل أجورهم مضافاً إلى أجره المختص به ، وقد تقدم هذا المعنى غير مرة .

(فصل)[1]

خاتمة الكتاب

قد ذكرنا من خصائصه في هذا المختصر ما اشتهر ، ومن معجزاته الغُرَر ما أنافَ على الشمس والقمر ، ومن كرامة منزلته عند ربه ما حيّر البشر ، ومن جلالة قدره عند بارئه ما أذهل وبَهَر ، على أنّ وَصْفَ ما فيه من المعجزات العجيبة ، ورصف ما جمَع من المنقبات الغريبة ، لا يمكن جمعه في الدفاتر ، ويعجز حَصرُه أصحابَ المحابر ، ثم لابد من سياق معجزاته لتَثبُت النبوة وتقوم الحجة[2] ، ولا غنى عن ذكر شمائله وأخلاقه

ح٢٦٧٤ .

(١) ما بين القوسين بياض في ب .

(٢) قد أشار الإمام جمال الدين السرمري رحمه الله إلى نحو هذه الجملة في كتابه المولد الكبير (مخطوط) ورقة : ٥ ب ، فقال : "إذ لابد من ذكر المعجزات لتثبيت النبوة وقيام الحجة" ، وهذه من الجمل المشتبهة ، والتي قد يفهم منها حصر دلالة النبوة في المعجزة وهذا باطل ، بل طرق الدلالة على النبوة كثيرة متنوعة ، وهي من مقتضى رحمة الله بعباده ، ولا يلزم من أهمية دلالة المعجزة على النبوة ألا يكون في غيرها الدلالة ، وفي نقد هذا المعنى وبيان موقف أهل السنة من هذه المسألة يقول الإمام ابن أبي العز رحمه الله : "الطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات ، لكن كثيراً منهم لا يعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات ، وقرروا ذلك بطرق مضطربة ، والتزم كثير منهم إنكار خرق العادات لغير الأنبياء ، حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر ، ونحو ذلك ، ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح ، لكن الدليل غير محصور في المعجزات ، فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين ، أو أكذب الكاذبين ، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين ، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما ، وتعرف بهما ، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة ، فكيف بدعوى النبوة" إلى أن قال : "ونحن اليوم إذا علمنا بالتواتر من أحوال الأنبياء وأوليائهم وأعدائهم، علمنا يقينًا أنهم كانوا صادقين على الحق ومن وجوه متعدِّدة :
منها: أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم ، وخذلان أولئك ، وبقاء العاقبة لهم .
ومنها : ما أحدثه الله لهم من نصرهم ، وإهلاك عدوهم ، إذا عرف الوجه الذي حصل عليه ، كغرق فرعون ، وغرق قوم نوح ، وبقية أحوالهم ، عرف صدق الرسل .
ومنها : أن من عرف ما جاءت به الرسل من الشرائع وتفاصيل أحوالها ، تبين له أنهم أعلم الخلق ، وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب جاهل ، وأن فيما جاؤوا به من المصلحة والرحمة والهدى والخير ودلالة الخلق على ما ينفعهم ومنع ما

لِيُقتدى به ، ولابدّ من تبليغ أوامره ونواهيه ليطاع ، ويتم به الانتفاع ، فقد ظهرت آياته وثبتت معجزاته ، وتجلّت أقمار أخلاقه في بروج سعود سماء سماته ، وظهرت ظهورَ النيْرين أعلامُ أوامره ونواهيه في أرض الله وسماواته ، ولم يبق إلا التصديق برسالته ، والانقياد لإيالته[1] ، والاقتفاء لآدابه وسيرته ، والقيام بأعْبَاء شريعته ، والدخول في طاعته ؛ وأنشد لسان الحال بالحَقّ لا المحال :

فالآن قد تمّ هلال العلى وصار في مطلعه بَدراً[2]

هو النبي المصطفى ، والصفي المرتضى [ق٨٩/ظ] ، أصفى الخلائق سرّاً ، وأعلاهم قدراً ، وأنقاهم صدراً ، وأنورهم وجهاً ولوناً ، وأحسنهم عرنيناً[3] وعيناً ، وجبيناً وجفناً ، وأجملهم هامة وخدّاً ، وأكملهم قامة وقدّاً[4] ، وأرجحهم ميزاناً ، وأوضحهم بياناً ، وأفصحهم لساناً ، وأنورهم برهاناً ، وأوفرهم إحساناً ، وأعظمهم إيماناً ، له الأسماء المعروفة بالجمال ، والأفعال الموصوفة بالكمال ، والحركات المبنية على العدل ، والسكنات الممالة عن الطيش الرَّذل ، ماضي أمره كالمستقبل ، ووجهه لمنادي نداه يتهلَّل ، لا تنصرف فوارس نصره إلا بإضافة الأنفال ، ولا ترفع أعلام رماحه وسيوفه إلا عن دم الأبطال ، فهي من تأييد الله منصوبة على الحال ، وله ابتداء غايَةِ الاختصاص في المعرفة بالتصريف[5] والإبدال ، فالمعرفة شعاره ، والنكرة انتهاره ، والتعجُب من طيٍّ بشره ، والحكاية المستغربة رَدُّه السائل على فقره ، لقد تميّز شأنه وقصّته عن الشؤون والقصص ، وتأكّد نعته المختص بلزوم ما تمّ وإلغاءِ ما نقص ، فهو على هذا (النحو)[6]

يضرُّهم ما يبين أنه لا يصدر إلا عن راحم بر يقصد غاية الخير والمنفعة للخلق" . انظر : "شرح الطحاوية ص١٠٩-١١٦ .

(١) الإيالة : السياسة ، يقال فلان حسن الإيالة وسيئ الإيالة . النهاية (١/٢٠٦) .

(٢) ذكره الرسعني في رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٢/٤١٤) ، تحقيق : أ. د. عبدالملك بن دهيش ، الطبعة الأولى ١٤٢٩ ، مكتبة الأسدي ، مكة المكرمة .

(٣) تقدم التعليق عليه ، انظر : ص٤٧٤ .

(٤) حسن القد : أي الاعتدال والجسم . انظر : لسان العرب (٣/٣٤٣) .

(٥) في ب "بالتصرف" .

(٦) "النحو" ليس في ب .

سالم الأفعال ، منزّه عن التصغير بالنسب الشريف العال[1] ، فقد ثبت له الفضل واستقرّ واستمرّ ، أليس اسمُه أحمد عند أهل المعرفة لا ينصرف ولا يُجَرّ ، ألقابه أجمل الألقاب وأحلاها[2] ، كما أنّ أسماءه أحسن أسماء المخلوقين[3] وأسماها ، فهو مذكور في السموات والأرض بالتبجيل ، معروف في التوارة والزبور والإنجيل ، محمد وحامد ومحمود وفاتح وخاتم وهادي ومهتدي وصفي وخليل وكليم وحبيب ومختار وناصر وقائم وحافظ وعدل وحليم وحجة وبيان ومهيمن وبرهان ومطيع وواعظ وأمين ومكين وناطق وصادق أمّي عربيّ هاشميّ قرشي مضريّ أبطحيّ تهاميّ مكّيّ مدنيّ عائل غني جواد [ق٩٠/و] سخي طيب طاهر زكيّ خطيب أريب فصيح صبيح سيد إمام بَطَلٌ هُمَامٌ بارٌّ سابق مقتصد أول آخر شفيع مشفَّع محلّل محَرِّم آمِرٌ ناهٍ مبلّغ ناصح مؤدّي وليّ متوكّل ، صاحب اللّواء والتّاج ، والإسراء والمعراج ، الكريم المنتجب ، سيد العجم والعرب ، المبعوث بالتوحيد والشهادة ، والصلاة والزهد والعبادة ، والدّين الحنيف والهداية ، والدعوة العامة والرعاية ، المنعوت بالقوّة والشجاعة ، الموصوف بالنجدة والبراعة ، صاحب الحوض المورود ، والمقام المحمود ، والكرم والجود ، وهو خير والد وأشرف مولود ، وأفضل موجود في الخلق وأعز مفقود ، ذو الأصل اللُباب ، والدعاء المستجاب ، الناطق بالصواب ، الخاشع الأوّاب ، قامع الأباطيل ، وموضح الدليل ، الإسلام ملّته ، والكعبة قبلته ، والحنيفيّة السمحة شريعته ، وخير أمّة أخرجت للناس أمّته ، عند ذكره ترتاح الأرواح ، وعند رؤيته تحدث الأفراح ، وبمجالسته تنزل الرحمة ، وبمحادثته تتمّ النّعمة ، وبمتابعته تكمل العبادة ، وبطاعته تحصل السّعادة ، والأمن كُلُّه في جنابه[4] ،

---

(١) في ب "العالي" بزيادة الياء .

(٢) في ب "وأحلى" .

(٣) في ب "الأسماء" بدون "المخلوقين" .

(٤) لعله يقصد بمحبته ﷺ أو باتباع سنته، فمن رد على تقي الدين السبكي في مسألة شد الرحال بقصد زيارة قبر النبي ﷺ دون الصلاة في مسجده ، ومن قرر أن خلاف السلف في تأريخ ميلاده ﷺ يدل على أنهم لم يكونوا يجعلون ذلك موسماً للاجتماع والولائم والاحتفال في صُنع الأطعمة والأشربة والسماعات، يبعد أن يصدر منه التوسل الممنوع بالنبي ﷺ ، كيف وقد كتب بخط يده في الرؤيا التي فيها الثناء على منهج ابن تيمية في الاعتقاد ما يأتي: "وقد كنت أنكرت على بعض الفقراء التوسل بغير الله من المخلوقين" ، والله أعلم.

واليمن جميعه في انتآبه[1] ، والسلامة في التّمسّك بهديه ، والهلاك في مخالفة أمره ونهيه ، رسالته عامّة ، وإيالته تامّة ، ودعوته شاملة ، ومرتبته كاملة ، وأموره كلّها على النّظام ، وشؤونه جميعها على التّمام ، أحكامه قاطعة ، وسيوف عدله لامعة ، وآراؤه صائبة ، وآلاؤه دائبة ، وقضاياه مسدّدة ، وسراياه مؤيّدة ، وعساكره منصورة ، ومعاقلة معمورة ، أخرست فصاحتُه الألسنة ، وملأت سماحته الأمكنة ، فآياته باهرة ، ومعجزاته ظاهرة ، أكبر معجزاته القرآن ، الذي عجر عن الإتيان [ق٩٠/ظ] بسورة من مثله الثَّقلان ، ثم مسراه ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، المتضمِّن من المفاخر ما لا يُعَدُّ ولا يُحصَى ، يكفي من الإشارة فيه والذكرى ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨] ، سلّمت عليه الأحجار ، ولبَّت دعوته الأشجار ، وانشقّ له القمر المنير ، ونبع من بين أصابعه الماء النمير[2] ، وكلمته الشاة المسمومة ونطق البعير ، وسلم عليه الضب والظّبي والذئب المغير ، وحنَّ الجذع اليابس إليه ، وسبَّح الحصى في كفَّيه ، وأطعم الجيش الكثير من الطعام اليسير ، وروَّى بالماء القليل الحقير الجمَّ العظيم الغفير ، وبَركته في تمر جابر ظاهرة ، ومعجزته في سمن أمّ سُليم باهرة ، تحرّك الجبل لهيبته ، وسَكن بإشارته عن حركته ، شكى الجمل السانئ[3] إليه فشكَّاه ، ورحم تضرَّعه بين يديه وبكاه ، ضَرْعُ الشاة الحائلة بيمن[4] يمينه دَرَّ ، والبعير الحاسر[5] ببركته سَرى ومَرَّ ، ملأ بقبضةٍ من ترابٍ أعينَ الكفرة ، وأشار إلى الأصنام فخرَّت منعفرة ، أخبر بالغائبات فوقعت كما قال ، وضَرب الحجر الصلد الجلمد فانهال ، أراد الكفار قتله فما أطاقوا ، وقَصَدوا أذَاهُ فاعتاقوا ، وعمدوا إلى غرته فمُنعوا ، وبَغى السَّاحرون مضرَّته فدُفِعوا ، وُقي من شرِّ الإنس والجان ، وكُفي معرَّة[6] الهوام والحيوان ، رَدَّ عين قتادة

---

(١) هذه العبارة كسابقتها.

(٢) الماء النمير : الناجع في الري . النهاية (٥/٢٤٩) .

(٣) جاء في لسان العرب : "وتسنَّى البعير : الناقة إذا تسدَّاها وقاع عليها ليضربها" . لسان العرب (١٤/٤٠٣) .

(٤) في ب "من" .

(٥) جاء في المعجم الوسيط : "حسر الدابة : أتعبها" . انظر : المعجم الوسيط (١/١٧٢) .

(٦) المعرة : الأذى . انظر : النهاية (٣/٤٣٤) .

بعدما قلعت ، وعين عليٍّ بعدما رمدت ودمعت ، لقد كان يرى في الظلام كما يرى في الضِّياء ، وينظر مَن ورائه كما ينظر من تلقاء ، وأمَّهات هذه المفاخر قد سبقت ، وارتفعت أفنانها في مكانها وبسَقت ، وجملة القول في أحواله ، وفصل الخطاب في أقواله وأفعاله ، أنّه خير من أقلّت الغبراء ، وأشرفُ مَن أظلّت الخضراء

ماذا يقول الواصفون له — وصفاته جلّت عن الحَصْر

الأنبياء كأنجم زُهُرٍ — ومحمّد أبْهى من البدر [ق٩١/و]

سبحان من جَمع المحاسن في هذا النّبيِّ الكريم ، سبحان من منحه بالخُلق العظيم ، سبحان من نحله الجمال والجلال ، سبحان من طبعه على أكمل الخلال وأجمل الأحوال ، فلقد كان أكرمَ الناس وأجود الناس وأحلمَ الناس وأعلمَ الناس وأشرفَ الناس ، وأطيبَهم نفساً وأحسنهم عشرة ، وأعظمهم صفحاً وأكملهم فِطرة ، وأحياهم طَرفاً ، وأعطرهم عَرْفاً[1] ، لم يُؤتَ أحد من الخلق خصلة جميلة إلا وهي فيه أجمل ، ولا خُصَّ أحد بخصيصة جليلة إلا وهي عنده أجلُّ وأكمل ، مولدُه بمكة ، ومهاجَره بطَيْبة ، أُرسِل ليُتمِّم مكارم الأخلاق ، ويُبلِّغ الرسالةَ إلى الخلق في جميع الآفاق ، فقام بأعْباء الرسالة ، ونهض بأثقالها وما هالَه ، وبَلَّغ ما أُرسل به كما أُمر ، وأدَّى الأمانة إلى الخلق وما حُصِر ، ونصح الأمَّة وكشف الغُمَّة ، ودعا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعَبَد ربَّه حتى أتاه اليقين ، وقد أكمل الله تعالى له الدّين وأتَمّ عليه النّعمة ، حتى استقرّ الإيمان في نِصابه ، وحفظ الإسلام في إهابه[2] ، وضَرَب الدِّين بِجِرَانِه[3] ، وثبت على أركانه ، ثم مضى لسبيله طيّباً طاهراً نقيّاً زكيّاً ، وترك الخلق على بيضاء نقيّة ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، ولا يحيد عنها إلا ملحد ، فصلوات الله وسلامه عليه ، وتحيّاته وبركاته واصلةً إليه ، وإلى صاحبيه ، وإلى من جاهد بين يديه ، صلاةً دائمة إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

آخرُ الكتاب ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(١) العَرْف : الريح . النهاية (٣/٤٤٢) .

(٢) الإهاب : الجلد . انظر : لسان العرب (١/٢١٧) .

(٣) ضرب الدين بجرانه : أي قر قراره واستقام . انظر : النهاية (١/٧٣٨) .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وله الحمد أولاً وآخراً.

وفي ختام هذا البحث، ومن خلال دراسة منهج جمال الدين السرمري في تقرير العقيدة، يمكن استخلاص النتائج التالية:

١- نبغ جمال الدين السرمري في ظروف سياسية مضطربة من تسلط العدو والنزاعات الداخلية؛ فقد عاش في العراق ما يقارب الاثنين والأربعين سنة تحت حكم التتار، ثم عاش في دمشق في فترة تولي أولاد وأحفاد الناصر محمد، وهي الفترة التي كان الصراع على السلطة فيها على أشده.

٢- تعد الحالة الاجتماعية لعصر جمال الدين السرمري من الأحوال السيئة، فقد شهدت فوضى اجتماعية تأثراً بالحالة السياسية، ووقعت عدة مجاعات، وتفشت كثير من المنكرات بشكل علني.

٣- لم تتأثر الحالة الثقافية والعلمية في القطر العراقي رغم مافيه من زوابع وغوائل، وأما في مصر والشام فقد وجدت نهضة علمية مباركة متميزة.

٤- تبوأ الإمام جمال الدين السرمري مكانة رفيعة عند كثير ممن ترجم له، إذ نبغ في علوم شتى ، وصنَّف في أنواع كثيرة نثراً ونظماً، وخرَّج وأفاد وأملى رواية وعلماً، فخلد الأئمة ذكره، وأثنوا عليه ثناء عاطراً.

٥- اعتمد جمال الدين السرمري في التلقي والاستدلال اعتماداً مباشراً على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، فهو يعتبر الصراط المستقيم ما كان عليه النبي ﷺ والسلف الصالح.

٦- حذر جمال الدين السرمري من علم الكلام وذم أهله وبيَّن أن مصدرهم آراء الرجال وزبالة أذهانهم، فتململ من موقفه المتهالكون من أهل البدع والأهواء، ورموه بالشناعات.

٧- منهج جمال الدين السرمري في التوحيد منهج من ذهب إلى القسمة الثلاثية (الربوبية، الألوهية، الأسماء والصفات) .

٨- قرر جمال الدين السرمري أن الإيمان بوجود الله قد دلت عليه بعثة الأنبياء وآياتهم، ونفى أن يكون الدليل العقلي متقدم عليها كما يزعم أهل الكلام، وأبطل دلالة العقل من القياس في الرب على معرفة الله، وقرر أن لا يحصل للعقل من القياس في الرب إلا العلم بالسلب والعدم إذا كان القياس صحيحاً.

٩- قرر جمال الدين السرمري قول شيخ الإسلام ابن تيمية في مسألة تسلسل الحوادث، وقال بأن جنس الحوادث لا أول لها، وأن القول بأن جنس الحوادث لها أول يلزم منه أنه سبحانه كان معطلاً عن الصنع.

١٠- أجمل القول في القسم الثاني من أقسام التوحيد (الألوهية) -فيما وقفت عليه من كتبه-.

١١- وافق جمال الدين السرمري مذهب السلف في توحيد الألوهية سوى ثلاثة نصوص له في الاستشفاء بتربة قبور الصالحين وبركة الأتربة المضافة إليهم قد ذكرها في سياق حديثه عن التداوي بالأتربة وهذا من التبرك الممنوع؛ وأما مسألة التوسل الممنوع فقد كان منهجه فيها مضطرب بين منع التوسل بذوات الأولياء وذم مسلك الصوفية في ذلك على منهج شيخ الإسلام ابن تيمية ، وبين الاستعمال بأبيات في ظاهرها التوسل الممنوع بالنبي ﷺ وآله ﷺ والاستعانة بهم في حصول المنفعة ودفع المضرة.

١٢- قرر جمال الدين السرمري أن خلاف السلف في أيّ شهر ولد النبي ﷺ وفيما مضى من الشهر يدل على أن السلف لم يكونوا يجعلون ذلك موسماً للاجتماع والولائم والاحتفال في صُنع الأطعمة والأشربة والسماعات، إذ السلف كانوا أعظم الناس توقيراً ومحبة وتعظيماً للنبي ﷺ وأحرص الخلق على نشر محاسنه.

١٣- وافق جمال الدين السرمري مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية في النهي عن شد الرحال بقصد زيارة قبر النبي ﷺ دون الصلاة في مسجده.

١٤- توسع كثيراً في (توحيد الأسماء والصفات) وبسط القول في هذا النوع، بسبب أن أهل البدع في عصره قد استشرى شرهم وانتشر مذهبهم.

١٥- نهج في تقرير الأسماء والصفات تفصيلاً منهج السلف.

١٦- أجمل القول كثيراً في مسألة الإيمان بالملائكة والإيمان بالرسل -فيما وقفت عليه من كتبه-.

١٧- قرر جمال الدين السرمري الإيمان باليوم الآخر جملة وتفصيلاً، فقرر الإيمان بكل ما ورد في الكتاب والسنة من التفصيلات المتعلقة باليوم الآخر، من حياة البرزخ، والنفخ في الصور، والبعث، والحشر، والميزان، والحوض، والصراط، والجنة والنار، والشفاعة، ورؤية المؤمنين لربهم.

١٨- قرر الأصلين الذين بسبب عدم فهمهما نشأ الضلال في القدر:

-الأول: التفريق بين صفة المشيئة وصفة المحبة، وأنهما ليسا واحداً، ولا هما متلازمان.

- الثاني: التفريق بين فعل الله ومفعوله وخلقه ومخلوقه.

١٩- قرر مذهب أهل السنة والجماعة في الجمع بين الإيمان بالأحكام الشرعية والأحكام القدرية والتسليم لهما.

٢٠- قرر تأثير الأسباب في المسبَّبات وأن الله هو خالقهما، وأنه لا يجوز نسبة الانفراد بالخلق في صفة الفعل لغير الله تعالى، كما أنه لا يجوز على الضد من ذلك نفي التأثير للأشياء التي جعلها الله تعالى أسباباً ووسائط على المسبّبات.

٢١- قرر أن المقتول مات بأجله.

٢٢- منهجه في القدر التسليم والاستسلام لله تعالى في كل ما يقضيه ويقدره، وفي كل ما

يشرعه ويأمر به وينهى عنه، والتحذير من الاحتجاج بالقدر.

٢٣- حدد مفهوم الإيمان بأنه تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بكثرة العمل والطاعة، وينقص بترك العمل والمعصية.

٢٤- قرر أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بمطلق المعصية، ولا يسلب الفاسق الملِّي الإيمان بالكلية ، وأنه يُرجى للمحسن، ويُخاف على المسيء .

٢٥- قرر تولِّي جميع أصحاب النبي ﷺ ومحبتهم، والترضي عنهم، وأنهم خير القرون، أما على وجه الخصوص فمعرفة لكل فضله ومنزلته بحسب ورود النص فيه على خصوصه ، والشهادة له وفق ما جاء في هذا النص.

٢٦- قرر الإمساك عما شجر بين الصحابة ﷺ مع سلامة القلوب وكف الألسن عن الخوض في ذلك.

٢٧- قرر أن ترتيب الخلفاء الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

٢٨- قرر وجوب طاعة الأئمة في غير معصية الله، ووجوب إقامة الشعائر العامة معهم، وعدم جواز الخروج على ولاة الأمر حتى ولو جاروا وظلموا، ما لم يُرَ كفراً بواحاً فيه من الله برهان.

٢٩- قرر وجوب لزوم الجماعة والنهي عن الفرقة.

٣٠- منهجه في التعامل مع أهل الأهواء والبدع يتلخص في ضابطين:

- الأول: حراسة الدين وإبطال البدع والنفير الدائم في ذلك، وأن هذا الضابط داخل دخولاً أولياً في شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

-الثاني: مخاصمة أهل البدع وترك مجالستهم عموماً لما يترتب على ذلك من المفاسد العظيمة.

وختاماً؛ فإن الإمام جمال الدين السرمري يعد من أئمة أهل السنة الذين كان لهم دور بارز في تقرير العقيدة الصحيحة وفق قواعد وأصول سلف الأمة، كما أنه بهذا

المنهج صار سداً منيعاً في وجه من أراد النيل من تلك العقيدة أو تكدير نقائها.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناته، وأن يجمعنا به في بحبوحة جنانه، إنه جواد كريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس

أ- فهرس الآيات الكريمة.

ب- فهرس الأحاديث الشريفة.

ج- فهرس الآثار.

د- فهرس الأعلام.

هـ- فهرس الفرق والطوائف.

و- فهرس الأماكن والبقاع.

ز- فهرس المصطلحات والغريب.

ح- فهرس الأشعار والأمثال.

ط- فهرس المصادر والمراجع.

ي- فهرس المحتوى.

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾	١	٣٥٦
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٢	٣٥٦
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	١٤٧
﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾	٧	١٨٦
سورة البقرة		
﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾	٢٣	٤٠٧
﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	٣٠	٢٩٤، ٥٦٤
﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾	٣٥	٢٠٧
﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	٤٧	٢٥٦
﴿يَا مُوسَىٰ﴾	٥٥	٣٣٧
﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	٥٦	٣٩٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	٦٢	١٩٣
﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾	٧٤	٣٧٤-٣٧٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾	٧٦	٩٢، ٤٢٣- ٤٢٤
﴿لِيُحَاجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾	٧٦	٩٢
﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾	٧٧	٤٢٤
﴿ بَدِيعُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١١٧	٢٧٥
﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾	١٢٤	٣٥٢
﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾	١٢٤	٣٤٧، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٦٦
﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾	١٣٦	١٩١
﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾	٧٧	٩٢
﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾	١٢٤	٩٣
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾	١٤٣	٩٥
﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾	١٤٤	٣٩٤
﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾	١٦٤	٢٢٥
﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالْكِتَٰبِ وَالنَّبِيِّۦنَ ﴾	١٧٧	١٨٤، ١٩٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾	١٧٨	٢٤٤
﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾	١٩١	٨٤
﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾	١٩٣	٨٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾	١٩٦	٩٥
﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾	١٩٩	٣٦٩
﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾	٢٠٥	٢٢١
﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾	٢٢٠	٩٦
﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾	٢٢٥	٩٥
﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	٢٣٢	١٩٣
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾	٢٤٣	٩٤
﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾	٢٥٣	٢٥٥
﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ...﴾	٢٥٥	٤٦١
﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾	٢٥٥	٢١٠
﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾	٢٥٨	٣٤٢
﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾	٢٨٢	٩١
﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾	٢٨٣	٩١
﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ...﴾	٢٨٤ — ٢٨٦	٤٦٠
﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾	٢٨٥	١٨٤
سورة آل عمران		
﴿يَا عِيسَىٰ﴾	٥	٣٣٨
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾	١٢	٩١، ٤٢٠
﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	٢٦	٢١٨
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾	٣١	٥٩٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾	٣٢	٤٧٤
﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	٣٣ – ٣٤	٢٩٤، ٥٦٣
﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾	٣٩	٤٩٥
﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾	٤٥	٤٠٥
﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ [ق٢٧/ظ] الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾	٤٨ – ٥١	٤٠٦-٤٠٧
﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾	٥٢	٤٢٧
﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾	٥٥	٤٣٧
﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ﴾	٦٥	٥٦٥
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾	٨١	٤٠٤
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ (وَأَخَذْتُمْ) عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾	٨١	٥٧٠-٥٧١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾	١٠٢	١
﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾	١٠٣	٢٧٣
﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	١٠٥	٢٧٣
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	١١٠	٢٦٠
﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم (بِهِۦ) وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾	١٢٤ — ١٢٥	٤٦٥
﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾	١٣١	٢٠٨
﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾	١٣٣	٢٠٨
﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾	١٤٥	٩٠، ٢٢٨، ٢٣٠، ٣٧٨، ٣٧٩
﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾	١٥٤	٩٠، ٢٣٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾	١٥٦	٩٠، ٢٢٩-٢٣٠
﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ...﴾	١٥٩	٣٩٤
﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾	١٦٨	٩٠، ٢٣٠
﴿فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	١٦٨	٩٠، ٢٣٠
﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾	١٧٢	٣٦٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾	١٢٥	٥٦٦
﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾	١٤٨	٢٢٤
﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	١٥٢	٩٦
﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾	١٥٢	١٠٣
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	١٥٣	٢٧٣
سورة الأعراف		
﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ . . .﴾	٨	٢٠١
﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ⑧ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾	٨ — ٩	١٩٩
﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾	١٢	٩٣
﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	١٩	٢٠٧
﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾	٢٧	٢٠٨-٢٠٧
﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾	٣٤	٩٠، ٢٢٩
﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾	٤٠	٥٦١
﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾	٥٤	١٢٥
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾	٥٧	٢٢٥
﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾	٥٩	١٤٤
﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾	٦٠	٣٣٨
﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٦١	٣٣٨
﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾	٦٦	٣٣٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٦٧	٣٣٨
﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ ... ﴾	٨٦	٥٤٣
﴿ ويذرك وإلاهتك ﴾	١٢٧	١٤٢
﴿ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	١٢٨	٣٩٧
﴿ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾	١٢٩	٣٩٨
﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾	١٢٩	٣٩٨
﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ﴾	١٣٧	٣٨١
﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾	١٤٢	٣٨٩
﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾	١٥٧	٣٥٩
﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾	١٥٩	٤٠٣
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	١٨٠	١٧٤
سورة الأنفال		
﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾	٧	٩١، ٤٢٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾	١١٢	٣٥٩
﴿وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ﴾	١١٢	٣٥٩
﴿أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾	١٢٤	٢٣٨
﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾	١٢٨	٣٣٧
سورة يونس		
﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾	٢٦	٥٦٩
﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾	٦١	٢١٧
سورة هود		
﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾	١٤	١٢٨
﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾	٤٠	٣٣٢، ٤٢٩
﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ﴾	٤٨	٣٣٧
﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾	٧٣	١٥٣
﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾	٧٦	٣٣٧
سورة يوسف		
﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ﴾	٧	٤٦٩
﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾	١٨	٤٧١
﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾	٣٣	٤٨٤
﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾	٣٣ – ٣٤	٤٩٢-٤٩٣

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الرعد		
﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾	٢٩	٥٥٦
﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾	٣٥	١٣٦، ٢٠٨
سورة الحجر		
﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾	٥	٢٣٠
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	٩	٤٠٧
﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾	٥٠	٩١
﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾	٦٦	٢١٥
سورة النحل		
﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	١٧	١٧٧
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾	٣٦	١٩١
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾	٣٦	١٤٤
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾	٦١	٢٢٨
﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾	٧١	٢٥٥
﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ...﴾	٧٦	١٢٧
﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾	١٠٣	٣٣٩
﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾	١٠٣	٣٣٩
﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾	١٢٠	٣٤٨

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الإسراء		
﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾	١	٥٦٠
﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾	١	٤٠٣، ٥٣٢
﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾	٣	٥٧٨
﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾	٤	٢١٥
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾	٢٣	٢١٥
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾	٣٦	٩١
﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾	٣٨	٢٢١
﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾	٤٥ — ٤٦	٣٤١-٣٤٢
﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾	٥٥	٢٥٥، ٣٢٤
﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾	٥٥	٤٠٢
﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾	٦٠	٤٠٣
﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾	٧٧	٨١
﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾	٧٩	٤٠٦، ٥٧٩
﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾	٨١	٣٤٢، ٤٩١
﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾	١٠١	٣٣٨
﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾	١٠٢	٣٣٨

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الكهف		
﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾	١٣	٢٣٨
﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾	٢٣ – ٢٤	٢١٨
﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾	٤٧	١٩٩
﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾	٩٩	١٩٦
سورة مريم		
﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾	٢	٥٣٤
﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾	١٢	٣٣٨
﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾	١٦	٥٠٨، ٥٦٣
﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	٣٩	٢٠٩
﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾	٥٦ – ٥٧	٤٤١
﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾	٥٩	٣٦٥
﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾	٦٥	١٧٤
﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾	٧١	٢٠٥، ٢٠٦
﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾	٧١ – ٧٢	٢٠٤
﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾	٧٢	٢٠٥
﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾	٨٥	١٩٩
سورة طه		
﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾	١ – ٣	٣٤٨
﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾	٢	٣٤٨
﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾	٥	١٦٩
﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾	٩	٤٩٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾	١٧	٥٦١
﴿ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾	٢٥	٥٦٦
﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾	٣٩	٣٩٧
﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾	٤٤	٣٩٥
﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾	٧٢	٢١٥
﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾	٧٧	٣٨١
﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾	٨٣	٣٩٤
﴿هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾	٨٤	٣٩٤
﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾	٩٨	٢١٧
﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾	١٠٢	١٩٦، ١٩٩
﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾	١٠٩	٥٨١
﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾	١١٧	٢٠٨
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾	١٣٠	٥٢٩
سورة الأنبياء		
﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾	٢٢	١٤٢-١٤٣
﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾	٢٣	١٢٥، ١٢٦، ١٧٨
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾	٢٥	١٤٤
﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾	٢٦ — ٢٧	١٨٤
﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾	٢٨	٢١٠
﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾	٤٧	٢٠١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾	٤٧	١٩٩-٢٠٠
﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ﴾	٥١	٣٦٨
﴿كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾	٦٩	٣٤٤
سورة الحج		
﴿ثم ليقطع فلينظر﴾	١٥	٩٧
﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾	٢٩	٩٧
﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾	٤٠	٩١-٩٢، ٤٢٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ . . .﴾	٤٢	١٢٧
﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾	٧٠	٢١٧
سورة المؤمنون		
﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾	١	١٠٧، ٣٥٣
﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ (١) ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ (٢) وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ (٣) وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ (٤) وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ (٧) وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ (٨) وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ (٩) أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ (١٠) ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (١١)﴾	١ — ١١	٣٦٣
﴿لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾	٤	٣٦٣
﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾	٥	٣٦٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾	٢٠	١٩٢
﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾	٧٢	٩١
سورة الشعراء		
﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (١٧) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾	١٦ – ١٨	١٢٨
﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ (٢٩) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٣١) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾	٢٣ – ٣٣	١٢٨
﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾	٦١	٣٨١
﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) ...﴾	٧٨	٣٥٣، ٣٦٦
﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾	١٥٥	٤٤٣
سورة النمل		
﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾	١٦	٤٦٦
﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾	٨٧	١٩٧
سورة القصص		
﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾	١٢	٣٩٧
﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾	٦٨	٣١٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾	٣٧	٣٦٨
﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾	٣٨	٢١٤
﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾	٤٠	١٩٢
﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾	٥١	٣٩٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾	٥٦	٩١، ١٨٧، ٥١٥، ٥٨٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟... ﴾	٦٩	٣٩٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾	٧٠ – ٧١	١
﴿ظَلُومًا جَهُولًا ﴾	٧٢	١٠٣
سورة سبأ		
﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾	١٠	٤٤٨
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	١٠ – ١١	٤٤٨
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾	٢٨	١٩١-١٩٢، ٤٠٩
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾	٤٦	٣٦٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾	٦٥	١٤٥
﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾	٦٨	١٩٧
سورة غافر		
﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	٤	١١٧
﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾	٤٦	٩٨، ١٠٧
﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾	٦٢	٢١٩
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾	٧٨	١٩١
سورة فصلت		
﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾	١١	٩٨
﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾	١٢	٢١٥
سورة الشورى		
﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾	١٠	٧٩
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾	١١	١٧٤
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾	١٣	٢٧٣
سورة الزخرف		
﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾	٤٥	٥٤٥
﴿ونادوا يا مالِ﴾	٧٧	٩٧
سورة الدخان		
﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	١٠ – ١١	٣٨٧

الصفحة	رقمها	الآية
٩٢، ٤٢١	٢١	﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾
٤٩٤	٢٧	﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾
٩٢، ٢٤١، ٢٤٢، ٤٢١	٢٧	﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ﴾
٤٠٥	٢٩	﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ...﴾
٨٧	٢٩	﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾
٢٥٢	٢٩	﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾
		سورة الحجرات
٧٩، ٨٣	١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾
٢٤٤	٩	﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾
		سورة ق
١٩٧	٢٠	﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾
١٤٨	٣٣ – ٣٤	﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الذاريات		
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	١٤٤
سورة الطور		
﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾	٣٤	٤٠٧
سورة النجم		
﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾	٢ — ٣	٥٦١
﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾	١٣	٥٦٨
﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾	١٨	٤٠٣
﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾	١٨	٥٩٧
﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾	٣٧	٣٥٢-٩٣
﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾	٦٢	٤٥٠
سورة القمر		
﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾	١١ — ١٤	٣٣٤
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	٤٩	٢١٤
سورة الرحمن		
﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾	١٩ — ٢٠	١٩٣
﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾	٤٦	٤٨٧
سورة الحديد		
﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾	١٠	٢٥٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٤	٣٣٩، ٣٩٥
﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾	٥ — ٦	٣٣٩
سورة الحاقة		
﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾	١٣ — ١٥	١٩٧
سورة المعارج		
﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ...﴾	٢٢	٣٥٣
سورة نوح		
﴿ولا يغوثاً ويعوقاً﴾	٢٣	٩٧
﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾	٢٦	٢٩٣، ٣٣٩
سورة الجن		
﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ ...﴾	١ — ٧	٤٥٦
﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾	٩	٥٢٦-٥٢٧
سورة المزمل		
﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾	١	٣٣٧
﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	١ — ٢	٣٤٨
سورة المدثر		
﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾	١	٣٣٧
﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾	٥	٢٨١
﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾	٣١	٢٣٨

ب- فهرس الأحاديث الشريفة

الحديث	الصفحة
بُعِثتُ بجوامع الكَلِم، ونُصِرتُ بالرعب.	٤٩٨
بل أرجو أن يُخْرِجَ اللهُ من أصلابهم من يعبد الله تعالى لا يشرك به شيئاً.	١٨٨، ٣٣٢، ٤٥٣
بل عبداً رسولاً.	٣٦٣
بل قام من عندي جبريل قبل ، فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات.	٤٢٢
بم تشهد ؟ فقال : بتصديقِك يا رسول الله.	٥٣٢
بني الإسلام على خمس.	١٦٦
بينا أنا أتعجب من ذلك إذا بثلاثة نفر ظننت أن الشمس تطلع...	٥١٩
بينا أنا عند البيت – أو قال : في الحطيم – بين النائم واليقظان جاءني ثلاثة نفر.	٥٣٣
بينما أنا نائم، رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما.	٤٧٩
تربة أرضنا، بريقة بعضنا، تشفي سقيمنا، بإذن ربنا.	١٥٤
تزوجوا الودود الولود فأني مكاثر بكم الأمم.	٤٩٦
تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس.	١٠٩
تُفتح الشام ، فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبُسُّون.	٤٢٣
تقولُ العدلَ، وتُعطي الفضلَ.	٩٩، ١٠٣
تقوى الله وحسن الخلق.	١٠٩
تلك السكينة نزلت للقرآن.	٤٥٠
تلك الغُول يا أبا أسيد.	٤٥٨
تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبح الناس ينظرون إليها.	١٨٧، ٤٥٠
تمرق مارقة عند فُرقة من المسلمين يقتُلُها أولى الطائفتين بالحق.	٢٦٧
تناكحوا تكثروا فإنّي مُكاثر بكم الأمم.	٤٩٦
ثم أُتِيتُ بدابة فوق الحمار ودون البغل أبيض.	٥٣٣
ثم رُفِعَتْ لي سدرة المنتهى.	٥٣٦

الحديث	الصفحة
يخرج في هذا الأمة —ولم يقل منها— قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم.	٤٢٤
يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة.	١٠١
يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً لا يعده عداً.	٤٢٦
يكون من أمتي فرقتين فيخرج من بينهما مارقة يلي قتلَهم أولاهما بالحق.	٢٦٧
يمكث خلق أحدكم نطفة أربعين يوماً.	٢٣٠

ج- فهرس الآثار

د- فهرس الأعلام

هـ- فهرس الفرق والطوائف

و- فهرس الأماكن والبقاع

ز- فهرس المصطلحات والغريب

المصطلح	الصفحة
السلى.	٣٣٣
السمندل.	١٦٤
السهوة.	٤٥٩
الشَّمم.	٤٧٤
الشنب.	٤٧٤
شنوءة.	٥٣٦
الطَّبَق.	٣٧٨
الطيرة.	١٤٩
العر.	١١٥
العراص.	٣٧٧
العَرْف.	٥٩٨
العِرْنين.	٤٧٤
العزالي.	٣٧٦
عقيقته.	٤٧٤
عكة.	٣٨٩
العنظب.	١٣٢
العنقاء.	١٦٤
العيبة.	٣٨٣
الغلاف.	٣٨٣
الغلول.	٣٨٨
غيضة.	٤٥١
فرق الرأس.	٣٥٣
القطب.	٣٦٢
القطيف.	٣٨٥

المصطلح	الصفحة
القُفَّة.	٤٨٧
القن.	٤٩٠
القوباء.	٤١٦
القيراط.	٥٨٢
الكراديس.	٤٧٥
اللبة.	٣٨٣، ٤٧٥
لبود.	٣٣١
الماء النمير.	٥٩٧
محتداً.	٣١
مراق البطن.	٥٣٣
المسرُبة.	٤٧٤
المغفر.	٣٨٣
منجدل.	٣٦٩
المنيحة.	١٠٠
مَوَّل.	٣١٨
مِيزاب.	٣٣٥
النضار.	٢٥١
النغير.	٤٠٨
نقَّل.	٣١٨
نوَّل.	٣١٨
الهواجر.	٣٦٢
الوجبة.	٥٢١
يتحصَّل.	٣١٨

ح- فهرس الأشعار والأمثال

البيت الشعري		الصفحة
إذا سـألوه عـن دليـل مقالـه	أجاب بقـول الله فـي محكـم الـذكرِ	٧٨
أقـرُّ بـأنَّ الله جـل جلالـه	تعالى عـن التشبيه والوصـف والحصـر	١٧٥
أمـا حـوادثُ لا مبـدا لأوّلهـا	فـذاك مـن أغـرب المحكـي وأعجَبِـهِ	١٣٢
أمـينٌ مصـطفى للخـير يَدْعُـو	كضـوء البـدر زايَلَـهُ الظَّـلامُ	٤٧٦
إنَّ أباهـا وأبـا أباهـا	قـد بلغـا فـي المجـد غايتهـا	٣٩
إن قلـتَ كـان ولا علـم لديـه ولا	كـلام لا قـدرة أصـلاً كفـرتَ بـه	١٣٢
أنا ابن الـذي سـالت على الخدّ عينه	فـرُدْت بكـفّ المصـطفى أحسـن الـردِّ	٤١١
أنـت جـاري وعـدّتي ونصـيري	وعمـادي فـي شدتـي ورخائـي	١٦٠
أيا فاضلاً في سر من را حوى العلا	فكـان لـه بـدر الـدياجي مسـامرا	٣٧
بـالله يـا أنصـار ديـن محمـد	نوحـوا علـى الـدين الحنيـف وعـددوا	١٥٩
بلـى كـل ذي ديـن إلـى الله واسـل	ومـن ذلـك القيـاس الوسـيلة	١٥٦
تلـك المكـارم لا قعبـان مـن لـبن	شـيباً بمـاء فعـادا بَعْـدُ أبـوالا	٤١١
ركضـاً إلـى الله بـغير زاد	إلا التقـى وعمـل المعاد	٣٥٨
السـرمري يوسـف القـويمُ	ذكـيهم وازنـه علـوم	٤٢
صـحح تصـح لـك الأمـر جميـع	إيـاك عـن طـرق الهـداة تضـيع	١٥٨
طوبـى لمـن قتلـوه منـّا إنّـه	أبـداً مـع الشـهداء حـي يـرزق	١٥٩
علـيهم سـلامي مـا حييـت وإن أمـت	تحيـيهم عنـي عظـامي مـن قبـري	١٦٠
فـالآن قـد تـمّ هـلال العلـى	وصـار فـي مطلعـه بَـدراً	٥٩٥
فضـحت نفسـك فـي هـذا المقـال	ولم تشعر وعجت عن المرعى وأخصبه	٤٠
فـلا تجْـزَعَنْ مـن سـيرةٍ أنـت سـرتها	فـأول راضٍ سـنة مـن يسـيرها	٨١
فلـولا مكـان الشـيخ حسـان أصبحت	مدينـة سامـراء فـي غايـة الضـر	١٥٩
قـوم أتـاهم صحـيح النقـل فـاتبعوا	سبـيله وحمـوه مـن مكذبـهِ	١٦٧
لبيـك يـاحلف النهـى والسـؤدد	ومـن امتـطى بـالعلم فـوق الفرقـد	٤٢

البيت الشعري			الصفحة
ويـنفخ إسـرافيل فـي الصـور نفخـة		لصـعق وأخـرى فيـه يـنفخ للنشـر	١٨٥
يـا أيهـا المعتـدي قـولاً ومعتقـداً		علـى ابـن تيميـة ظلمـاً ومذهبـه	٤٠
يـا خيـرة الرسـل ويـا مـن لـه		فـي حضـرة القـدس المحـل الرفيـع	١٥٨
يحـاول الحشـو أنّـى كـان فهـو لـه		حثيـث سـيرٍ بشـرقٍ أو بمغربـه	١٣١
يـدور علـى التعطيـل لا دَرّ دَرُّه		بـتمويه قـولٍ فـي المـخارج مُـزْورّ	١٧٢

ط- فهرس المصادر والمراجع

١- **إغاثة اللهفان**، لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية ١٣٩٥، دار المعرفة، بيروت.

٢- **ابن تيمية السلفي**، لمحمد خليل هراس، الطبعة الأولى ١٤٠٤، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣- **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية**، لابن القيم، الطبعة الأولى ١٤٠٤، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤- **أحاديث الشيوخ الثقات**، لقاضي مارستان، تحقيق: الشريف حاتم بن عارف العوني، الطبعة الأولى ١٤٢٢، دار عالم الفوائد.

٥- **الأحاديث المختارة**، للضياء المقدسي، تحقيق: عبدالملك بن دهيش، الطبعة الأولى ١٤١٠، مكتبة النهضة، مكة

٦- **إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة**، لجمال الدين السرمري، تحقيق: أبي عبدالله حسين بن عكاشة رمضان، الطبعة الأولى ١٤٢٧، دار الكيان، الرياض.

٧- **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، لأبي الحسن الماوردي، تحقيق: د. أحمد مبارك البغدادي، الطبعة الأولى ١٤٠٩، دار ابن قتيبة، الكويت.

٨- **الإحكام في أصول الأحكام**، للآمدي، تحقيق د. سيد الجميلي، الطبعة الأولى ١٤٠٤، دار الكتاب العربي، بيروت.

٩- **اختصار علوم الحديث**، لابن كثير، تحقيق: أحمد شاكر، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠-**آداب الزفاف في السنة المطهرة**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٠٩، المكتب الإسلامي، بيروت.

١١-**الآداب الشرعية**، لابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، الطبعة الثالثة ١٤١٩، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٢-**الأربعون الصحيحة**، للسرمري، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الطبعة الأولى ١٤٢١، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق وعَمان.

١٣-**إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، للقسطلاني، الطبعة السابعة ١٣٢٣، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر.

١٤-**إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**، للشوكاني، تحقيق أحمد عزو عناية، الطبعة الأولى ١٤١٩، دار الكتاب العربي.

١٥-**إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، لمحمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثانية ١٤٠٥، المكتب الإسلامية ، بيروت.

١٦-**الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، لابن عبدالبر، تحقيق: علي البجاوي، الطبعة الأولى ١٤١٢، دار الجيل، بيروت.

١٧-**أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لابن الأثير، تحقيق: علي معوض و عادل عبدالموجود، الطبعة الأولى ١٤١٥، دار الكتب العلمية.

١٨-**الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، لمحمد أبو شهبة، الطبعة الرابعة، مكتبة السنة.

١٩-**أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ**، لعلي الصلابي، مكتبة الصحابة، الإمارات، ١٤٢٥.

٢٠-**أسمى المناقب في تهذيب أسنى المطالب**، لابن الجزري، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ١٤٠٣، بيروت.

٢١-**الإصابة في تمييز الصحابة**، لابن حجر، تحقيق: علي البجاوي، الطبعة الأولى ١٤١٢، دار الجيل، بيروت.

٢٢-**إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد**، لصالح الفوزان، الطبعة الثالثة ١٤٢٣، مؤسسة الرسالة.

٢٣-**الاعتصام**، للإمام الشاطبي، تحقيق: د.هشام الصيني، الطبعة الأولى ١٤٢٩، دار ابن الجوزي، الدمام.

٢٤-**الاعتقاد إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث**، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، الطبعة الأولى ١٤٠١، دار الآفاق الجديدة، بيروت

٢٥-**إعراب القرآن وبيانه**، لمحي الدين درويش، الطبعة الرابعة ١٤١٥، دار الإرشاد، حمص.

٢٦-**الأعلام**، للإمام الزركلي، الطبعة الخامسة عشر، عام ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين.

٢٧-**إعلام الموقعين عن رب العالمين**، لابن القيم، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

٢٨-**الاقتصاد في الاعتقاد**، لعبدالغني المقدسي، تحقيق: أحمد الغامدي، الطبعة الأولى ١٤١٤، مكتبة العلوم والحكم، المدينة.

٢٩-**اقتضاء الصراط المستقيم**، لابن تيمية، تحقيق: د. ناصر العقل، الطبعة السابعة ١٤١٩، دار عالم الكتب، بيروت.

٣٠-**أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه:** أبو الربيع سليمان ابن سبع السبتي -١-، لسعيد أحمد عراب، مجلة دعوة الحق - العدد ٢٠٠، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

٣١-**الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء**، للكلاعي، تحقيق: د. محمد كمال الدين، الطبعة الأولى ١٤١٧، عالم الكتب، بيروت.

٣٢-**الإكمال**، للحافظ ابن ماكولا، الطبعة الثانية ١٩٩٣م، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٣٣-**إكمال الأعلام بتثليث الكلام**، لمحمد الطائي الجياني، تحقيق: سعد الغامدي، ١٤٠٤، جامعة أم القرى، مكة.

٣٤-**الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة**، لأبي بكر الحازمي، تحقيق: حمد الجاسر، ١٤١٥، دار اليمامة.

٣٥-**أمالي المحاملي**، تحقيق وتخريج: د. إبراهيم القيسي، الطبعة الأولى ١٤١٢، دار ابن القيم، الدمام.

٣٦-**إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، لتقي الدين المقريزي، تحقيق: محمد عبدالحميد النميسي، الطبعة الأولى ١٤٢٠، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٧-**الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع**، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: ذيب القحطاني، ١٤٠٩، مطابع الرشيد.

٣٨-**إنباء الغمر بأبناء العمر** ، لابن حجر، تحقيق: د. محمد عبدالمعيد خان، الطبعة الثانية ١٤٠٦، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٩-**إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**، للبوصيري، تحقيق: دار المشكاة، الطبعة الأولى ١٤٢٠، دار الوطن.

٤٠-**الأنساب**، للإمام السمعاني، تعليق: عبدالله البارودي، الطبعة الأولى ١٤٠٨، دار جنان.

٤١-**الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**، للباقلاني، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، الطبعة الثانية ١٤٢١، المكتبة الأزهرية، مصر.

٤٢-**إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، للباباني، تحقيق: رفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٣-**الإيمان والرد على أهل البدع**، لعبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، الطبعة الثالثة ١٤١٢، دار العاصمة، الرياض.

٤٤-**الباعث على إنكار البدع والحوادث**، لأبي شامة المقدسي، تحقيق: عثمان أحمد عنبر، الطبعة الأولى ١٣٩٨، دار الهدى، القاهرة.

٤٥-**البحر الرائق شرح كنز الدقائق**، لابن نجيم الحنفي، الطبعة الأولى ١٤١٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٦-**بحر العلوم**، لأبي الليث السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

٤٧-**بدائع الفوائد**، لابن القيم، تحقيق: هشام عطا و عادل العدوي وأشرف أحمد، الطبعة الأولى ١٤١٦، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة.

٤٨-**البداية والنهاية**، لابن كثير، تحقيق: علي شيري ، الطبعة الأولى ١٤٠٨، دار إحياء التراث العربي.

٤٩-**البدر الطالع**، للشوكاني، الطبعة الأولى ١٤١٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٠-**براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة**، لبكر أبو زيد، الطبعة الثانية ١٤٠٨، إدارة المطبوعات بوزارة الإعلام، الرياض.

٥١-**بستان الواعظين ورياض السامعين**، لابن الجوزي، تحقيق: أيمن البحيري، الطبعة الثانية ١٤١٩، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

٥٢-**بلوغ المُنى والظفر في بيان لاعدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**، لجار الله محمد بن عبدالعزيز ابن فهد، تحقيق: أحمد المصلحي، الطبعة الأولى ١٤١٧، دار الأندلس الخضراء، جدة.

٥٣-**بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى ١٣٩٢، مطبعة الحكومة، مكة.

٥٤-**تاج العروس من جواهر القاموس**، للمرتضى الزبيدي، دار الهداية.

٥٥-**تاريخ ابن قاضي شهبة**، تحقيق : عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٩٤م.

٥٦-**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، لشمس الدين الذهبي، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري، الطبعة الأولى ١٤٠٧، دار الكتاب العربي، بيروت.

٥٧-**تاريخ الأمم والملوك**، لأبي جعفر الطبري، الطبعة الأولى ١٤٠٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٨-**تاريخ الخلفاء**، لعبدالرحمن السيوطي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، الطبعة الأولى ١٣٧١، مطبعة السعادة، مصر.

٥٩-**تاريخ العراق بين احتلالين**، لعباس العزاوي، مطبعة بغداد، ١٣٥٣.

٦٠-**التاريخ الكبير**، لمحمد بن إسماعيل البخاري، طبع تحت مراقبة: محمد عبدالمعيد خان،

دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد.

٦١-**تاريخ بغداد**، للخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى ١٤٢٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٦٢-**تاريخ دمشق**، لابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، ١٤١٥، دار الفكر.

٦٣-**التبرك أنواعه وأحكامه**، لناصر الجديع، الطبعة الخامسة ١٤٢١، مكتبة الرشد، الرياض.

٦٤-**التبيان لبديعة البيان**، لابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق حسين بن عكاشة، الطبعة الأولى ١٤٢٩، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.

٦٥-**تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، لمحمد بن الطاهر بن عاشور، ١٩٨٤م، الدار التونسية، تونس.

٦٦-**تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، لمحمد المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٧-**التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار**، لابن رجب الحنبلي، ١٣٩٩، مكتبة دار البيان، دمشق.

٦٨-**التدمرية**، لابن تيمية، تحقيق: د. محمد السعوي، الطبعة السادسة ١٤٢١، مكتبة العبيكان، الرياض.

٦٩-**التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، للإمام القرطبي، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، الطبعة الأولى ١٤٢٥، دار المنهاج، الرياض.

٧٠-**التراتيب الإدارية**، لعبد الحي الكتاني، دار الكتاب العربي، بيروت .

٧١-**الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، لأبي محمد المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى ١٤١٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٢-**تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة**، لصالح آل عثيمين، تحقيق: بكر أبو زيد، الطبعة الأولى ١٤٢١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧٣-**التعريفات**، لعلي الجرجاني، تحقيق : إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى ١٤٠٥، دار الكتاب العربي، بيروت.

٧٤-**تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية ١٤٢٠، دار طيبة.

٧٥-**تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم**، لمحمد بن أبي نصر فتوح الأزدي الحميدي، تحقيق: زبيدة محمد سعيد، الطبعة الأولى ١٤١٥، مكتبة السنة، القاهرة.

٧٦-**تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: أحمد فريد، الطبعة الأولى ١٤٢٤، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٧-**تقريب التهذيب**، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، ١٤٠٦، دار الرشيد، سوريا.

٧٨-**التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد**، لمحمد بن عبدالغني البغدادي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ١٤٠٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٩-**تلبيس إبليس**، لابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢١، دار الفكر، بيروت.

٨٠-**تلخيص أحكام الجنائز**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة ١٤١٠، مكتبة المعارف، الرياض.

٨١-**تلخيص كتاب الاستغاثة – الرد على البكري –**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد على عجال، الطبعة الأولى ١٤١٧، مكتبة الغرباء، المدينة.

٨٢-**التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، لابن عبدالبر، تحقيق: مصطفى

العلوي ومحمد البكري، مؤسسة قرطبة.

٨٣-**التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**، لأبي الحسين الملطي، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، الطبعة الثانية ١٩٧٧م، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.

٨٤-**تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار**، لأبي جعفر الطبري، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

٨٥-**تهذيب التهذيب**، لابن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى ١٤٠٤، دار الفكر.

٨٦-**تهذيب الكمال**، للإمام المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى ١٤٠٠، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٨٧-**تهذيب اللغة**، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٨-**التوابين**، لابن قدامة المقدسي، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، ١٤٠٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٩-**التوسل أنواعه وأحكامه**، لمحمد ناصر الدين الألباني، تنسيق: محمد عيد عباسي، الطبعة الخامسة ١٤٠٦، المكتب الإسلامي.

٩٠-**توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم**، لابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٩١-**توضيح المقاصد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم**، لأحمد بن عيسى، الطبعة الثالثة ١٤٠٦، المكتب الإسلامي، بيروت.

٩٢-**التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في**

طريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، الطبعة الأولى ١٤٠٤، دار طيبة، الرياض.

٩٣-**تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، تحقيق: أسامة العتيبي، الطبعة الأولى ١٤٢٨، دار العصيمي، الرياض.

٩٤-**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، لعبدالرحمن السعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، الطبعة الأولى ١٤٢٠، مؤسسة الرسالة.

٩٥-**التيسير بشرح الجامع الصغير**، لزين الدين المناوي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض.

٩٦- **الثقات**، لابن حبان، تحقيق: شرف الدين أحمد، الطبعة الأولى ١٣٩٥، دار الفكر

٩٧- **تاريخ الأدب العربي**، لبروكلمان، أشرف على الترجمة: محمود فهمي جازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٩٨- **جامع البيان في تأويل القرآن**، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، الطبعة الأولى ١٤٢٠، مؤسسة الرسالة.

٩٩- **جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية**، تحقيق: محمد رشاد سالم، ١٤٠٥، دار المدني، جدة.

١٠٠-**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، للإمام البخاري، تحقيق: محمد الناصر، الطبعة الأولى ١٤٢٢، دار طوق النجاة.

١٠١-**جامع بيان العلم وفضله**، لابن عبدالبر، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤٢٤، مؤسسة الريان – دار ابن حزم.

١٠٢-**الجامع لأحكام القرآن**، لشمس الدين القرطبي، تحقيق: هشام البخاري، ١٤٢٣، دار

عالم الكتب، الرياض.

١٠٣- **الجدول في إعراب القرآن**، لمحمود صافي، الطبعة الرابعة ١٤١٨، دار الرشيد، دمشق.

١٠٤- **جزء فيه فوائد حديث أبي عمير**، لابن القاص، تحقيق: صابر البطاوي، الطبعة الأولى ١٤١٣، مكتبة السنة، القاهرة.

١٠٥- **جمهرة الأجزاء الحديثية**، اعتناء وتخريج: محمد زياد عمر تكلة، الطبعة الأولى ١٤٢١، مكتبة العبيكان، الرياض.

١٠٦- **جمهرة اللغة**، لابن دريد، تحقيق: رمزي بعلبكي، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت.

١٠٧- **الجواب الباهر في زوار المقابر**، لابن تيمية، تحقيق: سليمان الصنيع و عبدالرحمن المعلمي، ١٤٠٤، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والافتاء، الرياض.

١٠٨- **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**، لمحمد عرفه الدسوقي، تحقيق: محمد عليش، دار الفكر، بيروت.

١٠٩- **حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة**، د.جميل عبد الله المصري، الطبعة الأولى، ١٤٠٧، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة.

١١٠- **الحاوي للفتاوي**، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبداللطيف حسن عبدالرحمن، الطبعة الأولى ١٤٢١، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١١- **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**، لأبي القاسم الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، ١٤١٩، دار الراية، الرياض.

١١٢- **الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين**، لعبدالرحمن السعدي،

الطبعة الثانية ١٤٠٧، دار ابن القيم، الدمام.

١١٣- **حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين**، لعبدالرحيم السلمي، الطبعة الأولى ١٤٢١، دار المعلمة، الرياض.

١١٤- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأبي نعيم الأصبهاني، الطبعة الرابعة ١٤٠٥، دار الكتاب العربي ، بيروت.

١١٥- **الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية**، للإمام السرمري، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، الطبعة الأولى ١٤١٢، مجمع البحوث الإسلامية، الهند.

١١٦- **الخصائص الكبرى**، للإمام السيوطي، ١٤٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت

١١٧- **خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء**، للصادق بن محمد بن إبراهيم، الطبعة الأولى ١٤٢٦، دار المنهاج، الرياض.

١١٨- **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، للمحبي، ١٢٨٤، المطبعة الوهبية.

١١٩- **خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، للحافظ صفي الدين الخزرجي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، ١٤١٦، دار البشائر، بيروت.

١٢٠- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، للسمين الحلبي، تحقيق د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق.

١٢١- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالله التركي، الطبعة الأولى ١٤٢٤، مركز هجر للبحوث، القاهرة.

١٢٢- **الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**، للعليمي، تحقيق: عبدالرحمن العثيمين، الطبعة الأولى ١٤١٢، مكتبة الناشر، السعودية.

١٢٣- **درء تعارض العقل والنقل**، لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة

والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١.

١٢٤- **الدرة اليتيمة والمحجة المستقيمة**، ليحيى الصرصري، تحقيق: جاسم الدوسري، الطبعة الأولى ١٤٢٤، دار ابن حزم، بيروت.

١٢٥- **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، للمقريزي، تحقيق د. محمود الجليلي، الطبعة الأولى ١٤٢٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

١٢٦- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، لابن حجر، تحقيق: محمد عبدالمعيد ضان، مجلس دائرة المعارف الثمانية، ١٣٩٢، الهند.

١٢٧- **دلائل النبوة**، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: محمد رواس قلعه جي وعبدالبر عباس، الطبعة الثانية ١٤٠٦، دار النفائس، بيروت.

١٢٨- **دلائل النبوة**، للإمام البيهقي، تحقيق: د. عبدالمعطي قلعجي، الطبعة الأولى ١٤٠٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢٩- **ذم الهوى**، لابن جوزي، تحقيق: خالد عبداللطيف السبع العلمي، الطبعة الأولى ١٤١٨، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٣٠- **ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد**، لمحمد بن أحمد الفاسي المكي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى ١٤١٠، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣١- **الذيل على طبقات الحنابلة**، لابن رجب، تحقيق: عبدالرحمن العثيمين، الطبعة الأولى ١٤٢٥، مكتبة العبيكان، الرياض.

١٣٢- **ذيل مرآة الزمان**، لليونيني، الطبعة الأولى ١٣٧٤، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد.

١٣٣- **رد المحتار على الدر المختار**، لابن عابدين، الطبعة الثانيظة ١٤١٢، دار الفكر،

بيروت.

١٣٤-**الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر**، لابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق: زهير الشاويش، الطبعة الرابعة ١٤٢٦، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عَمان.

١٣٥-**الرد على المنطقيين**، لابن تيمية، دار المعرفة، بيروت.

١٣٦-**رسالة التوحيد**، لمحمد عبده، دار الكتاب العربي ١٩٦٦م.

١٣٧-**رسالة إلى أهل الثغر**، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: عبدالله شاكر الجنيدي، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، مكتبة العلوم والحكم، دمشق.

١٣٨-**رفع النقاب عن تراجم الأصحاب**، لابن ضويان، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، الطبعة الأولى ١٤١٨، دار الفكر، بيروت.

١٣٩-**رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز**، للإمام الرسعني، تحقيق: أ. د. عبدالملك بن دهيش، الطبعة الأولى ١٤٢٩، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة.

١٤٠-**روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، لمحمود الألوسي، دار إحياء التراث، بيروت.

١٤١-**الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة**، لابن القيم، ١٣٩٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤٢-**روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، لابن القيم، ١٤١٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤٣-**الرياض الندية على شرح العقيدة الطحاوية**، تعليق: د. عبدالله عبدالرحمن الجبرين، الطبعة الأولى ١٤٣١، دار الصميعي، الرياض.

١٤٤-**زاد المسير في علم التفسير**، لابن الجوزي، الطبعة الثالثة ١٤٠٤، المكتب الإسلامية، بيروت.

١٤٥-**الزاهر في معاني كلمات الناس،** لأبي بكر الأنباري، تحقيق: د. حاتم الضامن، الطبعة الأولى ١٤١٢، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٤٦-**السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة،** لمحمد بن عبدالله بن حميد، تحقيق: بكر أبو زيد و عبدالرحمن العثيمين، الطبعة الأولى ١٤١٦، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٤٧-**سلسلة الأحاديث الصحيحة،** لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.

١٤٨-**سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة،** للإمام الألباني، الطبعة الأولى ١٤١٢، دار المعارف، الرياض.

١٤٩-**السلوك لمعرفة دول الملوك،** للمقريزي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥٠-**سمات العطاء الأدبي والفكري في القرن الثامن الهجري،** للأستاذ هلال ناجي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني - العدد ٦٣.

١٥١-**السنة،** لأبي بكر الخلال، تحقيق: د. عطية الزهراني، الطبعة الأولى ١٤١٠، دار الراية، الرياض.

١٥٢-**السنة قبل التدوين،** لمحمد عجاج الخطيب، الطبعة الثانية ١٤٠٨، مكتبة وهبة، مصر.

١٥٣-**السنة،** لابن أبي عاصم لأبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، ومعه : **ظلال الجنة في تخريج السنة،** لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٠٠، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٥٤-**سنن أبي داود،** تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت

١٥٥-**سنن الترمذي،** لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: إبراهيم عطوة، الطبعة الثانية ١٣٩٥، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

١٥٦- **سنن الدارمي**، للإمام الدارمي، تحقيق: حسن سليم، الطبعة الأولى ١٤١٢، دار المغني.

١٥٧- **السنن الصغرى**، للنسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية ١٤٠٦، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب.

١٥٨- **السنن الكبرى**، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، الطبعة الثالثة ١٤٢٤، دار الكتب العلمية، بيروت

١٥٩- **السنن الكبرى**، للبيهقي، الطبعة الأولى ١٣٤٤، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد.

١٦٠- **السنن الكبرى**، للإمام النسائي، تحقيق: حسن عبدالمنعم شلبي، الطبعة الأولى ١٤٢١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٦١- **سير أعلام النبلاء**، للإمام الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة التاسعة ١٤١٣، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٦٢- **الشامل في أصول الدين**، للجويني، تحقيق: علي النشار وفيصل عون وسهير مختار، منشأة المعارف، الاسكندرية.

١٦٣- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لابن عماد الحنبلي، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط و محمود الأرناؤوط، الطبعة الأولى ١٤١٢، دار ابن كثير، دمشق — بيروت.

١٦٤- **شرح أشعار الهذليين**، لأبي سعيد السكري، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، مكتبة دار العروبة، القاهرة.

١٦٥- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، للإمام اللالكائي، تحقيق د. أحمد الغامدي، الطبعة الرابعة ١٤١٦، دار طيبة. الرياض.

١٦٦- **شرح الأصول الخمسة**، للقاضي عبدالجبار بن أحمد، تحقيق: عبدالكريم عثمان، الطبعة الثالثة ١٤١٦، مكتبة وهبة، القاهرة.

١٦٧- **شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، لمحمد بن عبدالباقي الزرقاني، الطبعة الأولى ١٤١٧، دار الكتب العليمة، بيروت.

١٦٨- **شرح السنة**، لحسن البربهاري، تحقيق د. محمد القحطاني، الطبعة الأولى ١٤٠٨، دار ابن القيم، الدمام.

١٦٩- **شرح الشفا**، لعلي القاري، الطبعة الأولى ١٤٢١، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧٠- **شرح العقيدة التدمرية**، لعبدالرحمن البراك، إعداد: سليمان الغصن، الطبعة الأولى ١٤٢٥، دار كنوز إشبيليا، الرياض.

١٧١- **شرح العقيدة الطحاوية**، لابن أبي العز، تحقيق أحمد شاكر، ١٤١٨، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

١٧٢- **شرح العقيدة الطحاوية**، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٢٦، دار السلام.

١٧٣- **شرح اللؤلؤ في النحو**، للسرمري، تحقيق: إبراهيم حمد الدليمي، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، ١٩٩٥م.

١٧٤- **شرح المعلقات التسع**، منسوب لأبي عمرو الشيباني، تحقيق: عبدالمجيد همو، الطبعة الأولى ١٤٢٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

١٧٥- **شرح المقاصد في علم الكلام**، لسعد الدين التفتازاني، ١٤٠١، دار المعارف النعمانية، باكستان.

١٧٦- **شرح سنن أبي داود**، لبدر الدين العيني، تحقيق: أبو المنذر خالد المصري، الطبعة

الأولى ١٤٢٠، مكتبة الرشد، الرياض.

١٧٧-**شرح مشكل الآثار**، لأبي جعفر الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٤١٥، مؤسسة الرسالة.

١٧٨-**شعب الإيمان**، لإمام البيهقي، تحقيق: د.عبدالعلي عبدالحميد، الطبعة الأولى ١٤٢٣، مكتبة الرشد، الرياض.

١٧٩-**الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، للقاضي عياض، تحقيق: علي البجاوي، ١٤٠٤، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨٠-**الشمائل الشريفة**، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: حسن بن عبيد باحبيشي، دار طائر العلم.

١٨١-**الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية**، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: سيد عباس الجليمي، الطبعة الأولى ١٤١٣، المكتبة التجارية، مكة.

١٨٢-**الصارم المسلول على شاتم الرسول**، لابن تيمية، تحقيق: محمد عبدالله الحلواني ومحمد كبير أحمد شوردي، الطبعة الأولى ١٤١٧، دار ابن حزم، بيروت.

١٨٣-**الصارم المنكي في الرد على السبكي**، لابن عبدالهادي، تحقيق عقيل بن محمد اليماني، الطبعة الأولى ١٤٢٤، مؤسسة الريان، بيروت.

١٨٤-**الصحاح**، لإسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عطار، الطبعة الرابعة ١٩٩٠م، دار العلم للملايين، بيروت.

١٨٥-**صحيح الجامع الصغير وزيادته**، لمحمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: زهير الشاويش، الطبعة الثالثة ١٤٠٨، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٨٦-**صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية ١٤١٤، مؤسسة الرسالة،

بيروت.

١٨٧- **صحيح أبي داود**، للإمام الألباني، الطبعة الأولى ١٤٢٣، مؤسسة غراس، الكويت

١٨٨- **صحيح الترغيب والترهيب**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٢١، مكتبة المعارف، الرياض

١٨٩- **صحيح سنن ابن ماجه**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤١٧، مكتبة المعارف، الرياض.

١٩٠- **صحيح سنن الترمذي**، للإمام الألباني، الطبعة الأولى ١٤٢٠، مكتبة المعارف، الرياض.

١٩١- **صحيح سنن النسائي**، للإمام الألباني، الطبعة الأولى ١٤١٩، مكتبة المعارف، الرياض.

١٩٢- **صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٢٢، دار الصميعي، الرياض.

١٩٣- **صفوة الصفوة**، لابن الجوزي، تحقيق: محمود فاخوري و د. محمد رواس قلعه جي، الطبعة الثانية ١٣٩٩، دار المعرفة، بيروت.

١٩٤- **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، لابن القيم، د. علي الدخيل الله، الطبعة الثالثة ١٤١٨، دار العاصمة، الرياض.

١٩٥- **الضعفاء والمتروكون**، لابن الجوزي، تحقيق: عبدالله القاضي، الطبعة الأولى ١٤٠٦، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩٦- **ضعيف الترغيب والترهيب**، للإمام الألباني، الطبعة الأولى ١٤٢١، مكتبة المعارف.

١٩٧- **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، للإمام الألباني، الطبعة الثالثة ١٤٠٨، المكتب

الإسلامي، بيروت.

١٩٨- **ضعيف سنن ابن ماجه**، للإمام الألباني، الطبعة الأولى ١٤١٧، مكتبة المعارف، الرياض.

١٩٩- **ضعيف سنن أبي داود**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤١٩، مكتبة المعارف، الرياض.

٢٠٠- **ضعيف سنن الترمذي**، لمحمد ناصر الدين الألباني، ، الطبعة الأولى ١٤١١، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٠١- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، للإمام السخاوي، الطبعة الأولى ١٤١٢، دار الجيل، بيروت.

٢٠٢- **طبقات الأولياء**، لابن الملقن، تحقيق: نور الدين شريبه، الطبعة الثانية ١٤١٥، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٠٣- **طبقات الحنابلة**، لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

٢٠٤- **طبقات الشافعية الكبرى**، لتقي الدين السبكي، تحقيق: د.محمودالطناحي و د.عبدالفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية ١٤١٣، دار هجر.

٢٠٥- **الطبقات الكبرى**، لابن سعد، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى ١٩٦٨م، دار صادر، بيروت.

٢٠٦- **الطبقات الكبير**، لابن سعد، تحقيق: علي محمد عمر، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٠٧- **الطبقات**، لخليفة بن خياط، تحقيق: د.أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية ١٤٠٢، دار طيبة، الرياض.

٢٠٨- **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، لابن القيم، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الطبعة الثانية ١٤١٤، دار ابن القيم، الدمام.

٢٠٩- **العجالة في الأحاديث المسلسلة**، لأبي فيض محمد ياسين الفاداني المكي، الطبعة الثانية ١٩٨٥م، دار البصائر، دمشق.

٢١٠- **عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي**، د. قاسم عبده قاسم، الطبعة الأولى ١٩٨٨، الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

٢١١- **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**، لمحمد رزق سليم، الطبعة الثانية ١٣٨١، مكتبة الآداب.

٢١٢- **عقيدة السلف وأصحاب الحديث**، لأبي عثمان الصابوني، تحقيق: ناصر الجديع، الطبعة الثانية ١٤١٩، دار العاصمة، الرياض.

٢١٣- **العقيدة الطحاوية شرح وتعليق**، لمحمد ناصر الدين الألباني.

٢١٤- **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**، لابن الجوزي، تحقيق: خليل الميس، الطبعة الأولى ١٤٠٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢١٥- **العلل**، لابن أبي حاتم، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف: د.سعد الحميد و د.خالد الجريسي، الطبعة الأولى ١٤٢٧، مطابع الحميضي.

٢١٦- **العلو للعلي الغفار**، للإمام الذهبي، تحقيق: أشرف بن عبدالمقصود، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، مكتبة أضواء السلف، الرياض.

٢١٧- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، لبدر الدين العيني، ضبط وتصحيح: عبدالله عمر، الطبعة الأولى ١٤٢١، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢١٨- **عمدة الكتاب**، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: بسام الجابي، الطبعة الأولى ١٤٢٥، دار

ابن حزم.

٢١٩-**العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم،** لابن الوزير، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة ١٤١٥، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٢٠-**عيون الحكايات،** لابن الجوزي، تحقيق: عبدالعزيز سيد هاشم الغزولي، الطبعة الثانية ١٤٢٩، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢١-**غذاء الألباب شرح منظومة الآداب،** لمحمد بن أحمد السفاريني، تحقيق: محمد الخالدي، الطبعة الثانية ١٤٢٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢٢-**غريب الحديث،** لقاسم بن سلام، تحقيق: د. محمد عبدالمعيد خان، الطبعة الأولى ١٣٩٦، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٢٣-**غريب الحديث،** لابن الجوزي، تحقيق: د. عبدالمعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى ١٩٨٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢٤-**غياث الأمم والتياث الظلم،** لأبي المعالي الجويني، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم ود. مصطفى حلمي، ١٩٧٩م، دار الدعوة، الاسكندرية.

٢٢٥-**الفائق في غريب الحديث،** لمحمود الزمخشري، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعرفة، لبنان.

٢٢٦-**فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الثانية،** جمع وترتيب: أحمد بن عبدالرزاق الدويش، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية.

٢٢٧-**فتح الباري شرح صحيح البخاري،** لابن حجر ، ١٣٩٧، دار المعرفة، بيروت.

٢٢٨-**فتح القدير،** للإمام الشوكاني، الطبعة الأولى ١٤١٤، دار ابن كثير – دار الكلم الطيب، دمشق –بيروت.

٢٢٩- **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، لشمس الدين السخاوي، الطبعة الأولى ١٤٠٣، دار الكتب العلمية، لبنان.

٢٣٠- **فتوح الشام**، لأبي عبدالله الواقدي، الطبعة الأولى ١٤١٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣١- **الفتوى الحموية الكبرى**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. حمد التويجري، الطبعة الثانية ١٤٢٥، دار العصيمي، الرياض.

٢٣٢- **الفردوس بمأثور الخطاب**، لشيرويه الدليمي، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، ١٤٠٦، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣٣- **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، لعبدالقاهر بن طاهر البغدادي، الطبعة الثانية ١٩٧٧ م، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٢٣٤- **فضائل الخلفاء الراشدين وغيرهم**، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: صالح العقيل، الطبعة الأولى ١٤١٧، دار البخاري، المدينة.

٢٣٥- **فضائل الصحابة**، لأحمد بن حنبل، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، الطبعة الأولى ١٤٠٣، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٣٦- **الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط**، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت).

٢٣٧- **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، لعبدالحي الكتاني، باعتناء: إحسان عباس، الطبعة الثانية ١٩٨٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٢٣٨- **الفوائد**، لأبي القاسم تمام بن محمد، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، الطبعة الأولى

١٤١٢، مكتبة الرشد، الرياض.

٢٣٩- **القاموس المحيط**، للفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة ١٤٢٦، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٤٠- **القربة إلى رب العالمين بالصلاة على النبي ﷺ سيد المرسلين**، لابن بشكوال، تحقيق: حسين محمد علي شكري، الطبعة الأولى ٢٠١٠، دار الكتب العلمية

٢٤١- **القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه**، د. عبدالرحمن المحمود، الطبعة الثانية ١٤١٨، دار الوطن.

٢٤٢- **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، لعبدالرحمن السعدي، الطبعة الأولى ١٤٢٠، مكتبة الرشد، الرياض.

٢٤٣- **القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع**، لشمس الدين السخاوي، دار الريان للتراث، الجيزة.

٢٤٤- **القول السديد شرح كتاب التوحيد**، لعبدالرحمن السعدي، تحقيق: صبري شاهين، الطبعة الأولى ١٤٢٥، دار الثبات، الرياض.

٢٤٥- **الكامل في التاريخ**، لأبي الحسن الشيباني، تحقيق: عبدالله القاضي، الطبعة الثانية ١٤١٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤٦- **الكامل في ضعفاء الرجال**، لابن عدي، تحقيق: يحيى غزاوي، ١٤٠٩، دار الفكر، بيروت.

٢٤٧- **الكامل في ضعفاء الرجال**، لابن عدي، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، ١٤٠٨، دار الفكر، بيروت.

٢٤٨- **كتاب التوحيد**، لابن خزيمة، تحقيق: عبدالعزيز الشهوان، الطبعة الخامسة ١٤١٤،

مكتبة الرشد، الرياض.

٢٤٩- **كتاب الشريعة**، للإمام أبي بكر الآجري، تحقيق: عبدالله الدميجي، الطبعة الأولى ١٤١٨، دار الوطن، الرياض.

٢٥٠- **كتاب المجموع شرح المهذب للشيرازي**، لمحمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة.

٢٥١- **كتاب المواقف**، لعضد الدين الإيجي، تحقيق د. عبدالرحمن عميرة، الطبعة الأولى ١٩٧٧م، دار الجيل، بيروت.

٢٥٢- **كتاب الموضوعات**، لابن الجوزي، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، الطبعة الأولى ١٣٨٦، المكتبة السلفية، المدينة.

٢٥٣- **كتاب عمل اليوم والليلة**، لابن السني، تحقيق: بشير محمد عيون، الطبعة الأولى ١٤٠٧، مكتبة المؤيد، الطائف.

٢٥٤- **كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون**، ليوسف السرمري، تحقيق: شوكت بن رفقي شوكت، الطبعة الأولى ١٤٢٤، دار الأثرية بعَمان، دار المحبة بدمشق.

٢٥٥- **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، لمحمد التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، مكتبة لبنان، بيروت.

٢٥٦- **كشاف القناع عن متن الإقناع**، لمنصور البهوتي، تحقيق: لجنة بإشراف: عبدالعزيز بن قاسم، ١٤٣٠، وزارة العدل، الرياض.

٢٥٧- **كشف الظنون**، لحاجي خليفة، تحقيق: محمد شرف الدين يالتقيا ورفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٥٨- **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، لابن الجوزي، تحقيق: علي حسين النواب،

دار الوطن، الرياض.

٢٥٩- **كشف زيف التصوف وبيان حقيقته وحال حملته**، لربيع بن هادي المدخلي، الطبعة الأولى ١٤٢٧، مجالس الهدى، الجزائر.

٢٦٠- **كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام**، لسليمان بن سحمان، الطبعة الأولى ١٤٢٦، أضواء السلف، الرياض.

٢٦١- **الكشف والبيان**، لأبي إسحاق الثعلبي، تحقيق: ابن عاشور، الطبعة الأولى ١٤٢٢، دار إحياء التراث، بيروت.

٢٦٢- **الكفاية في علم الرواية**، للخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبدالله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة.

٢٦٣- **الكلم الطيب**، لابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٢٢، مكتبة المعارف، الرياض.

٢٦٤- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، للمتقي الهندي، تحقيق: بكري حياني، الطبعة الخامسة ١٤٠١، مؤسسة الرسالة.

٢٦٥- **اللؤلؤة في علم العربية وشرحها**، للسرمري، تحقيق د. أمين عبدالله سالم، الطبعة الأولى ١٤١٢، مطبعة الأمانة، مصر.

٢٦٦- **لباب التأويل في معاني التنزيل**، للخازن، ١٣٩٩، دار الفكر، بيروت.

٢٦٧- **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ**، لابن فهد، دار إحياء التراث العربي.

٢٦٨- **لسان العرب**، لابن منظور، الطبعة الأولى، دار الصادر، بيروت.

٢٦٩- **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين السواس، الطبعة الخامسة ١٤٢٠، دار ابن كثير، دمشق.

٢٧٠- **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، لشمس الدين السفاريني، الطبعة الثانية ١٤٠٢، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق.

٢٧١- **المتفق والمفترق**، للخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمد صادق الحامدي، الطبعة الأولى ١٤١٧، دار القادري، دمشق.

٢٧٢- **مجلة البحوث الإسلامية**، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية.

٢٧٣- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لنور الدين الهيثمي، ١٤٠٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٧٤- **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، ١٤١٦، مجمع الملك فهد، المدينة.

٢٧٥- **مجموع فتاوى العلامة عبدالعزيز بن باز**، جمع وترتيب: محمد الشويعر، موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

٢٧٦- **محض الصواب**، لابن المبرد، تحقيق: عبدالعزيز الفريح، الطبعة الأولى ١٤٢٠، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة.

٢٧٧- **مختار الصحاح**، لمحمد الرازي، تحقيق: محمود خاطر، ١٤١٥، مكتبة لبنان، بيروت.

٢٧٨- **مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبدالله الحاكم**، لابن الملقن، تحقيق: سعد آل حميد، الطبعة الأولى ١٤١١، دار العاصمة، الرياض.

٢٧٩- **مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين"**، لابن القيم، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٨٠- **المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل**، لبكر أبو زيد، دار العاصمة.

٢٨١- **مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات**، لابن حزم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٨٢- **المستدرك على الصحيحين**، لأبي عبدالله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبدالقدار عطا، الطبعة الأولى ١٤١١، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٨٣- **مسند أبي يعلى**، لأبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، الطبعة الأولى ١٤٠٤، دار المأمون، دمشق.

٢٨٤- **مسند إسحاق بن راهويه**، تحقيق: د. عبدالغفور البلوشي، الطبعة الأولى ١٤١٢، مكتبة الإيمان، المدينة.

٢٨٥- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الطبعة الثانية ١٤٢٠، مؤسسة الرسالة.

٢٨٦- **مسند الإمام زيد**، جمعه: عبدالعزيز بن إسحاق البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٨٧- **مسند البزار**، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة.

٢٨٨- **مسند الشاميين**، لأبي قاسم الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، الطبعة الأولى ١٤١٦، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٨٩- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، لإمام مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٩٠- **مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب ﷺ وأقواله على أبواب العلم**، لابن كثير، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، الطبعة الأولى ١٤١١، دار الوفاء، المنصورة.

٢٩١- **المسند للإمام أحمد**، شرح: أحمد شاكر، الطبعة الأولى ١٤١٦، دار الحديث، القاهرة.

٢٩٢- **مشكاة المصابيح**، لمحمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة ١٤٠٥، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٩٣- **مشيخة ابن الجوزي**، لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمد محفوظ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٢٩٤- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، لأحمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

٢٩٥- **مصنف بن أبي شيبة**، تحقيق: محمد عوامة، الطبعة الأولى ١٤٢٧، دار القبلة.

٢٩٦- **مصنف عبدالرزاق**، لأبي بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية ١٤٠٣، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٩٧- **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، لابن حجر، تنسيق: د. سعد الشثري، الطبعة الأولى ١٤١٩، دار العاصمة.

٢٩٨- **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، لحافظ الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود، الطبعة الأولى ١٤١٠، دار ابن القيم.

٢٩٩- **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة**، لمحمد بن محمد حسن شراب، الطبعة الأولى ١٤١١، دار القلم، دمشق.

٣٠٠- **معالم التنزيل**، للإمام البغوي، تحقيق: محمد النمر و عثمان ضميرية و سليمان الحرش،

الطبعة الرابعة ١٤١٧، دار طيبة.

٣٠١- **معاني القرآن**، لأبي زكريا الفراء، تحقيق: أحمد نجاتي ومحمد نجار و عبدالفتاح شلبي، دار المصرية، مصر.

٣٠٢- **معجم ابن الأعرابي**، تحقيق وتخريج: عبدالمحسن الحسيني، الطبعة الأولى ١٤١٨، دار ابن الجوزي، الدمام.

٣٠٣- **المعجم الأوسط**، للإمام الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله، ١٤١٥، دار الحرمين، القاهرة.

٣٠٤- **معجم البلدان**، لياقوت الحموي، الطبعة الثانية ١٩٥٥م، دار الصادر، بيروت.

٣٠٥- **معجم الشيوخ**، لابن عساكر، تحقيق: د.وفاء تقي الدين، الطبعة الأولى ١٤٢١، دار البشائر، دمشق.

٣٠٦- **المعجم الصغير**، للإمام الطبراني، تحقيق: محمد شكور، الطبعة الأولى ١٤٠٥، المكتب الإسلامي، بيروت.

٣٠٧- **المعجم الكبير**، لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، الطبعة الثانية ١٤٠٤، مكتبة العلوم والحكم، الموصل.

٣٠٨- **معجم المؤلفين**، لعمر كحالة، مكتبة المثنى و دار إحياء التراث، لبنان.

٣٠٩- **معجم المعاجم والمشيخات**، ليوسف المرعشلي، الطبعة الأولى ١٤٢٣، مكتبة الرشد، الرياض.

٣١٠- **المعجم الوسيط**، لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات و حامد عبدالقادر ومحمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

٣١١- **المعجم الوسيط**، الطبعة الرابعة ١٤٢٥، مكتبة الشروق الدولية، مصر.

٣١٢-**معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، لأبي عبيد البكري، تحقيق: مصطفى السقا، الطبعة الثالثة ١٤٠٣، عالم الكتب، بيروت.

٣١٣-**معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ** ، لصلاح الدين المنجد، الطبعة الأولى ١٤٠٢، دار الكتاب الجديد، لبنان ؛ وذكره باسم "شفاء الأنام في طب أهل الإسلام".

٣١٤-**معجم مشايخ أبي عبدالله محمد بن عبدالواحد بن محمد الدقاق**، لأبي عبدالله الدقاق، تحقيق: الشريف حاتم العوني، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، مكتبة الرشد، الرياض.

٣١٥-**معجم مصنفات الحنابلة**، لعبدالله بن محمد الطريقي، الطبعة الأولى ١٤٢٢.

٣١٦-**معجم معالم الحجاز**، د. عاتق البلادي، الطبعة الثانية ١٤٣١، دار مكة، مكة.

٣١٧-**معجم مقاييس اللغة**، لابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، ١٣٩٩، دار الفكر.

٣١٨-**المغازي**، لأبي عبدالله الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، الطبعة الثالثة ١٤٠٩، دار الأعلمي، بيروت.

٣١٩-**المغني في أبواب التوحيد والعدل**، لعبدالجبار الأسد آبادي، تحقيق: محمود قاسم.

٣٢٠-**مفاتيح الغيب**، للفخر الرازي، الطبعة الأولى ١٤٢١، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٢١-**مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة**، للإمام السيوطي، الطبعة الثالثة ١٣٩٩، الجامعة الإسلامية، المدينة.

٣٢٢-**مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٢٣-**المفردات في غريب القرآن**، للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.

٣٢٤-**مقالات الإسلاميين**، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: هلموت ريتر، الطبعة الثالثة، دار

إحياء التراث، بيروت

٣٢٥- **مقدمة ابن خلدون**، لولي الدين عبدالرحمن بن خلدون، تحقيق: عبدالله الدرويش، الطبعة الأولى ١٤٢٥، دار يعرب، دمشق.

٣٢٦- **المقدمة اللؤلؤة في النحو**، للسرمري، الطبعة الأولى ١٤١٠، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣٢٧- **الملل والنحل**، للشهرستاني، تحقيق: محمد كيلاني، ١٤٠٤، دار المعرفة، بيروت.

٣٢٨- **مناقب الأسد الغالب**، لابن الجزري، تحقيق طارق الطنطاوي، مكتبة القرآن، مصر

٣٢٩- **المناهل المسلسلة في الأحاديث المسلسلة**، لمحمد الأيوبي، الطبعة الأولى ١٤٠٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٣٠- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، لابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٣٥٨، دار صادر، بيروت.

٣٣١- **المنتقى من معجم شيوخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن رجب الحنبلي**، لعبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: عبدالله الكندري، الطبعة الأولى ١٤٢٦، غراس، الكويت.

٣٣٢- **منهاج السنة النبوية**، لابن تيمية، تحقيق: د.محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، مؤسسة قرطبة.

٣٣٣- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، لإمام النووي، إعداد: علي عبدالحميد أبو الخير، الطبعة الخامسة ١٤٢٠، دار الخير، بيروت.

٣٣٤- **المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد**، للعليمي، تحقيق حسن إسماعيل مروة و عبدالقادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، دار الصادر، بيروت.

٣٣٥- **منهج الإمام ابن بطة في تقرير عقيدة السلف والرد على أهل الأهواء والبدع**،

رسالة دكتوراه (مخطوط)، لحمد بن عبدالمحسن التويجري، كلية أصول الدين بالرياض، ١٤١٧.

٣٣٦- **منهج النقد في علوم الحديث**، لنور الدين عتر، الطبعة الثالثة ١٤١٨، دار الفكر، دمشق.

٣٣٧- **منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله**، لخالد بن عبداللطيف بن محمد نور، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية.

٣٣٨- **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، ليوسف بن تغري بردي الأتابكي، تحقيق: د. محمد محمد أمين، ١٩٨٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣٣٩- **موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا**، تحقيق: زياد حمدان، الطبعة الأولى ١٤١٤، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

٣٤٠- **موقف ابن تيمية من الأشاعرة**، د. عبدالرحمن المحمود، الطبعة الأولى ١٤١٥، مكتبة الرشد، الرياض.

٣٤١- **موقف خليل بن أيبك الصفدي من شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية رحمة الله تعالى عليه**، لمحمد بن عبدالله أحمد، الطبعة الأولى ١٤٢٦، أضواء السلف، الرياض.

٣٤٢- **شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ**، للنبهاني، المطبعة الميمنية، مصر، ١٣٢٣.

٣٤٣- **النبوات**، لابن تيمية، المطبعة السلفية، ١٣٨٦، القاهرة.

٣٤٤- **نزهة المجالس ومنتخب النفائس**، لعبدالرحمن الصفوري، ١٢٨٣، المطبعة الكاستلية، مصر.

٣٤٥-**نظم المتناثر من الحديث المتواتر**، لمحمد بن جعفر الكتاني، الطبعة الثانية، دار الكتب السلفية، مصر.

٣٤٦-**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، لأحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس، ١٣٨٨، دار صادر، بيروت.

٣٤٧-**النكت الأثرية على الأحاديث الجزرية**، لابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق: مشعل بن باني المطيري، الطبعة الأولى ١٤٢٢، دار ابن حزم.

٣٤٨-**نهاية الأرب في فنون الأدب**، لشهاب الدين النويري، تحقيق: مفيد قميحة وجماعة، الطبعة الأولى ١٤٢٤، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٤٩-**النهاية في الفتن والملاحم**، لابن كثير، تحقيق: محمد أحمد عبدالعزيز، الطبعة ١٤٠٨، دار الجيل، بيروت.

٣٥٠-**النهاية في غريب الحديث والأثر**، لابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي – محمود الطناحي، ١٣٩٩، المكتبة العلمية، بيروت.

٣٥١-**نهج الرشاد في نظم الاعتقاد**، للسرمري، تحقيق مطلق الجاسر، الطبعة الأولى ١٤٣٠، دار التواصل، الكويت

٣٥٢-**نيل الأوطار**، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الضابطي، الطبعة الأولى ١٤١٣، دار الحديث، مصر.

٣٥٣-**هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، للباباني، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، استانبول، سنة ١٩٥٥.

٣٥٤-**هذه هي الصوفية**، لعبدالرحمن الوكيل، الطبعة الرابعة ١٩٨٤م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٥٥- **الوافي بالوافيات**، لصلاح الدين الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ١٤٢٠، دار إحياء التراث، بيروت.

٣٥٦- **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، للإمام السخاوي، تحقيق: بشار عواد وعصام الحرستاني وأحمد الخطيمي، الطبعة الأولى ١٤١٦، مؤسسة الرسالة.

٣٥٧- **الوفا بأحوال المصطفى**، لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، الطبعة الأولى ١٣٨٦، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

ي- فهرس المحتوى



رسائل جامعية

منهج الإمام جمال الدين السُّرَّمَرِّي في تقرير العقيدة مع تحقيق ودراسة كتابه خصائص سيِّد العالمين وما له من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السَّلام

تأليف وتحقيق

خالد بن منصور المطلق

رسائل جامعية

منهج الإمام جمال الدين السرمري في تقرير العقيدة مع تحقيق ودراسة كتابه خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام

تأليف وتحقيق

خالد بن منصور المطلق

أصل هذ الكتاب

رسالة علمية تقدم بها الباحث إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

وقد نال بها الباحث درجة الماجستير بتقدير ممتاز.


منهج الإمام جمال الدين السرمري
في تقرير العقيدة مع تحقيق ودراسة كتابه
خصائص سيد العالمين

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المطلق، خالد منصور محمد
منهج الامام جمال الدين السرمري في تقرير العقيدة مع تحقيق ودراسة كتابه (خصائص سيد العالمين). / خالد منصور محمد
المطلق:- الرياض، ١٤٣٦ هـ
٧٦٨ ص ١٩سم × ٢٧ سم
ردمك ١-٧٩٦٧-٠١-٦٠٣-٩٧٨
١- العقيدة الاسلامية أ. العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٦/٤٣٧٤

رقم الإيداع ١٤٣٦/٤٣٧٤
ردمك ١-٧٩٦٧-٠١-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م